

# نظم الدرر

## في تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر

برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامي

بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

و لما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع ، أخبر سبحانه بما أفهم أن قومه لم يجدوا عنه جوابا أصلا لأنهم انتقلوا إلى الدفاع[1] بالفعل ، و هو أمارة / الانقطاع ، فقال مستأنفا : ﴿ قال الملا ﴾ أي الأشراف ﴿ الذين استكبروا ﴾ أي أوجدوا الكبر إيجاد من هو طالب له بغاية الرغبة ، و خصهم ليحصل تمام التسلية بقوله : ﴿من قومه لنخرجنك﴾ و بين غلظتهم و جفاءهم بقولهم : ﴿ يشعيب ﴾ من غير استعطاف و لا إجلال ﴿ و الذين امنوا ﴾ و يجوز أن يتعلق قوله : ﴿ معك ﴾ بـ "امنوا" و بـ 'نخرج' ﴿ من قريتنآ ﴾ أي من المكان الجامع لنا لمفارقتكم إيانا ﴿ او لتعودن ﴾ أي إلا[2] أن تعودوا ، أي ليكونن آخر الأمرين : إما الإخرج و إما العود ﴿ في ملتنا ﴾ أي بالسكوت عنا كما كنتم ، و لم يريدوا منه العود إلى الكفر لأنه صلى الله عليه و سلم كان محفوظا قبل النبوة كاخوانه من الأنبياء عليهم السلام ، بل كانوا يعدون سكوته عليه السلام - قبل إرساله إليهم من[3] دعائهم و سب آلهتهم و عيب دينهم - كونا في ملتهم ، و مرادهم الآن رجوعه عليه السلام إلى تلك الحالة

---

(١) من ظ ، و في الأصل : الرقاع (٢) من ظ ، و في الأصل : الى (٣) في ظ : عن .

و القناعة ممن اتبعه[1] بذلك ، فيكون مرادهم بالعود حقيقة[2] في الجميع[3] .

و لما كان كل من الإخراج و الرد مستعظما ، أخبر تعالى أنه أنكره بقوله : ﴿ قال اولو ﴾ أي أتخرجوننا أو تعيدوننا لو كنا راضين للاخراج و العود و لو ﴿ كنا كرهين ﴾ .

٥ و لما كان العرب أبعد الناس من مطلق الكذب و أشدهم له تحاميا و منه نفرة فكيف بالكذب على الأكابر فكيف به[4] على الملوك فكيف به على ملك الملوك ! علق الكذب على الله تعالى بالعود إلى ملتهم بقوله مستأنفا الإخبار لمن تشوف إلى علم ما كان منه بعد هذا الكلام اللين و توقع غيره : ﴿ قد افترينا ﴾ أي تعمدنا الآن بما نقوله[5] لكم ، أي[6] من [ أن - [7] ]

١٠ الله حرم الكفر و الإقرار عليه ﴿ على الله ﴾ أي الذي له جميع العظمة ﴿ كذبا ﴾ و يجوز أن يكون تنوينه للتعظيم ، و يجوز أن يكون للتحقير ، و لكل وجه يدعو إليه المقام لا يخفى ﴿ ان عدنا ﴾ أي ساعة من الدهر ﴿ في ملتكم ﴾ أي بسكوتنا أو بسكوتي و كفر من كان ممن تبعني كافرا ﴿ بعد اذ نجّىنا الله ﴾ أي الملك الأعلى خارقا للعادة بما كنا جديرين

١٥ بالانغماس فيه متابعة الآباء و الأجداد و العشيرة بما له من القدرة و العظمة ﴿ منها ﴾ أي إن[8] فعلنا ذلك فقد ارتكبنا أقبح القبائح على بصيرة منا بذلك ، فهو تعليق[9] على محال عادة ، وهو من وادي[10] قول الأشتر النخعي:

(١) في ظ : تبعه (٢) من ظ ، و في الأصل: حقيقته (٣) في ظ : الجمع (٤) في ظ: بالكذب (٥) في ظ : نقول (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) في ظ : اي. (٩) من ظ ، و في الأصل : تعليقا (١٠) في ظ : واد .

[1] بقيت وفرى و انحرفت عن العلى و لقيت أضيافى بوجـــه عبوس[1]

إن لم أشن على ابن هند غارة لم تخل[2] يوما من نهاب نفوس

غير أن المعلق فى البيت تقديرى ، و فى الآية تحقيق ، لأنهم أخبروهم أن الله تعالى نهى عن الكفر و أمرهم بانذار كل كافر ، فمتى تركوا ذلك لزمهم الكذب حتما ﴿ و ما يكون لنآ ﴾ أى ما يصح و ما يتفق ٥ ﴿ ان نعود فيهآ ﴾ أى ملتكم .

و لما كان الله[3] سبحانه أن يفعل ما يشاء لا واجب عليه و لا قبيح منه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ الآ ان يشآء الله ﴾ فذكر اسم الذات إشارة إلى أن له جميع الحمد لذاته ؛ ثم ذكر صفة الإحسان عياذا من أن يراد بهم الهوان فقال : ﴿ ربنا[4] ﴾ أى خرق العادة فله ذلك ، فهو من ١٠ باب التذكر للخاوف و الإشراف على إمكان سوء العواقب للصدق فى التضرع إلى الله تعالى و الالتجاء إليه و الاستعاذة من مكره ، و لذلك أتى باسم الجلالة الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى و صفة الربوبية الملتمس بذكرها فعل ما يفعل المربى الشفيق . فكأنه قال : إن عودنا[4] فى[5] ملتكم غير ممكن عادة ، و المحال[6] عادة لا يقدر عليه إلا باقدار من الله ، بل و لا توجه الهمم ١٥ إليه ، و الله تعالى أكرم من أن يعود فيما وهبه[7] لنا من هذا الأمر الجليل ،

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومعجم الشعراء ٣٦٢ ، وفى الأصل: لم يخل (٣) فى ظ : الله (٤) فى ظ : عمدنا (٥) من ظ ، و فى الأصل : الى . (٦) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ ، و فى الأصل : وجبه .

و ينزع عنا هذا اللباس الجميل ، و هو صريح فى أن الكفر يكون بمشيئة
/٣٢٣ الله ، بل و لا يكون إلا بمشيئته ، و قوله : ﴿ وسع ربنا ﴾ أى / المحسن
إلينا ﴿ كل شىء علما ﴾ زيادة فى حث أمته على الالتجاء[1] و التبرئ من
الحول و القوه ، أى لا علم لنا بخواتم الأعمال و العلم لله فهو التام العلم الكامل
٥ القدرة ، فهذه الجملة كالتعليل للتعليق بالمشيئة [ قطعا - [2] ] لما عساه أن
يحدث من طمع المخاطبين فى عودهم ، كأنه قيل : و إنما علقنا العود بالمشيئة
لنقص علومنا ، فربما كان فى سعة علمه قسم ثالث ، و هو أن نكون فى
القرية على ديننا و تكونون أنتم أو لا ، أو توافقونا[3] على ما نحن عليه ،
و هكذا ينبغى للمربوب ، و لا ينبغى الجزم بأمر[4] يستقبل[5] إلا لله ربنا لإحاطة
١٠ علمه ، و الآية تدل على أنه كان فى الأزل عالما بكل شىء من الكليات
و الجزئيات لأن "وسع" ماض ، وقد تقدم فى الأنعام أن قول الخليل
عليه السلام و هذا و آية الكهف من مخبر واحد - و الله أعلم .

و لما كان المراد من هذا ما ذكر ، كان مزعجا للقلوب مقلقا للنفوس
مزعزعا للخواطر مزلزلا للأفكار بتأمل هذه الأخطار المشفية على غاية
١٥ الخسار ، فكأن المؤمنين قالوا[6] : ما العمل و أين المفر ؟ فقال : ﴿ على الله ﴾
أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ، وحده لا على غيره ﴿ توكلنا ﴾
أى[7] فوضنا جميع أمورنا إليه ، و هو أكرم من أن يختار لنا غير الأرشد

---

(١) فى ظ : التجاء (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : توافقوا لنا - كذا .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : بامره (٥) فى ظ : يستقل (٦) فى الأصل : فقالوا ،
و قد سقط من ظ (٧) فى ظ : او .

و قد تبرأنا من حولنا و قوتنا و اعتصمنا بحوله و قوته، و جعلنا جميع أمورنا كلها محمولة على قدرته كما يحمل الوكيل أمر موكلــه عنه و يريحه من همه و قلقه منه.

و لما جرت العادة بأن الموكل يخبر الوكيل بما يريد ليفعله، أتبع[1] ذلك الدعاء بالحكم بما يقتضيه ظاهر الحال من نصر المحق و خذل المبطل ٥ فقال: ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ افتح ﴾ أى احكم ﴿ بيننا ﴾ و لما كان يريد استعطافهم لإسعادهم قال: ﴿ و بين قومنا ﴾ و فيه إشارة إلى ميله [2]إلى الدعاء[2] بهدايتهم، و أدب[3] بعدم التصريح بما[4] لم يؤذن له فيه ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر الفيصل من معاملة كل من المحق و المبطل بما يستحقه شرعا و عرفا بحيث يكون لكل فريق باب يصل به إلى غاية ١٠ أمره و هذا مقام الإنصاف، فقد علم من إشارة قوله [5]العناية بقومه، و من عبارته الإنصاف[5] من نفسه، و لو أراد ترجيح نفسه و متبعيه لدعا لهم أن يعاملوا بالفضل و أن يعامل ضدهم بالعدل، و الآية معلمة بأن له تعالى أن يفعل ما يريد من خذلان الظالم و نصر المظلوم و تعذيب العاصى و إثابة الطائع و عكس ذلك، "لا يسئل عما يفعل" لأنه التام الملك العظيم المُلك ١٥ الشامل القدرة الحكيم الخبير، و يجوز أن يكون المراد: لا نعود إلى ما كنا عليه من السكوت عن دعائكم إلى الله و نهيكم عن أفعال الضلال لأنا أمرنا بإنذاركم إلا أن يشاء الله سكوتنا بأمر[6] يحدثه إلينا فى ذلك

---

(١) فى ظ: اتبعه (٢ - ٢) فى ظ: بالدعاء (٣) فى ظ: بادب (٤) من ظ، و فى الأصل: ا (٥ - ٥) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « و لم يجد مخلصا » و الترتيب من ظ (٦) فى ظ: باحد.

لمصلحة اقتضاها علمه و قصرت عنها علومنا، فاذا أراد ذلك و أمرنا به فعلنا، فله الخلق و الأمر.

و لما أشار إلى الدعاء لقومه، أشار - بالعطف على[1] غير معطوف[2] عليه ظاهر - إلى أن التقدير: فأنت خير الراحمين: ﴿ و انت خير الفتحين ۞ ﴾

٥ أى على من[3] سدت عليه الأبواب و لم يجد مخلصا.

و لما انقضى جواب الفصل المبنى على إبطال الفضل و إظهار العدل، ذكر سبحانه قولهم بعده عاطفا له[3] على ما مضى من قولهم أو على قوله. و كان الأصل أن يقال: و قالوا، و لكنه أظهر الوصف بالشرف[2] إشارة الى أنه الذى حملهم على نتيجة الاستكبار و هى الكفر، ثم لم يرضوا

١٠ به[3] حتى أضافوا إليه تكفير غيرهم فقال: /٣٢٤ ﴿ و قال الملا ﴾ أى الأكابر ﴿ الذين ﴾ يملأون العيون مرأى و القلوب مهابة، لحملهم التكبر على أنهم ﴿ كفروا ﴾.

و لما كان من المستبعد أن يكون أقاربه يتنكبون عما أتاهم به من الخير لحسد[4] أو اتهام أو غيرهما، فكان ربما ظن أن[3] هؤلاء الذين يعاملونه

١٥ بهذه الغلظة أجانب عنه، قال: ﴿ من قومه ﴾ بيانا لأن الفضل بيد الله فقد يؤتيه البغيض البعيد و يمنعه الحبيب القريب "انك لا تهدى من احببت[5]"، و وطأوا للقسم بقولهم[6]: ﴿ لئن اتبعتم ﴾ أى أيها الأتباع ممن لم يؤمن بعد ﴿ شعيبا ﴾ أو[7] تركتم ما أنتم عليه مما أورثه لكم

(١) فى ظ: الى (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: الحسد (٥) سورة ٢٨ آية ٥٦ (٦) فى ظ: بقوله.
(٧) فى ظ: اى و.

آباؤكم؛ و أجاب[1] القسم بما[2] سد عن جواب الشرط بقوله: ﴿انكم اذًا﴾ أي وقت اتباعه ﴿لخسرون ﴾ أي لأنكم استبدلتم بدين الآباء غيره[3] و حرمتم فوائد البخس و التطفيف[4] و قطع السبل.

و لما كمل إثمهم بالضلال و الإضلال، استحقوا الأخذ فقال: ﴿فاخذتهم﴾ أي فتسبب عن أقوالهم هذه و أفعالهم أنه أخذتهم ٥ ﴿الرجفة﴾ أي[5] الزلزلة العظيمة في القلوب أو الديار التي كانت سببا للصيحة أو مسببة عنها ﴿فاصبحوا في دارهم﴾ أي مساكنهم، و تقدم سر توحيدها ﴿جثمين ﴾ أي باركين على الركب أو لازمين أمكنتهم لا حراك بهم، و هذا دون ما كان للنبي صلى الله عليه و سلم لما نزلت الملائكة بحنين، فكان الكفار يسمعون في أجوافهم مثل وقع الحصاة ١٠ في الطست، و دون ما كان يجد مخالفه من الرعب منه مسيرة شهر من ورائه و شهر من أمامه، و لكونه كان نبي الرحمة ما اقتضى[6] ذلك الهلاك بل النجاة.

و لما أخبر سبحانه بهلاكهم و ما سببه من أقوالهم و أفعالهم، و كان للتخليص من العظمة في القلوب بتصوير المخلص للأذهان [ما -[7]] لا يخفى، ١٥ لخص ذلك [8]ذاكرا لأنه[8] حل بهم [ بالخصوص -[7] ] ما نسبوا إلى المؤمنين من الخسارة فقال: ﴿الذين كذبوا شعيبا﴾ أي نسبوه إلى الكذب فيما قاله عنا و أيدناه فيه بالبينات ﴿كان﴾ أي هم المخصوصون بالهلاك

---

(١) في ظ: جواب (٢) في ظ: هنا (٣) في ظ: عليه (٤) من ظ، و في الأصل: التضعيف - كذا (٥) زيد بعده في الأصل: في، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.
(٦) من ظ، و في الأصل: تقضى (٧) زيد من ظ (٨-٨) في ظ: ذكرا انه.

حتى كأنهم ﴿ لم يغنوا ﴾ أى ينزلوا و يقيموا ، و بطل مقامهم لاهين بالأفراح و الغناء [1] و الاستغناء من المغانى و هى المنازل و الاستغناء [1] ﴿ فيها ج ﴾ أى الدار بسبب تكذيبهم .

و لما كان تكذيب الصادقين لا سيما الرسل فى غاية الشناعة ، كرره

٥ إشارة إلى ذلك و إعلاما بأنه سبب لهم أعظم من هلاك الأشباح ضد ما سبب التصديق للمؤمنين فقال : ﴿ الذين كذبوا شعيبا ﴾ أى فكان تكذيبه سببا لهلاكهم ﴿ كانوا ﴾ أى بسبب التكذيب أيضا ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الخسرين ﴾ أى خسروا أرواحهم كما خسروا أشباحهم فهم لما سوى ذلك أخسر ، و أما الذين اتبعوه فما نالهم شيء من الخسار ، و فى هذا [2] الاستئناف

١٠ و الابتداء و التكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ لأشياعهم و تسفيه لآرائهم و استهزاء بنصحهم لقومهم و استعظام لما جرى عليهم .

و لما صارت تلك الدار محل الغضب ، سبب ذلك أن هاجر عنها كما كانت عادة من قبله من الأنبياء عليهم السلام ، فقال : ﴿ فتولى عنهم ﴾ بعد نزول العذاب و قبله عند رؤية مخايله ذاهبا إلى مكان غيره [3] ، يعبد ربه

١٥ فيه ﴿ و قال ﴾ متأسفا على ما فاته من هدايتهم ﴿ يٰقوم ﴾ أي يا عشيرتى و أقرب الناس إلىّ ﴿ لقد ابلغتكم ﴾ و لعله جمع [4] لأجل كثرة [4] ما أتاهم به من المعجزات فقال : ﴿ رسلت ربى ﴾ أى المحسن إلىّ بانجائى و من تبعنى من عذابكم لتوفيقه لنا إلى ما يرضيه ﴿ و نصحت ﴾ أى و [5] أوقعت / النصح ٣٢٥ /

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : هذه (٣) فى ظ : غير - كذا (٤ - ٤) فى ظ : لكثرة (٥) سقط من ظ .

﴿ لكم ﴾ أى خاصة .

و لما كان هذا مفهما لما[1] طبع البشر من الأسف على أهله و عشيرته ، سبب عنه[2] منكرا على نفسه قوله: ﴿ فكيف اسى ﴾ أى أحزن[3] حزنا شديدا ﴿ على قوم كفرين ﴾ أى عريقين فى الكفر ، فعرف أنه أسف عليهم من أجل قربهم و فوات الإيمان لهم غير آسف عليهم من أجل ٥ كفرهم ، و تخصيصُ تكرير هذه القصص الخمس على هذا الترتيب فى كثير من سور القرآن - دون قصة إبراهيم عليه السلام و هو أعظمهم - لانتظامهم فى أنهم أقرت أعينهم بأن رأوا مصارع من خالفهم ، و أما إبراهيم عليه السلام فانه وقع النص فى قوله " انى ذاهب الى ربى سيهدين[4] " بأنه خرج من بين قومه قبل عذابهم و لم يسلك به سبيلهم فى إقرار عينه باهلاك ١٠ من كذبه بحضرته ، و هو أفضلهم لأن الكائن فى قصته أعظم فى الأفضلية ، و هو طبق ما اتفق لولده أفضل البشر نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، و انظر إلى قوله تعالى " وما كان الله ليعذبهم و انت فيهم[5] " تعرف ما فى هذا المقام من الإكرام ، و أن الأمر كما قيل: لعين تجازى ألف عين و تكرم .

و لما قدم سبحانه إجمال الإنذار بما اشتركت فيه الأمم من الإهلاك ١٥ بقوله تعالى " و كم من قرية اهلكنها " - الآية ، ثم أتبعه - بعد تقديم ما يحتاج إليه على النظم الذى سبق التنبيه عليه - تفصيلَ ما انفردت[6] به كل أمة من العذاب الحاث على سبيل الصواب ، أتبع ذلك إجمالا آخر أبسط من الأول على نمط غريب[7] دال على عادته المستمرة و سنته المستقرة فى شرح

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : هو - كذا (٢) فى ظ : عنهم ، و زيد بعده فى الأصل : قوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى ظ : احسن (٤) سورة ٣٧ آية ٩٩ . (٥) سورة ٨ آية ٣٣ (٦) فى ظ : انفرت - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : عرف .

حال هؤلاء الأمم الذين ذكرهم وغيرهم، لئلا يظن أن غيرهم كان حاله غير حالهم، فبين أن الكل على نهج واحد و أن[1] السبب فى استئصالهم واحد، و هو التكذيب و الاستكبار على الحق، ليكون الإجمال كالضوابط و القواعد الكلية لتنطبق[2] على الجزئيات. و ذلك الاستبصار[3] بما يكون من نافع
٥ أو ضار و عدم الاغترار بأحوال المستدرجين الأشرار متكفل[4] بالتسلية لنبيه [صلى الله عليه و سلم - [4]] و التأسية، متقدم على قصة موسى و هارون عليهما السلام لطولها و تعجيلا بما فى ذلك من مصارع[5] الإنذار بقوله تعالى: ﴿ و مآ ﴾ أى أرسلنا فلانا فكان كذا و[6] فلانا فكان كذا. و ما ﴿ ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فى قرية ﴾ أى من قرى أولئك
١٠ و غيرهم ﴿ من نبى ﴾ أى من الأنبياء الذين تقدموك ﴿ الآ ﴾ كان ما نخبر[7] به من ترهيبهم من سطواتنا و هو أنا ﴿ اخذنآ ﴾ أى بعظمتنا ﴿ اهلها ﴾ أى أخذ قهر[8] و سطوة، أى لأجل استكبارهم عن الحق ﴿ بالبأسآء ﴾ أى قهر الرجال ﴿ و الضرآء ﴾ أى المرض و الفقر ﴿ لعلهم يضرعون ۝ ﴾ أى ليكون[9] حالهم عند المساءة حال من يرجى
١٥ تضرعه و تذلله و تخضعه لمن لا يكشف ذلك عنه غيره و لو كان التضرع فى أدنى المراتب - على ما أشار إليه الإدغام، لأن[10] ذلك كاف فى

---

(١) فى ظ : انما (٢) من ظ، و فى الأصل : لتطبق (٣) من ظ، و فى الأصل : للاستبصار (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل : صارع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل : يخبر (٨) فى ظ : فظهر (٩) فى ظ : لتكون. (١٠) من ظ، و فى الأصل : بان.

الإنقاذ[1] من عذاب الإنذار الذى هذه سورته بخلاف ما مضى فى الأنعام .

و لما لم يتضرعوا صادقين من قلوبهم معترفين بالحق لأهله كما يحق له ، استدرجهم[2] بادرار النعم ، فقال مشيرا إلى طول مدة الابتلاء و استبعادهم لكشف ذلك البلاء : ﴿ ثم بدلنا ﴾ و مظهر العظمة يؤيد الاحتمال الثانى ﴿ مكان ﴾ أى جعلنا بدل ﴿ السيئة ﴾ أى النقمة ﴿ الحسنة ﴾ ٥ أى النعمة ، و بين أنه مد النعمة بقوله : ﴿ حتى عفوا ﴾ أى كثروا و كثرت نعمهم فلم يشكروا ﴿ و قالوا ﴾ مسندين الأمر إلى غير أهله ﴿ قد مس اٰبآءنا الضرآء ﴾ أى الشدة ﴿ و السرآء ﴾ أى الرخاء و النعمة ، معتقدين أن هذه عادة الدهر لا فعل الفاعل المختار .

و لما لم يعتبروا و يعلموا أن ذلك ممن / يجب[3] أن لا يعدل عن ١٠ / ٣٢٦ بابه و لا يغفل عن جنابه ، و ظنوا أن ذلك دأب الدهر و فعل الزمان ، و استمروا على فسادهم فى حال الشدة و الرخاء ، سبب عنه قوله : ﴿ فاخذنٰهم ﴾ أى بعظمتنا أشد الأخذ و أفظعه فى الظاهر و الباطن ﴿ بغتة ﴾ أى فجاءة حتى لا ينفعهم[4] التوبة ، و أكد معنى البغت تحقيقا لأمره بقوله : ﴿ و هم لا يشعرون ﴾ فحق من سمع هذا أن يبادر إلى الرجوع عن كل ١٥ مخالفة هو فيها خوفا من الأخذ بغتة .

و لما بين تعالى ما كان قولهم مسببا له من الأخذ بغتة ، بين ما كان يكون ضد قولهم مسببا[5] له من البركات لو وقع بقوله : ﴿ و لو ان اهل القرىٰ ﴾ أى هذه التى قصصنا أخبارها ﴿ اٰمنوا ﴾ أى بما أتاهم به رسلهم

---

(١) فى ظ : الانقياد (٢) فى ظ : استدراجهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : تحب .
(٤) فى ظ : لا تنفعهم (٥) فى ظ : سببا .

﴿و اتقوا﴾ أى خافوا أمر الله و جعلوا بينهم و بين سخطه وقاية من طاعاته فاستمروا على إيمانهم ﴿لفتحنا عليهم بركت﴾ أى خيرات ثابتة لا يقدر أحد على إزالتها ﴿من السمآء﴾ أى بالمطر الذى يكون كأفواه القرب و ما شابهه ﴿و الارض﴾ بالنبت الغليظ و ما قاربه ، و قراءة ابن عامر بالتشديد ٥ يدل على كثرة تلك البركات . و أصل البركة المواظبة على الخير .

و لما كان الكلام بما أفهمته "لو" فى قوة أنهم لم يؤمنوا ، عبر بقوله : ﴿و لكن كذبوا﴾ أى كان التكذيب ديدنهم و شأنهم ، فلذلك لم يصدقوا رسلنا فى شىء ، و لما كان التكذيب موضع الجلافة و الجمود الذى هو سبب لعدم النظر فى الدليل ، سبب عنه العذاب فقال : ١٠ ﴿فاخذنهم﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كانوا يكسبون ۝﴾ أى بجبلاتهم الخبيثة من الأعمال المناسبة لها .

و لما كانوا قد ضلوا ضلالا بعيدا فى غلطهم فى جعلهم السراء و الضراء سببا للأمن من مكر الله ، قال منكرا عليهم أمنهم عاطفا له على "كذبوا" لأنه[1] سبب الغلط و هو سبب الأمن فقال : ﴿ا فامن اهل القرى﴾ أى كذبوا ١٥ ناسين أفعالنا المرهبة بالمضار و المرغبة بالمسار فأمنوا ﴿ان ياتيهم باسنا﴾ أى الناشىء عما لنا من العظمة التى لا ينساها إلا خاسر ﴿بياتا﴾ أى ليلا و هم قد أخذوا الراحة فى بيوتهم ؛ و لما كان النوم[2] شيئا واحدا يغمر الحواس فيقتضى الاستقرار ، عبر بالاسم الدال على الثبات فقال : ﴿و هم نآئمون ۝﴾ أى على غاية الغفلة عنه .

(١) فى ظ : لانهم (٢) فى ظ : اليوم .

و لما كان ربما قال جاهل: لو جاءهم و هم أيقاظ لأمكن أن يدافعوا! قال: ﴿ او امن اهل القرىٰ ﴾ أي مجتمعين أو منفردين فانه لا فرق عندنا فى ذلك ﴿ ان ياتيهم باسنا ضحى ﴾ أي[1] وقت راحتهم و اجتماع قواهم و نشاطهم؛ و لما كانت اليقظة موجبة للحركة، عبر بالمضارع فى قوله: ﴿ و هم يلعبون ﴾ أى يتجدد لعبهم شيئا فشيئا فى ذلك الوقت، ٥ و فيه تقريع لهم بنسبتهم إلى أنهم صبيان العقول، لا التفات لهم إلى غير اللعب.

و لما كان ضلالهم - الذى نسبوا فيه الأمر إلى غير أهله - أشنع ضلال لتضمنه التعطيل و ما يجر إليه من الأباطيل. كرر الإنكار عليهم على وجه أشد من الأول فقال مسببا الإنكار عما أثبت هذا الكلام من ١٠ العظمة التى لا يتمارى فيها ذو لب: ﴿ ا فامنوا مكر الله ج ﴾ أى فعله الذى يشبه المكر بأخذ الإنسان من حيث لا يشعر بالاستدراج بما يريد من النعم و النقم؛ و سبب عن ذلك قوله: ﴿ فلا يامن مكر الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه فلا يرد له أمر ﴿ الا القوم الخسرون ع ﴾ أى الذين[2] كانت قواهم سببا لعراقتهم فى الأفعال الضارة و الخصال المهلكة. ١٥

و لما بان بما مضى حال الكفار مجملا و مفصلا، و كان المقصود من ذلك عبرة السامعين. و كان أخذهم بالبأساء و الضراء مع إبقاء مهجهم و حفظ أرواحهم و أفهامهم بعد إهلاك من قبلهم فى بعض ما لحقهم عن ذلك و إيراثهم الأرض من بعدهم / حالا يكونون[3] بها فى حيز من يرجى /٣٢٧

(١) فى ظ: فى (٢) من ظ، و فى الأصل: الذى (٣) فى ظ: يكون.

منه الخوف المقتضى للتضرع و العلم قطعا بأن الفاعل لذلك هو الله ، و أنه لو شاء لأهلكهم بالذنوب أو غطى أفهامهم بحيث يصيرون كالبهائم لا يسمعون إلا دعاء و نداء ، فسماعهم حيث لا فهم كلا سماع ، فجعلوا ذلك سببا للأمن ؛ أنكر عليهم ذلك بقوله "افامن" إلى آخره ؛
٥ ثم أنكر عليهم عدم الاستدلال على القدرة فقال عاطفا [ على -[1] ] "افامن" : ﴿ او لم يهد ﴾ أى يبين أخذنا للأمم الماضية بالبأساء والضراء ثم إهلاكهم إذا لم يتعظوا ﴿ للذين يرثون الارض ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف و إشارة إلى بلادتهم[2] لعدم البحث عن الأخبار ليعلموا منها ما يضر و ما[3] ينفع فلا يكونوا كالبهائم ، فانهم
١٠ لو تأملوا أحوالهم[4] و أحوال من ورثوا أرضهم و أحوال[4] الأرض لكفاهم ذلك فى الهداية إلى سواء السبيل .

و لما كان إرثهم[5] غير مستغرق للزمان ، أتى بالجار فقال : ﴿ من بعد اهلهآ ﴾ ثم ذكر مفعول "يهد" بقوله : ﴿ ان ﴾ أى أنا ﴿ لو نشآء ﴾ أى فى أىّ وقت أردنا ﴿ اصبنهم بذنوبهم ج ﴾ أى إصابة نمحقهم
١٥ بها كما فعلنا بمن ورثوا أرضهم ؛ و لما كان هذا تخويفا للموجودين بعد المهلكين ، و منهم قريش و سائر العرب الذين يخاطبون بهذا القرآن ، فكأن المخوف به لم يقع بعد ، عطف على[6] ' اصبنا ' قوله : ﴿ و نطبع على قلوبهم ﴾ أى بازالة عقولهم حتى يكونوا كالبهائم ، و لذلك[7] سبب عنه قوله :

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بلادهم (٣) فى ظ : لا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ربهم - كذا .
(٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : كذلك .

فهم

﴿ فهم لا يسمعون ه ﴾ أى سماع فهم ، و عبر عن الإصابة بالماضى إشارة
إلى سرعة الإهلاك مع كونه شيئا واحدا غير متجزى ، و عن الطبع بالمضارع[١]
إيماء إلى التجدد بحيث لا يمر زمن إلا كانوا فيه فى طبع جديد .

و لما انقضى ذلك على هذا الوجه الأعظم و النظم الأبلغ الأحكم ،
و كانت هذه القرى بحيث تعرفها العرب و يرونها ، أشار إليهم حثا على ٥
الاعتبار بهم ، و لما كان أهلها جديرين بالبعد عنهم[٢] و الهرب منهم ، عبر
عنهم بأداة البعد فقال : ﴿ تلك القرى ﴾ أى محال[٣] القبائل الخمس ، و يجوز
أن يكون البعد لعظمة ما حصل لأهلها من العذاب ، و يؤيده قوله مبينا
لحالها : ﴿ نقص عليك ﴾ .

و لما كان العاقل من يكفيه أدنى شيء ، هول الأمر بأن أخبارها ١٠
تفوت الحصر ، و أن ما قص منها يكفى المعتبر ، فقال : ﴿ من انبآئها ج ﴾ أى
أخبارها العظيمة الهائلة المطابقة للواقع شيئا بعد شيء كما يفعل من يتتبع[٤]
الأثر ، و أنث الضمير لأن لرؤية القرى أنفسها مدخلا فى معرفة أخبار أهلها .

و لما كان المقام مقام العجب من التكذيب بعد ذلك البيان ، كان
ربما تخيل متخيل أنهم لم يؤتوا[٥] بالبيان الشافى . فشهد الله تعالى للرسل ١٥
عليهم السلام تصديقا لمن قال منهم : قد جاءتكم بينة ، بقوله : ﴿ و لقد ﴾
أى و الحال أنه قد ﴿ جآءتهم ﴾ أى أهل القرى لأنهم المقصودون بالذات
﴿ رسلهم ﴾ أى الذين أرسلناهم إليهم ﴿ بالبينٰت ج فما ﴾ أى فلم[٦] يتسبب عن

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : المضارع (٢) فى ظ : عنه (٣) فى ظ : محل (٤) من ظ ،
و فى الأصل : يتبع (٥) من ظ ، و فى الأصل : لم يومنوا (٦) من ظ ، و فى
الأصل : لم .

ذلك بسبب طبعنا على قلوبهم إلا أنهم ما ﴿ كانوا ﴾ موفقين ﴿ ليؤمنوا ﴾
أى عند مجيئها ، و قد أكد منافاة حالهم الإيمان باللام[1] و الكون أتم تأكيد
﴿ بما ﴾ أى بالذى ﴿ كذبوا ﴾ أى به ، [ و حذفها أدل على الزجر من
مطلق التكذيب و أوفق لمقصود السورة -[2] ] .

٥ و لما كان تكذيبهم غير مستغرق للزمان الماضى ، أدخل الجار فقال :
﴿ من قبل ﴾ أى قبل مجىء الرسل إليهم أو بتكذيبهم الواقع [ منهم -[2] ]
للرسل فيما أتوا به عن الله من قبل الأخذ بغتة ، أو من قبل مجىء الرسل
بالآيات ، فانهم أول ماجاؤهم فاجأوهم بالتكذيب ، فجوزوا على تكذيب الحق
من غير نظر فى دليل بالطبع [ على قلوبهم فأتوهم بالمعجزات فأصروا على ذلك
١٠ التكذيب و وقفوا لذلك الطبع -[2] ] مع حظوظهم ، و منعتهم شماختهم
و شدة شكائمهم عن الإيمان[3] لئلا يقال : إنهم خافوا[4] أولا فيما وقع منهم
/ ٣٢٨ من التكذيب فكانوا فيه على / غير بصيرة ، أو إنهم خافوا ثانيا ما قرعتهم
به الرسل من الوعيد ، فدخلوا جبنا فيما يعلمون بطلانه ، فكان تزيين[5] هذا
لهم طبعا على قلوبهم . فكأنه قيل : إن هذا العجب هل يقع فى مثل ذلك
١٥ أحد ؟ فقيل : نعم ، مثل ما طبعنا على قلوبهم حتى صارت مع الفهم
لا تنفع[6] ، فكأنها لا تفهم[7] فكأنها لا تسمع[8] ﴿ كذلك يطبع الله ﴾
أى الجامع لصفات الكبر و نعوت الجلال [9]بما يجعل[9] من الرين بما له

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الايمن - كذا (٤) فى الأصل : خلفوا ، و فى ظ : خفوا (٥) فى ظ : تزين (٦) من ظ ، وفى الأصل : لا ينتفع (٧) من ظ ، و فى الأصل : لا يفهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : لا يسمع (٩ - ٩) فى ظ : انما تجعل .

من العظمة ﴿ على قلوب الكفرين ﴾ أى كل من يغطى ما أعطاه الله من نور العقل بما تدعوه إليه نفسه من الهوى عريقا فى الاتصاف [ بذلك - [1] ] فيترك آيات الله .

و لما كان نقض العهد أفظع شيء و لا سيما عند العرب ، قال عاطفا على " فما كانوا " : ﴿ و ما وجدنا ﴾ أى فى عالم الشهادة ﴿ لاكثرهم ﴾ ٥ أى الناس ، و أكد الاستغراق فقال : ﴿ من عهد ﴾ طبق ما كان عندنا فى عالم الغيب ، و هذا إما إشارة إلى الميثاق يوم "الست بربكم" إن كان ذلك على حقيقته ، أو إلى ما يفعلون حال الشدائد من الإقلاع عن[2] المعاصي و المعاهدة[3] على الشكر " لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين[4] " أو إلى إقامة الحجج[5] بإفاضة العقول و نصب الأدلة ، فصار بنصبها و إيضاحها[6] ١٠ للعقول كأنه أخذ العهد على من عقل أنه يبذل الجهد فى التأمل و لا يتجاوز ما أبداه له صحيح النظر ﴿ و ان ﴾ أى و إنا ﴿ وجدنا ﴾ أى علمنا فى عالم الشهادة ﴿ اكثرهم لفسقين ﴾ أى خارجين عن دائرة[7] العهد مارقين مما أوقفهم عند الحد عريقين فى ذلك طبق ما كنا نعلمه منهم فى عالم الغيب ، و ما أبرزناه فى عالم الشهادة إلا لنقيم عليهم به الحجة على ١٥ ما يتعارفونه بينهم فى مجارى عاداتهم و مدارك عقولهم .

و لما انقضى بيان هذا الإجمال الخالع لقلوب الرجال ، أتبعه الكشف

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : على (٣) من ظ ، و فى الأصل : المعاهد. (٤) سورة ١٠ آية ٢٢ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحجج - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : ايضافها (٧) فى ظ : دائر .

عما كان بعد قصة شعيب عليه السلام من قصة صهره موسى عليه السلام [ مع - [1] ] فرعون و قومه، و هى كالدليل على آيات الإجمال كما كانت القصص الماضية كالدليل على ما فى أول السورة من الإجمال، فان قصة فرعون مشتملة على الأخذ بالبأساء و الضراء، ثم الإنعام بالرخاء و السراء، ثم الأخذ بغتة بسبب شدة الوقوف مع الضلال بعد الكشف الشافى و البيان لما على قلوبهم من الطبع و ما قادت إليه[2] الحظوظ من الفسق، و كأنه[3] فصلها عن القصص الماضية[4] تنويها بذكرها و تنبيها على [ علىّ - [1] ] قدرها، لأن معجزات صاحبها أعظم من معجزات من كان قبله، و جهل من عالجهم[5] كان أعظم و أفحش من جهل تلك الأمم، و لذلك عطفها بأداة البعد مع قرب زمنها من التى قبلها إشارة إلى بعد رتبتها بما فيها من العجائب و ما اشتملت عليه من[6] الرغائب و الغرائب، و لذلك مد لها الميدان و أطلق فى سياقها للجواد[7] العنان فقال: ﴿ ثم بعثنا ﴾ أى على عظمتنا ﴿ من بعدهم ﴾ أى الرسل المذكورين و الأمم المهلكين ﴿ موسى بٰايٰتنآ ﴾ أى التى يحق لها العظمة باضافتها إلينا فتثبت بها النبوة ﴿ الى فرعون ﴾ هو علم جنس لملوك مصر ككسرى لملوك فارس و قيصر لملوك الروم، و كان اسم فرعون [8]موسى عليه السلام[8] قابوس، و قيل: الوليد بن مصعب [ بن - [9] ] الريان ﴿ و ملائه ﴾ أى عظماء قومه، و خصهم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: الى (٣) فى ظ: كان (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: عاجلهم (٦) من ظ، و فى الأصل: بين (٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ و تاج العروس - راجع « تفرعن ».

لأنهم

لأنهم إذا أذعنوا أذعن من دونهم ، فكأنهم المقصودون و الإرسال إليهم إرسال إلى الكل .

و لما سببت[1] لهم الظلم قال: ﴿ فظلموا ﴾ أى وقعوا فى مثل الظلام حتى وضعوا الأشياء فى غير مواضعها فوضعوا الإنكار موضع الإقرار ﴿ بها ج ﴾ أى بسبب رؤيتها خوفا على رئاستهم و مملكتهم الفانية أن تخرج[2] من أيديهم ؛ و لما كان ذلك من أعجب العجب . و هو أن سبب العدل يكون / سبب الظلم ، و كان هذا الظلم أعظم الفساد ، سبب عنه قوله معجبا : ﴿ فانظر ﴾ أى بعين[3] البصيرة ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المفسدين ه ﴾ فلخص فى هذه الآية على وجازتها جميع قصتهم على طولها ، و قدم ذكر الآيات اهتماما بها و لأنها الدليل على صحة دعوى البعث . ١٠ / ٣٢٩

و لما كان التقدير عطفا على " فظلموا بها ": و وضعها موسى مواضعها ، عبر عنه بقوله : ﴿ و قال موسى يفرعون ﴾ خاطبه بما يعجبه امتثالا لأمر الله تعالى له أن يلين فى خطابه ، و ذلك[4] لأن[5] فرعون لقب مدح لمن ملك مصر .

١٥ و لما أتاهم عليه السلام و هم عارفون بأمانته و صدقه و عظم مكانته و مكارم أخلاقه و شريف عنصره و عظيم مخبره ، و فرعون أعظمهم معرفة به لأنه ربى فى حجره ، كان هذا حالا مقتضيا لأن يلقى إليهم الكلام غير مؤكد ، لكن لما كان الإرسال من الله أمرا عظيما جدا ، و كان المقصود

(١) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٢) من ظ ، وفى الاصل : يخرج (٣) فى ظ : بعد (٤) فى ظ : لذلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : ان .

[ به - [1] ] تخلية سبيل بنى إسرائيل . و كان فرعون ضنينا بذلك ، أكده بعض التأكيد فقال : ﴿ انى رسول ﴾ ثم بين مرسله بقوله : ﴿ من رب العٰلمين ۙ ﴾ أى المحسن إليهم أجمعين - و أنتم منهم - بايجادهم و تربيتهم . فهو تنبيه[2] لمن سمعه على أن فرعون مربوب مقهور .

٥ و لما خلفه بهذا مما يدعيه من الربوبية دالا على تسويته بقية العالمين : ناطقهم و صامتهم ، و كان[3] لذلك بعيدا من الإذعان لهذا الكلام ، أتبعه[4] قوله على وجه التأكيد مستأنفا بيان ما يلزم للرسول : ﴿ حقيق[5] ﴾ أى بالغ فى الحقية ، ، هى الثبات الذى لا يمكن زواله ﴿ علىٰٓ ان لآ اقول على الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال ، و لا عظمة لسواه و لا جلال ﴿ الا الحق ؕ ﴾

١٠ أى الثابت الذى لا تمكن المماراة فيه أصلا لما يصدقه[6] من المعجزات ، و حاصل العبارة و مآلها : حق على قولى[7] الذى أطلقه[8] على الله أن لا يكون إلا الحق أى غير الحق ، و لذلك عبر بالاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات ، و قراءة نافع بتشديد ياء الإضافة فى " على " بمعنى هذا سواء ، لأن من حق عليه شىء حق على كلامه .

١٥ و لما كان الحال إذ ذاك يقتضى توقع إقامة موسى عليه السلام البينة على صحة رسالته ، كان كأنه قيل : ما دليل صدقك ؟ فقال مفتتحا بحرف التوقع و التحقيق[9] : ﴿ قد جئتكم ﴾ أى كلكم ، لا أخص أحدا منكم ﴿ ببينة[10] ﴾

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ينبه (٣) فى ظ : فكان (٤) زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : حقيقا (٦) فى ظ : يصدر (٧) من ظ ، و فى الأصل : قول . (٨) فى ظ : اطلقته (٩) من ظ ، و فى الأصل : التخفيف (١٠) تأخر فى الأصل عن « قولى الحق » والترتيب من ظ .

دليلا على رسالتي و قولي الحق ﴿ من ربكم ﴾ أي المحسن إليكم بكل نعمة ترونها لديكم من خلقكم و رزقكم و كف الأمم عن انتزاع هذا الملك منكم و إهلاككم، و تلك البينة هي المعجزة، فكرر البيان في هذا الكلام على أن فرعون ليس كما يدعى لأنه مربوب، لا فرق بينه و بين بقية العالمين في ذلك . ٥

و لما كان من المعلوم أن مثله في تمام عقله و شرف خلائقه لا يدعى في تلك المجامع إلا حقا مع ما نبه عليه من البيان على تفرد الله بالإلٰهية كما تفرد بالإحسان . كان كأنه أظهر البينة التي أقامها كفهم عن إهلاكهم ، فأتبع ذلك طلب النتيجة إعلاما بغاية ما يريد منهم بقوله مسببا عن مجرد هذا الإخبار الذي كان[1] قد أوقع مضمونه : ﴿ فارسل ﴾ أي يا فرعون ١٠ ﴿ معي بني اسرآءيل ۵ ﴾ أي فسبب[2] عن إقامتي الدليل على صحة ما قلته أن أمر بما جئت له - و هو إرسالهم معي - أمر من صار له سلطان بإقامة البينة لنذهب كلنا إلى [ بيت - [3] ] المقدس موطن[4] آبائنا التي أقسم الله لهم أن يورثها أبناءهم[5]، و في جعل ذلك نتيجة الإرسال إليه تنبيه على أن رسالته مقصورة على قومه، فكأنه قيل: فما ذا قال فرعون في جواب ١٥ هذا الأمر الواضح؟ فقيل: ﴿ قال ﴾ معرضا عنه معميا له خوفا من غائلته عند من يعرف موسى عليه السلام حق المعرفة معبرا بأداة / الشك إيقافا لهم: / ٢٣٠ ﴿ ان كنت جئت بِاٰيَةٍ ﴾ أي علامة على صحة رسالتك ﴿ فأت بهآ ﴾ فأوهم

(١) من ظ ، و في الأصل : كانه (٢) في ظ : فتسبب (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : مواطن (٥) من ظ ، و في الأصل : ابناءها .

أنه لم يفهم إلا أن المراد أنه[١] سيقيمها من غير أن يكون فى كلامه السابق دلالة على صدقه. و أكد الإبهام و الشك بقوله: ﴿ان كنت﴾ أى جبلة و طبعا ﴿من الصّدقين ﴾ أى فى عداد[٢] أهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواك عندى و تثبت[٣].

٥ و لما ساق هذا الطلب[٤] مساقا دالا على أنه شاك فى أمره، أخبر تعالى أنه فاجأه باظهار الآية دالا على ذلك بالفاء المسببة المعقبة من غير مهلة فقال عن[٥] فعل موسى عليه السلام: ﴿ فالقى عصاه ﴾ و عن فعله هو سبحانه ﴿ فاذا هى ﴾ أى العصا ﴿ ثعبان مبين ﴾ أى ظاهر فى كبره و سرعة حركته بحيث أنه لشدة ظهوره كأنه[٦] ينادى الناس فيظهر لهم

١٠ أمره، و هو موضح لصدق من تسبب[٧] عن فعله فى جميع مقالته؛ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان ثعبانا أشعر فاغرا فاه، بين لحييه ثمانون ذراعا، وضع لحيه الأسفل فى الأرض و لحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب من سريره هاربا و أحدث، و حمل على الناس فانهزموا و صاحوا فمات منهم خمسة و عشرون ألفا، قتل بعضهم

١٥ بعضا، و صاح فرعون: يا موسى خذه[٨] و أنا أومن [ بك - [٩] ] فأخذه[١٠] فعاد عصا. ثم قال: هل معك[١١] آية أخرى؟ قال: نعم ﴿و نزع يده ﴾

(١) فى ظ: به (٢) من ظ، و فى الأصل: عدد (٣) من ظ، و فى الأصل: يثبت.
(٤) من ظ، و فى الأصل: الطيب (٥) من ظ، و فى الأصل: من (٦) فى ظ: كان (٧) من ظ، و فى الأصل: سبب (٨) من ظ، و فى الأصل: خذوه.
(٩) زيد من ظ (١٠) من ظ، و فى الأصل: فاخذوه (١١) سقط من ظ.

أى

أي أخرجها من جيبه بعد أن أراه إياها محترقة أدما كما كانت و هو عنده
﴿فاذا هي بيضآء﴾ و نبه على ثبات بياضها و زيادة إعجابه بقوله: ﴿للنظرين ع﴾
قال أبو حيان: أي للنظارة[1]، و في [ذكر - [2]] ذلك تنبيه على عظم بياضها
لأنه لا يعرض العجب لهم إلا إذا كان بياضها خارجا عن العادة، و قال
ابن عباس: صارت نورا ساطعا يضيء ما بين السماء و الأرض، له لمعان مثل ٥
لمعان البرق فخروا على وجوههم، و ما[3] أعجب أمر هذين الخارقين العظيمين:
أحدهما في نفسه و ذلك اليد البيضاء، و الآخر في غير نفسه و هي العصا[4] التي
يمسكها بيده[4]، و جمع[5] بذينك تبديل[6] الذوات من الخشبية[7] إلى الحيوانية،
و تبديل[6] الأعراض من السمرة إلى البياض الساطع، فكانا دالين على
جواز الأمرين - انتهى. ١٠

و لما أتى بالبيان و أقام واضح البرهان، اقتضى الحال السؤال عما أبرزوه
من المقال في جوابه فقال: ﴿قال الملا﴾ أي الأكابر ﴿من قوم فرعون﴾
ما تلقفوه من فرعون واحدا بعد واحد، يلقيه أكبرهم إلى أصغرهم
﴿ان هذا لسحر﴾ أي فهذا الذي رأيتموه أيها الناس من تخييله ما لا
حقيقة له، فلا تبادروا إلى متابعته. ١٥

و لما كان ذلك[8] خارجا عما ألفوه من السحرة قالوا: ﴿عليم لا﴾

---

(١) في النهر: للنظار - راجع البحر المحيط ٤/٣٥٨ (٢) زيد من النهر (٣) من ظ و النهر، و في الأصل: اما (٤-٤) ليس ما بين الرقمين في النهر (٥) من ظ و النهر، و في الأصل: جميع (٦) في النهر: تبدل (٧) في النهر: الخشبة (٨) في ظ: هذا.

أي [1]بما هم[1] فيه، بالغ[2] في علمه إلى حد عظيم، فلذلك جاء ما رأيتم منه فوق العادة، فكأن فرعون قال ذلك ابتداء - كما في سورة الشورى - فتلقفوه منه و بادروا إلى قوله، بقوله بعضهم لبعض إعلاما بأنهم على غاية الطواعية له خوفا على رئاستهم تحقيقا لقوله تعالى " فاستخف قومه فاطاعوه[3] " و اختير
٥ هنا إسناده إليهم، لأن السياق للاستدلال على فسق الأكثر، و أما هناك فالسياق لأنه إن أراد سبحانه أنزل[4] آية خضعوا لها كما خضع فرعون عند رؤية ما رأى من موسى عليه السلام حتى رضى لنفسه بأن يخاطب عبيده - على ما يزعم - بما[5] يقتضى أن يكون لهم عليه أمر، فلذا كان إسناد القول إليه أحسن، لأن النصرة في مقارعة الرأس أظهر،
١٠ و خضوع عنقه أضخم و أكبر.

و لما خيلوهم[6] حتى أوقفوهم عما فهموا عنهم[7] من المبادرة إلى المتابعة بادعاء أنه ساحر[8]؛ نفروهم من ذلك و خوفوهم / بأنه يريد أن يحكم فيهم قومه الذين كانوا عبيدا لهم و يزيحوهم من ديارهم التي هي لأشباحهم مثل أشباحهم لأرواحهم بقولهم[9]: ﴿ يريد ان يخرجكم ﴾ أي أيها القبط
١٥ ﴿ من ارضكم ج ﴾ أي هذه التي أثلها لكم آباؤكم و بها قوامكم؛ و لما كان السياق لبيان فسقهم، أسقط قولهم في الموضع الآخر " بسحره " إفهاما لعجلتهم في إبرام الأمر في ضره [ إشارة إلى تغاليهم في الفسق بعلمهم

/ ٣٣١

(١ - ١) في ظ : بامرهم (٢) في ظ : عليم (٣) سورة ٤٣ آية ٥٤ (٤) في ظ : انزال (٥) في ظ : بان (٦) في ظ : خيلهم (٧) في ظ : عنه (٨) زيدت الواو بعده في ظ (٩) من ظ، و في الأصل : بقوله.

أنه محق و ليس بساحر - [1] ] .

و لما كان المقصود بهذا الكلام استعطاف المخاطبين ، استعطفوهم بعد أن أرقفوهم ، ثم خوفوهم بما سبيوا عن الخطاب السابق من قولهم: ﴿ فما ذا تامرون ﴾ أى تقولون فى هذه المشورة أيها السادة ليمتثل .

و لما كان كأنه قيل : فعلى أىّ شيء استقر رأيهم ؟ فقيل : على ٥ تأخير الأمر إلى حشر[2] السحرة للمعارضة ، أخبر[3] تعالى - دلالة على أن أصل قول الملأ منه - أنهم أقبلوا[4] عليه مخاطبين له ملفتين[5] من أبلغهم عنه تعظيما له مسندين الأمر إليه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى [ الملأ - [1] ] لفرعون [ بعد ما استقر فى أذهانهم ما نصبوه إليه من الإرادة - [1] ] ﴿ ارجه ﴾ أى موسى عليه السلام ﴿ و اخاه ﴾ أى أخرهما[6] تنفيسا لنا من ١٠ هذا الخناق إلى وقت ما حتى[7] ننظر[8] فى أمرهما ﴿ و ارسل فى المدآئن ﴾ أى [ من [1] - ] ملك مصر ﴿ حشرين لا ﴾ يحشرون لك[9] السحرة و يجمعونهم من كل فج عميق[10] ، و الحشر : الجمع بكره[11] ﴿ ياتوك بكل ﴾ [ و لما كانت دلالة السياق على رغب فرعون أقل مما فى الشعراء لما اقتضاه الحال فى كل منهما ، قرأ الجمهور - [1] ] : ﴿ سحر عليم ﴾ أى بالغ العلم فى السحر، ١٥ و فى قراءة [ حمزة و الكسائى - [1] ] " سحار " زيادة مبالغة أيضا [ لما

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : شجر (٣) فى الأصل و ظ : فاخبر (٤) فى ظ : لاقبلوا (٥) فى ظ : ملفتين - كذا (٦) فى ظ : اخرجهما (٧) من ظ ، وفى الأصل: حين (٨) فى ظ : تنظروا - كذا (٩) فى ظ : كل (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ، و فى الأصل : بكثرة .

رأوا من قلق فرعون في الجملة - [1] ] ، و هذا يدل على أن السحرة كانوا في ذلك الزمان عندهم في غاية الكثرة ، و يدل على[2] أن في طبع الناس المعارضة[3] ، فمهما أمكنت بطلت دعوى النبوة ، و إذا تعذرت صحت الدعوى .

و لما كان التقدير : فأخر أمرهما و أرسل كما قالوا ، فجمعوا من ٥ وجدوه منهم ، عطف عليه قوله : ﴿و جآء السحرة فرعون﴾ و لما تشوف السامع إلى خبرهم ، قال مجيبا له استئنافا : ﴿قالوٓا﴾ أي[1] لفرعون عند ما حضروا بين يديه متوثقين لنفع أنفسهم مفهمين[4] له أنهم غالبون ، لا مانع لهم من ذلك إلا عدم إنصافهم ، سائقين للكلام في قراءة الجماعة مساق الاستفهام أدبا معه في طلب الإكرام : ﴿ائن لنا لاجرا﴾ و أكدوا طلبا ١٠ لإخراج الوعد على حال التكذيب[5] ﴿ان كنا نحن﴾ أي خاصة ﴿الغلبين ﴾ و من أخبر أراد الاستفهام و هم[6] نافع[7] و ابن كثير[7] و حفص عن عاصم ﴿قال﴾ أي فرعون ﴿نعم﴾ أي لكم أجر مؤكد الخبر به ، و زاد بيان التأكيد بما زادهم به رغبة في قوله : ﴿و انكم﴾ أي زيادة على ذلك ﴿لمن المقربين ﴾ أي عندي في الحضرة .

١٥ و لما فرغوا من محاورته ، تشوف السامع إلى قولهم لموسى عليه السلام ، فاستأنف قوله جوابا : ﴿قالوا﴾ بادئين باسمه ﴿يموسىٓ﴾ مخيرين له أدبا معه كما هي عادة عقلاء الأخصام قبل وقوع الخصام في سياق مفهم أن قصدهم الإلقاء أولا ، و ذلك قولهم : ﴿امآ ان تلقى﴾ أي أنت أولا

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الغير منه - كذا (٤) في ظ : مفهومون (٥) في ظ : التاكيد (٦) من ظ ، و في الأصل : هو (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ما تريد أن تلقيه للغالبة فى إظهار صحة دعواك ﴿و اما ان نكون نحن﴾ أى خاصة ﴿ الملقين ﴾ أى لنا معنا أولا .

و لما فهم موسى عليه السلام مرادهم مما عبر هذا النظم عن حقيقة معناه من تأكيد ضميرهم[1] المتصل بالمنفصل و تعريف الخبر و إقحام الفصل، و[2] كان واثقا من الله تعالى بما وعده به جاريا مع مراده، لا فرق بين ٥ أن يتقدم أو يتأخر، أجابهم إلى سؤالهم[3]. و هو أوقع[4] فى ازدراء شأنهم، فاستأنف سبحانه الخبر عنه بقوله: ﴿قال القواج﴾ أى أنتم أيها السحرة ما تريدون إلقاءه، و هو أمر تعجيز .

و لما أذن لهم بادروا إلى ذلك كما أفهمه العطف بالفاء فى قوله: ﴿ فلمآ القوا ﴾ أى ما أعدوه للسحر[5] ﴿سحروا اعين الناس﴾ أى / عن ١٠ / ٢٣٢ صحة إدراكها حتى خيلوا إليها ما لا حقيقة له، و هى أن حبالهم و عصيهم - و كانت كثيرة جدا - صارت تتحرك و يلتوى[6] بعضها على بعض، و بعثوا جماعة ينادون: أيها الناس احذروا ﴿و استرهبوهم ﴾ أى و أوجدوا رهبتهم إيجاد راغب فيها طالب لها غاية الطلب .

و لما قيل ذلك، كان ربما ظن أنهم خافوا مما لا يخاف من مثله، ١٥ فقال تعالى مبينا أنهم معذورون[7] فى خوفهم: ﴿ و جآءو بسحر عظيم ﴾ قال صاحب كتاب الزينة: و السحر على وجوه كثيرة، منه الأخذ بالعين،

---

(١) زيد بعده فى ظ : حقيقيا (٢) فى ظ : او (٣) من ظ ، و فى الأصل : سولهم
(٤) من ظ ، و فى الأصل : دافع (٥) من ظ ، و فى الأصل : للسحرة (٦) من ظ ، و فى الأصل : تلتوى (٧) من ظ ، و فى الأصل : معذرون .

و منه ما يفرق به بين المرء و زوجه ، و منه غير ذلك . و أصله مأخوذ من التعلل بالباطل و قلب الأمر عن وجهه كما ذكرنا من لغة العرب .

و لما تناهى الأمر و اشتد التشوف [1]إلى ما صنع موسى عليه السلام ، قال معلما عنه عطفا على " و جاءو ": ﴿ و اوحينآ ﴾ أى مظهرين لعظمتنا على رؤس الأشهاد بما لا يقدر أحد أن يضاهيه ﴿الى موسىٰٓ ان الق عصاك ج﴾ أى فالقاها ﴿ فاذا هى ﴾ من حين إلقائه لها ﴿ تلقف ﴾ أى تلتقم التقاما حقيقيا شديدا سريعا جدا بما دل عليه حذف التاء ، و دل على كثرة ما صنعوا بقوله[2]: ﴿ ما يافكون ج ﴾ أى يجددون حين إلقائهم فى تزويره و قلبه عن وجهه ، فابتلعت ما كان ملء الوادى من العصى و الحبال ، ثم أخذها موسى عليه السلام فاذا هى كما كانت لم يزد شيء من مقدارها على ما كانت[3] عليه ، و فى هذا السياق المعلم بتثبت[4] موسى عليه السلام بعد عظيم ما رأى من سحرهم[5] إلى الإيحاء إليه بيان لأدبه عليه السلام فى ذلك المقام الضنك و سكونه[6] تحت المقاربة[7] مع مرسله سبحانه إلى بروز أوامره الشريفة .

و لما علم أن ما صنعوه إنما هو خيال ، و ما صنعه موسى عليه السلام أثبت من الجبال ، سبب معقبا قوله : ﴿ فوقع الحق ﴾ أى الذى لا شيء أثبت منه ، فالواقع يطابقه لأن باطن الأمر مطابق لما ظهر منه من ابتلاعها[8]

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : اليها (٢) من ظ ، و فى الأصل : به (٣) من ظ ، و فى الأصل : كانـ (٤) فى ظ : بتثبيت (٥) من ظ ، و فى الأصل : سحرتهم . (٦) فى ظ : سكون (٧) فى ظ : المقادير (٨) من ظ ، وفى الأصل: اتباعها ـ كذا .

لأمتعتهم فالإخبار عنه صدق، و فيه تنبيه على أن فعلهم إنما هو خيال بالنسبة إلى ظاهر الأمر، و أما في الباطن و الواقع فلا حقيقة له، فالإخبار عن تحرك ما ألقوه كذب.

و لما أخبر عن ثبات الحق، أتبعه زوال الباطل فقال: ﴿ و بطل ﴾ بحيث عدم أصلا و رأسا ﴿ ما كانوا يعملون ج ﴾ فدل بكان و المضارع على ٥ أنهم - مع بطلان ما عملوا - نسوا علمهم[1] بحيث أنه أسند عليهم باب العمل بعد أن كان لهم به ملكة كملكة ما هو كالجبلة - و الله أعلم؛ ثم سبب عن هذا قوله: ﴿ فغلبوا هنالك ﴾ أى عند هذا الأمر العظيم العالى الرتبة ﴿ و انقلبوا ﴾ أى جزاء على قلبهم لتلك الحقائق عن وجوهها[2] حال كونهم ﴿ صغرين ج ﴾ أى بعد أن كانوا - عند أنفسهم و من يقول بقولهم و هم ١٠ الأغلب - عالين، و لا ذل و لا صغار أعظم فى حق المبطل من ظهور بطلان قوله على وجه لا يكون فيه حيلة.

و لما كان الأدب و ذل النفس لا يأتى إلا بخير، لأنه اللائق بالعبيد، قاد كثيرا منهم إلى السعادة الأبدية. فلذلك قال: ﴿ و ألقى السحرة ﴾ أى ألقاهم ملق الخوف من الله و الشوق إلى الخضوع بين يديه و الذل لديه ١٥ حين[3] عرفوا أن ما فعله موسى عليه السلام أمر سماوى، صدق الله تعالى به موسى عليه السلام فى أنه رسوله، و لم يتأخروا بعد ذلك أصلا حتى كأنهم خروا من غير اختيار ﴿ سجدين ج ﴾ شكرا لله تعالى و انسلاخا عن الكفر و دليلا على أقصى غايات الخضوع، فعل الله ذلك بهم[4] حتى

(١) من ظ، و فى الأصل: عملهم (٢) من ظ، و فى الأصل: وجهها (٣) من ظ، و فى الأصل: حتى (٤) سقط من ظ.

تبهر[1] به فرعون و ملاؤه و تحير[1] عقولهم .

و لما كانوا بمعرض التشوف العظيم إلى معرفة قولهم بعد فعلهم ، أخبر عن ذلك سبحانه بقوله : ﴿قالوا﴾ أى / حال إلقائهم للسجود ﴿ءامنا﴾ أى كلنا ﴿برب العلمين﴾ أى الذى خلق فرعون و من قبله و ما يعيشون به ؛ ثم خصوا من هداهم الله على أيديهما تصريحا بالمراد [2] و تشريفا لهما[3] فقالوا : ﴿رب موسى﴾ ثم أزالوا الشبهة بحذافيرها - لأن فرعون ربما ادعى بتربية موسى عليه السلام أنه المراد - بقولهم : ﴿و هرون﴾ و فى الآية دليل على أن ظهور الآية موجب للايمان عند من ظهرت له ، و لو أن الرسول غير[4] مرسل إليه .

و لما صرحوا بالذى آمنوا به تصريحا منع فرعون أن يدلس معه بما يخيل به على قومه ، شرع فى تهديدهم على وجه يمكر فيه بقومه و يلبس عليهم إيقافا لهم عن المبادرة إلى الإيمان - كما بادر السحرة - إلى وقت ما ، فاستأنف الخبر عنه سبحانه بقوله [مصرحا باسمه غير مضمر له كما فى غير هذه السورة لأن مقصود السورة الإنذار ، و هو أحسن الناس بالمناداة عليه فى ذلك المقام . و قصته مسوقة لبيان فسق الأكثر ، و هو أفسق أهل ذلك العصر - [5]] : ﴿قال[6] فرعون﴾ منكرا عليهم [موبخا لهم - [5]] بقوله : ﴿ءامنتم﴾ أى صدقتم ﴿به﴾ أى بموسى تصديقا آمنه من رجوعكم

(١) فى ظ : يبهر (٢) فى ظ : يحير (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : عن (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

عنه . و من أخبر أراد الاستفهام ، و أوهم فرعون من فهم عنهم من القبط إرادة الإيمان لأجل ما رأوا من دلائل صدق موسى عليه السلام و اقتداء بالسحرة [بقوله : ﴿ قبل ان اذن لكم ج ﴾ ليوقفهم عن خطر المخالفة له بما رجاهم فيه من إذنه ، فلما ظن أنهم وقفوا خيلهم بما يذهب عنهم ذلك الخاطر أصلا و رأسا بقوله مؤكدا نفيا لما على قوله من ٥ لوائح الكذب -[1] ] : ﴿ ان هذا لمكر ﴾ أى عظيم جدا . و طول الكلام تبيينا لما [2]أرادوا و تنسية[3] لخاطر الإيمان فقال : ﴿ مكرتموه فى المدينة ﴾ أى على ميعاد بينكم و بين موسى ، و حيلة احتلتموها قبل اجتماعكم ، و ليس إيمانكم[3] لأن صدقه ظهر لكم ؛ ثم علل بما يتعلق[4] به فكرهم و تشوش[5] قلوبهم فقال : ﴿ لتخرجوا ﴾ أى أنتم و موسى عليه السلام ﴿ منها آ اهلها ج ﴾ ١٠ و تسكنوها[6] أنتم و بنو إسرائيل .

و لما استتب له ما أراد من دقيق المكر ، شرع فى تهديدهم بما يمنع غيرهم و ربما ردهم ، فقال مسببا عن ذلك : ﴿ فسوف تعلمون ه ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ما أفعل بكم[7] من عذاب لا يحتمل . ثم [8]فسر ما أجمل من هذا الوعيد[8] بقوله : ﴿ لاقطعن ايديكم ﴾ أى اليمنى مثلا ﴿ و ارجلكم ﴾ ١٥ أى اليسرى ، و لذلك فسره[9] بقوله : ﴿ من خلاف ﴾ أى يخالف[10] الطرفُ

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ : اراد و تغشية - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يعلق (٥) فى ظ : يشوش (٦) فى ظ : تسكنونها (٧) فى ظ : به (٨ - ٨) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن « اليسرى ولذلك » و الترتيب من ظ (٩) تقدم فى الأصل على « فسر ما » و الترتيب من ظ (١٠) فى ظ : بخلاف .

- الذى تقطع[1] منه اليد - الطرفَ الذى تقطع[1] منه[2] الرجل .

و لما كان مقصود هذه السورة الإنذار ، فذكر فيها ما وقع لموسى عليه السلام و السحرة على وجه يهول ذكر ما كان من أمر فرعون على وجه[3] يقرب من ذلك ، فعبر بحرف التراخى لأن فيه - مع الإطناب
٥ الذى يكون شاغلا لأصحابه عما أدهشهم مما رأوه - تعظيما لأمر الصلب ، فيكون أرهب للسحرة و لمن تزلزل بهم من قومه فقال : ﴿ ثُمّ[4] لاصلبنكم ﴾ أى أعلقنكم ممدودة أيديكم لتصيروا على هيئة الصليب ، أو حتى يتقاطر[5] صليبكم و هو الدهن الذى فيكم ﴿ اجمعين ﴾ أى لا أترك منكم أحدا لأجعلكم نكالا لغيركم .

١٠ و لما كان حالا يشوق[6] النفوس إلى جوابهم ، استأنفه بقوله : ﴿ قالوآ ﴾ أى أجمعون ، لم يرتع منهم إنسان و لا تزلزل عما منحه الله[3] به من رتبة[3] الإيمان ﴿ انآ الى ربنا ﴾ أى الذى ما زال يحسن إلينا بنعمه الظاهرة و الباطنة حتى جعل آخر ذلك أعظم النعم ، لا إلى غيره ﴿ منقلبون ﴾ أى بالموت انقلابا ثابتا لا انفكاك لنا عنه إن صلبتنا أو تركتنا ، لا طمع لنا
١٥ فى البقاء فى الدنيا ، فنحن لا نبالى - بعد علمنا بأنا على حالة السعداء - بالموت على أىّ حالة كان ، أو المراد أنا ننقلب إذا قتلتنا[7] إلى من يحسن إلينا بما منه الانتقام منك ، و لذلك اتبعوه بقولهم : ﴿ و ما تنقم ﴾ أى تنكر ﴿ منآ ﴾ أى فى فعلك ذلك بنا و تعيب علينا[8] ﴿ الآ ان اٰمنا ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : يقطع (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل « و » (٥) من ظ ، و فى الأصل : يتقاطع (٦) من ظ ، و فى الأصل : تشوف (٧) فى ظ : قتلنا (٨) فى ظ : عنا .

أي إلا ما هو أصل المفاخر كلها و هو الإيمان ﴿ بٰايٰت ربنا ﴾ أي التي عظمت بكونها صادرة[1] عنه و لم يزل محسنا إلينا فوجب علينا شكره ﴿ لما ﴾ [ أي حين - [2] ] ﴿ جاءتنا[4] ﴾ لم تتأخر عن معرفة الصدق [ المصدّق - [2] ] ، و هذا يوجب الإكرام لا الانتقام ؛/ ثم آذنوه بأنهم / ٣٣٤ مقدمون على كل ما عساه أن يفعل بهم فقالوا : ﴿ ربنآ ﴾ أي أيها المحسن ٥ إلينا القادر على خلاصنا ﴿ افرغ ﴾ أي صب صبا غامرا ﴿ علينا ﴾ أي فيما تهددنا به هذا الذي قويته علينا ﴿ صبرا[3] ﴾ أي كثيرا تغمرنا به كما يغمر الماء من يفرغ عليه حتى لا يروعنا ما يخوفنا به[5] ﴿ و توفنا ﴾ أي اقبض أرواحنا وافيه حال كوننا ﴿ مسلمين ﴾ أي عريقين في الانقياد بالظاهر و الباطن بدلائل الحق ، و الظاهر أن الله تعالى أجابهم فيما سألوه ١٠ تلويحا بذكر الرب فلم يقدره[5] عليهم لقوله تعالى " انتما و من اتبعكما الغلبون[6] " ، و لم يأت في خبر يعتمد أنه قتلهم ، و سيأتي في آخر الحديد[7] عن تاريخ ابن عبد الحكم ما هو صريح في خلاصهم .

و لما قنع فرعون في ذلك الوقت الذي بهرت[8] قومه تلك المعجزة الظاهرة بالانفصال على هذا الوجه الذي لم يدع فيه حيلة إلا[9] خيل بها ، ١٥ و خلص موسى عليه السلام بقومه متمكنا منهم بعض التمكن ، و كان السياق

---

(١) في الأصل : صادرها ، و في ظ : صارت (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : صبرنا .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و في الأصل : فلم يقدر (٦) سورة ٢٨ آية ٣٥ .
(٧) في ظ : الحديث (٨) من ظ ، و في الأصل : يهرب (٩) في ظ : الى .

لبيان أن أكثر الخلق فاسق، أخبر تعالى بما قال قوم فرعون بعد [ ما -[1]]
رأوا من المعجز القاهر[2] دليلا على ذلك، فقال عاطفا على "و ألقى السحرة
سجدين[3]" و ما بعده، أو على قول فرعون: ﴿و قال الملا﴾ أى الأشراف
﴿من قوم فرعون﴾ أى[4] ظانين أن فرعون متمكن مما يريد بموسى
٥ عليه السلام [ من - [4]] الأذى، منكرين لما وصل إليه الحال من أمر موسى
عليه السلام حين فعل ما فعل و آمن به السحرة، و ما عمل فرعون شيئا،
لا قتله و لا حبسه . لأنه كان لا يقدر على ذلك و لا يعترف به لقومه
﴿اتذر موسى و قومه﴾ .

و لما كان ما كان فى أول مجلس من إيمان السحرة جديرا بأن يجر
١٠ إليه أمثاله، سموه فسادا و جعلوه مقصودا لفرعون إحماء له و استغضابا
فقالوا: ﴿ليفسدوا﴾ أى يوقعوا الفساد و هو تغيير الدين ﴿فى الارض﴾
أى التى هى الأرض كلها، و هى أرضنا هذه، أو الأرض كلها، لكون مثل
هذا الفعل جديرا برد أهل الأرض كلهم عن عقائدهم ﴿و يذرك و الهتك[6]﴾
قيل: كان أمر قومه أن يعبدوا الأصنام تقربا إليه، و قال الإمام:
١٥ الأقرب[5] أنه كان دهريا منكرا لوجود الصانع، و كان يقول: مدبر
هذا العالم السفلى هو الكواكب، و أنه المخدوم فى العالم للخلق أو لتلك
الطائفة و المربى لهم؛ ثم قال: و إذا كان مذهبه ذلك لم يبعد أن يقال:
إنه كان قد اتخذ أصناما على صور الكواكب و يعبدها على ما هو دين عبدة
الكواكب [انتهى -[1]] . و لذلك قال: "انا ربكم الاعلى"، - هكذا قيل،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: الباهر (٣) فى ظ: الساجدين (٤) سقط من ظ.
(٥) فى ظ: الاقر (٦) فى ظ: صبرنا.

و هو ظاهر عبارة التوراة الآتية فى آية القمل، و لكن إرادته غير ملائمة لهذه المعادلة، بل الظاهر أنه كان سمى أمراءه آلهة[1]، و سمى لكل أمير قوما يتألهونه أى يطيعونه، فانه نقل عنهم أنهم كانوا يسمون الحاكم بل و الكبير إلها كما سيأتى عن عبارة التوراة، فحيث وقعت الموازنة بين[2] موسى عليه السلام و قومه [3] و بين فرعون و قومه[3]، عبر بالآلهة تعظيما لجانبه ٥ بالإشارة إلى أنه إله أى حاكم معبود، ليس وراءه منتهى و ملأوه كلهم آلهة أى حكام دونه[4]، و موسى عليه السلام ليس بإله و لا فى قومه إله بل هم محكوم عليهم فهم ضعفاء فكيف يتركون! و حيث نفى الإلهية عن غيره فبالنظر إلى خطابه للملأ " ما علمت لكم من اله غيري[5] " و حيث حشر الرعية ناداهم بقوله " انا ربكم الاعلى[6] " و كأن ذلك كان[7] يطلق على الحاكم ١٠ / مجازا. فجعلوه حقيقة و صاروا يفعلون ما يختص به الآلهة [ - [8]من التحليل و التحريم كما قال تعالى " اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله[9] " ] فكفروا بادعاء[10] الربوبية بمعنى العبودية[11]، و نفى المعبود الحق بدليل آية " ما علمت "، و الحاصل أنهم عيروه بالرضى بأن يكون رئيسا على القبط و موسى عليه السلام [ رئيسا - [8] ] على بنى إسرائيل فيكونوا[12] بهذه المتاركة ١٥ / ٣٣٥

(١) من ظ، و فى الأصل: الهتى (٢) زيد بعده فى ظ: يدى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل: و ملاوه كلهم آلهة، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) سورة ٢٨ آية ٣٨ (٦) سورة ٧٩ آية ٢٤ (٧) سقط من ظ. (٨) زيد من ظ (٩) سورة ٩ آية ٣١ (١٠) من ظ، و فى الأصل: بالدعاء. (١١) فى ظ: العبودية (١٢) فى ظ: فيكون.

أكفاء للقبط .

و لما أعجزه الله سبحانه أن يفعل بهم أكثر مما كان يعمل قبل مجيء موسى عليه السلام لما يراد به من الاستدراج إلى الهلاك ، أخبر عنه سبحانه بما يفهم ذلك فقال مستأنفا[1] : ﴿ قال ﴾ أى فرعون ﴿ سنقتل ﴾ ٥ أى تقتيلا كثيرا ﴿ ابنآءهم ﴾ أى كما كنا نفعل ﴿ و نستحي نسآءهم ج ﴾ أى نبقيهم أحياء إذلالا لهم و أمنا من غائلتهم فى المستقبل ﴿ و انا فوقهم ﴾ أى الآن ﴿ قٰهرون ه ﴾ و لا أثر لغلبة موسى لنا فى هذه المناظرة لئلا تتوهم[2] العامة أنه المولود الذى تحدث[3] المنجمون و الكهنة بذهاب ملكهم على يده فيثبطهم ذلك عن الطاعـــة ، موهما[4] بهذا أن تركه لأذى موسى ١٠ عليه السلام لعدم التفاته إليه ، لا يعجزه شيء[5] عنه .

و لما كان هذا أمرا يزيد من قلق بنى إسرائيل لما شموا من رائحة الفرج ، استأنف سبحانه الخبر عما ثبتهم به موسى عليـه السلام قائلا : ﴿ قال موسى لقومه ﴾ أى بنى إسرائيل الذين فيهم قوة و قيام [ فيما -[6] ] يريدون من الأمور لو اجتمعت قلوبهم ﴿ استعينوا ﴾ أى ألصقوا طلب ١٥ العون ﴿ بالله ﴾ الذى لا أعظم منه بما يرضيه من العبادة ﴿ و اصبروا ج ﴾ ثم علل ذلك بأنه فعال لما يريد ، لا اعتراض عليه و لا مفر من حكمه فقال :

---

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ ولا فى القرآن الكريم فحذفناها (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتوهم (٣) فى ظ : لا تحدث (٤) من ظ ، و فى الأصل : توهما (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ .

﴿ ان الارض ﴾ أى كلها مصر و غيرها ﴿ لله قف ﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه، كرره تذكيرا بالعظمة و تصريحا و تبركا ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ يورثها من يشآء من عباده ط ﴾ .

و لما أخبر أن نسبة الكل إليه واحدة، أخبر بما يرفع بعضهم على بعض فقال: ﴿ و العاقبة ﴾ أى و الحال أن آخر الأمر و إن حصل بلاء ٥ ﴿ للمتقين ه ﴾ أى الذين يقون أنفسهم سخط الله بعمل ما يرضيه فلا عبرة بما ترون فى العاجل فانه قد يكون استدراجا .

و لما تشوف السامع إلى ما كان من جوابهم، أشار تعالى إلى أن[1] قلقهم كان وصل إلى حد لا صبر معه بقوله مستأنفا : ﴿ قالوآ ﴾ و لما كان الموجع هو الأذى، لا كونه من معين، بنوا للفعول قولهم: ﴿ اوذينا ﴾ ١٠ أى بالقتل و الاستعباد .

و لما كان أذاهم[2] غير مستغرق [3]للزمان، أثبتوا[3] الجار فقالوا: ﴿ من قبل ان تاتينا ﴾ أى كما تعلم ﴿ و من بعد ما جئتنا ط ﴾ أى فما الذى أفادنا مجيئك ﴿ قال ﴾ مسليا لهم و داعيا و مرجيا[4] بما رمز إليه من قبل ﴿ عسى ربكم ﴾ أى الذى أحسن إلى آبائكم بما تعرفون و إليكم بارسالى ١٥ إليكم ﴿ ان يهلك عدوكم ﴾ فلا يهولنكم ما ترون ﴿ و يستخلفكم ﴾ أى و يوجد خلافتكم لهم متمكنين، لا يحكم عليكم غيركم ﴿ فى الارض ﴾ أى جنسها إن كنتم متقين؛ ثم سبب عن الاستخلاف قوله مذكرا لهم محذرا من

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاذى (٣-٣) فى ظ : ادخل .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : مصرحا .

سطواته سبحانه: ﴿فينظر﴾ أى و أنتم خلفاء متمكنون[1] ﴿كيف تعملون ع﴾ أى يعاملكم معاملة المختبر و هو فى الأزل أعلم بما تعملون منكم بعد إيقاعكم للأعمال، و لكنه يفعل ذلك لتقوم[2] الحجة [ عليكم - [3] ] على[4] مجارى عاداتكم .

٥ و لما رجاهم موسى[5] عليه السلام بذلك، أخبر سبحانه أنه فعل ما أخبرهم به، فذكر مقدماته فقال: ﴿و لقد[6]﴾ أى قال لهم ما قال و الحال أنا و عزتنا قد ﴿اخذنآ﴾ أى قهرنا ﴿ال فرعون﴾ و لينا عريكتهم و سهلنا شكيمتهم ﴿بالسنين﴾ أى بالقحط و الجوع، فان السنة يطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام؛ و لما كانت السنة تطلق على نقص الحبوب، صرح

١٠ بالثمار فقال: ﴿و نقص من الثمرت﴾ أى بالعاهات إن كان الماء كثيرا، أو السنة للبادية و النقص للحاضرة ﴿لعلهم / يذكرون ه﴾ أى ليكون[7] /٢٣٦ حالهم حال من يرجو ناظره أن[8] يتذكر فى نفسه و لو بأدنى وجوه التذكر - بما[9] أشار إليه الإدغام، فان الضر يزيل الشماخة التى هى مظنة الوقوف مع الحظوظ و يوجب[10] للانسان الرقة فيقول: هذا إنما حصل لى بسبب تكذيبى

١٥ لهذا الرسول و عبادتى من لا يكشف السوء عن نفسه و لا غيره .

و لما لم يتذكروا و لا لانوا، سبب عن أخذهم قوله معرفا بغباوتهم

---

(١) فى ظ : متمكنين (٢) من ظ ، و فى الأصل: ليقوم (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ والقرآن الكريم ، و فى الأصل : قد (٧) فى ظ : لتكون (٨) فى ظ : او (٩) فى ظ : كما (١٠) من ظ ، و فى الأصل : توجب .

معبرا فى الخير بأداة[1] التحقيق إشارة إلى أنه أغلب من الشر[2]، حثا على الشكر : ﴿ فاذا ﴾ أى فما تسبب عن ذلك إلا أنهم كانوا إذا ﴿ جآءتهم الحسنة ﴾ أى الحالة الكاملة التى يحبونها من الخصب و غيره، و عرفها بعد تحقيقها إشارة إلى إكمالها ﴿ قالوا لنا هذه ج ﴾ أى نحن حقيقون بها، و دل على أن الخير أكثر من غيره بقوله بأداة الشك مع التنكير : ﴿ و ان تصبهم سيئة! ﴾ ٥ أى حالة يكرهونها.

[ و لما كانت الإصابة بالسيئات تخصهم و لا يلحق بنى إسرائيل منها شيء، فكان إظهارهم للتطير بهم ظاهرا فى ردهم عليهم و تكذيبهم فيه، أشار سبحانه بادغام التاء إلى أنهم كانوا إنما يدسونه إلى من يمكنهم اختداعه من الجهلة و الأغبياء على وجه الحيلة و الخفاء، بخلاف ما فى ١٠ يس فقال - [3] ] : ﴿ يطيروا ﴾ أى يتشاءموا ﴿ بموسى و من معه ط ﴾ أى بأن يقولوا : ما حصل لنا هذا السوء إلا بشؤمهم، و هو تفعل من الطير، و هو تعمد قصد الطير لأن يطير للتفاؤل به من خير أو شر، و أصله أن العرب كانوا إذا مر الطائر من ميامنهم إلى جهة مياسرهم قالوا : بارح، أى مشؤم، من البرح و هو الشدة، فاذا طار من جهة اليسار ١٥ إلى جهة اليمين عدوه مباركا، قالوا : من لى بالسانح[4] بعد البارح، أى بالمبارك بعد المشؤم، و عرف أن المراد هنا التشاؤم لاقترانه بالسيئة.

و لما كذبوا فى الموضعين، قال مستأنفا على وجه التأكيد :

---

(١) من ظ، و فى الأصل : بارادة (٢) فى ظ : السوء (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من روح المعانى ٣/ ١٠٢، و فى الأصل : بالسايح، و فى ظ : بالمشائح - كذا.

﴿الآ انما طٰئرهم﴾ أى قدرهم الذى سبق فى الأزل من الخير و الشر فلا يزداد[1] و لا ينقص ﴿عند الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لغيره و قد قدر كل شيء، فلا يقدر على المجيء به غيره أصلا ﴿و لكن اكثرهم لا يعلمون ه﴾ أى لا علم لهم أصلا فهم لا يهتدون إلى ما ينفعهم و يظنون أن للعباد مدخلا ٥ فى ذلك، فلذلك تراهم يضيفون الأشياء إلى أسباب يتوهمونها.

و لما كان هذا الذى قالوه يدل على سوء المزاج و جلافة الطباع بما[2] لا يقبل العلاج، أتبعه ما هو شر منه، و هو أنهم جزموا بأنه كلما أتاهم شيء فى المستقبل قابلوه بالكفر فقال: ﴿و قالوا مهما﴾ هى مركبة من 'ما' مرتين: الأولى الشرطية و الثانية تأكيد. قلبت ألف الأولى ١٠ هاء[3] استثقالا، و قيل: [مه -[4]] هى الصوت الذى يكون للكف و ما الشرطية، أى كف عنك ما أنت فيه، ثم استأنفوا 'ما': ﴿تاتنا به﴾ أى فى أيّ وقت و على أيّ حالة كان؛ ثم بينوا[5] المأتى به بقولهم: ﴿من اٰية﴾ أى علامة على صدقك، و هذا على زعمه، و لذلك عللوه بقولهم: ﴿لتسحرنا﴾ أى لتخيل[6] على[7] عقولنا ﴿بها ﻻ﴾ و تلفتنا عما نحن عليه ١٥ إلى ما تريد فنحن نسميها سحرا و أنت تسميها آية؛ ثم أجابوا الشرط بقولهم: ﴿فما نحن﴾ أى كلنا ﴿لك﴾ أى خاصة ﴿بمؤمنين ه﴾ أى من أن نكذبك.

و لما بارزوا بهذه العظيمة، استحقوا النكال فسبب عن ذلك قوله:

---

(١) من ظ، و فى الأصل: فلا يزاد (٢) فى ظ: كما (٣) فى ظ: ما (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: يفسر - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: يخيل - كذا (٧) سقط من ظ.

﴿ فارسلنا عليهم ﴾ أى عذابا لهم - لما يفهمه حرف الاستعلاء ﴿ الطوفان ﴾ أى الرعد و البرق و النار مع المطر و البرد الكُبار الذى يقتل البقر فما دونها، و الظلمة و الريح الشديدة التى عمت أرضهم و طافت[1] بها؛ و لما كان ذلك ربما أخصبت به الأرض، أخبر أنه أرسل[2] ما يفسد ذلك فقال: ﴿ و الجراد ﴾ . ٥

و لما كان الجراد ربما طار و قد أبقى شيئا، أخبر بما يستمر لازقا فى الأرض حتى لا يدع بها شيئا فقال: ﴿ و القمل ﴾ قال فى القاموس: القمل كالسكر[3]: صغار الذر و الدبى الذى لا أجنحة له - و هو أصغر الجراد أو شيء صغير[4] بجناح أحمر، و شيء يشبه الحلم خبيث الرائحة أو دواب صغار كالقردان[5] - / يعنى القراد . و قال البخارى فى بنى إسرائيل من ١٠ / ٣٢٧ صحيحه: القمل: الحمنان[6] يشبه صغار الحلم .

و لما كان ربما كان عندهم[7] شيء مخزونا لم يصل إليه ذلك، أخبر بما يسقط نفسه فى الأكل فيفسده أو ينقصه فقال: ﴿ و الضفادع ﴾ فانها عمت جميع أماكنهم، و كانت تتساقط فى أطعمتهم، و ربما وثبت إلى أفواههم حين يفتحونها للأكل . ١٥

و لما تم ما يضر بالمأكل، أتبعه ما أفسد المشرب فقال: ﴿ و الدم ﴾ فان مياههم انقلبت كلها دما منتنا، و عم الدم الشجر و الحجارة و جميع

---

(١) فى ظ: طارت (٢) سقط من ظ (٣) فى القاموس: كسكر (٤) من القاموس، و فى الأصل وظ: صغار (٥) أقحمت صفحة الأصل فى «كالقردان» بعد «كالقرد» (٦) من ظ و صحيح البخارى، و فى الأصل: الحنان - كذا . (٧) فى ظ: عنده .

الأرض فى حق القبط ، و أما بنو إسرائيل فسالمون من[1] جميع ذلك .

و لما ذكر تعالى هذه الآيات العظيمة ، نبه على عظمتها بذكر حالها فقال : ﴿ ءايٰت ﴾ أى علامات على صدقه عظيمات ﴿ مفصّلٰت قف ﴾ أى[2] يتبع بعضها بعضا ، و بين كل واحدة و أختها[3] حين يختبرون فيه مع[2] ان مغايرة كل واحدة لأختها[4] فى غاية الظهور ، و كذا العلم بأنها من آيات الله[5] التى لا يقدر عليها غيره .

و لما كانت حقيقة بأن يتسبب عنها الإيمان عند سلامة القلب ، سبب عنها قوله : ﴿ فاستكبروا ﴾ مبينا أن الذى منعهم من الإيمان مرض القلب بالكبر و الطغيان ﴿ و كانوا قوما مجرمين ﴾ أى فى جبلتهم قطع ما ينبغى وصله مع قوتهم على ما يحاولونه .

و لما كان هذا فى الحقيقة نقضا لما أخذه الله على العباد بعهد العقل ، أتبعه نقضا حقيقيا[6] ، فقال مبينا لحالهم عند كل آية ، و لعله عبر بما يشملها و لم ينص على التكرار لأن ذلك كاف فيما ذكر من النقض و الفسق : ﴿ و لما وقع عليهم الرجز ﴾ يعنى العذاب المفصل الموجب للاضطراب ﴿ قالوا يٰموسى ادع لنا ربك ﴾ أى المحسن إليك ، و لم يسمحوا كبرا و شماخة أن يعرفوا به ليقولوا : ربنا ﴿ بما عهد عندك ع ﴾ أى من النبوة التى منها هذا البر الذى تراه[7] يصنعه بك ؛ ثم أكدوا العهد بقولهم استئنافا

(١) من ظ ، و فى الأصل : فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اخيها (٤) من ظ ، و فى الأصل : لاخيها (٥) زيد بعده فى ظ : يختبرون فيه على ان مغايرة الله (٦) من ظ ، و فى الأصل : حقيقا (٧) فى ظ : تراه .



أو

أو تعليلا : ﴿ لئن كشفت عنا الرجز ﴾ أي العذاب الذى اضطربت قلوبنا و جميع أحوالنا له ﴿ لنؤمنن لك ﴾ أي لنجعلنك آمنا من التكذيب بايقاع التصديق، و يكون ذلك خالصا لأجلك و خاصا بك ﴿ و لنرسلن معك ﴾ أي فى صحبتك، لا نحبس أحدا منكم عن الآخر ﴿ بنى اسرآءيل ج ﴾ أي كما سألت، و دل على قرب الإجابة بالفاء فى قوله : ﴿ فلما كشفنا ﴾ أي ٥ بعظمتنا ﴿ عنهم الرجز ﴾ كرره تصريحا و تهويلا، و مددنا الكشف ﴿ الى اجل ﴾ أي حد من الزمان ﴿ هم بالغوه ﴾ أي فى علمنا ﴿ اذا هم ﴾ [ أي -[1] ] بضمائرهم التى تجرى ظواهرهم على حسبها ﴿ ينكثون ه ﴾ .

و لما أخبر أنهم فاجأوا النكث وكرروه، سبب عنه قوله : ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ أي انتقاما ليس كذلك الذى كنا نؤذيهم[2] به، بل انتقام إهلاك عبرة ١٠ لوصولهم بعد كشف جميع الشبه إلى محض العناد؛ ثم فسره بقوله : ﴿ فاغرقنهم ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ فى اليم ﴾ أي فى[3] البحر الذى يقصد لمنافعه ﴿ بانهم ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ كذبوا بايتنا ﴾ أي على ما لها[4] من العظمة بما عرف من صحة نسبتها إلينا، و دل سبحانه على أنهم كذبوا بغير شبهة عرضت لهم بل عنادا بقوله : ﴿ وكانوا ﴾ أي جبلة و طبعا ١٥ ﴿ عنها غفلين ه ﴾ أي يكون حالهم بعدها كحالهم قبلها، فكأنها لم تأتهم أصلا فاستحقوا[5] الأخذ لوقوع العلم بأن الآيات لا تفيدهم .

و لما أخبر عن إهلاكهم، عطف عليه ما صنع ببنى إسرائيل فقال :

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : نودبهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل : لهم (٥) من ظ، و فى الأصل : فاستحق .

﴿ و اورثنا ﴾ أى بعد إهلاكهم بما لنا من العظمة ﴿ القوم ﴾ و لما أشار
بهذه العبارة - التى معناها أنه كانت فيهم قوة و كثرة و شدة عزم على
ما يحاولونه و يقومون[1] به - إلى أنه هو الذى أذلهم لا فرعون ، أتبعه[2]
/٣٣٨ ما يدل عليه / فقال : ﴿ الذين كانوا يستضعفون ﴾ أى يطلب ضعفهم
٥ و يوجد بالشوكة و اجتماع الكلمة بحاكم قد تمكنت عظمته فى القلوب
التى الوهم غالب عليها ، و هم بنو إسرائيل ﴿ مشارق الارض ﴾ أى
الكاملة لبركاتها ﴿ و مغاربها ﴾ أى أرض الشام من الفرات إلى بحر سوف :
الموضع الذى خرجوا منه من البحر و غرق فيه فرعون و آله - كما مضى
نقله فى المائدة عن التوراة ، يعنى حكمنا بإيراثهم ذلك و أنجزناه لأبناء
١٠ الذين خرجوا من مصر بعد إهلاكهم فى التيه ؛ ثم وصفها تغبطا[3] بها
بقوله : ﴿ التى [4]بركنا فيها[4] ﴾ أى [4]فى أرضها[4] بالمياه و الأشجار و الثمار
و الخصب ، و فى أرزاقها بالكثرة و الطيب ، و فى رجالها بالعلم و النبوة
و فى طباعهم بالاستقامة ، و فى عزائمهم بالنجدة و الشجاعة و المكارم ،
و فى جميع أحوالهم بأنه لا يبغيهم[5] ظالم إلا عوجل بالنقمة ﴿ و تمت ﴾ أى
١٥ وجدت صحتها لوجود مضمونها فى عالم الشهادة و ظهوره من ستور الغيب[6]
﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذه الأنباء على هذه الوجوه المفيدة
مع إعجازها لغاية العلم و الحكمة ﴿ الحسنى ﴾ مستعلية ﴿ على بنى اسرآءيل ﴾

(١) فى ظ : يومون - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : على (٣) فى ظ : تغليظا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يبقيهم (٦) فى
ظ : الغيوب .

أى[1] التى هى أحسن الكلام و هى وعده سبحانه لهم بالخلاص من العبودية و إيراثهم مساكن آبائهم كما كانوا يسمعون من أسلافهم، و إذا استعلت عليهم منعت أعداءهم من الوصول إليهم ﴿ بما صبروا ط ﴾ أى بسبب صبرهم على الاستبعاد و ذبح الأولاد و ما حصل بعد ذلك من طويل الأنكاد ﴿ و دمرنا ﴾ أى أهلكنا إهلاكا عظيما جعل يدمره كالرماد، ٥ لا خير فيه أصلا ﴿ ما كان يصنع ﴾ أى صنعا بغاية الإقبال عليه حتى كأنهم خلقوا لهم ﴿ فرعون و قومه ﴾ أى من الصنائع الهائلة المعجبة لكل من [2]يراها أو يسمع بها مع[2] أنهم قد مرنوا عليها فصارت أسهل شيء عندهم ﴿ و ما كانوا[3] ﴾ أى بما هو كالجبلة و الطبع ﴿ يعرشون ﴾ أى من الجنان و القصور العالية الأركان، و كفى بهذه[4] الآية حاثة على الصبر ١٠ و ضامنة على كل [5]حائز للأجر[5] بالتفريج عن المظلوم و نصره و إهلاك الظلوم و قهره.

شرح ما يحتاج إلى شرحه هنا من التوراة الموجودة الآن بين أظهر اليهود، قال مترجمها فى الأصحاح الثالث من السفر الثانى ما نصه: و قال الرب لموسى فى مدين: انطلق[6] راجعا إلى مصر لأن الرجال الذين كانوا ١٥ يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا، فانطلق موسى بامرأته و بنيه[7] و حملهم

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ: راها وسمع بها من - كذا (٣) تأخر فى الأصل عن « كالجبلة والطبع » والترتيب من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل: هذه. (٥-٥) فى ظ: حال الاجل (٦) من ظ ، و فى الأصل: انطلقوا (٧) من التوراة، و فى الأصل: ابنته ، و فى ظ : ابنيه.

على حماره و أخذ بيده عصا الرب ، و قال الرب لموسى : انظر كل آية أجريتها على يدك فاصنعها أمام فرعون و أنا أقسى قلبه فلا يرسل الشعب و قل لفرعون : هكذا يقول الرب : [١]ابنى بكرى[١] إسرائيل ، أرسل[٢] ليعبدنى ، فان أبيت أن ترسل ابنى فانى أقتل ابنك بكرك[٣] ، فلما صار موسى فى الطريق
٥ فى المبيت لقيه ملاك الرب فأخذت صفورا[٤] حجرا[٥] من حجارة المروة فحشت غرلة ابنها و أخذت[٦] برجليه ـ و فى نسخة السبعين : و وقعت عند رجليه ـ و قالت : إن اليوم عرس الدم ـ تعنى الختان ، فقال الرب لهارون[٧] : اخرج فتلق أخاك فى القفر ، فخرج فلقيه فى جبل الله فى حوريب[٨] فعانقه و قبله ، فأخبر موسى هارون بجميع قول الرب الذى أرسله فيه و ما أمره به
١٠ من الآيات ، و انطلق موسى و هارون ، فجمع أشياخ بنى إسرائيل ، فقص عليهم جميع ما قال[٩] الرب لموسى[٩] ، و جرح جرائح و آيات قدام الشعب ـ و فى نسخة السبعين : فجمعا مشايخ بنى إسرائيل و تكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الله به موسى و عمل الآيات قدام الشعب ـ فآمن الشعب و سمعوا
/٣٣٩ أن الرب قد ذكر بنى إسرائيل و أبصر إلى خضوعهم ، و جثا[١٠] الشعب
١٥ و سجدوا للرب ، و من بعد هذه الآيات و الخطوب دخل موسى و هارون

---

(١-١) فى ظ : الله بنى ـ كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بكرى (٤) فى ظ : صافورا (٥) من ظ ، و فى الأصل : صخرا (٦) من ظ ، و فى الأصل : اخذ (٧) فى ظ : لمروة (٨) من ظ ، و فى الأصل : حورت ـ كذا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : خما ـ كذا .

و قالا لفرعون: هكذا يقول الله رب إسرائيل: أرسل شعبي يحجون إلى القفر - و فى نسخة السبعين: ليعبدوني[١] فى البرية - عوض: يحجون إلى القفر، فقال[٢] فرعون: و من هو الرب حتى أطيعه؟ لا أعرف الرب و لا أرسل بنى إسرائيل، و قالا له: الرب إله العبرانيين اعتلن[٣] لنا، فننطلق مسيرة[٤] ثلاثة أيام فى القفر و نذبح[٥] الذبائح لله ربنا لكيلا ينزل بنا الحزن و الوباء - ٥ و فى نسخة السبعين: لئلا يفاجئنا موت أو قتل - قال فرعون: ما بالكما تبطلان[٦] الشعب من أعمالهم؟ فأمر فرعون ولاة الشعب و كتبتهم و قال لهم: لا تعودوا أن تعطوا الشعب تبنا[٧] لضرب اللبن كما كنتم تعطونهم، بل هم ينطلقون فيجمعون لأنفسهم التبن[٨]، و خذوهم بحساب اللبن على ما كنتم تأخذونهم به[٩] أمس و أول من أمس - و فى نسخة السبعين: ١٠ فى كل يوم و لا تنقصوهم[١٠] شيئا من عملهم لأنهم بطروا لذلك يصيحون [١١]فيقولون: ننطلق فنذبح[١١] للرب إلهنا - فليشتد[١٢] العمل على الرجال - و فى نسخة السبعين - فليتضاعف عمل هؤلاء القوم - حتى يهتموا به و لا يهتموا بكلام الباطل، فخرج ولاة الشعب و كتبتهم[١٣] بما قال فرعون،

(١) من ظ، و فى الأصل: ليعبدنى (٢) من ظ، و فى الأصل: و قال (٣) من ظ، و فى الأصل: اعلق - كذا (٤) فى ظ: مسافة (٥) من ظ، و فى الأصل: يذبح (٦) فى ظ: يبطلان (٧) من ظ. و فى الأصل: لبنا (٨) من ظ، و فى الأصل: اللبن (٩) زيد بعده فى ظ: قبل (١٠) من ظ، و فى الأصل: لا ينقصوهم. (١١ - ١١) من ظ، و فى الأصل: يقولون ينطلق و يذبح - كذا (١٢) فى ظ: فليشهد (١٣) من ظ، و فى الأصل: كهنتهم.

فتفرق الشعب فى جميع أرض مصر فى جمع[1] التبن، و جعل ولاتهم يلحون عليهم و يقولون: ارفعوا إلينا العمل كما كنتم ترفعون من قبل حيث كنتم تعطون التبن[2]، فزادت كتبة بنى إسرائيل و عوقبوا من الذين ولوهم عليهم و قالوا: لم[3] لم ترفعوا إلينا حساب اللبن كما كنتم ترفعون. فأتى كتبة
٥ بنى إسرائيل فشكوا إلى فرعون و قالوا: ما بال عبيدك يصنع بهم هذا الصنيع؟ فقال فرعون: أنتم قوم بطرون، تقولون: ننطلق لنذبح لربنا، فسار ـ أى الكتبة ـ فى بنى إسرائيل و قالوا لهم: لا تنقصوا من لبنكم شيئا، بل ارفعوا إلينا كما كنتم ترفعون كل يوم، فلقوا موسى و هارون و هما واقفان أمامهم ـ و فى نسخة السبعين: و هما يجيئان[4] نحوهم إذ خرجوا
١٠ من بين يدى فرعون ـ فقالوا لهما[5]: الله يحكم بيننا و بينكما لأنكما حرضتما علينا فرعون و عبيده حتى ضيق علينا بأن يضع السلاح فينا فيقتلنا[6]، فرجع موسى إلى الرب و قال: يا رب! لم أسأت بشعبك و أضررت به؟ لأنى ساعة أن أتيت[7] فرعون فذكرت اسمك أساء بهذا الشعب و شق عليهم و أنت لم تخلص[8] شعبك، فقال الرب لموسى: الآن[9] ترى ما أصنع
١٥ بفرعون لأنه سيرسلهم ـ و فى نسخة السبعين: و[10] سوف ترى ما أصنع

(١) من ظ، و فى الأصل: جميع (٢) من ظ، و فى الأصل: اللبن (٣) من ظ و فى الأصل: لو (٤) من ظ، و فى الأصل: تجيان ـ كذا (٥) من التوراة، و فى الأصل و ظ: لهم (٦) من ظ، و فى الأصل: فيقتلا (٧) من ظ، و فى الأصل: ثبت (٨) من ظ، و فى الأصل: فلم يحصل ـ كذا (٩) من التوراة، وفى الأصل و ظ: الا (١٠) سقط من ظ.

بفرعون و كيف يرسلهم بيد منيعة و بذراع عظيمة يخرجهم من أرض مصر ! أنا الرب الذى اعتلنت[1] لإبراهيم و إسحاق و يعقوب و سميت بالله المواعيد و لم أعلمهم اسم الرب - و فى نسخة السبعين : و اسمى الرب فلم أظهره لهم - و أثبت عهدى أيضا و وعدتهم أن أعطيهم[2] أرض كنعان أرض غربتهم التى سكنوها ؛ و قد سمعت ضجيج بنى إسرائيل من تعبد[3] أهل مصر، ٥ و أنجيكم من أعمالهم[4] و أخلصكم بيد منيعة و ذراع عالية و بأحكام عظيمة ، و أختصكم لى شعبا و أكون لكم إلها ، و تعرفون أنى أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم[5] من تعبد المصريين و أقبل بكم إلى الأرض التى رفعت يدى لأعطيها آباءكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب و أجعلها لكم ميراثا إلى الدهر، أنا الرب ! فقال موسى لبنى إسرائيل هذه الأقاويل فلم يسمعوا من موسى ١٠ و لم يطيعوه من شدة حزنهم و استيقاد[6] نفوسهم من الكد الشديد ، و كلم الرب [ موسى و قال له: انطلق إلى فرعون ملك مصر و قل له فيرسل بني إسرائيل -[7] ] من أرض مصر ، فقال موسى للرب : إن بنى إسرائيل لا يسمعونى و لا يطيعونى ، و أنا أرتّ المنطق ثقيل اللسان فكيف يطيعني فرعون و يسمع منى ! فقال الرب / لموسى : انظر ، إنى ١٥ / ٣٤٠ قد جعلتك[8] إلها لفرعون ، و هارون أخوك يكون نبيا عليك ، أنت تقضى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اغنيت - كذا (٢) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : اعطيتهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : بعبد (٤) فى ظ : اعمالكم (٥) فى ظ : اخرجتكم (٦) فى ظ : استشفاف - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : جعلت لك .

جميع ما آمرك به ، و هارون أخوك يقول لفرعون ـ و فى نسخة السبعين : و هارون أخوك يكون لك نبيا و أنت تتكلم بجميع ما آمرك[1] به و هارون أخوك يكلم فرعون - ليرسل بنى إسرائيل من أرضه و أنا أقسى قلب فرعون فأكثر آياتى و عجائبى بأرض مصر ، فلا يطيعكما فرعون و لا يسمع ٥ منكما فأمديدى على مصر و أخرج جميع جنودى و شعبى بنى إسرائيل من أرض مصر بالأحكام العظام ، فيعرف أهل مصر أنى أنا الرب ، فصنع موسى و هارون كما أمرهما الرب و انتهيا إلى أمره ، وكان قد أتى على موسى ثمانون سنة ، وكان هارون ابن ثلاث و ثمانين سنة إذ كلما فرعون ، فقال الرب لموسى و هارون : إن قال لكما فرعون : أظهرا[2] لى آية ١٠ و جريحة[3]، قل لهارون : [خذ عصاك و ألقها بين يدى فرعون فتكون تنينا عظيما ، فأتى موسى و هارون - [4] ] إلى فرعون فصنعا كما أمرهما الرب ، فألقى عصاه - و فى نسخة السبعين[5] : فألقى هارون عصاه - بين يدى فرعون و أمام أمرائه ـ و فى نسخة السبعين[5]: و عبيده - فصارت تنينا عظيما ، فدعا فرعون بالحكماء و السحرة[6] ، فصنع سحرة مصر أيضا بسحرهم[7] كذلك ، ١٥ فألقى كل امرئ منهم عصاه فصارت تنينا ، فابتلعت عصا هارون عصيهم ، فقسا قلب فرعون و أبى أن يرسلهم كما قال الرب ، و قال الرب لموسى : إن قلب فرعون قد قسا و أبى أن يرسل الشعب ، انطلق إلى فرعون بالغداة ، هو ذا يخرج ليغتسل على شاطئ البحر ، و خذ العصا التى تحولت فى يدك ثعبانا

---

(١) فى ظ : امرتك (٢) من ظ ، و فى الأصل «ا» (٣) من ظ ، و فى الأصل : صريحة (٤) زيد من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : السحرا . (٧) من ظ ، و فى الأصل : بحرهم .

و قل : إن الرب إلـه العبرانيين أرسلني إليك ، يقول لك : أرسل شعبي حتى يعبدني في البرية لأنك[1] حتى الآن لا تسمع و لا تطيع ، هـكذا يقول الرب[2] : بهذا تعلم[3] أني أنا الرب ، هأنذا أضرب ماء النهر بعصاى فيصير دما ، و تموت الحيتان التي في النهر و ينتن - و في نسخة السبعين : و لا يقدر أهل مصر أن يشربوا الماء من هذا النهر ـ و قال الرب لموسى : مر هارون ٥ أن يأخذ عصاه ، و ارفع يدك على ماء المصريين على أنهارهم و على غدراتهم[4] و على آجامهم و على دواليب مياههم ـ و في نسخة السبعين : و قال الرب لموسى : قل لهارون : خذ عصاك و مد يدك على ماء مصر و على أنهارها و آجامها و نقارها و عـلى كل مائها المستنقع - فيتحول دما ، فيصير الدم في جميع أهل مصر في الأرض و الخشب و الحجارة ، فصنع موسى ١٠ و هارون كما أمرهما الرب ، فرفع هارون العصا التي في يده فضرب بها ماء النهر و فرعون و عبيـده ينظرون[5] ، فتحول ماء النهـر فصار دما ، و ماتت الحيتان التي بالنهر[6] ، ففسد ماء النهر و أنتن ، و لم يقدر أهل مصر على شرب الماء من الدم ، فصار الدم في جميع أرض مصر و قسا قلب فرعون فلم يطعهما كالذي قال الرب ، فانصرف فرعون فدخل منزله و لم يفكر ١٥ في شيء من ذلك و تهاون به ، و كملت[7] سبعة أيام من بعد ما ضرب الرب النهر ، و قال الرب لموسى : انطلق إلى فرعون و قل له : هكذا يقول

---

(١) من ظ ، و في الأصل : لانه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : يعلم (٤) من ظ ، و في الأصل : عداراتهم (٥) في ظ : ينظران (٦) في ظ : في النهر (٧) من ظ ، و في الأصل : كانت .

الرب: أرسل شعبي حتى يعبدوني[1]، فان أبيت أن ترسله فاني أضرب جميع
/٣٤١ حدودك بالضفادع فتدب / الضفادع فتصعد فتدخل إلى بيتك و قيطونك[2]
و في مبيتك و على مضجعك و أسرتك و في بيوت عبيدك و شعبك و مخادعك
و بيوت طعامك ، و تدب الضفادع عليك و على جميع شعبك ، و قال
٥ الرب لموسى: قل لهارون أخيك أن مد يدك بعصاك على الأنهار و على
الدواليب و على الآجام فأصعد الضفادع على أرض مصر ، فرفع هارون
يده على مياه المصريين فأصعد الضفادع[3] فغشيت أرض مصر ، فدعا
فرعون موسى[3] و هارون [ و - [4] ] قال لهما : صليا بين يدي الرب فتنصرف[5]
الضفادع عني و عن شعبي حتى أرسل الشعب فيذبحوا بين يدي الرب ،
١٠ فقال موسى لفرعون: سل وقتا أصلي عليك فيه و على عبيدك و شعبك
فتنصرف[5] الضفادع عنك و عن بيتك - و في نسخة السبعين: عنك و عن
قومك و عن بيوتك - فقال له: غدا ، فقال له موسى : سيكون كما[6] سألت
فتعلم أنه لا إله غير إلهنا ، فيصرف[7] الضفادع عنك و عن بيتك - و في نسخة
السبعين : بيوتك و عن عبيدك و عن شعبك ما خلا الضفادع التي في
١٥ النهر - فخرج موسى و هارون من بين يدي فرعون ، فصلى موسى بين يدي
الرب فاستجاب الرب لموسى ، فماتت الضفادع في الدور و البيوت و الرياض

(١) من ظ ، و في الأصل : يعبدني (٢) من ظ ، و في الأصل : مطونك - كذا ، و في اللسان: القيطون: المخدع (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و في الأصل : فينصرف (٦) من ظ ، و في الأصل : لما (٧) في ظ : فينصرف .

فجمعوها أنابير أنابير فأصلّت الأرض و أجنت – و فى نسخة السبعين : فجمعوها صيبا صيبا فأنتنت الأرض – فرأى فرعون الفرج و الراحة و جفا قلبه فلم يطعهما كالذى قال الرب ، فقال الرب لموسى[1] : مر هارون فيرفع[2] عصاه ليضربَ ثرى الأرض فيكون القمل فى جميع[3] أرض مصر ، ففعل ذلك فدب القمل فى الناس و البهائم و صار جميع ثرى الأرض قملا فى ٥ جميع أرض مصر ، فصنع مثل ذلك السحرة بسحرهم فلم يقدروا أن يصرفوا القمل فى الناس و البهائم ، فقالت السحرة لفرعون : إن هذا فعل رب العالمين ، فقسا قلب فرعون و لم يطعهما كما قال الرب ، فقال الرب لموسى : أدلج باكرا و قف بين يدى فرعون ، و هو ذا يخرج يغتسل – و فى نسخة السبعين : فانه يخرج إلى الماء – فقل[4] [ له – [5] ] : هكذا يقول الرب : أرسل شعبى ١٠ فيعبدونى[6] ، فان أنت أبيت فهأنذا مرسل – و فى نسخة السبعين : فانى مرسل عليك و على شعبك و على أهل بيتك هوام و حشرة من كل جنس [7]فتمتلئ – و فى نسخة : ذباب الكلب[7] فتمتلئ – بيوت المضريين من الهوام و الحشرة مثل ثرى الأرض التى هم عليها ، و أميز فى ذلك اليوم أرض جاسان[8] التى يسكنها شعبى ، [7]فلا يكون فيها من الهوام و الحشرة شىء ١٥ لتعلم أنى أنا الرب ، و أميز بين شعبى[7] و شعبك ، و تكون[9] هذه الآية غدا ،

(١) زيد بعده فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : ليرفع (٣) زيد بعده فى ظ : عمل (٤) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فيعبدنى (٧ – ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨) من التوراة ، و فى الأصل : جعشان ، و فى ظ : جشان (٩) من ظ ، و فى الأصل : يكون .

و فعل الرب كذلك و أنزل الهوام على بيت - و فى نسخة : بيوت - فرعون
و عبيده و على جميع أرض مصر ، ففسدت الأرض بالهوام ، فدعا فرعون
موسى و هارون و قال لهما : انطلقوا فاذبحوا الذبائح لله ربكم فى هذه
الأرض ، فقال موسى : لا يحسن بنا أن نفعل ذلك لأنا إنما نذبح للرب
٥ إلهنا من نجاسة المصريين و بدعهم ، فان نحن ذبحنا أمام آلهة المصريين
رجمونا ، بل ننطلق مسيرة ثلاثة أيام فى القفر فنذبح هنالك[1] للرب إلهنا
على ما يأمرنا و يقول لنا ، فقال فرعون : أنا أرسلكم فتذبحوا الذبائح
للرب إلهكم فى البرية ، و لكن لا تنطلقوا فتتوانوا ، بل صلوا علىّ أيضا -
و فى نسخة السبعين : و لكن لا تبعدوا و صلوا / علىّ أيضا إلى ربكم - فقال /٣٤٢
١٠ موسى لفرعون : هأنذا أخرج من بين يديك فأصلى بين يدى الرب ،
فيصرف الهوام و الحشرة عن فرعون و عن عبيده و [ عن -[2] ] شعبه
غدا ، و لكن لا يعود فرعون أن يكذب[3] فى قوله و يأبى أن يرسل الشعب
ليذبحوا الذبائح ، فخرج موسى من بين يدى[4] فرعون و صلى بين يدى الرب ،
فقبل الرب صلاة موسى و صرف الهوام فلم يوجد منها و لا واحد ، فقسا
١٥ قلب فرعون[5] بعد هذا أيضا و لم يرسل الشعب ، فقال الرب لموسى : انطلق
إلى فرعون و قل له : هكذا يقول الرب إله العبرانيين : أرسل شعبى حتى
يعبدونى[6] ، فان أبيت أن ترسله - و فى نسخة السبعين[7] : و تمسكت به ، فان

(١) فى ظ : هناك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : يكون (٤) سقط
من ظ (٥) فى ظ : موسى (٦) من ظ ، و فى الأصل : يعبدنى (٧) زيد فى ظ :
و تتمسك به حتى الآن فهذه يد الرب و فى نسخة السبعين .

يد الرب تضرب ماشيتك التى فى القفر من الخيول و الحمير و البقر و الغنم، فيقع فيها الوباء العظيم الصعب الشديد، و يميز[1] الرب بين دواب[2] بنى إسرائيل و بين بهائم أهل مصر، فلا يموت[3] من بهائم آل إسرائيل و لا واحد، و وقت الرب وقتا ليكمل فيه هذا القول على الأرض، فأكمل الرب هذا الأمر من غد ذلك اليوم، فماتت جميع بهائم المصريين و لم يمت ٥ من دواب بنى إسرائيل [4]و لا واحد، و أرسل فرعون فاذا أنه لم يمت من دواب بنى إسرائيل[4] و لا دابة، فقسا قلب فرعون [4]بعد هذا أيضا[4] فأبى أن يرسل الشعب، فقال[5] الرب لموسى و هارون: خذا فى حقيبتكما من رماد الأتون فيذره موسى إزاء السماء نحو فرعون، فيكون العجاج فى أرض مصر، فيضرب الناس و البهائم جميعا قروح ناتية رخوة فى أرض مصر ١٠ كلها، فأخذا[6] رماد الأخدود و وقفا بين يدى فرعون فذره موسى نحو السماء أمام فرعون[7] فظهرت قروح ناتية[8] رخوة، فاستعلت فى الناس و البهائم، فلم يقدر السحرة على الوقوف بين يدى موسى من كثرة القروح التى ظهرت فى السحرة و فى جميع أهل مصر، فقسى الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما و لم يطعهما كالذى قال الرب لموسى، فقال الرب لموسى: ١٥ أدلج باكرا و قف بين يدى فرعون و قل له: هكذا يقول الرب إله العبرانيين:

---

(١) من ظ، وفى الأصل: تميز (٢) من ظ. و فى الأصل: ادواب (٣) من ظ، و فى الأصل: فلا تموت (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: وقال.
(٦) من التوراة، و فى الأصل: فاخذ، و فى ظ: فاخذوا (٧) سقط من ظ.
(٨) زيد بعده فى ظ: فى.

أرسل شعبي فيعبدوني[1] و إلا فأنا مرسل فى هذا الوقت ضربتي على قلبك[2]
و على عبيدك و على شعبك لتعلم أنه لا إله غيري على الأرض كلها، لأني
مجمع من الآن أن أمد يدي فأضربك و شعبك بالوباء و تبيد[3] عن جديد
الأرض، و إنما بغيتك بهذا الأمر لأظهر لك[4] عزي و قدري و ليناد
٥ باسمي فى الأرض كلها، و أنت حتى الآن تتمسك بالشعب و تأبى أن
ترسله، و غدا فى هذا الوقت أهبط البرد العظيم الشديد ما لم يكن - و فى
نسخة السبعين : الذي لم يكن مثله - بمصر منذ اليوم الذي أسست فيه
قواعدها[5] إلى يوم الناس هذا، و الآن أرسل فأدخل جميع دوابك و كل
مالك فى الحقل لأن كل بهيمة أو إنسان يلقى فى الحقل و لا يدخل البيت
١٠ يهبط عليهم البرد فيموتون، و كل من خاف كلمة الله من عبيد فرعون نقل
عبيده و بهائمه إلى البيوت، و الذي لم[6] يفكر فى كلمة الله و تهاون بها
ترك دوابه و عبيده فى الحقل، و قال الرب لموسى: ارفع يدك إلى السماء
يهبط البرد على جميع أرض مصر على الناس و البهائم و جميع الحقول -
و فى نسخة السبعين: على الناس و الدواب و جميع نبات الصحراء - فرفع
١٥ موسى عصاه نحو السماء فأرجفهم الرب بالرعد و البرد[7]، و جعلت النار
تضطرم على الأرض، فأهبط الرب البرد و كان البرد يهبط و النار تضطرم
/ فى البرد، و كان شديدا عظيما، و لم يكن مثله فى جميع أرض مصر /٣٤٣
منذ اليوم الذي سكنها بنو البشر، فضرب البرد جميع أرض مصر لكل من

(١) من ظ، و فى الأصل : نيعبدني (٢) فى ظ : بيتك (٣) فى ظ : تبيت (٤) فى ظ : بك (٥) فى ظ : قواعده (٦) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : البرق .

كان فى الحقل من الناس و البهائم ، و أهلك الرب جميع عشب[1] الحقل و حطم جميع أشجار الغياض. فأما أرض جاسان[2] التى كانت[3] آل إسرائيل يسكنونها فلم يهبط عليها البرد ، فأرسل فرعون فدعا موسى و هارون فقال لهما : قد خطئت فى هذه المرة[4] أيضا ، و الرب بار و أنا و شعبى منافقون - و فى نسخة السبعين : إنى قد أخطأت و الرب بار و أنا و شعبى فجار - فصليا ٥ بين يدى الرب فانه ذو إمهال و أناة فيصرف عنا الرجفة و[5] الرعد و البرد[5] فأرسلكم فلا تعودوا أن تتأخروا - و فى نسخة السبعين : و أنا أرسلكم و لا أعود أن أوخركم - فقال موسى لفرعون : إذا ما خرجت من القرية أبسط يدى للرب فيصرف عنكم صوت الرعد و الرجفة ، و لا يعود البرد يهبط[6] أيضا لكى تعلم[7] أن الأرض و ما عليها لله . و أنا أعلم أنك و عبيدك ١٠ إلى الآن لم ترهبوا الله و لم تخافوا[8] عقابه ، و قد هلك الكتان و الشعير - و فى نسخة السبعين : و ضرب البرد الشعير و الكتان - لأن الشعير كان قد بدأ أن يسبل ، و الكتان قد بدأ أن يبزر . فأما زرع الحنطة و الكثيب فلم يهلك لأنه كان متأخرا . فلما جاء موسى من القرية من بين يدى فرعون بسط - و فى نسخة السبعين : فأما زرع الحنطة و الذرة فانه لم يضرهما لأنهما ١٥ كانا لقسا ، و خرج موسى من عند فرعون خارج المدينة فبسط - يديه بين يدى الله نحو السماء فصرف عنهم الرعد و البرد[9] ، و انقطع المطر عن

---

(١) فى ظ : شعب (٢) من التوراة ، وفى الأصل وظ : خشان (٣) فى ظ : كان. (٤) فى ظ : المراة (٥ - ٥) فى ظ : البرد و الرعد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : يعلم (٨) من ظ ، وفى الأصل : لم يخافوا (٩) من ظ ، و فى الأصل : البرق .

الأرض، فرأى فرعون أن القطر و البرد و الرعد قد انقطع و سكن فعاد و خطأ و قسا قلب فرعون و عبيده - و في نسخة السبعين: و قسا قلبه و قلب عبيده و جفا - و لم يرسل بني إسرائيل كرسالة الرب - و في نسخة السبعين: على ما تكلم به الرب على يد موسى - فقال الرب لموسى: انطلق ٥ إلى فرعون لأني أنا الذي أقسي قلبه و قلوب عبيده، فأظهر هذه الآيات لتجر بنيك و بني بنيك بما صنعت بأهل[1] مصر من الآيات الكثيرة التي أظهرت، فيعلموا أني أنا الرب، فأتى موسى و هارون إلى فرعون و قالا له: هكذا يقول الرب إله العبرانيين: [حتى -[2]] متى تأبى أن تخافني و ترهبني! أرسل شعبي ليعبدوني[3]، فان أبيت أن ترسل شعبي فهأنذا محدر[4] ١٠ على جميع تخومك الجراد - [و -[2]] في نسخة السبعين: فاني أجلب عليك غدا هذا الوقت جرادا عظيما على جميع حدودك - فيغطي عين الأرض فلا يقدر إنسان على النظر إلى الأرض، فمهما أبقى لكم البرد[5] أكله، و يأكل جميع الشجر التي تنبت لكم في الحقل، و يمتلئ[6] منه بيوتك و بيوت عبيدك و بيوت جميع المصريين ما لم[7] ير مثله آباؤك و أجدادك من ١٥ اليوم الذي أسست الأرض إلى يوم الناس هذا، و رجعا من بين يدي فرعون فقال لعبيده: حتى متى يكون[8] لنا هذه العثرة! يرسل القوم فيعبدون - و في نسخة السبعين: فقال عبيد[9] فرعون لفرعون: حتى متى يكون

(١) في ظ: بارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: ايعبدني (٤) في الأصل: تمحدوا، وفي ظ: محدرا (٥) في ظ: ما (٦) في ظ: تمتلئ (٧) في ظ: فلم. (٨) في ظ: تكون (٩) من ظ، و في الأصل: عبيدك.

لنا

لنا[1] هذا البلاء! أرسل[2] القوم فيعبدوا[3] - الرب إلههم أما تعلم - و فى نسخة السبعين: أو ما علمت - أن مصر قد خربت، فردوا موسى وهارون إلى فرعون فقال لهم: انطلقوا فاعبدوا بين يدى الرب إلهكم، و لكن من منكم ينطلق؟ فقال / له موسى: إنا ننطلق بشباننا و شيوخنا و بنينا[1] و بناتنا و بغنمنا و بقرنا، لأنه عيد لنا للرب. فقال لهما: ليكن كما قلتما، و الله يصحبكما إذا ما ٥ أرسلتكم وحشمكم، لعله أن يعرض لكم فى الطريق آفة، ولكن ليس هكذا، انطلقوا الآن معاشر الرجال! اعبدوا بين يدى الرب لأنكم إنما تطلبون بذلك الراحة، فأخرجوهما من بين يدى فرعون، فقال الرب لموسى: ارفع يدك على أرض مصر فيأتى الجراد فيصعد على أرض مصر فيأكل عشب الحقل و جميع ما نجا من البرد، فرفع موسى عصاه على أرض مصر، ١٠ فأهب الرب على الأرض ريح السموم جميع ذلك اليوم - [4]و فى نسخة السبعين: و الرب جلب ريحا قبلية على الأرض نهار ذلك اليوم[4] - و تلك الليلة. فلما كان بالغداة احتملت ريح السموم الجراد، فصعد الجراد - و فى نسخة السبعين: أخذت الريح القبلية الجراد و أصعدته - على جميع أرض مصر، فسقط على جميع تخوم أرض المصريين، و كان منيعا عظيما ١٥ جدا، و لم يكن مثل ذلك الجراد فيما خلا و لا يكون مثله فيما بعده، فغطى جميع عين الأرض فأظلمت الأرض، و أكل جميع عشب الحقل و جميع الشجر التى نجت من البرد، و لم يبق فى الشجر غصن و لا ورق و لا فى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: ارسل (٣) فى ظ: فيعبدون (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

الحقل عشب فى جميع أرض مصر ، فاستعجل فرعون و دعا موسى و هارون
و قال لهما : قد خطئت بين يدى الله إلهكما ، و الآن اعفوا عن ذنبى و جهلى
هذه المرة ، و صليا بين يدى الرب إلهكم فيصرف عنى هذه الآفة و الموت ،
فخرج موسى من بين يدى فرعون و صلى بين يدى الرب ، فعاد الرب بريح
٥ السموم عاصفا فاحتملت الجراد فقذفت[1] به فى بحر سوف - و فى نسخة
السبعين : فغير الرب تلك الريح بريح من البحر [2]شديدة فأخذت الجراد[2]
و ألقته فى البحر الأحمر - و لم يبق فى جميع تخوم المصريين شىء من الجراد ،
فقسى الرب قلب فرعون فلم يرسل بنى إسرائيل ، فقال الرب لموسى : ارفع
يدك إلى السماء فليكن الدجى و الحنادس على جميع أرض مصر فتذلهم[3] الظلمة ،
١٠ فرفع موسى يده إلى السماء فكانت الظلمة و الدجى - و فى نسخة السبعين :
فصارت ظلمة و زوبعة - على جميع أرض مصر ، و لم ير المرء منهم صاحبه
ثلاثة أيام ، فأما جميع بنى إسرائيل فكان لهم الضياء و النور فى مساكنهم ،
فدعا فرعون [ موسى - [4] ] فقال له : انطلقوا فاعبدوا بين يدى[5] الرب
إلهكم ، فأما بقركم و غنمكم فدعوها ههنا ، و أما حاشيتكم فانطلقوا بها معكم ،
١٥ فقال موسى لفرعون : و أنت أيضا تعطينا من الذبائح فنذبح لله ربنا ،
و بهائمنا أيضا نطلق[6] بها معنا ، و لا يبقى منها ههنا ظلف على الأرض
لأنا إنما نأخذ من مالنا لنذبح بين يدى الرب إلهنا ، و لسنا نعلم بما ذا
نعبد الله إذا بلغنا هناك ، فقسى الرب قلب فرعون و أبى أن يرسلهم ،

(١) فى ظ : فقذف (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٣) فى ظ : فتذللهم - (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ينطلق .

فقال فرعون لموسى: اخرج من بين يدىّ و احذر أن تتراءى لى أيضا لأن اليوم الذى تتراءى لى بين يدىّ تموت فيه، قال له موسى: ما أحسن قولك[1]! لست بعائد أن أرى وجهك، قال الرب لموسى: إنى أعود أيضا فانزل بفرعون و المصريين ضربة واحدة، و عند ذلك أرسلكم من ههنا، فاذا أرسلتكم فاخرجوا كلكم، و أمر الشعب و قال لهم: ليستعر ٥ المرء منكم من صاحبه و المرأة من جارتها حلى ذهب و فضة - و فى نسخة السبعين: / آنية الفضة و آنية الذهب - و الكسوة، و جعل الرب للشعب / ٣٤٥ فى قلوب المصريين محبة و رحمة، و موسى كانت له هيبة و كرامة عظيمة فى جميع أرض مصر - و فى نسخة السبعين: عند المصريين و عند فرعون و عند جميع عبيده - فقال موسى: هكذا يقول الرب: إنى خارج نصف ١٠ الليل فأجوز فى أرض مصر فأتوفى جميع أبكار مصر من بكر[2] فرعون الجالس على منبره إلى بكر الأمة[3] التى فى بيت الرجل، و تموت جميع أبكار البهائم فتسمع الولولة العظيمة و الصراخ و الأنين الفظيع ما لم يسمع مثله أيضا - و فى نسخة السبعين: و لا يعود أيضا أن يكون مثلها - فأما آل إسرائيل فلا يصاب منهم و لا الناس و لا البهائم و لا الكلب بلسانه - ١٥ و فى نسخة السبعين: و لا يعوى من جميع بنى إسرائيل كلب بلسانه - ليعلموا [4]أن الرب[4] ميز بين المصريين[5] و آل إسرائيل، فيهبط جميع عبيدك[6] هؤلاء فيسجدون لى و يقولون[7]: اخرج أنت و جميع الشعب معك، و عند

---

(١) من ظ، وفى الأصل: قوتك (٢) من ظ، وفى الأصل: تكبر (٣) من ظ، وفى الأصل: الآية (٤-٤) من ظ، وفى الأصل: قرب (٥) فى ظ: مصريين. (٦) من ظ، و فى الأصل: عبيدى (٧) من ظ، و فى الأصل: تقولون.

ذلك أخرج ، فخرج موسى من بين يدى فرعون [1]بغضب شديد ، فقال الرب لموسى : إن فرعون لا يطيعكما ، ذلك أنى مكثر آياتى و عجائبى بأرض مصر ، و إن موسى و هارون جرحا هذه الجرائح و أظهرا هذه الآيات كلها بين يدى فرعون[1] ، فقسى الرب - و فى نسخة السبعين :
٥ و أقسى الرب - قلب فرعون فلم يرسل بنى إسرائيل عن أرضه ، و قال الرب لموسى و هارون بأرض مصر : هذا الشهر - أى نيسان - يكون لكم رأس الشهور ، و يكون هذا أول شهور السنة ، قل لجميع جماعة بنى إسرائيل فى عشر من هذا الشهر فليأخذ[2] الرجل منهم حملا - و فى نسخة السبعين : خروفا - لبيته و حملا لآل أبيه ، و إن كان آل البيت
١٠ قليلا لا يحتاجون إلى حمل فليشترك هو و جاره القريب إلى بيته على عدة الناس ، و عدوا كل امرئ منهم على قدر أكله من الحمل ، حملا بلا عيب فيه ذكرا بينا ، يكون الحمل حويلا من الخراف و الجدى و تأخذونه[3] ، و يكون محفوظا لكم حتى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ، و يذبحه كل جماعة من كنيسة بنى إسرائيل أصيلا ، و يأخذون[4] من دمه
١٥ [ و يضعونه على القائمين و العتبة من البيت الذى تأكلون فيه ، أى علامة -[5] ] للملائكة الذين يؤمرون[6] بقتل أبكار المصريين ، و تأكلون اللحم فى هذه الليلة مشويا بفطير ، و لا تأكلوا منه نيئا[7] و لا مطبوخا بالماء ،

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : فياخذ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ياخذونه (٤) فى ظ : ياحون - كذا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ؛ و فى الأصل : يرمون (٧) النيء و النىّ : اللحم الذى لم تمسه النار أو لم ينضج .

و لا

و لاتبقوا[1] منه شيئا لغد ، و لا تكسروا[2] منه عظما ، و ما فضل منه إلى غد فأحرقوه بالنار ، و كلوه و أنتم قيام و قد شددتم أوساطكم و نعالكم فى أرجلكم و عصيكم فى أيديكم و كلوه بعجلة ، فانه فصح للرب ، و أنا فانى أعبر فى أرض مصر فى هذه الليلة و أضرب كل بكر بأرض مصر من الناس و البهائم ، و أعمل نقمة من جميع آلهة[3] المصريين ، أنا الرب ! ٥ و يكون لكم[4] هذا اليوم ذكرا و تعيدونه عيدا للرب لدهوركم [ إلى الأبد -[5] ] و تعيدونه سبعة أيام ، و تأكلون فطيرا و تعزلون[6] الخمير من بيوتكم [7]من أول يوم[7] ، و كل من يأكل خميرا[8] فان تلك النفس [9]تبيد من إسرائيل من اليوم الأول إلى اليوم السابع ، و كل عمل يعمل فلا تعملوه فيها ، و احفظوا هذه الوصية ، ففى هذا اليوم خرج عسكركم من مصر ، فاجعلوا ١٠ هذا اليوم لدهوركم سنة ، فاذا بدأ اليوم الرابع عشر[10] من الشهر الأول من العشى كلوا فطيرا إلى يوم إحد و عشرين من الشهر إلى العشاء ، و لايوجد خمير فى بيوتكم سبعة أيام ، و كل من يأكل مخمرا فان تلك النفس تبيد من جماعة [ بنى -[5] ] إسرائيل من الملة و الذمة و من سكان الأرض ، ما كان خميرا فلا تأكلوه و كلوا فطيرا[11] فى جميع مساكنكم ، فدعا موسى ١٥ جميع أشياخ / بنى إسرائيل و قال لهم : عجلوا فخذوا غنما لقبائلكم و اذبحوا الفصح / ٣٤٦

(١) من ظ ، و فى الأصل : لايبقوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يكسروا .
(٣) فى ظ : الهية (٤) سقط من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : تعرمون - كذا (٧-٧) فى ظ : سبعة ايام (٨) فى ظ : محمرا .
(٩) العبارة من هنا إلى « فان تلك النفس » ساقطة من ظ (١٠) فى الأصل و ظ : يوم الأربعة عشرة (١١) فى ظ : فطير .

و خذوا[١] حزمة من ريحان الأدبان[٢] و اغمسوها بدم الحمل و رشوا على معاقم أبوابكم و معاضدها - و فى نسخة السبعين : على العتبة و كلا القائمين - من الدم الذى فى الإناء ، و لا يخرج أحد منكم من باب بيته إلى غدوة - و فى نسخة السبعين: إلى الصباح - فتحفظون هذه السنة و الوصية أنتم و بنوكم
٥ إلى الأبد ، و إذا[٣] دخلتم الأرض التى يعطيكم الرب كما وعدكم فاحفظوا هذا العمل ، و إذا سأل بنوكم فقالوا لكم : ما هذا الفعل ؟ فقولوا لهم : هذه ذبيحة فصح الرب إذ أفصح على بيوت بنى إسرائيل بمصر [٤]إذ قتل[٤] المصريين و خلص بيوتنا ، فركع الشعب كله ساجدا لله و انطلق بنو إسرائيل فصنعوا كما أمر الله موسى و هارون ، و فى بيوت بنى إسرائيل فلما كان عند نصف
١٠ الليل قتل الرب أبكار أرض مصر - و فى نسخة السبعين : كل بكر بأرض مصر - من بكر فرعون الجالس على منبره - و فى نسخة السبعين : على [٥]كرسيه - و حتى بكر السبى المحبوس فى السجن و جميع أبكار البهائم فوثب فرعون فى تلك الليلة هو و جميع عبيده و كل أرض مصر - و فى نسخة السبعين[٥] : و جميع المصريين - و كانت ولولة عظيمة فى جميع أرض مصر
١٥ لأنه لم يوجد بيت[٦] لم يكن فيه ميت ، فدعا فرعون بموسى و هارون فى تلك الليلة و قال لهما : انهضا فاخرجا من بين شعبى أنتما و بنو إسرائيل أيضا و انطلقوا فاعبدوا بين يدى الرب كقولكما ، و سوقوا غنمكم

(١) من ظ ، و فى الأصل : جدا - كذا (٢) كذا ، و لعله : الأربيان ، و فى التوراة : زوفا (٣) فى ظ : ان (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : او قيل - كذا .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يثبت .

و بقركم أيضا كما قلتما، و انطلقوا و صلوا عليّ أيضا و ادعوا لى، فألح المصريون على الشعب ليخرجوهم عن الأرض مسرعين لأنهم قالوا: إنا جميعا سنموت، فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر، و البارد من فطيرهم مشدودا فى عمائمهم ملق على أعناقهم، و صنع بنو إسرائيل كما أمرهم موسى، و استعاروا من المصريين حلى ذهب و فضة و كسوة - و فى نسخة السبعين: ٥ آنية الفضة و الذهب و الكسوة - و جعل الرب للشعب فى أعين المصريين محبة و رحمة فأعاروهم، فحربوا المصريين، و ظعن بنو إسرائيل من رعمسيس - و على حاشية نسخة السبعين أنها عين شمس - يطلبون ساخوت ستمائة ألف رجل سوى الحشم و العيال، و صعد[1] معهم من الغرباء أيضا من كل خلط و من البقر و الغنم و الماشية كثير جدا، فاختبزوا العجين الذى[2] أخرجوه ١٠ معهم من مصر رغفا - و فى نسخة السبعين: فرانىّ - فطيرا لم يختبزوه - و فى نسخة السبعين: لم يختمر - و ذلك لأن المصريين أخرجوهم فلم يقدروا أن يلبثوا، و لم يتزودوا زادا للطريق أيضا، و كان مسكن بنى إسرائيل فى أرض مصر أربعمائة و ثلاثين سنة، فى هذا اليوم خرج جميع جنود الرب من أرض مصر - و فى نسخة السبعين: ليلا - كان الرب وقت فى سابق علمه ١٥ حفظ تلك الليلة التى خرجوا فيها من مصر، و كانت هذه[3] الليلة محفوظة معروفة لدى الرب لهلاك أبكار مصر و لإخراج جميع بنى إسرائيل ليكون ذكر ذلك فى جميع أحقابهم و خلوفهم، و قال الرب لموسى و هارون: هذه

---

(١) من ظ، و فى الأصل: اصعد (٢) من ظ، و فى الأصل: الذين (٣) فى ظ: تلك.

سنة الفصح، [1]لا يأكل منه غريب، وكل عبد لرجل إشتراه إذا ختنه عند ذلك فأطعمه الفصح[1]، و الأجير و الساكن فلا يأكل منه، فى بيت واحد [2]فليؤكل - و فى نسخة السبعين : وكل عبد لرجل اشتراه[2] فليختتن ثم يأكل منه، الملجئ و الأجير [ لا يأكلان منه - [3] ]، و ليؤكل فى بيت

٣٤٧/ ٥ واحد - و لا تخرجوا[4] من اللحم خارجا / من البيت شيئا و لا تكسروا[5] فيه عظما، و إذا سكن معكم غريب فختن كل ذكر فى بيته عند ذلك فليقترب - و فى نسخة السبعين : و ليختتن منهم كل ذكر ثم يدنون - من بعد ذلك إلى أكل[6] الفصح، و ليكن عند ذلك بمنزلة أهل الأرض، و لا يأكل منه أغرل، و لتكن[7] سنة واحدة لأهل الأرض و الغرباء الذين يسكنون معكم،

١٠ و صنع جميع بنى إسرائيل كما أمر موسى و هارون، و فى هذا اليوم أخرج الرب بنى[8] إسرائيل من أرض مصر و جميع جنودهم[9]، و قال الرب لموسى : طهر لى كل ذكر و يفتح كل رحم من بنى إسرائيل من الناس و البهائم يكونون لى، فقال موسى للشعب : اذكروا هذا اليوم الذى خرجتم فيه من مصر من العبودية و الرق[10]، لأن الرب أخرجكم من ههنا بيد منيعة - إلى آخر

١٥ ما مضى فى سورة البقرة؛ ثم ذكر فى الخامس علة الفصح فقال: احفظوا شهر البهار اعملوا فصحا لله ربكم لأنه إنما أخرجكم من أرض مصر فى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بيت واحد » ساقطة من ظ (٣) زيد من التوراة (٤) من ظ، وفى الأصل : لا يخرجوا (٥) من ظ، و فى الأصل : لا انكسروا (٦) من ظ، و فى الأصل : كل (٧) من ظ، و فى الأصل : ليكن (٨) من ظ، و فى الأصل : لبنى (٩) من ظ، و فى الأصل : جنوده (١٠) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها .



شهر

شهر[1] البهار ليلا[2]، فاذبحوا فصحا لله ربكم من البقر و الغنم فى الموضع الذى يختار الله ربكم، فلا تأكلوا فيه خميرا بل كلوا فطيرا سبعة أيام خبزا يدل على التواضع لأنه إنما خرجتم من أرض مصر بعجلة لتذكروا اليوم الذى أخرجتم فيه من مصر كل أيام حياتكم. و لا يرى[3] الخمير فى حدودكم سبعة أيام، ٥ و لا يحل لكم أن تأكلوا الفصح[4] فى قرية من القرى التى[5] يعطيكم الله ربكم، و لكن فى الموضع الذى يختار الله ربكم أن يصير فيه اسمه ففيه اذبحوا الفصح، و يذبح عند غروب الشمس فى الوقت الذى خرجتم من أرض مصر، ثم قال: و أحصوا سبعة سوابيع من بعد عيد الفصح، ثم اعملوا[6] عيد السوابيع و ائتوا بخواص غلاتكم للرب، كما بارك ١٠ لكم الله ربكم فى الموضع الذى يختار الرب أن تصيروا اسمه فيه و اذكروا أنكم كنتم عبيدا بأرض مصر، فاحفظوا هذه السنن كلها [7]و اعملوا بها، و اعملوا[7] عيد المظال سبعة أيام إذا ما دخلتم[8] بيادركم و خزنتم معاصركم ليبارك الله ربكم فى جميع غلاتكم و فى كل عمل أيديكم، و تكونوا[9] فرحين، و يروى[10] ذكركم أمام الله ربكم فى الموضع الذى يختار ثلاث ١٥ مرات فى السنة: عيد الفطير و عيد السوابيع و عيد المظال - انتهى. و فيه مما لا يجوز إطلاقه [فى شرعنا إضافة - [11]] الابن فى قوله:

---

(١) فى ظ: الارض (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: لاترى. (٤) من ظ، و فى الأصل: الفصحة (٥) فى ظ: الذى (٦) فى ظ: اعلموا. (٧-٧) فى ظ: اعلموا بها و اعلموا - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: ادخلتم. (٩) من ظ، و فى الأصل: يكونوا (١٠) من ظ، و فى الأصل: نرى (١١) زيد من ظ.

ابنى بكرى، و هو مأول بأنه يكرمه إكرام الولد، و إطلاق الإله على غير الله سبحانه مراد[١] به الحاكم، و لا يجوز هذا الإطلاق[٢] عندنا.

و لما انقضى ما أراهم سبحانه من الأفعال الهائلة التى استخلصهم بها من ذلك الجبار، شرع يذكر ما قابلوه[٣] [ به - ٤ ] من الجهل به سبحانه ٥ و ما قابلهم به من الحلم، ثم ما أحل بهم بعد طول المهلة من ضرب الذلة و المسخ بصورة القردة، فقال عاطفا على قوله " فاغرقنهم فى اليم " أو قوله " ثم بعثنا من بعدهم موسى ": ﴿ و جوزنا ﴾ أى قطعنا بما لنا من [ العظمة - ٤ ]، و ساقه على طريق المفاعلة تعظيما له، روى أن جوازهم كان يوم[٥] عاشوراء، و أن موسى عليه السلام صامه شكرا لله تعالى ١٠ على إنجائهم و إهلاك عدوهم ﴿ ببنى اسرآءيل ﴾ بعد الآيات التى شاهدوها[٦] ﴿ البحر ﴾ و إنما جعلته معطوفا على أول القصة[٧] لأن هذه القصص [٨] كلها بيان لأن فى الناس السيئ الجوهر الذى لا يغنيه الآيات كما مضى عند قوله " و البلد الطيب " و بيان لقوله " اخذنا أهلها بالباساء و الضراء " - إلى آخرها، و يدل على ذلك - مع ما ابتدئت به القصص[٨] - ١٥ ختمها بقوله " ذلك مثل القوم الذين كذبوا بايتنا " و قوله " و لقد ذرانا لجهنم " و حسن موقعها بعد قوله " و تمت كلمت ربك الحسنى "

---

(١) فى ظ : مرادا (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها.
(٣) من ظ، و فى الأصل : قبلوه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بعد (٦) من ظ، و فى الأصل : شاهدناها (٧) زيد بعده فى ظ : لأن هذه القصة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

لأنه لما قيل "بما صبروا" تشوفت النفس إلى فعلهم حال الرخاء هل شكروا؟ فبين أن كثيرا منهم كفروا / تصديقا لقوله "و ما وجدنا لاكثرهم من عهد" و ما شاكله، و ما أحسن تعقيب ذلك - بقوله: ﴿ فاتوا ﴾ أى مروا - بفاء التعقيب ﴿ على قوم ﴾ أى ذوى قوة، قيل: كانوا من لخم ﴿ يعكفون ﴾ أى يدورون و يتحلقون ملازمين مواظبين[1] ﴿على آ اصنام لهم ج﴾ أى لا قوة فيها و لا نفع، فهم فى عكوفهم عليها مثل فى الغباوة، و قيل: إنها كانت تماثيل بقر، و كان ذلك أول أمر العجل.

/ ٣٤٨

٥

و لما أخبر سبحانه بذلك، علم السامع أنهم بين أمرين[2]: إما شكر و إما كفر، فتشوف إلى ما كان منهم، فأجاب سبحانه سؤاله[3] بقوله: ﴿ قالوا ﴾ أى لم يلبث ذكرهم لما أراهم سبحانه من عظمته و شكرهم لما أفاض عليهم من نعمته إلا ريثما أمنوا من عدوهم بمجاوزتهم البحر و إغراقهم[4] فيه حتى طلبوا إلها غيره بقولهم[5]: ﴿ يموسى ﴾ سموه كما ترى باسمه جفاء و غلظة اعتمادا على ما عمهم من بره و حلمه غير متأدبين بما بهرهم[6] من جلالة حظه من الله و قسمه ﴿ اجعل لنآ الـها ﴾ أى شيئا نراه و نطوف به تقيدا بالوهم ﴿ كما لهم الهة ط ﴾ و هذا منهم قول من لا يعد الإله - الذى فعل معهم هذه الأفاعيل - شيئا، و لا يستحضره بوجه.

١٠

١٥

(١) من ظ، و فى الأصل: مرابطين (٢) فى ظ: امرهم (٣) من ظ، و فى الأصل: سوله (٤) من ظ، و فى الأصل: اغراقه (٥) من ظ، و فى الأصل: بقوله (٦) من ظ، و فى الأصل: يهديهم.

و لما كان هذا منهم عظيما ، استأنف جواب من تشوف إلى قول موسى عليه السلام لهم ما هو بقوله : ﴿ قال انكم قوم ﴾ أى ذوو[1] قيام فى شهوات النفوس ، و قال : ﴿ تجهلون ﴾ مضارعا إشعارا بأن ذلك منهم [2]كالطبع و الغريزة ، لا ينتقلون عنه[2] فى ماض و لا مستقبل ، و اعلم ٥ أنه لا تكرير فى هذه القصص فان كل سياق منها لأمر لم يسبق [مثله[3]] ، فالمقصود من قصة موسى عليه السلام و فرعون - عليه اللعنة و الملام - هذا الاستدلال الوجودى على قوله "و ان وجدنا اكثرهم لفسقين" و من هنا تعلم أن سياق قصة بنى إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان إسراعهم فى الكفر و نقضهم للعهود ، و استمر سبحانه فى هذا[4] الاستدلال ١٠ إلى آخر السورة ، و ما أنسب "و اذ[5] اخذ ربك من بنى ادم" - الآية ، لقوله "و ما وجدنا لاكثرهم من عهد" ! و ذكر فى أول التى تليها[6] تنازعهم فى الأنفال تحذيرا لهم من أن يكونوا من الأكثر المذمومين فى هذه ، هذا بخلاف المقصود من سياق قصص بنى إسرائيل فى البقرة فانه هناك للاستحلاب[7] للايمان بالتذكير بالنعم ، لأن ذلك فى سياق خطابه سبحانه ١٥ لجميع الناس بقوله : "اعبدوا ربكم الذى خلقكم[8]" ، "كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم[9]" و ما شاكله من الاستعطاف بتعداد النعم و دفع النقم - و الله أعلم .

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : ذو (٢-٢) تكرر ما بين الرقين فى ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : هذه (٥) فى ظ : اذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : يليها (٧) فى ظ : الاستجلاب (٨) آية ٢١ (٩) آية ٢٨ .

و لما استفيد من كلامه لهم غاية الإنكار عليهم، علل هذا الإنكار بقوله: ﴿ان هٰٓؤُلَآء﴾ أى القوم ﴿متبر ما هم فيه﴾ أى مكسر مفتت مهلك على وجه المبالغة، و إذا فسد الظرف فسد المظروف، و إليه الإشارة بجعل "هؤلاء" اسما لإن، و إيلائه خبر الجملة الواقعة خبرا مقدما على مبتدإه .

٥ و لما كان الشيء قد يهلك فى الدنيا [أو فى الآخرة -[1]] و هو حق، أعلمهم بأن هذا الهلاك[2] إنما هو [الهلاك -[1]] عند الله أعم من كونه فى الدنيا أو فى الآخرة لبطلان ما هم فيه، فقال معبرا بالاسمية إشارة إلى أنه الآن كذلك و إن رئى بخلافه: ﴿ و بٰطل ﴾ أى مضمحل زائل ﴿ما كانوا﴾ أى جبلة وطبعا ﴿يعملون[3]ه﴾ أى مواظبين عليه من الأصنام ١٠ و العكوف و جميع أعمالهم لأجله[4]، لا وزن لشيء منها أصلا و لا اعتبار، [و -[1]] فيه إشارة إلى أن العبادة لاتنبغي[5] إلا للباقى الذى لا يجوز عليه التغير، فاذا كان كذلك[6] كان / العمل له أيضا ثابتا باقيا لا يجوز عليه البطلان، و فى تعقيبها لتدمير آل فرعون إشارة إلى موجب ذلك، و أن كل من كان على مثل حالهم من عبادة غير الله كانت عاقبته الدمار . /٣٤٩

١٥ و لما كان [هذا -[1]] استدلالا على أن مثل هذه الأصنام التى مروا عليها لا تصلح لأن تعبد، كان ذلك غير كاف لهم [لما -[1]] تقرر من جهلهم، فربما ظنوا أن غيرها مما سوى الله تجوز[7] عبادته، فكأنه قيل: هذا لا يكفى جوابا لمثل هؤلاء فهل قال لهم غير ذلك؟ فقيل: نعم! ﴿قال ﴾ منكرا معجبا

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الاهلاك (٣) فى ظ : يعلمون (٤) فى ظ الاجلة - كذا (٥) من ظ، و فى الأصل : لاينبغى (٦) من ظ ، و فى الأصل : ذلك .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : يجوز .

﴿ا غير الله﴾ أى الذى له جميع العظمة، فهو المستحق للعبادة ﴿ابغيكم﴾ أى أطلب لكم ﴿الـها﴾ فأنكر أن يتأله غيره، و حصر الأمر فيه ثم بينه[1] بقوله: ﴿و هو﴾ أى و الحال أنه هو وحده ﴿فضلكم﴾ دون غيركم ممن هو فى زمانكم أو قبله ﴿على العٰلمين ه﴾ أى[2] لو لم يكن لوجوب اختصاصهم ٥ له بالعبادة سبب سوى اختصاصه لهم بالتفصيل على سائر عباده الذين بلغهم علمهم ممن هو أقوى منهم حالا و أكثر عددا و أموالا لكان كافيا[3].

و لما أثبت أن الإلٰهية لا تصلح لغيره، و أن غيره لم يكن يقدر على تفضيلهم، و كان المقام للعظمة، و كان كأنه قيل إيذانا بغلظ أكبادهم و قله فطنتهم [4]و سوء مقابلتهم[4] للنعم: اذكروا ذلك، أى تفضيله لكم باصطفاء ١٠ آبائكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب و ما تقدم له عندهم و عند أولادهم من النعم لا سيما يوسف عليه السلام الذى حكمه فى جميع الأرض التى استذلكم[5] أهلها؛ عطف عليه إشارة إليه قوله التفاتا إلى مظهر العظمة تذكيرا بعظمة مدخوله: ﴿و اذ﴾ أى و اذكروا[6] إذ ﴿انجينٰكم﴾ أى على ما نحن عليه من العظمة التى أنتم لها عارفون[7]، و لها [ فى -[8] ] كل وقت ١٥ فى تلك الآيات مشاهدون[9] ﴿من 'ال فرعون﴾ و ما أفضنا عليكم بعد الإنجاء من النعم الجسام و أريناكم من الآيات العظام تعرفوا أنا فضلناكم

(١) من ظ : وفى الأصل : بين (٢) من ظ ، وفى الأصل : انه (٣) فى ظ : وافيا.
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : استذلهم (٦) فى ظ : اذكرا.
(٧) من ظ ، وفى الأصل : عاكفون (٨) زيد من ظ (٩) فى الأصل : يشاهدون، وفى ظ : تشاهدون.

على جميع الأنام؛ ثم استأنف بيان ما أبجامهم[1] منه بقوله: ﴿ يسومونكم ﴾ أى ينزلون بكم دائما ﴿ سوٓء العذاب ج ﴾[1].

[2]و لما كان السياق - كما مضى - لبيان إسراعهم فى الكفر و شدة عماوتهم فى قسوتهم و جلافتهم، و كان مقصود السورة إنذار المعرضين و تحذيرهم من القوارع التى أحلها بالماضين؛ بين سوء العذاب عادلا فى ٥ بيانه عن التذبيح - لأنه لا يكون عند الانذباح، و هو فى الأصل لمطلق الشق - إلى التعبير بالقتل لأنه أدل على الإماتة و أهز، لأنه قد يكون على هيئة شديدة بشعة كالتقطيع و النخس و الخبط و غير ذلك مع أنه لا بد فيه من تفويت ذلك فقال[2]: ﴿ يقتلون ﴾ [أى تقتيلا كثيرا -[3]] ﴿ ابنآءكم ﴾ و دل على حقيقة القتل بقوله: ﴿ و يستحيون ﴾. ١٠

و لما كان المعنى أنهم لا يعرضون للاناث صغارا و لا كبارا، [و كان إنكار ما يكون إبقاء النساء بلا رجال لما يخشى من الضياع و العار، و كان مظنة العار أكبر -[3]]، عبر عنهن بقوله: ﴿ نسآءكم ط ﴾ و تنبيها على أن قتل الأبناء إنما هو للخوف من صيرورتهم رجالا لئلا يسلبهم واحد منهم أعلمهم به كهانهم ملكهم؛ و أشار إلى شدة ذلك بقوله: ﴿ و فى ذٰلكم ﴾ ١٥ أى الأمر الصعب المهول ﴿ بلآء ﴾ أى اختبار لكم و لهم ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم فى حالى الشدة و الرخاء، فانه أخفى عنهم[4] الذى قصدوا القتل لأجله، و أنقذكم به بعد أن رباه عند الذى[5] هو مجتهد فى ذبحه ﴿ عظيم ع ﴾.

---

(١) فى ظ: انجاكم (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: ثم فسر بقوله (٣) زيد من ظ.
(٤) فى ظ: عنكم (٥) فى ظ: اقه.

و لما ذكرهم بنعمة إنجاء الأبدان، أتبعها التذكير بأكبر منها إذ[1] كانت لحفظ الأديان و صيانة جوهرة الإيمان بما نصب[2] لهم من الشرع في التوراة ، فقال معجبا من حالهم إذ كان في الإنعام عليهم بنصب الشرع الهادي لهم من الضلال و اختصاص نبيهم بمزيد القرب بالمناجاة ، و هم ٥ في اتخاذ إلٰه سواه، لا نفع فيه أصلا ، و لا يرضى قلب أو عقل أن يعبده ، عاطفا له على ما سبق تعجيبه به منهم في قوله "و جوزنا ببني اسراءيل" : ﴿و وٰعدنا﴾ أي على ما لنا من باهر[2] العظمة ﴿موسى ثلٰثين﴾ أي مناجاة ثلاثين ﴿ليلة﴾ أي عقبها ﴿و اتممنٰها﴾ أي المواعدة ﴿بعشر﴾ / أي ليال ، و ذلك لأنه[3] لما مضت ثلاثون ليلة ، و هو شهر[4] /٣٥٠ ١٠ ذي القعدة فيما قيل ، و كان موسى عليه السلام قد صامها ليلها[5] و نهارها ، أدرك من فمه خلوفا فاستاك[2] ، فأعلمه الله أنه قد أفسد ريح فمه ، و أمره بصيام عشرة أيام أخرى [و-[6]] هي عشر ذي الحجة ليرجع ما أزاله من ذلك ، و ذلك لأن[7] موسى عليه السلام كان[2] وعد بني إسرائيل - و هو بمصر - أنه إذا أهلك سبحانه عدوهم ، أتاهم بكتاب من عنده فيه ١٥ بيان ما يأتون و ما يذرون ، فلما أهلك الله عدوهم سأل موسى عليه السلام الكتاب ، فأمره بصوم ثلاثين يوما ثم أمره بالعشر .

و لما كان من الممكن أن يكون الثلاثون هي النهاية ، و تكون مفصلة إلى عشرين ثم عشر ، أزال هذا الاحتمال - بقوله[1] : ﴿فتم ميقات ربه﴾

(١) من ظ ، و في الأصل : اذا (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : انه (٤) في ظ : عشر (٥) في ظ : ليتها (٦) زيد من ظ (٧) في ظ : انه (٨) من ظ ، و في الأصل : بقولكم .



أي

أي الذي قدره في الأزل لأن يناجيه بعده - بالفاء ﴿اربعين﴾ و لما كانت[1]
العشر غير صريحة في الليالي، قال: ﴿ليلة ؕ﴾ فانتفى أن تكون[2] ساعات مثلا،
و عبر بالميقات لأنه ما قدر فيه عمل من الأعمال، و أما الوقت فزمان
الشيء سواء كان مقدرا أم لا، و عبر بالرب إشارة إلى اللطف به و العطف
عليه و الرحمة له، و الميقات هو الأربعون - قاله الفارسي في الحجة، ٥
و قدر انتصاب أربعين بـ «معدودا هذا العدد» كما تقول[3]: تم القوم
عشرين، أي معدودين هذا العدد، و أجمل سبحانه الأربعين في البقرة
لأن المراد بذلك السياق تذكيرهم[4] بالنعم الجسام و المنّ إليهم بالإحسان
و الإكرام، ليكون ذلك أدعى إلى رجوعهم[5] إلى الإيمان و أمكن
في نزوعهم عن الكفران بدليل[6] ما سبق قصتهم من قوله "يٰايها ١٠
الناس اعبدوا ربكم[7]"، "كيف تكفرون بالله[8]" و ما اكتنفها
أولا و آخرا من قوله "يٰبني اسراءيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم[9]" -
الآيتين المبدوء بها و المختوم بها، و فصل هنا الأربعين إلى ثلاثين و عشر،
لأن المراد بهذا السياق - كما تقدم - بيان كفرهم و مرودهم على خزيهم
و مكرهم و أنه لم ينفعهم سؤال المعجزات، و لا أغنى عنهم شيئا تواتر ١٥
النعم و الآيات، كما كان ذلك في قصص الأمم الخالية و القرون الماضية
عمن ذكر في هذه السورة استدلالا - كما تقدم - على أن المفسد أكثر

---

(١) في ظ: كان (٢) من ظ، و في الأصل: يكون (٣) من ظ، و في الأصل:
يقول (٤) من ظ، و في الأصل: و تذكرهم (٥) من ظ، و في الأصل: وجوههم.
(٦) في ظ: بذلك (٧) آية ٢١ (٨) آية ٢٨ (٩) آية ٤٠.

من المصلح - إلى غير ذلك مما[1] أجمل فى قوله تعالى "و ما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها" - إلى آخره، و تسلية لهذا النبى الكريم و ترهيبا لقومه لما وقع لهم من العقاب الأليم، و الفصل بين السياقين يدق إلا عن أولى البصائر - و الله أعلم. فيكون[2] المراد بتفصيل الأربعين هنا بيان أن ٥ إبطاء موسى عليه السلام عما[3] علموه من الميعاد إنما كان لعشرة أيام، فارتكبوا فيها هذه الجريمة التى هى أعظم الجرائم. و أشار تعالى إلى عظيم جرأتهم[4] و عراقتهم فى السفه[4] بقوله عاطفا على "وعدنا -[5]": ﴿و قال موسى﴾ أى لما واعدناه ﴿لاخيه﴾ ثم بينه تصريحا باسمه فقال: ﴿هرون اخلفنى﴾ أى كن خليفتى فيهم تفعل ما كنت أفعل، و أكد الارتسام بما يحده له ١٠ بقوله: ﴿فى قومى﴾ و أشار إلى حثه على الاجتهاد بقوله: ﴿و اصلح﴾ أى كن على ما أنت عليه من إيقاع الإصلاح.

و لما كان عالما بأنه[6] صلى الله عليه و سلم مبرأ من السوء غير أن عنده لينا، قال: ﴿و لا تتبع﴾ أى تكلف نفسك غير ما طبعت عليه بأن تتبع ﴿سبيل المفسدين﴾ أى استصلاحا لهم و خوفا من تنفيرهم، فاختلفوا ١٥ عن الطريق كما تفرس فيهم موسى عليه السلام و لم يذكروا عاقبة /٣٥١ فلا هم خافوا بطش من بطش بمن كان يسومهم[7] سوء العذاب، و لا هم سمعوا لأخيه فى الصلاح، و لا هم انتظروه عشرة أيام، فلا أخف منهم أحلاما و لا أشد على المعاصى إقداما.

---

(١) فى ظ: بما (٢) زيد بعده فى ظ: ان (٣) فى ظ: مما (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: وعدنا (٦) من ظ. و فى الأصل: بان (٧) فى ظ: يسومونهم.

و لما ذكر سبحانه مواعدته و احتياطه فى إصلاح قومه، شرح أمره حال المواعدة و حالهم بعد غيبته عنهم فقال: ﴿ و لما جآء موسى لميقاتنا ﴾ أى[1] عند أول الوقت الذى قدرناه للناجاة؛ [2] و لما كان مقام الجلال مهولا لا يستطاع وعى الكلام معه، التفت إلى مقام الإكرام فقال[2]: ﴿ و كلمه ﴾ أى[1] من غير واسطة ﴿ ربه لا ﴾ أى المحسن إليه بأنواع الإحسان ٥ المتفضل على قومه بأنواع الامتنان. و الذى سمعه موسى عليه السلام عند أهل السنة من الأشاعرة[3] هو الصفة الأزلية من غير صوت و لا حرف، و لا بعد فى ذلك كما لا بعد فى رؤية ذاته سبحانه و هى ليست بجسم و[4] لا عرض لا جوهر[4]، و ليس كمثله شيء، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سبحانه كلمه فى جميع الميقات و كتب له الألواح، و قيل: إنما كلمه ١٠ فى أول الأربعين، و الأول أولى.

و لما كلمه بصفة الربوبية الناظرة إلى العطف و اللطف، و كانت الرؤية جائزة، اشتاق إلى الرؤية شوقا لم يتمالك معه لما استحلاه من لذاذة[5] الخطاب فسألها لعلمه أنها جائزة ﴿ قال ﴾ [ مسقطا الأداة كعادة أهل القرب - [6] ] ﴿ رب ارنى ﴾ أى ذاتك الأقدس[7] بأن ترفع ١٥ عنى الحجاب فتجعلنى متمكنا من النظر، و هو معنى قول الحبر ابن عباس: أعطنى، [ و حقق أنها رؤية العين بقوله فى جواب الأمر - [6] ] ﴿ انظر ﴾ [ أى أصوب تحديق العين - [6] ] و أشار إلى عظمته سبحانه و علو شأنه

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: الآيات. (٤-٤) فى ظ: لا جوهر ولا عرض (٥) فى ظ: لذات (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) فى ظ: المقدس.

[ علو العظمة لا المسافة -[1] ] بالتعدية بحرف النهاية [ بعد أن أشار بحذف أداة النداء إلى غاية القرب بالإحسان -[1] ] فقال[2] : ﴿ اليك ط ﴾ أى فأراك .

و لما كان سبحانه قد قضى أنه عليه السلام لا يراه فى الدنيا ﴿ قال ﴾
٥ نافيا المقصود ، و هو الرؤية لامقدمتها ، و هو النظر الذى هو التحديق بالعين ﴿ لن ترٰنى ﴾ و دل سبحانه بهذه العبارة على جواز رؤيته حيث لم يقل : لن أرى ، أو لن يرانى أحد ؛ ثم زاد ذلك بيانا بتعليقه بممكن فقال : ﴿ و لكن انظر الى الجبل ﴾ إشارة إلى جبل بعهده ، و هو أعظم جبل هناك ، [ و زاد فى الإشارة إلى إمكان الرؤية بالتعبير بأداة الشك
١٠ و اتباعها بأمر ممكن فقال -[1] ] : ﴿ فان استقر مكانه ﴾ أى وجد قراره وجودا تاما ، و أشار إلى بعد الرؤية أيضا و جلالة المطلوب منها بقوله : ﴿ فسوف ترٰنى ج ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ فلما تجلى ربه ﴾ أى المحسن إليه[2] بكل عطاء و منع ، [ و بين بتعبيره باللام أنه تجلى قربه و خصوصيته ، و لو عبر بعلى مثلا لكان أمر آخر فقال -[1] ] : ﴿ للجبل ﴾ أى بأن
١٥ كشف للجبل عما شاء من حجب عظمته ﴿ جعله دكا ﴾ أى مدكوكا ، و الدك و الدق أخوان ﴿ و خر ﴾ أى وقع ﴿ موسى صعقا ج ﴾ أى مغشيا عليه مع صوت هائل ، فعلم أن معنى الاستدراك أنك لن تثبت لرؤيتى فى هذه الدار و لا تعرف[3] ذلك الآن ، و لكنك تعرفه بمثال أريكه و هو الجبل ، [ فان الفانى - كما نقل عن الإمام مالك - لا ينبغى له أن يرى

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لايعرف .

الباقى

الباقى -[1] ] ﴿فلمآ افاق﴾ أى من غشيته ﴿قال سبحٰنك﴾ أى تنزيها لك
عن أن أطلب منك ما لم تأذن فيه ﴿تبت اليك﴾ أى من ذلك
﴿و انآ اول المؤمنين ۝﴾ أى مبادر غاية المبادرة إلى الإيمان بكل ما[2] أخبرت
به كل ما تضمنته هذه الآيات ، [ فتعبيره بالإيمان فى غاية المناسبة لعدم الرؤية
لأن شرط الإيمان أن يكون بالغيب ، فقد ورد فى نبينا صلى الله عليه ٥
و سلم آيتان : إحداهما يمكن أن تشير إلى الرؤية بالتعبير بالمسلمين دون
المؤمنين فى قوله "و انا اول المسلمين[3]" و الثانية تؤمى إلى عدمها و هى
"امن الرسول - إلى قوله - كل امن بالله[4]" - و الله أعلم -[1] ] ، و كل هذا
تبكيت على قومه و تبكيت لهم فى عبادتهم العجل و ردع لهم عن[5] ذلك ،
و تنبيه لهم على أن الإلهية مقرونة بالعظمة و الكبر بعيدة جدا عن ذوى ١٠
الأجسام لما يعلم سبحانه من أنهم سيكررون عبادة الأصنام ، فأثبت للاله
الحق الكلام[6] و التردى عن الرؤية بحجاب الكبر و العظمة و اندكاك الجبل
عند تجليه و نصب الشرع الهادى إلى أقوم سبيل تعريضا بالعجل ، و إلى
ذلك يرشد / قوله تعالى "الم يروا انه لايكلمهم" - الآية . / ٣٥٢

و لما منعه الرؤية بعد طلبه إياها ، و قابل ذلك بمحاسن الأفعال ١٥
و الأقوال ، تشوف السامع إلى ما قوبل به من الإكرام ، فاستأنف سبحانه
الإخبار بما منحه به تسلية له عما منعه و أمرا[7] بشكره بقوله : ﴿قال يٰموسىٓ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٦ آية ١٦٣ .
سورة ٢ آية ٢٨٥ (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : الانام (٧) من ظ ، و فى
الأصل : امر .

مذكرا له نعمه فى سياق دال على عظيم قدرها و إيجاب شكرها مسقطا عنه مظهر العظمة تأنيسا له و رفقا [ به - ] ﴿ انى اصطفيتك ﴾ أى اخترتك اختيارا بالغا كما يختار ما يصفى من الشيء عن كل دنس ﴿ على الناس ﴾ أى الذين فى زمانك ﴿ برسلتى ﴾ أى الآيات المستكثرة التى أظهرتها ٥ و أظهرها على يديك[2] [من أسفار التوراة و غيرها -[1]] ﴿ و بكلامى ﴾ أى من غير واسطة ، و كأنه أعاد حرف الجر للتنبيه على ذلك ، كما اصطفى محمدا صلى الله عليه و سلم على الناس عامة فى كل زمان برسالته[3] العامة و بكلامه المعجز و بتكليمه من غير واسطة فى السماء التى قدست دائما و نزهت عن التدنيس بمعصية .

١٠ و لما كان ذلك مقتضيا لغاية الإقبال و النشاط ، سبب عنه قوله : ﴿ فخذ مآ ءاتيتك ﴾ أى مخصصا لك[4] به ﴿ و كن من الشكرين ﴾ أى العريقين فى صفة الشكر المجبولين عليها .

و لما انقضى ما أنسه سبحانه به[5] ، لفت الكلام - فى الإخبار لنا عن عظيم ما آتاه - لى مظهر العظمة ، فقال مفصلا لتلك الرسالة و مبينا بعض ١٥ ما كان من الكلام : ﴿ و كتبنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ له فى الالواح ﴾ عرفها لعظمتها تنبيها على أنها لجلالة ما اختصت به كأنها المختصة بهذا الاسم ، و أعظم من هذا جعل قلب النبى الأمى لوحا قابلا لما يلقى إليه جامعا لعلوم الأولين و الآخرين ﴿ من كل شيء ﴾ أى يحتاجه بنو إسرائيل ، و ذلك هو العشر الآيات التى نسبتها إلى التوراة نسبة الفاتحة إلى القرآن ، ففيها

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يدك (٣) زيد بعده فى ظ : اى (٤) فى ظ : له .
(٥) سقط من ظ .

أصول الدين و أصول الأحكام و التذكير بالنعم و الأمر بالزهد و الورع و لزوم محاسن الأعمال و البعد عن مساويها ، و لذا قال مبدلا : ﴿ موعظة و تفصيلا ﴾ أى على وجازتها بما كانت سببا ﴿ لكل شيء ج ﴾ أى لأنها - مع كونها أمهات و جوامع - مفصلة ترجع إليها بحور العلم و تنشق[1] منها ينابيعها . ٥

و لما كان هذا هكذا ، تسبب عنه حتما قوله تعالى التفاتا إلى خطاب موسى عليه السلام بخطاب التأنيس إشارة إلى أن التزام التكاليف صعب : ﴿ فخذها ﴾ أى الألواح ﴿ بقوة ﴾ أى بجد و عزيمة فى العلم[2] و العمل ﴿ و أمر قومك ﴾ أى الأقوياء على محاولة ما يراد ﴿ يأخذوا بأحسنها ط ﴾ كأنه سبحانه أطلق لموسى عليه السلام الأخذ بكل ما فيها لما عنده من ١٠ الملكة الحاجزة له [3]عن شيء من المجاوزة[3] ، و لذلك قال له " بقوة " و قيدهم بالأحسن[4] ليكون الحسن جدا مانعا لهم من الوصول إلى القبيح ، و ذلك كالاقتصاص[5] و العفو و الانتصار و الصبر .

و لما كان كأنه قيل : و هل يترك الأحسن أحد ؟ فقيل : نعم ، الفاسق يتركه ، بل و يتجاوز الحسن إلى القبيح ، بل و إلى أقبح القبيح ، ١٥ و من تركه أهلكته و إن جل آله و عظمت جنوده و أمواله ، قال كالتعليل لذلك : ﴿ ساوريكم دار الفسقين ه ﴾ أى الذين يخرجون عن أوامرى إلى ما أنهاهم عنه فأنصركم عليهم و أمكنكم بفسقهم من رقابهم و أموالهم من

(١) من ظ ، و فى الأصل : ينشق (٢) فى ظ : العمل - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : كالاقتصاد .

الكنعانيين و الحاثانيين و غيرهم من سكان الأراضي المقدسة لتعلموا
أن من أغضبني و ترك أمري أمكنت منه ، و إنما ذكر الدار لئلا تغرهم
منعتها إذا استقروا بها فيظنوا أن / لا غالب [لهم -[1]] فيها بوعورة أرضها ٣٥٣ /
و شهوق جبالها و إحكام أسوارها ، و إذا تأملت ما سيأتي في[2] شرح هذه
٥ الآيات من التوراة لاح لك هذا المعنى ، وكذا ما ذكر من التوراة عند
قوله في المائدة " قل هل انبئكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله[3] "
و في هذه الجملة المختصرة بشارة بإتمام الوعد بنصرتهم عليهم بطاعتهم و نذارة
على تقدير معصيتهم ، فكأنه قيل : إن أخذوا بالأحسن أريتهم دار
الفاسقين ، [4]و أتممت عليهم النعمة ما داموا على الشكر ، و إن لم يأخذوا
١٠ أهلكتهم كما أهلك الفاسقين من بين أيديهم[4] ، لحذرهم لئلا يفعلوا أفعالهم
إذا استقرت بهم الدار ، و زالت عنهم الأكدار ، و يؤيد كون المراد
القدس لا مصر قراءة من قرأ : سأورثكم - من الإرث ، لأنها[5] هي المقصودة
بإخراجهم من مصر و بعث موسى عليه السلام ، و لا ينفي ذلك احتمال
مصر أيضا - و الله أعلم .

١٥ و لما انقضى ذلك ، كان كأنه قيل : و كيف يختار عاقل ذلك ؟
فكيف بمن رأى الآيات و شاهد المعجزات ؟ فقال : ﴿ساصرف عن اٰيٰتى﴾
أي المسموعة و المرئية على عظمتها بما أشارت إليه الإضافة بالصرف عن
فهمها[6] و اتباعها و القدرة على الطعن فيها بما يؤثر في إبطالها

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : من (٣) آية ٦٠ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) في ظ : انها (٦) من ظ ، وفي الأصل : نصها .

الذين

﴿ الذين يتكبرون ﴾ أي يطلبون الكبر بما ليس لهم و يعملون قوامهم فيه ﴿ في الارض ﴾ أي جنسها الذي أمرت بالتواضع فيه .

و لما كان من رفعه الله بصفة فاضلة فوضع نفسه موضعها و لم يهنها نظرا لما أنعم الله به عليه و منحه إياه ربما سمي ذلك[1] كبرا، و ربما سمي طلبه لتلك الأخلاق التي توجب رفعته تكبرا، [و ليس كذلك و إن وافقه ٥ في الصورة، لمفارقته له في المعنى فانه صيانة النفس عن الذل، و هو إنزال النفس دون منزلتها صنعة لا تواضعا، و الكبر رد الحق و احتقار الناس، ففي التقييد هنا إشارة خفية لإثبات العزة بالحق و الوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الصنعة وقوفا على شرط العزم المنصوب على متن نار الكبر؛ قال الإمام السهروردي: و لا يؤيد في ذلك و يثبت عليه ١٠ إلا أقدام العلماء الراسخين -[2]]. قال تعالى احترازا عنه و مدخلا كل كبر [خلا -[2]] عن الحق الكامل: ﴿ بغير الحق[4] ﴾ أي إنما يختار غير الأحسن من يختاره بقضائي الذي لا يرد و أمري العالي على أمر كل ذي جد فأزين لمن علمت خباثة[3] عنصره و رداءة جوهره ما أريد حتى[4] يرتكبوا[5] كل قبيحة و يتركوا[6] كل مليحة، فينصرفون عن الآيات و يعمون عن الدلالات ١٥ الواضحات .

و لما أخبر بتكبرهم في الحال، عطف عليه فعلهم في المآل فقال: ﴿ و ان يروا كل اٰية ﴾ أي مرئية أو مسموعة ﴿ لا يؤمنوا بها[7] ج ﴾ أي لتكبرهم

---

(١) زيد في ظ : منه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : جناية (٤) في ظ : على (٥) من ظ ، وفي الأصل : ترتكبوا (٦) من ظ ، و في الأصل : تتركوا (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم .

عن الحق ﴿ و ان يروا سبيل ﴾ أى طريق ﴿ الرشد ﴾ أى الصلاح و الصواب الذى هو[1] أهل للسلوك ﴿ لا يتخذوه سبيلا ج ﴾ أى فلا يسلكونه بقصد منهم و نظر و تعمد ، بل إن سلكوه فعن غير قصد ﴿ و ان يروا سبيل الغى ﴾ أى الضلال ﴿ يتخذوه سبيلا[1] ﴾ أى بغاية ٥ الشهوة و التعمد و الاعتمال لسلوكه.

و لما كان هذا محل عجب ، أجاب من يسأل عنه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الصرف العظيم [ الذى زاد عن مطلق الصرف بالعمى عن الإيمان و اتخاذ الرشاد -[2] ] ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كذبوا بايٰتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿ و كانوا عنها ﴾ [ أى -[2] ] خاصة جبلة و طبعا ١٠ ﴿ غٰفلين ه ﴾ أى كان دأبهم و ديدنهم معاملتهم لها بالإعراض عنها حتى كأنها مغفول عنها فهم لذلك يصرون على ما يقع منهم .

و لما ذكر أحوال المتكبرين الذين أداهم كبرهم إلى التكذيب فى الدنيا ، ذكر أحوالهم فى الآخرة فقال : ﴿ و الذين[3] ﴾ أى كذبوا بها و الحال أن الذين ﴿ كذبوا بايٰتنا ﴾ أى فلم يعتبروا عظمتها[4] ﴿ و لقآء الأخرة ﴾ ١٥ أى و لقائهم إياها أو و لقائهم ما وعدوا به فيها ، اللازم من التكذيب بالآيات الحامل التصديق بها[5] على معالى الأخلاق ﴿ حبطت ﴾ أى فسدت فسقطت ﴿ اعمالهم[1] ﴾ [ و الآية من الاحتباك : إثبات الغفلة أولا يدل على إرادتها ثانيا ، و اللقاء ثانيا يدل على إرادته أولا -[2] ] .

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : كذبوا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : عظمتنا (٥) من ظ ، وفى الأصل : به .

و لما كان كأنه / قيل: لم بطلت؟ قيل: ﴿ هل يجزون الا ما ﴾ أى جزاء ما ﴿ كانوا يعملون ﴾ أى[1] بابطال أعمالهم و إن عملوا كل حسن سوى الإيمان بسبب أنهم أبطلوا الآيات و الآخرة بتكذيبهم بها، أى عدوها باطلة، و الجزاء من جنس العمل، و الحاصل[2] أنهم لما عموا عن الآيات لأنهم لم[3] ينظروا فيها و لا انقادوا مع ما دلت عقولهم عليه من أمرها، بل سدوا باب الفكر فيها: زادهم الله عمى نختم على مداركهم، فصارت لا ينتفع بها فصاروا لا يعون، و هذه الآيات أعظم زاجر[4] عن التكبر، فانها بينت أنه يوجب الكفر و الإصرار عليه و الوهن فى جميع الأمور؛ و لما كان ذلك[5] كله مما يتعجب الموفق[6] من ارتكابه، أعقبه تعالى مبينا[7] و مصورا و محققا لوقوعه و مقررا قوله عطفا على "فاتوا على قوم يعكفون" مبينا[7] لإسراعهم فى الكفر: ﴿ و اتخذ ﴾ أى بغاية الرغبة ﴿ قوم موسى ﴾ أى باتخاذ السامرى و رضاهم، و لم يعتبروا شيئا مما أتاهم به من تلك الآيات التى لم ير مثلها ﴿ من بعده ﴾ أى من بعد إبطائه عنهم بالعشرة[8] الأيام التى أتممنا بها الأربعين ﴿ من حليهم ﴾ أى التى كانت معهم من مالهم و مما استعاروه من القبط ﴿ عجلا ﴾ و لما كان العجل إسما لولد البقر، بين أنه إنما يشبه صورته فقط، فقال مبدلا منه: ﴿ جسدا ﴾ .

و لما كان الإخبار بأنه جسد مفهما لأنه خال مما يشبه الناشىء[9]

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: الظاهر (٣) من ظ، و فى الأصل: لا (٤) فى ظ: زاجرا (٥) فى ظ: هذا (٦) فى ظ: الموقف (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: بالعشر (٩) فى ظ: الناسى.

عن الروح ، قال : ﴿ له خوار [٤] ﴾ أى صوت كصوت البقر ، و المعنى أنه لا أضل و لا أعمى من قوم كان معهم حلى أخذوه ممن كانوا يستعبدونهم و يؤذونهم و هم مع ذلك أكفر الكفرة [١] فكان جديرا بالبغض [٢] لكونه من آثار [٣] الظالمين الأعداء فاعتقدوا أنه بالصوغ صار ٥ إلها و بالغوا فى حبه و العبودية له و هو جسد يرونه و يلمسونه ، و نبيهم الذى هداهم الله به و اصطفاه لكلامه يسأل رؤية الله فلا يصل إليها .

و لما لم يكن فى الكلام نص باتخاذه إلها ، دل على ذلك بالإنكار عليهم [٤] فى قوله : ﴿ الم يروا ﴾ أى الذين اتخذوه إلها ﴿ انه لايكلمهم ﴾ أى كما [٥] كلم الله موسى عليه السلام ﴿ و لا يهديهم سبيلا ؕ ﴾ كما هداهم الله ١٠ تعالى إلى سبيل النجاة ، منها سلوكهم فى البحر الذى كان [٥] سببا لإهلاك عدوهم كما كان سببا لنجاتهم ؛ قال أبو حيان : سلب عنه هذين الوصفين دون باقى أوصاف الإلهية لأن انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم ، و انتفاء الهداية إلى سبيل [ يستلزم - [٦] ] انتفاء القدرة ، و انتفاء هذين الوصفين يستلزم انتفاء باقى الأوصاف .

١٥ و لما كان هذا أمرا عظيما جدا مستبعد الوقوع و لاسيما من قوم نبيهم [بينهم - [٧]] و لاسيما و قد أراهم من النعم و الآيات ما ملأت أنواره الآفاق ، كان جديرا بالتأكيد فقال تعالى : ﴿ اتخذوه ﴾ أى بغاية الجد و النشاط و الشهوة ﴿ و كانوا ﴾ أى جبلة و [٨] طبعا مع ما أثبت لهم من الأنوار [٩]

---

(١) فى ظ : الكفر (٢) فى ظ : بالغضب (٣) من ظ ، و فى الأصل : اماء - كذا . (٤) فى ظ عليه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من البحر المحيط ٤/٣٩٣ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : او (٩) فى ظ : الانواع .

﴿ ظلمين ه ﴾ أى حالهم حال من يمشى فى الظلام ، أو أن المقصود أن الظلم وصف لهم لازم ، فلا بدع إذا فعلوا أمثال ذلك .

و لما كان هذا فى سياق "ذلك بانهم كذبوا بايٰتنا و كانوا عنها غفلين" فأنتج[1] أن من كذب على هذه الصفة أهلك ، فانتظر السامع الإخبار بتعجيل هلاكهم ، أخبر بأنه منعهم من ذلك و حرسهم المبادرة بالتوبة ؛ و لما اشتد ٥ من تشوف / السامع إليه ، قدمه على سببه و هو رجوع موسى عليه السلام / ٣٥٥ إليهم و إنكاره عليهم ، و لأن السياق فى ذكر إسراعهم فى الفسق لم يذكر قبول[2] توبتهم كما فى البقرة ؛ و لما كان من المعلوم أنهم تبين لهم عن قرب سوء مرتكبهم لكون نبيهم فيهم ، عبر بما أفهم أن التقدير : فسقط فى أيديهم ، و عطف عليه [ قوله - [3] ] سائقا له مساق ما هو معروف : ١٠ ﴿ و لما سقط ﴾ أى سقطت أسنانهم ﴿ فى ايديهم ﴾ بعضها ندما سقوطا[4] كأنه بغير اختيار لما غلب فيه من الوجد و الأسف الذى أزال تأملهم و لذلك بناه للفعول ﴿ و راوا انهم قد ضلوا لا ﴾ أى عن الطريق الواضح ﴿ قالوا ﴾ توبة و رجوعا إلى الله كما قال[5] أبوهم آدم[5] عليه السلام ﴿ لئن لم يرحمنا ربنا ﴾ أى الذى لم يقطع قط إحسانه عنا فيكف غضبه ١٥ و يديم إحسانه ﴿ و يغفر لنا ﴾ أى يمحو ذنوبنا عينا و أثرا لئلا ينتقم منا فى المستقبل ﴿ لنكونن من الخسرين ه ﴾ أى فينتقم منا بذنوبنا .

و لما أخبر بالسبب[6] فى تأخير الانتقام عنهم مع مساواتهم لمن أوقعت

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : انتج (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيقول (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : سقطا (٥-٥) فى ظ : ابراهيم (٦) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

بهم النقمة فى موجب الانتقام. أخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه إليهم من الغضب لله و التبكيت لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة و التواضع فقال: ﴿و لما رجع موسىٓ﴾ أى من المناجاة ﴿الى قومه غضبان﴾ أى فى حال رجوعه لما أخبره الله ٥ تعالى عنهم من عبادة العجل ﴿اسفا لا﴾ أى شديد الغضب و الحزن ﴿قال بئسما﴾ أى خلافة خلافتكم التى ﴿خلفتمونى﴾ أى قمتم مقامى و فعلتم خلفى.

و لما كان هذا ربما أوهم أنهم فعلوه من ورائه و هو حاضر فى طرف العسكر، قال: ﴿من بعدى ج﴾ أى حيث عبدتم غير الله [1]أيها العبدة، ١٠ و حيث لم تكفوهم[1] أيها الموحدون بعد ذهابى إلى الجبل للواعدة الإلهية و بعد ما سمعتم منى من التوحيد لله تعالى و إفراده عن خلقه بالعبادة و نفى الشركاء عنه، و قد رأيتم حين كففتكم و زجرتكم عن عبادة غيره حين قلتم "اجعل لنا الٰها كما لهم اٰلهة" و من حق الخلفاء أن يسيروا سيرة[2] المستخلف و لا يخالفوه فى شيء.

١٥ و لما كان قد أمرهم أن لا يحدثوا حدثا حتى يعود إليهم، أنكر عليهم عدم انتظاره فقال: ﴿اعجلتم﴾ قال الصغانى[3] فى المجمع: سبقتم، و قال غيره: عجل عن الأمر - إذا تركه[4] غير تام، و يضمن معنى سبق، فالمعنى:

---

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: سير (٣) هو الحسن بن محمد ابن الحسن القرشى اللاهورى له مجمع البحرين فى اللغة - راجع معجم المؤلفين ٣/٢٧٩ (٤) فى ظ: تركته.

سابقين[1] ﴿امر ربكم ج﴾ أى ميعاد الذى ما زال محسنا إليكم، أى فعلتم هذا قبل بلوغ أمر الموعد الذى زاد فيه ربى و هو العشرة الأيام برجوعى إليكم إلى حده، فظننتم أنى مت فغيرتم كما غيرت الأمم بعد موت أنبيائها؛ و قال الإمام أبو عبد الله القزاز أيضا: عجلتم: سبقتم، و منه تقول: عجلت فلانا: سبقته، و أسنده ابن التيانى إلى الأصمعى ﴿و القى الالواح﴾ أى التى فيها التوراة غضبا لله و إرهابا لقومه، و دل هذا على أن الغضب بلغ منه حدا لم يتمالك معه، و ذلك فى الله تعالى ﴿و اخذ براس اخيه﴾ أى بشعره ﴿يجرّه اليه ط﴾ أى بناء على أنه قصر و إعلاما لهم بأن الغضب من هذا الفعل قد بلغ منه مبلغا يجل عن الوصف، لأنه اجتثات[2] للدين من أصله .

و لما كان هارون عليه السلام [3]غير مقصر فى نهيهم، أخذ فى إعلام موسى عليه السلام[3] بذلك [مخصصا الأم و إن كان شقيقه -[4]] تذكيرا له بالرحم الموجبة للعطف و الرقة و لا سيما و هى مؤمنة و قد قاست فيه المخاوف، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك بقوله: ﴿قال ابن[5] ام﴾ و حذف أداة النداء و ياء الإضافة لما يقتضيه الحال من الإيجاز، و فتح الجمهور الميم تشبيها [له -[4]] بخمسة عشر و على حذف الألف المبدلة من ياء الإضافة، و كسر الميم ابن عامر و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم بتقدير حذف ياء الإضافة تخفيفا / ﴿ان القوم﴾ أى عبدة العجل الذين

---

(١) فى ظ: سابق (٢) من ظ، و فى الأصل: اجتياز (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: يابن .

يعرف قيامهم فى الأمور التى يريدونها ﴿ استضعفونى ﴾ أى عدونى ضعيفا و أوجدوا ضعفى بارهابهم لى ﴿ و كادوا يقتلوننى ﴾ أى قاربوا ذلك لإنكارى[1] ما فعلوه [ فسقط عنى الوجوب - [2] ] .

و لما تسبب عن ذلك إطلاقه، خاف أن يمنعه الغضب من ثبات ٥ ذلك فى ذهنه و تقرره فى قلبه فقال : ﴿ فلا تشمت بى الاعدآء ﴾ أى لا تسرهم بما تفعل بى فأكون ملوما منهم و منك ؛ و لما استعطفه بالتذكير بالشماتة التى هى شماتة به أيضا، أتبعه ضررا يخصه فقال : ﴿ و لا تجعلنى ﴾ أى بمؤاخذتك لى ﴿ مع القوم الظلمين ﴾ أى فتقطعن بعدّك لى معهم و جعلى فى زمرتهم عمن أحبه من الصالحين ، و تصلنى[3] بمن أبغضه من ١٠ الفاسدين الذين[4] فعلوا فعل من هو فى الظلام ، فوضعوا العبادة فى غير موضعها من غير شبهة و لا لبس أصلا .

و لما تبين له ما هو اللائق بمنصب أخيه الشريف من أنه لم يقصر[5] فى دعائهم إلى الله و لا ونى فى نهيهم عن الضلال ، و رأى أن ما ظهر له[6] من الغضب مرهب[7] لقومه وازع لهم عما ارتكبوا ، دعاء له و لنفسه ١٥ مع الاعتراف بالعجز و أنه لا يسع أحدا إلا العفو ، و ساق سبحانه ذلك مساق الجواب لسؤال بقوله : ﴿ قال رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ﴿ اغفر لى ﴾ أى ما حملنى عليه الغضب لك من إيقاعى بأخى ﴿ و لاخى ﴾ أى فى كونه لما يبلغ ما كنت أريده منه من جهادهم .

و لما دعا بمحو التقصير ، أتبعه الإكرام فقال : ﴿ و ادخلنا ﴾ أى

---

(١) فى ظ : لانكار (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : تسرلى (٤) فى ظ : الذى (٥) فى ظ : لم يقتصر (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : موجب .



أنا

أنا و أخي و كل من انتظم معنا ﴿ في رحمتك صلے ﴾ لتكون غامرة لنا محيطة بنا ؛
و لما كان التقدير: فأنت خير الغافرين، عطف عليه: ﴿ وانت ارحم الرّٰحمين ؏ ﴾
أي لأنك تنعم بما لا يحصره الحد و لا يحصيه العد من غير نفع يصل إليك
و لا أذى يلحقك بفعل ذلك و لا تركه .

و لما كان السؤال له و لأخيه و هما معصومان من الذنوب ، طوى ٥
ما يتعلق بالمغفرة و ذكر متعلق الرحمـة بخلاف ما يأتي في السؤال له
و للسبعين من قومه فانه عكس فيه ذلك ؛ و لما صحت براءة الخليفة ،
و أشير إلى أنه مع ذلك فقير إلى المغفرة ، التفتت[1] النفس إلى حال
المفسدين فقال مخبرا عن ذلك : ﴿ ان الذين اتخذوا العجل ﴾ أي رغبوا
رغبة تامة في أخذهم إلـٰها مع المخالفة لما ركز[2] في الفطرة الأولى و دعاهم ١٠
إليه الكليم عليه السلام ﴿ سينالهم ﴾ أي بوعد لا خلف فيه ﴿ غضب ﴾
أي عقوبة فيها طرد أو إبعاد ، و لعله ما أمروا به من قتل أنفسهم ، و أشار
إلى أنه فيه رفق بهم و حسن تربية لتوبة من يبقى منهم بقوله : ﴿ من ربهم ﴾
أي الذي لا محسن إليهم غيره ، يلحقهم في الدنيا و يتبعهم في الآخرة
﴿ و ذلة في الحيوٰة الدنيا ط ﴾ أي جزا لهم على افترائهم و كذلك[3] من رضي ١٥
فعلهم و لا سيما إن كان من أولادهم كقريظة و النضير و أهل خيبر
﴿ و كذلك ﴾ أي و مثل جزائهم ﴿ نجزي المفترين ﴾ أي المتعمدين
للكذب ، و هذا نص في أن كل مفتر ذليل - كما هو المشاهد - و إن
أظهر الجراءة بعضهم .

(١) من ظ ، و في الأصل : التفت (٢) في ظ : ذكر (٣) في ظ : ذلك .

و لما ذكر المصرين على المعصية، عطف عليه التائبين ترغيبا فى مثل حالهم فقال: ﴿ و الذين عملوا السيّات ﴾ عبر بالعمل إشارة إلى بالعفو و إن أقدموا عليها على علم ، و جمع إعلاما بأنه لا يتعاظمه ذنب و إن عظم و كثر و إن طال زمانه ، و لذلك عطف بأداة البعد فقال : ﴿ ثم تابوا ﴾

٥ و حقق الأمر و نفى المجاز بقوله: ﴿ من بعدها ﴾ ثم ذكر الأساس الذى لا يقبل عمل لم يبن عليه على وجه يفهم أنه لا فرق بين أن يكون فى السيئات ردة أو لا فقال: ﴿ و اٰمنوآ ﴾ ثم أجاب المبتدأ بقوله: ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بقبول توبة التائبين لما / سيرك[1] من ذلك لأنك بهم رؤف ٣٥٧/ رحيم ﴿ من بعدها ﴾ أى التوبة ﴿ لغفور ﴾ أى محاء لذنوب التائبين

١٠ عينا و أثرا و إن عظمت و كثرت ﴿ رحيم ﴾ أى فاعل بهم فعل الرحيم من البر و الإكرام و اللطف و الإنعام ، و كأن المصرين هم الذين قتلوا لما أمرهم موسى عليه السلام بقتل أنفسهم ، فلما أهلك المصر و تاب الباقى ، و صحت براءة أخيه و بقاؤه على رتبته من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الاجتهاد فى أمر الله، زال موجب الغضب فأخبر سبحانه

١٥ عما يعقبه[2] فقال: ﴿ و لما سكت ﴾ أى كف ، شبه الغضب بمتكلم كان يحث موسى عليه السلام و يغريه على ما يوجبه و يقتضيه ، فلما[3] شفى غيظه سكن و قطع كلامه فخلفه ضده و هو الرضى ﴿ عن موسى الغضب ﴾ وهو غليان القلب بما يتأذى[4] به النفس ﴿ اخذ الالواحَ ﴾ أى التى جاء

(١) من ظ ، و فى الأصل: سرك (٢) فى ظ : تعقبه (٣) من ظ ، و فى الأصل : على - كذا (٤) فى ظ : تتاذى .

بها من عند الله بعد ما ألقاها ﴿ وفى ﴾ أى والحال أنه فى ﴿ نسختها ﴾ أى الأمر المكتوب فيها، فعلة بمعنى مفعولة، وعن ابن عباس أنه لما ألقاها صام - [1]مثل ما كان صام[1] للمناجاة - أربعين يوما أخرى، فردت عليه فى لوحين مكان ما تكسر[2]. ﴿ هدى ﴾ أى شىء[3] موضح للقاصد ﴿ ورحمة ﴾ أى سبب الاكرام ﴿ للذين هم لربهم ﴾ أى لا لغيره ﴿ يرهبون ﴾ أى هم أهل لأن يخافوا خوفا عظيما مقطعا[4] للقلوب موجبا للهرب ويستمرون على ذلك.

شرح ما فى هذه الآيات من عند قوله "ساوريكم دار الفسقين" من البدائع من التوراة - قال المترجم فى السفر الخامس منها بعد أن بكتهم بعض ما فعلوه مما أوجب لهم الغضب والعقوبة بالتيه وحثهم على لزوم ١٠ أمر الله لينصرهم: وأما الوصايا التى آمركم بها اليوم فاحفظوها واعملوا بها لتحيوا وتكثروا وترثوا الأرض التى أقسم الله لآبائكم فتذكروا كل الطريق الذى سيركم الله ربكم فيه، ودبركم منذ أربعين سنة فى البرية ليواضعكم ويجربكم وليعلم[5] ما فى قلوبكم هل تحفظون[6] وصاياه أم لا، فواضعكم وأجاعكم[7] وأطعمكم منا لم تعرفوه أنتم ولا آباؤكم ليبين لكم أنه ليس إنما ١٥ يعيش الإنسان بالخبز فقط، بل إنما يعيش بما يخرج من فم الله، ولم تبل ثيابكم ولم تجف أقدامكم منذ أربعين سنة، احفظوا وصايا الله ربكم وسيروا فى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: تسكر - كذا (٣) سقط من ظ. (٤) من ظ، وفى الأصل: معطما (٥) من ظ، وفى الأصل: يعلم (٦) من ظ، وفى الأصل: يحفظون (٧) فى ظ: اجاعلكم - كذا.

طرقه و اتقوه، لأن الله ربكم هو الذى يدخلكم إلى الأرض المخصبة، أرض كثيرة[١] الأودية و الينابيع و العيون التى تجرى فى الصحارى و الجبال، أرض الحنطة و الشعير، فيها الكروم و التين و الرمان و الزيتون و الدهن و العسل، أرض لا تحتاجون[٢] فيها و لا تأكلون خبزكم بالفقر، و لا يعوزكم

٥ فيها شيء، أرض حجارتها حديد تستخرجون[٣] النحاس من جبالها، فاحتفظوا[٤]، لا تنسوا الله ربكم، و احفظوا وصاياه و شرائعه التى آمركم بها اليوم، لا تبطروا، فاذا أكلتم و شبعتم و بنيتم بيوتا و سكنتموها و كثر غنمكم و بقركم و كثرت أموالكم فتعظم قلوبكم و تنسوا الله ربكم الذى أخرجكم من ارض مصر و أنقذكم من العبودية و دبركم فى البرية المرهوبة العظيمة

١٠ حيث الحيات الحردات و العقارب و فى مواضع العطش و حيث لم يكن لكم ماء، أخرج لكم من ماء الظران[٥]، و أطعمكم منا لم يعرفه[٦] آباؤكم ليواضعكم و يجربكم و يحسن إليكم آخر ذلك، و انظروا، لا تقولوا فى قلوبكم إنا إنما استفدنا هذه الأموال بقوتنا و عزة قلوبنا، و لكن اذكروا الله ربكم الذى قواكم أن تستفيدوا هذه الأموال ليثبت العهد الذى أقسم لآبائكم،

١٥ و إن أنتم نسيتم الله ربكم و تبعتم آلهة أخرى و عبدتموها و سجدتم لها أشهدت عليكم / اليوم فأعلمتكم[٧] أنكم تهلكون [٨]هلاك سوء، كما أهلكت الشعوب التى أباد الرب بين أيديكم كذلك تهلكون[٨]، اسمعوا يا بنى إسرائيل! /٣٥٨

---

(١) من ظ، و فى الأصل: كثير (٢) من ظ، و فى الأصل: لا يحتاجون.
(٣) من ظ، و فى الأصل: يستخرجون (٤) فى ظ: فاحفظوا (٥) جمع الظر و الظر و الظورة: الحجر (٦) فى ظ: لم تعرفه (٧) من ظ، و فى الأصل: اعلمتم - كذا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.



بل

بل أنتم تجوزون اليوم نهر الأردن و تنطلقون[1] لتمتلكوا[2] الشعوب التى
هى أقوى و أعظم منكم و تظفروا[3] بالقرى الكبار المشيدة إلى السماء[4] و بشعب
كبير[4] عظيم بنى[5] الجبابرة، و قد علمتم و سمعتم أنه ما يقدر إنسان أن يقوم
بين يدى الجبابرة، و تعلمون يومكم هذا أن الله ربكم يجوز أمامكم و هو نار
محرقة، و هو يهلكهم و يهزمهم أمامكم. و لا تقولوا فى قلوبكم إنه إنما أدخلنا ٥
الرب لنرث هذه الأرض من أجل برنا، لأنه إنما يهلك الرب هذه الشعوب
من أجل خطاياهم، و ليثبت الأقوال التى وعد بها آباءكم إبراهيم و إسحاق
و يعقوب، فاعلموا أنه ليس من أجل بركم يورثكم الله هذه الأرض المخصبة،
لأنكم صلاب الرقاب، اذكروا و لا تنسوا أنكم أسخطتم الله ربكم فى البرية منذ
يوم خرجتم من أرض مصر حتى انتهيتم إلى هذه البلاد، و لم تزالوا مسخطين لله ١٠
ربكم و بحوريب[6] أيضا أغضبتم الرب، و غضب الرب عليكم و أراد هلاككم
حيث صعدت إلى الجبل و أخذت لوحى العهد الذى عاهدكم الرب، و مكثت
فى الجبل أربعين يوما بلياليها لم أذق خبزا و لم أشرب[7] ماء، و أعطانى الرب
لوحين من حجارة مكتوب عليهما باصبع[8] الله، و كانت كل الآيات
التى كلمكم الرب بها من الجبل يوم الجماعة و من بعد الأربعين، و أعطانى ١٥

(١) فى ظ: تنطقون (٢) من ظ، و فى الأصل: بذلك (٣) من ظ، و فى الأصل: نطقوا - كذا (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: شعب كثير (٥) من ظ، و فى الأصل: من (٦) من ظ، و فى الأصل: نحورب - كذا (٧) فى ظ: لم اشرف - كذا (٨) فى ظ: اصبع.

لوحى العهد، قال لى الرب: قم فانزل من[1] هاهنا سريعا، لأن شعبك الذى أخرجته من أرض مصر قد فسدوا و مالوا عن الطريق الذى أمرتهم[2] عاجلا، و عملوا لهم إلـها مسبوكا. و قال لى الرب: رأيت هذا الشعب [3]فاذا هو شعب قاسى القلب، فدعنى الآن حتى أهلكهم و أبيد ٥ أسماءهم من تحت السماء و أصيرك مدبر الشعب[3] أعظم و أعز منهم، و أقبلت فنزلت من الجبل و الجبل يشتعل نارا و لوحا العهد بيدى[4]، و رأيت أنكم أذنبتم أمام الله ربكم سريعا، و عمدت إلى لوحى الحجارة فرميت[5] بهما من يدى و كسرتهما قدامكم، و صليت أمام الرب كما صليت أولا أربعين يوما بلياليها، لم أذق طعاما و لم أشرب شرابا من أجل جميع ١٠ الخطايا التى[6] ارتكبتم و ما عملتم من الشر بين يدى الرب و أغضبتموه: لأنى[7] فرقت و خفت غضب الله و زجره أنـه أراد إهلاككم، و استجاب الله [ لى - [8] ] فى ذلك الزمان، و أما عجل خطاياكم الذى عملتموه[9] فأخذته و أحرقته بالنار و سحقته و طحنته جدا حتى صار مثل التراب و طرحت ترابـه فى الوادى الذى ينزل فى الجبل، و بالحريق ١٥ و البلايا و بقبور أصحاب الشهوة، أغضبتم الرب، و إذ أرسلكم ربكم من رقام الحى و قال لكم: اصعدوا و رثوا الأرض [10]التى أعطيكم[10]، اجتنبتم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: امرهم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: يدك (٥) فى ظ: فرمى (٦) فى ظ: الذى. (٧) فى ظ: كانى (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل: علمتموه. (١٠ - ١٠) فى ظ: الذى اعطيتم.

قول الرب و أغضبتموه و لم تؤمنوا به و لم تسمعوا قوله ، و لم تزالوا لله
مسخطين منذ يوم عرفتكم . و صليت أمام الرب أربعين يوما بلياليها ، لأن
الرب أمر بهلاككم ، و قلت في صلاتي : يا رب ! لا تهلك شعبك و ميراثك
الذي خلصته بعظمتك و أخرجتهم[1] من أرض مصر بيد عزيزة ، و لكن
اذكر عبيدك إبراهيم و إسحاق و يعقوب ، و لا تنظر إلى معصية هذا الشعب ٥
و إثمه و خطاياه ، لئلا يقول سكان تلك الأرض التي أخرجتهم منها :
إن الرب لم يقو أن يدخلهم الأرض التي قال لهم ، و إنما أخرجهم من
عندنا لبغضه لهم ليضلهم في البرية ، و هو شعبك / و ميراثك الذي أخرجتهم /٣٥٩
بقوتك العظيمة و ذراعك[2] العزيزة ، فقال لي الرب في ذلك الزمان أن
انقر لوحين من حجارة مثل اللوحين الأولين و اصعد[3] إلى الجبل إليّ ١٠
و اعمل تابوتا من خشب الشمشاد - و في نسخة : السنط - و نقرت اللوحين
من الحجارة مثل اللوحين [ الأولين و صعدت إلى الجبل و اللوحان في
يدي ، و كتب على اللوحين -[4] ] الكتاب الأول[5] ، و هي العشر الآيات التي
كلمكم الرب بها من الجبل من النار يوم الجماعة ، و دفعها الرب إليّ فأقبلت
نازلا من الجبل و وضعت اللوحين في التابوت الذي عملت و تركتهما فيه ١٥
كما أمر الرب ، و ارتحل بنو إسرائيل من ثروات[6] بني يعقان و موسار ،
و توفي هارون هناك ، و صار اليعازر ابنه حبرا مكانه ، و ارتحلوا من هناك
إلى جدجد ، و من جدجد إلى يطبت[7] أرض مسايل الماء ، في ذلك الزمان
أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب ، و أن

(١) في ظ : اخرجهم (٢) من ظ ، و في الأصل : ذراعتك (٣) في ظ : اصعدوا .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) في ظ : الاولين (٦) في ظ : بروات .
(٧) من ظ ، و في الأصل : يطب .

يقوموا أمام الرب و يخدموه و أن يبركوا[1] باسم الرب إلى اليوم ، و لذلك ليس لبنى لاوى حصة مع بنى إسرائيل فى ميراثهم ، لأن ميراثهم لله ربهم [ كما - [2] ] قال لهم ، و أنا قمت بين يدى الرب فى الجبل مثل الأيام الأولى أربعين يوما بلياليها ، و استجاب لى الرب فى ذلك الزمان

٥ أيضا ، و لم يخذلكم الله ربكم و لم يفسدكم . و قال [ لى - [2] ] الرب : قم فارتحل و سر أمام الشعب [3]ليدخلوا و يرثوا[3] الأرض التى أقسمت لآبائهم أن أعطيهم ، و الآن يا بنى إسرائيل ما الذى يطلب الله ربكم منكم ! ما يطلب الآن إلا أن تتقوا الله ربكم من كل قلوبكم و تسيروا[4] فى طرقه و تحبوه ، و أن تعبدوا الله ربكم من كل قلوبكم و أنفسكم ، و أن تحفظوا وصايا الله ربكم

١٠ التى آمركم بها اليوم ليحسن إليكم لأن السماء و سماء السماء هما لله ربكم و الأرض و جميع ما فيها ، و بآبائكم وحدهم سر الرب و أحبهم و انتخب نسلهم[5] من بعدهم و فضلهم على جميع الشعوب كاليوم ، اختتنوا غلفة[6] قلوبكم ، و لا تقسوا رقابكم أيضا[7] ، لأن الله ربكم هو إله الآلهة و رب الأرباب ، إله عظيم جبار مرهوب لا يحابى و لا يرتشى ، ينصف[8] للأيتام و الأرامل ،

١٥ و يحب الذى يقبل إليه برزقه[9] طعاما و كسوة ، فأحبوا الذين يقبلون إليه و اذكروا أنكم كنتم سكانا[10] بأرض مصر ، فاتقوا الله ربكم و اتبعوه و اعبدوه[11]

(١) من ظ ، و فى الأصل : يتركوا (٢) زيد من ظ (٣-٣) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : لتدخلوا و ترثوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : سيروا (٥) من ظ ، و فى الأصل : سبيلهم (٦) فى ظ : غفلة (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : ينتصف .
(٩) فى ظ : برزقه (١٠) فى ظ : سكنا (١١) فى ظ : اعبدوا .



و أقسموا

و أقسموا باسمه، لأنه إلـهكم و مريحكم، و هو الذى أكمل لديكم العجائب [١]التى رأت[١] أعينكم، و اعلموا أنه إنما أنزل آباءكم إلى مصر سبعين رجلا. و الآن فقد كثركم الله ربكم مثل نجوم السماء، أحبوا الله ربكم و احفظوا سننه و أحكامه كل الأيام، و اعلموا يومكم[٢] هذا أنه ليس لبنيكم الذين لم يعاينوا ولم يعلموا ما رب الرب و عظمته [٣]و يده[٣] المنيعة و ذراعه العظيمة ٥ و آياته و أعماله التى عمل بمصر و بفرعون ملك مصر و كل أرضه و ما صنع بأجناد[٤] ملك مصر و ما فعل بالخيل و المراكب و فرسانها الذين[٥] قلب عليهم ماء بحر سوف حيث خرجوا فى طلبكم و أهلكهم الرب إلى اليوم و جميع ما صنع بكم فى البرية حيث انتهيتم إلى هذه البلاد و ما صنع بداثان[٦] و أبيرم ابنى أليب بن رويل اللذين[٧] فتحت الأرض فاها و ابتلعتهما و بيتهما، ١٠ و خيامهم وكل شيء هو لهم إذ[٨] كانوا قياما على أرجلهم بين يدى جميع بنى إسرائيل، و لكن قد رأت أعينكم جميع أعمال الله العظيمة التى عمل، فاحفظوا جميع الوصايا التى أمركم الله بها اليوم لتدخلوا الأرض التى تجوزون إليها لترثوها و تطول أعماركم فى الأرض التى أقسم الله لآبائكم أن يعطيهم[٩] و يرثها نسلهم - و ستأتى تتمته إن شاء الله تعالى عند " و لقد بوانا بنى اسراءيل ١٥

---

(١-١) فى ظ : الذى رايت (٢) من ظ ، و فى الأصل : ابو يكم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : باخبار (٥) فى ظ : التى . (٦) من التوراة ، و فى الأصل : بدابان ، و فى ظ : بذابان - كذا (٧) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : الذين (٨) فى ظ : اذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : تعطيهم .

مبوء صدق"، و فيه من المتشابه قوله: فم الله، و إصبع الله، و الأول _ لكونه[1] لا يجوز إطلاقه فى شرعنا _ مأول بالكلام، و الثانى بالقدرة.

و لما فرغ سبحانه من ذكر الوعد بالميقات المقصود به سعى الكليم /٣٦٠ / عليه السلام فيما يهديهم إلى صراط الله، و ذكر سعيهم هم فيما أضلهم عن ٥ الطريق باتخاذهم العجل، و كان ختام ذلك ما بدا من موسى عليه السلام من الشفقة على أخيه ثم على الكافة بأخذ الألواح عند الفراغ مما يجب من الغضب لله، رد الكلام على ذكر شيء فعله فى الميقات مراد به عصمتُهم فى صراط الله بنقلهم _ بمشاركته[2] فى سماعهم لكلام الله - من علم اليقين إلى عين اليقين بل حق اليقين شفقة عليهم و رحمة لهم، ليكون إخبارهم عما رأوا ١٠ مؤيدا لما يخبر به، فيكون ذلك سببا[3] لحفظهم من مثل ما وقعوا فيه من عبادة العجل، و مع ذلك وقع منهم العصيان بطلب ما لا ينبغى لهم من الرؤية على وجه التعنت، فقال: ﴿ و اختار ﴾ أى اجتهد فى أخذ الخيار ﴿ موسى قومه ﴾ ثم أبدل منهم قوله: ﴿ سبعين رجلا ﴾ إشارة إلى أنه من عداهم عدم، لا يطلق عليهم اسم القوم فى المعنى الذى أراده، و هو ١٥ نحو ما[4] قال النبى صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما « الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة » ثم ذكر علة الاختيار فقال: ﴿ لميقاتنا ﴾ أى[5] فما اختار إلا من رأى أنه يصلح لما نريد من عظمتنا فى الوقت الذى حددناه[6] له، و دنا بهم من الحضرة

(١) فى الأصل و ظ، كونه (٢) من ظ، و فى الأصل: بمشاركتهم (٣) من ظ، و فى الأصل: مسببا (٤) من ظ، و فى الأصل: مما (٥) سقط من ظ.
(٦) فى ظ: جددناه.

الخطابية فى الجبل[1] هو و هارون عليهما السلام، و استخلف على بنى إسرائيل يوشع بن نون عليه السلام، كل ذلك عن أمر الله له، و [فى -[2]] هذا الكلام عطف على قوله " و وعدنا[3] موسى ثلثين ليلة " فيكون الميقات هو الأول و هو ظاهر التوراة كما مر بيانه فى البقرة، و يجوز أن يكون عطفا على قوله " و اتخذ قوم موسى " أو على قوله " اخذ الالواح " ٥ و حينئذ يكون هذا الميقات غير الميقات الأول، و يؤيده ما نقل من أن هارون عليه السلام كان معهم، و كأنهم لما سمعوا كلام الله طلب بعضهم الرؤية جاعليها شرطا لإيمانهم فقالوا " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة[4] " كما فعل النقباء الاثنا عشر حين أرسلهم لجس أحوال الجبارين فنقض[5] أكثرهم . فأخذتهم الرجفة فماتوا، فخشى موسى عليه السلام أن يتهمه ١٠ بنو إسرائيل فى موتهم كنفس[6] واحدة ﴿ فلمآ اخذتهم ﴾ أى أخذ قهر و غلبة ﴿ الرجفة ﴾ أى التى سببتها الصاعقة التى تقدمت فى البقرة، فزلزلت قلوبهم فأماتتهم، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هؤلاء غير السبعين الذين قالوا " ارنا الله جهرة فاخذتهم الصعقة[7] " و أن أولئك كانوا قبل هؤلاء، فالظاهر أن سبب الرجفة ما رأوا عند سماع الكلام ١٥ من جلال الله و عظيم هيبته من الغمام[8] الذى تغشى الجبل و القتار و البروق و أصوات القرون و غير ذلك بحيث كادت الرجفة - و هى رعدة[9] - تفرق أوصالهم بعضها من بعض ﴿ قال ﴾ أى موسى تملقا لربه سبحانه

(١) فى ظ : الجبلة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اوعدنا - كذا (٤) سورة ٢ آية ٥٥ (٥) من ظ، و فى الأصل : لنقض (٦) فى ظ : كوت (٧) سورة ٤ آية ١٥٣ (٨) فى ظ : العظام (٩) زيد فى ظ : كانت .

﴿ رب ﴾ أى أيها[1] المحسن إلىّ ﴿ لو شئت اهلكتهم ﴾ أى أمتّهم .

و لما لم يكن إهلاكهم مستغرقا للماضى، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل و اياى ﴾ أى قدرتك علىّ و عليهم قبل أن نقترب[2] من هذه الحضرة المقدسة و نحن بحضرة قومنا كقدرتك علينا حين تشرفنا بها، و قد ٥ أسبلت علينا ذيل عفوك و أسبغت علينا نعمتك و نحن فى غير هذه الحضرة فلم تهلكنا، فانعامك علينا و نحن فى حضرة القدس و بساط القرب و الأنس أولى .

ثم لما كان الحال مقتضيا لأن يقال: ألم تر إلى ما اجترؤا عليه، وكان كأنه قال: إنما قال ذلك قوم منهم سفهاء، دل [ على -[3] ] ذلك ١٠ بقوله استعطافا : ﴿ ا تهلكنا ﴾ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجفتهم كانت بسبب أنهم لم ينهوا عن عبادة العجل مع أنهم لم يرضوا بذلك . و كأن موسى عليه السلام عبر بهذه العبارة المقتضية لإهلاك الجميع لأنه جوز[4] أنه كما أهلك هؤلاء يهلك غيرهم / لتقصير آخر بسبب /٣٦١ ذلك كعدم الجهاد مثلا حتى يعمهم الهلاك ﴿ بما فعل السفهآء منا ج ﴾ ١٥ فكأنه صلى الله عليه و سلم رضى أنه.إن لم يشملهم العفو أن يخص العفو بمن لم يذنب بالفعل و يعفو[5] عمن قصر بالسكوت، و على تقدير كون الميقات غير الأول يجوز أن يكون بعد اتخاذهم العجل كما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما، فيكون موسى عليه السلام خاف أن يكون إهلاكهم فتنة لبنى إسرائيل و سببا لكفرهم كما كان إبطاؤه عنهم بزيادة عشرة أيام

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : نقرب (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : جواز (٥) من ظ ، و فى الأصل : يغفر .



على

على الثلاثين فى الميقات الأول سببا لاتخاذهم العجل ، و يجوز حينئذ أن يراد بفعل السفهاء اتخاذ العجل ، و يؤيده التعبير بالفعل دون القول و قد تقدم [ نقله - [١] ] عن ابن عباس رضى الله عنهما .

و لما كان قوله هذا ربما أفهم رضاه بهلاك المذنبين[٢] ، قال معرضا بالسؤال فى العفو عن الجميع : ﴿ ان هى ﴾ أى الفتنة التى أوقعها[٣] السفهاء ٥ ﴿ الا فتنتك ﴾ أى ابتلاؤك و اختبارك ﴿ تضل بها من تشآء ﴾ أى تظهر[٤] فى عالم الشهادة من ضلاله[٥] ما كان معلوما لك فى عالم الغيب ﴿ و تهدى من تشآء ﴾ أى تظهر[٤] ما فى علمك من ذلك .

و لما أثبت أن الكل بيده ، استأنف سؤاله فى أن يفعل لهم الأصلح فقال : ﴿ انت ﴾ [ أى وحدك - [١] ] ﴿ ولينا ﴾ أى نعتقد أنه لايقدر[٦] ١٠ على عمل مصالحنا غيرك ، و أنت لا نفع لك فى شىء من الأمرين و لا ضر ، بل الكل بالنسبة إليك على حد سواء ، و نحن على بصيرة[٧] من أن أفعالك لاتعلل بالأغراض ، و عفوك عنا ينفعنا و انتقامك منا يضرنا ، و نحن فى حضرتك قد انقطعنا إليك و حططنا رحال افتقارنا لديك .

و لما أثبت أنه الفعال لما يشاء و أنه لا ولى لهم غيره ، و كان من ١٥ شأن الولى جلب النفع و دفع الضر ، سبب عن كونه الولى وحده قوله بادئا بدفع الضرر : ﴿ فاغفر لنا ﴾ أى امح ذنوبنا ﴿ و ارحمنا ﴾ أى ارفعنا ؛ و لما كان التقدير : فأنت خير الراحمين ، عطف عليه قوله : ﴿ و انت خير الغفرين ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : المانبين - كذا (٣) فى ظ : واقعها .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : يظهر (٥) فى ظ : ضلالة (٦) فى ظ : لا نقدر .
(٧) فى ظ : بصير .

أى لأن غيرك يتجاوز عن الذنب للثناء أو الثواب أو دفعا للصفة الخسيسة و هى صفة الحقد و نحوه ، و أنت منزه عن ذلك ، وكأنه أحسن العفو عنهم فقال عاطفا على سؤاله فيه : ﴿ و اكتب لنا ﴾ أى فى مدة إحيائك لنا ﴿ فى هذه الدنيا ﴾ أى الحاضرة و الدنية ﴿ حسنة ﴾ أى عيشة راضية

٥ و حياة طيبة ﴿ و فى ﴾ الحياة ﴿ الأخرة ﴾ أى كذلك ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انا هدنآ ﴾ أى تبنا ﴿ اليك ﴾ أى عما لا يليق بجنابك كما أمرتنا أن نجبر ما عساه يقع منا بالمبادرة إلى التوبة ، فبدأ بذكر عزة الربوبية و ثنى بذلة[1] العبودية و هما أقوى أسباب السعادة ، و هذا تلقين لهم و تعليم و تحذير [2]من مثل ما[2] وقعوا فيه و حث على التسليم ، وكأنه لما

١٠ كان ذنبهم الجهر بما لا يليق به سبحانه من طلب الرؤية ، عبر بهذا اللفظ أو ما يدل على معناه تنبيها لهم على أن اسمهم يدل على التوبة و الرجوع إلى الحق و الصيرورة إلى الصلاح و اللين و الضعف فى الصوت و الاستكانة فى الكلام و السكوت عما لا يليق ، و أن يهودا[3] الذى أخذ اسمه من ذلك إنما سموا به و نسبوا إليه تفاؤلا لهم ليتبادروا إلى التوبة .

١٥ و لما كان فى كلامه عليه السلام [ إنكار - [4] ] إهلاك الطائع بذنب العاصى و إن كان ذلك[5] إنما كان على سبيل الاستعطاف منه و التملق مع العلم بأنه عدل منه تعالى و له أن يفعل ما يشاء بدليل قوله "و لو شئت اهلكتهم من قبل و اياى" استأنف سبحانه الإخبار عن الجواب عن كلامه على وجه منبه للجاهير على أن له التصرف المطلق بقوله :

---

(١) فى ظ : بذكر (٢-٢) فى ظ : لما (٣) من ظ ، و فى الأصل : يهود (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تلك .

﴿ قال عذابيٓ ﴾ أي انتقامي الذي يزيل كل عذوبة عمن وقع به ﴿ اصيب به ﴾ أي في الدنيا والآخرة ﴿ من اشآء ج ﴾ أي /[1] أذنب أو لم يذنب[1] ﴿ و رحمتي ﴾ أي إنعامي و إكرامي.

/ ٣٦٢

و لما كان الإيجاد من الرحمة فانه خير من العدم فهو إكرام في الجملة، قال: ﴿ وسعت كل شيء ط ﴾ أي هذا شأنها و صفتها في نفس ٥ الأمر وإن بلغ في القبائح ما عساه أن يبلغ[2]، و هذا هو معنى حديث أبي هريرة في الصحيح «إن رحمتي سبقت - و في رواية: غلبت - غضبي» سواء قلنا: إن السبق بمعنى الغلبة، أو قلنا: إنه على بابه، أما الأول فلأن تعلق الرحمة أكثر، لأن كل من تعلق به الغضب تعلقت به الرحمة بايجاده و إفاضة الرزق عليه، ولا عكس كالحيوانات العجم و الجمادات [3]و أهل ١٠ السعادة من المؤمنين و الملائكة و الحور و غيرهم من جنود الله التي لا تحصى.

و لما[3] أعلم أن رحمته واسعة و قدرته شاملة، وكان ذلك موسعا للطمع، سبب عن ذلك قوله ذاكرا شرط إتمام تلك الرحمة ترهيبا لمن يتوانى عن تحصيل ذلك الشرط: ﴿فسا كتبها﴾ أي أخص بدوامها بوعد لا خلف فيه لاجل تمكني[4] بتمام القدرة مما أريد مبتوتا أمرها بالكتابة ﴿للذين يتقون﴾ ١٥ أي يوجد لهم هذا الوصف الحامل على كل خير و لا يخلّ[5] بوسعها أن أمنع دوامها بعد الإيجاد من غيرهم، فان الكل لو دخلوا فيها دائما [ما -[6]] ضاقت بهم، فهي في نفسها واسعة و[7] لكني أفعل ما أشاء.

(١-١) في ظ: اذنبت او لم تذنب (٢) من ظ، وفي الأصل: تبلغ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) في الأصل: يمكن، و في ظ: تمكين (٥) من ظ، و في الأصل: لا يحيل (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ.

و لما ذكر نظرهم إلى الخالق بالانتهاء عما نهى عنه و الائتمار بما أمر به ، أتبعه النظر إلى الخلائق فقال : ﴿ و يؤتون الزكوٰة ﴾ و لعله[1] خصها لأن فرضها كان فى هذا الميقات كما تقدم فى البقرة و لأنها أمانة فيما بين الخلق و الخالق كما أن صفات النبي صلى الله عليه و سلم التى كتبها لهم و شرط قبول أعمالهم باتباعه كذلك ؛ ثم عمم[2] بذكر ثمرة التقوى فقال مخرجا لمن يوجد منه ذانك الوصفان فى الجملة على غير جهة العموم : ﴿ و الذين هم بٰاٰيٰتنا ﴾ أى كلها ﴿ يؤمنون ﴾ أى يصدقون بالقلب و يقرون باللسان و يعملون تصديقا لذلك بالأركان ، فلا يكفرون ببعض و يؤمنون ببعض .

[ و لما كان اليهود ربما ادعوا ذلك مكابرة ، أوضح غاية الإيضاح بقوله -[3] ] : ﴿ الذين يتبعون ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ الرسول[4] ﴾ و لما كان هذا الوصف وحده غير مبين للمراد و لا صريح فى الرسالة عن الله و لا فى كونه من البشر ، قال : ﴿ النبى ﴾ أى الذى يأتيه الوحى من الله . فبدأ بالأشرف و ثنى بما خصه برسالة الله و كونه من الآدميين لا من الملائكة .

و لما لم يتم المراد ، قال مبينا لأعظم المعجزات ، و هى أن علمه بغير معلم من البشر : ﴿ الامى ﴾ أى الذى هو[5] مع ذلك العلم المحيط على [ صفة -[3] ] الأم ، و أمة العرب لا يكتب و لا يقرأ و لا يخالط العلماء للتعليم منهم بل لتعليمهم . فانطبق الوصف على الموصوف مع التنويه

(١) فى ظ : اعلها (٢) من ظ . و فى الأصل : عمهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : الرسل (٥) من ظ ، و فى الأصل : جر - كذا .

بجلالة

بجلالة الأوصاف و التشويق إلى الموصوف ،[و لم يعطف لئلا يوهم تعداد الموصوف -[1] ] ؛ و المعنى أنى لا أغفر لأحد من بنى إسرائيل و لا من غيرهم الا إن اتبع محمدا صلى الله عليه و سلم ، و هذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه ، و تارة يخرج من القوة إلى الفعل ممن لحق زمان دعوته، [2]فمن علم[2] الله منه أنه لا يتبعه إذا أدركه لا يغفر له ٥ و لو عمل جميع الطاعات غير ذلك ، و عرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق إليه عند مجيئه ريب و لا يتعلل فى أمره بعلة ، و لذلك أتبعه بقوله : ﴿ الذى[3] يجدونه ﴾ أى علماء بنى إسرائيل ؛ و لما اشتد تشوف السامع بذكر الوجدان ، قال : ﴿ مكتوبا ﴾ ثم قرب الأمر بقوله : ﴿ عندهم ﴾ ثم بين أنه مما لا يدخله شك بقوله : ﴿ فى التورٰة و الانجيل ز ﴾ أى ١٠ اللذين يعلمون أنهما من عند الله ، بصفته البينة كما تقدم بيانه عما عللوا[4] عن تبديله منهما فى البقرة عند " و اذ ابتلى ابرٰهيم ربه[5] " و فى اٰل عمران عند "ان الله اصطفى اٰدم و نوحا[6] "- الآيات ، و فى النساء عند " و ما قتلوه يقينا[7] " و فى التوراة أيضا من ذلك فى الفصل الحادى عشر من السفر الخامس : و إذا دخلتم الأرض التى يعطيكم الله ربكم فلا تعملوا مثل ١٥ أعمال تلك الشعوب / و لا يوجد فيكم من يطلب تعليم العرافين ، ثم قال : / ٣٦٣ لأن هذه الشعوب التى ترثونها كانت تطيع العرافين و المنجمين ، فأما أنتم فليس هكذا يعطيكم[8] الله ربكم ، بل يقيم لكم نبيا من إخوتكم مثلى ،

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ :فعلم (٣) من ظ و القرآن الكريم و فى الأصل : الذين (٤) فى ظ : غفلوا (٥) آية ١٢٤ (٦) آية ٣٣ (٧) آية ١٠٧ (٨) فى ظ : يطيعكم.

فأطيعوا ذلك النبي كما طلبتم إلى الله ربكم في حوريب[1] يوم الجماعة[2] و قلتم : لا نسمع صوت الله ربنا و لا تعاين هذه النار العظيمة لئلا[3] نموت ، فقال الرب : ما أحسن ما تكلموا ، إني سأقيم لهم[4] نبيا من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامي في فيه و يقول لهم ما آمره به ، و الذي لا يقبل قول ذلك
٥ النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه و من[5] سبطه - انتهى . هكذا رأيته مترجما في بعض نسخ التوراة ، ثم رأيت السموأل بن يحيى المغربي ترجمه في كتابه الذي ذكر فيه سبب إسلامه و كان من أكابر علمائهم بل العلماء فقال : نبيا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك ، به فليؤمنوا - انتهى . و هو يعني أن يكون هذا النبي محمدا صلى الله عليه و سلم لأنه من
١٠ بني إسماعيل أخي إسحاق و قد أتى بشريعة مستقلة لا تعلق لها[6] بشريعة قبلها و لا توقف[7] لها عليها ، و ذلك أن في[8] العبارة كلمتين : مثل و إخوة ، و حقيقة[9] الأخ ابن[10] أحد الأبوين ، وهو لا يتأتى في أحد من أنبيائهم ، فأقرب المجاز[11] إلى حقيقته الحمل على أخي الأب ، و هو إسماعيل عليه السلام ، و الشائع في الاستعمال في نحو ذلك على تقدير إرادة أحد منهم أن يقال :
١٥ من أنفسهم ، لا من إخوتهم ، و حقيقة المثل المشارك في أخص الصفات ،

(١) من التوراة ، و في الأصل : تحوريب ، وفي ظ : خويب (٢) من ظ ، وفي الأصل : الجمعة (٣) من ظ ، وفي الأصل : كيلا (٤) في ظ : لكم (٥) من ظ ، و في الأصل : منه - كذا (٦) من ظ ، و في الأصل : بها (٧) من ظ ، وفي الأصل : توصف (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : شقيقة (١٠) في ظ : بني . (١١) من ظ ، و في الأصل : المجازاة .

و أخص صفات موسى عليه السلام الرسالة و الكتاب بشريعة مستقلة ، و لم يأت منهم بعده من هو بهذه الصفة ، لأن عيسى عليه السلام لم ينسخ من شريعة موسى عليه السلام إلا بعض الأحكام ، و على تقدير دعوى ذلك فيه لكونه نسخ فى الجملة و تسليم ذلك لا يتأتى قصده بهذا النص لوجهين :
٥ أحدهما أنه ليس من رجالهم إلا بواسطة أمه ، فحق العبارة فيه : من نبى أخواتهم - جمع أخت ، و إذا أريد آباء أمه كان المجاز فيهم أبعد من المجاز فى بنى إسماعيل لما تقدم[1] ، و لا ينتقل إلى الأبعد إلا بقرينة تصرف عن الأقرب - و الله أعلم . و قال السموأل بن يحيى أحد أحبارهم فى سبب إسلامه : إن اليهود يقولون : إن هذه البشارة نزلت فى [ حق - [2] ]
١٠ سموأل[3] أحد أنبيائهم الذين بعد موسى لأنه كان[4] مثل موسى عليه السلام فى أنه من سبط لاوى ، و قال : إنه رأى سموأل[3] عليه السلام فى المنام و أنه دفع إليه كتابا فوجد فيه هذه البشارة فقال له : هنيئا لك يا نبى الله ما خصك الله به ! فنظر مغضبا و قال : أو إياى أراد الله بهذا يا ذكى ! ما أفادتك إذن البراهين الهندسية ، فقلت : يا نبى الله ! فمن أراد الله بهذا ؟
١٥ قال[5] : الذى أراد فى قوله : هوفيع ميهار فاران ، و تفسيره إشارة إلى نبوة[4] وعد بنزولها على جبال فاران ، فعرفت أنه يعنى المصطفى صلى الله عليه و سلم ، لأنه المبعوث من جبال فاران و هى جبال مكة ، ثم قال : أو ما علمت أن الله لم يبعثنى بنسخ[6] شىء من التوراة ، و إنما بعثنى أذكرهم بها و أحيي شرائعها

(١) فى ظ : يقدم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : شموال ، و فى التوراة : صموئيل .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : فقال (٦) من ظ ، و فى الأصل : نسخ .

و أخلصهم من أهل فلسطين ، قلت : بلى يا نبي[1] الله ! قال : فأى حاجة بهم إلى أن يوصيهم ربهم باتباع من لم ينسخ دينهم و لم يغير شريعتهم ، أرأيتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبول نبوة دانيال[2] أو يرميا أو حزقيل ؟ قلت : لا لعمرى ! فأخذ الكتاب من يدى[3] و انصرف مغضبا فارتعبت ٥ لغضبه و ازدجرت لموعظته و استيقظت مذعورا . و قال فى كتابه غاية المقصود فى الرد على النصارى و اليهود : إن الله يطلق الإخوة على غير بنى إسرائيل / كما قال فى بنى العيص بن إسحاق عليه السلام فى الجزء الأول /٣٦٤ من السفر الخامس ما تفسيره[4] : أنتم عابرون فى تخم[5] إخوتكم بنى العيص . فاذا كان بنو العيص إخوة لبنى إسرائيل لأن العيص و إسرائيل ولدا[6] ١٠ إسحاق ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم عليهم السلام . قال : و فى الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة فى ذكر البشارة لإبراهيم عليه السلام ما تفسيره : و أما فى إسماعيل فقد قبلت دعاءك ، ها قد باركت فيه و أثمره و أكثره جدا جدا ، و قال : إن جدا[7] جدا بلسان العبرانى مفسر " بماد ماد " و هاتان الكلمتان إذا عددنا حروفهما بحساب الجمل كان اثنتين[8] ١٥ و تسعين ، و ذلك عدد حساب حروف اسم محمد صلى الله عليه و سلم ، يعنى فتعين أن يكون مرادا بها لأنها فى البشارة بتكثير إسماعيل عليه السلام ، و ليس فى

(١) فى ظ : رسول (٢) من ظ ، و فى الأصل : دنيال (٣) فى ظ : بيدى (٤) من ظ ، و فى الأصل : يفسره (٥) من التوراة ، و فى الأصل : غنم ، و فى ظ : نجم - كذا (٦) فى ظ : ولد (٧) فى ظ : جد (٨) فى ظ : اثنين .

أولاده

أولاده من كثره الله به و عدد اسمه هذا العدد[1] غير محمد صلى الله عليه و سلم ، قال : و إنما جعل ذلك فى هذا الموضع ملغزا ، لأنه لو صرح به لبدلته اليهود أو أسقطته من التوراة كما عملوا[2] فى غيره - انتهى . و فى آخر فصول التوراة : دعا موسى عبد الله لبنى إسرائيل قبل وفاته و قال : أتى[3] ربنا من سيناء و شرق لنا من جبل ساعير و ظهرلنا من جبل - و فى نسخة : جبال - ٥ فاران ، معه[4] ربوات الأطهار على يمينه . أعطاهم و حببهم إلى الشعوب و بارك على جميع أطهاره[5] ، و [ هم -[6] ] يتبعون آثارك و [7]يتناقلون كلماتك[7] . و فى نسخة بدل : معه ربوات الأطهار - إلى آخره : و أتى [ من -[8] ] ربوات القدس بشريعة نوره من يمينه لهم ، و اصطفى أيضا شعبا . لجميع خواصه فى طاعتك و هم يقفون آثارك و يتناقلون كلماتك - ١٠ انتهى . فالذى ظهر من جبال فاران هو محمد صلى الله عليه و سلم ، لأنهم معترفون أنها مكة ، و معه ربوات ، أى جماعات الأطهار ، و أمته حببت إلى الشعوب ، لأن كلا من فريقى أهل الكتاب يقدمهم على الفريق الآخر ، و لم يقبل أحد جميع كلام موسى عليه السلام و يتبع جميع آثاره فى بشارته بمن يأتى بعده غيرهم - هذا و أما الإنجيل فالبشائر فيه أكثر و قد تقدم كثير منها ، ١٥ و هى تكاد[9] أن تكون صريحة فى سورة النساء فى قصة رفعه عليه السلام ،

---

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : عملوه (٣) فى ظ : اتانا (٤) من ظ ، و فى الأصل : بعد - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : اطهارهم (٦) زيد من ظ . (٧ - ٧) من ظ ، و فى الأصل : يقبلون كلامك (٨) زيد من التوراة (٩) فى ظ : لا تكاد .

و مما فيه أيضا ما فى إنجيل متى و غيره و أغلب السياق له : كثيرا أولون
يصيرون آخرين و آخرون يصيرون أولين ، يشبه ملكوت السماوات
إنسانا رب بيت خرج بالغداة يستأجر فعلة لكرمه فشارط الأكرة على
دينار واحد فى اليوم و أرسلهم إلى كرمه ، ثم خرج فى ثالث ساعة
٥ فأبصر آخرين قياما فى السوق بطالين ، فقال لهم : امضوا أنتم إلى كرمى
و أنا أعطيكم ما تستحقون ، فمضوا ، و خرج أيضا فى الساعة السادسة
و التاسعة فصنع[1] كذلك ، و خرج فى الحادية عشرة فوجد آخرين قياما ،
فقال لهم : ما قيامكم[2] كل النهار بطالين ؟ فقالوا له : لم يستأجرنا أحد ،
فقال لهم : امضوا أنتم بسرعة إلى الكرم و أنا أعطيكم ما تستحقون ،
١٠ فلما كان المساء قال رب الكرم لوكيله : ادع الفعلة و أعطهم الأجرة
و ابدأ بهم من الآخرين إلى الأولين ، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة
فأخذوا دينارا كل واحد ، [3]فجاء الأولون فظنوا[3] أنهم يأخذون أكثر فأخذوا
دينارا كل واحد ، و [ لما أخذوا - [4] ] تعمقوا على رب البيت و قالوا :
إن هؤلاء الآخرين عملوا ساعة واحدة ، جعلتهم أسوتنا و نحن حملنا ثقل[5]
٣٦٥ / ١٥ / النهار و حره ! فقال لواحد منهم : يا صاحب ! ما ظلمتك ، ألست بدينار
شارطتك ، خذ شيئك و امض ، أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك ،
أو ما لى أن أفعل ما أردت بمالى ؟ و أنت عينك شريرة[6] ، كذلك يكون
الآخرون أولين[7] ، و الأولون آخرين[8] ، ما أكثر المدعوين[9] و أقل المنتخبين ،

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : قيامهم (٣-٣) فى ظ : جاوا الأولين و ظنوا .
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : نعمل - كذا (٦) فى ظ : شرير .
(٧) فى ظ : اولون (٨) فى ظ : آخرون (٩) فى ظ : الموعودين .

و قال : و دخل إلى الهيكل فجاء إليه رؤساء الكهنة و شيوخ الشعب و قالوا له و هو يعلم : بأىّ سلطان تفعل [1] هذا ؟ و من أعطاك هذا السلطان ؟ أجاب يسوع و قال لهم : أنا أسألكم عن كلمة واحدة ، فان أنتم قلتم لى قلت لكم بأىّ سلطان أفعل هذا ، معمودية يوحنا من أين هى ؟ من السماء أو من الناس ؟ ففكروا فى نفوسهم قائلين : إن قلنا : من السماء ، ٥ قال لنا : لما ذا لم تؤمنوا به ؟ و إن قلنا : من الناس ، خفنا من الجمع ؛ و قال لوقا : و إن قلنا من الناس فان جميع الشعب يرجمنا لأنهم قد تيقنوا أن يوحنا نبى ؛ و قال متى : لأن [2] يوحنا كان عندهم مثل نبى ؛ و قال مرقس : لأن جميعهم كان يقول : إن يوحنا نبى ؛ قال متى [2] : فقالوا : لا نعلم ، فقال : و لا أنا أيضا أعلمكم بأىّ سلطان أفعل هذا . قال مرقس : و بدأ يكلمهم ١٠ بأمثال قائلا ؛ قال متى : ما ذا تظنون بانسان كان له ابنان فجاء إلى الأول فقال له : يا بنى ! اذهب اليوم و اعمل فى الكرم ، فأجاب و قال : ما أريد - و بعد ذلك ندم و مضى ، و جاء إلى الثانى و قال له [3] مثل هذا فأجاب و قال : نعم يا رب ! أنا أمضى - و لم يمض ، من منهما فعل إرادة الأب ؟ فقالوا له : الأول ، فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم ! إن العشارين ١٥ و الزناة يسبقونكم إلى ملكوت الله ، جاءكم يوحنا بطريق [4] العدل فلم تؤمنوا به ، و العشارون و الزناة آمنوا به ، فأما أنتم فرأيتم ذلك و لم تندموا [5] أخيرا لتؤمنوا به . اسمعوا مثلا آخر : إنسان رب بيت غرس كرما و أحاط [6]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يفعل (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : لهم (٤) فى ظ : بالطريق (٥) من ظ ، و فى الأصل : لم يندموا (٦) فى ظ : إحاق .

به سياجا و حفر فيه معصرة و بنى فيه برجا و دفعه إلى فعلة و سافر - قال لوقا : زمانا كثيرا - فلما قرب زمان الثمار أرسل[1] عبيده إلى الفعلة ليأخذوا ثمرته ، فأخذ الفعلة عبيده ، ضربوا بعضا و قتلوا بعضا و رجموا بعضا ، فأرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين فصنعوا بهم كذلك ، و فى
٥ الآخر أرسل إليهم ابنه و قال : لعلهم يستحيون من ابنى ، فلما رأى الفعلة الابن قالوا : هذا هو الوارث تعالوا نقتله و نأخذ[2] ميراثه ، فأخذوه و أخرجوه خارج الكرم و قتلوه ، فاذا جاء رب البيت ما ذا يفعل بهؤلائك الفعلة ؟ قالوا له : يهلكهم و يدفع الكرم إلى فعلة آخرين ليعطوه ثمرته فى حينه ، قال لهم يسوع : أ ما قرأتم [قط -[3]] فى الكتب أن الحجر
١٠ الذى رذله البناؤن صار رأس الزاوية ، هذا كان من قبل الرب و هو عجب فى أعيننا ، من هذا أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم و يعطى لأمم يصنعون ثمرتها ، و من سقط على هذا الحجر ترضض ، و من سقط عليه طحنه . فلما سمع رؤساء الكهنة و الفريسيين أمثاله[4] علموا أنه يقول من أجلهم ، فهموا أن يمسكوه و خافوا من الجموع لأنه كان
١٥ عندهم مثل نبى . و قال أيضا : يشبه ملكوت السماء رجلا صنع عرسا لابنه . فأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس ، فلم[5] يريدوا أن يأتوا ، ثم أرسل عبيدا آخرين و قال : قولوا للدعوين : إن طعامى معد ، و عجولى المعلوفة قد ذبحت وكل شيء معد ، فتعالوا إلى العرس ، فتكاسلوا

(١) فى ظ : ارسلوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : ناخذه (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : امثالهم (٥) فى ظ : فلما .



و ذهبوا

/ و ذهبوا فنهم إلى حقله و منهم إلى تجارته و البقيـــة أمسكوا عبيده / ٣٦٦
و شتموهم[1] و قتلوهم ، فلما بلـغ الملك غضب و أرسل جنده و أهلك
هؤلائك القتلة و أحرق مدينتهم ؛ حينئذ قال لعبيده : أما العرس فمستعد ،
و المدعوون فغير مستحقين ، اذهبوا إلى مسالك الطريق و كل من وجدتموه
ادعوه إلى العرس ، فخرج أولئك العبيد إلى الطرق[2] فجمعوا كل من ٥
وجدوا أشرارا و صالحين ، فامتلأ العرس من المتكئين ، فلما دخل الملك
لينظر إلى المتكئين رأى هناك رجلا ليس عليه ثياب العرس [ فقال :
يا هذا ! كيف دخلت ههنا و ليس عليك ثياب العرس ؟[3] ] فسكت ،
حينئذ قال الملك للخدام : شدوا يديه و رجليه و أخرجوه[4] إلى الظلمة
البرانية ، هناك يكون البكاء و صرير الأسنان ، ما أكثر المدعوين و أقل ١٠
المنتخبين . و عبارة لوقا عن ذلك : إنسان صنع وليمة عظيمة و دعا
كثيرا ، فأرسل عبده[5] يقول للدعوين يأتون فهو ذا كل شيء معد ، فبدأوا
بأجمعهم يستعفون ، فالأول قال : قد اشتريت كرما ، و الضرورة تدعوني
إلى الخروج و نظره[6] ، فأسألك أن تعفيني[7] فما أجيء ، و قال آخر :
قد اشتريت خمسة أزواج بقر و أنا ماض أجر بها ، أسألك أن تعفيني ١٥
فما أجيء ، و قال آخر[8] : قد تزوجت امرأة ، لأجل ذلك ما أقدر أجيء ،
فأتى العبد و أخبر سيده ، فحينئذ غضب رب البيت و قال لعبده : اخرج

(١) من ظ ، و في الأصل : شتموه (٢) من ظ ، و في الأصل : الطريق (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : اخرجوا (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : نظيره (٧) في ظ : يعفيني (٨) في ظ : الآخر .

مسرعا إلى الطريق و شوارع المدينة و ادع المساكين و العور و العميان و المقعدين[1]، اخرج إلى الطريق و السياجات و ألح عليهم حتى يدخلوا و يمتلئ[2] بيتي و لا أجد من هؤلائك يذوق لي عشاء. و قال يوحنا: الحق أقول لكم! إن من[3] لا يدخل من الباب إلى حظيرة[4] الخراف، بل يتسور ٥ من موضع آخر فان ذلك لص، الذي يدخل من الباب هو راعي الخراف، و البواب يفتح له، و الخراف تسمع[5] له، و كباشه تتبعه[6] لأنها تعرف صوته[7]، و الراعي الصالح يبذل[8] نفسه عن الخراف، فأما الآخر الذي ليس براع و ليست[9] الخراف له، فاذا رأى الذئب قد أقبل يدع الخراف و يهرب، فيأتي الذئب و يخطف و يبدد الخراف، و إنما يهرب ١٠ الأجير لأنه مستأجر و ليس يشفق على الخراف، أنا الراعي الصالح، و لي كباش أخر ليست من هذا القطيع، فينبغي[10] لي أن آتي بهم أيضا، فتكون[11] الرعية واحدة، فوقع أيضا بين اليهود خلف من أجل هذا القول و قال كثير منهم: إن به شيطانا قد جن، فما استماعكم منه! و قال آخرون: إن هذا ليس كلام مجنون. و[12] في أوائل السيرة الهشامية[13]: قال ابن إسحاق:

(١) زيد بعده في إنجيل لوقا: فقال العبد: يا سيد! قد صار كما أمرت، و يوجد أيضا مكان (٢) في ظ: تمتلئ (٣) في ظ: ما (٤) من الإنجيل، و في الأصل وظ: حظر (٥) من ظ، و في الأصل: يسمع (٦) من ظ، و في الأصل: يتبعه. (٧) في ظ: صورته (٨) في ظ: يبدا (٩) في ظ: ليس (١٠) سقط من ظ. (١١) من ظ، و في الأصل: و يكون (١٢) زيد في ظ: قال (١٣) في ظ: الهاشمية.

و قد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه[1] من الله فى الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين[2] نسخ لهم الإنجيل أنه قال: من أبغضنى فقد أبغض الرب، و لو لا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة، و لكن من الآن بطروا و ظنوا أنهم يعزوننى و أيضا للرب، و لكن ٥ لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس [3]أنهم أبغضونى[3] مجانا ـ أى باطلا، فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس[4]، هذا الذى من عند الرب خرج، فهو شهيد علىّ و أنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معى، هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا[5]. فالمنحمنا بالسريانية محمد، و هو بالرومية / البارقليطس ـ انتهى. ١٠ /٣٦٧

و لما دل سبحانه عليه صلى الله عليه و سلم بأوصافه فى نفسه و فى الكتب الإلهية، دل عليه بشريعته فقال: ﴿ يامرهم بالمعروف ﴾ أى بكل ما يعرفونه من التوراة و الإنجيل و ما يعرفونه فيهما أنه ينسخ شرعهم و يأتى من عند الله بهذا المذكور ﴿ و ينههم عن المنكر ﴾ أى عن كل ما ينكرونه فيهما، فثبتت[6] بذلك رسالته، فانه لكونه أميا لا يعرف ١٥ المعروف و المنكر فيهما إلا و هو[7] صادق عن علام الغيوب؛ ثم شرع

---

(١) من ظ و السيرة ١/٨٠، و فى الأصل: جاء (٢) من السيرة، و فى الأصل و ظ: حتى (٣-٣) فى ظ: انتم ابغضتمونى (٤) من السيرة، وفى الأصل وظ: القسط (٥) من ظ و السيرة، وفى الأصل: لاتسلكوا ـ كذا (٦) فى ظ: تثبت. (٧) فى ظ: هى.

بعد ثبوت رسالته يبين لهم ما فى رسالته من المنة عليهم بالتخفيف عنهم بإباحة ما كانوا قد حملوا ثقل تحريمه، فكانوا لا يزالون يعصون الله بانتهاك حرماته و الإعراض عن تبعاته فقال: ﴿ و يحل لهم الطيبٰت ﴾ أى التى كانت حرمت عليهم عقوبة لهم كالشحوم[1] ﴿ و يحرم عليهم ﴾ [ و عبر
٥ بصيغة الجموع إشارة إلى أن الخبيث أكثر من الطيب فى كل ما فى الأصل فقال -[2]]: ﴿ الخبٰٓئث ﴾ أى كل ما يستخبثه الطبع السليم أو يؤدى [ إلى -[2] ] الخبث كالخمر المؤدية إلى الإسكار و الرشى المؤدية إلى النار بعد قبيح العار ﴿ و يضع عنهم اصرهم ﴾ أى ثقلهم الذى كان حمل عليهم فجعلهم لثقله كالمحبوس الممنوع من الحركة ﴿ و الاغلٰل التى كانت عليهم ﴾ أي جميع
١٠ ما حملوه من الأثقال التى هى لثقلها[3] و كراهة النفوس لها كالغل الذى يجمع اليد إلى العنق فيذهب القوة ﴿ فالذين 'امنوا به ﴾ أى أوجدوا بسببه الأمان من التكذيب بشيء من آيات الله ﴿ و عزروه ﴾ أى منعوه من كل من[4] يريده[5] بسوء و قووا يده تقوية عظيمة على[6] كل من يكيده؛ قال فى القاموس: و التعزير: ضرب دون الحد أو هو[7] أشد الضرب،
١٥ و التفخيم و التعظيم ضد، و الإعانة كالعزر و التقوية و النصر - انتهى. و قال عبد الحق: العزر: المنع، تقول: عزرت فلانا عن كذا، أى منعته - انتهى. فالمادة كلها تدور على هذا المعنى و الضرب واضح فيه و التعظيم و ما فى معناه منع من يكيده ﴿ و نصروه ﴾ أي أيدوه

(١) من ظ، و فى الأصل: بالشحوم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: ليعلها - كذا (٤) فى ظ: ما (٥) زيدت الواو بعده فى ظ. (٦) فى ظ: عن (٧) من القاموس، و فى الأصل و ظ: عن.



و قمعوا

و قمعوا مخالفه ﴿ و اتبعوا النور ﴾ أى الوحى من [1] القرآن و السنة [1] ﴿ الذیٓ انزل معهٓ ﴾ أى مصاحبا إنزاله إرساله ، سمى نورا لأنه يجعل المقتدى به ببيان طريق الحق كالماشى فى ضوء النهار ﴿ اولٓـئك هم ﴾ أى خاصة ﴿ المفلحون ﴾ أي الفائزون بكل مأمول .

و لما تراسلت الآى و طال المدى [2] فى أقاصيص موسى عليه السلام ٥ و [3] بيان مناقبه العظام و مآثره الجسام ، كان ذلك ربما أوقع فى بعض النفوس أنه أعلى المرسلين منصبا و أعظمهم رتبة ، فساق سبحانه هذه الآيات هذا السياق على هذا الوجه الذى بين أن [3] أعلاهم مراتب و أزكاهم مناقب الذى خص برحمته من يؤمن به من خلقه قوة أو فعلا ، و جعل سبحانه ذلك فى أثناء قصة بنى إسرائيل اهتماما به و تعجيلا له مع ما سيذكر مما ١٠ يظهر أفضليته و يوضح أكمليته بقصته مع قومه فى مبدإ أمره و أوسطه و منتهاه فى سورتى [4] الأنفال و براءة بكمالها .

ذكر شىء من الآصار التى كانت عليهم و خففت عنهم لو دخلوا فى الإسلام ببركته صلى الله عليه و سلم غير ما أسلفته فى آخر البقرة عند قوله تعالى " و لا تحمل علينا اصرا [5] " و فى المائدة عند ١٥ قوله تعالى " وليحكم اهل الانجيل [6] " قال فى السفر الثانى من التوراة : [ و - [7] ] قال الرب لموسى : اعمد فخذ طيبا - إلى أن قال : و ليكن معجونا طيبا للقدس و دقه و اسحقه و بخر منه قدام تابوت الشهادة فى قبة الزمان

---

(١-١) فى ظ : القرا - كذا (٢) فى ظ : المذعى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : سورة (٥) آية ٢٨٦ (٦) آية ٤٧ (٧) زيد من ظ .

لأواعدك إلى هناك ، و يكون عندكم طهرا مخصوصا ، و أيما رجل
اتخذ مثله ليتبخر به فليهلك ذلك الرجل من شعبه ؛ و قال فى الثالث :
ثم كلم الرب موسى قال له : كلم هارون و بنيه و جماعة بنى إسرائيل و قل
لهم : هذا ما أمرنى به الرب أن أخبركم ، أيّ رجل من بنى إسرائيل يذبح
٥ فى محلة بنى إسرائيل أو يذبح خارجا من العسكر و لا يجيء بقربانه إلى باب
قبة الزمان ليقربه / يعاقب ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلا ؛ وكلم الرب /٣٦٨
موسى و قال له : كلم هارون و قل له : من كان فيه عيب من نسلك
- أى من الأحبار - فى جميع الأحقاب[1] لا يدنو من مقدسى ، لا يقرب قربانا
مثل الرجل الأعرج و الأعمى و الأفطس و الأصمع الأذن أو رجل
١٠ مكسور اليد أو رجل قصير أو منحن أو رجل قد أشتر حاجباه أو أجهر
العين أو من فى عينه بياض أو أبرص أو أحدب أو رجل له خصية
واحدة ، أيّ رجل كان فيه عيب [ من -[2] ] نسل هارون الكاهن لا يدنو
من المذبح ليقرب قربان الرب لأن فيه عيبا ؛ و قال فى السفر الرابع
و هو [ من -[2] ] الحجج على أن[3] التوراة لم تنزل جملة : وكلم الرب
١٥ موسى فى برية سيناء فى السنة الثانية لخروج بنى إسرائيل من مصر فى
الشهر الأول و قال : تعمل بنو[4] إسرائيل الفصح فى وقته فى أربعة عشر
يوما من هذا الشهر - إلى أن قال : و عملوا الفصح ، و القوم الذين تنجسوا
بأنفس الناس لم يقدروا أن يعملوا الفصح فقالوا : قد تنجسنا بأنفس
الناس ، أى مسسنا ميتا ، فهل يحرم علينا عمل الفصح ؟ فقال لهم موسى :

---

(١) زيد فى ظ : أى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بنى .

قوموا فى مواضعكم حتى تسمعوا ما يأمر الرب فيكم ، وكلم الرب موسى
وقال له : قل لهم : الرجل إذا تنجس منكم لميت أوكان فى مكان بعيد
يعمل فصحا للرب فى أربعة عشر يوما من الشهر الثانى ، ومن كان
زكيا ولم يكن مسافرا ولم يعمل الفصح فى وقته تهلك تلك النفس
من بين بنى إسرائيل ، وقال قبل ذلك : وكلم الرب موسى وقال له : ٥
مر بنى إسرائيل أن يخرجوا[1] من عسكرهم كل من بـه برص أو سلس
وكل من كان نجسا بنفسه ذكرا كان أو أنثى ، يخرجونهم خارج العسكر ،
ولا تنجسوا عساكركم[2] لأنى نازل بينكم ؛ ثم ذكر : الرجل إذا غار على
امرأته واتهمها ، إنه يأتى الكاهن فيقيمها ويلقنها لعنا ، فاذا قالته كتبه
وأخذ ماء مقدسا فى وعاء فخار ووضع فيه من التراب الذى أسفل ١٠
المذبح وسقاه لها ، فان كانت خانت انتفخ بطنها وفسد فخذاها وتصير لعنة[3]
فى شعبها ، وإن كانت لم تخن تطهرت وولدت ذكرا ، ثم أمرهم بذبح
بقرة وإحراقها حتى تصير رمادا ، ويغسل الحبر الذى ذبحها ثيابه ويديه ،
فكل من يقترب إلى ميت أو ميتة[4] يكون نجسا سبعة أيام ، وينضح عليه
من ذلك الماء فى اليوم الثالث واليوم السابع ويتطهر[5] ، وإن لم يرش ١٥
عليه كذلك فلا يتطهر ، وكل من دنا من إنسان ميت ولا ينضح عليه
من ذلك الماء فقد نجس جناب[6] الرب ، فلتهلك تلك النفس لأنه لم ينضح
عليه من ماء الرش شىء ، فلذلك يكون نجسا ولا يفارقه[7] نجاسته ، وهذه

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : يقولوا ـ كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : عساكرهم.
(٣) من ظ ، وفى الأصل : لعنها (٤) فى ظ : يمسكه (٥) من ظ ، وفى الأصل :
يتطهرون (٦) فى الأصلين : جنا ـ كذا (٧) فى ظ : لاتفارقه .

سنة الإنسان إذا مات فى قبة الزمان ، فكل[١] من [ كان - [٢] ] هناك فى القبة وكل من يدخلها يكون نجسا [ سبعة أيام ، وكل وعاء يكون مكشوفا غير مغطى يكون نجسا - [٢] ] ، وكل من دنا من قتيل أو يمس عظم إنسان أو يدخل القبر يكون نجسا سبعة أيام ويؤخذ للتنجس من ٥ رماد البقرة ويصب فى وعاء ماء عذب وينضح منه - على كيفية ذكرها - ليكون زكيا ، ومن تنجس[٣] ولم يرش عليه من ذلك الماء تهلك نفسه من جماعتها ، ومن دنا من ماء الرش يكون نجسا[٤] إلى الليل ، [ ومن اقترب إلى ذلك الذى تنجس يكون نجسا إلى الليل - [٢] ] ؛ ثم قال : ثم كلم الرب موسى وقال له : مر بنى إسرائيل وقل لهم : قرابتى [٥] تكون ١٠ محفوظة[٥] فى أوقاتها - ثم ذكر له كثيرا من أمر القرابين ، ثم ذكر من أوقاتها يوم السبت ورؤس الشهور ، ثم قال : وفى أربع عشرة ليلة من الشهر الأول[٦] هو فصح الرب ، ويوم خمسة عشر اتخذوه عيدا ، وكلوا الفطير سبعة أيام ، [ وصيّروا -[٧] ] / أول يوم من السبعة مميزا[٨] مطهرا ، /٣٦٩ لا تعملوا فيه عملا ، واليوم السابع يكون مميزا[٨] مطهرا لا تعملوا فيه عملا ، ١٥ وأول يوم من الشهر السابع يكون مختصا مطهرا ، لا تعملوا فيه عملا[٩]

---

(١) فى ظ : كل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ينجس (٤) زيد فى ظ : الى الرش (٥ - ٥) من ظ ، وفى الأصل : يكون يحفظه - كذا . (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٧) من ظ ، وفى الأصل بياض (٨) فى ظ : متميزا (٩) من ظ ، وفى الأصل : شيئا .

مما

مما يعمل ، بل صيروه يوما يهتف فيه بالقرون ، و قربوا ذبائح كاملة - ثم وصفها و كذا غيره من الأيام ثم قال: و كذلك فافعلوا فى أول الشهر أبدا ، و فى عشر من الشهر السابع اجعلوه يوما مختصا ، مطهرا لا تعملوا فيه عملا ، [1]و لكن قربوا ، و يوم خمسة عشر من هذا الشهر السابع ، و يكون مدعوا ، لا تعملوا فيه عملا [1]، بل اتخذوه عيدا للرب سبعة أيام؛ ثم قال: ٥ حتى إذا كان اليوم الثامن فاحتفلوا [2] بأجمعكم ، و لا تعملوا شيئا مما يعمل ، و قربوا قرابين كاملة - و أطال فى ذلك جدا على كيفيات حفظها فضلا عن العمل بها فى غاية المشقة ؛ ثم قال : و قربوا للرب فى أيام أعيادكم غير نذوركم و غير خواصكم التى [3] تختصون للرب ؛ ثم قال مخاطبا للمجاهدين فى مدين: و أما أنتم فانزلوا خارجا من [4] العسكر سبعة أيام ، كل من قتل نفسا أو مس ١٠ قتيلا ينضح عليه من ماء التطهير فى الثالث و السابع - و أمرهم [5] بأشياء من الآصار ثم قال : و تطهروا [6] بالماء فى اليوم السابع ، ثم بعد ذلك تدخلون [7] العسكر ؛ ثم قال فى الخامس : هذه السنن و الأحكام [8] التى يجب [8] عليكم أن تعملوها و تحفظوها فى الأرض التى [3] يعطيكم الله ربكم ميراثا كل أيام حياتكم ، خربوا كل البلدان التى ترثونها ، و الآلهة [9] التى عبدها أهلها فيها على الجبال ١٥

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: فاختلفوا (٣) فى ظ : الذى (٤) فى الأصل : عن (٥) فى الأصل : امر (٦) من ظ ، وفى الأصل : يطهروا (٧) فى ظ : يدخلون (٨-٨) فى الأصل : الذى تجب (٩) فى الأصل : الآلة - كذا .

الرفيعة و الآكام [ و - [1] ] تحت كل شجرة كبيرة تظل ، و استأصلوا مذابحهم و كسروا [ أنصابهم ، و أحرقوا أصنامهم المصنوعة و - [2] ] أوثانهم المنحوتة [3] ، و لا تصنعوا أنتم مثل ما [3] صنع أولئك فى عبادتكم الله ربكم [3] ، و لكن المواضع التى يختار الله ربكم أن تصيّروا [4] اسمه فيها من جميع قبائلكم ، ٥ و افحصوا عن محلته ، و انطلقوا بجمعكم بقرابينكم الكاملة ، كلوا هناك أمام الله ربكم أنتم و أهاليكم ، و لا تعملوا كما يعمل هاهنا اليوم - أى قبل الوصول إلى أرض الميراث ؛ ثم قال [5] : انظروا لا تقربوا قرابينكم فى المواضع التى تريدون [6] ، لكن فى الموضع الذى يختار الرب ، فى حد سبط من أسباطكم ؛ ثم قال : و إذا بنيت بيتا جديدا فحجر على البيت لئلا يقع ١٠ إنسان من فوقه فليلزمك دمه ، و لا تزرعن [7] فى حرثك خلطا [8] لئلا تفسد غلة زرعك و كرمك ، لا تحرث [9] بالثور و الحمار جميعا ، و لا تنسج [10] ثوبا من قطن و صوف جميعا ، اعمل خيوطا فى أربعة أطراف ردائك الذى تلبس ؛ ثم قال : و إن وجد رجل فتاة عذراء لم تملك ، فيظفر بها و يضاجعها و يوجد [11] ، يدفع إلى أبيها خمسين مثقالا [12] من فضة ، وتصير ١٥ امرأته لأنه فضحها ، و لا يقدر أن يطلقها حتى يموت . و لا يدخل

(١) زيدت الواو من التوراة - الأصحاح الثانى عشر (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل : يصيروا (٥) فى الأصل : قيل (٦) من ظ ، و فى الأصل : يريدون (٧) من ظ ، و فى الأصل : يزرعن (٨) فى ظ : خطأ . (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا يحرث (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لا ينسج . (١١) من ظ ، و فى الأصل : يوخذ (١٢) فى ظ : مثقال .

ولد الزنا إلى بيت الرب ، و لا يدخل نسله من بعده إلى عشرة
أحقاب ، [1]و لا يدخل عماني و لا موآبي[2] إلى بيت الرب ، و لا يدخل نسلهما
من بعدهما إلى عشرة أحقاب ، لأنهم لم يضيفوكم و لم يعشوكم بالخبز
و الماء حيث خرجتم من أرض مصر ، و لأنهم اكتروا[3] بلعام بن بعور
من فتورام[4] من بين النهرين[5] - و هي حران - ليلعنكم ، و لم يحب الرب أن ٥
يسمع قول بلعام بن بعور ، و قلب الله لعنه إلى الدعاء ، لأن الله ربكم
أحبكم ، فلا تريدوا لهم الخير أيام حياتكم ، لا تدفعوا الأدومي عنكم لأنه
أخوكم ، و لا تبعدوا المصري أيضا لأنكم كنتم سكانا بأرض مصر . و إن
كان في معسكركم[6] رجل[7] أصابته جنابة ، يخرج خارج العسكر ، و لا يجلس
بين أصحابه في العسكر ، و إذا كان العشي فليستحم بالماء ، و إذا غابت الشمس ١٠
و أمسى يدخل العسكر ، و ليكن لكم موضع معروف خارج العسكر
تخرجون[8] إليه إلى الخلاء ،/ و يكون على سلاحكم وتد من حديد ، فإذا / ٣٧٠
جلستم للخلاء[9] احفروا موضعا[10] للخلاء و غطوا رجيعكم ، لأن الله ربكم
معكم في العسكر لينقذكم و يدفع عنكم[11] أعداءكم ، فليكن عسكركم مطهرا

---

(١) العبارة من هنا إلى « عشرة أحقاب » ساقطة من ظ (٢) من التوراة - الأصحاح الثالث و العشرين ، و في الأصل : موالي - كذا (٣) من ظ ، و في الأصل : كروا - كذا (٤) في ظ : قنتورا - كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : النهر (٦) في ظ : عسكركم (٧) من ظ ، و في الأصل : رجلا (٨) من ظ ، و في الأصل : يخرجون (٩) من ظ ، و في الأصل : الخلاء (١٠) تكرر في ظ .
(١١) من ظ ، و في الأصل : اليكم .

مزكيا[1] لئلا يرى فيكم أمرا قبيحا ، فيرتفع عنكم و لا يصحبكم ؛ ثم قال :
و إن سكن أخوان جميعا و مات أحدهما و لم يخلف ولدا ، لا تتزوج[2]
امرأته من رجل غريب ، و لكن يتزوج بها وارثه و يقيم زرعا ، و أول
ولد تلد ينسب إلى أخيه الذى مات ، و يقال : إنه ابن ذلك الذى مات
٥ و لم يخلف ولدا . لئلا يبيد اسمه من بنى إسرائيل ، و إن لم يعجب[3]
الرجل أن يتزوج امرأة أخيه ، ترتفع[4] امرأة أخيه إلى المشيخة فيدعونه ،
فان ثبت على قوله تتقدم إليه المرأة بين يدى المشيخة و تخلع[5] خفيه من
قدميه و تبصق فى وجهه و تقول : كذلك يصنع بالرجل الذى لا يحب
أن يبنى بيتا لأخيه ، و يدعى اسمه بين بنى إسرائيل : صاحب خلع الخفين ،
١٠ و إن شاجر الرجل صاحبه فدنت امرأة أحدهما لتخلص[6] زوجها من
الذى يقاتله[7] ، فتمد يدها إلى مذاكير الرجل ، يقطع يدها و لا يشفق عليها
و لا يترحم[8] - انتهى . و كل هذه الآصار على النصارى أيضا ما لم يرد فى
الإنجيل نسخها .

و لما تم ما نظمه تعالى فى أثناء هذه القصص من جواهر أوصاف
١٥ هذا النبى الكريم حثا على الإيمان [ به - [9]] و إيجابا له على وجه علم منه
أنه رسول الله إلى كل مكلف تقدم زمانه أو تأخر ؛ أمره سبحانه أن

---

(١) فى ظ : زكيا (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يتزوج (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم تعجب (٤) من ظ ، و فى الأصل : يرتفع (٥) من ظ ، و فى الأصل : يخلع (٦) من ظ ، و فى الأصل : ليحصل (٧) من ظ ، و فى الأصل : يقابله (٨) فى ظ : لا ترحم (٩) زيد من ظ .

يصرح بما تقدم التلويح إليه، و يصرح بما أخذ ميثاق الرسل[1] عليه تحقيقا لعموم رسالته و شمول دعوته فقال: ﴿ قل ﴾ و أتى بأداة البعد لأنه محلها ﴿ يآيها الناس ﴾ و قد مضى فى الأنعام أن اشتقاقهم[2] من النوس، و أن الإمام السبكى قال: إن ذلك يقتضى دخول الجن و الملائكة فيهم. و تقدم عند "و لا تبخسوا الناس اشياءهم" فى هذه السورة ما ينفع هنا ٥ ﴿ انى رسول الله ﴾ أى الذى له جميع الملك ﴿ اليكم جميعا ﴾ أى لا فرق بين من أدركنى و من تأخر عنى أو[3] تقدم علىّ فى أن الكل يشترط عليهم الإيمان بى و الاتباع لى؛ و هذا المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان و غيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه حين رفع إليه الذراع فنهش منها فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة. و للدارمى فى أوائل مسنده ١٠ عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم [ قال - [4] ] «أنا قائد المرسلين و لا فخر، و أنا خاتم النبيين و لا فخر، و أنا أول شافع و [ أول - [4] ] مشفع و لا فخر» و للترمذى فى المناقب عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم[5] قال «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، و أنا قائدهم إذا وفدوا، و أنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، و أنا ١٥ مبشرهم إذا أيسوا[6]، لواء الحمد يومئذ بيدى، و أنا أكرم ولد آدم على ربى و لا فخر[7]» و قال: حديث حسن غريب؛ و له فى المناقب أيضا عن أبى

(١) من ظ، و فى الأصل: الرجل (٢) من ظ، و فى الأصل: انشقاقهم (٣) فى ظ «و» (٤) زيد من أوائل مسند الدارمى - الباب ٨ (٥) العبارة من «قال أنا» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) فى الأصل: ييسوا - كذا (٧) و هذا الحديث فيما =

ابن كعب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين و خطيبهم و صاحب شفاعتهم غير فخر » و قال : حسن صحيح غريب ؛ و للترمذى و الدارمى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « ألا ! و أنا حبيب الله و لا فخر ، و أنا ٥ حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر . و أنا أول شافع و أول مشفع يوم القيامة و لا فخر ، و أنا أكرم الأولين و الآخرين ولا فخر » و للترمذى - و قال : حسن - عن[1] أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم / قال « أنا[2] سيد ولد آدم يوم القيامة و لا فخر ، /٣٧١ و بيدى لواء الحمد و لا فخر ، و ما[3] من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت ١٠ لوائى » . الفخر : ادعاء[4] العظمة و الكبر و الشرف ، أى لا أقوله تبجحا ، و لكن شكرا و تحديثا بالنعمة ؛ و ما اجتمع بهم فى مجمع إلا كان إمامهم قبل موته و بعده ، اجتمع بهم ليلة الإسراء فى بيت المقدس فصلى بهم إماما ، ثم اجتمع بهم فى السماء فصلى بجميع أهل السماء إماما ، [ و أما -[5] ] يوم الجمع الأكبر و الكرب[6] الأعظم فيحيل الكل عليه و يؤمنون بالرسالة[7] ، ١٥ و ما[8] أحال بعض الأكابر على بعض إلا علما منهم بأن الختام يكون به ، ليكون أظهر للاعتراف بأمانته و الانقياد لطاعته ، لأن المحيل على المحيل

= عندنا من نسخة الترمذى أخصر مما هنا ، و راجع أيضا أوائل مسند الدارمى - الباب ٨ .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اى (٣) فى ظ : لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : دعاء (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : لكرب (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالرياسة . (٨) من ظ ، و فى الأصل : اما .

على الشيء محيل على ذلك الشيء ، و لو أحال أحد ممن قبل[1] عيسى عليه السلام عليه لطرقه احتمال ، و الحاصل أنه صلى الله عليه و سلم يظهر[2] فى ذلك الموقف[3] رسالته بالفعل إلى الخلق كافة ، فيظهر سر هذه الآية " الذين يتبعون الرسول " - و الله الموفق .

و لما دل بالإضافة إلى اسم الذات الدال على جميع الصفات على عموم ٥ دعوته و شمول رسالته حتى للجن و الملائكة ، أيد ذلك بقوله : ﴿ الذى له ﴾ أى وحده ﴿ ملك السموٰت و الارض ج ﴾ أى فلا بدع أن يرسله إلى جميع من فيهما ، بل و ما[4] فيهما .

و لما[5] كان مما بالغه فى الدنيا أنه ربما كان فى مملكة[6] الملك من يناظره أو يقرب منه من ولى عهد أو نحوه ، فربما رد بعض أمره فى صورة ١٠ نصح أو غيره ؛ نفى ذلك بقوله مبينا تمام ملكه : ﴿ لآ اله الا هو ﴾ أى فالكل منقادون لأمره خاضعون له ، لأنه لا[7] موجود بالفعل و لا بالإمكان من يصلح للالهية سواه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ يحي و يميت ص ﴾ أى له هاتان الصفتان مختصا بهما ، و من كان كذلك كان منفردا بما ذكر ، و إذا راجعت[8] ما يأتى إن شاء الله تعالى فى أول الفرقان مع ما مضى ١٥ فى أوائل الأنعام ، لم يبق عندك شك فى دخول الملائكة عليهم السلام فى عموم الدعوة .

و لما تقرر أنه لا منازع له ، تسبب عن ذلك توجيه الأمر بالانقياد

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : قبل (٢) فى ظ : تظهر (٣) فى الأصل : لموقف ، و فى ظ : الوقت (٤) فى ظ : لا (٥) فى الأصل : لو (٦) فى ظ : ملكه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : رجعت .

لرسوله فقال: ﴿ فآمنوا بالله ﴾ أي لما ثبت له من العظمة و الإحاطة بأوصاف الكمال و بكل شيء فان الإيمان به أساس لا ينبني[1] شيء من الدين إلا عليه .

و لما كان أقرب الفروع الأصلية إليه[2] الرسالة قال: ﴿ و رسوله ﴾ ٥ أي لأنه رسوله؛ ثم وصفه بما دل على قربه فقال: ﴿ النبي ﴾ أي الذي يخبره بما يريد من الأمور العظيمة غيبا و شهادة، و يعليه عن كل مخلوق باخباره بارساله؛ و لما كان علوه على كل عالم - مع أنه لم يتعلم من آدمي - أدل شيء على صدقه قال: ﴿ الامي ﴾ أي الذي هو - مع كونه لا يحسن كتابة و لا قراءة، بل هو على الفطرة الأولى السليمة التي لم يخالطها هوى، ١٠ ولا دنسها حظ و لا شهوة - بحيث يؤم و يقصد للاقتداء[3] به، لما حوى من علوم الدنيا و الآخرة و التخلق بأوصاف الكمال .

و لما أشار بهذه الصفة إلى أن سبب الإيمان الخلاص[4] من الهوى بالكون على الفطرة الأولى، قال منبها على وجوب الإيمان به، لكونه أول فاعل لما يدعو إليه: ﴿ الذي يؤمن بالله ﴾ أي لأجل ما يقتضيه[5] ١٥ ذاته سبحانه من التعبد له لما له من العظمة، فكلما[6] تجدد له علم من علوم[7] الذات بحسب ترقيه[8] في رتب الكمال من[1] رتبة كاملة إلى أكمل منها إلى ما لا نهاية له، جدد له إيمانا بحسبه، لا تعتريه /٣٧٢ غفلة و لا يخالطه سهو

(١) زيد بعده في الأصل : عليه ، و لم تكن في ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣) في الأصل : الانقراء (٤) من ظ ، و في الأصل : الخلوص (٥) في الأصل : تقتضيه (٦) من ظ ، و في الأصل : فكما (٧) في ظ : العلوم (٨) من ظ ، و في الأصل : بوفيته - كذا .

و لا

و لا شائبة فتور ﴿ و كلمته ﴾ كذلك أيضا، كلما[1] تجدد له علم بصفة منها جدد لها إيمانا، و منها المعجزات التي جرت على يديه[2]، كل واحدة منها كلمة لأن ظهوره بالكلمة، كما سمي عيسى عليه الصلاة و السلام كلمة لذلك.

و لما تقرر أنه امتثل ما أمر به، فثبتت بذلك رسالته، استحق أن ٥ يكون قدوة فقال: ﴿ و اتبعوه ﴾ أي في كل ما يقول و يفعل مما ينهى عنه أو يأمر به أو يأذن فيه ﴿ لعلكم تهتدون ۝ ﴾ أي ليكون[3] حالكم [ حال - [4] ] من يرجى له حصول ما سأل في الفاتحة من الاهتداء، أي[5] خلق الهداية في القلب مع دوامه.

و لما كثر عد مثالب بني إسرائيل، و ختم بتخصيص المتبع لهذا النبي ١٠ الكريم بالهداية و الرحمة المسببة عنها، و كان فيهم المستقيم على ما شرعه له ربه، المتمسك بما لزمه أهل طاعته و حزبه، سواء كان من صفات النبي صلى الله عليه و سلم أو غيرها، مع الإذعان لذلك كله؛ نبه عليه عائدا إلى تتميم أخبارهم، ثم ما وقع في أيام موسى عليه السلام و بعدها من شرارهم[6]، تعزية لهذا النبي الكريم و تسلية، و تطييبا لنفسه الزكية و تأسية، و هو مع ١٥ ما بعده من أدلة " ساصرف عن ايٰتي " - الآية، فقال تعالى عاطفا على " و اتخذ قوم موسى من بعده " -: ﴿ و من قوم موسىٰ امة ﴾ أي قوم يستحقون أن يؤموا لأنهم لا يتكبرون في الأرض بغير الحق، بل

(١) من ظ، و في الأصل: كما (٢) في ظ: يده (٣) في الأصل: لتكون (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: شرارها.

﴿ يهدون ﴾ أى يوقعون الهداية و هى البيان ﴿ بالحق و به ﴾ أى خاصة ﴿ يعدلون ﴾ أى يجعلون القضايا المختلفة المتنازع فيها معادلة[1] ليقع الرضى بها، لا يقع[2] منهم جور فى شيء منها، و منهم الذين اتبعوا النبى صلى الله عليه و سلم كعبد الله بن سلام و مخيريق رضى الله عنهما .

٥ و لما مدحهم، شرع يذكرهم شيئا مما أسبغ عليهم من النعم لأجل هؤلاء المهتدين من التكثير بعد[3] القلة و الإعزاز بعد الذلة بجعلهم ممن يؤم استعطافا لغيرهم، و يذكر بعض عقوباتهم ترهيبا فقال: ﴿ و قطعنٰهم ﴾ أى فرقنا بينهم بالأشخاص[4] بعد أن كانوا ماء واحدا من شخص واحد، و هو إسرائيل عليه السلام؛ و صرح[5] بالكثرة بعد أن لوح بها بالتقطيع

١٠ بقوله: ﴿ اثنتى عشرة ﴾ و ميزه - موضع المفرد الذى هو مميز العشرة - بالجمع للاشارة إلى أن كل سبط يشتمل لكثرته على عدة قبائل بقوله: ﴿ اسباطا ﴾ و السبط - بالكسر: ولد الولد، و القبيلة من اليهود، و هذه المادة تدور على الكثرة و البسط؛ و بين عظمتهم و كثرة انتشارهم و تشعبهم بقوله: ﴿ امما ﴾ أى هم أهل لأن يقصدهم الناس لما لهم من

١٥ الكثرة و القوة و الدين، أو أن كل أمة منهم تؤم[6] [7]خلاف ما تؤمه[7] الأخرى [7]من غيرهم دينا[7] .

(١) من ظ، و فى الأصل: متعادلة (٢) من ظ، و فى الأصل: لا ينفع (٣) فى ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: خرج (٦) من ظ، و فى الأصل: يوم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما وصفهم بهذه الكثرة، و كان ذلك محرّى[1] لذكر الإنعام عليهم بالكفاية[2] فى الأكل و الشرب، ذكر نعمة خارقة للعادة فى الماء، و بدأ به لأنه الأصل فى الحياة، و هى من نوع تقسيمهم من نفس واحدة مشيرة إلى ظلمهم و إسراعهم فى المروق فقال: ﴿و اوحينآ الى موسىٰٓ اذ﴾ أى حين ﴿استسقٰه قومهٓ﴾ أى طلبوا منه فى برية لا ماء بها[3] أن يسقيهم، ٥ و ذلك فى التيه، و التعبير بالقوم إشارة إلى تبكيتهم بكونهم أهل قوة و لم يتأسوا بموسى عليه السلام فى الصبر إلى أن يأتى الله الذى أمرهم بهذا المسير بالفرج، بل طلبوا منه ذلك على الوجه المذكور فى البقرة من إظهار القلق و الدمدمة ﴿ان اضرب بعصاك﴾ أى التى جعلناها لك آية و ضربت بها البحر فانفلق ﴿الحجرج﴾ أى أىّ حجر أردته من هذا الجنس؛ و بين ١٠ سبحانه سرعة امتثال موسى عليه السلام و سرعة التأثير عن ضربه بحذف: / فضربه[4]، و قوله مشيرا إليه: ﴿فانبجست﴾ أى فانشقت و ظهرت و نبعت، /٣٧٣ [و ذلك كاف فى تعنيفهم و ذمهم على كفرهم بعد المن به، و هذا السياق الذى هو لبيان إسراعهم فى المروق هو لا ينافى أن يكون علـى وجه الانفجار، و يكون التعنيف حينئذ أشد -[5]] ﴿منه اثنتا[6] عشرة عينا ط﴾ ١٥ على عدد الأسباط، و أشار إلى شدة تمايزها بقوله: ﴿قد علم كل اناس﴾ أى من الأسباط ﴿مشربهم ط﴾ و لما لم يتقدم للأكل ذكر و لا كان هذا سياق الامتنان، لم يذكر ما أتم هذه الآية به فى البقرة[7].

(١) أى حريّا، و فى الأصل: محرا، و فى ظ: محرا - كذا (٢) فى ظ: بالكناية.
(٣) من ظ، و فى الأصل: هنا (٤) فى ظ: وضربه (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) فى ظ: اثنى (٧) راجع آية ٦٠ منها.

و لما ذكر تبريد الأكباد بالماء، أتبعه تبريدها بالظل فقال: ﴿ و ظللنا ﴾ أى فى التيه ﴿ عليهم الغمام ﴾ أى لئلا يتأذوا بالشمس؛ و لما أتم تبريد الأكباد، أتبعه غذاء الأجساد فقال: ﴿ وانزلنا عليهم المن ﴾ أى خبزا ﴿ و السلوىٰ ﴾ [أى -[1]] إداما؛ و قال السموأل بن يحيى: و هو ٥ طائر صغير يشبه السمانى[2]، و خاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية، يموت[3] إذا سمع صوت الرعد كما أن الخطاف يقتله البرد، فيلهمه الله عز و جل أن يسكن جزائر البحر التى لا يكون بها مطر و لا رعد إلى انفصال أوان المطر و الرعد، فيخرج من الجزائر و ينتشر[4] فى الأرض.

و لما ذكر عظمته فى ذلك، ذكر نتيجته فقال: ﴿ كلوا من طيبٰت ١٠ ما رزقنٰكم ﴾ أى بصفة العظمة القاهرة لما نريد مما لم تعالجوه[5] نوع معالجة، و دل على أنهم قابلوا هذا الإحسان بالطغيان و الظلم و العدوان بقوله عطفا[6] على[3] ما تقديره: فعدلوا عن الطيبات المأذون فيها، و أكلوا الخبائث التى حرمناها عليهم بالاصطياد يوم السبت - كما يأتى - و فعلوا غير ذلك من المحرمات، فظلموا أنفسهم بذلك: ﴿ و ما ظلمونا ﴾ أى بشىء مما قابلوا ١٥ فيه الإحسان بالكفران ﴿ و لكن كانوآ ﴾ أى دائما جبلة و طبعا ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ۝ ﴾ و هو - مع كونه من أدلة "ساصرف عن اٰيٰتى" الآية - دليل على صحة وصف هذا الرسول بالنبى، فان من علم هذه الدقائق من أخبارهم مع كونه أميا و لم يخالط أحدا من أحبارهم،

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: السمان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: يسير (٥) من ظ، و فى الأصل: لم يعالجوه (٦) فى ظ: عاطفا.

كان

[1] كان صادقا عن علام الغيوب من غير مؤيد وكذا ما بعده .

و لما ذكر ما حباهم[1] به فى القفار ، أتبعه إنعامه عليهم عند الوصول إلى الدار فقال : ﴿و اذ﴾ أى اذكر لهم هذا ليصدقوك أو يصيروا فى غاية الظلم كأصحاب السبت فيتوقعوا مثل عذابهم ، و اذكر لهم ما لم تكن حاضره و لا أخذته عنهم ، و هو وقت إذ ، [و عدل عن الإكرام بالخطاب ٥ و نون العظمة ، لأن السياق للاسراع فى الكفر فقال - [2] ] : ﴿قيل [3]لهم اسكنوا[3] ﴾ أى ادخلوا مطمئنين على وجه الإقامة ، [و لا يسمى ساكنا إلا بعد التوطن بخلاف الدخول ، فانه يكون بمجرد الولوج فى الشيء على أيّ وجه كان - [2] ] ﴿هذه القرية﴾ فهو دليل آخر على الأمرين : الصرف و الصدق ؛ و عبر هنا بالمجهول فى " قيل " إعراضا[4] عن ١٠ تلذيذهم بالخطاب إيذانا بأن هذا السياق للغضب عليهم بتساقطهم فى الكفر و إعراضهم عن الشكر ، من أيّ قائل كان و بأيّ صيغة ورد القول و على أيّ حالة كان ، و إظهارا للعظمة[5] حيث كانت ، أدنى إشارة منه كافية فى سكناهم[6] فى البلاد و استقرارهم فيها قاهرين لأهلها الذين ملأوا قلوبهم هيبة حتى قالوا " انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها[7] " . ١٥

و لما خلت نعمة الأكل فى هذا السياق عما دعا إليه سياق البقرة

---

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

(٣-٣) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل - مع تقديم "اسكنوا" على "لهم" - عن «أى وجه كان» (٤) من ظ ، و فى الأصل : اعراض (٥) فى ظ : لعظمة .

(٦) من ظ ، و فى الأصل : مساكنهم (٧) سورة ٥ آية ٢٤ .

من التعقيب و هو الاستعطاف ، ذكرت بالواو الدالة على مطلق الجمع ، و هى لا تنافى تلك ، فقال : ﴿ وكلوا منها ﴾ أى القرية ﴿ حيث شئتم ﴾ و أسقط الرغد لذلك ، و قدم ﴿ و قولوا حطة ﴾ ليكون أول قارع للسمع مما أمروا به من العبادة مشعرا بعظيم ما تحملوه من الآثام ، إيذانا ٥ بما سيقت[1] له هذه القصص فى هذه السورة من المقام .

و لما أمروا بالحطة قولا ، أمروا أن يشفعوها بفعل، لتحط عنهم ذنوبهم ، و لا ينافى التقديم / هنا[2] التأخير فى البقرة ، لأن الواو لا ترتب ، فقال : /٢٧٤ ﴿ وادخلوا الباب ﴾ أى باب بيت المقدس حال كونكم ﴿ سجدا نغفر[3] لكم ﴾ و لما كان السياق هنا[2] لبيان إسراعهم فى الكفر ، ناسب ذلك جمع الكثرة ١٠ فى قوله : ﴿ خطاياكم[4] ﴾ فى قراءة أبى عمرو ، و أما[4] قراءة ابن عامر "خطيتكم" بالإفراد و قراءة غيرهما "خطياتكم" جمع قلة فللاشارة[5] إلى أنها قليل فى جنب عفوه تعالى ، و كذا بناء "تغفر" للجهول تأنيثا و تذكيرا ، كل ذلك ترجية لهم و استعطافا إلى التوبة ، و لذلك[6] ساق سبحانه ما بعده مساق السؤال لمن كأنه قال : هذا الرجاء قد حصل ، فهل مع المغفرة من ١٥ كرامة ؟ فقال : ﴿ سنزيد ﴾ أى بوعد لا خلف فيه عن قريب ، و هو لا ينافى إثبات الواو فى البقرة ﴿ المحسنين ۝ ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف ،

---

(١) فى ظ : سقيت (٢) من ظ ، و فى الأصل : هذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : يغفر ، و فى روح المعانى ٣/١٤٤ : و قرأ نافع و ابن عامر و يعقوب بالتاء و البناء للمفعول (٤) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٥) فى ظ : فالاشارة (٦) فى ظ : لذا .

و للسياق[1] الذى وصفت قيد قوله: ﴿ فبدل الذين ظلموا ﴾ بقوله: ﴿ منهم ﴾ لئلا يتوهم أنهم من الدخلاء فيهم ﴿ قولا غير الذى ﴾ .

و لما كان من المعلوم أن القائل من له إلزامهم ، بناه للمجهول فقال: ﴿ قيل لهم ﴾ و قال: ﴿ فارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم ﴾ بالإضمار تهويلا لاحتمال العموم بالعذاب ﴿ رجزا من السمآء ﴾ و لفظ ٥ الظلم - فى قوله: ﴿ بما كانوا يظلمون ﴾ بما يقتضيه من أنهم لا ينفكون عن الكون فى الظلام إما مطلقا و إما مع تجديد فعل فعل[2] من هو فيه - أهول من لفظ الفسق المقتضى لتجديد الخروج مما ينبغى الاستقرار فيه ، كما أن لفظ الإرسال المعدى بـ " على " كذلك بالنسبة إلى لفظ الإنزال . ١٠

و لما فرغ من هتك أستارهم فيما عملوه أيام موسى عليه السلام و ما يليها ، أتبعه خزيا آخر أشد مما قبله ، كان بعد ذلك بمدة لا يعلمه أحد إلا من جهتهم أو من الله ، و إذا انتفى الأول ثبت الثانى ، فقال: ﴿ و سئلهم ﴾ أى بنى إسرائيل مبكتا[3] لهم و مقررا ﴿ عن القرية ﴾ أى البلد الجامع ﴿ التى كانت حاضرة البحر ﴾ أى على شاطئه و هى أيلة ، ١٥ و لعله عبر بالسؤال ، و لم يقل: و إذ تعدو القرية[4] التى - إلى آخره ، و نحو ذلك ، لأن كراهتهم للاطلاع على هذه الفضيحة أشد مما مضى ، و هى دليل على الصرف و الصدق . و لما كان السؤال عن خبر أهل القرية قال

(١) فى ظ : يساق (٢) فى ظ : كفعل (٣) فى ظ : مبتليا (٤) زيد بعده فى ظ : اى .

مبدلا بدل اشتمال من القرية : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ يعدون ﴾ أى يجوزون الحد الذى أمرهم الله به ﴿ فى السبت اذ ﴾ أى العدو حين ﴿ تاتيهم ﴾ و زاد فى التبكيت بالإشارة إلى المسارعة فى الكفر بالإضافة فى قوله : ﴿ حيتانهم ﴾ إيماء إلى أنها مخلوقة لهم ، فلو صبروا نالوها و هم مطيعون ، ٥ كما فى حديث جابر رضى الله عنه رفعه « بين العبد و بين رزقه حجاب ، فان صبر خرج إليه[1] ، و إلا هتك الحجاب و لم ينل إلا ما قدر له » ﴿ يوم سبتهم ﴾ أى الذى يعظمونه بترك الاشتغال فيه بشيء غير العبادة ﴿ شرعا ﴾ أى قريبة مشرفة لهم ظاهرة على وجه الماء بكثرة ، جمع شارعة و شارع أى دان ﴿ و يوم لا يسبتون لا ﴾ أى لا يكون سبت ، ١٠ و لعله عبر بهذا إشارة إلى أنهم لو عظموا الأحد على أنه سبت جاءتهم فيه ، و هو من : سبتت اليهود - إذا عظمت سبتها ﴿ لا تاتيهم ج ﴾ أى ابتلاء من الله لهم ، و لو أنهم صبروا أزال الله هذه العادة فأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم .

و لما كان هذا بلاء عظيما ، قال / مجيبا لسؤال من كأنه قال[2] لشدة ‎/٣٧٥ ١٥ ما بهره من هذا الأمر : هل وقع مثل هذا؟ مشيرا إلى أنه وقع ، و لم يكتف به ، بل وقع لهم أمثاله لإظهار ما فى عالم الغيب منهم إلى عالم الشهادة : ﴿ كذلك ج ﴾ أى مثل هذا البلاء العظيم ﴿ نبلوهم ﴾ أى نجدد اختبارهم كل قليل ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ [ أى -[3] ] جبلة و طبعا ﴿ يفسقون ٥ ﴾ أى يجددون فى علمنا من الفسق ، و هو الخروج مما هو

---

(١) من ظ : و فى الأصل : اليهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .

أهل للتوطن من الطاعات .

و لما أخبر أنّ الفسق ديدنهم ، أكده بقوله عطفا على "اذ يعدون" :
﴿ و اذ ﴾ أى و اسألهم عن خبرهم حين ﴿ قالت امة منهم ﴾ أى جماعة
ممن يعتبر و يقصد من الواعظين الصالحين الذين وعظوا حتى أيسوا[1] لأمة
أخرى منهم لا يقلعون عن الوعظ[2] تخويفا للموعوظين[3] بما يتجاوزون به ٥
﴿ لم تعظون قوما لا ﴾ أى معتمدين على قوتهم ﴿ الله ﴾ أى الذى له الملك
كله ﴿ مهلكهم ﴾ أى لا محالة لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يتعظون
بالمواعظ ﴿ او معذبهم عذابا شديدا ط ﴾ أى بعظيم ما يرتكبونه و تماديهم فيه
﴿ قالوا ﴾ أى الأمة الأخرى من الواعظين : وعظنا ﴿ معذرة الى ربكم ﴾
أى المحسن إليكم بالحفظ[4] عما وقعوا فيه من الذنب و الإقبال على الوعظ ١٠
حتى إذا سئلنا عن أمرنا فى عصيانهم نقول : فعلنا فى أمرهم جهدنا ، هذا
إن[5] لم يرجعوا ﴿ و لعلهم يتقون ﴾ أى و ليكون حالهم حال من يرجى
خوفه لله فيرجع عن غيه .

و لما تراجعوا بهذا الكلام ليكون زاجرا للعاصين فلم يرجعوا ، أخبر
أنه صدق ظنهم بإيقاع الأمرين معا[6] : العذاب الشديد و الإهلاك ، فقال : ١٥
﴿ فلما نسوا ما ذكروا بهٖ ﴾ أى فعلوا فى إعراضهم عنه فعل الناسى و تركوه
ترك المنسى ، و هو أن الله لا يهملهم كما أن الإنسان لا يمكن أن يهمل

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يسوا كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الوغض - كذا .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : للوعظين (٤) من ظ ، و فى الأصل : لحفظ (٥) فى
ظ : اذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : مع .

أحدا تحت يده ، ليفعل ما يشاء من غير اعتراض ﴿ انجينا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ الذين ينهون ﴾ أي استمروا على النهي ﴿ عن السوء ﴾ أي الحرام ﴿ واخذنا ﴾ أي أخذ غلبة وقهر ﴿ الذين ظلموا ﴾ أي بالعدو في السبت ﴿ بعذاب بئيس ﴾ أي شديد[1] جدا ﴿ بما كانوا ﴾ أي جبلة وطبعا ٥ ﴿ يفسقون ﴾ أي بسبب استمرارهم على تجديد الفسق .

ولما ذكر ماهددهم به من العذاب الشديد ، أتبعه الهلاك فقال : ﴿ فلما عتوا ﴾ أي تكبروا جلافة ويبسا عن الانتهاء ﴿ عن ما نهوا عنه ﴾ أي بعد[2] الأخذ بالعذاب الشديد ، وتجاوزوا إلى الاجتراء على جميع المعاصي عنادا وتكبرا بغاية الوقاحة وعدم المبالاة ، كان مواقعتهم لذلك ١٠ الذنب وإمهالهم مع الوعظ أكسبتهم ذلك وغلظت أكبادهم عن الخوف بزاجر العذاب ، من عتا يعتو عتوا - إذا [3]أقبل على الآثام[3] ، فهو عات ، قال عبد الحق في كتابه الواعي : وقيل إذا أقدم[4] على كل أموره ، ومنه هذه الآية ، وقيل : العاتي هو المبالغ في ركوب المعاصي ، وقيل[5] : المتمرد الذي لا ينفع فيه الوعظ والتنبيه ، ومنه قوله سبحانه "فعتوا عن امر ربهم[6]" ١٥ أي جاوزوا المقدار والحد في الكفر - انتهى . وحقيقته : جاوزوا الأمر إلى النهي ، أو جاوزوا الائتمار بأمره ، والمادة ترجع إلى الغلظ والشدة والصلابة ﴿ قلنا لهم ﴾ أي بما لنا من القدرة العظيمة ﴿ كونوا قردة ﴾ أي في صورة[7] القردة حال كونكم[8] ﴿ خسئين ﴾ أي صاغرين مطرودين

---

(١) من ظ ، وفي الأصل : شديدا (٢) من ظ ، وفي الأصل : ابد (٣ - ٣) في ظ : قدم على الآثار (٤) في ظ : قدم (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٥١ آية ٤٤ .
(٧) من ظ ، وفي الأصل : صور (٨) من ظ ، وفي الأصل : كونهم .

بعيدين[1] عن الرحمة كما يبعد الكلب . و لما تبين بما مضى من جرأتهم على المعاصى و إسراعهم فيها استحقاقهم لدوام الخزى و الصغار ، أخبر أنه فعل بهم ذلك على وجه موجب للقطع بأنهم مرتبكون[2] فى الضلال ، مرتكبون / سيئ الأعمال ، ما دام عليهم ذلك النكال ، فقال : ﴿ و اذ ﴾ و هو عطف على " و سئلهم " [ أى - [3] ] و اذكر لهم حين ﴿ تاذن ﴾ أى أعلم إعلاما عظيما جهرا معتنى به ﴿ ربك ﴾ أى المربى لك و الممهد لأدلة شريعتك و الناصر لك على من خالفك .

و لما كان ما قيل جاريا مجرى القسم ، تلقى بلامه[4] ، فكان كأنه قيل : تاذن مقسما بعزته و عظمته و علمه و قدرته : ﴿ ليبعثن ﴾ أى من مكان بعيد ، و أفهم أنه بعث عذاب بأداة الاستعلاء المفهمة لأن المعنى : ليسلطن ﴿ عليهم ﴾ أى اليهود ، و مد زمان التسليط فقال : ﴿ الى يوم القيمة ﴾ الذى هو الفيصل[5] الأعظم ﴿ من يسومهم ﴾ أى ينزل بهم دائما ﴿ سوٓء العذاب[6] ﴾ بالإذلال و الاستصغار و ضرب الجزية و الاحتقار ، و كذا فعل سبحانه فقد سلط عليهم الأمم[6] و مزقهم فى الأرض كل ممزق من حين أنكروا رسالة المسيح عليه السلام ، كما أتاهم به الوعد الصادق فى التوراة ، و ترجمة ذلك موجودة بين أيديهم الآن فى قوله فى آخر السفر الأول : لا يزول القضيب من آل يهودا ، لا يعدم سبط يهودا ملكا مسلطا و اتخاذه نبيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك - و فى نسخة :

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : مرتكبون (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : كلامه (٥) فى ظ : الفصيل (٦) فى ظ : الامة .

الكل - و إياه تنتظر الشعوب، يربط بالحبلة جحشه؛ و قال السموأل فى أوائل كتابه غاية المقصود: نقول لهم: فليس فى التوراة التى فى أيديكم ما تفسيره[1]: لا يزول الملك من آل يهودا و الراسم[2] بين ظهرانيهم إلى أن يأتى المسيح. [3]فلا يقدرون على جحده، فنقول لهم: إذاً علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة و ملك إلى ظهور المسيح ثم انقضى ملككم - انتهى. و من أيام رسالة المسيح[3] سلط الله عليهم الأمم و مزقهم فى الأرض، فكانوا مرة تحت حكم البابليين، و أخرى [ تحت أيدى المجوس، و كرة تحت قهر الروم من بنى العيص، و أخرى - [4] ] فى أسر غيرهم إلى أن أتى النبى صلى الله عليه و سلم فضرب عليهم الجزية هو و أمته من بعده.

و لما كان السياق للعذاب و موجباته، علل ذلك مؤكدا بقوله: ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك باذلال أعدائك الذين هم أشد الأمم لك و لمن آمن بك عداوة ﴿ لسريع العقاب ج صلے ﴾ أى يعذب عقب الذنب بالانتقام[5] باطنا بالنكتة السوداء فى القلب، و ظاهرا - إن أراد - بما يريد، و هذا بخلاف ما فى الأنعام فانه فى سياق الإنعام بجعلهم خلائف.

و لما رهب، رغب بقوله: ﴿ و انه لغفور ﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا لمن تاب [3]و آمن[3] ﴿ رحيم ٥ ﴾ أى مكرم منعم بالتوفيق لما يرضاه ثم بما يكون سببا له من الإعلاء[6] فى الدنيا و الآخرة.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: يفسره (٢) من ظ، و فى الأصل: المراسم.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: والانتقام (٦) فى ظ: الاعلى.

ذكر

ذكر شيء مما هددوا به فى التوراة على العصيان و البغى و العدوان غير ما تقدم فى المائدة عند" من لعنه الله و غضب عليه[1] " و غيرها من الآيات - قال فى السفر الخامس : و إن[2] لم تحفظ وتعمل[2] بجميع الوصايا و السنن التى[3] كتبت فى هذا الكتاب و تتق الله ربك و تهب[4] اسمه المحمود المرهوب ، يخصك الرب بضربات موجعة و يبتليك بها ، و يبتلى نسلك من بعدك ٥ و تدوم[5] عليك ، و يبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التى كانت قد صارت مثل نجوم السماء ، و تجلون عن الأرض [ التى -[6] ] تدخلونها لترثوها ، و يفرقكم الرب بين الشعوب ، و تعبدون هنالك الآلهة الأخرى[7] التى عملت من الحجارة و الخشب ، و لا تسكنون أيضا بين تلك الشعوب ، و لكن يصير الله قلوبكم هناك فزعة مرتجفة ، بالغداة[8] تقولون : متى نمسى ؟ ١٠ و بالعشى تقولون : متى نصبح ؟ و ذلك من فزع قلوبكم و خوفكم و قلة حيلتكم ، و يردكم الله إلى أرض مصر فى ألوف فى الطريق الذى قال الرب : لا تعودوا[9] أن تروه ، و تباعون هناك / [ عبيدا -[6] ] و إماء ، و لا يكون ٣٧٧ / من يشتريكم - هذه أقوال العهد[10] التى أمر الله بها موسى أن يعاهد بنى إسرائيل فى أرض موآب سوى العهد[10] الذى عاهدهم بحوريب ؛ ثم دعا موسى ١٥ جميع بنى إسرائيل و قال لهم : قد رأيتم ما صنع الله بأرض مصر بفرعون

(١) آية ٦٠ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : لم يحفظ و يعمل (٣) فى ظ : الذى .
(٤) فى الأصل : يهاب ، و فى ظ : تهاب (٥) من ظ ، و فى الأصل : يدوم .
(٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : بالعذاب (٩) فى الأصل و ظ : لا يقودوا - كذا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

وجميع عبيده وكل شعبه[١] والبلايا العظيمة التى رأته أعينكم والآيات والأعاجيب التى شهدتموها، ولم يعطكم الرب قلوبا تفهم وتعلم، ولا أعينا تبصر ولا آذانا تسمع إلى يومنا هذا، ودبركم فى البرية أربعين سنة، لم تبل ثيابكم عليكم ولم تخلق خفافكم أيضا ولم تأكلوا خبزا، لتعلموا
٥ أنى أنا الله ربكم، وأنا الذى أتيت بكم إلى هذه البلاد، فاحفظوا وصايا هذه التوراة واعملوا بها وأتموا جميع الأعمال فى طاعة الله وأكملوها، لأنكم قد عرفتم جميعا أنا كنا سكانا بأرض مصر وجزنا بين الشعوب، ورأيتم نجاستهم وأصنامهم، لعل فيكم اليوم رجلا أو امرأة أو قبيلة أو سبطا يميل قلبه عن[٢] عبادة الله ربنا ويطلب عبادة آلهة[٣] تلك الشعوب،
١٠ فيسمع أقوال هذا العهد فيقول: يكون لى[٤] السلام فأتبع مسرة قلبى، هذا لا يريد الرب أن يغفر له، ولكن هناك يشتد غضب الرب وزجره عليه وينزل [ به - ٥ ] كل اللعن الذى فى هذا الكتاب، ويستأصل الرب اسمه من تحت السماء ويفرزه الرب من جميع أسباط بنى إسرائيل للشر والبلايا، ويقول الحقب الآخر بنوكم الذين يقومون من بعدكم
١٥ والغرباء، وينظرون إلى ضربات تلك الأرض والأوجاع أنزل الله بها ويقول الشعب[٣]: لماذا صنع الرب هكذا؟ ولماذا[٣] اشتد غضبه على هذا الشعب العظيم؟ ويقولون: لأنهم تركوا عهد الله إله آبائهم، فاشتد غضب الرب على هذه الأمة وأمر أن ينزل بها كل اللعن الذى كتب فى هذا

(١) من ظ، وفى الأصل: تسعة (٢) فى ظ: من (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: الى (٥) زيد من ظ.

الكتاب، و يجليهم الرب عن بلادهم بغضب و زجر شديد و يبعدهم إلى أرض غريبة كما ترى[1] اليوم ، فأما الخفايا و السرائر فهى لله ربنا ، و الأمور الظاهرة المكشوفة هى لنا .

و لما أخبر سبحانه بالتأذن ، كان كأنه قيل : فأسرعنا فى عقابهم بذنوبهم و بعثنا عليهم من سامهم سوء العذاب بالقتل و السبى ، فعطف ٥ عليه قوله : ﴿ و قطعنٰهم ﴾ أى بسبب ما حصل لهم من السبى المترتب على العذاب بما لنا من العظمة تقطيعا كثيرا بأن أكثرنا تفريقهم[2] ﴿ فى الارض ﴾ حال كونهم ﴿ امما ج ﴾ يتبع بعضهم بعضا ، فصار فى كل بلدة قليل منهم ليست[3] لهم شوكة ولا يدفعون عن أنفسهم ظلما .

و لما كان كأنه قيل : فهل أطبقوا [ بعد - [4] ] هذا العذاب على الخير ؟ ١٠ قيل : لا ، بل فرقتهم الأديان نحو فرقة[5] الأبدان ﴿ منهم الصٰلحون ﴾ أى الذين[6] ثبتوا على دينهم إلى أن جاء الناسخ له فتبعوه امتثالا لدعوة كتابهم ﴿ و منهم دون ذلك ز ﴾ أى بالفسق تارة و بالكفر أخرى ﴿ و بلونٰهم ﴾ أى عاملناهم معاملة المبتلى ليظهر للناس ما نحن به منهم عالمون ﴿ بالحسنٰت ﴾ أى النعم ﴿ و السيات ﴾ أى النقم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ ١٥ أى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن غيه رغبة أو رهبة .

و لما كان العذاب الذى وقع التأذن بسببه [ ممتدا - [4] ] إلى يوم القيامة ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يرى (٢) فى ظ : تفريعهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : كسبت (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فرقوا . (٦) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

تسبب عنه قوله : ﴿ فخلف ﴾ أى نشأ ؛ و لما كانوا غير مستغرقين لزمان
البعد ، أتى بالجار فقال : ﴿ من بعدهم خلف ﴾ أى قوم هم أسوأ حالا منهم
﴿ ورثوا الكتب ﴾ أى الذى هو نعمة ، و هو التوراة ، فكان لهم[1] نقمة
لشهادته عليهم بقبح أفعالهم ، لأنه بقى فى أيديهم بعد أسلافهم يقرؤنه
٥ و لا يعملون بما فيه ؛ قال ابن فارس : و الخلف ما جاء من بعد ، أى / سواء ٣٧٨/
كان محركا أو ساكنا ، و قال أبو عبيد الهروى فى الغريبين[2] : و يقال :
خلف سوء - أى بالسكون - و خلَف صدق ، و قال الزبيدى فى مختصر العين :
و الخلف : خلف السوء بعد أبيه ، و الخلَف : الصالح ، و قال ابن القطاع
فى الأفعال : و خَلَفَ خَلَفُ سوء : [صاروا بعد قوم صالحين ، و خلَف
١٠ سوء ، قال الأخفش : هما سواء[3] ، أى بالسكون - [4] ] ، [5] منهم من يسكن
و منهم من يحرك فيهما جميعا ، و منهم من يقول : خلف صدق - أى
بالتحريك - و خلف سوء - أى بالسكون[5] - [ يريد بذلك الفرق بينهما ،
و كل ذلك إذا أضاف ، يعنى فاذا لم يضف كان السكون - [4] ] للفساد ،
و التحريك للصلاح ؛ و قال فى القاموس : خلف نقيض قدام ، و القرن
١٥ بعد القرن ، و منه : [هؤلاء - [6] ] خلف سوء ، و الردىء من القول ؛
و بالتحريك الولد الصالح ، فاذا كان فاسدا أسكنت[7] اللام ، و ربما استعمل
كل منهما مكان الآخر ، يقال : هو خلف صدق من أبيه - إذا قام مقامه ،

(١) فى ظ : له (٢) من ظ ، و فى الأصل : الفريقين - كذا (٣) من كتاب
الأفعال - خلف ، و فى ظ : سوء (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥-٥) سقط
ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من القاموس (٧) من القاموس ، و فى الأصل
و ظ : سكنت .

أو

أو[1] الخلف بالسكون و بالتحريك[2] سواء، الليث: خلف للأشرار خاصة، و بالتحريك ضده. و المادة ترجع إلى الخلف الذى هو نقيض قدام، كما بينت ذلك فى فن المضطرب من حاشيتى على شرح ألفية العراقى.

و لما كان المظنون بمن[3] يرث الكتاب الخير، فكان كأنه قيل: ما فعلوه[4] من الخير فيما[5] ورثوه؟ قال مستأنفا: ﴿ ياخذون ﴾ أى يجددون ٥ الأخذ دائما، و حقر[6] ما أخذوه بالإعلام بأنه مما يعرض و لا يثبت بل هو زائل فقال: ﴿ عرض ﴾ و زاده حقارة باشارة الحاضر فقال: ﴿ هذا ﴾ و صرح بالمراد بقوله: ﴿ الادنى ﴾ أى من الوجودين، و هو الدنيا ﴿ و يقولون ﴾ أى دائما من غير توبة.

و لما كان النافع الغفران من غير نظر إلى معين، بنوا للفعول قولهم: ١٠ ﴿ سيغفر لنا ج ﴾ أى[7] من غير شك، فأقدموا على السوء و قطعوا بوقوع ما يعد [ وقوعه فى المستقبل حكما على من يحكم و لا يحكم عليه، و صرح بما أفهمه ذلك من - [8] ] إصرارهم معجبا منهم فى جزمهم بالمغفرة مع ذلك بقوله: ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنه إن ﴿ ياتهم عرض مثله ﴾ [ أى فى الدناءة و الخسة - [8] ] و الحرمة كالرشى ﴿ ياخذوه[9] [10] ﴾. ١٥

[ و لما كان هذا عظيما، أنكر عليهم مشددا - [8] ] [10] للنكير بقوله[10]

---

(١) فى ظ « و » (٢) من ظ و القاموس، و فى الأصل: التحريك (٣) فى ظ: عمن (٤) فى ظ: فعلوا (٥) فى ظ: مما (٦) من ظ، وفى الأصل: حقق (٧) سقط من ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٩) زيد من ظ و القرآن الكريم. (١٠-١٠) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على « و الحرمة كالرشى » و الترتيب من ظ.

مستأنفا[1] : ﴿ الم يؤخذ عليهم ﴾ بناه للمفعول إشارة إلى أن العهد يجب الوفاء به على كل حال ، ثم عظمه بقوله : ﴿ ميثاق الكتب ﴾ أى الميثاق المؤكد [ فى التوراة -[2] ] ﴿ ان لا يقولوا ﴾ [ أى قولا من الأقوال و إن قل -[2] ] ﴿ على الله ﴾ أى الذى له كمال العظمة ﴿ الا الحق ﴾
٥ أى المعلوم ثباته ، و ليس من المعلوم ثباته إثبات المغفرة على القطع بغير توبة ، بل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب .

و لما كان ربما وقع فى الوهم أنه أخذ على أسلافهم و لم يعلم هؤلاء به ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و درسوا ما فيه[4] ﴾ أى ما فى ذلك الميثاق[3] بتكرير القراءة للحفظ ﴿ و الدار الأخرة ﴾ أى فعلوا ما تقدم من مجانبة التقوى
١٠ و الحال أن الآخرة ﴿ خير ﴾ أى مما يأخذون ﴿ للذين يتقون[4] ﴾ أى وهم يعلمون ذلك بإخبار كتابهم ، و لذلك أنكر عليهم[4] بقوله : ﴿ افلا يعقلون * ﴾ أى حين أخذوا ما يشقيهم و يفنى بدلا مما[5] يسعدهم و يبقى ، و على قراءة نافع و ابن عامر و حفص بالخطاب يكون المراد الإعلام بتناهى الغضب .

١٥ و لما بين ما للمفسدين من[6] كونهم قالوا على الله غير الحق فلا يغفر لهم ، بين ما للصالحين[7] المذكورين فى قوله " و من قوم موسى امة يهدون بالحق و منهم الصلحون " فقال عاطفا على تقديره : أولئك حبطت أعمالهم فيما

(١) تأخر فى الأصل عن « الميثاق المؤكد » والترتيب من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى ظ : اكد فى الكتاب والكتاب (٤) فى ظ : عليه (٥) فى ظ : عما (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : للصلحين .

درسوا من الكتاب، ولا يغفرلهم ما أتوا من الفساد: ﴿ والذين يمسكون ﴾ أى يمسكون إمساكا شديدا يتجدد على [ كل - [1] ] وجه الاستمرار، وهو إشارة إلى أن التمسك بالسنة فى غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور الفساد ﴿ بالكتب ﴾ أى فلا يقولون على الله إلا الحق، [2]ومن جملة تمسيكهم / المتجدد انتقالهم عن ذلك الكتاب عند إتيان الناسخ لأنه ناطق ٥ / ٢٧٩ بذلك - والله الموفق[2].

ولما كان من تمسيكهم بالكتاب عند نزول هذا الكلام انتقالهم عن دينهم إلى الإسلام كما وقع الأمر به فى المواضع التى تقدم بيانها، عبر عن إقامة الصلاة المعهودة لهم بلفظ الماضى دون المضارع لئلا يجعلوه حجة فى الثبات على دينهم، فيفيد ضد المراد فقال: ﴿ و اقاموا الصلوٰة[4] ﴾ ١٠ وخصها إشارة إلى أن الأولين تركوها كما صرح به فى آيـة مريم، وتنويها[3] بشأنها بيانا لأنها من أعظم شعائر الدين، ولما كان التقدير إخبارا عن المبتدإ: سنؤتيهم أجورهم[4] لإصلاحهم، وضع موضعه للتعميم قوله: ﴿ انا لا نضيع ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ اجر المصلحين ۝ ﴾.

ولما ذكر الكتاب أنه رهبهم من مخالفته ورغبهم فى مؤالفته، ١٥ وكان عذاب الآخرة مستقبلا وغائبا، وكان ما هذا شأنه لا يؤثر فى الجامدين، أمره أن يذكرهم[5] بترهيب دنيوى مضى إيقاعه بهم، ليأخذوا مواثيق الكتاب لغاية الجد مع أنه لا يعلمه إلا علماؤهم، فيكون

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: ثبوتها (٤) فى ظ: اجرهم (٥) فى ظ: يذكره.

علم الأمى[1] له من أعلام نبوته الظاهرة فقال: ﴿ و اذ ﴾ أى اذكر لهم هذا ، فان لم يتعظوا اذكر لهم إذ ﴿ نتقنا[2] ﴾ أى قلعنا[3] و رفعنا ، [و - [4]] أتى بنون العظمة لزيادة الترهيب ﴿ الجبل ﴾ عرفه لمعرفتهم به ، [ و عبر به لدلالة لفظه على الصعوبة و الشدة دون الطور - كما فى البقرة - لأن
٥ السياق لبيان نكدهم باسراعهم فى المعاصى الدالة على غلظ القلب - [4]] .

و لما كان مستغرقا لجميع الجهة الموازية لعساكرهم ، حذف الجار فقال : ﴿ فوقهم ﴾ [ ثم بين أنه كان أكبر منهم بقوله - [4] ] : ﴿ كأنه ظلة ﴾ أى سقف ، و حقق أنه صار عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله : ﴿ و ظنوآ ﴾ هو على حقيقته ﴿ انه واقع ﴾ و لما كان ما تقدم
١٠ قد حقق العلو ، لم يحتج إلى حرف الاستعلاء ، فقال مشيرا إلى السرعة و اللصوق : ﴿ بهم ﴾ أى إن[5] لم يأخذوا عهود[6] التوراة ، قالوا : و لما رأوا ذلك خر كل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ، و صار ينظر بعينه اليمنى[7] إلى الجبل[7] فزعا من سقوطه ، و هى سنة لهم فى سجودهم إلى الآن ، يقولون : هذه السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة .

١٥ و لما كان كأنه قيل : فقالوا : أخذنا يا رب عهودك ، قال مشيرا إلى عظمتــه ليشتد إقبالهم عليه إشارة إلى أنه عــلة رفــع الجبل : ﴿خذوا مآ اٰتينٰكم﴾ أى بعظمتنا ، فهو جدير بالإقبال عليه و أن يعتقد فيه الكمال ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ بقوة ﴾ أى عزم عظيم على احتمال

---

(١) فى ظ : الادنى (٢) تقدم فى ظ على « أى اذكر » (٣) فى ظ : قطعنا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عهد (٧-٧) فى ظ : اليه.

مشاقه

مشاقه[1]؛ و لما كان الأخذ للشيء بقوة ربما نسيه في وقت، قال: ﴿ و اذكروا ما فيه ﴾ أي [ من الأوامر و النواهي و غيرهما - [2] ] فلا تنسوه ﴿لعلكم تتقون ﴾ أي ليكون[3] حالكم حال من يرجى تقواه، فدل سبحانه بهذا على تأكيد المواثيق عليهم في[4] أخذ جميع ما في الكتاب الذي من جملته [5]ألا تقولوا[5] على الله إلا الحق و لا تكتموا[6] شيئا منه، قالوا: ٥ و لما قرأ موسى عليه السلام [ الألواح و فيها كتاب الله لم يبق على الأرض شجر و لا جبل و لا حجر إلا اهتز، فلذلك لا ترى يهوديا يسمع التوراة إلا اهتز و انفض رأسه - [2] ].

و لما ذكر أنه ألزمهم أحكام الكتاب على هذه الهيئة القاهرة الملجئة القاسرة التي هي من أعظم المواثيق عند أهل الأخذ، و أنه أكد عليهم ١٠ المواثيق في كثير من فصول الكتاب، و كان ذلك كله خاصا بهم؛ أمره أن يذكر لهم أنه ركب لهم في عموم هذا النوع الآدمي من العقول و نصب من الأدلة الموضحة للأمر إيضاح المشهود للشاهد ما لو عذب تاركه و المتهاون به لكان تعذيبه جاريا على المناهج ملائما للعقول، و لكنه لسبق رحمته و غلبة رأفته لم يؤاخذ بذلك حتى ضم إليه الرسل، و أنزل معهم الكتب، ١٥ و أكثر فيها من المواثيق، و زاد في الكشف و البيان، و إلى ذلك الإشارة باسم الرب، فكأن من عنده علم أشد ملامة من الجاهل[7]، فقال: ﴿ و اذ ﴾ أي و اذكر لهم / إذ ﴿ اخذ ﴾ أي خلق بقوله و قدرته ﴿ ربك ﴾ أي المحسن ٣٨٠ /

---

(١) في ظ: شاقة (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) في ظ: لتكون (٤) في ظ: من (٥-٥) في ظ: ان لا يقولوا (٦) في ظ: لا يكتموا (٧) في ظ: الكافر.

إليك بالتمهيد لرسالتك كما يؤخذ القمل بالمشط[1] من الرأس .

و لما كان السياق لأخذ المواثيق و الأخذ بقوة ، ذكر أخذ الذرية من أقوى نوعي الآدمي ، و هم الذكور فقال : ﴿من بنىٓ ادم﴾ و ذكر أنه جعلها من أمتن الأعضاء فقال : ﴿ من ظهورهم ﴾ كل واحد من ظهر أبيه ﴿ ذريتهم[2] ﴾ إشارة إلى أنه [ لما - [3] ] أكد عليهم المواثيق و شددها لهم [ و أمرهم - [3] ] بالقوة فى أمرها ، أعطاهم من القوة[4] فى التركيب و المزاج ما يكونون[5] به مطيعين لذلك ، فهو تكليف بما فى الوسع ، و جعل لهم عقولا عند من قال : هو على حقيقته كنملة سليمان عليه الصلاة و السلام ﴿و اشهدهم[6] علىٓ انفسهم ج﴾ أى أوضح لهم من البراهين من الإنعام بالعقول مع خلق السماوات و الأرض و ما فيهما على هذا المنوال الشاهد له بالوحدانية و تمام العلم و القدرة ، و من إرسال الرسل المؤيدين بالمعجزات ما كانوا[7] كالشهود بأنه لا رب غيره ؛ [ [3] - و قد ذكر معنى هذا الإمام حجة الإسلام الغزالى فى الكلام على العقل من باب العلم من الإحياء فانه قال فى معنى هذه الآية : و المراد إقرار[8] نفوسهم ، لا إقرار الألسنة ، فانهم انقسموا[9] فى إقرار الألسنة حيث

(١) من ظ ، و فى الأصل : من المشط (٢) هذا على قراءة نافع و أبى عمرو و ابن عامر و يعقوب ، و قرأ الباقون بالتوحيد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ . (٤) فى ظ : القوى (٥) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٦) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : اشهدتهم (٧) من ظ ، و فى الأصل : اتوا (٨) من إحياء العلوم ١/٦٤ ، و فى ظ : افراد (٩) من الإحياء ، و فى ظ : ان قسموا - كذا .

وجدت الألسنة و الأشخاص؛ ثم ذكر أن النفوس فطرت على معرفة الأشياء على ما هي عليه لقرب الاستعداد للادراك ] .

و لما[1] تبين أنه فرد لا شريك له فلا راد لأمره، و أنه رب فلا أرأف منه و لا أرحم، كان ذلك أدعى إلى طاعته خوفا من سطوته و رجاء لرحمته، فكانوا بذلك بمنزلة من سئل عن الحق فأقر به، فلذلك ٥ قال: ﴿ الست بربكم ط ﴾ أي المحسن إليكم بالخلق و التربية بالرزق و غيره ﴿ قالوا بلى ج شهدنا ج ﴾ أي كان علمنا بذلك علما شهوديا ، و ذلك لأنهم وصلوا بعد البيان إلى حد لا يكون فيه الجواب إلا ذلك فكأنهم قالوه؛ فهو - و الله أعلم - [من-[2]] وادي قوله تعالى" و لله يسجد من في السمٰوٰت و الارض [ [2]- طوعا و كرها[3] " - الآية و " لله يسجد ما في السمٰوٰت ١٠ و الارض] من دابة و الملٰئكة و هم لا يستكبرون[4] " .

و لما كان كأنه قيل: لم فعل ذلك ؟ قيل : دلالة على أن المتقدم إنما هو على طريق التمثيل بجعل تمكينهم من الاستدلال كالإشهاد ، فعله كراهة ﴿ ان يقولوا[5] يوم القيٰمة ﴾ أي إن لم ينصب[6] لهم الأدلة ﴿ انا كنا عن هذا ﴾ أي وحدانيتك و ربوبيتك ﴿ غٰفلين لا ﴾ أي لعدم ١٥ الأدلة فلذلك[7] أشركنا ﴿ او يقولوآ ﴾ أي لو لم نرسل إليهم الرسل ﴿ انمآ اشرك اٰبآؤنا من قبل ﴾ أي من قبل أن نوجد[8]

---

(١) في الأصل وظ : ما (٢) زيد من ظ (٣) سورة ١٣ آية ١٥ (٤) سورة ١٦ آية ٤٩ (٥) هذا و ما بعده على قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بالخطاب (٦) في ظ : لم تنصب (٧) من ظ ، و في الأصل : فإن ذلك (٨) من ظ ، و في الأصل : يوجد .

﴿ و كنا ذرية من بعدهم ج ﴾ فلم نعرف لنا[1] مربيا غيرهم فكنا لهم تبعا فشغلنا
اتباعهم عن النظر و لم يأتنا رسول منبه[2]، فيتسبب عن ذلك إنكارهم فى
قولهم: ﴿ افتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ أى من آبائنا؛ قال أبو حيان:
و المعنى أن الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد و لا جاءهم رسول مذكر بما
٥ تضمنه العهد من توحيد الله و عبادته لكانت لهم حجتان : إحداهما ' كنا
غافلين ' و الأخرى ' كنا تبعا لأسلافنا ' فكيف و الذنب إنما هو لمن
طرّق لنا و أضلنا - انتهى . و مما يؤيد معنى التمثيل حديث أنس فى الصحيح
« يقول الله لأهون أهل النار عذابا : لو أن لك ما فى الأرض من شيء
كنت تفتدى به ؟ قال : نعم ، قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا
١٠ و أنت فى صلب آدم أن لا تشرك شيئا ، فأبيت إلا الشرك[3] » و ذلك لأن
التصريح بالآباء ينافى كون الإقرار على حقيقته ، و الأخذ و هو فى الصلب
إنما هو بنصب الأدلة و تقرير الحق[4] على وجه مهيئ للاستدلال بتركيب
العقل على القانون الموصل إلى المقصود عند التخلى من الحظوظ و الشوائب ،
و هذا الذى وقع تأويل الآية به لا يعارضه حديث الاستنطاق فى عالم
١٥ الذر على تقدير صحته ، فانه روى من طرق كثيرة جدا ذكرتها فى كتابى
سر الروح ، منها فى الموطأ و مسند أحمد و إسحاق بن راهويه و محمد بن نصر[5]
المروزى و أبى يعلى الموصلى و مستدرك الحاكم و كتاب المائتين / لأبى عثمان    /٣٨١

(١) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ ،
و فى الأصل : منتبه (٣) من ظ و الصحيح - الأنبياء ، و فى الأصل : اشرك .
(٤) فى ظ : الخلق (٥) من تهذيب التهذيب ، وفى الأصل وظ : مضر .

الصابونى عن صحابة و تابعين مرفوعا [ و موقوفا -[١] ] منهم عمر و أبى بن كعب و أبو هريرة و حكيم بن حزام و عبد الله بن سلام و عبد الله بن عمرو و ابن عباس و ابن مسعود رضى الله عنهم ، و عن محمد ابن كعب و عطاء بن يسار و سعيد بن المسيب و أبى العالية رحمهم الله ، و إنما كان لا يعارضه لأن فى بعض طرقه عن أبى [ بن -[٢] ] كعب رضى الله ٥ عنه[٣] أنه سبحانه قال بعد أن استنطقهم : فانى أشهد عليكم السماوات السبع و الأرضين[٤] السبع ، و أشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا [يوم القيامة -[١] ] : إنا كنا عن هذا غافلين ، فلا تشركوا بى شيئا ، فانى أرسل إليكم رسلى يذكرونكم عهدى و ميثاقى ، و أنزل عليكم كتبى ، فقالوا : نشهد أنك ربنا و إلهنا ، لا رب لنا غيرك . فالاستنطاق فى الحديث على بابه ، عبرة لأبينا ١٠ آدم عليه السلام و من حضر ذلك من الخلق ، و إيقافا لهم على بديع قدرته و عظيم علمه[٥] . و إشهاد ما أشهد من المخلوقات بمعنى أنه[٦] نصب فيها من الأدلة ما يكون إقامة الحجة به عليهم بالنقض إن أشركوا كشهادة [ الشاهد -[١] ] الذى لا يرد ، و ليس فى شىء من الروايات ما ينافى هذا ؛ و الحاصل أنه أخذ علينا عهدان : أحدهما حالى تهدى إليه العقول ، و هو ١٥ نصب الأدلة ، و الآخر مقالى أخبرت به الرسل ، كل ذلك للاعلام بمزيد الاعتناء بهذا النوع البشرى لما له من الشرف الكريم و يراد به من

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد ولا بد منه (٣) العبارة من « عن أبى » إلى هنا ساقطة من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الأرض (٥) من ظ ، و فى الأصل : عمله . (٦) زيد بعده فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

الأمر العظيم - [1]و الله الموفق[1] .

و لما كان كأنه قيل تنبيها على جلالة هذه الآيات : انظر كيف فصلنا هذه الآيات هذه التفاصيل الفائقة و أبرزناها فى هذه الأساليب الرائقة ، [قال -[2]] : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك التفصيل البديع[3] الجليل الرفيع ٥ ﴿ نفصل الأيٰت ﴾ أى كلها لئلا يواقعوا ما لا يليق بجنابنا جهلا لعدم الدليل ﴿ و لعلهم يرجعون ﴾ أى و ليكون حالهم حال من يرجى[4] رجوعه عن الضلال إلى ما تدعو إليه الهداة من الكمال عن قرب إن حصلت غفلة فواقعوه ، و ذلك من [5]أدلة " و الذى[5] خبث لا يخرج الا نكدا " و " ما وجدنا لاكثرهم من عهد " و[3] " ساصرف عن ايٰتى " .

١٠ و لما ذكر لهم ما أخذ عليهم فى كتابهم من الميثاق الخاص الذى انسلخوا منه ، و أتبعه الميثاق العام الذى قطع به الأعذار ؛ أتبعهما [ بيان -[2] ] ما يعرفونه من حال من انسلخ من الآيات ، فأسقطه الله من ديوان السعداء ، فأمره صلى الله عليه و سلم أن يتلو ذلك عليهم ، لأنه - مع الوفاء بتبكيتهم - من أدلة نبوته الموجبة عليهم اتباعه ، فذكرهم ما وقع له فى نبذ العهد ١٥ و الانسلاخ من الميثاق بعد أن كان قد أعطى الآيات و أفرغ عليه من الروح فقال : ﴿ و اتل ﴾ أى اقرأ شيئا بعد شيء ﴿ عليهم ﴾ أى اليهود و سائر الكفار بل الخلق كلهم ﴿ نبا الذىٓ ﴾ و عظم ما أعطاه بمظهر العظمة و لفظ الإيتاء بعد ما عظم خبره بلفظ الإنباء[2] فقال : ﴿ اٰتينٰه ﴾ .

---

(١ - ١) تقدم فى الأصل على « و الحاصل أنه » و الترتيب من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ترجى (٥-٥) فى ظ : وادى .

و لما كان تعالى قد أعطاه من إجابة الدعاء و صحة الرؤيا و غير ذلك عما شاء سبحانه أمرا عظيما بحيث دله[1] على الله تعالى دلالة لا شك فيها، و كانت الآيات كلها متساوية الأقدام فى الدلالة و إن كان بعضها أقوى من بعض، قال تعالى: ﴿ايٰتنا﴾ و هو بلعام من غير شك للسباق و اللحاق، و قيل: هو رجل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين فرشاه فتبع دينه فافتتن به الناس، و قيل: هو أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى قال فيه النبى صلى الله عليه و سلم «آمن شعره و كفر قلبه» قاله عبد الله بن عمرو و[2] سعيد بن المسيب و زيد بن أسلم، و قيل: هو[3] أبو عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه و سلم الفاسق، و قيل: نزلت فى منافقى أهل الكتاب كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه و سلم فأنكروه.

و لما كان / الذى جرأهم على عظمته سبحانه ما أنعم عليهم به من إعطاء الكتاب ظنا منهم أنه لا يشقيهم بعد ذلك، رهبهم ببيان أن[4] الذى سبب له هذا الشقاء هو إيتاء[5] الآيات فقال: ﴿فانسلخ منها﴾ أى فارقها بالكلية كما تنسلخ الحية من قشرها، و ذلك بسبب أنه لما كان مجاب الدعوة سأله ملك زمانه الدعاء على موسى و قومه فامتنع فلم يزل يرغبه حتى خالف أمر الله اتباعا لهوى نفسه، فتمكن منه الشيطان، و أشار عليه أن يرسل إليهم النساء مزينات و يأمرهن أن لا يمتنعن[6] من أحد، فأشقاه الله، و هذا معنى ﴿فاتبعه الشيطٰن﴾ أى فأدركه مكره فصار قرينا له

(١) من ظ، و فى الأصل: دل (٢) فى ظ: بن (٣) من ظ، و فى الأصل: هذا.
(٤) فى ظ: انه (٥) من ظ، و فى الأصل: اتيان (٦) من ظ، و فى الأصل: لا يتبعن.

﴿ فكان ﴾ أى فتسبب عن إدراك الشيطان له أن كان ﴿ من الغوين ۝ ﴾
أى الضالين الراكبين هوى نفوسهم[١]، و عبر فى هذه القصة بقوله "اتل"
دون " و سئلهم عن " نحو ما مضى فى القرية ، لأن هذا الخبر مما يحبون
ذكره لأن سلخه من الآيات كان لأجلهم ، فهو شرف لهم ، فلو سألهم
٥ عنه لبادروا إلى الإخبار به و لم يتلعثموا[٢] فلا تكون تلاوته صلى الله
عليه و سلم بعد ذلك لما أنزل فى شأنه[٣] واقعا موقع ما لو أخبرهم به
[ قبل -[٤] ] ، و لعل المقصود الأعظم من هذه الآية و التى قبلها الاستدلال
على كذب دعواهم فى قولهم " سيغفر لنا " بما هم قائلون به ، فيكون من
باب الإلزام ، وكأنه قيل : أنتم قائلون بأن من أشرك لا يغفر له لتركه
١٠ ما نصب له من الأدلة حتى أنكم لتقولون " ليس علينا[٥] فى الامين سبيل "
لذلك ، فما لكم توسعون المغفرة لكم فى ترك ما أخذ عليكم به الميثاق الخاص
و قد ضيقتموها على غيركم فى ترك ما أخذ عليهم به الميثاق العام ؟ ما ذلك
إلا مجرد هوى ، فان قلتم : الأمر فى أصل التوحيد أعظم فلا يقاس
عليه ، قيل لكم : أليس المعبود قد حرم الجميع ؟ و على التنزل فمن المسطور
١٥ فى كتابكم أمر بلعام و أنه ضل ، و قد كان أعظم من أحباركم[٦] ، فانا
آتيناه الآيات من غير واسطة رسول ، وكان سبب هلاكه - كما[٧] تعلمون -
و خروجه من ربقة الدين و إحلاله دمه مشورته[٨] على ملك زمانه بأن يرسل

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : روسهم (٢) فى الأصل : لم يتعاموا ، و فى ظ : لم يتعثلموا - كذا (٣) فى ظ : شانهم (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و القرآن الكريم سورة ٣ آية ٧٥ ، و فى الأصل : لنا (٦) فى ظ : أحادكم (٧) فى ظ : لما (٨) فى الأصل : مستوريه ، و فى ظ : مسورته - كذا .

النساء إلى عسكر بنى إسرائيل متزينات غير ممتنعات ممن أرادهن ، و ذلك من الفروع التى هى أخف من باب الأموال ، فقد بحتم كذبكم فى قولكم "سيغفر لنا" و أنكم لم تتبعوا فيــه إلا الهوى كما تبعه بلعام فانظروا[1] ما فعل به .

٥ و لما كان هذا السياق موهما لمن لم يرسخ قدمه فى الإيمان أن الشيطان له تأثير مستقل فى الإغواء[2] ، نفى ذلك غيرة[3] على هذا المقام فى مظهر العظمة فقال : ﴿ و لو شئنا ﴾ أى أن نرفعه بها على ما لنا من العظمة التى من دنا من ساحتها بغير إذن محق ﴿ لرفعنه ﴾ أى فى المنزلة رفعة دائمة ﴿ بها ﴾ أى الآيات حتى لا يزال عاملا بها .

١٠ و لما علق الأمر بالمشيئة تنبيها على أنها هى[4] السبب الحقيق و أن ما لم يشأه سبحانه لا يكون ، و كان التقدير : و لكنا لم نشأ ذلك و شئنا له الكفر فأخلدناه - إلى آخره ، عبر عنه تعليما للأدب فى إسناد الخير إلى الله و الشر إلى غــيره و إن كان الكل خلقه [ حفظا - [5] ] لعقول الضعفاء من إيهام نقص أو[6] إدخال لبس بقوله مسندا نقصه إليــه :

١٥ ﴿ و لكنه اخلد ﴾ أى فعل فعل من أوقع الخلد - و هو [7]الدوام - و أوجده[7] ﴿ الى الارض ﴾ أى رمى بنفسه إلى الدنيا رميا ، تهالكا على ما فيها من الملاذ الحيوانية و الشهوات النفسانية ﴿ و اتبــع ﴾ أى اتباعا شديدا

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فانتظروا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الأغــراء .
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : من (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل « و » (٧-٧) فى ظ : دوام و وجوده - كذا .

﴿ هوٰه ج ﴾ فأعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات مقدما لداعي نفسه
على داعي روحه ، لأن القلب الذي هو نتيجتهما في عالم الأمر له وجهان :
وجه إلى الروح العلوي الروحاني الذي هو الأب ، و له الذكورة المناسبة
/٣٨٣ للعلو ؛ و وجه إلى النفس التي[1] / هي الروح الحيواني التي هي الأم و لها المناسبة
٥ للأرض بالأنوثة و بأن أصلها من التراب الذي له الرسوب بوضع الجبلة ،
فالتقدير : فحط نفسه حطا عظيما ، لأنا لم نشأ رفعه بما أعطيناه من الآيات ،
و إنما جعلناه وبالا عليه ، فلا يغتر أحد بما أوتي من المعارف ، و ما حاز
من المفاخر و اللطائف ، فان العبرة بالخواتيم ، و لنا بعد ذلك أن نفعل ما نشاء .

و لما كان هذا حاله ، تسبب عنه أن قال تعالى : ﴿ فمثله ﴾ أي مع
١٠ ما أوتي من العلم في اتباعه[2] لمجرد هواه من غير دليل بعد الأمر بمخالفة الهوى
﴿ كمثل الكلب ج ﴾ أي في حال دوام اللهث .

و لما كان [ كأنه -[3] ] قيل : مثله في أيّ أحواله ؟ قال : في كونه
﴿ ان تحمل عليه ﴾ أي لتضربه ﴿ يلهث او تتركه يلهث ط ﴾ فان أوجب لك
الحمل عليه ظن أن لهثه لما حاول من ذلك التعب ردك عنه لهثه في الدعة[4] ،
١٥ فتعلم حينئذ أنه [5]ليس له[5] سبب إلا اتباع الهوى ، فتابع الهوى مثل الكلب
كما بين ، و مثال هذا المنسلخ الجاهل الذي لا يتصور أن يتبع غير الهوى ،
لأنه يتبع الهوى مع إيتاه الآيات فبعد الانسلاخ منها أولى ، فقد[6] وضح
تشبيه[7] مثله بمثل الكلب ، لا[8] تشبيه مثله[8] بالكلب ؛ و هذه القصة تدل على

---

(١) تكرر في الأصل (٢) في ظ : اتيانه (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : الدعوة .
(٥-٥) من ظ ، و في الأصل : لا (٦) من ظ ، و في الأصل : نكم (٧) سقط من ظ .
(٨ - ٨) من ظ ، و في الأصل : يشبه بمثله .

أن من كانت نعم الله فى حقه أكثر، كان بعده عن الله إذا أعرض عنه أعظم و أكبر[1] .

و لما تقرر المثلان ، و كان كل منهما منطبقا على حالة[2] كل مكذب ، كانت النتيجة قوله : ﴿ ذلك ﴾ أى كل من المثلين ﴿ مثل القوم ﴾ أى الأقوياء على ما يحاولونه ﴿ الذين كذبوا بٰايٰتنا ﴾ أى فى [ أن -[3] ] ٥ تركهم لها إنما هو بمجرد الهوى ، لأن[4] لها من الظهور و العظمة بنسبتها إلينا ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة ﴿ فاقصص القصص ﴾ أى فأخبر الإخبار العظيم الذى تتبعت به مواقع الوقائع و آثار الأعيان حتى لم تدع فى شىء منها لبسا على كل من يسمع لك من اليهود و غيرهم ؛ و هو مصدر قص الشىء - إذا تبع أثره و استقصى فى ذلك ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ ١٠ أى ليكون حالهم حال من يرجى تفكره فى هذه الآيات ، فيعلمون أنه لا يأتى بمثلها من غير معلم من الناس إلا نبى ، فيردهم ذلك إلى الصواب حذرا[5] من مثل حال هذا .

و لما ظهر بهذا أن مثل الكلب الذى اكتسب من مثوله من السوء و القذارة[6] ما لا يعلمه حق علمه[7] إلا الله تعالى مثل المكذبين بالآيات ؛ أنتج ١٥ ذلك قوله تأكيدا لذمهم و زجرهم : ﴿ سآء مثلا القوم ﴾ أى مثل القوم ﴿ الذين كذبوا بٰايٰتنا ﴾ أى فلو لم يكن عليهم درك فى[7] فعلهم أن لا تنزل هذا المثل عليهم لكان أعظم زاجرا[8] له أدنى مروءة ، لأنهم نزلوا عما

(١) فى ظ : اكثر (٢) فى ظ : حال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : لما (٥) من ظ ، و فى الأصل : حلها - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : القذرة (٧) سقط من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : زجر .

لمن يتبعها من العظمة إلى ما ظهر بهذا المثل من الخسة ، فكيف و هم يضرون أنفسهم بذلك و[1] لا يضرون إلا إياها ، و ذلك معنى قوله : ﴿ و انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ كانوا يظلمون ۝ ﴾ أى كان ذلك[2] فى طبعهم جبلة لهم ، لا يقدر غير الله على تغييره .

٥ و لما كان ذلك محل عجب ممن يميل عن[3] المنهج بعد إيضاحه هذا الإيضاح الشافى ، قال جوابا لمن كأنه قال : فما لهم لا يؤمنون ؟ مفصلا لقوله " و لو شئنا لرفعنه بها " : ﴿ من يهد الله ﴾ أى يخلق الهداية فى قلبه الملك الأعظم الذى لا أمر لأحد معه ﴿ فهو المهتدى ج ﴾ أى لا غيره .

و لما كان فى سياق الاستدلال على أن أكثر الخلق هالك بالفسق ١٠ و نقض العهد ، وحد " المهتدى " نظرا إلى لفظ " من[4] " ، و جمع الضال[5] نظرا إلى معناها فقال : ﴿ و من يضلل فاولّـئك هم[6] ﴾ أى البعداء البغضاء خاصة لا غيرهم ﴿ الخسرون ۝ ﴾ إذ[7] لا فعل لغيره أصلا ، و الآية من فذلكة ما مضى ، و ما أحسن ختمها بالخسران فى وعظ من ترك الآخرة باقباله على أرباح / الدنيا و أعراضها الفانية ، ثم تعقيبها بذرء جهنم ١٥ الذين لا أخسر[8] منهم .

/٣٨٤

ذكر[1] قصة بلعام من التوراة - قال فى السفر الرابع منها بعد أن ساق قتالهم لسيحون ملك الأمورانيين : و فرق الموآبيون[9] من الشعب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : على (٤) فى ظ : مع (٥) فى ظ : الضلال (٦) تأخر فى الأصل عن « لا غيرهم » و الترتيب من ظ (٧) فى ظ : اى (٨) فى ظ : خسر (٩) من التوراة ، و فى الأصل : الموابتون ، و فى ظ : الموابيين - كذا .

فرقا

فرقا شديدا لأنهم رأوه شعبا عظيما، فاضطرب الموآبيون و رجفت قلوبهم خوفا من بنى إسرائيل، و قال ملك موآب لأشياخ مدين: اعلموا أن هذا الجمع يرتعى حرثنا[1]، و لا يدع أحدا إلا أهلكه، و يرتعى كل من حولنا[1] كما يرتعى الثور عشب الأرض، و كان ملك الموآبيين في ذلك الزمان بالاق بن صفور، فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور[2] ٥ العراف المعبر للأحلام الذى كان ينزل على شاطئ النهر قريبا من أرض بنى عمون ليدعوه إليه فيستعين به: أخبرك أنه [ قد - [3] ] خرج شعب من أرض مصر، فغشى وجه الأرض كلها، و قد نزلوا جبالنا، فأطلب إليك أن تأتى و تلعن هذا الشعب لأنه أقوى و أعز منا، لعلنا نقدر أن نحاربه و نهلكه عن جديد الأرض، لأنى عارف أن الذى تباركه هو ١٠ مبارك، و الذى تلعنه هو ملعون. و انطلق أشياخ موآب و أشياخ مدين و معهم هدايا و جوائز، فأتوا بلعام فقالوا له قول بالاق، فقال لهم: بيتوا ههنا ليلتكم هذه فأخبركم[4] بما يقول الرب، فأقام أشراف موآب عند بلعام، فأتى ملك الله بلعام و قال له: من القوم الذين أتوك؟ قال بلعام للملاك[5]: بالاق[6] بن صفور ملك موآب أرسل إلىّ و قال: قد ١٥ خرج شعب من أرض مصر فملأ وجه الأرض، فأقبل إلينا[7] حتى تلعنه، لعلى[8] أقدر أن[9] أجاهده و أهلكه، و قال الملاك[10] لبلعام: لا تنطلق مع القوم و لا تلعن الشعب لأنه مبارك، فقال بلعام بكرة لعظماء[11]

(١) فى ظ: حولها (٢) فى ظ: فعورا (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: و اخبركم (٥) من ظ، و فى الأصل: للملايكة (٦) فى ظ: بلاق (٧) من ظ، و فى الأصل: علينا (٨) فى ظ: لعل ان (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: الملك. (١١) فى الأصل و ظ: عظماء.

بالاق : انطلقوا إلى صاحبكم، لأن الرب لم يحب أن يدعنى أنطلق معكم، و نهض[1] عظماء موآب فأتوا بالاق و قالوا له : لم يهو بلعام إتيانك معنا، فعاد بالاق أيضا فأرسل رسلا أعظم و أكرم من الأولين، [ فأتوا بلعام و قالوا له : هكذا يقول بالاق بن صفور : لا تمتنع أن تأتينى - [2] ] لأنى ٥ سأعظمك و أكرمك جدا، و ما قلت لى من شيء فعلت، و أقبل إلينا [ لتلعن لى - [3] ] هذا الشعب، فرد بلعام على رسل بالاق قائلا : لو أن بالاق أعطانى ملء بيته ذهبا و فضة لم أقدر أن أتعدى قول ربى و إلهى، و لا أحيد عن قول[4] صغير [5] و لا كبير[5] من أقواله، فعرجوا أنتم أيضا[6] عندنا ليلتكم هذه حتى أنظر ما يخبرنى ملاك الله من أمركم، فنزل وحى الله ١٠ على بلعام ليلا، و قال له : إن كان هؤلاء القوم إنما أتوك ليدعوك فقم فانطلق معهم، و لكن إياك أن تعمل إلا ما أقول، فنهض[7] بلعام بكرة و أسرج أتانه[8] و انطلق مع عظماء موآب، فقام[9] ملاك الرب فى الطريق ليكون له لدادا، فرأت الأتان ملاك الله[10] قائما فى الطريق مخترطا سيفه ممسكه فى يده، فحادت عن الطريق و سارت فى الحرث، فضربها بلعام ١٥ ليردها إلى الطريق، فقام ملاك الرب فى طريق[11] ضيق بين كرمين، فرأت الأتانة ملك الرب فزحمت الحائط و ضغطت[12] رجل بلعام فى

(١) فى ظ : نهق (٢) زيد من ظ (٣) زيد بنساء على نص التوراة و هو : فتعال الآن العن لى هذا الشعب - راجع الأصحاح الثانى و العشرين من السفر الرابع. (٤) فى ظ : قوله (٥-٥) سقط مابين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل : فنزل (٨) فى ظ : اتاه (٩) فى ظ : فقال (١٠) فى ظ : الرب. (١١) فى ظ : سبيل (١٢) فى ظ : ضعت.

الحائط ، فعاد يضربها أيضا ، ثم عاد ملاك[1] الرب و قام فى موضع ضيق
حيث ليس لها موضع تحيد [ منه - [2] ] يمنة و لا يسرة ، فبصرت بملاك
الرب و ربضت تحت بلعام ، فاشتد غضب بلعام و ضرب الأتان[3] بالعصا ،
و فتح الرب فم الأتان و قالت لبلعام : ما الذى صنعت بك حتى ضربتنى
ثلاث مرات ؟ قال بلعام : لأنك زريت[4] بى ، و لو أنه كان فى يدى ٥
سيف كنت قد قتلتك / الآن ، فقالت[5] : ألست [6]أتانتك التى[6] تركبنى ٣٨٥ /
منذ صباك إلى اليوم ؟ هل صنعت مثل هذا الصنع قط ؟ قال لها :
لا ، و جلى الرب عن بصر بلعام فرأى ملك الله قائما فى الطريق مخترطا
سيفه ممسكه[7] بيده ، فجثى و خر على وجهه ساجدا ، فقال له ملاك الرب :
ما بالك ضربت أتانك ثلاث مرات ، [ أنا - [2] ] الذى خرجت لأكون ١٠
لك لدادا ، لأنك أخذت فى طريق خلافا لأمرى ، فلما رأتنى الأتان
حادت عنى ثلاث مرات ، و لو أنها لم تحد عنى كنت قد قتلتك و أبقيت
عليها ، قال بلعام لملاك الرب : أسأت و أجرمت ، لم أعلم أنك قائم بازائى
فى الطريق[8] ، فالآن إن كان انطلاقى مما تكرهه[9] رجعت ، قال ملاك
الرب لبلعام : انطلق مع القوم و إياك أن تفعل شيئا إلا ما أقول لك ! ١٥
فانطلق بلعام ، فسمع بالاق فخرج ليتلقاه و قال بالاق : لم[10] تأتنى ؟ قال :
قد أتيتك الآن ، لعلك تظن أنى أقدر أن أقول شيئا إلا القول الذى

---

(١) فى ظ : ملك (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل : رزنت ،
و فى ظ : زرنت - كذا (٥) فى ظ : قالت (٦-٦) فى ظ : أتانك الذى (٧) فى ظ :
محسبا (٨) من ظ ، و فى الأصل : طريق (٩) من ظ ، و فى الأصل : تركه .
(١٠) من ظ ، و فى الأصل : كيف .

يجريه الله على لساني به أنطق ، فلما كان الغد عمد بالاق إلى بلعام و أصعده إلى بيت بعل[1] الصنم ، فرأى من هناك أقاصي منازل شعب[2] إسرائيل ، و قال بلعام لبالاق : ابن لي هاهنا سبعة[3] مذابح ، و هيئ لي سبعة[3] ثيران و سبعة[3] كباش ، و فعل بالاق كما قال له بلعام ، و رفع بالاق الكباش ٥ و الثيران على المذبح قربانا ، و قال بلعام لبالاق : قم هاهنا عند قرابينك حتى أنطلق [أنا ، لعل الرب يوحي إليّ ما أهواه ، و أنا مظهر لك ما يوحى به ، فانطلق - [4] ] فظهر الله و ألهمه قولا و قال له : انطلق إلى بالاق و قل[5] له هذا القول ، فأتاه و هو قائم عند قرابينه و جميع قواد[6] موآب معه ، و رفع بلعام صوته بأمثاله و قال : ساقني بالاق[7] ملك الموآبيين من ١٠ أرام التي في المشرق ، و قال لي : أقبل حتى تلعن يعقوب و تهلك آل إسرائيل ، فكيف ألعنه و لم يلعنه الله ، وكيف أهلكه و الرب لا يريد هلاكه[8] ، رأيته من رؤس الجبال ، و نظرت إليه من فوق الآكام و إذا هو شعب وحده ، لا يعد مع الشعوب ، و من يقدر يحصي [9]جميع عدد يعقوب ، أو من يقدر يحصي[9] عدد ربع بني إسرائيل ، تموت نفسي موتا[10] ١٥ و يكون[11] آخرى إلى آخرهم[12] ، قال بالاق لبلعام : دعوتك لتلعن أعدائي

(١) من التوراة ، و في الأصل و ظ : بعلا (٢) زيد بعده في ظ : بني (٣) في الأصل و ظ : سبع (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : قال (٦) من ظ ، و في الأصل : أفراد (٧) من التوراة ، و في الأصل و ظ : بالاك (٨) في ظ : اهلاكه . (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) في التوراة - الأصحاح الثالث و العشرين : موت الأبرار (١١) في ظ : تكون (١٢) من ظ ، و في الأصل : أخراهم .

فاذا أنت تباركهم و تدعو لهم ، فرد بلعام قائلا : الذي يلهمني الرب و يجرى على لساني إياه أحفظ ، و به أنطق : قال له بالاق : مر معى إلى موضع آخر لتراهم من هناك ، و إنما أسوقك لترى آخرهم و لا تراهم أجمعين ، و انطلق به[1] إلى حقل[2] الربية و أقامه على رأس الأكمة ؛ و ابتنى هناك سبعة[3] مذابح ، و قرب عليها الثيران و الكباش ، و قال بلعام : قف هاهنا عند ٥ قرابينك حتى أنطلق أنا الآن ، فانظر ما الذي يقال؟ و تجلى الرب على بلعام و أجرى على فيه قولا و قال له : انطلق إلى بالاق فأخبره بهذا القول ، فأتاه و هو قائم عند قرابينه و معه أشراف موآب ، فرفع بلعام صوته بأمثاله و قال : انهض بالاق و اسمع قولي و أصغ لشهادتي يا ابن صفور ! اعلم أن الله ليس مثل الرجل يحلف و يكذب ؛ إذا قال الرب قولا فعله ، و كلامه دائم إلى ١٠ الأبد ، ساقني[4] لأدعو و أبرك ، و لا أرد البركة و لا أخالف ما أمرت به ، لست أرى في آل يعقوب إثما ولا غدرا عند بني إسرائيل و لا ظلما ، لأن الله ربه معه ، الله الذي أخرجهم من مصر بعزة و عظمة قوية ، و لست أرى في آل يعقوب / طيرة ، و لا حساب بنجوم أو عراف بين بني إسرائيل ، كيف ٣٨٦ / أقول و الشعب قائم مثل الضرغام لا يربض[5] حتى يفترس[6] فريسته و يشرب ١٥ دم القتلى ، فقال بالاق لبلعام : أطلب أن لا تلعنه ولا تدعو له ، فرد بلعام على بالاق قائلا : ألست قلت لك : إني[7] إنما أنطق بما يقول لي الرب ، فقال

(١) في ظ : بي (٢) من ظ ، و في الأصل : جبل (٣) من ظ ، و في الأصل : سبع (٤) من ظ ، و في الأصل : سادي - كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : لا يرتض . (٦) من ظ ، و في الأصل : يكثر من - كذا (٧) سقط من ظ .

بالاق : انطلق بنا إلى موضع آخر ، لعل الله يرضى بغير هذا فتلعنه لى هناك ، فأصعده إلى رأس فغور الذى بازاء إستيمون ، فأمره بمثل ما تقدم من الذبح و القربان ، فرأى بلعام أن الرب يحب أن يدعو لبنى إسرائيل ، و لم ينطلق كما كان ينطلق[1] فى كل وقت ليطلب الوحى ، و لكن أقبل بوجهه إلى
٥ البرية و مد بصره ، فرأى بنى إسرائيل نزولا قبائل [ قبائل - [2] ] فحل عليه روح الله ، و رفع صوته بأمثاله و قال : قل[3] يا بلعام بن بعور[4] ، قل أيها الرجل الذى أجلى عن بصره ، قل أيها الذى سمع قول الله و رأى رؤيا الله و هو ملقى و عيناه مفتوحتان ، ما أحسن منزلك يا يعقوب و منازلك يا إسرائيل ! و خيمك كالأودية[5] الجارية ، و مثل الفراديس
١٠ التى على شاطئ النهر ، و مثل الجنى الذى[6] ركزه الله ، و مثل شجر الأرز على شاطئ النهر يخرج رجل من بينه ، [ و - [2] ] ذريته أكثر من الماء الكثير[3] ، و يعظم على الملك ، و ذلك بقوة الله الذى أخرجهم من أرض مصر [7]بغير توقف ريثما[7] ، يأكل خيرات الشعوب[8] أعدائه و يكسر عظامهم و يقطع ظهورهم ، ربع و ربض كالأسد و مثل شبل الليث[9] ، و من يقدر
١٥ أن يبعثه ، يبارك مباركوك و يلعن لاعنوك ، فاشتد غضب بالاق على بلعام و صفق [10]بيديه ملتهفا[10] و قال : دعوتك للعن أعدائى ، فإذا أنت تباركهم و تدعولهم ثلاث مرات ، انصرف الآن إلى بلادك[11] ، قد كنت

---

(١) فى ظ : ينطق (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : فعور (٥) فى ظ : بالاودية (٦) فى ظ : التى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : شعوب (٩) فى ظ : الاسد (١٠-١٠) فى ظ : بيده متلهفا (١١) من ظ ؛ و فى الأصل : بلايك - كذا .

عزمت على إكرامك و إجازتك فاذا الرب قدأحرمك[1] ذلك، فرد بلعام على بالاق قائلا : قد كنت قلت لرسلك الذين أرسلتهم إلىّ أنه لو وهب لى بالاق ملء بيته من ذهب و فضة لم أقدر أتعدى عن قول الرب ، و لكن إنما أنطق ما يلهمنى الرب ، فأنا أنطلق[2] الآن إلى أرضى ، فأسمع ما أشير عليك و أخبرك ما يصنع هذا الشعب بشعبك آخر الأيام ، ثم رفع صوته بأمثاله ٥ و قال : قل يا بلعام بن بعور[3] ! قل أيها الرجل المجلى عن بصره ! قل أيها الذى سمع قول الله و علم علم العلى و رأى رؤيا الله إذ هو ملق و عيناه مفتوحتان ! فانى رأيته و إذا ليس ظهوره الآن و إن كان متدانفا ، و نظرت فى أمره و إذا [ ليس -[4] ] بقريب ، يشرق نجم من آل يعقوب ، و يقوم رئيس من بنى إسرائيل ، و يهلك جبابرة من موآب [5]و يبيد[5] ١٠ جميع بنى شيث ، و تصير أدوم ميراثه ، و ساعير وراثة أعدائه [5]يصير له[5] ، و يستفيد[6] بنو إسرائيل قوة بقوته - و نحو ذلك من الكلام الذى فيه ما يكون سببا لانسلاخه من الآيات ، لكن ذكر المفسرون أنه أشار عليه باختلاط نساء بلاده ببنى إسرائيل متزينات غير ممتنعات ممن[7] أرادهن منهم ليزنوا بهن فيحل بهم الرجز ، فوقع بهم ذلك ، و هو الصواب ١٥ لأنه ستأتى الإشارة إليه فى التوراة عند فتح مدين بقوله : لما ذا أبقيتم[8] على الإناث و هن كن عثرة[9] لبنى إسرائيل عن قول بلعام و مشورته -

(١) فى ظ : حرمك (٢) فى ظ : منطلق (٣) من التوراة ، و فى الأصل وظ : نعور (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ستفيد (٧) فى ظ : من (٨) فى ظ : بقيتم (٩) فى ظ : عشيرا .

و سيأتي ذلك قريبا ، و ما فيه من ذكر الوحي فهو محمول على المنام
أو غير ذلك مما يليق ؛ ثم قال : و قام بلعام و رجع منصرفا إلى بلاده
و بالاق أيضا رجع إلى بيته ، و سكن[1] بنو إسرائيل شاطيم ، و بدأ الشعب
[ أن يسفح مع بنات موآب ، و دعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم ،
٥ و أكل الشعب -[2] ] من ذبائحهم و سجدوا[3] لآلهتهم . و كمل بنو إسرائيل
لعبادة[4] بعليون[5] الصنم ، فاشتد[6] غضب الله على بني إسرائيل ، / فقال الرب ٣٨٧ / أ
لموسى : اعمد إلى جميع بني إسرائيل فافضحهم ، فقال موسى : يقتل كل
رجل منكم كل من أخطأ و سجد لبعليون ، و إذا رجل من بني إسرائيل
قد أتى بجرأة أمام إخوته من غير أن يستحيي ، فدخل على امرأة مدينية
١٠ و موسى و بنو إسرائيل يبكون في باب قبة الآمد ، فرآه فنحاس[7] بن
اليعازر بن هارون الحبرفنهض من الجماعة غضبا لله وأخذ بيده رمحا و دخل
إلى البيت الذي كانا فيه فطعنهما بالرمح فقتلهما ، فكف الموت الفاشي
عن بني إسرائيل ، و كان عدد الذين ماتوا في الموت البغتة أربعة و عشرين
ألفا ، و كلم الرب موسى و قال له : فنحاس صرف غضبي عن بني إسرائيل
١٥ و غار غيرة لله بينهم[8] و طهر بني إسرائيل . و كان اسم القتيل الذي
قتل مع المدينية زمري[9] بن سلو ، و كان رئيسا [ في قبيلة شمعون ،

(١) من ظ ، و في الأصل : ستكون - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٣) من ظ ، و في الأصل : سجد (٤) في ظ : العبادة (٥) من ظ ، و في الأصل :
عليون (٦) في ظ : و اشتد (٧) في ظ : فنحاص (٨) من ظ ، و في الأصل : عنهم .
(٩) من ظ و التوراة - الأصحاح الخامس و العشرين ، و في الأصل : زمراي .



و كانت

و كانت المرأة المديفية كزبى[1] بنت صور ، و كان أبوها - [2] ] من رؤساء أهل مدين . و قال بعض المفسرين[3]: إنه خرج رافعا الحربة[4] إلى السماء ، قد اعتمد بمرفقه على خاصرته ، و أسند الحربة إلى لحيته[5]، فمن هنالك[6] يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاس من كل ذبيحة القبة[7] و الذراع و اللحى و البكر من كل أموالهم و أنفسهم لأنه كان بكرا لعيزار بن ٥ هارون . ثم كلم الرب موسى و قال له: [8]ضيق على أهل مدين و أهلكهم كما ضيقوا عليكم و لحسوكم ، ثم قال: ثم كلم الرب موسى و قال له[8]: إنى لمنتقم من المدينين ماصنعوا [9]بين بنى[9] إسرائيل ، ثم تقتص إلى شعبك ؛ ثم قال موسى للشعب: يتسلح منكم قوم للحرب لينتقموا للرب من المدينيين ، و ليكونوا اثنى عشر ألفا ، فانتخب[10] موسى من بنى إسرائيل ١٠ ألفا من كل سبط ، اثنى عشر ألفا أبطالا متسلحين و أرسلهم ، و صير قائدهم فنحاس بن اليعازر الحبر و معه أوعية القدس و قرون ينفخ بها ، و تقووا على مدين كما أمر الرب موسى و قتلوا كل ذكر فيها و قتلوا ملوك مدين مع القتلى ، و قتل بلعام بن بعور[11] معهم فى الحرب ، و سبى بنو إسرائيل نساء مدين و انتهبوا مواشيهم و سلبوا جميع دوابهم و أموالهم ١٥ و أخربوا جميع قرى مساكنهم و أتوا بما انتهبوه[12] إلى موسى ، و خرج

(١) من التوراة ، و فى ظ : ركشى - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ . (٣) راجع تفسير البغوى حول آية الانسلاخ (٤) فى ظ : للحرب (٥) فى ظ: لحييه . (٦) من ظ و معالم التنزيل ، و فى الأصل : هناك (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩ - ٩) فى ظ : ببنى (١٠) فى ظ : فانتج (١١) من ظ ، و فى الأصل : بفور (١٢) من ظ ، و فى الأصل : انتهبوا .

موسى و جميع عظماء الجماعة فتلقوهم خارج العسكر ، وغضب موسى على رؤساء الأحبار و رؤساء الألوف و المئين الذين أتوه من الحرب فقال لهم : لما ذا أبقيتم على الإناث و هن كن عثرة لبنى إسرائيل عن قول بلعام و مشورته، و فتنوا و غدروا و تمردوا[1] على الرب فى أمر فغور[2] - و فى نسخة السبعين :
٥ فان هؤلاء كن شينا لبنى إسرائيل لقول بلعام[3] أن يتباعدوا و يتهاونوا بكلمة الرب من أجل فغور - فوافقت السخطة جماعة الرب - [ و فى النسخة الأخرى : و تسلط الموت على جماعة الرب - [4] ] - بغته ، فاقتلوا الآن جميع الذكورة من الصبيان ، وكل امرأة أدركت و عقلت و عرفت الرجال فاقتلوها ، و أبقوا على جميع النساء اللواتى لم يعرفن الرجال ، و أما[5]
١٠ أنتم فانزلوا خارجا عن[6] العسكر سبعة أيام - إلى آخر ما مضى قريبا فى الآصار .

و لما انقضت هذه القصص فأسفرت[7] عن أن أكثر الخلق هالك ، صرح بذلك فقال مقسما لأنه لايكاد يصدق أن الإنسان [ يكون - [4] ] أضل من البهائم ، عاطفا على ما تقديره : هؤلاء الذين قصصنا عليكم
١٥ أخبارهم ذرأناهم لجهنم : ﴿ و لقد ﴾ و عزتنا و جلالنا ﴿ ذرانا ﴾ أى خلقنا بعظمتنا و أنشأنا و بثثنا و نشرنا[8] ﴿ لجهنم كثيرا ﴾ أى و ألجأناهم

(١) فى ظ : مردوا (٢) من ظ و التوراة - الأصحاح الحادى و الثلاثين ، و فى الأصل : يفور (٣) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : بلعم - كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : ما (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، و فى الأصل : فاسرف (٨) فى ظ : انشرنا .

إليها و لم يجعل بينهم و بينها حائلا .

و لما كانوا يعظمون الجن و يخافونهم و يضلون بهم ، بدأ بهم فقال : ﴿ من الجن ﴾ أى بنصبهم أنفسهم آلهة باضلالهم / الإنس فى تزيين عبادتهم[1] غير الله ، فهم فى الحقيقة المعبودون لا الحجارة[2] و نحوها ﴿ و الانس ﴾ أى بعبادتهم لمن[3] لا يصلح ، و علم أن الآية صالحة لأن تكون معطوفة على الجملة التى قبلها فهى من فذلكة ما تقدم . /٣٨٨

و لما كان كأنه قيل : ما لهم رضوا لأنفسهم بطريق جهنم ؟ قيل : ﴿ لهم ﴾ و لما كان السياق للتفكر ، بدأ بالقلوب فقال : ﴿ قلوب لا يفقهون بها ﴾ أى الفقه الذى كلفوا به ، و هو النظر فى أدلة التوحيد و ثبوت النبوة و ما تفرع عن ذلك ، و هو الفقه المسعد ، عد غيره عدما لأنه لم ينفعهم النفع المقصود فى الحقيقة ، و ما أحسن التعبير بالفقه فى سياق إقامه الأدلة التى منها إرسال الرسل و إنزال الكتب .

و لما كان البصر أعم[4] من السمع ، لأنه ينتفع به الصغير الذى لا يفهم القول ، و كذا [ كل - [5] ] من فى حكمه ، قدمه فقال : ﴿ و لهم اعين ﴾ و لما لم يترتب عليها الإبصار النافع فى الآخرة الباقية ، نفى إبصارهم و إن كانوا أحد الناس إبصارا فقال : ﴿ لا يبصرون بها ﴾ أى الآيات المرئية إبصار تفكر و اعتبار ﴿ و لهم اذان ﴾ و لما لم يترتب على سمعها ما ينفعهم ، نفاه على نحو ما مضى فقال : ﴿ لا يسمعون بها ﴾ أى الآيات المسموعة و ما

(١) فى ظ : عباده (٢) من ظ ، و فى الأصل : حجارة (٣) فى ظ : من (٤) من ظ ، و فى الأصل : اهم (٥) زيد من ظ .

يدل عليها سماع ادكار و افتكار . و لما سلبت[1] عنهم[2] هذه المعانى كانت النتيجة : ﴿ اولّئك ﴾ أى البعداء من المعانى الإنسانية ﴿ كالانعام ﴾ أى فى عدم الفقه ؛ و لما كانوا قد زادوا على ذلك تفقد نفع السمع و البصر قال : ﴿ بل هم اضل ﴾ لأنهم إما معاند و إما جاهل بما يضره و ينفعه ،
٥ و الأنعام تهرب إذا سمعت صوتا منكرا فرأت بعينها أنه يترتب عليه[3] ضرها ، و تنتظر ما ينفعها من الماء و المرعى فتقصده ، و الأنعام لا قدرة لها على ما يترتب على هذه المدارك من الفقه . و هؤلاء مع قدرتهم على ذلك أهملوه [ فنزلوا عن رتبتها درجة كما أن من طلب الكمال و سعى له سعيه مع نزاع الشهوات علا عن درجة الملائكة بما قاسى من الجهاد - [4] ] .
١٠ و لما تشاركوا[5] الأنعام بهذه فى الغفلة و زادوا عليها ، أنتج ذلك قطعا على طريق الحصر : ﴿ اولّئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الغفلون ه ﴾ لا الأنعام ، فانها - و إن كانت غافلة عما يراد بها - غير خالدة فى العذاب ، فلم تشاركهم فى العمى و الصمم عما ينفعها و لا فى الغفلة عن الخسارة الدائمة ، فقد أشارت الآية إلى تفضيل الإنسان على الملك كما
١٥ اقتضته سورة الزيتون ، لأنه جعل فى خلقه وسطا بين الملك الذى هو عقل صرف و الحيوان الذى هو شهوة مجردة ، فان غلب عقله كان أعلى بما عالجه من جهاد الشهوات[6] فكان فى "احسن تقويم" ، و إن غلبت شهوته كان أسفل من الحيوان بما أضاع من عقله[6] فكان "اسفل سافلين" .

(١) من ظ ، و فى الأصل : تسالبت (٢) فى ظ : عليهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : على (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : شاركوا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما

و لما أنتج هذا أن لهم الأسماء السوأى و لمعبوداتهم أسوأ منها، عطف عليه[1]- دفعا لوهم من يتوهم بالحكم بالضلال و الذرء لجهنم ما لا يليق، و تنبيها على أن الموجب لدخول جهنم الغفلة عن ذكر الله[2] و دعائه - قوله: ﴿و لله﴾ أي الملك الأعلى المحيط بجميع صفات الكمال وحده ﴿الأسمآء﴾ [و لما كان الاسم إذا لحظت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة، أنث في ٥ قوله - [3]]: ﴿الحسنى﴾ أي كلها باتصافه دون غيره بصفات الكمال التي كل واحدة[4] منها أحسن شيء و أجمله و تنزهه عن شوائب النقص و سمات الحدث، فكل أفعاله حكمة، [و - [3]] إنما كان مختصا بذلك لأن الأشياء غيره[5] ممكنة لتغيرها، و كل[6] ممكن محتاج، و أدنى ما يحتاج[7] إلى مرجح يرجح وجوده، و بذلك نعلم وجود المرجح و نعلم أن ترجيحه على سبيل ١٠ الصحة / و الاختيار لا الوجوب، و إلا لدام العالم بدوامه، و بذلك ثبتت /٣٨٩ قدرته، و تكون أفعاله محكمة، ثبت علمه فثبتت حياته و سمعه و بصره و كلامه و إرادته و وحدانيته، و إلا لوقع التنازع فوقع الخلل[8]، فالعلم بصفاته العلى ليس في درجة واحدة بل مترتبا، و علم بهذا أن الكمال له لذاته، و أما غيره فكماله به و هو بذاته غرق في بحر الفناء واقع في حضيض النقصان ١٥ ﴿فادعوه﴾ أي فصفوه و سموه و اسألوه ﴿بها ص﴾ لتنجوا من جهنم و تنالوا كل ما تحمد عاقبته، فان القلب إذا غفل عن ذكر الله أقبل على الدنيا و شهواتها فوقع في نار الحرص و زمهرير الحرمان، و لا يزال

---

(١) من ظ، و في الأصل: عليها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ: واحد (٥) من ظ، و في الأصل: غير (٦) من ظ، و في الأصل: ذلك (٧) في الأصل و ظ: تحتاج (٨) في ظ: الخلال.

فى[1] رغبة إلى رغبة حتى لا يبقى له مخلص، و إذا[2] أقبل على[3] الذكر تخلص عن
نيران الآفات و استشعر بمعرفة الله حتى تخلص[4] من[5] رق الشهوات فيصير حرا
فيسعد بجميع المرادات، و كثرة الأسماء لا تقدح فى التوحيد، [ بل -[6] ]
تدل على عظم المسمى ﴿ و ذروا ﴾ أى اتركوا على حالة ذريسة
٥ ﴿ الذين يلحدون ﴾ أى يميلون عما حد لهم [ بزيادة فيشبهوا أو نقص
فيعطلوا -[6] ] ﴿ فى اسمآئه ﴾ أى فيطلقونها على غيره بأن يسموه إلـٰها،
فيلزمهم أن يطلقوا عليه جميع أوصاف الإلـٰه. فقد ألحدوا فى البعض بالفعل
و فى الباقى باللزوم، أو بأن يسموه بما لم يأذن فيه، [7]و ما لم يأذن فيه[7] تارة
يكون مأذونا فيه فى الجملة كالضار فلا يجوز ذكره إلا مع النافع، و تارة
١٠ لا، مثل إطلاق الأب عليه و الجسم، و كذا كل ما أوهم نقصا، فلم يكن
أحسن، و لورود[8] إطلاق بعض [9]اشتقاقاته عليه[9] مثل علم لا يجوز [7]أن
يقال لأجله : معلم، و كذا لحبهم[10] لا يجوز لأجله أن يقال : يا خالق
الديدان و القردة مثلا، و كذا لا يجوز[7] أن يذكر اسم لا يعرف الذاكر
معناه و لو كان الناس يفهمون منه مدحا كما يقول بعض البدو : يا أبيض
١٥ الوجه! يا أبا المكارم! فان ذلك كله إلحاد، و هذا الفعل يستعمل مجردا
و مزيدا فيقال : لحد فى كذا و ألحد فيه - بمعنى واحد، و هو العدول عن

---

(١) من ظ، و فى الأصل : من (٢) من ظ، و فى الأصل : فاذا (٣) من ظ،
و فى الأصل : الى (٤) من ظ، و فى الأصل : يخلص (٥) سقط من ظ (٦) زيد
من ظ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : لوورد (٩ - ٩) من
ظ، و فى الأصل : استقامة على (١٠) كذا فى الأصلين .


الحق

الحق و الإدخال فيه ما ليس منه[1] - نقله أبو حيان عن ابن السكيت؛ و قال الإمام أبو القاسم علي بن جعفر ابن القطاع في كتاب الأفعال: لحد الميت لحدا و ألحده: شق له جانب القبر، و إلى الشيء و[2] عنه و في الدين: مال، و قرئ بهما كذلك.

و لما كان كأنه قيل: فما يفعل بمن ألحد؟ وكان المرهب إيقاع ٥ الجزاء، لا كونه من معين، قال بانيا للمفعول: ﴿ سيجزون ﴾ أي في الدنيا و الآخرة بوعد لا خلف فيه ﴿ ما كانوا ﴾ أي[2] بجبلاتهم ﴿ يعملون * ﴾ أي فيفعل بهم من أنواع الإهانة و العقوبة ما يوجب وصفهم بأقبح الأوصاف ضد ما كانوا يسمعونه في الدنيا ممن يدانيهم[3].

و لما أخبر تعالى عن ذرء جهنم من القبيلتين[4]، تشوف السامع إلى معرفة ١٠ حال الباقين منهما، فقال مصرحا بالخبر عنهم عاطفا[5] على "ولقد ذرانا" مشيرا بمن التبعيضية إلى قلتهم تصديقا لقوله " و ان وجدنا اكثرهم لفسقين": ﴿ و ممن خلقنآ ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ امة ﴾ أي جماعة عرفت من هو أهل[6] لأن يؤم و يهتدى به فقصدته فاقتبست من أنواره فصارت هي أهلا لأن تقصد[7] و يؤتم بها. ١٥

[ و لما -[8] ] أفهم لفظ الأمة هذا، صرح به في قوله: ﴿ يهدون بالحق ﴾ أي الثابت الذي يطابقه الواقع ﴿ و به ﴾ أي الحق خاصة ﴿ يعدلون ۝ ﴾

(١) من البحر المحيط ٤/٤١٩، و في الأصل و ظ: فيه (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: يرايبهم (٤) من ظ، و في الأصل: القبيلين (٥) في ظ: عطفا (٦) زيد بعده في ظ: بها (٧) من ظ، و في الأصل: يقصد (٨) زيد من ظ.

أى يجعلون الأمور متعادلة، لا زيادة فى شىء منها على ما ينبغى و لا نقص، لأنا وفقناهم فكشفنا عن بصائرهم حجاب الغفلة التى ألزمناها أولئك، قال أكثر المفسرين: هم أمة محمد صلى الله عليه و سلم، و رواه بعضهم عن النبى صلى الله عليه و سلم، و أبهم الأمر بعد تعيين قوم موسى عليه السلام ٥ تعظيما لهم.

و لما بين حال الهادين المهديين[1]، و كان أصل السياق للضالين المضلين، أتبعه بقية الحديث عنهم على وجه ملوح بأن علة الهداية التوفيق، فقال عاطفا على ما تقديره: فنحن نعلى أمرهم و نطيب ذكرهم: /٣٩٠ /﴿و الذين كذبوا﴾ أى نسبوا الرسل إلى الكذب بسبب إتيانهم ١٠ ﴿بايٰتنا﴾ على ما يشاهد من عظمتها ﴿سنستدرجهم﴾ أى نستنزلهم و نستدنيهم بوعد لا خلف فيه إلى ما [2]نريد بهم[2] من الشر العظيم درجة درجة بسبب أنهم كلما أحدثوا جريمة أسبغنا عليهم نعمة، و إذا عملوا طاعة قصرنا عنهم[3] فى الإنعام، أو ضربناهم بسوط الانتقام، فيظنون أن المعاصى سبب النعم فينسلخون من الدين، و لذلك قال: ﴿من حيث لا يعلمون ج﴾ ١٥ أى فيرتكبون[4] ما يتعجب من مداناته فضلا عن مباشرته و معاناته من له أدنى بصيرة حتى يكمل ما نريد[5] منهم من المعاصى، و هو من أدلة "ساصرف عن ايٰتى" [و أتى -[6]] فى الاستدراج بأداة العظمة و فى الإملاء بضمير الواحد فقال: ﴿و املى لهم قف ط﴾ أى أمهلهم

(١) فى ظ: المهتدين (٢-٢) فى الأصل: يزيد بهم، و فى ظ: تريدهم (٣) فى ظ: عليهم (٤) من ظ، و فى الأصل: فيرتكبوا (٥) من ظ، و فى الأصل: يريد. (٦) زيد من ظ.

بوعد جازم زمانا طويلا و أمد لهم و هم يعصون حتى يظنوا[1] أن الله يحبهم حتى يزيدوا فى ذلك لأنهم لا يفعلون شيئا إلا بمرادى و لا يفوتونى[2]، و لم يأت بهما على نهج واحد، لأن الاستدراج يكون بواسطة و بغيرها، فكأنه قال: سأستدرجهم بنفسى من غير واسطة تارة و بمن أتيح لهم النعم على يده من عبيدى و جنودى أخرى، و أما الإملاء ٥
- [3]و هو[3] تطويل الأجل - فلا يتصور أن يكون إلا من الله تعالى.

و لما كان هذا موجبا لهم - و لابد - الإصرار على المعاصى حتى يصلوا إلى ما حكم عليهم به من النار، قال مستأنفا: ﴿ ان كيدى ﴾ أى فعلى الذى ظاهره رفعة و باطنه [ضيعة -[4]]، ظاهره إحسان و باطنه خذلان ﴿متين ه﴾ أى شديد قوى لا يمكن أحدا قطعه، قال الإمام بعد تأويل للمعتزلة[5] ١٠ حملهم عليه إيجابهم رعاية الأصلح: و أنا شديد التعجب من المعتزلة، يرون القرآن كالبحر الذى لا ساحل له[6] مملوءا من هذه الآيات، و الدلائل العقلية القاهرة مطابقة لها، ثم يكتفون فى تأويلها - أى عن أنه تعالى يريد الشر - بهذه الوجوه الضعيفة إلا أن على بما أراد الله كائن، مزيل هذا التعجب. ١٥

و لما كان السياق من أول السورة لإنذارهم، و كان لا بد فى صحة الإنذار[7] من تصحيح الرسالة، و ختم بأمر الاستدراج، و كانوا قد واقعوا من المعاصى ما لا يجترئ عليه إلا مطموس البصيرة، و كان عندهم أن

---

(١) من ظ، و فى الأصل: يظنون (٢) فى ظ: لا يفوتنى (٣-٣) من ظ، وفى الأصل: فهو (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: المعتزلة (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: الابدان - كذا.

من قال : إنهم على حال سيء ، - مع ما هم فيه من النعم الظاهرة - مجنون ، وكان التقدير دلالة على صحة الاستدراج : ألم يروا أنهم يقدمون على ما لا يرضاه لنفسه عاقل من عبادتهم للحجر و شماختهم عن[1] أكمل البشر و وصفه بالجنون و وصفهم أفضل الكلام بالسحر[2] و الكذب إلى

٥ غير ذلك مما يغضب من ليس [3]النفع و الضر[3] إلا بيده ، و هو مع ذلك يوالى عليهم النعم ، و يدفع عنهم النقم ، هل[4] ذلك إلا استدراج ؟ قال منكرا عليهم عطفا على ما أرشد السياق و العطف على غير معطوف عليه إلى تقديره : ﴿ او لم يتفكروا سكتة ﴾ أى يعملوا أفكارهم و يمعنوا[5] فى ترتيب المقدمات ليعلموا أنه لا يتوجه لهم طعن يورث شبهة بوجه من الوجوه ، و بين المراد

١٠ من هذا التفكر و[6] عينه بقوله : ﴿ ما بصاحبهم ﴾ أى الذى طالت خبرتهم لأنه أمتنهم عقلا و أفضلهم شمائل . و لم يقل : ما برسولى و نحوه ، لئلا يقول متعنتهم ما لا يخفى ، و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من جنة ط ﴾ أى حالة من حالات الجنون .

و لما نفى أن يكون به[6] شيء مما نسبوه إليه و افتروه عليه فثبتت

١٥ رسالته ، حصر أمره فى النذارة لأنها النافعة [ لهم - [7] ] مع أن المقام لها فى هذه السورة فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو الا نذير ﴾ أى بالغ فى نذارته[8] ﴿ مبين ه ﴾ أى موضح للطريق إيضاحا لا يصل إليه غيره ، و من أدلة ذلك عجز الخلق عن معارضة شيء مما[6] يأتى به من أنه أحسن الناس

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : على (٢) فى ظ : بسحر (٣-٣) فى ظ : الضر والنفع .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) فى الأصل و ظ : يمنعوا (٦) سقط من ظ .
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : نذراته .

تخلقا و أعلاهم خلقا و أفضلهم عشرة و أرضاهم طريقة و أعدلهم سيرة و أطهرهم سريرة و أشرفهم عملا و أحكمهم[١] علما و أرصنهم رأيا و أعظمهم عقلا و أشدهم أمانة و أظهرهم نبلا[٢] .

و لما كان النظر / فى أمر النبوة مفرعا على تقرير أدلة التوحيد ، / ٣٩١
و كان المقصود من الإنذار الرجوع عن الإلحاد ، قال منكرا عليهم عدم ٥
النظر فى دلائل التوحيد الراد عن[٣] كل حال[٤] سيئ : ﴿ اولم ﴾ و لما
كان الأمر واضحا قال : ﴿ ينظروا ﴾ أى نظر تأمل و اعتبار ، و دل على
أنه بالبصيرة لا البصر بالصلة ، فقال إشارة إلى أن كل ذرة فيها دلائل
جمة[٥] ﴿ فى ملكوت ﴾ و عظم الأمر بقوله : ﴿ السموٰت و الارض ﴾
أى ملكهما البالغ من حد العظمة أمرا[٦] باهرا بظاهره الذى يعرفونه ١٠
و باطنه الذى يلوح لهم و لا يدركونه .

و لما كانت أدلة التوحيد تفوت الحصر ، فى كل ذرة برهان قاهر[٧]
و دليل ساطع باهر ، قال : ﴿ و ما ﴾ أى [ و - [٨] ] فيما ﴿ خلق الله ﴾
أى على ما له من الجلال و الجمال ﴿ من شىء لا ﴾ أى غيرهما ، ليعلموا
أنه لا يقدر على شىء من ذلك فضلا عن ذلك غيره ، و يتحققوا أن ١٥
كتابه سبحانه [٩]مباين لجميع مخلوقاته فيعلموا أنه صفته سبحانه[٩] وكلامه ،
فلا يلحدوا فى أسمائه فلا يسموا بشىء منها غيره لما ظهر لهم من تمام

---

(١) فى ظ : اكلهم (٢) فى ظ : مثلا (٣) فى ظ : على (٤) فى ظ : مثال (٥) فى ظ : جمعة (٦) من ظ ، و فى الأصل : امر (٧) فى ظ : ظاهر (٨) زيد من ظ . (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

قدرته و تمام عجز غيره عن كل شيء و من شمول علمه و تناهي جهل غيره بكل شيء إلى غير ذلك حتى يعلموا بعظمة هذا الكون أنه سبحانه عظيم ، و بقهره لكل شيء[1] أنه قهار شديد ، و بعجز كل شيء عن كل شيء من أمره [ أنه - [2] ] عزيز ، و باسباغه النعمة[3] أنه رحيم كريم إلى ٥ غير ذلك من أسمائه الحسنى و صفاته العلى التي تنطق الأشياء بها بألسنة الأحوال و تتحدث بها صدور الكائنات و إن لم يكن لها مقال ، و يشرحها كلام التدبير بما له من الكمال ﴿ و ان عسى ﴾ أي و ينظروا في الإشفاق و الخوف من أنه ممكن[4] و خليق و جدير ﴿ ان يكون قد اقترب ﴾ أي [ دنا دنوا عظيما ﴿ اجلهم ﴾ أي - [2] ] الذي لا شك عندهم في كونه ١٠ بموتة من موتات هذه الأمم التي أسلفنا أخبارها كنفس واحـــدة أو[5] بالتدريج فيبادروا بالإيمان بـه خشية انخرام الأجل للنجاة من أعظم الوجل ، فان كل عاقل إذا جوز خطرا ينبغي له أن ينظر في عاقبتـه و يجتهد في الخلاص منه .

و لما كان قد تقدم في أول السورة النهي عن التحرج من الإنذار ١٥ بهذا الكتاب ، و بان بهذه الآيات أنه صلى الله عليه و سلم اتصف بالإنذار به حق الاتصاف ، و بان أن القرآن مباين لجميع المخلوقات ، فثبت أنه كلام الله ؛ تسبب عن ذلك الإنكار على من يتوقف عن الإيمان به ،

(١) زيد بعده في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : النعم (٤) في الأصل : يمكن ، و في ظ : تمكن (٥) من ظ ، و في الأصل « و » .

و التخويف

و التخويف من إحلال أجله قبل ذلك فيقع فيما لا يمكنه تداركه، و ذلك في أسلوب دال على أن الإيمان بعد هذا البيان مما لا[1] يسوغ التوقف فيه إلا لانتظار كلام آخر فقال: ﴿ فبأيّ حديث ﴾ أي كلام يتجدد له في كل واقعة بيان المخلص منها ﴿ بعده ﴾ أي بعد هذه الرتبة العظيمة ﴿ يؤمنون ﴾ فقد دلت هذه الآية على أن للايمان طريقين: أحدهما ٥ سمعي، و الآخر عقلي، قال الحرالي في كتاب له في أصول الفقه: الحكم إنما يتلقى من خطاب الله البالغ على ألسنة رسله، و قد اتضح و اشتهر أن السمع من طرق تفهم[2] خطاب الله الذي تبلغه الرسل، وكذلك أيضا[1] قد تحقق لقوم[3] من أولى الألباب أن الرؤية و سائر الحواس طريق من طرق تفهم خطاب الله أيضا، يعي منه اللب العقلي معنى الإرسال في ١٠ كتابه المخلوق[4] كما يعي العقل معنى الإرسال من مفهوم كلامه المنطوق[5]، و قوم ممن فهم من مرئي كتاب الله المشهود إرسالا و لقن أحكاما يسمون الحنيفيين / كقس بن ساعدة و زيد بن عمرو بن نفيل، و قد شهد لهم /٣٩٢ رسول الله صلى الله عليه و سلم بأن[6] كل واحد منهم يبعث أمة واحدة، لاهتدائه من نفسه من غير رسالة هاد خارج عنه، بل من رسول موجدته ١٥ و إحساسه للعالم. و لأنه إنما أخذ بكلية حكم الإيمان و وجوب المناصفة مع الخلق من شهود خلق الله، و صار مع ذلك يترقب تأكيد ما يحصل له عقلا من مسموع خطاب الله، و على نحو هذه الحال - و أتم هي - حال

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: يفهم (٣) في ظ: القوم (٤) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ فحذفناها (٥) من ظ، و في الأصل: المنطق.
(٦) في ظ: ان.

الأنبياء و الصديقين قبل مورد الوحى على النبى و قبل سماع صديقه وارد
وحيه ، و هؤلاء [ هم ـ [1] ] الذين لا يتوقفون عن الإيمان بالنبى عند
ابتداء دعوته ، و [2] كما أن النبى لا يلزم و يحكم بل يبلغ عن [3] الله فكذلك
نظر العقل لا يلزم و لا يحكم بل يبلغ عن الله ، فيكون الحكم الذى هو تصرف
٥ الحق فى [3] أفعال الخلق بهذا على ضربين : شرعى أى مأخوذ من الإرسال
الشرعى ، و عقلى أى مأخوذ من الإرسال العقلى ، و حاصل ذلك أن
العالم المشهود مبين عن أمر الله ، وكل مبين مبلغ ، فالعالم مبلغ أى بما
يفهمه الفاهم من كلامه عن الله ، فان النحاة قالوا ـ كما ذكره ابن عصفور
فى شرح الإيضاح لأبى علـى و كذا غيره : إن الكلام فى الاصطلاح
١٠ لا يقع إلا على اللفظ المركب وجودا أو تقديرا المفيـد بالوضع ، قال :
و احترزوا باللفظ عما يقال له كلام لغة و ليس بلفظ كالخط و الإشارة
و ما فى النفس و ما يفهم من حال الشيء ، و قال الحرالى : نحو حال الخجل
و الغضبان ، و بالفعل نحو الإشارة باليد و العقد بالأنامل و بآثار الفعل
كالصنائع و الأعمال ، و باللفظ الذى يلفظ به القلب إلى ظاهر اللسان ،
١٥ و بآثار رقوم يحاذى بها حذو مفهوم اللفظ و هو الخط - انتهى .

و لما كان ذلك كله من أعجب العجب ، كانت فذلكته قطعا تعليلا
لما قبله من إعراضهم عما لا ينبغى الإعراض عنه دليلا على أن الأمر ليس
إلا بيد منزله سبحانه قوله : ﴿ من يضلل الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة
﴿ فلا هادى ﴾ أصلا [4] ﴿ له [4] ﴾ [5] بوجه من الوجوه ؛ و لما دل بالإفراد [5]

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : على (٤) تأخر فى ظ عن « له » (٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[1]على أن كل فرد فى قبضته، و كان التقدير: بل يستمر على ضلاله، عطف عليه بضمير الجمع دلالة على أن جمعهم لا يغنى من الله شيئا فقال[1]: ﴿ و يذرهم ﴾ أى يتركهم[2] على حالة قبيحة، و عبر بالظرف إشارة إلى إحاطة حكمه بهم فقال: ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود حال كونهم ﴿ يعمهون ﴾ أى يتحيرون و يترددون فى الضلال لا يعرفون طريقا ٥ و لا يفهمون حجة.

و لما بين التوحيد و النبوة و القضاء و القدر، أتبعه المعاد لتكمل المطالب [ الأربعة -[3] ] التى هى أمهات مطالب القرآن، مبينا ما اشتمل عليه هذا الكلام من تبلدهم[4] فى العمه و تلددهم فى أشراك الشبه بقوله: ﴿ يسئلونك ﴾ أى مكررين لذلك ﴿ عن الساعة ﴾ أي عن وقتها سؤال استهزاء ﴿ ايان مرسٰها ﴾ ١٠ أى أيّ وقت ثبات ثقلها و إستقراره[5]، و المرسى يكون مصدرا و زمانا و مكانا، من رست السفينة - إذا ثبتت بالحديدة المتشعبة، و إنما كان هذا بيانا لعمههم فانهم[6] وقعوا بذلك[7] فى الضلال من وجهين: السؤال عما غيره لهم أهم، و جعله على طريق الاستهزاء مع ما قام عليه من الأدلة، و سيكرره فى هذه السورة، وكان اللائق بهم أن يجعلوا بدل السؤال عنها ١٥ اتقاءها بالأعمال الصالحة.

و لما كان السؤال عن الساعة عاما ثم خاصا بالسؤال عن وقتها[1]، جاء الجواب عموما عنها بقوله: ﴿ قل انما علمها ﴾ أى علم وقت إرسائها و غيره

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: يتركهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: تبدلهم (٥) فى ظ: استقلاله (٦) فى ظ: لانهم (٧) فى ظ: به.

/٣٩٣ ﴿عند ربى ج﴾ أى المحسن إلىّ بإقامتها لينعم على من / تبعى و ينتقم ممن[1] تركنى ، لم يطلع على ذلك أحدا من خلقه ، و لا يقيمها إلا فى أحسن الأوقات و أنفعها لى ، و إخفاؤها أنفع للخلق لأنه أعظم لشأنها و أهيب ، فيكون أدعى إلى الطاعة و أزجر عن المعصية و أقرب إلى التوبة ، ثم خصصت ٥ من حيث الوقت بقوله مشيرا إلى أن لها أشراطا[2] تتقدمها : ﴿لا يجليها﴾ أى يبينها غاية البيان ﴿لوقتهآ الا هو ط﴾ .

و لما كان قد أشار إلى ثقل الساعة بالإرساء ، و كان الشيء إذا جهل من بعض الوجوه أشكل و إذا أشكل ثقل ، قال : ﴿ثقلت﴾ أى الساعة فغاصت إلى حيث لم يتغلغل إليها علم العباد فأهمهم كلهم [ علىّ - [3] ] شأنها ، ١٠ و لذلك عبر بالظرف فقال : ﴿فى السمٰوٰت و الارض ط﴾ أى نسبة أهلها إلى خفائها و الخوف منها على حد سواء لأن مالكها قادر على ما يشاء ، و له أن يفعل [ ما يشاء - [3] ] ؛ ثم قرر خفاءها على الكل فقال : ﴿لا تاتيكم﴾ أى فى حالة من الحالات ﴿الا بغتة ط﴾ أى على حين غفلة .

و لما كانوا قد ألحفوا[4] فى سؤاله صلى الله عليه و سلم عنها ، و كانت ١٥ صفة الربوبية المذكورة فى الجملة الأولى ربما حملت على سؤاله طمعا فى تعرفها[5] من المحسن إليه ، قطع الأطماع بقوله مؤكدا[6] للمعنى : ﴿يسئلونك﴾ أى عن الساعة مطلقا فى وقت وقوعها و ما يحصل من أمورها و يحدث من[7] شدائدها ، أى و يلحفون فى[8] سؤالك كلما أخبرتهم أنه لا يعلمها [9]إلا الله[9]

(١) من ظ ، و فى الأصل : من (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشراط (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الحوا (٥) فى ظ : تعريفها (٦) من ظ ، و فى الأصل : موكد . (٧) فى ظ : فى (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

كانك

﴿ كانك حفى ﴾ أى عالم بأمرها مستقص مبالغ فى السؤال ﴿ عنها[1] قل ﴾ أى قطعا لسؤالهم ﴿ انما علمها عند الله ﴾ أى الذى [ له - [1] ] جميع العزة و العظمة و الكبرياء فلا يستطاع علم شيء مما عنده إلا باذنه ، و لم يأذن فى علمها لأحد من الخلق ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى الذين[2] غلبت عليهم صفة الاضطراب ﴿ لا يعلمون ﴾ أى ليسوا من أهل العلم فهم بالسؤال عنها ٥ يستهزؤن ، و لو كانوا من أهله ما كذبوك ، فواقعوا ما لا يعنيهم من السؤال عنها و غيره من أنواع التعنت ، و تركوا ما ينجيهم و يغنيهم من المبادرة إلى الإيمان بهذا القرآن خوف انخرام الآجال وهم يهيمون فى أودية الضلال .

و لما كان علم الغيب ملزوما لجلب الخير و دفع الضير ، و كانت الساعة أدق علم الغيب ، أمره بنفي هذا اللازم فينتفى الأعـم فينتفى ١٠ بانتفائه الأخص ، و قدم النفع لأنه أهم إلى النفس ، و ليس فى السياق ما يوجب تأخيره بخلاف ما فى سورة يونس عليه السلام[3] ، فقال آمرا باظهار ذل العبودية : ﴿ قل لآ املك ﴾ أى فى وقت من الأوقات أصلا ﴿ لنفسى نفعا ﴾ أى شيئا من جلب النفع قليلا و لا كثيرا ﴿ و لا ضرا ﴾ كذلك ، فان قدرتى قاصرة و علمى قليل ، و كل من كان عبدا كان كذلك . ١٥

و لما كان من المعلوم بل المشاهد أن كل حيوان يضر و ينفع ، أعلم أن ذلك إنما هو بالله فقال : ﴿ الا ما شاء الله[1] ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد سواه أن يقدرنى[4] عليه .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الذى (٣) راجع آية ٤٩ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يقدر .

و لما بين لهم بهذا أن سؤالهم عن الساعة و غيرها[١] من المغيبات جهل منهم، لأن حاله واضح[٢] فى أنه لا يعلم من ذلك إلا ما علمه الله الذى اختص بعلم الغيب، دل عليه بقوله: ﴿ و لو كنت ﴾ أى من ذاتى ﴿ اعلم الغيب ﴾ أى جنسه ﴿ لاستكثرت ﴾ أى أوجدت لنفسى كثيرا
٥ ﴿ من الخير ج ﴾ باستجلاب المنافع بنصب أسبابها.

و لما كان الضر لا يحتمل منه شيء قال: ﴿ و ما مسنى السوء ج ﴾ أى هذا الجنس باقامة الموانع / له عنى لأن [٣]من لازم[٣] إحاطة العلم شمول القدرة كما سيقرر إن شاء الله تعالى فى سورة طٰه، و لما بين أن علم الغيب رتبة الإلٰه، ختم الآية ببيان رتبته، فقال قالبا ما ادعوه فيه من الجنون
١٠ لما بان بقوله[٤]: «[٥]يا بنى[٥] عبد مناف! اتقوا الله، يا بنى فلان يا بنى فلان» [ وكذا ما لزم عن إلزامهم له بعلم الساعة من أنه يكون إلٰها -[٦] ]: ﴿ إن انا الا ﴾ و لما كانت السورة للانذار، قدمه فقال: ﴿ نذير ﴾ أى مطلقا للكافر ليرجع عن كفره، و المؤمن ليثبت[٧] على إيمانه ﴿ و بشير لقوم يؤمنون ع ﴾ أى خاصة، أو الصفتان لهم خاصة بالنظر
١٥ إلى النفع، و أما ما لا نفع فيه فعدم.

و لما ذكر سبحانه الساعة هنا كما ذكرها[٨] أول السورة[٩] بما لم يذكره

/٣٩٤

---

(١) من ظ، و فى الأصل: غيره (٢) من ظ، و فى الأصل: واضع (٣-٣) فى ظ: اللازم (٤) فى ظ: يقول (٥-٥) فى الأصل: ما يعنى، وفى ظ: يا - كذا؛ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: فيثبت (٨) العبارة من هنا إلى «يذكره هناك» ساقطة من ظ (٩) فى الأصل: سورة.

هناك من تهكمهم و استهزائهم ، و ختم هنا بحصر العلم و القدرة فى الله الموجب لتفرده بالإلهية ، وكان الذى جرهم إلى ذلك الاستهزاء إشراكهم ؛ ذكر ما ذكر قبلها [1]أول السورة من ابتداء الخلق على وجه الحصر المستلزم لتمام القدرة الموجب لنفى الشريك[1] و اعتقاد القدرة على الساعة و غيرها و الصدق فى كل ما وقع الإخبار به من أمرها و غيره الموجب للاستقامة ٥ فى قبول بشارته و نذارته و الإقبال بالكلية على الخالق ، فقال مقررا للتوحيد [2]مؤكدا لأمره[2] : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى خلقكم ﴾ أى و لم تكونوا شيئا ﴿ من نفس واحدة ﴾ أى خلقها ابتداء من تراب و هى آدم عليه السلام - كما مر بيانه ، و من قدر على اختراع حى من شىء ليس له أصل فى الحياة[2]، كان على إعادته حيا من ذلك الشىء بعد أن ١٠ صار له أصل فى الحياة[2] أقدر .

و لما كان آدم عليه السلام بعد صيرورته لحما و دما أقرب إلى السببية لخلق ذات لحم و دم منه ، قال [معبرا بالواو لأنه كاف فى نفى الشرك الذى السياق للتحذير منه بخلاف الزمر[3] فانه للقهر ، و تأخير المسببات عن الأسباب مدة أدل عليه لأنه خلاف الأصل -[4] ] : ﴿ و جعل ﴾ لأن ١٥ الجعل - كما قال الحرالى - إظهار أمر عن سبب و تصيير ﴿ منها ﴾ أى لا من غيرها ﴿ زوجها ﴾ أى حواء من لحمها و دمها و عظمها .

و لما كان المراد بالنفس آدم عليه السلام و كان الزوج يقال على الذكر

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) راجع آية ٦ (٤) زيد من ظ .

و الأنثى ، استخدم ضميره فى المذكر ذاكرا علة الجعل بقوله: ﴿ليسكن﴾ أى آدم لأنه هو المراد بالنفس هنا؛ و لما كان الزوج هنا هو المرأة، أنث الضمير فقال: ﴿اليها﴾ [وتنقلكم من ذلك السكون منه إليها - [1]] لأن النفس إلى الجنس أميل و عليه أقبل، و لا سيما إن كان بعضا، ألا ترى إلى ٥ محبة الوالد لولده و القريب لقريبه، و إنما منع سبحانه من نكاح الأصل و الفرع لما فى ذلك من الضرار و غيره من الحكم الكبار، فيغشاها عند ما يسكن إليها فيحصل الحبل و الولادة فتفرع النفوس من تلك النفس.

و لما كان [ السكون هنا كناية عن الجماع، أعاده بلفظ أقرب منه - [1]] فقال مؤذنا بقرب غشيانها بعد جعلها، [ أو - [1]] ناسقا له على [ ما - [1] ] ١٠ تقديره: فسكن إليها فمالت نفسه إليها فلم يتمالك أن غشيها: ﴿فلما تغشّٰها﴾ أى غشيها آدم عليه السلام المعبر عنه بالنفس بهمة عظيمة ﴿حملت حملا خفيفا﴾ أى لأنه نطفة ﴿فمرت به ج﴾ أى فعالجت [ به - [1] ] أعمالها و قامت و قعدت، لم يعقها عن شيء من ذلك، إعلاما بأن أمرها فيه كان على عادة النساء التى نعرفها [2] ﴿فلمآ اثقلت﴾ أى صارت ثقيلة بكبره و تحركه فى ١٥ بطنها ﴿دعوا الله﴾ أى آدم و حواء عليهما السلام.

و لما ذكر الاسم الأعظم استحضارا لأن المدعو هو [3] الذى له جميع الكمال، فهو قادر على ما دعوا به لأنه قادر على كل ما يريد؛ ذكر [4] صفة الإحسان رجاء القبول و الامتنان فقال: ﴿ربهما﴾ أى الذى أحسن إليهما،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يعرفها (٣) فى ظ: اهواى (٤) من ظ، و فى الأصل: ذكره.

مقسمين ﴿لئن اٰتيتنا صالحا﴾ أى ولدا لا عيب فيه ﴿لنكونن من الشٰكرين﴾ أى نحن و أولادنا على نعمتك علينا، و ذلك أنهما جوزا أن يكون غير سوى لقدرة الله تعالى على كل ما يريد، لأنه الفاعل المختار لا الطبيعة و لا غيرها، و أشار بالفاء إلى قرب الولادة من الدعاء فقال: ﴿فلمآ اٰتٰهما﴾

/ أى أبويكم[1] آدم و حواء ﴿صالحا﴾ أى جنس الولد الصالح فى تمام الخلق ٥ / ٢٩٥ بدنا و قوة و عقلا، فكثروا فى الأرض[2] و انتشروا فى نواحيها [ذكورا و إناثا -[3]] ﴿جعلا﴾ أى النوعان من أولادهما الذكور و الإناث، لأن 'صالحا' صفة لولد و هو للجنس فيشمل الذكر و الأنثى و القليل و الكثير، فكأنه[4] قيل: فلما آتاهما أولادا صالحى[5] الخلقة من الذكور و الإناث جعل النوعان ﴿له شركآء﴾ أى بعضهم أصناما[6] و بعضهم ١٠ نارا و بعضهم شمسا و بعضهم غير ذلك، هذا على قراءة الجماعة، و على قراءة نافع [و -[3]] أبى بكر عن عاصم بكسر الشين و إسكان الراء و التنوين التقدير: ذوى شرك ﴿فيمآ اٰتٰهماج﴾ أى من القوى بالعبادة و الرزق بالنذور و نحوها.

و لما لم يضر المشركون بالإشراك إلا أنفسهم، سبب عن ذلك ١٥ قوله: ﴿فتعٰلى الله﴾ أى بما له من صفات الكمال التى ليست لغيره تعاليا كثيرا، و الدليل على إرادة النوعين قوله: ﴿عما يشركون﴾ بالجمع،

---

(١) فى الأصل: ابواكم، و فى ظ: ابوكم (٢) فى ظ: ذلك (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ: فكأنى (٥) من ظ، و وقع فى الأصل: صالحا - مكررا (٦) فى ظ: اصنام.

وكذا ما بعده من عيب عبادة الأصنام .

ولما ذكر علوه سبحانه، شرع يذكر من أوصافه عبارة و إشارة ما يدل على ذلك، و يقيم الأدلة على عدم صلاحية ما أشركوا به للشركة[١] بعجزها، بأنها من جملة خلقه و لا تصرف لها تستحق[٢] به وجها من التعظيم، فقال منكرا على عبادها[٣] دالا على [أن-[٤]] المراد الشرك الحقيق، لاما ذكر من قصة[٥] إبليس فى تسبيه فى التسمية بعبد الحرث و نحوه: ﴿ أيشركون ﴾ أى المشركون [و -[٤]] أولادهما فى العبادة ﴿ما لا يخلق﴾ أى من الأصنام و الطبائع و الكواكب و غيرها ﴿ شيئا ﴾ أى يوجده من العدم كما يفعل الله الذى أشركوها به .

و لما كان يلزم أن يكون [٦]ما لايخلق[٦] شيئا مخلوقا[٧] لأنه لايتكون عاجز بغير قادر[٨] أوجده، صرح به فى قوله مجريا للأوثان مجرى أولى العلم لتنزيلهم منزلتهم فى الاعتقاد و العبادة: ﴿ وهم ﴾ و لما كان المصنوع لا يكون صانعا، اكتفى بالبناء للفعول فقال: ﴿ يخلقون ﴾ أى متجددا خلق أعراضهم و ذواتهم و أمثالهم ﴿ و لا يستطيعون لهم ﴾ أى للشركين الذين يعبدونها ﴿ نصرا ﴾ [٩]و هو المعونة[٩] على العدو، و لعله عبر بصيغة العاقل إشارة إلى أنهم لو كانوا يعقلون، و كانوا بهذه الصفات الخسيسة ما أهلوهم لأن يكونوا[١٠] أحبابهم فضلا عن أن يجعلوهم أربابهم.

(١) من ظ ، وفى الأصل : للشرك (٢) من ظ ، وفى الأصل : يستحق (٣) فى ظ : عبادتها (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : قضية (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : مخلوق (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها. (٩-٩) فى ظ : هذا لما لا نعويه - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : يكون .

و لما كان من لا ينصر غيره قد ينصر نفسه ، نفى ذلك بقوله: ﴿ ولآ انفسهم ينصرون ﴾ أى فى وقت من الأوقات عند ما يصيبهم بسوء ، بل عبدتهم يدافعون عنهم .

و لما تبين[1] من هذا الاستفهام الإنكارى المعجب من حالهم فى ضلالهم فى أسلوب الغيبة أن من أشركوه ليس فيه نوع قابلية لما أهلوه ، ٥ فان المعبود يجب أن يكون قادرا ، و من كان عاجزا نوع عجز كان مربوبا[2] ، وكان للتنبيه بالخطاب ما ليس له بالغيبة ؛ أتبع ذلك فى أسلوبه تعجيبا آخر منهم أشد من الأول ، و ذلك أن معبوداتهم التى[3] أشركوا بها كما أنها لاتفعل شيئا من تلقاء أنفسها ، لا[4] تفعله عند دعاء الداعى ولا تهتدى إليه فقال تعالى: ﴿ و ان تدعوهم ﴾ أى و إن تدعوا أيها ١٠ المشركون أصنامكم دعاء مستمرا متجددا ﴿ الى الهدى ﴾ أى [إلى -[5]] الذى يدل الداعى إليه قطعا، على[6] أن المتخلف عنه سيئ المزاج ، محتاج إلى العلاج ، لكونه تخلف عما لا يتخلف عنه من له نوع صلاح لكونه أشرف الأشياء ، فالمتخلف عنه راض لنفسه بالدون ﴿ لا يتبعوكم ﴾ أى فى ذلك الهدى الذى دعوتموهم إليه و لو بالغتم فى الاستتباع ، و لعله ١٥ عبر بصيغة الافتعال إشارة إلى أنها لا يتصور منها قصد التبع / [فضلا -[5]] ٣٩٦/ عن إيجاده ؛ ثم بين أن ذلك ليس بأمر عارض ، بل هو[4] مستمر دائم بقوله مستأنفا تأكيدا للعنى : ﴿ سوآء عليكم ﴾ .

(١) فى ظ : بين (٢) من ظ ، و فى الأصل : مربا له (٣) فى ظ : الذين .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : كما .

و لما كان السواء[1] لا يكون إلا بين أمرين ، تشوف السامع إليهما فقال : ﴿ ادعوتموهم ﴾ أي وجد منكم ذلك الدعاء الذى أشير إلى استمراره ، و عبر بالاسمية إشارة إلى أنهم لا يدعونهم[2] فى وقت الشدائد ، بل يدعون الله فقال : ﴿ ام انتم صامتون ۝ ﴾ أى عن ذلك على الدوام على عادتكم فى ٥ الإعراض عن دعائهم فى أوقات الملمات ، فالذين يدعون معتقديهم فى وقت الضرورات أقبح حالا فى ذلك من المشركين[3] ، [ و يجوز أن تكون الآية من الاحتباك ، فيكون نظمها : أدعوتموهم مرة أم أنتم داعوهم دائما أم صممتم عن دعائهم فى وقت ما أم أنتم صامتون دائما عن دعائهم ، حالكم فى كل هذه الأجوبة سواء فى عدم الإجابة ، لا اختلاف فيه بوجه ، ١٠ دل بالفعل أولا على حذف مثله ثانيا ، و بالاسم ثانيا على حذف مثله أولا -[4] ] .

و لما كان اتباع من يدعى أنه أعقل الناس و أبعدهم عن النقائص و أعرقهم فى معالى الأخلاق و أرفعهم عن سفسافها لمن هذا سبيله أخزى الخزى و أقبح العار ، و كانوا مع العلم بهذا الذى وصفت [ به -[4] ] ١٥ معبوداتهم يفعلون فى الإشراك بهم و فى خوفهم و رجائهم ما هو عين الجهل ؛ كرر تبكيتهم باتباعهم فى أسلوب آخر أوضح مما قبله فى تبيين النقائص و التنبيه على المعايب ملجئ إلى الاعتراف أو التصريح بالعناد أو الجنون فقال مؤكدا[5] : ﴿ ان الذين تدعون ﴾ أى أيها المشركون دعاء

---

(١) فى ظ : السوء (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يدعوهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : المشركون (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

عبادة

عبادة ملازمين لذلك ، أو أنه أطلق الدعاء على العبادة إشارة إلى أنه لا تصح
عبادة من ليس فيه قابلية أن يدعى[1] . و الحاصل أن الدعاء يلازم المعبود .

و لما كان دعاؤهم لهم إنما هو على سبيل الإشراك[2] ، قال مشيرا
إلى سفول رتبتهم باثبات الجار : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له صفات
الكمال و العظمة و الجلال ﴿ عباد[3] امثالكم ﴾ أى فى العجز عن كل شىء ٥
لا سيما عما[4] وقع به التحدى من[5] معارضة القرآن و غيرها . [ و أنتم تزيدون
عليها بالحياة و العقل ، و المعبود لا يصح أن يكون مثل العابد فكيف
إذا كان دونه ؛ و لما كانوا لا يسلمون أنهم أمثالهم ، سبب عن ذلك
أمرهم بدعائهم لبيان دعوى المثلية بل الدونية فقال - [6] ] : ﴿ فادعوهم ﴾
أى إلى شىء من الأشياء . ١٠

و لما كان الإله الحق يجيب وليه عند التحدى من غير تخلف[7] ،
أشار إلى ذلك بالربط بالفاء فقال : ﴿ فليستجيبوا[8] لكم ﴾ أى يوجدوا لكم
إجابة بينة فى الإتيان بسورة تماثل شيئا من القرآن و فى شىء من المنافع .

و لما كان المقام محتاجا إلى مزيد توبيخ و إلهاب ، قدم منه ما رأيت ،
ثم زاد فى الإلهاب فقال : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ صدقين ﴾ ١٥
أى فى دعوى أنهم آلهة ، فان رتبة الإله تقتضى ذلك ، و قرأ[9] سعيد
ابن جبير " ان " خفيفة و " عبادا[10] امثالكم " - بنصب الدال و اللام ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يدعيها (٢) فى ظ : الاشتراك (٣) من ظ و القرآن
الكريم ، و فى الأصل : عبادا (٤) فى ظ : كما (٥) من ظ ، و فى الأصل : عن
(٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) فى ظ : تخالف (٨) من ظ و القرآن الكريم ،
و فى الأصل : فيستجيبوا (٩) من ظ ، و فى الأصل : قراءة (١٠) فى ظ : عباد .

و اتفق المفسرون على تخريجها على أن ' إن ' هى النافية أعملت عمل
' ما ' الحجازية ، فرفعت الاسم و نصبت الخبر ، و إعمالها هذا العمل
فيه خلاف ، أجازه الكسائى و أكثر الكوفيين ، و من البصريين
ابن السراج و الفارسى و ابن جنى ، و منع منه الفراء و أكثر البصريين ،
٥ و اختلف النقل[1] عن سيبويه و المبرد ، و الصحيح أن إعمالها لغة ثبت ذلك
فى النظم و النثر - ذكر ذلك كله أبو حيان[2] و ذكر أنه أشبع الكلام فيه فى
شرح التسهيل ، و اعترض على هذا التخريج بأنه يلزم منه منافاتها للقراءة
المشهورة ، و إنما يسلم له ذلك لو توارد النفى و الإثبات على شىء واحد ،
و ليس الأمر هنا كذلك ، فالإثبات لمماثلتها لهم فى مطلق العجز ، و النفى
١٠ لمساواتها[3] لهم فيه لزيادتهم عنها بالبطش و نحوه ، أو يكون الأمر - كما قال
الزمخشرى - أن الإثبات على سبيل التنزل و النفى على الحقيقة .

و لما أثبت عجزهم و أنهم أمثالهم ، دل عليه و على أنهم دونهم بأسلوب
إنكار و تعجيب مفصلا لبعض ما نفاه [ عنهم -[4] ] فقال مقدما الأرجل
لأن أول ما يخشى من الشىء انتقاله : ﴿ الهم ارجل ﴾ و لما كانت
١٥ لهم جوارح مصنوعة ، بين المراد بقوله : ﴿ يمشون بهآ ز ﴾ .

و لما كان المخشى بعد الانتقال مدّ اليد ، قال[5] : ﴿ ام لهم ايد ﴾ أى[6]
موصوفة بأنهم ﴿ يبطشون بهآ ز ﴾ أى نوعا من البطش ؛ و لما كان المخوف
بعد البطش باليد البصر خوفا من الدلالة [ قال -[4] ] : ﴿ ام لهم اعين ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) راجع البحر المحيط ٤/٤٤٤ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
لمناواتها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٦) سقط من ظ .

أى منعوتة بأنهم ﴿ يبصرون بهآ ﴾ أى ضربا من الإبصار؛ و لما كان الإنسان ربما خاف مما يقصد ضره فتغيب عنه فلا يصل إليه بعد ذلك إلا[1] بالسمع قال خاتما: ﴿ ام لهم اٰذان ﴾ أى مقول[2] فيها أنهم ﴿ يسمعون بها ﴾ / أى شيئا من السمع. /٣٩٧

و لما سواها بهم و نفى عنهم ما تقدم، لزم نقصانها عنهم و أنه فى ٥ الحقيقة مسلوب عنهم لأنهم ليس لهم من ذواتهم إلا العدم، و القدرة فيما يقدرون عليه إنما هى بيد[3] الصانع لهم أشركهم[4] معها، و قال دالا على ذلك مستأنفا: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المشركين ﴿ ادعوا شركآءكم ﴾ أى هذه التى تقدمت و مهما شئتم غيرها، و استعينوا بها فى عداوتى.

و لما كان هذا تحديا عظيما يحق لفاعله التمدح به، نبه عليه باداة ١٠ التراخى فقال: ﴿ ثم كيدون ﴾ أى جميعا أنتم وهم و أنتم أكثر من حصى البطحاء و رمل الفضاء و أنا وحدى، و لما كان المعنى: و عجلوا، عطف بفاء السبب قوله: ﴿ فلا تنظرون ﴾ أى تمهلون لحظة فما فوقها لئلا تعتلوا[5] فى الإنظار[6] بعلة، و علل عدم المبالاة بكيدهم بقوله دالا على اتصاف معبوده بما نفاه عن شركائهم من الإحاطة بمنافع الدارين فيما ١٥ يتعلق بالأديان و الأبدان، و قدم الدين إشارة إلى أنه الأهم فقال مؤكدا فى مقابلة إنكارهم: ﴿ ان ولىّ ىَ ﴾ أى ناصرى و متولى جميع أمورى ﴿ الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ الذى نزل ﴾ أى بحسب التدريج

---

(١) فى ظ: الى (٢) من ظ، و فى الأصل: معقول (٣) فى ظ: لله (٤) فى ظ: اشركوا (٥) من ظ، و فى الأصل: لئلايعتلوا (٦) فى ظ: الانتضار - كذا.

متكفلا بفصل الوقائع ﴿ الكتٰب صلے ﴾ أى الجامع لعلوم الأولين و الآخرين و أمر المعاش و المعاد و أحوال الدارين وكل ما فيه صلاح من أحوال القلوب و غيرها الذى عجزتم بأجمعكم و من ادعيتم شركته عن معارضة شيء منه .

٥ و لما تكفل هذا التنزيل بجميع الصفات ، و هى الحياة التامة المستلزمة للارادة و القدرة و العلم و السمع و البصر و الكلام ، و كان عجزهم عن المعارضة للكتاب دليلا[1] شهوديا قوليا على كذبهم ، أتبع ذلك دليلا آخر شهوديا فعليا فقال : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ يتولى ﴾ أى يلى ولاية تامة ﴿ الصّٰلحين ه ﴾ أى كلهم بنصرهم على كل مناو و كفايتهم

١٠ لكل مهم و قد علمتم ما قدمه فى هذه السورة من وقائعه بمن كذب أنبياءه و استهزأ برسله و أنه أنجى كل من والاه[2] ، و أهلك جميع من عاداه كمن عدوهم آلهة ، و هو و ما بعده و ما قبله متلفت إلى قوله تعالى " اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم و لا تتبعوا من دونه اولياء " بالشرح[3] ، و هو دال على أنه هو الذى فعل ما تقدم لأجل أوليائه بدليل أنه أعجزهم عن معارضة

١٥ شيء من كتابه ، و عن[4] الوصول إلى جميع ما يريدون[5] من أوليائه وأحبابه.

و لما صور بهذا جلاله[6] ، و قرر عظمته و كماله ، باتصافه بجميع الصفات العلى التى منها القدرة التى تكفهم[7] عنه ؛ كرر التنفير عن أندادهم[8] فى أسلوب آخر تأكيدا للعنى السابق بزيادة بالغة فى[9] العجز [10]و هو تصويب[10]

(١) من ظ ، و فى الأصل : دليل (٢) من ظ ، و فى الأصل : ولاه (٣) فى ظ : بالشرع (٤) من ظ ، وفى الأصل : من (٥) من ظ ، وفى الأصل : يرون (٦) فى ظ : اجلاله (٧) فى ظ : تكفلهم (٨) فى ظ : انذارهم (٩) من ظ ، و فى الأصل « و » (١٠ - ١٠) من ظ ، و فى الأصل : هى تصوير - كذا .

النظر من غير إبصار، مع أن الأول للتقريع، و هذا للفرق بين من يعبد بحق و من يعبد بباطل ليرجعوا عن غيهم و عنادهم. فقال مبينا أنهم ليسوا في شيء من صفاته مصرحا بنفي النصرة التي[1] أثبتها له عنهم مع المواجهة بالخطاب الذي هو أفظع في الجواب: ﴿ و الذين تدعون ﴾ أي تديمون دعاءهم ﴿ من دونه ﴾ - فإنهم يدعونه سبحانه في بعض الأوقات - ٥ أو تدعونهم تاركين [ له - [2] ] ﴿ لا يستطيعون نصركم ﴾ أي بوجه من وجوه النصرة بدليل عجزكم عني و أنا وحدي و أنتم أهل الأرض ﴿ و لآ انفسهم ينصرون ۝ ﴾ بدليل أن الكلب يبول عليهم فلا يمنعونه.

و لما كان دعاء الجماعة أقرب إلى السماع من دعاء الواحد، نسق على ما قبله قوله: ﴿ و ان تدعوهم ﴾ أي يا من هم أضل منهم و أعجز ١٠ ﴿ الى الهدى ﴾ أي [ إلى - [2] ] الذي هو أشرف الخلال ليهتدوا في نصر أنفسهم أو غير ذلك ﴿ لا يسمعوا [4] ﴾ أي شيئا من ذلك الدعاء ولا غيره؛ و لما كان حالهم في البصر بالنسبة إلى كل أحد على حد سواء، قال مفردا للمخاطب: ﴿ و ترٰهم ﴾ أي أيها الناظر إليهم ﴿ ينظرون اليك ﴾ / أي كأنهم ٣٩٨ / ينظرون لما صنعوا لهم من الأعين ﴿ وهم لا يبصرون ۝ ﴾ أي نوعا ١٥ من الإبصار، و ما أشبه مضمون هذه الآيات بما[3] في سفر أنبياء بني إسرائيل في نبوة[4] أشعيا: هكذا يقول الرب ملك إسرائيل و مخلصه: أنا الأول و أنا الآخر، و ليس إله غيري. و من مثلي[5] يدعى و يظهر قوته و يخبر بما كان

(١) في ظ: الذي (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: سواء - كذا (٥) من نبوة أشعيا - الأصحاح الرابع و الأربعين، و في الأصل و ظ: مثل.

منذ بسطت الدنيا إلى الأبد ، و الآيات القديمة تظهر للشعوب ، فلا يفزعون
و لا يخافون ، ألم أسمعكم منذ[١] أول الدهر و أظهرها لكم و أبين لكم الأمور
و أنتم شهدائي أن ليس إلٰه غيري ، و ليس عزيز منيع إلا و أنا أعز منه ، لأن
جميع الصناع الذين يعملون الأصنام إنما عملهم باطل و ليس في أعمالهم منفعة ،
٥ و أن [٢]الصناع الذين[٢] يعملونها [هم-[٣]] يشهدون عليها أنها لا تبصر و لا تسمع
و لا تعلم ، لذلك يخزى جميع صناع الأوثان المسبوكة لأن جميع ما صنعوا[٤]
لا عقل له ، فيجمعون كلهم و يخزون و يفتضحون لأن النجار نحت
بحديده و هيأ صنما بمنقاره و سدده بقوة ساعده و جاع و عطش في عمله ،
و النجار اختار خشبة و قدرها و ألصق بعضها ببعض بالغراء و ركبها و عملها
١٠ كشبه الإنسان ، أقام من الخشب الذي قطع من الغيضة كشبه رجل الذي
نبت من شرب المطر ليصير للناس للوقود فعملوه لهم إلٰها و عبدوه
و سجدوا له ، الذي بنصفه خبزوا لهم خبزا و شووا لهم لحما على جمرة و أكلوا
و شربوا و اصطلوا[٥] و قالوا : قد حمينا لأنا قد[٦] أوقدنا نارا و اصطلينا ،
و الذي بقي منه اتخذوه إلٰها منحوتا و سجدوا له و صلوا و قالوا : نجنّا لأنك
١٥ إلٰهنا ، و لم يخطر على بالهم فكر أن يقولوا : إنا قد أوقدنا نصفه بالنار ،
و خبزنا خبزنا و شوينا على جمره اللحم و أكلنا ، و لم يعلموا أن باقيه قد عمل
منه صنم و سجدوا له ، لأن قلوبهم متمرغة في رماده ، و ضلت عقولهم
فلا يقدرون ينجون أنفسهم و لا[٦] يقولون : إن أيادينا[٧] عملت الباطل

(١) من ظ ، و في الأصل : سبل - كذا (٢ - ٢) في ظ : الصانع الذي (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : اصنعوا (٥) في ظ : اصطلحوا (٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده في ظ : التي .

و اتخذت الكذب، ثم قال: أ ليس أنا الرب منذ أول، و ليس إله غيرى و لا مخلص سواى، ادنوا إلىّ يا جميع الذين[1] فى أقطار الأرض لتنجوا لأنى أنا الرب و ليس إله غيرى، حلفت بيمينى و أخرجت كلمة صدق و لست أرجع عنها لأنه لى تنحنى كل ركبة، و بى يحلف كل إنسان و يقول: إنما البر بالرب، و إليه تدنو[2] الأعزاء و يخزى جميع المبغضين، و بى يمتدح ٥ و يتبرر، بمن شبهتمونى؟ و إلى من نسبتمونى؟ بالضالين الذين أخرجوا الذهب من أكياسهم [ و - [3] ] وزنوا الفضة بالميزان و اكتروا الصناع[4] حتى عملوا لهم آلهة يسجدون لها و يحملونها على أكتافهم و يمشون بها ثم يصلون لها و يدعونها لا تجيبهم و لا تخلصهم من شدائدهم ثم يحملونها أيضا و يردونها إلى مواضعها، اذكروا هذه الأشياء و اعقلوا أيها الأئمة ١٠ و أخطروها على قلوبكم و اذكروا الأيام التى كانت من الابتداء، إنى أنا الله الخالق و ليس إله غيرى و لا مثلى، فأنا[5] أظهر العتيدات و أخبر بالذى يكون قبل أن يكون، و أثبت رأيى و أكمل إرادتى و هواى، و أدعو من فى المشارق فيأتون أسرع من الطير، و أتانى[6] الرجل الذى قد عمل مسرتى من الأرض البعيدة، لأنى أنا إذا[7] تكلمت بشىء فعلته. أنا خلقت ١٥ و أنا أخلق؛ و فى الزبور فى المزمور الثالث عشر بعد المائة[8]: إلهنا فى الأرض، كل ما يشاء يصنع، أوثان الأمم ذهب و فضة عمل أيدى

---

(١) من ظ، و فى الأصل: الدنيا (٢) فى ظ: تدعو (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: الصنا - كذا (٥) فى ظ: انا (٦) فى ظ: اتى (٧) فى ظ: الذى (٨) و أما فيما عندنا من نسخة الزبور فالنص الآتى وارد فى المزمور الخامس عشر بعد المائة.

البشر، لها أفواه و لا تتكلم، لها أعين و لا تنظر، لها آذان[1] و لا تسمع، و آناف و لا تشم، و أيد[2] و لا تلمس، و أرجل و لا تمشى، و لا صوت بحناجرها، و لا روح فى أفواهها، فليكن صانعوها مثلها و جميع من يتوكل[3] عليها - انتهى.

٣٩٩/

٥ و لما كان محصل أمرهم الإعراض عما أتاهم بالتكذيب و الإقبال على ما لم يأتهم بالطلب و التعنت كالسؤال عن الساعة، و الأمر بالمنكر من الشرك و ما يلزم منه[4] من مساوى الأخلاق، و النهى عن المعروف الذى هو التوحيد و ما يتبعه من محاسن الشرع، و ذلك هو الجهل، و ختم ذلك بالإخبار بأنه سبحانه أصلح له الدين بالكتاب، و الدنيا بالحفظ

١٠ من كل ما ينتاب[5]، وكان حالهم ربما كان موئسا من فلاحهم، مفترا عن دعائهم إلى صلاحهم[6]، كان الداعى لهم صلى الله عليه و سلم كأنه قال: فما أصنع فى أمرهم؟ فأجابه بالتحذير من مثل حالهم و الأمر بضد قالهم و فعالهم و الإبلاغ فى الرفق بهم فقال: ﴿ خذ العفو ﴾ أى ما أتاك من الله و الناس بلا جهد و مشقة، و هذه المادة تدور على السهولة، و تارة

١٥ تكون من الكثرة و تارة من القلة، فعفا المال، أى كثر، فصار يسهل إخراجه و يسمح به لزيادته عن[7] الحاجة، و عفا المنزل، أى درس، فسهل أمره حتى صار لا يلتفت إليه.

(١) فى ظ: اذن (٢) فى الأصل و ظ: ايدى (٣) فى ظ: يتكلم (٤) من ظ، و فى الأصل: عنه (٥) فى ظ: يشاب (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧) من ظ، و فى الأصل: على.

و لما أمره بذلك في نفسه، أمره به[1] في غيره فقال: ﴿و امر بالعرف﴾ أى بكل ما عرفه الشرع و أجازه، فانه من العفو سهولة و شرفا، [2]و قد تضمن ذلك النهى عن المنكر فأغنى بذلك عن ذكره لأن السياق للمساهلة[2]؛ و لما أمره بالفعل[3] في نفسه و غيره، أتبعه الترك فقال: ﴿و اعرض عن الجٰهلين ه[4] ﴾ أى فلا تكافئهم بخفتهم و سفههم و لا تمارهم ٥ فان ذلك أسهل من غيره، و ذلك [بعد فضيحتهم بالدعاء، و ذلك -[5]] لأن محط حالهم اتباع الهوى فيدعوهم إلى تكلف ضد هذه الخصال، و فيه إشارة إلى النهى عن أن يذهب نفسه عليهم حسرات مبالغة في الشفقة عليهم، و عن جعفر الصادق أنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. ١٠

و لما كان الشيطان بعداوته لبنى آدم مجتهدا في التنفير من هذه المحاسن و الترغيب في أضدادها، وكان النبي صلى الله عليه و سلم قد نزع منه حظ الشيطان بطرح تلك العلقة السوداء من قلبه إذ شق جبرئيل عليه السلام صدره و غسل قلبه و قال[6]: هذا حظ الشيطان منك؛ شرع لأمته ما يعصمهم منه عند نزغه مخاطبا له بذلك ليكون أدعى لهم إلى القبول ١٥ و أجدر باشتداد الخوف المقتضى للفرار المثمر للنجاة، لأنهم إذا علموا

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ: بالعدل.
(٤) العبارة من «ولما أمره بالفعل» إلى هنا تأخرت في ظ عن «بخفتهم و سفههم».
(٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: قد.

قصد الشيطان لمن نزع منه[1] حظه و عصم من كل محنة علموا أنه لهم
أشد قصدا و أعظم كيدا [2]و صدا[2]، فقال مؤكدا بأنواع التأكيد إشارة
إلى شدة قصد الشيطان[3] للفتنة و إفراطه فى ذلك، ليبالغ فى الحذر منه
[ و إن كان قصده بذلك فى محل الإنكار لعلمه بالعصمة - [4] ]،
٥ و [ لذلك - [4] ] عبر بأداة الشك إشارة إلى ضعف كيده للنبى صلى الله عليه
و سلم، لأن الله تعالى أعانه على قرينه فأسلم: ﴿ و اما ﴾ أى إن،
و أكدت بـ " ما " إثباتا للمعنى و نفيا لضده ﴿ ينزغنك ﴾ أى ينخسنك
نخسا عظيما ﴿ من الشيطن نزغ ﴾ أى نخس بوسوسته من شأنه [ أن - [4] ]
يزعج فيسوق إلى خلاف ما تقدم من المحاسن فى نحو غضب من جهل
١٠ الجاهل و سفه السفيه [ أو - [4] ] إفراط فى بعض أوجه[5] كما تساق الدابة
بما تنخس به، فيفسر و يجعل[6] النخس ناخسا إشارة إلى شدته ﴿ فاستعذ ﴾
أى فأوجد أو اطلب العوذ و هو الاعتصام ﴿ بالله ﴾ أى الذى له جميع
العز و العظمة و القدرة و القهر لانقطاعك عن الإخوان و الأنصار إليه
فلا ولى لك و لا ناصر إلا هو، فانه إذا أراد إعاذتك ذكرك من[7] عزيز
١٥ نعمه وشديد نقمه ما يرد عن الفساد رغبا و رهبا. و الآية ناظرة /إلى قوله تعالى ٤٠٠/
[ أولها - [4] ] "لاقعدن لهم صراطك المستقيم".

و لما أبطل تعالى أن يكون لشركائهم سمع أو علم، صار إثبات ذلك

---

(١) من ظ، و فى الأصل: فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: الشياطين (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: اوجب (٦) من ظ، و فى الأصل: جعل (٧) سقط من ظ.

له كافيا فى اختصاصه به من غير حاجة إلى الحصر المتضمن لنفيه عن غيره لتقدمه صريحا بخلاف ما فى فصلت[1] ، فقال معللا : ﴿ انه سميع ﴾ أى بالغ السمع فهو يسمع استعاذتك فيجيبك إن شاء ﴿ عليم ﴾ شامل العلم بما تريد و يريد منك عدوك ، فلا يعجزه شيء ، و ختم بصفة العلم فى الموضعين لأن الوسوسة من باب ما يعلم ، و ختمها فى سورة المؤمن[2] بالبصير[3] المشتق ٥ من البصر[3] و البصيرة ، لأن المستعاذ منه أمر الناس و منه ما يبصر .

و لما كان لا يحصل للنبى صلى الله عليه و سلم إلا شيء خفيف جدا كما نبه عليه بالنزغ ، و هو ليس بمحقق كما نبهت عليه أداة الشك ، و كان لا يستعيذ بالله إلا المتقون فكان كأنه قيل : افعل ذلك عند أول نزغه[4] لتكون من المتقين ، علله بقوله : ﴿ ان الذين اتقوا ﴾ أى حصل لهم هذا ١٠ الوصف ، و حقق أذاه لهم بأداة التحقيق - بخلاف ما مضى عند إفراد الخطاب للنبى صلى الله عليه و سلم - فقال : ﴿ اذا مسهم طيف[5] ﴾ أى طواف على أنه مصدر ، و يجوز أن يكون تخفيف طيّف كميت و هو بمعنى قراءة طٓئف على أنه فاعل كميت و مائت ، و يجوز أن يكون مصدرا أيضا ، و هو إشارة إلى أن الشيطان دائر حولهم لا يفارقهم ، فتارة ١٥ يؤثر فيهم طوافه فيكون قد مسهم مما هو أكبر من النزغ لكونه أطاف بهم من جميع الجوانب ، و تارة لا يؤثر ﴿ من الشيطن ﴾ أى البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ﴿ تذكروا ﴾ أى كلفوا أنفسهم ذكر الله بجميع ما ينفعهم فى ذلك إقداما و إحجاما .

---

(١) راجع سورة ٤١ آية ٣٦ (٢) راجع آية ٥٦ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : نزغة (٥) هذه قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائى و يعقوب.

و لما كانوا باسراع التذكر[1] كأنهم لم يمسهم شيء من أمره، أشار إلى ذلك بالجملة الاسمية مؤكدا لسرعة البصر باذا الفجائية: ﴿ فاذا هم ﴾ أي بنور ضمائرهم ﴿ مبصرون ج ﴾ أي ثابت إبصارهم فلا يتابعون الشيطان، فان المتقي من يشتهي فينتهي، و يبصر[2] فيقصر، و في ذلك تنبيه ٥ على أن من تمادى مع الشيطان عمي لأنه[3] ظالم، و الظالم [ هو - [4] ] من يكون كأنه يمشي في الظلام.

و لما وصف المتقون الذين هم العلماء ملوحا إلى نصح وليهم لهم، و عرف من حالهم أنهم أعداء الشيطان، و عرف أن أضدادهم[5] أولياؤه؛ أتبعه وصف الجاهلين و غش أوليائهم لهم و الكل غير متقين، فقال:

١٠ ﴿ و اخوانهم ﴾ أي و إخوان الجاهلين من شياطين[6] الإنس و الجن ﴿ يمدونهم ﴾ أي يمدون الجاهلين، من المد و هو الإمهال و الإطالة على قراءة [7] الجماعة، و هو بمعنى قراءة [7] أهل المدينة بالضم من الإمداد؛ [ و قال الواحدي: إن هذا أكثر ما يأتي فيما يحمد كامددنهم بفاكهة، فهو من استعمال الشيء في ضده نحو "فبشرهم بعذاب"، و كأنه يشير إلى أن الشيطان ١٥ أكثر ما يأتي الإنسان في صورة الناصح الشفيق، و الأوجه أن يكون الإخوان الجاهلين لأنهم في مقابلة "الذين اتقوا" و يكون الضمير للشيطان المراد به الجنس، أي و إخوان الشياطين - و هم الجاهلون الذين لا يتقون - يمدهم أولياؤهم من الشياطين - [7] ] ﴿ في الغي ﴾ و هو ضد

(١) في ظ: التذكير (٢) من ظ، و في الأصل: يصبر (٣) من ظ، وفي الأصل: انه (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ، و في الأصل: اضداده. (٦) من ظ، و في الأصل: شياطينهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

الرشاد، [ و أشار - [1] ] إلى مزيد اعتنائهم بالإغواء و مثابرتهم على الإضلال و الإغراء بأداة التراخي فقال: ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ أي لا يتركون إغواءهم و لو [2] لحظة لجهلهم و شرهم.

و لما تقرر ما شرعه من التعفف و عدم التنطع و التكلف، و كان قد أخبر أن من عمههم تكلفهم السؤال عن [3] الساعة، و الشياطين لا يفترون ٥ عن إغوائهم، أخبره عن مطلق تكلفهم تعجبا [4] منهم و إشهادا لتماديهم مع إغواء شياطينهم، و أمره صلى الله عليه و سلم بما يجيبهم [ به - [1] ] فقال عاطفا [5] على "يمدونهم": ﴿ و اذا لم تاتهم باية ﴾ أي على حسب اقتراحهم ﴿ قالوا لو لا ﴾ أي هلا ﴿ اجتبيتها ﴾ و الجبى: الجمع، و الإجباء تركه، و الاجتباء: الجد في الجمع، و يلزم منه الاصطفاء و الاختيار، ١٠ فمعنى اجتبيتها اجتلبتها، أي تكلفت من عند نفسك الإتيان بها مختارة.

و لما كان المقام داعيا إلى السؤال في تعليم الجواب، [6] أسعف ذلك [7] بقوله: ﴿ قل ﴾ أي إذا قالوا ذلك ﴿ انما اتبع ﴾ أي أتعمد و أتكلف اتباع ﴿ ما يوحى الي ﴾ أي يأتيني به الملك ﴿ من ربي ﴾ / أي المحسن إليّ بتعليمي ما ينفعني، لا أني آتي بشيء من عند نفسي و لا أقترح ١٥ على ربي. / ٤٠١

و لما حصر حاله في اتباع الوحي كان كأنه قيل: ما هذا الذي

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) في الأصل و ظ: لا (٣) من ظ، و في الأصل: على (٤) في ظ: تعجيبا (٥) في ظ: عطفا (٦) في ظ: اعسف. (٧) من ظ، و في الأصل: بذلك.

يوحى إليك؟ فقال - و يجوز أن يكون تعليلا لاتباعه لأنه كاف فى
إثبات نبوته مغنٍ عن الآيات المقترحة قاهر فى وجوب اتباعه - : ﴿هذا﴾
مشيرا إلى ما يوحى إليه تنبيها على أنه يجب أن يكون مستحضرا فى
سائر الأذهان ، حاضرا بين عينى كل إنسان ﴿ بصآئر ﴾ أى أشياء هى[1]
٥ - على حسب ما طلبتم - مجتباة ، بل هى خيار الخيار ، يكون بها نور
القلب فيصير للعيون أيضا بصر يقربه[2] مما يحث الكتاب على نظره
من الآيات المرئيات إلى علوم لم تكن لها قبل[3] ذلك ، و هى حجج[4]
بينة قاهرة على تصديق و[5] قبول [كل - [6]] ما جئت به ، و سماه بذلك
لأنه سبب لبصر العقول بدلائل التوحيد و النبوة و المعاد و جميع الشريعة
١٠ أصولا و فروعا ، فهو تسمية للسبب باسم المسبب ، و على[7] مدحها بقوله :
﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يقطع إحسانه عنكم أصلا ، فهو جدير بأن
يتلقى ما أتى منه بكل جميل .

و لما كانت البصائر جمعا ، و كانت العادة جارية بأن مفردات الجمع
تكون متفاوتة ، أكدها بما يشير إلى أنها خارقة للعادة فى أنها على
١٥ حد سواء فى أعلى طبقات الهداية فقال : ﴿ و هدى ﴾ أى بيان ؛ و لما
كان البيان قد لا يكون على وجه الإكرام ، قال : ﴿ و رحمة ﴾
أى إكرام .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يعبر به (٣) زيد بعده فى الأصل : بصر ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : حجة (٥) فى ظ : فى (٦) زيد من ظ .
(٧) فى ظ : اعلى .

و لما كان من لا ينتفع[1] بالشيء يصح أن ينفي عن الشيء النافع النفع بالنسبة إليه، قال: ﴿ [2]لقوم يؤمنون[2] ۝ ﴾ أي يوجدون هذه الحقيقة و يستمرون على تجديدها في كل وقت، و أما غيرهم فقد يكون عليهم عذابا .

و لما عظم الله شأن القرآن، فكان[3] التقدير: فآمنوا به تفلحوا، ٥ عطف عليه قوله: ﴿ و اذا قرئ القراٰن ﴾ أي و هو هذا[4] الذي يوحى إليّ، فتأدبوا و تواضعوا لأنه صفة ربكم ﴿ فاستمعوا له ﴾ أي ألقوا إليه أسماعكم مجتهدين في عدم شاغل يشغلكم عن السمع .

و لما كان بعض الفهماء يسمع و هو يتكلم، أشار إلى أن هذا الكتاب أعلى قدرا من أن يناله من يشتغل عنه بأدنى شغل فقال: ١٠ ﴿ و انصتوا ﴾ أي للتأمل و التدبر لتنجلي قلوبكم فتعلموا حقيقته فتعلموا بما فيه و لا يكون في صدوركم حرج منه؛ و لما كان ظاهر الآية وجوب الإنصات لكل قارئ على كل أحد، رغب فيه تعظيما لشأنه[4] فقال: ﴿ لعلكم ترحمون ۝ ﴾ أي لتكونوا على رجاء من أن يكرمكم ربكم و يفعل بكم كل ما يفعله الراحم مع المرحوم . ١٥

و لما تقدم الأمر بالذكر عند نزغ الشيطان، و مر إلى أن أمر بالاستماع لأعظم الذكر، وكان التالي ربما بالغ في الجهر ليكثر سامعه، وربما أسر[5] لئلا يوجب على غيره الإصغاء، علمهم[7] أدب القراءة[8]،

(١) من ظ، و في الأصل: لا ينفع (٢-٢) زيد ما بين الرقمين من ظ و القرآن الكريم.
(٣) من ظ، و في الأصل: كان (٤) سقط من ظ (٥) في الأصل: اشد، و في ظ: اسرع - كذا (٦) في ظ: علم (٧) من ظ، و في الأصل: القرآن.

و أطلق ذلك فى كل حال لأنه ربما فهم فاهم الاقتصار على الذكر فى
حالة النزغ ، و رقى[1] الخطاب منهم إلى إمامهم ليكون أدعى لقبولهم مع
الإشارة إلى أنه لا يكاد يقوم بهذا الأمر حق قيامه[2] غيره صلى الله
عليه و سلم فقال : ﴿ و اذكر ﴾ [ أى بكل ذكر من القرآن و غيره -[3] ]
٥ ﴿ ربك ﴾ أى الذى بلغ الغاية فى الإحسان إليك ﴿ فى نفسك ﴾ أى
ذكرا يكون راسخا فيك مظروفا لك لفهمك لمعانيه و تخلقك بما فيه ،
و ليكن[4] سرا لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص و أعون على التفكر ، و كونه
سرا دال على أشرف الأحوال ، و هو المراقبة مع تحقق القرب ، فاذا
كان كذلك أثمر قوله : ﴿ تضرعا ﴾ أى حال كونك ذا تضرع بالظاهر
١٠ ﴿ و خيفة ﴾ أى لتدعو المخافة إلى تذلل قلبك لتجمع بين تضرع السر
و العلن ، و بهذا[5] يكمل ذل العبودية لعز الربوبية .

و لما أمر بالسر ، قال مقابلا له : ﴿ و دون الجهر ﴾ أى لأنه
/٤٠٢ أدخل فى الإخلاص ، و من المعلوم أنه فوق السر ، و إلا لم تفد / الجملة
شيئا ؛ و لما كان الجهر قد يكون فى الأفعال ، أكده بقوله : ﴿ من القول ﴾
١٥ أى فان ذلك يشعر بالتذلل[6] و الخضوع من غير صياح كما يناجى[7] الملوك
و يستجلب[8] منهم الرغائب ، و كما[9] قال صلى الله عليه و سلم للصحابة و قد
جهروا بالدعاء فوق المقدار « إنكم لا تدعون أصم و لا غائبا » فان

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٢) من ظ ، و فى الأصل : قيام (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : لكن (٥) فى ظ : هذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : التذلل (٧) فى ظ :
تناجى (٨) فى ظ : تستجلب (٩) فى ظ : لما .

المقصود

المقصود حصول الذكر اللسانى ليعين الذكر القلبى ، و المقصود حاصل باسماع النفس فانه يتأثر الخيال فيتقوى الذكر القلبى ، و لا تزال الأنوار تتزايد[1] فينعكس تراجع بعضها إلى بعض حتى يزداد الترقى من ظلمات عالم الأجسام إلى أنوار مدبر النور و الظلام .

٥ و لما أمر بالذكر مكيفا له بكيفيته اللائقة به ، أمره صلى الله عليه و سلم بالمداومة عليه ذاكرا[2] أحسن الأوقات [ له - [3] ] و أحقها به ، لكونها - لما[4] فيها من الشغل - أدل على إيثاره لمزيد المحبة و التعظيم فقال: ﴿بالغدو﴾ أى أوقات البكر ، و لعله أفرده على جعله مصدر غدا ، لأنه ما ثمّ إلا صلاة الصبح ، و جمع ما بعده للعصرين و المغرب فقال : ﴿و الأصال﴾

١٠ أى أوقات العشاء[5] ، و قيل : الغدو جمع غدوة ، فيراد حينئذ مع الصبح الضحى ، و آخر كل نهار متصل بأول ليلة اليوم الثانى فسمى آخر اليوم أصيلا لأنه يتصل[6] بما هو أصل اليوم الثانى ، و خص هذين الوقتين و إن كان المراد الدوام بتسمية كل من اليوم و الليل باسم جزئه ، ليذكر بالغدو الانتشار من الموت ، و بالأصيل السكون بالموت و الرجوع إلى حال العدم

١٥ فيستحضر[7] بذلك جلال الله عز و جل فيكون ذلك حاويا[8] على تعظيمه حق تعظيمه .

و لما كان ربما أوهم هذا الخصوص بهذين الوقتين و إن كان ظاهرا فى

---

(١) فى ظ : تتريد - كذا (٢) فى ظ : ذاكر (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : العشى (٦) فى ظ : متصل (٧) فى ظ : مستحضر (٨) فى ظ : جاذبا .

الدوام ، قال مصرحا : ﴿ و لا تكن[1] من الغفلين ﴾ أى فى وقت غيرهما ، بل كن ذاكره فى كل وقت على كل حال ؛ ثم علل الأمر بالمراقبة الدالة على أعظم الخضوع بأنها وظيفة المقربين فقال : ﴿ ان[2] الذين ﴾ و زاد ترغيبا فى ذلك بقوله : ﴿ عند ربك ﴾ أى المحسن إليك بتقريبك من جنابه و جعلك أكرم أحبابه[3] ، وهم الملائكة الكرام أولو العصمة[4] ، و القرب دنو مكانة لا مكان ﴿ لا يستكبرون ﴾ أى لا يوجدون ولا يطلبون الكبر ﴿ عن عبادته ﴾ أى الخضوع له و التلبس بانحاء التذلل[5] مع مزيد قربهم و غاية طهارتهم و حبهم ﴿ و يسبحونه ﴾ أى ينزهونه عن كل ما لا يليق مع خلوصهم[6] عن دواعى الشهوات و الحظوظ .

و لما كان هذا يرجع إلى المعارف ، و قدمه دلالة على أن الأصل فى العبادة أعمال القلوب ، أردفه بقوله : ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ يسجدون ﴾ أى يخضعون باثباتهم له[7] كل كال ، و بالمباشرة لمحاسن الأعمال ، و قد تضمنت الآية الإخبار عن الملائكة الأبرار بثلاثة أخبار : عدم الاستكبار الذى هو أجل أنواع العبادة إذ هو الحامل على الطاعة كما أن ضده حامل على المعصية ، و التسبيح الذى هو التنزيه عن [8]كل ما لا يليق ، و تخصيصه بالسجود ؛ و لما كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار ، وكانت[8] على قسمين : قلبية و جسمانية ، أشار إلى القلبية بالتنزيه ، و إلى الجسمانية بالسجود ، و هو الحال الذى يكون العبد به عند ربه كالملائكة قربا و زلفى

(١) فى ظ : لا تكونن (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم (٣) من ظ ، و فى الأصل : جنابه (٤) من ظ ، و فى الأصل : العظمة (٥) فى ظ : التذكر (٦) فى ظ : خضوعهم (٧) زيد بعده فى ظ : على (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

« أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد » نبه عليه أبوحيان[1] على أن العبادتين مرجعها القلب ، و إحداهما[2] مدلول عليها بالقول و الأخرى بالفعل ، و قد رجع آخر السورة فى الأمر باتباع القرآن إلى أولها أحسن رجوع ، و لوصف المقربين بعدم الاستكبار و المواظبة على وظائف الخضوع إلى وصف إبليس بعصيان أمر الله فى السجود/ لآدم عليه السلام ٥ / ٤٠٣
على طريق الاستكبار أىّ التفات ، بل شرع فى رد المقطع على المطلع حين أتم قصص الأنبياء ، فقوله " و لقد ذرانا " هو قوله " و الذى خبث لا يخرج الا نكدا " يتضح لك ذلك إذا راجعت[3] ما قدمته فى المراد منها[4] " و لله الاسماء الحسنى فادعوه بها " [ هو - [5] ] " ادعوا ربكم تضرعا و خفية " و " ممن خلقنا امة [ يهدون بالحق " - [6] ] هو " و الذين اٰمنوا ١٠
و عملوا الصٰلحت لا نكلف نفسا الا وسعها اولٰئك اصحٰب الجنة " " و الذين كذبوا باٰيٰتنا و استكبروا عنها " و " ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم " [7]هو " اذا جاء اجلهم لا يستاخرون " و " يسئلونك[7] عن الساعة " هو " كما بداكم تعودون " و " لكم فى الارض مستقر و متاع الى حين " و " هو الذى خلقكم من نفس واحدة " و " لقد خلقنٰكم ثم صورنٰكم " ١٥
و " انما اتبع ما يوحى الىّ من ربى " - إلى آخرها بعد التنفير من الأنداد - هو " كتٰب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه - إلى قوله : و لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون " فسبحان من هذا كلامه ، و تعالى حجابه و عز مرامه ، و على من أنزل عليه صلاته و سلامه ، و تحيته و إكرامه .

(١) راجع البحر المحيط ٤/٤٥٤ (٢) فى ظ : احدهما (٣) من ظ ، و فى الأصل : رجعت (٤) من ظ ، و فى الأصل : منه (٥) زيد من ظ (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

# سورة الأنفال[1]

و تسمى الجهاد ﴿ بسم الله ﴾ أي[2] الذى له جميع الحول و القوة و الطول ﴿ الرحمن ﴾ الذى أحاط دائرة العقل بشموس الأدلة من كل منقول ﴿ الرحيم ﴾ الذى منّ على من شاء من الأتباع بحسن الاتباع ؛

٥ و[2] مقصد هذه السورة تبرؤ العباد من الحول و القوة ، و حثهم على التسليم لأمر الله و اعتقاد أن الأمور ليست إلا بيده و أن الإنسان ليس له فعل ، ليثمر[3] ذلك الاعتصام بأمر الله المثمر لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين و إذلال المفسدين المنتج لكل خير ، و الجامع لذلك كله أنه لما ثبت بالسور الماضية وجوب اتباع أمر الإله و الاجتماع عليه لما ثبت من

١٠ تفرده و اقتداره[4] ، كان مقصود هذه إيجاب اتباع الداعي إليه بغاية الإذعان و التسليم و الرضى و التبرؤ من كل حول و قوة إلى من أنعم بذلك ولو شاء[5] سلبه وأدل مافيها على هذا قصة الأنفال التى اختلفوا فى أمرها وتنازعوا قسمها فمنعهم الله منها وكف عنهم حظوظ الأنفس وألزمهم الإخبات والتواضع، و أعطاها نبيه صلى الله عليه و سلم لأنه الذى هزمهم بما رمى من الحصبات

١٥ التى خرق الله فيها العادة بأن بثها فى أعين جميعهم و بما أرسل من جنوده ، فكأن الأمر له وحده ، يمنحه من يشاء ، ثم لما صار له صلى الله عليه و سلم ،

---

(١) مدنية ، و هى سبع و سبعون آية فى الشامى ، و ست و ستون فى البصرى و الحجازى ، و خمس و سبعون فى الكوفى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ليتم (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

رده فيهم منة منه عليهم و إحسانا إليهم ، و اسمها الجهاد كذلك لأن الكفار دائما أضعاف المسلمين ، و ما جاهد قوم من أهل الإسلام قط إلا أكثر[1] منهم ، و تجب مصابرة الضعف ، فلو كان النظر إلى غير قوته سبحانه ما أطيق ذلك ، و لهذه المقاصد سنت قراءتها فى الجهاد لتنشيط المؤمنين للجلاد ، و إن كثرت من الأعادى الجموع [ و - [2] ] الأعداد ، و توالت إليهم زمر ٥ الأمداد من سائر العباد ، كما ذكره الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى ابن سالم الكلاعى المغربى فى فتوح البلاد من كتابه الاكتفاء فى سيرة المصطفى و أصحابه الثلاثة الخلفاء ، وكذا شيخه الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن حبيش فى كتابه الذى جمعه فى الفتوح ، قالا فى وقعة اليرموك من فتوح الشام عن حديث سيف بن عمر و هذا لفظ ابن سالم : قال : وكان ١٠ القارئ يوم ذاك[3] المقداد ، قالوا : و من السنة التى سن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد بدر أن نقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، و هى سورة الأنفال ، و لم يزل الناس بعد على ذلك ؛ / قالا فى وقعة القادسية من فتوح فارس / ٤٠٤ و اللفظ لابن سالم أيضا قالوا : و لما صلى سعد - يعنى ابن أبى وقاص - رضى الله عنه الظهر أمر غلاما كان عمر رضى الله عنه ألزمه إياه ١٥ وكان من القراء يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها فقرأها على الكتيبة التى تليه ، وقرئت فى كل كتيبة ، فهشت قلوب الناس و عرفوا السكينة مع قراءتها ، قال مصعب بن سعد : و كانت قراءتها سنة يقرأها رسول الله صلى الله عليه و سلم عند الزحوف و يستقرئها ، فعمل

(١) من ظ ، وفى الأصل : كثر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ذلك .

الناس بذلك - انتهى. و مناسبتها للأعراف أنه لما ذكر تعالى - كما تقدم - قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم فى تلك، ناسب أن يذكر قصة هذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم مع قومه، و تقدم أنه لما أطنب سبحانه فى قصة موسى عليه السلام كان ذلك[1] ربما أوهم تفضيله على
٥ الجميع، فأتى بقصة المخاطب بهذا القرآن فى سورتين كاملتين: الأنفال فى أول أمره و أثنائه، و براءة فى ختام أمره و انتهائه، و فرق بين القصتين، و ذلك أن قوم موسى عليه السلام كانوا فى سوء العذاب، وكانوا يعلمون[2] عن أسلافهم أن الله سيذكرهم و ينجيهم من أيدى القبط، فلما أتاهم موسى عليه السلام و بين لهم الآيات التى أمره الله بها لم يشكوا فى أنه الموعود
١٠ به من رحمة الله لهم، و إتيانه نفع لهم عاجل مع ما فيه من النفع الآجل، فأطبقوا على اتباعه، وكانوا أكثر من ستمائة ألف مقاتل، و مع ذلك فقد كانوا يخالفون عليه فى كل قليل، و لا[3] يجدون قلوبا يواجهون بها القبط فى الإباء عن امتثال أوامرهم، و أما محمد صلى الله عليه و سلم فأتى قومه و لا حس عندهم من نبوة و لا علم لهم بها، و لم يكونوا تحت ذل
١٥ أحد، بل كانوا ملوك العرب، فعندهم أنه جاء يسلبهم عزهم و يصيرهم له تبعا فخالفوا أشد المخالفة و لم يدعوا كيدا حتى باشروه فى رده عما جاء به، و مع ذلك فنصره الله عليهم و لم يزل يؤيده حتى دخل الناس هم و غيرهم فى دين الله أفواجا، و أظهر دينه على الدين كله [كما -[4]] وعده سبحانه، ثم أيد أمره من بعده و لم يزل أتباعه ظاهرين و لا يزالون إلى يوم الدين،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يعملون (٣) فى ظ : لم (٤) زيد من ظ .

فبين القصتين فرقان[1] لأولى الإبصار و الإتقان ، و أما مناسبة أولها لآخر تلك فقد تبين أن آخر الأعراف آخر قصة موسى عليه السلام المختتمة بقصة بلعام و أن ما بعد ذلك إنما هو تتمات لما تقدم لا بد منها و تتمات للتتمات حتى كان آخر ذلك مدح من أهّلهم لعنديته[2] سبحانه بالإذعان و تمام الخضوع ، فلما أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية ، اقتضى ذلك ٥ سؤالا عن حال الذين عند المخاطب صلى الله عليه و سلم فأجيب بقوله تعالى : ﴿ يسئلونك ﴾ أى الذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار فى الحقيقة كما علمتم ذلك - و سيأتى بيانه ، فهم المستحقون للأنفال و ليس لهم إليها[3] التفات و إنما همهم العبادة. و الذين عندك[4] إنما جعلتهم آلة ظاهرة و مع ذلك فهم يسألون ﴿ عن الانفال ﴾ التى توليتهم إياها[5] بأيدى جنودى ١٠ سؤال منازعة ينبغى الاستعاذة بالله منها - كما[6] نبه عليه[7] آخر الأعراف - لأن ذلك يفضى إلى افتراق الكلمة و الضعف عن مقاومة[8] الأعداء ، و هو جمع نفل - بالتحريك ، و هو [ ما - [9] ] يعطاه الغازى زيادة على سهمه ، و المراد بها[10] هنا الغنيمة ، و هى المال المأخوذ من أهل الحرب قهرا ، سميت هنا بذلك لأن أصلها فى اللغة الزيادة ، و قد فضل المسلمون ١٥ بها على سائر الأمم .

و لما كان السؤال عن حكمها ، كان كأنه قيل : فما ذا يفعل ؟ فقال

---

(١) فى ظ : فرقا (٢) فى الأصل : لتعديته ، و فى ظ : لعبد الله (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : عند ربك (٥) فى ظ : ابايا ها - كذا (٦) فى ظ : لما (٧) من ظ ، و فى الأصل : على (٨) فى ظ : مقامة (٩) زيد من ظ . (١٠) فى ظ : به .

- دالا على أنهم سألوا عن مصرفها و حكمها - ليطابق الجواب السؤال :
﴿ قل ﴾ أى لهم / فى جواب سؤالهم ﴿ الانفال لله ﴾ أى الذى ليس /٤٠٥
النصر إلا من عنده لما له من صفات الكمال ﴿ و الرسول ج ﴾ أى الذى
كان جازما بأمر الله مسلما لقضائه ماضيا فيما أرسله به غير متخوف من
٥ مخالطة الردى بمواقعة[1] العدى ؛ قال أبو حيان[2] : و لا خلاف أن الآية نزلت
فى يوم بدر و غنائمه[3] ، و قال ابن زيد : لا نسخ ، إنما أخبر أن الغنائم لله
من حيث أنها ملكه و رزقه ، و للرسول عليه السلام من حيث هو مبين
لحكم الله و الصادع فيها بأمره ليقع التسليم من الناس ، و حكم القسمة نازل
خلال ذلك - انتهى .

١٠ و لما أخبر سبحانه أنه لا شىء لهم فيها إلا عن أمر الله و رسوله ،
و كان ذلك موجبا لتوقفهم إلى بروز أمره سبحانه على لسان رسوله
صلى الله عليه و سلم ، و كانت التقوى موجبة للوقوف خوفا حتى يأتى
الدليل الذى يجسّر على المشى وراءه ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾
أى خافوا خوفا عظيما فى جميع أحوالكم[4] من الذى لا عظمة لغيره و لا أمر
١٥ لسواه ، فلا تطلبوا شيئا [5]بغير أمر[5] رسول الله صلى الله عليه و سلم
و لا تتخاصموا ، فان الله تعالى الذى رحمكم بارسال رسول لنجاتكم و إنزال كتاب
لعصمتكم غير مهمل[6] ما يصلحكم ، فهو يعطيكم ما سبق فى علمه الحكم بأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : بموانعة (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٤/٤٥٥ .
(٣) فى ظ : غنائمه (٤) من ظ ، و فى الأصل : احوالهم (٥ - ٥) فى ظ : بامر .
(٦) من ظ ، فى الأصل : مهملها .



لكم

لكم، و يمنعكم ما ليس لكم ﴿و اصلحوا ذات بينكم ص﴾ أى الحال التى هى صاحبة افتراقكم و اجتماعكم، فان أغلب أمرها البين الذى هو القطيعة، و قد أشرفت على الفساد بطلب كل فريق الأثرة على صاحبه فأقبلوا على رعايتها بالتسليم لأمر الله و رسوله الأمرين بالإعراض عن الدنيا ليقسمها بينكم على سواء، القوى و الضعيف سواء، فانكم إنما ترزقون و تنصرون ٥ بضعفائكم، لتجتمع[1] كلمتكم فيشتد أمركم و يقوى أزركم فتقدروا على إقامة الدين و قمع[2] المفسدين ﴿و اطيعوا الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿و رسولهٓ﴾ أى الذى عظمته من عظمته فى كل ما يأمرانكم به من تنفيل لمن يراه و إنفاذ شرط لمن شرط و وفاء عهد لمن عاهده.

و لما أمر و نهى، هيج و ألهب فقال مبينا كون الإيمان مستلزما للطاعة: ١٠ ﴿ان كنتم مؤمنين ه﴾ أى صادقين فى دعوى الإيمان، فليس كل من يدعى شيئا يكون صادقا فى دعواه حتى يحصل البيان بالامتحان، و لذلك وصل به قوله مؤكدا غاية التأكيد لأن التخلص من الأعراض الدنيوية عسر: ﴿انما المؤمنون﴾ أى الراسخون فى وصف الإيمان ﴿الذين﴾ أى يقيمون الدليل على دعوى الإيمان بتصديق أفعالهم لأقوالهم فيكونون ١٥ ﴿اذا ذكر الله﴾ أى الجامع لصفات الكمال[3] من الجلال و الجمال [مجرد ذكر فى نحو قوله " الانفال لله " -[4]] ﴿وجلت﴾ أى خافت خوفا عظيما يتخلل صميم عظامهم و يجول فى سائر معانيهم و أجسامهم ﴿قلوبهم﴾ أى

(١) من ظ، و فى الأصل: ليجتمع (٢) من ظ، و فى الأصل: تعكم (٣) فى ظ: الجلال (٤) زيد من ظ.

بمجرد ذكره استعظاما له ﴿ و اذا تليت ﴾ أى قرئت على سبيل الموالاة و الاتصال [من أىّ تال كان -[1] ] ﴿ عليهم ا'يٰته ﴾ أى[2] كما يأتى فى إقامة الأدلة على ذلك [ الحكم الذى و رد ذكره فيه -[1] ] ﴿ زادتهم ايمانا ﴾ أى بإيمانهم بها و بما حصل لهم من نور القلب و طمأنينة اليقين بسببها ،
٥ فانها هى الدالة على الله بما تبين من عظيم أفعاله و نعوت جلاله و جماله ، و تظاهر الأدلة أقوى للدلول عليه ، و كمال قدرة الله تعالى إنما يعرف[3] [4]بواسطة آثار[4] حكمته فى مخلوقاته ، و ذلك بحر لاساحل له ، و لما كانت المراتب لا نهاية لها[2] ، كانت مراتب التجلى و المعرفة لانهاية لها ، فالزيادة فى أشخاص التصديق ﴿ و على ﴾ أى و الحال أنهم على ﴿ ربهم ﴾ أى
١٠ الدائم الإحسان إليهم وحده ﴿ يتوكلون ﴾ أى يجددون إسناد أمورهم إليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر أو غيره / ليكفيهم من حيث لا يحتسبون ، فان خزائنه واسعة ، و يده سحاء الليل و النهار ، كما أنهم[5] لما توكلوا عليه فى القتال نصرهم و قد كانوا فى غاية الخوف من الخذلان ، و كان حالهم جديرا بذلك لقلقهم و خوفهم و قلتهم و ضعفهم .

١٥ و لما وصفهم بالإيمان الحامل على الطاعة و التوكل الجامع لهم الدافع للمانع منها ، قال منتقلا [ من -[1] ] عمل الباطن إلى عمل الظاهر مبينا أن همتهم إنما هى العبادة و المكارم : ﴿ الذين يقيمون الصلوٰة ﴾ أى لا يفترون عن تجديد ذلك ؛ و لما كانت صلة بين الخلق و الخالق ، أتبعها الوصلة بين

/٤٠٦

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تعرف (٤-٤) فى ظ : واسطة بآثار (٥) من ظ ، و فى الأصل : انتم .

الخلائق فقال : ﴿ و مما رزقنٰهم ﴾ أى على عظمتنا و هو لنا دونهم ﴿ ينفقون ﴾ و لو كانوا مقلين اعتمادا على ما عندنا فالإنفاق و إهانة الدنيا همتهم ، لا الحرص عليها ، فحينئذ [1]يكونون كالذين[1] عند ربك فى التحلى بالعبادة و التخلى من الدنيا إعراضا و زهادة ، و هو تذكير بوصف المتقين المذكور أول الكتاب بقوله " الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوٰة و مما رزقنٰهم ينفقون " . ٥

و لما حققوا[2] إيمانهم بأفعال القلوب و الجوارح و الأموال ، فاستوفوا بذلك جميع[3] شعب الدين ، عظم سبحانه شأنهم بقوله : ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو الهمم ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ المؤمنون ﴾ و[3] أكد مضمون الجملة بقوله : ﴿ حقا ﴾ . ١٠

و لما كانت[3] صفاتهم الخمس المذكورة المشتملة على الأخلاق و الأعمال لها تأثيرات فى تصفية القلوب و تنويرها بالمعارف الإلٰهية ، و كلما كان المؤثر أقوى كانت التأثيرات أعلى ، فلما كانت هى درجات كان جزاؤها[4] كذلك ، فلهذا قال سبحانه تعالى فى جواب من كأنه قال : فما جزاؤهم على ذلك ؟ : ﴿ لهم درجٰت ﴾ و لما كثرها بجمع السلامة بما دل عليه سياق الامتنان ، عظمها بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ أى بتسليمهم لأمره . ١٥

و لما كان قدر الله عظيما ، وكان الإنسان عن بلوغ ما يجب عليه من ذلك ضعيفا حقيرا ، وكان بأدنى شيء من أعماله يستفزه الإعجاب ، أشار سبحانه [5]إلى أنه[5] لايسعه إلا العفو و لو بذل فوق الجهد فقال :

---

(١-١) فى ظ : يكون كالذى (٢) فى ظ : حقوا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اجزائها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ ومغفرة ﴾ أى لذنوبهم إن رجعوا عن المنازعة فى الأنفال و غيرها ، ﴿ و رزق كريم ۝ ﴾ أى لا ضيق فيه و لا كدر بوجه ما من منازعة و لا[1] غيرها ، فهو يغنيهم عن هذه الأنفال[2] ، و يملأ أيديهم من الأموال من غنائم فارس و الروم و غير ذلك ، هذا فى الدنيا . و أما فى الآخرة فما

٥ لا يحيط به[3] الوصف ؛ قال أبو حيان[4] : لما تقدمت ثلاث صفات قلبية - و هى الوجل و زيادة الإيمان و التوكل - و بدنية و مالية ، ترتب عليها ثلاثة أشياء ، فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات و البدنية بالغفران ، و قوبلت المالية بالرزق الكريم ، و هذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع - انتهى . و لما كان الإيمان عند الشافعى رحمه الله الاعتقاد و الإقرار

١٠ و العمل جوز أن يقال : مؤمن إن شاء الله ، لأن استيفاء الأعمال مشكوك فيه و إن كان الاعتقاد و الإقرار يقينا ، و عند أبى حنيفة رحمه الله الإيمان الاعتقاد و الإقرار فقط ، فلم يجوز الاستثناء ، فالخلاف لفظى ، هذا إذا كان الاستثناء للشك ، و إن كان لغيره كان لكسر النفس عن التمدح ، و للشهادة بالجنة التى هى للمؤمن ، و للحكم على حالة الموت ، على أن هذه

١٥ الكلمة لا تنافى الجزم ، فهى بمجرد التبرك كقوله تعالى " لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ءامنين[5] " / - ذكر ذلك[5] الإمام فخر الدين .

/٤٠٧

و لما كان ترك الدنيا شديدا على النفس ، و ترك النزاع بعد الانتساب[6] فيه أشد ، شرع يذكر لهم ما كانوا له كارهين ففعله بهم

(١) من ظ : و فى الأصل : لو (٢) فى ظ : الانفال (٣) سقط من ظ (٤) راجع النهر من البحر المحيط ٤/٤٥٨ (٥) سورة ٤٨ آية ٢٧ ، و زيد بعده فى ظ : وكذا .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : الانتتاب .

و أمرهم به لعلمه بالعواقب فحمدوا أثره ، ليكون أدعى لتسليمهم لأمره و ازدجارهم بزجره ، فشبه حال كراهتهم لترك مرادهم فى الأنفال[1] بحال كراهتهم لخروجهم معه ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير ، ثم إنهم رأوا أحسن العاقبة فى كلا الأمرين فقال: ﴿ كما ﴾ أى حالهم فى كراهية تسليم الأنفال - مع كون التسليم هو الحق و الأولى لهم - كما ٥ كانت حالهم إذ ﴿ اخرجك ربك ﴾ أى المحسن إليك بالإرشاد إلى جميع مقاصد الخير ﴿ من بيتك بالحق ﴾ أى الأمر الفيصل الفارق بين الثابت و المزلزل ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أن ﴿ فريقا ﴾ عبر به لأن آراءهم كانت تؤل إلى الفرقة ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ﴿ لكرهون ﴾ ثم ذكر دليل كراهتهم فقال: ﴿ يجادلونك ﴾ أى يكررون ذلك إرادة[2] ١٠ أن يفتلوك عن اللقاء للجيش إلى الرجوع عنه .

و لما كان لقاء الجيش أمرا قد حتمه الله فلا بد[3] من وقوعه مع أنه يرضيه ، قال: ﴿ فى الحق ﴾ أى الذى هو إيثار الجهاد ﴿ بعد ما تبين ﴾ أى [ وضح وضوحا عظيما سهلا من غير كلفة نظر -[4] ] بقرائن الأحوال بفوات العير و تيسير أمر النفير و باعلام الرسول صلى الله عليه و سلم لهم ١٥ تارة صريحا و تارة تلويحا كقوله « و الله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ، هذا مصرع فلان و ذلك مصرع فلان » .

[ و -[4] ] لما كان سبحانه قد حكم[5] باللقاء و النصرة تأييدا لوليه[6] و إعلاء لكلمته مع شدة كراهتهم لذلك ، شبه [7]سوقه لهم[7] إلى مراده ،

---

(١) من ظ ، وفى الأصل: الانفعال (٢) فى ظ : اشارة (٣) فى ظ : باس (٤) زيد (٥) من ظ : فى ظ جاكم (٦) فى ظ : الدينيه - كذا (٧-٧) فى ظ : سوقهم له .

فقال بانيا للمفعول لأن المكروه إليهم السوق لا كونه من معين: ﴿ كانما يساقون ﴾ أى يسوقهم سائق لا قدرة لهم على ممانعته ﴿ الى الموت و هم ينظرون ﴾ لأنها كانت أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم و كان فيها لقاء، و كانوا غير متأهبين للقتال غاية التأهب، إنما خرجوا
٥ للقاء العير، هذا مع أنهم عدد يسير. و عدد أهل النفير كثير، وكانوا فى غاية الهيبة للقائهم و الرعب من قتالهم، و كل هذا تذكير لهم بأنه لم ينصرهم إلا الله بلا صنع منهم، بل كانوا فى يد قدرته كالآلة فى يد أحدهم، لينتج ذلك أنه ليس لهم أن ينازعوا فى الأنفال.

و لما[1] لانوا بهذا الخطاب، و أقبلوا على الملك التواب، أقبل عليهم
١٠ فقال: ﴿ و اذ ﴾ أى اذكروا هذا الذى ذكره الله لكم و قد كان حالكم فيه ما ذكره، ثم[2] أفضى إلى سعادة عظيمة و عز لا يشبهه عز، و اذكروا إذ ﴿ يعدكم الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ احدى الطآئفتين ﴾: العير أو النفير، و أبدل من الإحدى - ليكون الوعد بها مكررا - قوله: ﴿ انها لكم ﴾ أى فتكرهون لقاء ذات الشوكة ﴿ و تودون ﴾ أى
١٥ و الحال أنكم تحبون محبة عظيمة ﴿ ان غير ذات الشوكة ﴾ أى السلاح و القتال و الكفاح الذى به[3] تعرف الأبطال و يميز بين الرجال من ذوات الحجال ﴿ تكون لكم ﴾ أى العير لكونها[4] لم يكن فيها إلا ناس قليل، يقال: إنهم أربعون رجلا، جهلا منكم بالعواقب، ثم تبين لكم أن ما فعله الله خير لكم بما[3] لا يبلغ كنهه، فسلموا له الأمر فى السر و الجهر

(١) فى ظ: انما (٢) فى ظ: بل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: لانها.

/ تنالوا الغنى و النصر ، و قال الإمام [ أبو - [1] ] جعفر بن الزبير العاصمى فى
مناسبة تعقيب الأعراف بهذه السورة و مناسبة آخر تلك لأول هذه
ما نصه : لما قص سبحانه على نبيه صلى الله عليه و سلم فى سورة الأعراف
أخبار الأمم ، و قطع المؤمنون[2] من مجموع ذلك بأنه[3] لا يكون الهدى
إلا بسابقة السعادة ، لافتتاح السورة من ذكر الأشقياء بقصة إبليس ٥
و ختمها بقصة بلعام ، و كلاهما[4] كفر على علم و لم ينفعه ما قد كان حصل
عليه ، و نبه تعالى عباده على الباب الذى أتى[5] منه على بلعام بقوله سبحانه
" و لكنه اخلد الى الارض و اتبع هوٰه " فأشار سبحانه إلى أن اتباع
الأهواء أضل كل ضلال ، نبهوا على ما فيه الحزم[6] من ترك الأهواء جملة
فقال تعالى " يسئلونك عن الانفال " - الآية ، فكان قد[7] قيل لهم : اتركوا ١٠
ما ترون أنه حق واجب لكم ، و فوضوا فى أمره لله و للرسول ، فذلك
أسلم لكم و أحزم فى ردع أغراضكم و قمع شهواتكم و ترك [8]أمور ربكم[8]
و قد ألف فى هذه الشريعة السمحة[9] البيضاء حسم الذرائع كثيرا و إقامة
مظنة الشيء مقامه كتحريم الجرعة من الخمر و القطرة[10] ، و الخطبة فى العدة
و اعتداد النوم الثقيل ناقضا ، فهذه مظان لم يقع الحكم فيها على ما هو ١٥
لأنفسها[11] و لا بما هى كذا ، بل بما هى مظان و دواع لما منع لعينه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : المومنين (٣) من ظ ، وفى الأصل : بان (٤) فى ظ : كفرهما (٥) فى ظ : اوتى (٦) فى ظ : الجزم (٧) سقط من ظ . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : السمحاء (١٠) من ظ ، وفى الأصل : القطرة (١١) فى ظ : انفسها .

أو استوجب حكما لعينه و علته الخاصة به، و لما أمر المسلمون بحل أيديهم عن
الأنفال يوم بدر إذ كان المقاتلة قد هموا بأخذها و حدثوا أنفسهم بالانفراد
[ بها - [١] ] و رأوا أنها من حقهم و أن من[٢] لم يباشر قتالا من الشيوخ
و من انحاز منه[٣] لهم فلا حق له فيها، و رأى الآخرون [ أيضا - [١] ] أن
٥ حقهم فيها ثابت لأنهم كانوا فيه للقاتلين عدة[٤] و ملجأ وراء ظهورهم،
كان ما أمرهم الله به من تسليم الحكم فى ذلك إلى الله و رسوله من باب
حسم الذرائع لأن تمشية أغراضهم فى ذلك - و إن تعلق كل من الفريقين
بحجة - مظنة لرئاسة[٥] النفوس و استسهال اتباع الأهواء[٦]. فأمرهم الله
بالتنزه عن ذلك و التفويض لله و لرسوله فان ذلك أسلم [ لهم - [١] ] و[٦] أوفى
١٠ لدينهم[٦] و أبقى فى إصلاح ذات البين و أجدى فى الاتباع " فاتقوا الله
و اصلحوا ذات بينكم " - الآية؛ ثم ذكروا بما ينبغى لهم أن يلتزموا فقال
تعالى " انما المؤمنون - إلى قوله: زادتهم ايمانا " ثم نبهوا على أن أعراض
الدنيا من نفل أو غيره لاينبغى للمؤمن أن يعتمد عليه اعتمادا يدخل
عليه ضررا من الشرك [ أو - [١] ] التفاتا إلى غير الله سبحانه بقوله " و على
١٥ ربهم يتوكلون " ثم ذكروا بما وصف به المتقين من الصلاة و الإنفاق
ثم قال " اولئك هم المؤمنون حقا " تنبيها على أن من قصر عن هذه الأحوال
و لم يأت بها على كمالها لم يخرج عن الإيمان و لكن ينزل عن درجة
الكمال بحسب تقصيره، و كان فى هذا إشعار[٧] بعذرهم فى كلامهم فى
الأنفال و أنهم قد كانوا فى مطالبهم على حالة من الصواب و شرب من

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : فيه، و فى ظ : فيها (٤) فى الأصل و ظ : وعدة - كذا (٥) من ظ، و فى الأصل : الرئاسة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل : اشعارا.

التمسك و الاتباع ، لكن أعلى الدرجات ما بين لهم و منحوه ، و أنه الكمال و الفوز ، ثم نبههم سبحانه بكيفية أمرهم فى الخروج إلى بدر و ودهم أن غير ذات الشوكة تكون لهم و هو سبحانه يريهم حسن العاقبة فيما اختاره لهم ، فقد كانوا تمنوا لقاء العير ، و اختاروا ذلك على لقاء العدو و لم يعلموا ما وراء ذلك " و يريد الله ان يحق الحق بكلمته و يقطع دابر ٥ الكفرين " إلى ما قصه تعالى عليهم من اكتنافهم برحمته و شمول ألطافه و آلائه و بسط نفوسهم ، و نبههم [1] على ما [1] يثبت يقينهم و يزيد فى إيمانهم ، ثم أعلم أن الخير كله فى التقوى فقال " يايها الذين امنوا ان تتقوا / الله ٤٠٩ / يجعل لكم فرقانا " - الآية ، و هذا الفرقان هو [2] الذى حرمه إبليس و بلعام ، فكان منهما ما تقدم من [3] اتباع الأهواء القاطعة لهم عن الرحمة ، و قد ١٠ تضمنت الآية حصول خير الدنيا و الآخرة بنعمة الاتقاء [4] ، ثم أجمل الخيران معا فى قوله " و الله ذو الفضل العظيم " بعد تفصيل ما إليه إسراع [5] المؤمنين من الفرقان و التكفير و الغفران ، [ و لم يقع التصريح بخيرى الدنيا الخاص بها مع اقتضاء الآية إياه [7] تنزيها للؤمن فى مقام إعطاء الفرقان و تكفير السيئات و الغفران - [6] ] من [8] ذكر متاع الدنيا التى هى لهو ١٥ و لعب ، فلم يكن ذكر متاعها الفانى ليذكر مفصلا مع ما لا يجانسه و لا يشاكله " و ان الدار الأخرة لهى الحيوان " ثم التحمت الآى ؛ و وجه آخر و هو

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : عليها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فى (٤) من ظ ، و فى الأصل : الابقاء (٥) فى ظ : اسرع (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اياها (٨) فى ظ : عن .

أنه تعالى لما[1] قال " و اذا قرئ القرآن فاستمعوا [ له - [2] ] " بين لهم كيفية هذا الاستماع وما الذى يتصف به المؤمن من ضروبه فقال " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله " - الآية ، فهؤلاء لم يسمعوا بآذانهم فقط ، و لا كانت لهم آذان لا يسمعون بها و لا قلوب لا يفقهون بها ، و لو كانوا كذا[3] لما
٥ وجلت و عمهم الفزع و الخشية و زادتهم الآيات إيمانا ، فاذن إنما يكون سماع المؤمن هكذا " و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون " و لما كان هؤلاء إنما أتى عليهم من اتباع أهوائهم و الوقوف مع أغراضهم و شهواتهم " يأخذون عرض هذا الادنى " ، " و لكنه اخلد الى الارض و اتبع هوىه " و هذه بعينها كانت آفة إبليس ، رأى لنفسه المزيد
١٠ و اعتقد لها الحق ثم اتبع هذا الهوى حين قال " لم اكن لاسجد[4] لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون " فلما كان اتباع الهوى[5] أصلا فى الضلال و تنكب[6] الصراط المستقيم ، أمر المؤمنين بحسم باب الأهواء ، و التسليم فيما لهم[7] [8]به تعلق[8] و إن لم يكن هوى مجردا لكنه مظنة تيسير لاتباع[9] الهوى ، فافتتحت السورة بسؤالهم عن الأنفال و أخبروا أنها لله
١٥ و رسوله ، يحكم فيها ما يشاء " فاتقوا الله " ، و احذروا الأهواء التى أهلكت من قص عليكم ذكره " و اصلحوا ذات بينكم " برفع التنازع ، و سلموا لله و لرسوله ، و إلا لم تكونوا سامعين و قد أمرتم أن تسمعوا السماع الذى

(١) من ظ ، و فى الأصل : كما (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم سورة ١٥ آية ٣٣ ، و فى الأصل : اسجد . (٥) فى ظ : الاهوى (٦) فى ظ : تفكت (٧) من ظ ، و فى الأصل : له (٨-٨) فى ظ : يعلن - كذا (٩) فى ظ : اتباع .

عنه ترجى الرحمة، و بيانه فى قوله " انما المؤمنون " - الآيات؛ و وجه آخر و هو أن قصص بنى إسرائيل عقب بوصاة المؤمنين و خصوصا بالتقوى و على حسب ما يكون الغالب فيما يذكر من أمر بنى إسرائيل، فى البقرة أتبع قصصهم بقوله[1] " يايها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا و قولوا انظرنا [2]و اسمعوا[2] " و لما كان قصصهم مفتتحا بذكر تفضيلهم " يـبنى اسراءيل ٥ اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم و انى فضلتكم على العلمين[3] " افتتح خطاب هذه الأمة بما يشعر بتفضيلهم[4]، و تأمل ما بين " يـبنى اسراءيل " و " يايها الذين ءامنوا " و أمر أولئك بالإيمان " و ءامنوا بما انزلت[5] " و أمر هؤلاء بتعبد احتياطى فقيل " و قولوا انظرنا و اسمعوا " ثم أعقبت البقرة بآل عمران و افتتحت ببيان المحكم و المتشابه الذى من جهته أتى[6] على بنى إسرائيل فى[7] ١٠ كثير من مرتكباتهم، و لما ضمنت سورة آل عمران من ذكرهم [8]ما ورد[8] فيها، أعقبت بقوله تعالى " يايها الذين ءامنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتب يردوكم بعد ايمانكم كفرين[9] " ثم أعقبت السورة بقوله " يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة[10] " و عدل عن الخطاب باسم الإيمان للمناسبة، و ذلك أن سورة آل عمران خصت من مرتكبات ١٥ بنى إسرائيل بجرائم كقولهم فى الكفار " هؤلاء اهدى من الذين ءامنوا سبيلا[11] " فهذا بهت[12]، و منها قولهم " الله فقير و نحن اغنياء[13] " إلى

---

(١) آية ١٠٤ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) آية ٤٧ (٤) فى ظ: تفضيلهم (٥) آية ٤١ (٦) فى ظ: اوتى (٧) فى ظ «و» (٨ - ٨) من ظ، و فى الأصل: و اذ (٩) آية ١٠٠ (١٠) سورة ٤ آية ١ (١١) سورة ٤ آية ٥١. (١٢) فى ظ: بهت (١٣) سورة ٣ آية ١٨١.

ما تخلل هاتين[1] من الآيات المنبئة عن تعمدهم الجرائم، فعدل عن " يايها الذين امنوا " إلى " يايها الناس " ليكون أوقع فى الترتيب و أوضح مناسبة لما ذكر، و لما ضمنت سورة النساء قوله تعالى "فبظلم من الذين هادوا / حرمنا عليهم طيبت - إلى قوله : و اكلهم اموال الناس بالباطل[2]" /٤١٠
٥ أتبعت بقوله تعالى " يايها الذين امنوا اوفوا بالعقود[3] " ثم ذكر لهم ما أحل لهم و حرم عليهم ليحذروا مما وقع فيه أولئك . فعلى هذا لما ضمنت سورة الأعراف من قصصهم جملة، و بين فيها اعتداءهم، و بناه على اتباع الأهواء و الهجوم على الأغراض، طلب هؤلاء باتقاء ذلك و البعد عما يشبهه جملة، فقيل فى آخر السورة [ " ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من
١٠ الشيطن تذكروا " ثم افتتحت السورة -[4] ] الأخرى بصرفهم عما لهم به تعلق و إليه تشبث يقيم عذرهم شرعا فيما كان منهم، فكان قد قيل لهم : ترك هذا أسلم و أبعد عن اتباع الأهواء، فسلموا فى ذلك الحكم لله و رسوله و اتقوا الله، ثم تناسج السياق و التحمت الآى، و قد تبين وجه اتصال الأنفال بالأعراف من وجوه، و الحمد لله - انتهى .

١٥ و لما أخبر تعالى بما هو الحق من أن إرادتهم بل ودادتهم إنما كانت منصبة إلى العير لا إلى النفير، تبين أنه لا صنع لهم فيما وقع إذ لو كان لكان على ما أرادوا، فلا حظ لهم فى الغنيمة إلا ما[5] يقسمه الله لهم لأن الحكم لمراده لا لمراد غيره، فقال تعالى عاطفا على " و تودون " : ﴿ و يريد الله ﴾ أى بما له من العز و العظمة و العلم ﴿ ان يحق الحق ﴾

(١) فى ظ : بما بين (٢) آية ١٦٠ و ١٦١ (٣) سورة ٥ آية ١ (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

أى

أي يثبت فى عالم الشهادة الثابت عنده فى عالم الغيب، و هو هنا إصابة ذات الشوكة ﴿ بكلمٰته ﴾ أي التى أوحاها [ إلى - [4] ] نبيه صلى الله عليه و سلم أنهم يهزمون و يقتلون و يؤسرون، و أن هذا مصرع فلان و هذا مصرع فلان، ليعلى دينه و يظهر أمره على كل أمر ﴿ و يقطع دابر ﴾ أى آخر ﴿ الكٰفرين لا ﴾ أى كما يقطع أولهم، أى يستأصلهم بحيث ٥ لا يبقى منهم أحد يشاقق أهل حزبه فهو يدبر أمركم على ما يريد، فلذلك اختار لكم ذات الجد و الشوكة ليكون ما وعدكم به من إعلاء الدين و قمع المفسدين بقطع دابرهم ﴿ ليحق الحق ﴾ [ أى - [1] ] الذى هو دينه القيم و فيه فوز الدارين ﴿ و يبطل الباطل ﴾ و هو كل ما خالفه ﴿ و لو كره ﴾ أى ذلك ﴿ المجرمون ج ﴾ أى الذين يقطعون ما أمر الله به[2] أن يوصل ١٠ و يكسر قوتهم بضعفكم و يفنى كثرتهم بقلتكم و يمحق عزهم بذلتكم[3] فيظهر علو أمره و يخضع الأعناق لذكره ﴿ اذ ﴾ ظرف "ليحق الحق" ﴿ تستغيثون ربكم ﴾ أى تطلبون إغاثة المحسن إليكم، و هو بدل من "اذ يعدكم" فهو من البيان لكراهتهم لقاء ذات الشوكة بشدة جزعهم الموجب لهم الاستغاثة مع إسفار العاقبة عن أن[2] الخير فيما كرهوه، ١٥ و أنه أحق الحق و أظهر الدين و أوهن أمر المشركين.

و لما أسرع سبحانه الإجابة، دل على ذلك بقوله: ﴿ فاستجاب ﴾ أي فأوجد الإجابة إيجاد من هو طالب لها شديد[4] الرغبة فيها ﴿ لكم ﴾ بغاية ما تريدون تثبيتا لقلوبكم ﴿ انى ﴾ أي بأنى ﴿ ممدكم ﴾ أى موجد

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: بذكركم (٤) فى ظ: شد.

المدد ﴿ لكم ﴾ أى بامدادكم ، و لعله حول العبارة لما فى التصريح بضميره[1] من العظمة و البركة ﴿ بالف من الملٓئكة ﴾ حال كونهم ﴿ مردفين ﴾ أى متبعين بأمثالهم .

و لما كانت نصرة المسلمين فى هـــذه الغزوة ظاهرة جدا ، قال :

٥ ﴿ و ما جعله الله ﴾ أى الإمداد و الوعد به على ما له سبحانه من العظمة التى من راقبها لم يهب شيئا ﴿ الا بشرى ﴾ [ أى -[2]] لتستبشر به نفوسكم ، و لم يحتج إلى تقييد بأن يقال : لكم ، و أما فى قصة أحد فقد كان المقتول [3]منهم أكثر من المقتول[3] من الكفار فلو لا قوله ' لكم ' لربما طرق بعض الأوهام حين سماع أول الكلام أن الإمداد بشرى للكفار .

١٠ و لما كان الذى وقع الحكم به هنا على الإمداد أنه بشرى نفسه من غير قيد ، علم أن العناية به أشد ، فكان المحكوم به الطمأنينة كذلك ، فكان أصل الكلام : إلا بشرى هو و طمأنينة هو ، فلذلك وجب[4] تقديم ضميره فى قوله ' به ' على القلوب تأكيدا لأمره و تفخيما لشأنه ، و إشارة إلى إتمامه على عادة العرب فى تقديم ما هم به أعنى و هو عندهم أهم فقال : ﴿ و لتطمئن ﴾

١٥ أى و طمأنينة لتطمئن ﴿ به ﴾ أى وحده من غير نظر إلى شىء من قوتكم و لا غيرها ﴿ قلوبكم ج ﴾ فالآية من الاحتباك ، و أما فى قصة أحد فلما قيدت البشرى / بالإمداد بلكم لما تقدم ، علم أن الطمأنينة كذلك ، فكان الانسب تأخير ضميره و تقديم القلوب الملابسة لضميرهم موازنة لقوله ' لكم ' .

/٤١١

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : بمضمره (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ .

و لما كان ذلك مفهما أن النصر ليس إلا بيده و أن شيئا من الإمداد أو[1] غيره لا يوجب النصر بذاته ، صرح به فى قوله : ﴿ و ما النصر ﴾ أى حاصلا و موجودا بالملائكة و غيرهم من الأسباب ﴿ الا من عند الله ﴾ أى لأن له[2] وحده صفات الكمال ، فما عنده ليس منحصرا فى الإمداد بالملائكة ، فالنصر و إن كان بها فليس من عندها ، فلا تعتمدوا على وجودها و لا تهنوا ٥ بفقدها اعتمادا عليه سبحانه خاصة ، فان ما عنده من الأسباب لا يحاط به علما ، هذا إذا أراد النصر بالأسباب ، و إن أراد بغير ذلك فعل ، فكان التعبير بعند لإفهام[3] ذلك .

و لما كانت هذه الغزوة فى أول الأمر ، و كانوا بعد بروز الوعد الصادق لهم باحدى الطائفتين كارهين للقاء ذات الشوكة جدا ، ثم وقع لهم ١٠ ما وقع من النصر[4] كان المقام مقتضيا لإثبات عزة الله و حكمته على سبيل التأكيد إعلاما بأن صفات الكمال ثابتة له دائما ، فهو ينصر من صبر و اتقى بعزته ، و يحكم أمره[4] على أتم وجه بحكمته ، هذا فعله دائما كما فعل فى هذه الغزوة فلذلك قال معللا لما[5] قبله مؤكدا : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ عزيز ﴾ أى هو فى غاية الامتناع و القهر لمن[6] يريد قهره أزلا و أبدا ، ١٥ لا يغالب و لا يحوج وليه إلى[7] زيادة العدد و لا نفاسة العُدد ﴿ حكيم ﴾ أى إذا قضى أمرا كان فى غاية الإتقان و الإحكام ، فلا يستطيع أحد نقص شىء منه ، هذا له دائما ، فهو يفعل فى نصركم هكذا[7] مهما استأنستم[8]

(١) فى ظ « و » (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الانهام (٤) من ظ ، وفى الأصل : امر (٥) من ظ ، و فى الأصل : كما (٦) من ظ ، و فى الأصل : بمن (٧) فى ظ : هذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : استانسهم .

إلى بشراه و لم تنظروا إلى قوتكم و لا غيرها مما سواه، فلا تقلقوا[1] إذا أمركم بالهجوم على البأس[2] و لو كان فيه لقاء جميع الناس .

و لما أكد هنا ، لم يحتج إلى إعادة تأكيده فى آل عمران فقيل " العزيز الحكيم[3] " أى الذى أخبركم عن عزته و حكمته فى غزوة بدر بما يليق بذلك

٥ المقام [من التأكيد ، و أخبركم أنكم إن فاديتم الأسرى قتل منها فى العام المقبل - [4] ] مثل عددهم ، فوقوع[5] الأمر على ما قال مغن عن التأكيد ، و لم يكن أحد[6] من المسلمين فى أحد مترددا فى اللقاء ولا هائبا له إلا ما وقع من الهم بالفشل من الطائفتين و العصمة منه فى الحال ، و قد مضى فى آل عمران لهذا مزيد بيان .

١٠ و لما ذكر البشرى و الطمأنينة بالإمداد ، ناسب أن يذكر لهم أنه أتبع القول الفعل فألقى فى قلوبهم بعزته و حكمته الطمأنينة و الأمن و السكينة بدليل النعاس الذى غشيهم فى موضع هو أبعد الأشياء عنه[7] و هو موطن الجلاد و مصاولة الأنداد و التيقظ لمخاتلة أهل العناد ، وكذا المطر و أثره ، فقال مبدلا أيضا من " اذ يعدكم " أو[8] معلقا بالنصر أو بما فى الظرف من رائحة

١٥ الفعل مصورا لعزته و حكمته : ﴿اذ يغشيكم﴾ بفتح حرف المضارعة فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو فالفاعل ﴿ النعاس ﴾ و ضم الباقون الياء ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فلا تغفلوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : الناس .
(٣) راجع آية ١٢٦ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فوقع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : عندهم (٨) فى ظ « و » .



و أسكن

و أسكن نافع الغين و فتحها الباقون و شددوا الشين المكسورة، فالفاعل في القراءة الأولى مفعول هنا، و الفاعل ضمير يعود على الله .

و لما ذكر هذه التغشية الغريبة الخارقة للعوائد، ذكر ما فعلت لأجله فقال: ﴿ امنة ﴾ و لما كان ذلك خارقا للعادة، جاء الوصف بقوله: ﴿ منه ﴾ أي بحكمته لأنه [ لا - ١ ] ينام في مثل تلك الحال إلا الآمن، ٥ و يمنع عنكم العدو و أنتم نائمون بعزته، و لم يختلف فاعل الفعل المعلل في القراءات الثلاث لأن كون النعاس فاعلا مجاز، و يصح عندي نصبها[٢] على الحال .

و لما كان النعاس آية / الموت، ذكر بعده آية الحياة فقال: /٤١٢ ﴿ و ينزل عليكم ﴾ [ و حقق كونه مطرا بقوله - ١ ]: ﴿ من السمآء مآء ﴾ ١٠ و وقع في البيضاوي و أصله وكذا تفسير أبي حيان أن المشركين سبقوا إلى الماء و غلبوا عليه، و ليس كذلك بل الذي سبق إلى بدر و غلب على مائها المؤمنون كما ثبت في صحيح مسلم و غيره، فيكون شرح القصة أنهم مطروا في المنزل الذي ساروا منه إلى بدر فحصل للسلمين منه ما ملأوا منه أسقيتهم فتطهروا[٣] من حدث أو جنابة و لبد لهم الرمل و سهل عليهم ١٥ المسير، و أصاب المشركين ما زلق[٤] أرضهم حتى منعهم المسير، فكان ذلك سببا لسبق المسلمين لهم إلى المنزل و تمكينهم من بناء الحياض و تغوير[٥]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: نصبه با - كذا (٣) من ظ، و في الأصل: فيطهروا (٤) في ظ: لزم (٥) من ظ، و في الأصل: تقدير .

ما وراء الماء الذى نزلوا عليه من القلب كما هو مشهور فى السير ، و يكون
رجز الشيطان وسوسته لهم بالقلة و الضعف و التخويف بكثرة العدو ،
و الربط على القلوب طمأنينتهم و طيب نفوسهم بما أراهم من الكرامة كما
يوضح ذلك جميعه قول ابن هشام "و ينزل عليكم من السماء" ماء للطر
٥ الذى أصابهم[١] تلك الليلة ، فحبس[٢] المشركين أن يسبقوا إلى الماء و خلى
سبيل المؤمنين إليه ﴿ ليطهركم به ﴾ أى من كل درن ، و ابتدأ من فوائد
الماء بالتطهير لأنه المقرب من صفات الملائكة المقربين من حضرات القدس
و عطف عليه - بقوله[٣] : ﴿ و يذهب عنكم ﴾ أى لا عن غيركم ﴿ رجز الشيطن ﴾
بغير [٤]لام - ما هو[٤] لازم له ، و هو البعد الذى كان مع الحدث الذى
١٠ منه الجنابة المقربة من الخبائث الشيطانية بضيق الصدر و الشك و الخوف
لإبعادها من الحضرات الملائكة « لا تدخل الملائكة[٥] بيتا فيه جنب » و الرجز
يطلق على القذر و عبادة الأوثان و العذاب و الشرك ، فقد كان الشيطان
وسوس لهم ، و لا شك أن وسوسته من أعظم القذر[٦] فانها تجر من تمادى
معها إلى كل ما ذكر ؛ ثم عطف عليه ما تهيأ له القلب من الحكم الإلهية
١٥ و هو إفراغ السكينة فقال : ﴿ و ليربط ﴾ أى بالصبر و اليقين .

و لما كان ذلك ربطا محكما غالبا عاليـا ، عبر فيه بأداة الاستعلاء
فقال : ﴿ على قلوبكم ﴾ أى بعد إسكانها الوثوق بلطفه عند كل ملمة[٧] حتى

---

(١) من سيرة ابن هشام ٢/٣٠ ، و فى الأصل : اصابتهم ، و فى ظ : اصابكم (٢) فى ظ : فحبسوا (٣) فى ظ : قوله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : القذرة (٧) فى ظ : ملم .

امتلأت من كل[1] خير و ثبت فيها بالربط[2]، فشبهها بجراب[3] ملىء شيئا ثم ربط رأسه حتى لا يخرج من ذلك الذى فيه شىء ، و أعاد اللام إشارة إلى أنه المقصد الأعظم و ما قبله وسيلة إليه و عطف عليه بغير لام لازمه من[4] التثبيت فقال : ﴿ و يثبت به ﴾ أى بالربط أو بالمطر ﴿ الاقدام ﴾ أى لعدم الخوف فان الخائف لا تثبت قدمه فى المكان ٥ [ الذى - [5] ] يقف به ، بل تصير رجله تنتقل من غير اختياره ، أو بتلبيد الرمل .

و لما ذكر حكمة الإمداد و ما تبعه من الآثار المثبتة للقلوب و الأقدام ، ذكر ما أمر به المدد من التثبيت بالقول و الفعل فقال : ﴿ اذ ﴾ بدلا ثالثا من " اذ يعدكم " أو ظرفا ليثبت ﴿ يوحى ربك ﴾ أى المحسن إليك بجميع ١٠ ذلك ﴿ الى الملّٰئكة ﴾ و بين أن النصر منه لا من المدد بقوله : ﴿ انى معكم ﴾ أى و من كنت معه كان ظافرا[6] بجميع مأموله ﴿ فثبتوا ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ الذين اٰمنوا ﴾ أى بأنواع التثبيت من تكثير سوادهم و تقوية قلوبهم و قتال أعدائهم و تقليلهم فى أعينهم و تحقير شأنهم ؛ ثم بين المعية بقوله : ﴿ سالقى ﴾ أى[7] بوعد لا خلف فيه ﴿ فى قلوب الذين كفروا ﴾ أى ١٥ أوجدوا الكفر ﴿ الرعب ﴾ فلا يكون[8] لهم ثبات ﴿ فاضربوا ﴾ [ أى - [5] ] أيها المؤمنون من الملائكة و البشر غير هائبين بسبب ذلك .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٢) فى ظ : الربط (٣) فى الأصل : بجرار ، و فى ظ : بجرابه - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : فى (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : ظاهرا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا يكن .

و لما كان ضرب العنق و الرأس أوحى مهلك للانسان ، و كان العنق يستر فى الحرب غالبا ، عبر بقوله : ﴿ فوق الاعناق ﴾ أى الرؤس أو أعالى الأعناق منهم لأنها مفاصل و مذابح .

و لما كان إفساد الأصابع أنكى ما يكون بعد ذلك [1]لأنه يبطل

٤١٣ / ٥ / قتال المضروب أو كمال قتاله[1] ، قال : ﴿ و اضربوا منهم كل بنان ط ﴾ أى فانه لا مانع من ذلك لكونى معكم ؛ ثم علل تسليطهم عليهم[2] بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى التسليط العظيم ، و أخبر عنه بقوله : ﴿ بانهم ﴾ أى الذى تلبسوا الآن بالكفر و لو كانوا ممن يقضى بايمانه بعد ﴿ شآقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا يطاق انتقامه ﴿ و رسوله ج ﴾ أى طلبوا أن يكونوا

١٠ بمخالفة الأوامر و النواهى فى شق غير الشق الذى فيه حزب الهدى[3] [ فى مكر منهم و خداع ، و شاقوة باشتهار السيف جهرا - [3] ] ، ثم [ بين - [3] ] ما لفاعل ذلك ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمن شاق الله و رسوله فافعلوا به ذلك ، فانى فاعل به ما فعلت بهؤلاء ، و أظهر الإدغام فى المضارع[4] لأن القصة للعرب و أمرهم فى عداوتهم كان بعد الهجرة شديدا و مجاهرة[5] ،

١٥ و أدغم فى الماضى لأن ما مضى قبلها كان ما بين مساترة بالماكرة و مجاهرة بالمقاهرة ، وعبر بالمضارع ندبا إلى التوبة بتقييد[6] الوعيد بالاستمرار ، و أدغم فى الحشر فى الموضعين[7] لأن القصة لليهود و أمرهم كان ضعيفا[8]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الادغام (٥) فى ظ : مهاجرة (٦) فى ظ : تقييد (٧) راجع آية ٤ (٨) فى ظ : ضعيف .

و مساترة فى مماكرة : ﴿ و من يشاقق الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا أمر لأحد معه [ و يشاقه سرا أو جهرا - [1] ] ﴿ و رسوله ﴾ بأن يكون فى شق غير الشق الذى يرضيانه ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ شديد العقاب ﴾ أى له هذه الصفة ، فليتوقع مشاققه عذابه ، [ فالآية من الاحتباك : ذكر الفعل المدغم أولا دليل على حذف المظهر ثانيا ، ٥ و المظهر ثانيا على حذف المدغم أولا - [1] ] . و [ لما - [1] ] ختم الآية ببيان السبب الموجب لإهانة الذين كفروا و بما له من الوصف العظيم ، أتبعه ما يقول لهم لبيان الحال[2] عند ذلك بقوله التفاتا إليهم لمزيد التبكيت و التوبيخ : ﴿ ذلكم ﴾ أى هو سبحانه بما له من هذا الوصف الهائل يذيق عدوه من عذابه ما لاطاقة لهم به و لا يدان ، فيصير لسان الحال ١٠ مخاطبا لهم نيابة عن المقال : الأمر الذى حذرتكم منه الرسل و أتتكم به الكتب وكنتم تستهزئون به[3] أيها الكفرة هو هذا الأمر الشديد وقعه[4] البعيد على [ من - [1] ] ينزل[5] عليه دفعه قد دهمكم ، فما لكم لا تدافعونه[6] ! كلا و الله شغل كلًّا ما قابله[7] و لم يقدر أن يزاوله .

و لما كان ما وقع لهم فى وقعة بدر من القتل و الأسر و القهر ١٥ يسيرا[8] جدا بالنسبة إلى ما لهم فى الآخرة ، سماه ذوقا لأنه يكون بالقليل ليعرف به حال الكثير فقال : ﴿ فذوقوه ﴾ أى باشروه قهرا مباشرة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بهم (٤) فى ظ : وقعة (٥) فى الأصل : ينزك ، و فى ظ : يبرك - كذا (٦) فى ظ : تدفعونه (٧) فى ظ : قايله (٨) فى الأصل و ظ : يسير .

الذائق و اعلموا أنه بالنسبة إلى ما تستقبلونه كالمذوق بالنسبة إلى المذوق لأجله ﴿ و ان ﴾ أى و الأمر الذى أتتكم به الرسل و الكتب أن لكم مع هذا الذى ذقتموه فى الدنيا ، هكذا[1] كان الأصل و لكنه أظهر تعميما و تعليقا[2] بالوصف [ فقال - [3] ] : ﴿ للكفرين ﴾ أى على كفرهم ٥ و إن [4]لم يظهروا المشاقة[4] ﴿ عذاب النار ﴾ و هو مواقعكم و هو أكبر و سترون .

و لما قرر إهانتهم فى الدنيا و الآخرة بما حسر عليهم القلوب ، حسن أن يتبع ذلك نهى من ادعى الإيمان عن الفرار منهم و تهديد من نكص عنهم بعد هذا البيان و هو يدعى الإيمان فقال : ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوآ ﴾ أى ١٠ بما أتاهم من [5]عند ربهم[5] ﴿ اذا لقيتم الذين كفروا ﴾ أى بآيات ربهم فشاققوه ، و عبر عن حال لقائهم بالمصدر مبالغة [ فى التشبيه فقال - [3] ] : ﴿ زحفا ﴾ أى حال كونهم زاحفين محاربين و هم من الكثرة بحيث لا يدرك من حركتهم - و إن كانت سريعة - إلا مثل الزحف ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ أى هربا منهم و إن كنتم أقل منهم ﴿ و من يولهم ﴾ . ١٥ و لما كان الأغلب فى وقوع القتال النهار ، و كانت التولية مما لا يكون الظرف [ [2] - معيارا له[6] ] لأنها مما لا يمتد زمنه ، فالعصيان يقع بمجرد الالتفات بقصد الفرار ، و التمادى تكرير أمثال ، لا شرط فى صحة

(١) فى ظ : هذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) فى ظ : لم يظهر المشاقة (٥ - ٥) فى ظ : ربكم (٦) فى ظ : لهم .

إطلاق الاسم، عبر باليوم[1]، و جرده عن « فى » ندبا إلى الكر / بعد الفر مع /٤١٤
عدم الالتباس[2]، فان الظرف لا يكون معيارا للفعل إلا إذا كان ممتد
الزمان كالصوم [ فقال - [3] ]: ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ[4] لقيتم على هذه الحالة
فى أىّ وقت [5]كان من[5] أوقات القتال من ليل [ كان - [3] ] أو نهار
﴿ دبره ﴾ أى يجعل ظهره إليهم لشيء من الأشياء تولية لا يريد الإقبال ٥
إلى القتال منها ﴿ الا ﴾ أى[6] حال كونه ﴿ متحرفا ﴾ أو[7] الحال التحرف،
و هو الزوال عن جهة الاستواء ﴿ لقتال ﴾ أى لا يتسهل[8] له إلا بذلك،
أو يخيل إلى عدوه أنه منهزم خداعا له ثم يكر عليه ﴿ او متحيزا ﴾ أى
متنقلا من حيز إلى آخر[9] و متنحيا ﴿ الى فئة ﴾ أى جماعة أخرى من
أهل حزبه هم أهل لأن يرجع إليهم ليستعين بهم[10] أو يعينهم. ١٠

و لما كان هذا محل توقع السامع للجواب و تفريغ ذهنه له، أجاب
رابطا بالفاء[11] إعلاما بأن الفعل المحدث[12] عنه سبب لهذا الجزاء فقال:
﴿ فقد بآء ﴾ أى رجع ﴿ بغضب من الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال
﴿ و ماوٰىه جهنم ﴾ أى تتجهمه[13] كما أنه هاب تجهم الكفار و لقاء الوجوه
العابسة بوجه كالح عابس ﴿ و بئس المصير ﴾ هذا إذا لم يزد الكفار عن ١٥

---

(١) من ظ، و فى الأصل: القوم (٢) من ظ، و فى الأصل: الالباس (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: اذا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ. (٧) زيد بعده فى ظ: الا (٨) فى ظ: لا يسهل (٩) فى ظ: حيز (١٠) من ظ، و فى الأصل: لكم (١١) من ظ، و فى الأصل: انما (١٢) فى ظ: المحذر (١٣) من ظ، و فى الأصل: تتجهم.

الضعف - كما سيأتي النص به .

و لما تقدم إليهم فى ذلك ، علله بتقرير عزته و حكمته ، و أن النصر ليس إلا من عنده ، فمن صح إيمانه لم يتوقف عن امتثال أوامره ، فقال مسببا عن تحريمه الفرار و إن كان العدو كثيرا ، تذكيرا بما صنع لهم فى
٥ بدر ، ليجريهم على مثل ذلك ، و منعا لهم من الإعجاب[1] بما كان على أيديهم فى ذلك اليوم من الخوارق: ﴿ فلم تقتلوهم ﴾ أى حل على المدبر الغضب لأنه قد تبين لكل مؤمن أنه تعالى لا يأمر أحدا إلا بما هو قادر سبحانه على تطويقه له ، فانه قد وضح مما يجرى على قوانين العوائد أنكم لم تقتلوا قتلى بدر و إن تعاطيتم أسباب قتلهم ، لأنكم لم تدخلوا قلوب ذلك
١٠ الجيش العظيم الرعب الذى كان سبب هزيمتهم التى كانت سبب قتل من قتلتم ، لضعفكم عن مقاومتهم فى العادة ، و فيه مع ذلك زجر لهم عن أن يقول أحد منهم على وجه الافتخار : قتلت [2]كذا وكذا[2] رجلا و فعلت[3] كذا ﴿ و لكن الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا يخرج شيء عن مراده ﴿ قتلهم ص ﴾ أى بأن هزمهم لكم لما رأوا الملائكة و امتلأت أعينهم من
١٥ التراب الذى رماهم به صلى الله عليه و سلم و قلوبهم جزعا حتى تمكنتم من قتلهم خرق عادة كان وعدكم بها ، فصدق مقاله و تمت أفعاله .

و لما رد ما باشروه إليه سبحانه ، أتبعه ما باشره نبيه صلى الله عليه و سلم دلالة على ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا مقبلة قال : اللهم! هذه قريش قد أقبلت بخيلائها و فخرها تحادك و تكذب[4] رسولك ، فقال

---

(١) فى ظ : الاعجاز (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : قلت .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : يكذب .

جبرئيل عليه السلام: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، ففعل فملأت[1] أعينهم فانهزموا فقال: ﴿ و ما رميت ﴾ أي يا سيد المؤمنين الرمل في أعين الكفار ﴿ اذ رميت ﴾ أي أوقعت صورة قذفه من كفك، لأن هذا الأثر الذي وجد عن رميك خارق للعادة، فمن الواضح أنه ليس فعلك، و هذا هو الجواب عن كونه لم يقل: فلم تقتلوهم إذ قتلتموهم، لأن زهوق ٥ النفس عن الجراح[2] المثخن هو العادة، فهم الذين قتلوهم حين باشروا ضربهم، فلا يصح: فلم تقتلوهم حين قتلتموهم، و المنفي إنما هو السبب المتقدم على القتل الممكن من القتل، و هو تسكين قلوبهم الناشئ عند إقدامهم و إرعاب الكفار الناشئ عند ضعفهم و انهزامهم الممكن منهم، فالمنفي عنهم[3] / البداية ٤١٥ / و المنفي عنه صلى الله عليه و سلم الغاية، أو أن الملائكة عليهم السلام لما باشرت ١٠ قتل بعضهم صح أن ينفي عنهم قتل المجموع مطلقا، [4]أو أنهم لما افتخر بعضهم[4] بقتل من قتل نفاه سبحانه عنهم مطلقا لأن مباشرتهم لقتل من قتل في جنب ما أعد لهم من الأسباب و أيدهم به من الجنود عدم، و أما النبي صلى الله عليه و سلم فانه فعل ما أمر به من رمي الرمل و لم يعد فعله و لا ذكره، فأثبته سبحانه له مع نفي تأثيره عنه و إثباته لمن إليه ترجع[5] ١٥ الأمور تأديبا منه سبحانه لهذه الأمة، أي لا ينظر أحد إلى شيء من طاعته، فانا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن أكمل الخلق مع أنه عالم مقر[6] بأنه منا فليحذر الذي يرى له فعلا من عظيم سطواتنا، و لكن لينسب جميع أفعاله الحسنة إلى الله تعالى كما نسب الرمي إليه بقوله: ﴿ و لكن الله ﴾

(١) في ظ: فامتلأت (٢) في ظ: الجوارح (٣) في ظ: عنه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و في الأصل: يرجع (٦) في ظ: مقرر.

أي[1] الذي لا راد لأمره ﴿ رمى ج ﴾ لأنه الذي أوصل أثره بما كان هازما للكفار ، فعل ذلك كله ليبلي الكفار منه بأيدي[2] من أراد من عباده بلاء عاقبته سيئة ﴿ و ليبلي المؤمنين ﴾ أي الراسخين في الإيمان ﴿ منه ﴾ أي وحده ﴿ بلآء حسنا ط ﴾ [ أي - [3] ] من النصر و الغنيمة و الأجر ،

٥ [ و مادة بلاء يائية أو واوية بأيّ - [3] ] ترتيب كان تدور على الخلطة[4] ، و تارة تكون مطلقة نحو أبلاه عذرا ، و تارة بكثرة و محاولة[5] و عناء و هو أغلب أحوال المادة ، و تارة تكون للامتحان و أخرى لغيره ، و ما أباليه بالة - أظنه من البال[6] الذي هو الخاطر فهو من بول لا بلو ، أجوف لا من ذوات الأربعة ، و معناه : ما أفاعله بالبال ، أي ما أ كترث به فما أصرف

١٠ خاطري إلى مخالطة أحواله حيث يصرف هو خاطره إليّ ، أي ما أفكر في أمره لهوانه عليّ ، و سيأتي بسط معاني المادة إن شاء الله تعالى في سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى " ما بال النسوة [7] " و هذه المادة معناها ضد الدعة ، لأن هذه يلزمها شغل الخاطر الذي عنه ينشأ التعب بمدافعة الملابس ، و الدعة يلزمها هدوء[8] السر و فراغ البال الذي هو منشأ الراحة ،

١٥ فمعنى الآية أنه تعالى فعل ذلك من الإمكان من إذلال الكفار ليخالطهم من شؤنه[9] ما يكون لهم في مدافعته عاقبة سيئة ، و ليخالط المؤمنين من ذلك ما يكون لهم في مزاولته عاقبة حسنة بل أحسن من الراحة ، لأنه يفضي بهم

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يدى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : الخطة (٥) من ظ ، و في الأصل : مجادلة (٦) في ظ : البالي (٧) آية ٥٠ (٨) في ظ : هدى (٩) في الأصل : تسوته ، و في ظ : سوونه .

إلى راحة دائمة، و الدعة تفضى إلى تعب طويل - و الله موفق.

و لما ثبت بما مضى أن[1] له تعالى الأفعال العظيمة و البطشات الجسيمة. و دلت أقوال من قال من المؤمنين: إنا لم نتأهب للقاء ذات الشوكة، على ضعف العزائم؛ ختم الآية بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ سميع ﴾ أى لأقوالكم من الاستعانة[2] فى المعونة على ٥ النصرة[3] و غيرها ﴿ عليم ﴾ أى بعزائمكم و إن لم تتكلموا بها، فهو يجازى المؤمن على حسب إيمانه و الكافر على ما يبدى و يخفى من كفرانه، الأمر ﴿ ذلكم ﴾ العظيم الشأن البعيد المتناول الذى أمركم فيه بأوامره و نهاكم به عن مناهيه و أبلاكم فيه البلاء الحسن، و أراكم بأعينكم توهينه لهذه الطائفة التى قصدتكم و أنتم عندها أكلة جزور و عصفور بين يدى صقور، ١٠ و بين لكم من[4] علل ذلك و عجائب مقدوره ما لم يبق معه عذر لمؤمن، فالزموا طاعته و سابقوا[5] فى طاعة رسوله و لا تنظروا فى عاقبة شىء / مما يأمر به، /٤١٦ فانه ما ينطق عن الهوى بل إنما يأمر عنا، و نحن لم نأمر بشىء إلا بعد تدبيره على أحكم الوجوه و أتقنها ﴿ و ان ﴾ أى و الأمر أيضا أن ﴿ الله ﴾ أى الحاوى لجميع صفات العز و العظمة[6] ﴿ موهن ﴾ أى مضعف ١٥ إضعافا شديدا ثابتا دائما أبدا ﴿ كيد الكفرين ﴾ أى الراسخين فى الكفر جميعهم، فلا تهنوا فى ابتغاء القوم و إن نالكم قرح فانا نجعله[7] لكم تطهيرا و للكافرين تدميرا و العاقبة للتقوى، فنطلعكم على عوراتهم و نلقى الرعب

---

(١) فى ظ: انه (٢) فى ظ: استعانة (٣) فى ظ: النصر (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: تسابقوا (٦) فى ظ: الكبر (٧) من ظ، و فى الأصل: نجعل.

في قلوبهم و نفرق كلمتهم و ننقض ما أبرموا .

و لما تضمن ذلك إيقاع الإهانة [1]بالكفار بهذه الوقعة ، و الوعد بالزامهم الإهانة[1] فيما يأتي ، كان ذلك مفصلا الالتفات إلى تهديدهم في قالب استجلائهم و الاستهزاء بهم و تفخيم أمر المؤمنين فقال: ﴿ ان تستفتحوا ﴾

٥ أي تسألوا الفتح أيها الكفار بعد هذا[2] اليوم كما استفتحتم في هذه الوقعة عند أخذكم أستار الكعبة وقت خروجكم بقولكم : اللهم انصر أهدى الحزبين ، و أكرم الجندين ، و أعلى الفئتين ، و أفضل الدينين ، و وقت ترائي الجمعين ، بقول أبي جهل : اللهم أقطعنا للرحم و آتانا[3] بما لا يعلم فأحنه الغداة ، أتاكم الفتح كما أتاكم في هذا اليوم ﴿فقد جآءكم﴾ أي في هذا

١٠ اليوم بنصر المؤمنين ﴿ الفتح ج ﴾ أي الذي استفتحتم له لأنهم أهدى الفئتين و أكرم الطائفتين ﴿ و ان تنتهوا ﴾ أي بعد هذا عن مثل هذه الأقوال و الأفعال المتضمنة للشك أو العناد ﴿ فهو خير لكم ج ﴾ و قد رأيتم دلائل ذلك ﴿ و ان تعودوا ﴾ أي إلى المغالبة لأنكم لم تنتهوا ﴿ نعد ج ﴾ أي إلى خذلانكم ﴿ و لن تغنى عنكم ﴾ أي أبدا ﴿ فئتكم ﴾ أي جماعتكم التي

١٥ ترجعون إليها للاعتزاز[4] بها ﴿ شيئا ﴾ أي من الإغناء ﴿ و لو كثرت لا ﴾ لأن الله على الكافرين ﴿ و ان الله ﴾ أي الملك الأعظم ﴿ مع المؤمنين ع ﴾ أي الراسخين في الإيمان ، و لعله عبر بالمستقبل في الشرط و الماضي في الجزاء

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٣) من ظ و سيرة ابن هشام ١٨/٢ ، و في الأصل : اماما - كذا .
(٤) في ظ : للاغترار .

إشارة إلى أنكم استفتحتم فى بدر و جاءكم من الفتح ما رأيتم ، فان كان أعجبكم فالزموه فى المستقبل ، فانى لا أجيئكم أبدا ما دمتم على حالكم إلا بما جئتكم[1] به يومئذ ، و الفتح يحتمل أن يكون بمعنى النصر فيكون تهكما بهم ، و أن يكون بمعنى القضاء .

و لما كان سبب ما أحله[2] بالكفار - من الإعراض عن إجابتهم فيما ٥ قصدوا من دعائهم و من خذلانهم فى هذه الوقعة و إيجاب مثل ذلك لهم أبدا - هو عصيانهم الرسول و توليهم عن قبول ما يسمعونه[3] منه من الروح ؛ حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتمادى فى التنازع فى الغنيمة أو غيرها فقال : ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوآ ﴾ أى ادعوا ذالك ﴿ اطيعوا الله ﴾ أى الذى له جميع العز و العظمة ﴿ و رسوله ﴾ تصديقا لدعواكم الإيمان . ١٠

و لما كانت طاعة الرسول هى[4] طاعة الله لأنه إنما يدعو إليه و إنما خلقه القرآن ، وحد الضمير فقال : ﴿ و لا تولوا عنه ﴾ أى عن الرسول[5] فى حال من الأحوال ، فى أمر من الأوامر من الجهاد و غيره ، من الغنائم و غيرها ، خف أو ثقل ، سهل أو صعب ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تسمعون ﴾ أى لكم سمع لما يقوله ، أو و أنتم تصدقونه ، لأن ارتكاب ١٥ شىء من ذلك يكذب دعوى الإيمان و ينطبق على أحوال الكفار ، و إلى ذلك إشارة بقوله : ﴿ و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾ أى بآذاننا ﴿ و هم لا يسمعون ﴾ أى لا يستجيبون[6] فكأنهم لم يسمعوا ، لما انتفت

---

(١) فى ظ : اجيئكم (٢) فى ظ : حله (٣) فى ظ : يستمعونه (٤) فى ظ : من (٥) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ ، وفى الأصل : لا يستحسنون .

الثمرة عد المثمر عدما .

و لما كانت حال من هذا شأنه مشابهة لحال الأصم فى عدم السماع لعدم الانتفاع به ، و الأبكم فى عدم كلامه لعدم تكلمه بما ينفع ، و العادم للعقل فى عدم عقله لعدم انتفاعه به ، / قال معللا لهذا النهى معبرا بأنسب ٤١٧ / الأشياء لما وصفهم به : ﴿ ان شر الدوآب ﴾ اى التى تدب على وجه الأرض ، جعلهم من جنس الحشرات أو البهائم ثم جعلهم شرها .

و لما كان لهم من يفضلهم ، و كانت العبرة بما عنده[١] سبحانه ، قال تعالى : ﴿ عند الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال من إحاطة العلم و القدرة و غيرها ﴿ الصم البكم ﴾ أى الطرش الخرس طرشا و خرسا بالغين ﴿ الذين لا يعقلون ۝ ﴾ أى لا يتجدد[٢] لهم عقل ، و من لم ينتفع بسماع الداعى كان كذلك[٣] .

و لما كان ذلك ربما دعا السامع إلى أن يقول : ما للقادر لم[٤] يقبل بمن هذا شأنه إلى الخير ؟ أجاب بأنه جبلهم من أول الأمر ـ و له أن يفعل فى مِلكه و مُلكه ما يريد ـ جبلة عريقة فى الفساد ، و جعل[٥] جواهرهم شريرة كجوهر العقرب [٦]التى لا تقبل[٦] التأديب بوجه ولا تمر بشيء إلا لسبته ، فعلم سبحانه أنه لا خير فيهم فتركهم على ما علم منهم ﴿ و لو علم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ فيهم خيرا ﴾ أى قبولا للخير ﴿ لاسمعهم ﴾ أى إسماعا هو الإسماع ، و هو ما تعقبه الإجابة المستمرة .

---

(١) فى ظ : عند الله (٢) فى ظ : لا يجدد (٣) من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٤) فى ظ : ان (٥) من ظ ، و فى الأصل : جبله (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : الذى لا يقبل .

[و - ١] لما كان علم الله تعالى محيطا، وجب أن يعلم كل
ما كان حاصلا، فكان عدم[٢] علمه بوجود الشيء من لوازم عدمه،
فلا جرم كان التقدير هنا: [و -١] لكنه لم يعلم فيهم خيرا، بل علم أنه[٣]
لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الإسماع ﴿ ولو اسمعهم ﴾ وهم على هذه
الحالة من عدم القابلية للخير إسماعا قسرهم[٤] فيه على الإجابة ﴿ لتولوا ﴾ ٥
أي بعد إجابتهم ﴿ وهم معرضون ﴾ أي [ ثابت إعراضهم - ١ ] مرتدين
على أعقابهم، ولم يستمروا على إجابتهم لما جبلوا عليه من ملاءمة الشر
ومباعدة الخير، فلم يريدوا الإسلام وأهله بعد إقبالهم إلا وهنا، [ وكما
كان لأهل الردة الذين قتلوا مرتدين بعد أن كانوا دخلوا في الإسلام
خوفا من السيف ورغبة في المال - ١ ] وهو من وادي " ولو ردوا ١٠
لعادوا لما نهوا عنه[٥] " فان[٦] علم الله تعالى أربعة أقسام: جملة الموجودات،
وجملة المعدومات، [ وأن كل واحد من الموجودات لو كان معدوما
كيف يكون حاله، وأن كل واحد من المعدومات - ١ ] لو كان
موجودا كيف[٧] يكون حاله، والقسمان الأولان علم بالواقع، والآخران
علم بالقدر، والآية من القسم الأخير، ولعمري إنا دفعنا إلى زمان ١٥
أغلب من فيه على قريب من هذا الأمر، أجرأ الناس على الباطل، وأثبتهم
في المصاولة فيه، وأوسعهم حبلا في التوصل إليه، وأجبنهم عند الدعوة

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: علم (٣) في ظ: ان (٤) من ظ،
وفي الأصل: ضرهم (٥) سورة ٦ آية ٢٨ (٦) في ظ: فانه (٧) من ظ، وفي
الأصل: فكيف.

إلى الحق، و أسرعهم نكوصا عند الإقدام بعد جهد عليه، و ألكنهم عند الجدال له، فصار[1] ما كان مقدرا مفروضا حاصلا[2] و موجودا، و كلمة "لو" هنا يحتمل أن تكون[3] هى التى يعلق[4] بها أمر على آخر هو بضده أولى فيكون المراد أن المعلق - و هو الثانى - موجود دائما مثل قول عمر رضى الله عنه: نعم العبد صهيب رضى الله عنه! لو لم يخف الله لم يعصه[5]، فالمراد هنا على هذا أنهم إذا كانوا يتولون مع الإسماع و الإجابة، فتوليهم مع عدمهما أولى - نبه على ذلك الرازى[6]، و يحتمل أن تكون[7] على بابها من أن الجزءين بعدها منفيان، و انتفاء التولى إنما يكون خيرا إذا نشأ عن الإسماع المترتب على علم الخير فيهم، و أما عدمه لعدم إسماعهم الإسماع الموصوف لأنه لاخير فيهم [ فليس - [8] ] من الخير فى شيء بل هو شر محض، التولى المنفى عنهم ليس هو الموجود منهم، بل هو الناشئ عن الإسماع[9] الموصوف فلا يناقض ادعاؤه تحقق عنادهم و عدم انقيادهم، و تحقيقه أن المنفى إنما هو زيادة التولى الناشئة عن الإسماع، فالمعنى: و لو أسمعهم لزادوا إعراضا، فالمنفى فى هذا السياق تلك الزيادة - و الله الموفق.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: و صار (٢) فى ظ: حاصل (٣) فى الأصل و ظ: يكون (٤) فى ظ: تعلق (٥) من ظ، و فى الأصل: لم يقصده (٦) فى الأصلين: الرضى، و الصواب ما أثبتناه فان هذا المبحث بتمامه قد ساقه أبو حيان فى بحره منسوبا إلى فخر الدين الرازى (٧) من ظ، و فى الأصل: يكون (٨) زيد من ظ. (٩) من ظ، و فى الأصل: الاتباع.



و لما

و لما كان ما مضى من نكال الكافرين مسببا عن عدم الاستجابة، أمر المؤمنين بها تحذيرا من الكون مع الكفرة فى مثل حالهم فيحشروا معهم فى مآلهم فقال: ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم / ﴿ استجيبوا ﴾ أى صدقوا دعواكم ذلك بايجاد الإجابة إيجاد من هو فى غاية الرغبة فيها ﴿ لله ﴾ أى و اجعلوا[1] إجابتكم هذه خاصة للذى له جميع صفات الكمال ﴿ و للرسول ﴾ الذى أرسله إلى جميع الخلق.

/ ٤١٨

و لما كان صلى الله عليه و سلم يدعوهم لا محالة لأن الله تعالى أمره بدعائهم، [وكان لا يدعوهم -[2]] إلا إلى ما أمره[3] الله به، وكان سبحانه لايدعو إلا إلى صلاح و رشد؛ عبر بأداة التحقيق و وحد الضمير و شوق بثمار الحياة فقال: ﴿ اذا دعاكم ﴾ أى الرسول بالندب و التحريض.

و لما كان اجتناء ثمرة الطاعة فى غاية القرب، نبه على ذلك باللام دون "إلى" فقال: ﴿ لما يحييكم ج ﴾ أى ينقلكم [4]بعز الإيمان و العلم[4] عن حال[5] الكفرة من الصمم و البكم و عدم العقل الذى هو الموت المعنوى إلى الحياة المعنوية، و لا يعوقكم عن الاستجابة فى أمر من الأمور أن تقولوا: إنا استجبنا إلى الإيمان وكثير من شرائعه، فلو لا أن ربنا علم فينا الخير ما أسمعنا، فنحن ناجون؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن أبي سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال: كنت أصلى فمر بى رسول الله صلى الله عليه و سلم فدعانى فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال: ما منعك أن تأتى؟ فقلت[6]: كنت أصلى، فقال: ألم يقل الله "يٰأيها الذين ءامنوا استجيبوا" -

---

(١) من ظ، وفى الأصل: احدثوا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: امر (٤-٤) فى ظ: الحياة - كذا (٥) فى ظ: حالة (٦) فى ظ: فقال.

الآية ، ثم قال : لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج من المسجد ، فذهب رسول الله صلى الله عليه و سلم ليخرج فذكرت له فقال : هى " الحمد لله رب العلمين " هى السبع المثانى و القرآن العظيم الذى أوتيته . و للترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله

٥ عليه و سلم خرج على أبى بن كعب رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا أبى ! [1] و هو يصلى ، فالتفت أبى [1] فلم يجبه و صلى أبى [2] فخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و عليك السلام ، ما منعك يا أبى أن تجيبنى إذ دعوتك ، فقال : يا رسول الله ! إنى كنت فى

١٠ الصلاة ، قال : فلم تجد فيما أوحى الله إلىّ أن " استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم " قال : بلى ! و لا أعود إن شاء الله ! قال [2] : تحب أن أعلمك سورة لم ينزل [3] فى التوراة و لا فى الإنجيل و لا فى الزبور و لا فى الفرقان مثلها ؟ قال : نعم ، يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تقرأ فى الصلاة ؟ قال : فقرأ أم القرآن ، فقال رسول الله

١٥ صلى الله عليه و سلم : و الذى نفسى بيده ! ما أنزلت فى التوراة و لا فى الإنجيل و لا فى الزبور و لا فى الفرقان مثلها ، و إنها سبع من المثانى و القرآن العظيم الذى أعطيته - هذا حديث حسن صحيح .

و لما كان الإنسان إذا كان على حالة يستبعد جدا أن يصبر [4] على

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لم تنزل (٤) فى ظ : يصير .

غيرها، قال تعالى مرغبا مرهبا: ﴿ و اعلموآ ان الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة[1] ﴿ يحول ﴾ أى بشمول علمه و كمال قدرته ﴿ بين المرء و قلبه ﴾ فيرده إلى ما علم منه فيصير فيما كشفه الحال كافرا معاندا بعد أن كان فى ظاهر الحال مؤمنا مستسلما فيكون ممن علم الله أنه[2] لا خير فيه و قسره على الإجابة فلم يستمر عليها، و يرد الكافر بعد عناده[3] إلى الإيمان بغاية ٥ ما يرى من سهولة قياده، فكنى سبحانه بشدة[4] القرب اللازم للحيلولة عن شدة الاقتدار على تبديل العزائم / و المرادات. و هو تحريض على المبادرة ٤١٩ / إلى اتباع الرسول صلى الله عليه و سلم ما دامت القلوب مقبلة على ذلك خوفا من تغييرها[5].

و لما خوفهم عاقبة الحال، حذرهم شأن المآل فقال: ﴿ و انهٓ ﴾ ١٠ أى و اعلموا أنه تعالى ﴿ اليه تحشرون ۝ ﴾ لا إلى غيره، فيحشر المستجيبين فى زمرة المؤمنين، و المعرضين فى عداد الكافرين و إن أبوا حكما واحدا، لأن الدين لا يتجزأ، و قد علم أن "اذا" ليست قيدا و إنما هى تنبيه على وجوب اتباعه فى[6] كل ما يدعو إليه لعصمته، و حكمة الإتيان بها الإعلام بأنه ما ترك خيرا إلا دعا إليه؛ قال الحرالى فى أواخر كتاب[7] ١٥ له فى أصول الفقه: و لها - أى العصمة - معنيان: أحدهما عصمة الحفظ، و هو معنى ينشأ من التزام الحكم عليه بماضى شرعته، و هى العصمة العامة للأنبياء، و فى هذه الرتبة يقع الكلام فى الحفظ من الصغائر بعد

---

(١) فى ظ: العظيم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: عبادة (٤) فى ظ: بزيادة (٥) فى ظ: تغييره (٦) فى ظ: من (٧) من ظ، و فى الأصل: كتابه.

الاتفاق على الحفظ عما يخل بالتبليغ و يحط الرتبة من الكبائر، و حقيقة الصغائر مقدمات الذنوب التى لم تتم ، فيكون تمامها كبيرتها ، و على[1] ذلك بنى قوم احتمال وقوع الفعل محظورا من نبى ، وكل ذلك - و إن كان من أحوال أنبياء - فان المتحقق[2] من أمر النبى صلى الله عليه و سلم إنما هو علو عن هذا المحل ؛ المعنى الثانى من العصمة رفع الحكم عن النبى صلى الله عليه و سلم بما حفظه الحافظ من ماضى ظاهر شرعته و بما بلغ إليه فهمه من مبادئ التنشؤ من سننه ، و اتخاذ فعله مبدأ للأحكام فى فى كل آن من غير التفات لما تقرر فى[3] ماضى الزمان ، و هذه هى العصمة الخاصة بالنبى صلى الله عليه و سلم الجامع ، فلا يكون لفعله حكم إلا ما يفهمه إنباؤه عن حال وقوعه ، و يكون الأحكام تبعا لفعله ، [4]لا أن[4] فعله يتبع حكما ، فهذا وجه عصمته الخاصة الممتنع عليها جواز الخروج عنها ، فمن كان[5] يسبق إليه من أكابر الصحابة نحو من هذا المعنى لا يتوقف فى شيء من أمره كالصديق رضى الله عنه و كما كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى اقتدائه حتى فى إدارة راحلته و صبغه بالصفرة و لبسه النعال السبتية و نحو ذلك من أمره و أمر من حذا منهم هذا الحذو ، و من كان يتوهم الحكم عليه بمقتضى علمه و فهمه من أمر شرعته لا يكاد يسلم من وقوع فى أمر يرد عليه انتحاله كما حكم أبى رضى الله عنه لما كان يصلى بامضاء عمل الصلاة إذ دعاه حتى بين له قصور فهمه عن الله

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : عن (٢) فى ظ : المحقق (٣) من ظ ، و فى الأصل : من (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : لان (٥) سقط من ظ .



فى

فى حقه أى بقوله : ألم تسمع الله يقول "استجيبوا لله و للرسول" وكالذى[1]
قال : انزل فاجدع لنا، فقال[2] : إن[3] عليك نهارا ، فقال له فى الثالثة
أو الرابعة : انزل فاجدع لنا ويلك أو ويحك ! فاذا وضح أن فعله مبدأ
الحكم و معلم الإنباء لزم صحة التأسى[4] به فى جميع أحواله ، إما على بيان
من تعين رتبة الحكم من وجوب أو ندب أو أباحة ، أو على مطلق التأسى ٥
مع[5] إبهام رتبة الحكم و الاتكال على ما عنده هو صلى الله عليه و سلم
من العلم ، فنية التأسى به على إبهام فى الحكم ربما كان أتم من العمل[6]
بما تبين حكمه ، أحرم على رضى الله عنه وهو باليمن ، توجه إلى مكة
باحرام رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا يتطرق لشىء من أمره صلى الله
عليه و سلم بما وقع من كونه يفتى بأمر ثم يوافق فى غيره ، لأن الآخذ ١٠
فى ذلك عن قصور فى العلم بمكانته من علم رحمانية الله وكلمته و تنزيله
إلى موافقة أمر سنة الله و حكمته نحو الذى أفتاه بتكفير الجهاد كل ذنب
بناء على علمه برحمانية الله و إمضاء كلمته، ثم ذكر له ما قال جبرئيل
عليه السلام من استثناء الدين مما أنزل على حكم أمر الله فى محكم شرعته
و سنته ، يعنى - و الله أعلم - أن من صح جهاده تكفر كل ذنوبه ، ١٥
و أن توقف الدين على إرضاء[7] الله لخصمه ، فالإخبار بالكفارة ناظر إلى
المآل ، و الإخبار بنفيها ناظر[8] إلى الابتداء ، وكذلك أفتى بترك / التلقيح ٤٢٠ /
بناء على إنفاذ كلمة الله ، و ردهم إلى عادة دنياهم حين لم يتجشموا الصبر

(١) فى ظ : للذى (٢) فى ظ : قال (٣) من ظ ، و فى الأصل « و» (٤) فى ظ : التأنى (٥) من ظ ، و فى الأصل : من (٦) فى ظ : العلم (٧) فى ظ : رضى .
(٨) سقط من ظ .

إلى ظهور كلمة الله على مستمر عادته ، فقد[1] عمل بأول[2] فتياه غير واحد ممن لم يسترب[3] فى نفاذ حكمه و صحته فأخفق ثمرات ثلاث سنين ثم عاد - فى غنى عن التلقيح - إلى أحسن من حاله فى متقدم عادته ، و لا يتقاصر عن إدراك ذلك من أمره فى كل نازلة من[4] نحوه إلا من لم يسم[5] به ٥ التأييد إلى معرفة حظ من مكانته ، فاذا وضح ذلك فكل فعل فعله رسول الله صلى الله عليه و سلم فان كان[6] بيانا لواجب فهو منج من عقاب الله ، و إن كان تعليما لقربى من الله فهو وصلة إلى محبة الله كما قال تعالى "قل[6] ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله[7]" و إن لم يتضح له مجمل[8] منهما تأسى بها على إبهام يغنيه عمله[9] و تعلو به نيته ، و ما كان مختصا به ١٠ فلابد من إظهار أمر اختصاصه بخطاب من الله سبحانه أو منه عليه السلام كما قال تعالى " خالصة لك من دون المؤمنين[10]" - انتهى .

و لما كان المجيب ربما قال : ليس عليّ إلا الإجابة فى خاصة نفسى ، و ليس عليّ تعريض نفسى للأذى بالأخذ على يد غيرى ، نبه سبحانه على أن ذلك منابذة[11] للدين و اجتثاث[12] له من أصله ، لأن ترك العاصى ١٥ على عصيانه كترك الكافر على كفرانه ، و ذلك موجب لعموم البلاء و مزيد القضاء فقال تعالى : ﴿ و اتقوا فتنة ﴾ أى بلاء مميلا محيلا إن لا تتقوه يعمكم ، هكذا كان الأصل ، لكن لما كان نهى الفتنة على إصابتهم

(١) فى ظ : و قد (٢) فى ظ : باولى (٣) من الاسترابة ، و وقع فى الأصل : لم يسرب ، و التصحيح من ظ (٤) فى ظ : فى (٥) فى ظ : لم يتم (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٣ آية ٣١ (٨) فى ظ : محل (٩) فى ظ : علمه (١٠) سورة ٣٣ آية ٥٠ . (١١) فى الأصل و ظ : منابذ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : احساب .

أروع من سوق ذلك مساق الشرط و من نهيهم عن التعرض لها لما فيه[١] من تصوير حضورها و فهمها للنهى أتى به ، و لما كان نهيها عن تخصيص الظالم أشد روعة لإفهامه ، أمرها بأن تعم ؛ قال مجيبا للأمر : ﴿ لا تصيبن ﴾ و لحقه نون التأكيد لأن فيـــه معنى النهى ﴿ الذين ظلموا ﴾ أى فعلوا بموافقة المعصية ما[٢] لايفعله إلا من لا نور له ﴿ منكم ﴾ أيها المأمورون ٥ بالتقوى ﴿ خآصة ج ﴾ أى بل تعمكم ، فهو نهى للفتنة و المراد نهى مباشرتها ، أى لا يفعل أحد منكم الذنب يصبكم أثره عموما أو لا يباشر أسباب العذاب بعضكم و البعض الآخر مقر له يعمكم الله به ، و ذلك مثل : لا أرينك ههنا ، و المعنى فكن ههنا فأراك ، فالتقدير[٣] : و اجعلوا بينكم و بين البلاء العام وقاية باصلاح ذات بينكم و اجتماع كلمتكم على أمر الله و رد من خالف ١٠ إلى أمر الله و لا تختلفوا [ كما اختلفتم - [٤] ] فى أمر الغنيمة فتفشلوا فيسلط عليكم عذاب عام من أعدائكم أو غيرهم ، فان كان الطائع منكم أقوى من العاصي أو ليس أضعف منه فلم يرده فقد اشترك الكل فى الظلم ، ذلك بفعله و هذا برضاه ، فيكون العذاب عذاب انتقام للجميع ؛ روى أصحاب السنن الأربعة و حسنه الترمذى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه ١٥ قال فى خطبة خطبها : أيها الناس ! إنكم تقرأون هذه الآية و تأولونها على خلاف تأويلها " يٰايها الذين اٰمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم[٥] " إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ما من قوم

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٢) فى ظ : من (٣) فى ظ : و التقدير (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٥ آية ١٠٥ .

عملوا بالمعاصي و فيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ؛ و للترمذي و حسنه عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذي نفسي بيده ! لتأمرن بالمعروف و لتنهون[1] عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا
٥ منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ؛ و للامام أحمد عنه رضي الله عنه أنه قال : لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر و لتحاضن على الخير أو ليسحتنكم[2] الله جميعا بعذاب أو ليؤمرن[3] الله[4] عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم[5] . و هو في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي ، / فان كان الطائع أضعف من العاصي نزل على ما روى أبو داود و الترمذي - /٤٢١
١٠ و حسنه - و ابن ماجه عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قيل له[6] : كيف تقول في هذه الآية "عليكم انفسكم[7]" فقال : أما و الله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : بل ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا و هوى متبعا و دنيا مؤثرة و إعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك و دع عنك أمر العوام ، فان من
١٥ ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قال : يا رسول الله ! أجر خمسين رجلا منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم . و الأحاديث في مثله كثيرة[8] ،

(١) في ظ : لتنهن (٢) من مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٩٠ ، و في الأصل : ليسمكم ، و في ظ : ليستحقنكم - كذا (٣) من ظ و المسند ، و في الأصل : ليامرن (٤) ليس في المسند (٥) من ظ و المسند ، و في الأصل : لهم (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٥ آية ١٠٥ (٨) في ظ : كثير .

و حينئذ

و حينئذ يكون العذاب للعاصى نقمة و للطائع رحمة و يبعثون على نياتهم .

و لما حذرهم سبحانه عموم البلاء ، أتبعه الإعلام بأنه قادر مربوب ليلزموا سبيل الاستقامة فقال : ﴿ و اعلموآ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات العظمة ﴿ شديد العقاب ۝ ﴾ .

و لما كان من أشد العقاب الإذلال ، حذرهموه[1] بالتذكير بما كانوا ٥ فيه من الذل ، لأنه أبعث على الشكر و أزجر عن الكفر فقال : ﴿ و اذكروآ ﴾ و ذكر المفعول به فقال : ﴿ اذ انتم ﴾ أى فى[2] أوائل الإسلام ﴿ قليل ﴾ أى عددكم .

و لما كان وجود مطلق الاستضعاف[3] دالا على غاية الضعف[4] ، بنى للفعول [ قوله -[5] ] : ﴿ مستضعفون ﴾ أى لا منفذ عندكم ﴿ فى الارض ﴾ ١٠ أطلقها و المراد مكة ، لأنها لعظمها كأنها هى الأرض كلها ، و لأن حالهم كان فى بقية البلاد كحالهم فيها أو قريبا من ذلك ، و لذلك عبر بالناس فى قوله : ﴿ تخافون ﴾ أى فى[6] حال اجتماعكم فكيف عند الانفراد ﴿ ان يتخطفكم ﴾ أى على سبيل التدريج ﴿ الناس ﴾ أى كما تتخطف[7] الجوارح الصيود ، فحذرهم سبحانه - بالتنبيه على أنه قادر على أن يعيدهم ١٥ إلى ما كانوا عليه - من هذه الأحوال بالمخالفة بين كلمتهم و ترك التسبب إلى اجتماعها بالأمر بالمعروف [ و -[5] ] النهى عن المنكر ، و فى ذلك

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : حذرتموه (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) فى ظ : الاستعطاف (٤) فى ظ : العطف (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : يتخطف .

أيضا إشارة إلى أنهم لما كانوا فى تلك الحالة التى هى فى غاية الضعف، وكانت كلمتهم مجتمعة على أمر الله الذى هو توحيده و طاعة رسوله، أعقبهم الإيواء فى دار منيعة، قد أيدهم بالنصر و أحسن رزقهم، و ذلك معنى قوله تعالى مسببا عما قبله: ﴿ فاوٰىكم ﴾ أى فى دار الهجرة رحمة لكم
٥ ﴿ و ايدكم بنصره ﴾ أى بأهلها مع الملائكة ﴿ و رزقكم من الطيبٰت ﴾ أى الغنائم الكاملة الطيبة بالإحلال و عدم المنازع التى لم تحل لأحد قبلكم و غيرها ﴿ لعلكم تشكرون ۝ ﴾ أى ليكون[1] حالكم حال من يرجى شكره، فيكون بعيدا عن المنازعة فى الأنفال، و ذلك إشارة إلى أنهم مهما استمروا على تلك الحالة، كان - باقبالهم على مثل ما أتاهم به و زادهم من فضله -
١٠ أن جعلهم سادة فى الدارين بما يهب لهم من الفرقان الآتى فى الآية بعدها و التوفيق عند إتيانه[2]، فالآية منصبة إلى الصحابة بالقصد الأول و هى صالحة للعرب كافة فتنصرف[3] إليهم بالقصد الثانى؛ قال قتادة: كان هذا الحى من العرب أذل الناس و أشقاهم عيشا و أجوعهم بطنا و أعراهم جلدا و أبينهم ضلالا، من عاش منهم عاش شقيا و من مات
١٥ منهم تردى فى النار معكوفين على رأس الحجرين الشديدين: فارس و الروم، يؤكلون و لا يأكلون، و ما فى بلادهم شيء عليه[4] يحسدون حتى جاء الله بالإسلام، فمكن لهم من البلاد و وسع لهم فى الرزق و الغنائم و جعلهم ملوكا على رقاب[5] الناس، و بالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على

---

(١) فى ظ: لتكون (٢) فى ظ: انتهايه (٣) من ظ، و فى الأصل: فينصرف.
(٤) من ظ، و فى الأصل: على (٥) من ظ، و فى الأصل: اقارب.

نعمه، فان ربكم يحب شكره و الشاكر[1] فى مزيد من الله تعالى[2].

و لما ختم الآية/ بما هو فى غاية النصيحة منه تعالى لهم من الإيواء / ٤٢٢
و النصر و الرزق الطيب المشار به إلى الامتنان باحلال المغنم، و ختم ذلك
بالحث على الشكر؛ نهانا عن تضييع الشكر فى ذلك بالخيانة فى أوامره
بالغلول أو غيره فقال: ﴿ يٰٓايها الذين ءامنوا ﴾ تذكيرا بما ألزموا به أنفسهم ٥
من الوفاء ﴿ لا تخونوا الله ﴾ أى تنقصوا من حقوق الملك الأعظم،
فان أصل الخون النقص ثم استعمل فى ضد الأمانة و الوفاء فصارت
نقصا خاصا ﴿ و الرسول ﴾ بغلول و لا غيره، بل أدوا الأمانة فى جميع
ذلك، و لعله كرر العامل فى قوله: ﴿ و تخونوٓا ءامٰنٰتكم ﴾ من الفرائض
و الحدود و النوافل و غيرها إشارة إلى أن الخيانتين مختلفتان[3]، فخيانتهم لله ١٠
حقيقة، و خيانتهم للأمانة استعارة، لأن حاملها لما أخل بها كان كأنه
خانها؛ و خفف عنهم بقوله: ﴿ و انتم تعلمون ﴾ حال الغفلة و نحوها،
و يجوز أن يكون المفعول غير مراد فيكون المعنى: و أنتم علماء، و يكون
ذلك مبالغة فى النهى عنها بأنهم جديرون بأن لا يقبل منهم عذر بجهل
و لا نسيان لأنهم علماء، و العالم هو العارف بالله، و العارف به لا ينبغى ١٥
أن ينفك عن المراقبة.

و لما كان سبب الخيانة غالبا محبة المال أو الولد، وكان سبب التقاول
المسبب عنه إنزال هذه السورة - كما سلف بيانه أولها - الأموال من

---

(١) من ظ، و فى الأصل: الثنا له - كذا (٢) و هذا الأثر قد رواه الطبرى
بغاية اختلاف عما هنا (٣) من ظ، و فى الأصل: مختلفان.

الأنفال، وكان من أعظم الخيانة فى الأنفال الغلول، وكان الحامل على الغلول المحنة بحب جمع[1] المال إما استلذاذا به أو لإنفاقه على محبوب، وكان الولد أعز محبوب؛ حسن كل الحسن إيلاء ذلك قوله: ﴿ واعلموٓا ﴾ وهى كلمة ينبه بها السامع على أن ما بعدها مهم جدا ﴿ انمآ اموالكم ﴾

٥ قلّت أو جلّت هانت أو عزّت ﴿ واولادكم ﴾ كذلك ﴿ فتنة لا ﴾ أى سببها، يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفانى ممن تسمو نفسه عن ذلك، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر[2] الله فتهلكوا ﴿ وان الله ﴾ أى المحيط بكل كمال ﴿ عنده اجر عظيم ع ﴾ عاجلا وآجلا لمن وقف عند حدوده، فيحفظ له ماله ويثمره[3]

١٠ أولاده ويبارك له فيهم[4] مع ما يدخر له فى دار السعادة، وعنده عذاب أليم لمن ضيعها، فأقبلوا بجميع هممكم[5] إليه تسعدوا، وزاد وضعها هنا حسنا سببُ نزول التى قبلها من قصة أبى لبابة رضى الله عنه الحامل عليها ماله وولده، وكانت قصته فى قريظة سنة خمس وغزوة بدر فى السنة الثانية.

١٥ ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف، وامتن عليهم بما أعزهم به، وختم هذه بالتحذير من الأموال والأولاد الموقعة فى الردى، وبتعظيم ما عنده الحامل على الرجاء، تلاها بالأمر بالتقوى الناهية عن الهوى[3] بالإشارة إلى الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع

---

(١) فى ظ: جميع (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ: فيه (٥) من ظ، وفى الأصل: همكم.

بينهما ، و[1] بين تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره فى الأولى و النجاة من عذابه فى الأخرى فقال تعالى : ﴿ يٰٓايها الذين اٰمنوٓا ﴾ تكريرا[2] لهذا الوصف تذكيرا بما[3] يلزم بادعائه ﴿ ان تتقوا الله ﴾ باصلاح ذات بينكم ، و ذلك جامع لأمر الدين كله ﴿ يجعل لكم فرقانا ﴾ أى نصرا ، لأن مادة 'فرق' ترجع إلى الفصل ، فكأن الشيء إذا كان متصلا كان كل ٥ جزء منه مقهورا على ملازمة صاحبه ، فاذا جعل له قوة الفرق قدر على الاتصال و الانفصال ، فحقيقته : يجعل لكم عزا تصيرون به بحيث تفترقون ممن أردتم متى أردتم و تتصلون / بمن أردتم متى أردتم لما عندكم من /٤٢٣ عزة الممانعة ، و تفرقون[4] بين من أردتم متى أردتم لما لديكم من قوة المدافعة ، أى يجعل لكم ما يصير لكم به قوة التصرف فيما تريدون من الفصل ١٠ و الوصل الذى هو وظيفة السادة المرجوع إلى قولهم عند التنازع ، لا كما كنتم فى مكة ، لا تأمنون فى المقام و لا تقدرون على الكلام - فضلا عن الخصام - إلا على تهيب شديد ، و مع ذلك فلا يؤثر كلامكم أثرا يسمى به فارقا ، و الفاروق من الناس الذى يفرق بين الأمور و يفصلها ، و به سمى عمر رضى الله عنه لأنه[5] أظهر الإسلام بمكة إظهارا فيه عز و قوة ، ١٥ جعل فيه الإيمان مفارقا للكفر لا يخافه ، و فرق - بالكسر بمعنى خاف - يرجع إلى ما دارت عليه المادة ، فان المراد [ به -[6] ] : تفرقت همومه من اتساع الخوف ، و الفرق الذى هو المكيال الكبير كأنه هو الفارق بين الغنى و الفقير ، قال الهروى : هو اثنا[7] عشر مدا ، و أفرق من علته -

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اذ (٢) فى ظ : تكرير (٣) فى ظ : لما (٤) فى ظ : تفترقون (٥) فى ظ : لان (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اثنى .

إذا برئ ، أى صارت له حالة فرقت بين صحته و مرضه الذى كان به ،
و منه الفريقة و هى تمر و حلبة[1] يطبخ للنفساء ؛ و قرفت الشيء - بتقديم
القاف : قشرته ، و القرف[2]: الخلط ،كأنه من الإزالة، لأنهم قالوا : إن 'فعل'
يدخل فى كل باب ، و منه : قرف[3] الشيء و اقترفه : اكتسبه ، و الاقتراف
٥ بمعنى الجماع ، و يمكن أن يرجع إلى الوعاء لأن القرف[4] الوعاء ، لأنه
يفصل مظروفه عن[5] غيره ، و فلان قرفتى ، أى موضع ظنى منه كأنه
صار وعاء لذلك ، و فرس مقرف ، [ أى -[6] ] بيّن القرفة ، أى هجين
لأنه واضح التميز[7] من العربى ، و قرف بسوء : رمى به ، أى جعل
وعاء له أو فرق همومه ؛ و القفر - بتقديم القاف : المكان [ الخالى لانفصاله
١٠ من الناس ، و أقفر المكان -[6] ] : خلا ، و أقفر الرجل [8]من أهله[8]: انفرد
عنهم ، و قفر[9] [الطعام -[10]] : خلا من الأدم ، و رجل قفر الرأس :
لا شعر عليه لا نفصاله عنه ، و قفر الجسد : لا لحم عليه ، و القفار : الطعام
لا أدم له ، و اقتفرت الأثر : اتبعته لتفصله من غيره ؛ و الفقرة - بتقديم
الفاء - و الفقار : ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب[11]
١٥ لتميز كل واحدة عن أختها ، و فقرت الأرض فقرا : حفرتها حفرا ،

---

(١) فى ظ : حلبا (٢) فى ظ : الفرق (٣) من المعاجم ، وفى الأصل و ظ : فرق.
(٤) من المعاجم ، و فى الأصل و ظ : الفرق (٥) من ظ ، و فى الأصل : من .
(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : التمييز (٨-٨) فى ظ : لاهله (٩) من القاموس ،
و فى الأصل و ظ : اقفر (١٠) زيد من القاموس (١١) من ظ و القاموس ،
و فى الأصل : العجز .

فصارت كل واحدة منفصلة من الأخرى، و الفاقرة : الداهية الكاسرة للفقار، و منه الفقر و الافتقار للحاجة، و أفقرني دابته : أعارني ظهرها، و راميته[1] من أدنى [ فقرة : من أدنى - [2] ] معلم لأن المعالم منفصل بعضها عن بعض، و التفقر[3] في رجل الدابة بياض لانفصاله عن بقية لونها، و رفقت بالأمر : لطفت به، و لا يكون ذلك إلا بفصله عما يضره، و منه ٥ الرفيق للصاحب من الرفقة، و المرفق من ذلك لما يحصل به من اللطف.

و لما كان الإنسان محل النقصان فلا يخلو من زلة أو هفوة، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿و يكفر عنكم سيأتكم﴾ أي يسترها ما دمتم على التقوى ﴿و يغفر لكم[4]﴾ أي يمحو ما كان منكم غير صالح عينا و أثرا، و فيه تنبيه لهم على أن السادات على خطر عظيم لأنهم مأمورون بالمساواة بين ١٠ الناس، و النفس مجبولة على ترجيح من لاءمها [ على - [2] ] من نافرها، و إشارة إلى أن الحكم بالعدل في أعلى الدرجات لا يتسنمه[4] إلا الفرد النادر، و قوله : ﴿ و الله ﴾ أي المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ ذو الفضل العظيم ﴾ مرجّ للزيادة على الكفارة[5] و المغفرة من فضله، [ و معلم - [2] ] بأنه لا يمتنع عليه شيء، فمن الممكن أن يلزم كلا منهم ١٥ طريق العدل و إن كانت من خرق العادة في أعلى محل، و في الآية أعظم مناسبة لقصة أبي لبابة رضي الله عنه لأنه لما كان الحامل له على ما فعل بنفسه / من العقوبة التقوى، فكفرت عنه خطيئته و غفر له، / ٤٢٤

(١) من ظ، و في الأصل : رايتها - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : التقفير.
(٤) من ظ، و في الأصل : لا يتسمنه (٥) في ظ : الكفار.

عقبت[1] بها ترغيبا لغيره فى الإسراع بالتوبة عند مواقعة الهفوة ، و[2] ختم هذه الآية بالفضل على ما كان من نقص ، إشارة إلى تفضله سبحانه [ بما - [3] ] رزق أهل الإسلام من علو المنزلة و انتشار الهيبة و فخامة الأمر فى قلوب المخالفين كما هو مشاهد ، و[4] ختم الآية المحذرة من المداهنة بشديد العقاب ، إشارة إلى ما ألبسهم من الأحوال المذكورة[5] فى التى تليها من قلة منعتهم و استضعافهم و خوفهم من تخطف المخالفين لهم ، و لكنه تعالى رحمهم بأن جعل ذلك من بعضهم ممن يشمله اسم الإسلام لبعض ، لا من غيرهم فلبسهم[6] شيعا و أذاق بعضهم بأس بعض[7] ، فكل خائف من الآخر ، و صار المتقى من كثرة المخالف لا يزال من المعاطب و المتالف خائفا يترقب[8] ، و مباعدا لا يقرب ، على أنهم لا يعدمون أنصارا يؤيدهم الله بهم ، و لا يزال أهل الظلم يختلفون فيما بينهم فيرجع الفريقان إليهم و يعولون عليهم ، فمن نصروه فهو المنصور ، فكلامهم عند المضايق هو الفرقان ، و لهم فى قلوب الظالمين هيبة و إن نزلت بهم الحال أكثر مما للظلمة فى قلوبهم من الهيبة ليتيقن[9] الكل أنهم على الحق[10] الذى الله ناصره ، و أن أهل الشر على الباطل الذى الله خاذله ، قال الحسن البصرى رحمه الله فى حق العالين فى الأرض : أما و الله ! إن للمعصية فى قلوبهم لذلا و إن طفطف[11]

---

(١) فى ظ : عقيت (٢) زيد بعده فى ظ : لما (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل : لما ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) زيد بعده فى ظ : من المداهنة (٦) من ظ ، و فى الأصل : فلبهم - كذا (٧) فى ظ : بعضهم (٨) فى ظ : يتقرب . (٩) فى ظ : لتيقن (١٠) سقط من ظ (١١) أى استرخى ، و فى الأصل : طعطعت ، و فى ظ : طقطقت - كذا .

بهم اللحم ، فقد انقسم[1] الخوف بينهم نصفين و شتان ما بين الحزبين ، فخوفهم يزيدهم الله [ به - [2] ] أجرا و يجعله لهم ذخرا ، و خوف أهل الباطل يزيدهم به[3] وزرا و يجعله لدينه[4] أزرا . فهذه حقيقة الحال فى وصف أهل الحق و المحال .

و لما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم و النبأ الجسيم ، ذكرهم من ٥ أحوال داعيهم و قائدهم و هاديهم عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام بما يدعوهم إلى ملازمة أسبابه فى سياق المخاطبة له صلى الله عليه و سلم تذكيرا بنعمته و إشارة إلى دوام نصرته فقال تعالى عاطفا على " اذ انتم " : ﴿ و اذ يمكر بك ﴾ أى يدبر فى أذاك على وجه الستر ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف ، و فيهم من لم يكن راسخ القدم فيه ؛ ثم بين ١٠ غاية مكرهم فقال : ﴿ ليثبتوك ﴾ أى ليمنعوك من التصرف بالحبس فى بيت يسدون عليك بابه - كما هو واضح من قصة مشاورتهم فى دار الندوة فى أمره صلى الله عليه و سلم فى السير ، و من قرأها بالموحدة ثم التحتانية من البيات الذى معناه إهلاك العدو ليلا ، فعطفُ ﴿ او يقتلوك ﴾ عنده بمعنى القتل نهارا جهارا ، و كأنه عد البيات للاستخفاء به عدما بالنسبة إلى ١٥ المجاهرة ﴿ او يخرجوك[5] ﴾ أى من مكة ﴿ و يمكرون ﴾ أى و الحال أنهم يمكرون باخفاء ما يريدون[6] بك من ذلك و غيره من الكيد[6] ﴿ و يمكر الله[5] ﴾ أى يفعل المحيط بكل شيء قدرة و علما فى أمرهم فعل من يمكر باخفاء

(١) من ظ ، و فى الأصل : انقسهم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بهما (٤) من ظ ، و فى الأصل : منه (٥) فى ظ : تريدون (٦) من ظ ، و فى الأصل : القيد.

ما يقابلهم به ﴿و الله خير المكرين ﴾ لأنه لا يمكن أحدا علم ما يريد إخفاءه لأنه الملك الأعلى المحيط بالجلال و الجمال ، فالنافذ إنما هو مكرُه ، و العالى إنما هو نصره ، فكأنه تعالى يقول : انظروا إلى مصداق ما وعدتكم به فى أحوال نبيي صلى الله عليه و سلم فانه كان وحده و جميع الناس ٥ يخالفونه فثبت[1] على أداء الرسالة إليهم و إبلاغ النصيحة لهم على ما يصله منهم من الأذى و لا يزيده أذاهم له إلا اجتهادا فى أداء ما ينفعهم إليهم .

/٤٢٥ و لما ذكر مكرهم[2] / بالرسول ، ذكر مكرهم بما أرسل به ، فقال عاطفا على " اذ اتم " : ﴿و اذا تتلى﴾ أى من أىّ تال فرض ﴿عليهم ا'يتنا﴾ أى التى هى الفرقان جلالة[3] و عظما لم يدعوها تؤثر فى تلك الحالة ، بل ١٠ ﴿ قالوا ﴾ إظهارا لعنادهم لها و تشيعا بما لم يعطوا و ادعاء [ لما -[4] ] لم ينالوا ﴿ قد سمعنا ﴾ و لما لم يتأثر عن سماعهم الإذعان ، تشوف السامع إلى علة إعراضهم فقال معللا أو مستأنفا : ﴿ لو نشآء ﴾ أى فى أىّ[5] وقت أردنا ﴿ لقلنا مثل هذا ﴾ أى لأنه ليس قول الله كما يزعم محمد ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ الذى يتلى عليكم[5] ﴿ الآ اساطير ﴾ جمع سطور و أسطار ١٥ جمع سطر ﴿ الاولين ﴾ أى من بنى آدم ، سطروا فيها علومهم و أخبارهم فهو من جنس كلامنا و قائله من جنسنا ، و هذا غاية المكابرة لأنه قد تحداهم بقطعة من مثله إن كان له - كما يزعمون - مثل ، و بالغ فى تقريعهم فما منعهم - من إبراز شيء مما يدعون و ليس بينهم و بينه بزعمهم إلا أن يشاءوا ،

(١) فى ظ : فثبتت (٢) هنا صفحة الأصل مقحمة فى « مكر/هم » (٣) من ظ ، و فى الأصل : جلا (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

مع انتقالهم إلى [ أشد - [1] ] الأمور : السيف الماحق على تهالكهم على
قهره صلى الله عليه و سلم و على ما لهم من فرط الأنفة من العار و البعد
مما يقضي عليهم بالغلب أو أن يوصفوا بالكذب[2] - إلا علمهم بأن ذلك
فاضحهم ، و مخزيهم مدى الدهر و قائحهم ، و المعنى أني أثبت هذا النبي الكريم
على صبره على ذلك و مثابرته[3] على أداء الأمانة بالاجتهاد في النصيحة ٥
على ما يلق إن نجيته منهم و منعته من جميع ما كادوه به . و كنت لا أزال
أويده باتباع من أعلم فيه الخير إلى أن هيأت له دارا و خبأت له أنصارا ،
و جعلت داره بالأصحاب منيعة ، و بنيت لها أعمدة بصوارم الأحباب ثابتة
رفيعة ، نقلته[4] إلى ذلك مع اجتهاد أهل العناد و هم جميع أهل الأرض
في المنع ، فلم يؤثر كيدهم ، و لا أفادهم مع أيدي أيدهم ، و جعلت نفس ١٠
نقلته له فرقانا يفرق بها بين الحق و الباطل ، و صار إلى ما ترون من
قبول الأمر و جلالة القدر و نفاذ الفصل[5] بين الأمور و ظهر دينه أيّ
ظهور ، فلازموا التقوى ملازمته و داوموا على الطاعة مداومته أهب لكم
من سيادته و أحملكم بملابس إمامته[6] .

و لما كان ذلك موضع عجب من عدم إعجال الضُلال بالعذاب ١٥
و إمهالهم إلى أن أوقع[7] بهم في غزوة بدر لا سيما مع قوله " ان
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح " بيّن السر في ذلك و إن بالغوا في استعجاله

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده في ظ : الماحق (٣) من ظ ، و في الأصل : يتاولونه - كذا (٤) من ظ ، و في الأصل : تقبله - كذا (٥) في ظ : الفعل (٦) في ظ : امانته (٧) في ظ : وقع .

فقال: ﴿ و اذ قالوا ﴾ أى إرادة[1] المكابرة بالتخييل إلى الناس أنهم على القطع من أنه باطل و إلا لما دعوا بهذا الدعاء ﴿ اللهم ﴾ أى يا من له تمام المُلك و عموم المِلك ﴿ان كان هذا﴾ أى الأمر الذى أتانا به محمد ﴿ هو ﴾ أى لا ما نحن عليه ﴿ الحق ﴾ حال كونه منزلا ﴿ من عندك ﴾

٥ و قال الزجاج: إنه لا يعلم أحدا قرأ " الحق " بالرفع - أفاده أبوحيان[2] ﴿ فامطر علينا حجارة ﴾ و لعل تقييده بقوله: ﴿ من السمآء ﴾ - مع أن[3] الإمطار لا يكون إلا منها - لإزالة وهم من يتوهم أن الإمطار مجاز عن مطلق الرجم و أنه إنما ذكر لبيان أن الحجارة المرجوم بها فى الكثرة مثل المطر ﴿ او ائتنا بعذاب اليم ه ﴾ أى غير الحجارة، و لعل مرادهم

١٠ بقولهم ذلك الإشارة إلى أن مجيء الوحى إليك / من السماء خارق كما أن[3] إتيان الحجارة منها كذلك، فان كنت صادقا فى إتيان الوحى إليك منها فائتنا بحجارة منها كما أتت الحجارة منها أصحاب الفيل صونا من الله لبيته الذى أراد الجيش انتهاك حرمته و إعظاما له - أشار إلى ذلك أبو حيان[4]، و هذه الآية و التى قبلها فى النضر بن الحارث أسره المقداد

١٥ يوم بدر فأمر النبى صلى الله عليه و سلم بقتله فقال المقداد: أسيرى [ يا -[5]] رسول الله! فقال: إنه كان يقول فى كتاب الله تعالى ما يقول، فعاد المقداد رضى الله عنه لقوله، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: اللهم! أغن[6]

٤٢٦ /

---

(١) من ظ، و فى الأصل: اراة - كذا (٢) راجع البحر المحيط ٤/٤٨٨ (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٤ / ٤٨٩ (٥) زيد من ظ و تفسير الطبرى - راجع تفسير آية ٣١ (٦) من الطبرى، و فى الأصل و ظ: اعز - كذا.

المقداد

المقداد من فضلك ، فقال : ذاك الذى أردت يا رسول الله ! فقتله النبي صلى الله عليه و سلم فأنشدت أخته قتيلة أبياتا[1] منها :

ما كان ضرك لو مننت و ربما من الفتى و هو المغيظ المخنق[2]

فقال النبي صلى الله عليه و سلم : لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه .
و عن معاوية رضى الله عنه أنه قال لرجل من سبأ : ما أجهل قومك حين ٥ ملكوا عليهم امرأة ! قال : أجهل من قومى قومك قالوا " ان كان هذا هو الحق [3]من عندك[3] " - الآية ، و ما قالوا : فاهدنا به ، و السر الذى بينه فى هذه الآية فى إمهالهم هو أنه ما منعه[4] من الإسراع فى إجابة دعائهم كما فعل فى وقعة بدر إلا إجلال[5] مقامه صلى الله عليه و سلم بين أظهرهم فقال : ﴿ و ما كان الله ﴾ أى مع ما له من[6] صفات الكمال و العظمة ١٠ و الجلال ، و أكد النفى بقوله : ﴿ ليعذبهم ﴾ أى ليجدد لهم ذلك فى وقت من الأوقات ﴿ و انت ﴾ [ أى - [7] ] يا أكرم الخلق ﴿ فيهم[4] ﴾ فانه

لعين تجازى ألف عين و تكرم

و لما بين بركة وجوده ، أتبعه ما يخلفه صلى الله عليه و سلم إذا[8] غاب فى العباد من العذاب فقال : ﴿ و ما كان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ١٥ ﴿ معذبهم ﴾ أى مثبتا وصف تعذيبهم بحيث يدوم ﴿ وهم يستغفرون ﴾ أى يطلبون الغفران بالدعاء أو يوجدون هذا اللفظ فيقولون : أستغفر الله ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اثباتا - كذا (٢) من ظ و سيرة ابن هشام ٢/ ٦٨ ، و فى الأصل : الحق - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : نعهم - كذا (٥) فى ظ : اجال - كذا (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : اذ .

فان لفظه و إن كان خبرا فهو[1] دعاء و طلب ، فوجوده صلى الله عليه و سلم في قوم أبلغ من نفى العذاب عنهم ، و هذا الكلام ندب لهم إلى الاستغفار و تعليم لما يدفع العذاب عنهم كما تقول : ما كنت لأضربك و أنت تطيعنى ، أى فأطعنى - نبه عليه الإمام أبو جعفر النحاس ، و فى ذلك حث عظيم

٥ لمن[2] صار صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم من المسلمين صادقهم و منافقهم على الرغبة فى مواصلته و الرهبة من مفارقته ، و تعريف لهم بما لهم فى حلول ذاته المشرقة فى ساحتهم من جليل النعمة ترغيبا فى المحبة لطول عمره و الاستمساك بعزره[3] فى نهيـــه و أمره إذ المراد - و الله أعلم - بالاستغفار طلب المغفرة بشرطه من الإيمان و الطاعة ، و عن أبى موسى[4]

١٠ الأشعرى رضى الله عنه أنه كان فى هذه الأمة أمانان ، أما النبى صلى الله عليه و سلم فقد مضى ، و أما الاستغفار فهو كائن فيكم إلى يوم القيامة .

و لما كان هذا ليس نصا فى استحقاقهم العذاب ، قال تعالى عاطفا على ما تقديره : و ليعذبنهم الله إذ هاجرت عنهم و لم يؤمنوا فيستغفروا : ﴿ و ما لهم ﴾ قال أبو حيان : الظاهر أن 'ما' استفهامية ، أى أىّ شيء

١٥ لهم فى انتفاء العذاب ، و هو استفهام معناه التقرير ، أى كيف لا يعذبون و هم متصفون بهذه الصفة[5] المتقضية للعذاب و هى صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام و ليسوا[6] بولاة البيت - انتهى . و تقدير الكلام : و أىّ حظ لهم فى ﴿ الا يعذبهم الله ﴾ أى الذى له كمال العز و العظمة على

(١) فى ظ : فانه (٢) فى ظ : لما (٣) فى ظ : بعزوه (٤) سقط من ظ (٥) وفى البحر المحيط ٤ / ٤٩٠ : الحالة (٦) فى ظ : ليس .

الظالم و الإكرام و الرفق بالطائع عاجلا ﴿ و هم ﴾ أى و الحال / أنهم /٤٢٧
مستحقون للعذاب فهو واقع بهم لا محالة و إن تأخر مدة إبانه و أبطأ
عنهم أوانه وقوعا ينسيهم ما نالوه من اللذات و إن عظم عندهم شأنها
وامتد[1] طويلا زمانها لأنهم ﴿ يصدون ﴾ أى يوجدون الصد ﴿ عن المسجد ﴾
أى من أراد تعظيمه بالصلاة التى وضع المسجد لها و غيرها ﴿ الحرام ﴾ ٥
أى العظيم حرمته عند كل أحد فلا اختصاص به لشخص دون آخر ، أى
شأنهم فعل حقيقة الصد فى الماضى و الحال و المآل ، لا ينفكون عن ذلك ،
كما كانوا يمنعون من شاؤا من دخول البيت و يقولون : نحن ولاته ، نفعل
ما نشاء ، و يصدون المؤمنين عن الطواف به بالتعذيب و الفتنة و صدوا
رسول الله صلى الله عليه و سلم و من معه بالإخراج ثم صدوهم عام الحديبية ١٠
عن الوصول إلى البيت و عام عمرة القضية عن الإقامة بعد الثلاثة الأيام
﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه لم يكن لهم ذلك لأنهم[2] ما ﴿ كانوآ اوليآءه[4] ﴾
أى أهلا لولايته بحيث أن صدهم ربما يقع موقعه؛ روى البخارى فى
التفسير عن أنس رضى الله عنه قال : قال أبو جهل : "اللهم ان كان[3] هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم" ١٥
فنزلت "و ما كان الله ليعذبهم - إلى - عن[3] المسجد الحرام".

و لما نفى عنهم الولاية ، ذكر أهلها فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اوليآؤه ﴾
أى بالاستحقاق ﴿ الا المتقون[4] ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف بما يجعلون

---

(١) فى ظ : امد (٢) من ظ ، و فى الأصل : انهم (٣) سقط من ظ (٤) فى
ظ : المتقين .

بينهم و بين[1] سخط الله من وقايات الطاعات ، لا كل من آمن بل خاصة المؤمنين ، و هم ليسوا كذلك لتلبسهم الآن بالكفر ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ أى ليس[2] لهم علم بالأمور ليميزوا بين الحق و الباطل و المتقى و الفاسق و حسن العواقب و سيئها ، و لعله عبر بالأكثر إعلاما بأن فيهم المعاند ، ٥ و لأنه كان منهم من آمن بعد ذلك فصار من أولى العلم .

و لما كانوا يفعلون عند البيت ما ينزه البيت عنه مما هو غاية فى الجهل ، قال مبينا لجهلهم و استحقاقهم للنكال و بعدهم عن استحقاق ولايته : ﴿ و ما كان صلاتهم ﴾ أى التى [3]ينبغى أن[3] تكون مبنية على الخشوع ، و زاد [ فى - [4] ] التبشيع عليهم بقوله : ﴿ عند البيت ﴾ أى فعلهم ١٠ الذى يعدونه صلاة أو يبدلونها به ﴿ الا مكآء ﴾ أى صفيرا [ يشبه صفير الطير و الدبر بريح الحدث - [4] ] من مكا يمكو [ مكوا - [4] ] و مكاء - إذا صفر بفيه أو شبك أصابعه و نفخ فيها ، [ و مكت الشجرة[5] بريحها : صوتت ، و الدبر بريح الحدث : صوت - [4] ] ؛ قال أبو حيان[6] : و جاء[7] على فعال - أى بالضم - و يكثر فعال فى الأصوات كالصراخ - انتهى . ﴿ وتصدية ﴾ ١٥ أى [ و - [4] ] تصفيقا ، [ كان أهل الجاهلية يطوفون عراة و يصفرون بأفواههم و يصفقون بأيديهم مقصورة ، فيكون تصويتهم ذلك يشبه الذى

---

(١) زيد بعده فى الأصل: ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ : الشجة - كذا ، و يمكن أن يكون : السبخة (٦) راجع النهر من البحر المحيط ٤/ ٤٩١ (٧) زيد بعده فى ظ : مكا .

رجّع الصوت فى المكان الخالى، فهو كناية عن أن صلاتهم لا معنى لها،
و أصله صدد - مضاعف[1] - إذا أعرض و مال مثل التظنى من ظنن - [2] ]،
فهذا لهو لا عبادة و هزء لا جد مع أن الأمر جد و أىّ جد كما قال تعالى
" افمن هذا الحديث تعجبون و تضحكون و لا تبكون و انتم سمدون[3] "
أى و لا تبكون فى حال جدكم بدأبكم فى العمل الصالح، فهذا الذى يعملونه ٥
مناف لحال البيت فهو تخريب لا تعمير، قال مقاتل: كان النبى صلى الله
عليه و سلم إذا صلى فى المسجد قام رجلان من المشركين عن يمينه يصفران
و يصفقان، و رجلان كذلك عن يساره ليخلطوا عليه صلاته، و تقدير
الكلام على قراءة الأعمش: صلاتهم - بالنصب: و ما كان شيء إلا مكاء
و تصدية صلاتهم[4]، فنفى عما يجعلونه صلاة كل شيء إلا المكاء و التصدية، ١٠
فالصلاة مقصورة عليهما بهذا الاعتبار، فقد صارت بهذا الطريق بمعنى
القراءة المشهورة سواء فتأمله فانه نفيس جدا، و خرج عليه الخلاف فى
آية الأنعام " ثم لم تكن فتنتهم[5] " و غيره، و قد مضى هناك ما ينفع هنا،
[ و مما يجب أن يعلم أن هؤلاء لم يذمهم الله لأنه أعلى الذم، بل ذمهم
لكونهم اتخذوا العبادة لعبا لينبه بذلك على ذم من أشبههم فى ذلك، ١٥
فعمد إلى ما هو مباح فى أصله فاتخذه دينا فكيف إذا كان مكروها أم
كيف إذا كان حراما، فقبح الله قوما ادعوا أنهم أعرضوا عن الدنيا
ثم اتخذوا الطبول و الغنى و التصدية شعارهم ثم ضربوا به حتى فعلوه فى

---

(١) فى ظ: مضاف (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سورة ٥٣ آية ٥٩ - ٦١.
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٦ آية ٢٣.

المساجد و زادوا على فعل الجاهلية الرقص الذى ابتدعه قوم السامرى لما عبدوا العجل ، فأخذوا أنواعا من أفعال أنواع من الكفرة و جعلوها عادتهم و شعارهم و ديانتهم ، فلقد انتهكوا حرمات الشريعة و بدلوها و استهانوا بها و استرذلوها - [1] ] .

٥ و لما كان مساق الكلام لبيان استحقاقهم العذاب ، و أنه لا مانع لهم منه وكان قد أوقع بهم فى هذه الغزوة مباديه ، وكانت المواجهة بالتعنيف وقت إيقاع / ما لا يطاق بالعدو إنكاء ؛ قال مسببا عن قبيح ما كانوا يرتكبونه : ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الذى توعدكم الله و الذى[2] رأيتموه ببدر و طلبتموه فى استفتائكم حكم الاستهانة[3] به ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾

١٠ أى إنكم قد صرتم بهذا الفعل أهلا لذوقه بما تسترون مما دلتكم عليه[4] عقولكم من هذا الحق الواضح .

و لما أخبر سبحانه عن أحوال الكفار فى الأعمال البدنية ، وكان غلبهم مع كثرتهم و قوتهم مستبعدا ، أخبر بما يقربه مبينا لأعمالهم المالية فقال : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى مع كثرتهم [ لأنهم - [1] ] ستروا

١٥ مرائى عقولهم التى هى الإنسان بالحقيقة فنقصوا بذلك نقصا لا يدرك كنهه ﴿ ينفقون اموالهم ﴾ أى يعزمون على إنفاقها فيما يأتى ﴿ ليصدوا ﴾ أى بزعمهم أنفسهم و غيرهم ﴿ عن سبيل الله ﴾ [ أى عن سلوك طريق - [1] ] الذى لا يدانى عظمته عظمة مع اتساعه و وضوحه و سهولته ﴿ فسينفقونها ﴾

٤٢٨ /

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : قد (٣) فى ظ : استهانة (٤) من ظ ، و فى الأصل : عليكم .

 أى

أى بحكم قاهر لهم لا يقدرون على الانفكاك عنه ﴿ ثم تكون ﴾ أى بعد إنفاقها بمدة ، و عبر بعبارة[1] ظاهرة فى مضرتها فقال : ﴿ عليهم ﴾ و أبلغ فى ذلك بأن أوقع[2] عليها المصدر فقال : ﴿حسرة ﴾ أى لضياعها و عدم تأثيرها ﴿ ثم يغلبون ﴾ أى كما[3] اتفق لهم فى بدر سواء ، فانهم أنفقوا مع الكثرة و القوة ولم يغن عنهم شىء من ذلك شيئا مما أراد الله بهم ، ٥ بل كان[4] وبالا عليهم ، فانه كان سببا لجرأتهم حتى أقدموا نظرا إلى الحاضر و قصورا عن الغائب كالبهائم فهلكوا ، وكان ذلك قوة للؤمنين فما كان فى الحقيقة إلا لهم ، و هذا الكلام منطبق على ما كان سبب نزول الآية و على كل ما شاكله ، و ذلك أنهم لما قهروا فى بدر قال لهم أبو سفيان : إنه ينبغى أن تنفقوا مال تلك العير - يعنى التى كانت معه - و نحث على ١٠ حرب محمد ، فأجابوا و أنفقوه على غزوة أحد فحصل لهم فيها بعض ظفر ثم تعقبه الحسرة[5] و المغلوبية فى بدر الموعد و كل ما بعدها ؛ ثم أظهر وصفهم الذى استحقوا به ذلك تعليقا للحكم به و تعميما منذرا لهم بما هو أشد من ذلك فقال : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى حكم بدوام كفرهم عامة سواء زادوا على الكفر فعلَ ما تقدم أم لا ﴿ الى جهنم ﴾ أى لا إلى غيرها ، ١٥

و لما كان المنكى هو الحشر ، لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ﴿يحشرون ﴾ أى بعد الموت فهم فى خزى دائم دنيا و أخرى ، و يجوز أن يتجوز بجهنم عن أسبابها فيكون المعنى أنهم يستدرجون بمباشرة أسبابها

(١) من ظ ، وفى الأصل : عبارة (٢) فى الأصل : واقع ، و فى ظ : وقع - كذا .
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : كانوا (٥) فى ظ : الحسر .

إليها و يحملون فى الدنيا عليها ، و هذه الآيات - مع كونها معلمة بما لهم فى الدنيا و ما لهم فى الآخرة من أن آخر أمرهم فى الدنيا الغلب كما كشف عنه الزمان علما من أعلام النبوة و فى الآخرة جهنم - هى مبينة لكذبهم فى قولهم "لو نشاء لقلنا مثل هذا" فانهم لو كانوا صادقين فى دعواهم ٥ لقالوا مثله ثم قالوا : لو كان هذا هو الحق لا غيره لما قلنا مثله ، موضح قولهم " ان كان هذا هو الحق " - إلى آخره ، و أما آية المكاء و التصدية فكأنها[1] تقول : هذا القرآن فى أعلى درج البلاغة و لم تؤهلوا أنتم - مع ادعائكم السبق فى البلاغة - لأن تعارضوه بشيء له أهلية لشيء من البلاغة ، بل نزلتم إلى أصوات الحيوانات العجم حقيقة ، فلا أجلى من هذا البيان ١٠ على ما ادعيتم من الزور و البهتان ، و أما آية الإنفاق فقائلة : لو قدرتم فى معارضته على إنفاق الأقوال لما عدلتم عنه إلى إنفاق الأموال المفضى إلى مقاساة الأهوال و فساد الأشباح و نفوق ما حوت من الأرواح المؤدى إلى الذل السرمد بالعذاب المؤبد .

و لما ذكر حشر الكافرين، ذكر[2] علته فقال / معلقا بيحشرون : /٤٢٩

١٥ ﴿ ليميز الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال بذلك الحشر ﴿ الخبيث من الطيب ﴾ أى إنما جعل للكفار دارا تخصهم و يخصونها لإظهار العدل و الفضل بأن يميز الكافر من المؤمن فَجُعِلَ لكلٍ دارٌ يتميز بها عدلا فى الكافرين و فضلا على المؤمنين ، فيجعل الطيب فى مكان واسع حسن ﴿ و يجعل الخبيث ﴾ أى الفريق المتصف بهذا الوصف ﴿ بعضه على بعض ﴾ و الركم : جمع الشيء

(١) فى ظ ، فكأنه (٢) فى ظ : دلت .

بعضه فوق بعض، فكأن قوله: ﴿ فيركمه جميعا ﴾ عطف تفسير يؤكد الذى قبله فى إرادة الحقيقة مع إفهام شدة الاتصال[1] حتى يصير الكل كالشيء الواحد كالسحاب المركوم، و النتيجة قوله: ﴿ فيجعله فى جهنم ﴾ أى دار الضيق و الغم و التجهم و الهم.

و لما كان هذا أمرا لا فلاح معه، استأنف قوله جامعا تصريحا ٥ بالعموم: ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء البغضاء الذين أفهمهم اسم الجنس فى الخبيث ﴿ هم الخسرون ﴾ أى خاصة لتناهى خسرانهم، لأنهم اشتروا بأموالهم إهلاك أنفسهم [2]بذلك الحشر[2].

و لما بين ضلالهم فى عباداتهم البدنية و المالية، [ و - [3] ] كان فى كثير من العبارات السالفة القطع للذين كفروا بلفظ الماضى ١٠ بالشقاء، كان ذلك موهما لأن يراد من أوقع الكفر فى الزمن الماضى و إن تاب، فيكون مؤيسا من التوبة فيكون موجبا للثبات على الكفر، قال تعالى متلطفا بعباده مرشدا لهم إلى طريق الصواب مبينا المخلص عما هم فيه من الوبال فى جواب من كأنه قال: أما لهم من جبلة يتخلصون بها من الخسارة: ﴿ قل للذين ﴾ أى لأجل الذين ﴿ كفروا ﴾ إنى ١٥ أقبل توبة من تاب منهم بمجرد انتهائه عن حاله ﴿ ان ينتهوا ﴾ أى يتجدد لهم وقتا ما الانتهاء عن مغالبتهم[4] بالانتهاء عن كفرهم فيذلوا لله و يخضعوا لأوامره ﴿ يغفر لهم ﴾ بناه للفعول لأن النافع نفس الغفران و هو

---

(١) فى ظ: الانفصال (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: مقالبتهم.

محو الذنب ﴿ما قد سلف ج﴾ أى مما اجترحوه كائنا ما كان فيمحى عينا و أثرا فلا عقاب عليه و لا عتاب ﴿ و ان ﴾ [ أى و إن - [1] ] يثبتوا على كفرهم [ و - [1] ] ﴿ يعودوا ﴾ أى إلى المغالبة ﴿ فقد مضت سنت ﴾ أى طريقة ﴿ الاولين ﴾ أى وجدت و انقضت و نفذت فلا مرد لها بدليل ٥ ما سمع من أخبار الماضين و شوهد من حال أهل بدر مما أوجب القطع بأن الله مع المؤمنين و على الكافرين ، و من كان معه نصر ، و من كان عليه خذل وأخذ و قسر "كتب الله لاغلبن انا و رسلى [2] " " و لينصرن الله من ينصره [3] " " و العاقبة للتقين [4] " و إن كانت الحرب سجالا .

و لما أشار ختم الآية إلى قتالهم إن أصروا ، وكان التقدير : فأقدموا ١٠ عليهم حيثما [5] عادوكم إقدام [6] الليوث الجريئة غير هائبين كثرتهم و لا قوتهم فان الله خاذلهم ، عطف عليه قوله مصرحا بالمقصود : ﴿ وقاتلوهم ﴾ أى دائما ﴿ حتى لا تكون فتنة ﴾ أى سبب يوجب ميلا عن الدين أصلا ﴿ و يكون الدين ﴾ .

و لما كانت هذه الوقعة قد سرت كتائب هيبتها فى القلوب فوجبت ١٥ أيما وجبت ، فضاقت و ضعفت صدور الكافرين ، و انشرحت و قويت قلوب المؤمنين ؛ اقتضى هذا السياق التأكيد فقال : ﴿ كله لله ج ﴾ أى الملك الأعظم خالصا غير مشوب بنوع خوف أو إغضاء على قذى ، و أصل الفتن : الخلطة المحيلة ، و يلزم ذلك [ أن - [1] ] يكون السبب

---

(١) زيد من ظ (٢) سورة ٥٨ آية ٢١ (٣) سورة ٢٢ آية ٤٠ (٤) سورة ٢٨ آية ٨٣ (٥) فى ظ : حيث (٦) من ظ ، و فى الأصل : فقام .

عظيما لأن الشيء لا يحول عن حاله إلا لأمر عظيم لأن مخالفة المألوف عسرة، و منه النتف، و كذا نفت القدر. و هو أن يغلي المرق فيلزق / بجوانبها، و التنوفة: القفر، لأنه[1] موضع ذلك. و يلزمه الإخلاص، / ٤٣٠ من فتنت الذهب - إذا أذبته فتميز[2] جيده من رديئه. و تارة يكون الميل إلى جهة الرديء و هو الأغلب، و تارة إلى الجيد، و منه "و فتنك ٥ فتونا[3]".

و لما كان لهم[1] حال اللقاء حالان: إسلام و إقبال، و كفر و إعراض و إخلال، قال مبينا لحكم القسمين: ﴿فان انتهوا﴾ أي عن قتالكم[4] بالمواجهة بالإسلام فاقبلوا منهم و انتهوا عن مسهم بسوء و لا تقولوا: أنتم[5] متعوذون بذلك غير مخلصين، تمسكا بالتأكيد بكله، ١٠ فانه ليس عليكم[6] إلا ردهم عن المخالفة الظاهرة. و أما الباطن فالى الله ﴿فان الله﴾ أي المحيط علما و قدرة، و قدم المجرور اهتماما به إفهاما لأن العلم به كالمختص [ به -[7] ] فقال[1]: ﴿بما يعملون[8]﴾ أي و إن دق ﴿بصير ٭﴾ فيجازيهم عليه، و أما أنتم فلستم عالمين بالظاهر و الباطن معا فعليكم قبول الظاهر، و الله بما تعملون أنتم أيضا - من كف عنهم و قتل لله[9] أو لحظّ ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: فيميز (٣) سورة ٢٠ آية ٤٠ (٤) في ظ: قتالهم.
(٥) في ظ: انهم (٦) من ظ، و في الأصل: عليك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و هو ينسجم مع ما يأتي، و في الأصل: تعلمون - بالخطاب، و هي قراءة الحسن و يعقوب و سلام بن سليمان (٩) من ظ، و في الأصل: لهم الله.

نفس - بصير، فيجازيكم على حقائق الأمور و بواطنها و إن أظهرتم للناس ما يقيم عذركم، و يكمل لكل منكم أجر ما كان عزم على مباشرته من قتالهم لو[1] لم ينتهوا، و إن لم ينتهوا بل أقدموا على قتالكم، هكذا كان الأصل، و لكنه سبحانه عبر بقوله: ﴿ و ان تولوا ﴾ أى عن الإجابة تبشيرا لهم
٥ بهزيمتهم و قلة ثباتهم لما ألقى فى قلوبهم من الرعب، و يؤيد ذلك قوله: ﴿ فاعلموٓا ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء ﴿ مولٰكم ﴾ أى متولى[2] أموركم فهو يعمل معكم ما يعمل من يتولى أمر من يحبه من الاجتهاد فى تحصيل ما ينفعه و دفع ما يضره فهو لا محالة ناصركم؛ ثم استأنف مدحه بما هو أهله تعريفا بقدره و ترغيبا فى توليه فقال:
١٠ ﴿ نعم المولى ﴾ و لم يدخل فاء السبب هنا لأن المأمور به العلم، و اعتقاد كونه [ مولى - [3]] واجب لذاته لا لشىء آخر، بخلاف ما فى آخر الحج، فان المأمور هناك الاعتصام ﴿ و نعم النصير ﴾ أى فلا تخافوهم أصلا و إن زادت كثرتهم و قويت شوكتهم فلا تبارحوهم حتى لا يكون إلا كلمة الله.

١٥ و لما كان التقدير: فاذا أعانكم مولاكم عليهم و غلبتموهم و غنمتم فيه فلا تنسبوا إلى أنفسكم فعلا، بل اعلموا أنه هو الفاعل وحده لأن جميع الأفعال متلاشية بالنسبة إلى فعله فلا تتنازعوا فى المغنم تنازع من أخذه بقوته و حازه بقدرته، عطف عليه قوله:

(١) من ظ، و فى الأصل «و» (٢) فى ظ: مولى (٣) زيد من ظ.

و اعلموا

﴿و اعلموآ﴾ ابتداء بهذا الأمر إشارة إلى أن ما بعدها من المهمات ليبذلوا الجهد فى تفريغ أذهانهم لوعيه و تنزيله منازله و رعيه ﴿ انما ﴾ أى الذى ﴿غنمتم﴾ و[1] الغنيمة لغة : الفوز بالشيء ، و شرعا ما دخل فى أيدى المسلمين من مال الكفار قهرا بالخيل و الركاب ، و زاد فى التعميم حتى لأقل ما يمكن بقوله : ﴿من شيء﴾ أى حتى الخيط و المخيط فانه كله له ، لأنه هو الناصر ٥ وحده و إنما أنتم آلة لا قدرة[2] لكم على مقاومة الأعداء لأنهم جميع أهل الأرض و لا نسبة لكم منهم فى عدد و لا قوة أصلا ، فالجارى على منهاج العدل المتعارف عندكم أن يأخذه كله و لا يمكنكم من شيء منه كما كان فيمن قبلكم ، يعزل فتنزل نار من السماء فتأكله ، و لكنه [ سبحانه - [3] ] علم ضعفكم فمنّ عليكم به و رضى منكم منه بالخمس ، فسماه لنفسه و رده ١٠ عليكم ، و هو معنى قوله : ﴿ فان لله ﴾ أى الذى له كل شيء ﴿خمسه ﴾ .

و لما كان من المعلوم أن الله تعالى [ أجلّ - [3] ] من أن يناله نفع أو ضر ، كان من المعلوم أن ذكر اسمه سبحانه إنما هو للاعلام بأن إسلام هذا الخمس و التخلى عنه لا حظ للنفس فيه ، و إنما هو لمحض الدين تقربا إليه سبحانه ، فذكر مصرفه بقوله : ﴿و للرسول﴾ أى يصرف إليه خمس هذا ١٥ الخمس ما دام حيا ليصرفه فى مصالح المسلمين ، و يصرف بعده / إلى القائم / ٤٣١ مقامه ، يفعل فيه ما كان صلى الله عليه و سلم يفعله ﴿ و لذى القربى ﴾ أى من الرسول ، و هم الآل الذين تحرم عليهم الزكاة : بنو هاشم و بنو المطلب ﴿ و اليتمى ﴾ أى لضعفهم ﴿و المسكين ﴾ لعجزهم ﴿و ابن السبيل ﴾ أى المسافر لأن الأسفار مظنات الافتقار ، فالحاصل أنه سبحانه لم يرزأكم من ٢٠

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : قدر (٣) زيد من ظ .

المغنم شيئا، فاعرفوا فضله عليكم أولا بالإنعام بالنصر، و ثانيا بحل المغنم، و ثالثا بالإمكان من الأربعة الأخماس، و رابعا برد الخمس[1] الخامس فيكم، فاشتغلوا بشكره فضلا عن أن تغفلوا عن ذلك فضلا عن أن تتوهموا أن بكم فعلا تستحقون به شيئا فضلا عن أن تفعلوا من المنازعة في المغنم فعل[2]

٥ القاطع بالاستحقاق، اعلموا ذلك كله علم المصدق المؤمن المذعن لما علم لتنشأ عنه ثمرة العمل ﴿ ان كنتم ﴾ صادقين في أنكم ﴿ امنتم بالله ﴾ أي الذي لا أمر لأحد معه ﴿ و مآ ﴾ أي و بالذي ﴿ انزلنا ﴾ أي إنزالا واحدا[3] سريعا لأجل التفريج عنكم من القرآن و الجنود و السكينة في قلوبكم و غير ذلك مما تقدم وصفه ﴿ على عبدنا ﴾ أي الذي يرى دائما[4] أن الأفعال

١٠ كلها لنا فلا ينسب لنفسه شيئا إلا بنا ﴿ يوم الفرقان ﴾ أي يوم بدر الذي جعلنا لكم فيه عزا ينفذ[5] به أقوالكم و أفعالكم في فصل الأمور.

و لما وصفه سبحانه بالفرقان تذكيرا لهم بالنعمة، بينه بما صور حالهم فيه إتماما لذلك - أو أبدل منه - فقال: ﴿ يوم التقى ﴾ أي عن غير[6] قصد من الفريقين بل بمحض تدبير الله ﴿ الجمعٰن ﴾ أي اللذان أحدهما أنتم

١٥ و كنتم حين التراثى - لو لا فضلنا - قاطعين بالموت، و ثانيهما أعداؤكم و كانوا على اليقين بأنكم في قبضتهم، و ذلك هو الجاري على مناهج[7] العوائد، و لو قيل: يوم بدر، لم يفد هذه الفوائد.

و لما كان[6] انعكاس الأمر في النصر محل عجب، ختم الآية بقوله:

---

(١) من ظ، و في الأصل: الاخماس (٢) من ظ، و في الأصل: فقال (٣) زيد بعده في ظ: وهذا (٤) تأخر في ظ عن «الأفعال كلها» (٥) في ظ: تنفذ.
(٦) سقط من ظ (٧) في ظ: مناهيج.

﴿ و الله على كل شیء ﴾ أى من نصر القليل على الكثير و عكسه و غير ذلك من جميع الأمور ﴿ قدير ﴾ فكان ختمها بذلك كاشفا للسر و مزيلا للعجب و مبينا أن ما فعل هو الجارى على سنن سنته المطرد فى قديم عادته عند من يعلم أيامه الماضية فى جميع الأعصر الخالية.

و لما ذكر لهم يوم ملتقاهم، صور لهم حالتهم الموضحة للأمر المبينة[1] ٥ لما كانوا فيه من اعترافهم بالعجز تذكيرا لهم بذلك ردعا عن المنازعة و ردا إلى المطاوعة فقال مبدلا من "يوم الفرقان" ﴿ اذ انتم ﴾ نزول ﴿ بالعدوة الدنيا ﴾ أى القربى [ إلى -[2] ] المدينة ﴿ و هم ﴾ أى المشركون نزول ﴿ بالعدوة القصوى ﴾ أى البعدى منها القريبة إلى البحر، و القياس قلب واوه ياء، و قد جاء كذلك إلا أن هذا أكثر[3] كما كثر[3] استصوب ١٠ و قل استصاب، و العدوة - بالكسر فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و يعقوب، و بالضم فى قراءة غيرهم[4]: جانب الوادي و شطه، و مادتها - بأى ترتيب كان - تدور على الاضطراب و يلزمه[5] المجاورة و السكون و الإقبال و الرجوع و الاستباق و المحل القابل لذلك، [6]فكأنها الموضع[6] الذى علا عن محل فكان السيل موضعا للعدو ﴿ و الركب ﴾ أى العير ١٥ الذى فيه المتجر الذى خرجتم لاقتطاعه و رئيس جماعته أبو سفيان، و نصب

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) و بالفتح أيضا فى قراءة الحسن و قتادة و زيد بن على و عمرو بن عبيد (٥) من ظ، و فى الأصل: يلزم (٦-٦) فى ظ: فانها المرجع.

على الظرف قوله : ﴿ اسفل منكم ﴾ أى أيها الجمعان إلى جانب البحر على مدى من قرية تكادون تقعون عليه و تمدون أيديكم إليه مسافة ثلاثة أميال[١] - كما قال البغوى ، و هو كان قصدكم و سؤلكم ، فلو كانت لكم قوة على طرقه لبادرتم إليه الطرف و غالبتم عليه الحتف ، و لكن منعكم[٢] من ٥ إدراك مأمولكم منه من كان جاثما بتلك العدوة جثوم الأسد واثقا بما هو فيه من القوى و العدد كما قال صلى الله عليه و سلم لسلمة بن سلامة بن وقش رضى الله عنه - لما قال فى تحقيرهم بعد قتلهم /و تدميرهم : إن وجدنا ٤٣٢/ إلا عجائز صلعا ، ما هو إلا أن لقيناهم[٣] فنحونا أكتافهم - جوابا له « أولئك يا ابن أخى الملأ لو رأيتهم لهبتهم و لو أمروك لأطعتهم » مع استضعافكم ١٠ لأنفسكم عن مقاومتهم لولا رسولنا يبشركم و جنودنا تثبتكم. [٤]و إلى مثل هذه المعانى أشار تصوير مكانهم و مكان الركب إيماء إلى ما كان فيه العدو من قوة الشوكة و تكامل العدة و تمهد أسباب الغلبة و ضعف حال المسلمين و أن ظفرهم فى مثل هذا الحال ليس إلا صنعا من الله[٤] ، و ما فى البيضاوى تبعا للكشاف من أن العدوة الدنيا كانت تسوخ فيها الأقدام ١٥ و لا ماء بها تقدم رده أول السورة بأن المشهور فى صحيح مسلم [ والسير -[٥] ] و غيرها أن المؤمنين هم السابقون إلى الماء ، و أن جميع أرض ذلك المكان كانت رملا تسوخ فيه الأقدام ، فأتى المسلمين[٦] به من المطر ما لبد لهم الأرض ،

---

(١) من ظ و معالم التنزيل ٣/٣٠ ، و فى الأصل : ايام (٢) فى ظ : منعتم . (٣) فى ظ : لقينا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : المسلمون .

و أتى المشركين منه ما لم يقدروا معه على الحركة ﴿ و لو تواعدتم ﴾ أى أنتم و هم على الموافاة إلى تلك المواضع فى آن واحد ﴿لاختلفتم فى الميعد لا﴾ أى لأن العادة[1] قاضية بذلك لأمرين: أحدهما بعد المسافة التى كنتم بها [ منها - [2] ] و تعذر توقيت سير كل فريق بسير صاحبه ، و الثانى كراهتكم للقائهم لما وقر[3] فى أنفسكم من قوتهم و ضعفكم ، و قد كان الذى كرّه ٥ إليكم لقاءهم قادر على أن يكره إليهم لقاءكم ، فيقع الاختلاف من جهتهم كما كان فى بدر الموعد ، و أما فى هذه الغزوة فدعاهم من حماية غيرهم داع لم يستطيعوا التخلف معه ، و طمس الله بصائرهم و قسى قلوبهم مع قول أبى جهل الذى كان السبب الأعظم فى اللقاء لمن عرض عليه المدد بالسلاح و الرجال[4]: إن كنا نقاتل الناس فما بنا ضعف عنهم ، ١٠ و إن كنا إنما نقاتل - كما يزعم محمد - الله فما لأحد بالله من طاقة ، و قوله أيضا فى هذه[5] الغزوة للأخنس بن شريق : إن محمدا صادق و ما كذب قط ، فعل الله ذلك لما علم فى ملاقاتهم لكم من إعلاء كلمته و إظهار دينه ﴿ و لكن ﴾ أى دبر ذلك سبحانه حتى توافيتم إلى موطن[6] اللقاء كلكم فى يوم واحد من[7] غير ميعاد و لم تختلفوا [8]فى موافاة[8] ذلك الموضع مع ١٥ خروج ذلك عن العادة [ لكونه أتقن أسبابه ، فأطمعكم فى العير أولا مع ما أنتم فيه من الحاجة ثم وعدكم إحدى الطائفتين مبهما و أخرج قريشا لحماية عيرهم إخراجا لم يجدوا منه بدا ، و لما نجت عيرهم أوردهم الرياء و السمعة

---

(١) فى ظ : العادية (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : قفر (٤) فى ظ : الرجال (٥) فى ظ : عدة (٦) من ظ ، وفى الأصل : مواطن (٧) فى ظ : عن (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و البطر بما هم فيه من الكثرة و القوة كما قال أبو جهل: لا نرجع حتى
نرد بدرا فننحر بها الجزور و نشرب الخمور و تعزف علينا القيان و نطعم
من حضرنا من العرب فلا يزالون يهابوننا مدى الزمان - [1] ﴿ليقضى الله﴾
أى الذى له جميع الأمر من إعزاز دينه باعزازكم و إذلالهم ﴿امرا كان﴾
٥ كما تكون الجبلات و الطبائع فى التمكن و التمام ﴿مفعولا ۙ﴾ أى مقدرا
فى الأزل من لقائهم[2] و ما وقع فيه من قتلهم و أسرهم على ذلك الوجه
العظيم فهو مفعول لا محالة ليتبين به إيمان من آمن باعتماده على الله
و تصديقه بموعده[3] و كفر من كفر.

و لما علل ذلك التدبير فى اللقاء بقوله "ليقضى [الله" - [1]]، علل
١٠ تلك العلة بقوله: ﴿ليهلك﴾ أى بعد رؤية ذلك القضاء الخارق للعادة
﴿من هلك﴾ أى من الفريقين[4]: الكفار فى حالة القتال و بعدها، و المسلمين
هلاكا متجاوزا [و - [1]] ناشئا ﴿عن﴾ حالة ﴿بينة﴾ لما بان من
صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم فى هذه الوقعة فى كل ما وعد به
و كذب الكفار فى كل ما كانوا يقولونه قاطعين به مع أن ظاهر الحال
١٥ يقضي لهم، فكان ذلك من أعظم المعجزات ﴿و يحيي من حىّ﴾ أى
بالإسلام حياة هى فى أعلى الكمال بما تشير إليه قراءة نافع و البزى عن
ابن كثير و أبى بكر عن عاصم باظهار اليائين، أو فى أدنى الكمال بما يشير

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: لقايكم (٣) فى ظ: موعوده (٤) من ظ، و فى الأصل: فريقى.

إليه إدغام الباقين تخفيفا حياة متجاوزة و ناشئة ﴿ عن ﴾ حالة ﴿ بينة[1] ﴾ أى كائنة بعد البيان فى كون الكافرين على باطل و المؤمنين على حق لما سيأتى من أنهم كانوا يقولون "غر هؤلاء دينهم" فحينئذ تبين المغرور وكشفت[1] عجائب المقدور عن أعين القلوب المستور .

و لما كان التقدير : فان الله فى فعل ذلك لعزيز حكيم ، عطف عليه د قوله / : ﴿ و ان الله لسميع ﴾ أى لما كنتم تقولونه [ و غيره - [2] ] ﴿ عليم ﴾ بما كنتم تضمرونه و غيره فاستكينوا لعظمته و ارجعوا عن منازعتكم لخشيته ، ثم أتم سبحانه تصوير[3] حالتهم بقوله مبينا ما أشار إليه من لطف تدبره : ﴿ اذ ﴾ أى اذكر إذ أردت علم ذلك حين ﴿ يريكهم الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال فهو يفعل ما يشاء ﴿ فى منامك قليلا ﴾ تأكيدا ١٠ لما تقدم إعلامه به من أن المصادمة ـ فضلا عما نشأ عنها ـ ما كان إلا منه و أنهم كانوا كالآلة التى لا اختيار لها ، و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم رآهم فى منامه قليلا فحدث أصحابه رضى الله عنهم بذلك فاطمأنت قلوبهم و شجعهم ذلك ؛ و عين ما كان يحصل من الفساد لولا ذلك فقال : ﴿ و لو ارىكهم ﴾ أى فى منامك أو غيره ﴿ كثيرا ﴾ . ١٥

و لما كان الإخبار بعد الوقعة بضد ما وقع فيها مما يقتضى طبع البشر التوقف فيه ، أكد قوله : ﴿ لفشلتم ﴾ أى جبنتم ﴿ و لتنازعتم ﴾ أى اختلفتم فنزع[4] كل واحد منزعا خلاف منزع صاحبه ﴿ فى الامر ﴾ أى فوهنتم فزادكم ذلك ضعفا وكراهة للقائهم ﴿ و لكن الله ﴾ أى الذى

/ ٤٣٣

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : كشف (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : نزع .

أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿ سلم[1] ﴾ أى و لكن لم يركهم كذلك لحصلت السلامة عما كان يتسبب عنها من النكوص ؛ ثم بين العلة فى ترتيبه ذلك و إخباره بهذا الأمر المفروض بقوله : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدور ﴾ أى ضمائرها من الجراءة و الجبن و غيرهما

٥ قبل خطورها فى القلوب .

و لما بين ما نشأ عن رؤيته صلى الله عليه و سلم من قلتهم[1] و ما كان ينشأ عن رؤيته الكثرة لو وقعت ، لأنه صلى الله عليه و سلم - لما[2] هو عليه من النصيحة و الشفقة - كان يخبرهم بما رأى كما أخبرهم فى غزوة أحد بالبقر[3] المذبحة ؛ أتبعه ما فعل من اللطف فى رؤيتهم بأنفسهم يقظة فقال :

١٠ ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا أيضا إذ ﴿ يريكموهم ﴾ أى يبصركم إياهم ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ التقيتم ﴾ و نبه على[4] أن الرؤية ليست على حقيقة ما هم عليه بقوله : ﴿ فى اعينكم ﴾ أى لا فى نفس الأمر حال كونهم ﴿ قليلا ﴾ أى عددهم يسيرا أمرهم مصدقا[5] لما أخبركم به النبي[4] صلى الله عليه و سلم عن رؤياه لتجترئوا عليهم[6] ؛ روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال :

١٥ لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبى : أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة ، فأسرنا رجلا منهم فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا . قال الحرالى[7] فى آل عمران : فجعل القليل وصفا لهم لازما ثابتا دائما عليهم بما أوجب فيهم من نقص ذواتهم بخفاء فطرتهم و ما وراء خلق الفطرة

(١) فى ظ : قتلهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : كما (٣) فى ظ : بالبقرة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مصداقا (٦) فى ظ : عنهم (٧) العبارة من هنا إلى « قال الحرالى » ساقطة من ظ .



من

من الذوات ، قال تعالى: ﴿و يقللكم﴾ صيغة فعل واقع وقت لا وصفا لهم من حيث أنه لو أراهم إياهم على الإراءة الحقيقية لزادهم مضاعفين بالعشر ، فكانوا يرونهم ثلاثة آلاف و مائتين و ثلاثين - انتهى . ﴿فى اعينهم﴾ قبل اللقاء ليجترئوا على مصادمتكم حتى قال أبو جهل : إنما هم أكلة جزور ، ثم كثركم فى أعينهم حين المصادقة حتى انهزموا حين فاجأتهم الكثرة فظنوا الظنون ؛ ٥ قال الحرالى : قللهم حين[1] لم يرهم إياهم على [ الإراءة - [2] ] الحقيقية العشرية ، و لا أراهم إياهم على الصورة[3] الحسية ؛ فكان ذلك آية للمؤمنين على قراءة ياء الغائب - أى فى آل عمران[4] - و كانت آية للكفار على قراءة "ترونهم" - بتاء الخطاب ، فكان فى ذلك فى إظهار الإراءة فى أعين الفئتين نحو ما كان من الإراءتين الواقعة بين موسى عليه السلام و السحرة فى ١٠ أن موسى عليه السلام و من معه خيل إليهم من سحرهم أنها تسعى و أن فرعون و من معه / رأوا ثعبانا مبينا يلقف[5] ما يأفكون رؤية حقيقة ، ٤٣٤ / فتناسب ما بين[6] الآيات الماضية القائمة لهذه الآية[7] بوجه ما ، و كانت هذه الآية أشرف و ألطف بما هى فى مدافعة بغير آلة من عصى و لا حبل فى ذوات الفئتين و إحساسهم - انتهى . ١٥

و لما ذكر ما أحاله سبحانه من إحساس الفئتين ، علله بقوله : ﴿ليقضى الله﴾ أى الذى له العزة البالغة و الحكمة الباهرة من نصركم و خذلانهم بأن تفاجئهم كثرتكم بعد رؤيتكم قليلا فيشجعهم ذلك ، و يهزمهم

---

(١) فى ظ : حتى (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تصور (٤) راجع آية ١٣ منها (٥) فى ظ : يتلقب (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الامه .

﴿ امرا كان مفعولا ﴾ أى من إعجالهم ـ بما لجمعهم من الكثرة بعد القلة ـ عن الحذر و الاستعداد لذلك [ و ـ[1] ] بما فعل بأيديكم فى هذه الغزوة من القتل و الأسر و الهزيمة المثمر لذل جميع أهل الكفر، كان مقدرا فى الأزل فلا بد من وقوعه على ما حده لأنه لا راد لأمره و لا يبدل القول ٥ لديه ، فعل ذلك كله وحده .

و لما كان التقدير : فبيده سبحانه ابتداء الأمور بتقديره إياها فى الأزل لا بيد أحد غيره ، عطف عليه قوله : ﴿ و الى الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى بيده وحده كل أمر ﴿ ترجع الامور ﴾ أى[2] كلها فلا ينفذ إلا ما يريد إنفاذه ، فلا تجرى الأمور على ما يظنه العباد ، و هو من قولك : ١٠ هذا الأمر راجع[3] إليك ، أى مهما أردته فيه مضى ، و لو فرض أن غيرك[4] عالجه لم يؤثر فيه ؛ و لا يزال كذلك حتى يرجع إليك فيمضى ، فالحاصل أن فيه قوة الرجوع بهذا الاعتبار و إن لم يكن هناك رجوع بالفعل ، و فى هذا تنبيه على أن أمور الدنيا غير مقصودة لذواتها ، و إنما المراد منها ما يصلح أن يكون زادا ليوم المعاد . و لما[5] تقرر ذلك و تم ١٥ على هذا السبيل الأحكم و المنهاج الأقوم ، كان علة لمضمون قوله : ﴿ يايها الذين امنوا ﴾ الآيتين ، فكانتا نتيجته ، لأنه إذا علم أن الأمر كله له ولا أثر لقلة و لا كثرة أثمر لمن هو فى أدنى درجات الإيمان فضلا عن غيره قلة المبالاة بالظالمين و إن تجاوزت قواهم الحد ، و زادوا كثرة على

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يراجع (٤) فى ظ : غيره (٥) زيد فى ظ : كان .

العد، و الآيتان تذكرانهم[1] بحالتهم التى أوجبت نصرهم ليلزموها فى كل معترك و لا يتنازعوا كما تنازعوا[2] فى المغنم ﴿اذا لقيتم﴾ أى قاتلتم لأن اللقاء اسم للقتال غالب ﴿فئة﴾ أى [ طائفة - [3] ] مستحقة للقتال [ كما أغنى عن وصفها بذلك وصفهم بالإيمان - [3] ] ﴿فاثبتوا﴾ أى فى لقائها بقتالها كما ثبتم فى بدر و لا تحدثوا أنفسكم بفرار ﴿و اذكروا الله﴾ أى ٥ الذى له كل كمال فكل شيء يطلب فهو عنده يوجد ﴿كثيرا﴾ أى كما صنعتم ثمّ، لأن ذلك أمارة الصدق فى الاعتماد عليه وحده، و ذلك موجب للنصر لا محالة كما فى الحديث القدسى «إن عندى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه».

و لما أمر بذلك، علله بأداة الترجى، ليكون أدل على أنه سبحانه ١٠ لا يجب عليه شيء فيكون أثبت للايمان فقال: ﴿لعلكم تفلحون ج﴾ أى لتكونوا على رجاء من الفلاح و هو الظفر بالمراد من[4] النصر و الأجر و كما كنتم إذ ذاك ﴿و اطيعوا الله﴾ أى الذى له الغنى المطلق فلا يقبل إلا الخالص و الكمال الأكمل فلا يفعل [ إلا - [3] ] ما يريد ﴿و رسوله﴾ أى فى الإقدام و الإحجام لجهلكم بالعواقب، و تلك الطاعة أمارة إخلاصكم ١٥ فى الذكر ﴿و لا تنازعوا﴾ بأن يريد كل واحد نزع ما لصاحبه من رأى و غيره و إثبات ما له، و أشار إلى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المرة فقال: ﴿فتفشلوا﴾ أى تضعفوا؛ قال فى القاموس: فشل كفرح،

(١) فى ظ: تذكيرا لهم (٢) من ظ، و فى الأصل: يتنازعوا (٣) زيد من ظ.
(٤) فى ظ: و هو.

فهو فشل : كسل و ضعف و تراخى و جبن - انتهى . و المادة راجعة إلى الفيشلة و هى الحشفة ، و من لازمها الرخاوة و ينشأ عن الرخاوة[1] الجبن مع الصلف و الخفة و الطيش .

و لما كان الفشل ربما كان معه / الظفر لفشل فى العدو أكثر منه ٤٣٥ / أو غير ذلك ، عطف ما يلزمه غالبا بالواو دون الفاء فقال: ﴿و تذهب[2] ريحكم﴾ أى غلبتكم و قوتكم ، و أصله أن الريح إذا كانت فى الحرب من جهة صف كانت فى وجوه أعدائهم فمنعتهم بما يريدون فخذلوا فصارت كأنها قوة من أتت من عنده ، فصارت يكنى بها عنها ؛ ثم ختم هذه الأسباب بالجامع لشملها الناظم[3] لمقاصد أهلها فقال : ﴿و اصبروا ﴾ أى على ما يكون من تلك المشاق فانكم إن تكونوا تألمون فان أعداءكم كذلك ، و أنتم ترجون من الله ما لا يرجون ؛ ثم علله بما يكون عنه النصر فى الحقيقة فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ مع الصّٰبرين ﴾ أى لأنهم لا يصبرون إلا اعتمادا عليه ، و من كان معه عز ، و هذه الجملة جمع فيها - كما قال الإمام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية فى آخر كتاب[4] الفروسية المحمدية - تدبير الحروب أحسن جمع على أتم وجه ، فأمر فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت قط فى فئة إلا انتصرت و إن قلت فى جنب عدوها ، و خامسها ملاك ذلك و قوامه و أساسه و هو الصبر ، فعلى هذه الدعائم الخمس تبنى قبة النصر ، و متى زالت

(١) فى ظ : الرخاو (٢) فى ظ : يذهب ، و هذه أيضا قراءة (٣) فى ظ : الناظر .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : كتب .



أو

أو بعضها زال من النصر بحسبه، و إذا اجتمعت قوى بعضها بعضا
و صار لها أثر عظيم، لما اجتمعت فى الصحابة رضى الله عنهم لم تقم لهم
أمة من الأمم، ففتحوا البلاد شرقا و غربا و دانت لهم العباد سلما
و حربا، و لما تفرقت فيمن بعدهم و ضعفت آل الأمر قليلا قليلا إلى
ما ترى - فلا قوة إلا بالله، و الجامع لذلك كله طاعة الله و رسوله فانها ٥
موجبة لتأييد المطيع بقوة من هو فى طاعته، و ذلك [١]سر قول أبى الدرداء
رضى الله عنه الذى رواه البخارى فى باب «عمل صالح قبل القتال[١]»:
إنما تقاتلون الناس بأعمالكم؛ و هو شرع قديم، قال فى أثناء السفر
الخامس من التوراة: و[ إن - [٢] ] أنتم سمعتم قول الله ربكم و تحفظتم[٣]
و عملتم بكل هذه الوصية التى آمركم[٤] بها اليوم يبارك عليكم[٥] الله ربكم كما ١٠
قال لكم[٦]، و[٧] ترزقون إن تقرضوا شعوبا كثيرة[٨] و لا تقرضون،
و تسلطون على شعوب كثيرة و لا يتسلطون عليكم.

و لما ذكرهم سبحانه ما أوجب نصرهم آمرا لهم بالثبات عليه، ذكر لهم
حال أعدائهم الذى أوجب قهرهم ناهيا عنه تعريضا بحال المنازعة فى
الأنفال و أنها حال من يريد الدنيا، و يوشك - إن تمادت - أن تجر إلى مثل ١٥
حال هؤلاء الذين محط نظرهم الدنيا فقال: ﴿و لا تكونوا﴾ أى يا معشر

---

(١-١) من ظ، و فى الأصل: من قوله صلى الله عليه وسلم (٢) زيد من ظ.
(٣) من ظ، و فى الأصل: تحفظكم (٤) فى ظ: امرهم (٥) تأخر فى الأصل عن
«الله» والترتيب من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: او (٨) فى
ظ: كثيرا.

المؤمنين ﴿ كالذين ﴾ و صور قبح عملهم من أوله إلى آخره فقال : ﴿ خرجوا من ديارهم ﴾ أى كل واحد من داره و هم أهل مكة ، و كل من عمل مثل عملهم كان مثلهم ، و لذا عبر بالوصف ليعم ﴿ بطرا ﴾ أى طغيانا[1] و تكبرا على الحق ، و مادة بطر - بأىّ ترتيب اتفق - تدور على ٥ اللين القابل للعمل حتى ربط ، فانه لو لا الضعف ما استوثق من المربوط ، و منه بطر[2] الجرح - و هو شقه - و البيطار . و تارة يكون ذلك اللين عن دهش . و منه أبطرت حلمه أى أدهشته عنه ، و ذهب دمه بطرا أى باطلا للضعف عنه للحيرة فى الأمر[3] الموصل إليه ، و تارة يكون[4] عن مجاوزة الحد فى الصلابة ، و منه بطر النعمة - إذا لم يشكرها فتجاوز الحد ١٠ فى المرح ، فان فاعل ذلك يمكنه الحكيم من مقاتله فيأخذه و هو يرجع الى عدم احتمال القوى للشكر ، ففاعل ذلك ضعيف و إن ظهر منه خلاف ذلك كما قال عمر رضى الله عنه : العدل و إن رئى لينا أكف عن الظلم من الجور و إن رئى شديدا - أو كما قال رضى الله عنه . و أقرب من ذلك أن تكون المادة دائرة / على الخاطئة[5] النافلة من حال ١٥ إلى حال .

و لما ذكر الحامل لهم على الخروج من أنفسهم ، ذكر ما أوجبه [ لهم -[6] ] من غيرها فقال : ﴿ و رئاء الناس ﴾ أى خرجوا يرون الناس

(١) من ظ ، و فى الأصل : طعنا (٢) من ظ ، وفى الأصل : بطرح (٣) فى ظ : الأصل (٤) فى ظ : تكون (٥) من ظ ، وفى الأصل : الخليطة (٦) زيد من ظ .

خروجهم و ما يتأثر عنه ليروهم ما يقولون[1] فيه، فانهم لما قيل[2] لهم: قد نجى الله عيركم فارجعوا، بطروا النعمة تبعا لأبي جهل حيث قال[3]: و الله لا نرجع حتى نرد بدرا فنشرب الخمور و ننحر الجزور و تعزف علينا القيان فتسمع بنا العرب فلا تزال تهابنا أبدا! فسقوا مكان الخمر كؤس المنايا الحمر، و ناحت عليهم نوائح الزمان مكان العزف و القيان. ٥

و لما ذكر نفس الخروج و ما فيه من الفساد و ذكر ثمرته الخبيثة الناشئة عن ذينك الخلقين، و عبر عنهما بالاسم إشارة إلى الثبات كما هو شأن الأخلاق، و عن الثمرة بالمضارع تنبيها على أنهم لا يزالون يجددونها فقال: ﴿ و يصدون ﴾ أي يوجدون الصد و هو المنع لأنفسهم و غيرهم ﴿ عن سبيل الله[4] ﴾ أي الملك الأعظم في ذلك الوجه و هم عازمون على ١٠ تجديد ذلك في كل وقت. فلما كانت هذه مقاصدهم كان نسجهم هلهلا و بنيانهم واهيا، فانها من عمل الشيطان، و كل عمل لا يكون لله إذا صدم بما هو لله اضمحل، بذلك سبحانه أجرى سنته و لن تجد لسنته تحويلا، فان العاملين عبيد الله ﴿ و الله ﴾ أي فعلوا ذلك و الحال أن المحيط بكل شيء الذي عادوا[4] أولياءه ﴿ بما ﴾ أو يكون ذلك معطوفا على ما تقديره: ١٥ فأبطل الله بجلاله و عظمته أعمالهم و هو بكل ما ﴿ يعملون محيط ﴾ فهم في قبضته، فأوردهم - إذ خرجوا يحادونه - بدرا فنحر مكان الجزور رقابهم و سقاهم مكان الخمور[5] كؤس المنايا، و أصاح عليهم مكان القيان صوائح [النوائح -[6]]، و لعله قدم الجار إشارة إلى أنه لشدة إحاطته بأعمالهم كأنه

---

(١) من ظ، و في الأصل: تقولون (٢) في ظ: فيه (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: عادى (٥) في ظ: الخمر (٦) زيد من ظ.

لا نظر له إلى غيرها فلا شاغل له عنها .

و لما بين لهم فساد أعمالهم لفساد نياتهم تنفيرا منها ، زاد فى التنفير بالإشارة إلى الأمر بدوام تذكرها بعاطف على غير معطوف عليه مذكور فقال : ﴿ و اذ ﴾ فعلم أن التقدير قطعا : اذكروا ذلك و اذكروا إذ ، و زاد فى
٥ التنفير بذكر العدو المبين و التنبيه على أن كل ما يأمر به إنما هو خيال لا حقيقة له [ كما - [1] ] كان ما سول لهم فى[2] هذا الأمر فقال : ﴿ زين لهم الشيطن ﴾ أى العدو المحترق البعيد من الخير ﴿ اعمالهم ﴾ [ التى أتقنوها بزعمهم فى معاداة النبي صلى الله عليه و سلم - [1] ] ، و ذلك أنه تبدى لهم فى صورة[3] سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى حين خافوا من قومه بنى كنانة أن يخلفوهم
١٠ فى أهليهم[4] بسوء لما كان بينهم مما يوجب ذلك ، فكاد ذلك أن يثبطهم عن المسير ﴿ و قال ﴾ غارّا لهم فى أنفسهم ﴿ لا غالب لكم ﴾ و الجار خبر 'لا' و إلا لا انتصب اسمها لكونه يكون إذ ذاك شبيها بالمضاف ﴿ اليوم من الناس ﴾ و غارا لهم فيمن خلفوه بقوله : ﴿ و انى جار لكم ج ﴾ من أن تخلفكم كنانة بشيء تكرهونه ، و سار معهم إلى بدر [5] ينشطهم
١٥ و[5] ينشدهم و يسلطهم[6] بهذا القول الظاهر إلى [ ما - [1] ] يوسوس لهم به فى الصدور ﴿ فلما ترآءت الفئتن ﴾ أى رأت كل فئة الأخرى و رأى جبريل عليه السلام فى [7] جنود الله[7] ﴿ نكص ﴾ أى رجع يمشى القهقرى و بطل كيده و آثار وسوسته ﴿ على عقبيه ﴾ أى إلى ورائه[8] ، فقالوا :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اهلهم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يشدهم و يبسطهم (٧ - ٧) فى ظ : جنوده (٨) فى ظ : وراه .



أين

أين أي[1] سراق؟ و لا يظنونه إلا سراقة ، فمر و لم يجبهم و لا عرج عليهم ﴿ و قال ﴾ أي بلسان الحال أو القال و هم يسمعونه أو لا يسمعونه ﴿ اني بريء منكم ﴾ ثم علل براءته منهم بقوله : ﴿ اني ارى ﴾ أي بعين بصري ﴿ ما لا ترون ﴾ أي من الملائكة و الغضب الذي هو[2] نازل بكم ، فقال له الحارث بن هشام و كانت يده في يده : و الله[3] ما نرى إلا جواسيس ٥ يثرب ! فاستأنف قوله مؤكدا لإنكارهم لذلك : ﴿ اني اخاف الله ﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة و علما أن يهلكني معكم بالمعاجلة بالعقاب ﴿ و الله ﴾ أي الملك الأعظم ﴿ شديد العقاب ﴾ فكانوا يقولون : انهزم / بنا سراقة ، فقال : بلغني أنكم تقولون كذا ! و الله ما علمت بمسيركم هذا[2] إلا عند ما بلغني انهزامكم فكانوا يكذبونه حتى أسلموا فعلموا أن الذي ١٠ غرهم الشيطان ، و ذلك مشهور في السير ، و هو أولى من أن يحمل على مجرد الوسوسة ، و في الحديث « ما رئي إبليس يوما أصغر و لا أحقر و لا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رئي[4] يوم بدر » .

/ ٤٣٧

و لما استوفى ما كان يقطع به[3] في حق أولئك مما هو من أنفسهم و مما هو من تزيين الشيطان ، أبدل منه ما كان يقطع به[3] في حقهم هم ١٥ من أهل الجهل بالله و بأيامه الماضية و آثاره عند أوليائه و أعدائه فقال : ﴿ اذ يقول المنفقون ﴾ أي من العرب و بني إسرائيل قولا يجددونه كل وقت لما لهم فيه من الرغبة ﴿ و الذين في قلوبهم مرض ﴾ أي من

(١) في ظ : ابي (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ وموطأ الإمام مالك ـ جامع الحج ، و في الأصل : يرى .

لم[1] يرسخ الإيمان فى قلبه ممن آمن و لم يهاجر أو من اليهود المصارحين بالكفر حين يرون الكفار و قوتهم و كثرتهم و المؤمنين و ضعفهم و قلتهم ﴿غر هؤلاء﴾ مشيرين إليكم ﴿دينهم﴾ أى فى إقدامهم على ما يقطع فيه بهلاكهم ظنا منهم أن الله ناصرهم و هم ثلاثمائة و بضعة عشر إلى ٥ زهاء ألف ملوك العرب ، فيغيظكم ذلك ، فكذبهم الله و صدق أمركم بتوكلكم عليه و صبركم على دينكم ﴿و من﴾ أى قالوا ذلك عالمين بأنكم متوكلون[2] على من تدينون له و الحال أنه من ﴿يتوكل على الله﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة ، فهو يفعل ما يشاء منكم و من غيركم بشرطه[3] من الإيمان و السعى فى الطاعة كما فعلتم فانه معز و مكرم .

١٠ و لما كان سبحانه محيطا بكل صفة كمال على الإطلاق من غير قيد توكل و لا غيره ، أظهر تعالى فقال عاطفا على ما تقديره : فان الله قادر على نصره : ﴿فان الله﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿عزيز﴾ أى غالب لكل من يغالبه فهو جدير بنصره ﴿حكيم ۝﴾ أى متقن لأفعاله فهو حقيق بأن يأخذ عدو المتوكل عليه من الموضع الذى لا ينفعه فيه حيلة .

١٥ و لما ذكر ما سرهم من حال أعدائهم المجاهرين و المساترين فى الدنيا مرصعا ذلك بجواهر الحكم و بدائع الكلم [ التى -[4] ] بملازمتها تكون السعادة و بالإخلال بها تحل الشقاوة ، أتبعه ما يسرهم من حال أعدائهم عند الموت و بعده ، فقال مخاطبا لمن لو كشف الغطاء لم يزدد يقينا ، حاديا بتخصيصه بالخطاب كل سامع على قوة اليقين ليؤهل لمثل هذا الخطاب

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : متوكلين (٣) من ظ ، و فى الأصل : شرط .
(٤) زيد من ظ .

حكاية لحالهم فى ذاك[١] الوقت ﴿ و لو ﴾ أى يقولون ذلك و الحال أنك ﴿ لو ترى ﴾ يا أعلى[٢] الخلق ﴿ اذ يتوفى ﴾ أى يستوفى إخراج نفوس ﴿ الذين كفروا لا ﴾ أى من هؤلاء القائلين و من غيرهم ممن قتلتموهم ببدر و من غيرهم بعد ذلك و قبله ﴿ الملئكة ﴾ أى جنودنا الذين[٣] وكلناهم بهم حال كونهم ﴿ يضربون ﴾ . ٥

و لما كان ضرب الوجه و الدبر أدل ما يكون على الذل و الخزى ، قال: ﴿ وجوههم و ادبارهم ج ﴾ أى أعلى أجسامهم و أدناها فغيره[٤] أولى ﴿ و ﴾ حال كونهم يقولون لهم : ذوقوا ما كنتم به تكذبون ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ه ﴾ أى لرأيتم منظرا هائلا و أمرا فظيعا ، فسركم ذلك غاية السرور ، و ما أثر كلامهم فى غيظكم ، فانهم يعلمون حينئذ من الذى غره دينه و ' لو ' ١٠ و إن كانت تقلب المضارع [٥]ماضيا فلا يخلو التعبير بالمضارع[٥] فى حيزها من فائدة ، و هى ما ذكر من الإشارة إلى أن هذا لا يخص ميتا منهم دون ميت ، بل لا فرق بين متقدمهم و متأخرهم ، من مات ببدر أو غيرها ، و ليس فى الكلام ما يقتضى أن يكون القائلون[٦] " غر هؤلاء [دينهم -[٧] ]" حضروا بدرا ، بل الظاهر أن قائليه كانوا بالمدينة و تعبيرهم بـ " هؤلاء " ١٥ التى هى أداة القرب للتحقير و استسهال أخذهم كما أن أداة البعد تستعمل للتعظيم ببعد الرتبة ، و على مثل هذا يتنزل[٨] قول فرعون بعد أن سار

(١) فى ظ : ذلك (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : فغير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : القايلين .
(٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) فى ظ : ينزل .

/٤٣٨ بنو إسرائيل زمانا / أقله ليلة و بعض يوم كما حكاه الله عنهم[1] " ان هؤلاء لشرذمة قليلون[2] " على أن البغوى قد نقل فى تفسير قوله تعالى " يرونهم مثليهم رای العين[3] " أن جماعة من اليهود حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون[4] الدائرة . و إذا تأملت هذا مع قوله تعالى " كداب ٥ ال فرعون " علمت أن جل المقصود من هذه الآيات إلى قوله " ذلك بانهم قوم لا يفقهون " اليهود ، و فى تعبيره بـ " لا يفقهون " تبكيت شديد لهم كما قال تعالى فى آية الحشر " لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون[5] " .

و لما عذبوهم قولا و فعلا ، عللوا لهم ذلك بقولهم[6] زيادة فى تأسيفهم :

١٠ ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الفعل العظيم الذى يفعله[7] بكم من العذاب الأليم ﴿ بما قدمت ايديكم ﴾ أى من الجراءة على الله ﴿ و ان ﴾ أى و بسبب أن له أن يفعل ذلك و إن لم تقدموا شيئا فان ﴿ الله ﴾ أى[8] الذى له صفات الكمال ﴿ ليس بظلام ﴾ أى بذى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ فان ملكه لهم تام ، و المالك التام المُلك على ما يملكه الملِك الذى لا شيء يخرج عن ١٥ دائرة ملكه ، و هو[9] الذى جبلكم هذه الجبلة الشريرة التى تأثرت عنها هذه الأفعال القبيحة ، و هو لا يسئل عما يفعل ، من الذى يسأله ! و يجوز أن يكون المعنى : و ليس بذى ظلم لأنه لا يترك الظالم يبغى على المظلوم من

(١) من ظ ، و فى الأصل : عنه (٢) سورة ٢٦ آية ٥٤ (٣) آية ٣ سورة ١٣ . (٤) من معالم التنزيل - راجع الخازن ١ / ٢٧٣ ، و فى الأصل و ظ : يكون . (٥) آية ١٣ (٦) من ظ ، و فى الأصل : قوله (٧) فى ظ : نفعله (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : هذا .



غير

غير جزاء لكم على ظلمكم لأهل طاعته . [و سيأتى فى ' فصلت ' حكمة التعبير بصيغة تحتمل المبالغة -[1] ] .

و لما بين بما مضى ما يوجب الاجتماع عليه و الرجوع فى كل أمر إليه ، و بين أن من خالف ذاك هلك كائنا من كان ؛ أتبعه بما يبين أن هذا من العموم و الاطراد بحيث لا يخص زمانا دون زمان و لا مكانا ٥ سوى[2] مكان فقال تعالى : ﴿ كداب ﴾ أى عادة هؤلاء الكفار و شأنهم الذى دأبوا فيه و داوموا و واظبوا فمرنوا[3] عليه كعادة ﴿ اٰل فرعون لا ﴾ أى الذين[4] هؤلاء اليهود من أعلم الناس بأحوالهم ﴿ و الذين ﴾ و لما كان المهلكون لأجل تكذيب الرسل بعض أهل الزمان الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ط ﴾ و هو مع ذلك من أدلة " فلم تقتلوهم " لأن هؤلاء ١٠ الذين أشار إليهم كان هلاكهم بغير قتال[5] ، بل بعضهم بالريح و بعضهم بالصيحة و بعضهم بالغرق و بعضهم بالخسف الذى هو غرق فى الجامد ، فكأنه يقول : لا ينسب أحد لنفسه فعلا ، فانه لا فرق عندى فى إهلاك أعدائى بين أن يكون إهلاكهم بتسليط من قتال أو غيره ، الكل بفعلى ، لو لا أنا ما وقع ، و ذلك[6] زاجر عظيم لمن افتخر بقتل من قتله الله على ١٥ يده[7] ، أو نازع فى النفل ، و هو راجع إلى قوله تعالى " لكيلا تاسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما اٰتىكم[8] " و فى ذلك حث على التمرن على عدم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : دون (٣) فى ظ : فمروا (٤) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٥) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٦) فى ظ : هو (٧) فى ظ : يديه .
(٨) سورة ٥٧ آية ٢٣ .

الا كثرات بشيء يكون للنفس فيه أدنى حظ ليصير ذلك خلقا كما هو دأب
رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لا يضيف شيئا من محاسنه إلا إلى خالقه إلا
إن كان مأمورا فيه بالتشريع ، بل يقول : قتلهم الله ، صرفهم الله ، نصرنا الله ،
كفى الله ، فاذا صار ذلك للستمسكين به خلقا أفضى بهم إلى مدح الخالق
٥ [ و - ١ ] المخلوق لهم كما قال كعب بن زهير رضي الله عنه[٢] في مدحهم :

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوما[٣] و ليسوا مجازيعا إذا نيلوا

ثم بين تعالى الحال الذي شابهوا فيه من قبلهم بقوله : ﴿ كفروا بآيٰت الله ﴾
أي ستروا ما دلتهم عليه أنوار عقولهم من دلالات الملك الأعلى و غطوها
لأنهم لم يعملوا بها و صدوا عن ذلك من تبعهم ، فكان جزاؤهم ما تسبب
١٠ عن ذلك من قوله : ﴿ فاخذهم الله ﴾ أي الذي له مجامع الكبر و معاقد
العظمة و العز أخذ غلبة و قهر و عقوبة ﴿ بذنوبهم ط ﴾ كما أخذهم فانهم
تجرأوا على رتبة الألوهية التي تخسأ دون شوامخها / نوافذ الأبصار ، و تظلم
/ ٤٣٩
عند بوارق أشعتها سواطع الأنوار ، و تضمحل بالبعد عن أول مراقيها
القوى ، و تنقطع بتوهم الدنو من فيافيها الأعناق ، فنزلت بهم صواعق
١٥ هيبتها ، و أناخت عليهم صروف عظمتها ، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم
و لا تحس إلا ملاعبهم[٤] و أماكنهم .

و لما أخبر بأخذهم ، علله بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أي الذي له الإحاطة
الشاملة ﴿ قوى ﴾ أي يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء ﴿ شديد العقاب ۝ ﴾ .

و لما كان كأنه قيل : فما له يمهلهم و لا يعاجلهم بالأخذ قبل النكاية

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : عنهم (٣) من ديوان كعب ، و في الأصل و ظ : يوما (٤) من ظ ، و في الأصل : مل - كذا .

فى أوليائه و أهل وده و أصفيائه ؟ قال: ﴿ ذلك ﴾ أى الأخذ على هذه الحالة ﴿ بان الله ﴾ أى بسبب أنهم غيروا ما فى أنفسهم، و قد كان له سبحانه أن يأخذهم قبل أن يغيروا[1] لعلمه بما فى ضمائرهم، و لكنه تعالى أجرى سنته الإلهية لتمام علمه و كمال قدرته و إحاطته بجميع صفات الكمال بأنه ﴿ لم يك ﴾ هكذا كان الأصل، و لكن حذف اختصارا تقريبا لبيان ٥ تعميم العلة[2] و إبعادا للسامع من مثل ذلك، و حذف نون ' يكن ' إرشادا إلى أن هذه الموعظة خليقة بأن يوجز بها غاية الإيجاز فيبادر إلى إلقائها لما فى حسن تلقيها من عظيم المنفعة، لأن من خالفها جدير بتعجيل الانتقام ﴿ مغيرا نعمة ﴾ أى قلت أو جلت، و بين أنه لا نعمة على أحد إلا منه فقال: ﴿ انعمها على قوم ﴾ أى من أى طائفة كانوا ﴿ حتى يغيروا ﴾ أى ١٠ يبدلوا ﴿ ما ﴾ يعتقدونه ﴿ بانفسهم ﴾ بغيره مما هو غريزة لهم و هو خفى عنهم، يظنون اتصافهم بضده مما هو ظاهر لهم اتصافا غريزيا[3] ﴿ و ان ﴾ أى و بسبب أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الكمال [كله -[4]] ﴿ سميع ﴾ أى لما يكذبون به الرسل[5] و لأقوالهم: إن ما يظهرونه وصفهم الحقيق ﴿ عليم ﴾ أى بما[6] تكن ضمائرهم من غيره و إن جهلوه هم فيبتليهم ببلاء يظهر به ذلك ١٥ المكنون و يبرز [به -[4]] كل سر مصون، فاذا تعلق به العلم ظاهرا[7] علق به الحكم قاهرا لتمام قيام الحجة، و لتمام علمه بحالهم أمهلهم، و إنما يستعجل من يخاف أن تخيب فراسته أو يتغير علمه، و أما الذى علمه

---

(١) فى ظ: يعتبروا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: غريزا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: الرسول (٦) زيد فى ظ: لم (٧) فى ظ: ظاهر.

بالظواهر[1] والضمائر على حد سواء فالحالتان عنده سيان ، فهو يمهل لإتمام الحكمة ولا يهمل من استحق النقمة ، و ذلك التغيير الذى أظهره البلاء هو التكذيب بالحق عنادا و البعد عما كانوا يدعونه من العدل و المشى على مناهيج العقل و الاستحياء من العناد ، و التنزه من طرق الفساد ، هكذا كانت كل أمة ٥ أرسلت إليها الرسل تدعى و ما عندها من خلاف[2] ذلك مستور فى ضمائرها مكنون فى سرائرها ، لا تعلمه كما تشاهد أكثر من تعاشره ، يظن فى نفسه ما ليس فيها ، و عند الامتحان يكذبه العيان ، فلما جاءتهم الرسل و أوضحوا لهم الأمر إيضاحا[3] ليس معه لبس فكذبوهم ، غيروا ما كان[4] فى نفوسهم مما كانوا يزعمون ؛ ثم كرر قوله - : ﴿ كدأب ءال فرعون لا ﴾ أى فرعون ١٠ و قومه فانهم أتباعه فلا يخيل[5] أنهم يفعلون شيئا إلا و هو قائدهم فيه ﴿ و الذين من قبلهم ط ﴾ - لدقيقة ، وهى أنه قد تقدم أنه [ ما -[6] ] من أمة إلا ابتليت بالضراء و السراء ، فالأولى ينظر إليها مقام الإلٰهية الناظر إلى العظمة و الكبرياء و القهر و الانتقام ، و الثانية ثمرة مقام الربوبية الناشئ عنه التودد و الرحمة و الرأفة و الإكرام ، و لذا عبر فى الأولى باسم الذات ١٥ الجامع لجميع الصفات الذى لفظه - عند من يقول باشتقاقه - موضوع لمعنى الإلٰهية إشارة إلى أنهم أعرضوا فى حال الضراء عن التصديق و عاملوا بالتجلد و الإصرار ، و لذا عبر فى هذه الثانية باسم الرب فقال : ﴿ كذبوا ﴾ أى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالظاهر (٢) زيدت الواو بعده فى ظ ، و لم تكن فى الأصل فحذفناها (٣) فى ظ : ايضا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يتخيل .
(٦) زيد من ظ .

عنادا زيادة على تغطية مادل عليه العقل بالتكذيب / بالنقل ﴿ بآيٰت ربهم ﴾ / ٤٤٠
فأشار بذلك إلى بطرهم بالنعم و تكذيبهم أنها بسبب دعاء الرسل .

و لما أشار بالتعبير به إلى أنه غرهم معاملته بالعطف و الإحسان ،
قال : ﴿ فاهلكنٰهم ﴾ أى جميعا ﴿ بذنوبهم و اغرقنآ ﴾ فأتى بنون العظمة[1]
أشارة إلى أنه أتاهم بما أنساهم[2] ذلك البر ﴿ آل فرعون ج ﴾ و[3] إشارة إلى ٥
أنهم نسوا أن الرب كما أنه يتصف بالرحمة فلا بد أن يتصف بالعظمة
و النقمة و إلا لم تتم ربوبيته ، و هذا واضح مما تقدم فى الأعراف عن
التوراة فى شرح "فارسلنا عليهم الطوفان[4]" - إلى آخرها ، من أن فرعون
كان يسأل[5] موسى عليه السلام عند كل نازلة الدعاء برفعها معتلا بأن
الرب ذو حلم و أناة [ و -[6] ] رحمة ، و قدم الأولى إشارة إلى أنهم بلغوا ١٠
الغاية فى الجرأة ، و التعبير فيها بـ " كفروا " يؤيد لذلك ، أى أن مجرد
الستر للآيات بالإعراض عنها كافٍ فى إيجاب الانتقام و لو لم يصرح
بتكذيب لعظم المقام ، و مادة كفر - بأىّ ترتيبه كان[7] - تدور على الخلطة
المميلة المحيلة ، و بخصوص هذا الترتيب تدور على الستر ، أى غطوا[8] التصديق
بآيات ربهم ، و يجوز - و هو الأحسن - أن يكون دورانها - مطلقا ١٥
لا بقيد ترتيب - على الفكر[9] ، و هو إرسال عين البصيرة فى طلب أمر و يلزمه

(١) زيد بعده فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : نساهم .
(٣) سقط من ظ (٤) آية ١٣٣ (٥) من ظ ، و فى الأصل : يرسل (٦) زيد من ظ .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : كانت (٨) فى ظ : غلطوا (٩) من ظ ، و فى
الأصل : الكفر .

الكشف و الستر لأنه تارة يرفع أذيال الشبه [1] عن ذلك الأمر فينجلى و يتحقق ، و تارة يسلط قواطع الأدلة عليه فينعدم و يتمحق ، و ربما أرخى أذيال الشبه [1] عليه فأخفى بعد أن كان جليا كما كان شمرها عنه فألقى و قد كان خفيا .

٥ و لما أخبر سبحانه بهلاكهم ، أخبر بالوصف الجامع لهم بالهلاك فقال : ﴿ و كل ﴾ أى من هؤلاء و من تقدمهم من آل فرعون و من قبلهم ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ ظلمين ﴾ أى [2] لأنفسهم و غيرهم واضعين الآيات فى غير مواضعها و هم يظنون بأنفسهم العدل [2] ثم علل اتصافهم بالظلم أو استأنف بيانا له بقوله : ﴿ ان شر الدوآب ﴾ أى ظلموا ١٠ لأنهم كفروا بآيات ربهم الذى تفرد بالإحسان إليهم و شر الدواب ﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم [3] الحكم العدل الذى له الأمر كله و فى علمه ﴿ الذين كفروا ﴾ أى منهم و من غيرهم ، أى حكم عليهم بلزوم الكفر لما ركب فيهم من فساد الأمزجة لعدم الملاءمة للخير ، فكانوا بذلك قد نزلوا عن رتبة الإنسان إلى رتبة مطلق الحيوان ، ثم إلى دركة الحشرات ١٥ والديدان بل الجعلان ، لأن شر الناس الكفار ، و شر الكفار المصرون منهم ، و شر المصرين الناكثون للعهود ﴿ فهم ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا يتجدد منهم إيمان يستمرون عليه لما سبق من علم الله فيهم ، فلم ينتفعوا بما أتاهم من صفة الربوبية فحقتهم صفة الإلهية ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : حكمه .

و لعله إنما خص آل فرعون تذكيرا - لأكثر من كان يقول " غر هؤلاء دينهم " و هم اليهود - بأنهم كانوا بالنسبة إلى فرعون و آله أضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة إلى قريش و أتباعهم، فان اليهود مع قلتهم عندهم كانوا قد دانوا لهم بذل العبيد لمواليهم بل أعظم، و مع ذلك فانهم نصروا عليهم[1] لما كان الله معهم، و إعلاما لهم بأنهم الآن كآل ٥ فرعون فى العناد مع ما هم فيه من القلة و الذلة، فقد جمعوا من كل قوم أخس صفاتهم و أردأ حالاتهم، و لذلك أبدل من عموم " الذين كفروا ": ﴿ الذين عٰهدت منهم ﴾ و هم اليهود بلا شك، إما بنو قينقاع أو النضير أو قريظة أو الجميع بحسب التوزيع، فكل[2] منهم نقض ما كان أخذ عليه صلى الله عليه و سلم من العهود، و أخلف ما كان أكده ١٠ من الوعود .

و لما كان العهد جديرا[3] بالوفاء و لا سيما من العلماء، عبر بقوله: ﴿ ثم ينقضون عهدهم ﴾ أى يجددون نقضه كلما لاح لهم خلب برق أو زور بطل يغير فى وجه / الحق؛ ثم عظم الشناعة عليهم بقوله: ﴿ فى كل مرة ﴾ / ٤٤١ ثم نبه على رضاهم من[4] رتبة الشرف العلية القدر وهدة [5]السفه و السرف[5] ١٥ بعدم الخوف من عاقبة الغدر بقوله: ﴿ و هم لا يتقون ﴾ أى الناس فى الذم لهم على ذلك و لا الله فى الدنيا بأن يمكن منهم، و لا فى الآخرة بأن يخزيهم ثم يركسهم بعد المناداة بالعار فى النار .

---

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فكلا (٣) فى ظ : جدير (٤) من ظ ، و فى الأصل : فى (٥ - ٥) فى ظ : السرف و السفه .

و لما أيأسه[1] من تقواهم بما اشتملوا عليه من تكرير النقض الناشئ عن[2] غاية الحسد و صلابة الرقاب و قساوة القلوب و القساوة على الكفر، أمره بما يوهن قواهم و يحل عراهم من إلباس اليأس بانزال البأس كما جرت عادته سبحانه أنه يوصيه[3] بالرفق ببعض الناس لعلمه أن عمله يزكو لبنيانه

٥ على أحسن[4] أساس، فقال مؤكدا لأجل ما جبل عليه صلى الله عليه و سلم من محبة الرفق: ﴿فاما تثقفنهم﴾ أي تصادفنهم و تظفرن بهم ﴿فى الحرب﴾ أي التي من شأنها أن يحرب فيها المبطال، و يرج و يرحب[5] المحق المجمل[6] ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي فنكل بهم تنكيلا يصدع و يفرق عن محاربتك من وراءهم[7] ممن هو على مثل رأيهم[7] فى المنافرة لك و لا تتركنهم أصلا لأن

١٠ أتباعك أمهر منهم و أحذق، فهم لذلك أثبت و أمكن، فاذا أوقعت بهم[8] ذلك لم يجسر[9] عليك أحد بعده اتعاظا[10] بهم و اعتبارا بحالهم؛ و مادة شرد بكل ترتيب تدور على النفوذ، فان كان على قصد و سنن فهو رشد و يلزمه الاجتماع، و إن كان على غير سنن و جامع استقامة فهو شرود، و درشة، أي لجاجة[11] و يلزمه التفرق؛ قال ابن فارس: شرد البعير

١٥ شرودا و شردت به تشريدا، فأما قوله "فشرد بهم" فالمراد نكل بهم

(١) من ظ: وفى الأصل: سه - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: فى (٣) من ظ، و فى الأصل: يرضيه (٤) من ظ، و فى الأصل: احق (٥) فى ظ: برحت. (٦) فى ظ: الجميل (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من ظ. (٩) من ظ، و فى الأصل: لم يحشر (١٠) فى ظ: انفظاظا (١١) من القاموس، و فى الأصل و ظ: حاجة.

و سمّع ، قال القزاز : شردت الرجل تشريدا - إذا طردته ، و شردت به - إذا سمّعت به و ذكرت عيوبه للناس ، و قوله تعالى " فشرد بهم " أى اجعلهم مطردين - انتهى . فالمراد المبالغة فى الإيقاع بهم لأنهم إذا ضربوا ضربة تفرقوا فيها على غير وجه و لا انتظام علم من شردوا إليه ممن وراءهم أنه قد تناهى بهم الذعر فذعر هو فوقع [1]فى الشرود[1] قوة أو فعلا ، فعلى قراءة من جعل 'من' حرف جر يكون المفعول محذوفا ، و التقدير : أوقع - بما تفعل[2] بهؤلاء من الأمور الهائلة - التشريد فى المكان الذى خلفهم بشرود من فيه قوة أو فعلا بما[3] سمعوا أو رأوا من حال هؤلاء حين واجهوك للقتال ، و على قراءة من جعلها اسما موصولا تكون هى المفعول ، فالمعنى : شرد الذين خلفهم من[4] أماكنهم إما بالفعل أو بالقوة بأن تفترق قلوبهم بما تفعل بهؤلاء فتصير[5] - بما ترى من قبيح حالهم - قابلة للشرود ، [1]و يكون اختلاف المعنى بالتبعيض فى جعل 'من' حرف جر و التعميم فى جعلها موصولا بالنظر إلى القوة أو الفعل .

و لما ذكر الحكم ، ذكر ثمرته بأداة الترجى إدارة له على الرجاء فقال[1] : ﴿لعلهم﴾ أى المشردين و المشرد بهم ﴿يذكرون ﴾ ما سبق من أيام الله فيعلموا أن هذه أفعاله ، و هؤلاء رجاله ، فينفعهم ذلك فلا ينقضوا عهدا بعده و لقد[6] فعل بهم صلى الله عليه و سلم [1]ذلك فانهم إن كانوا بنى قريظة فقد ضربهم صلى الله عليه و سلم[1] ضربة لم يفلت منهم مخبر ، بل

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يفعل (٣) فى ظ : بما (٤) فى ظ : عن (٥) فى ظ : فتسير (٦) فى ظ : او .

ضرب أعناقهم فى حفائر فى سوق المدينة و كانوا نحو سبعمائة على دم واحد إلا من أسلم منهم و هم يسير ، و سبى ذراريهم و نساءهم و غنم أموالهم ، و إن كانوا قينقاع فقد نزل بساحتهم بعد نقضهم و إظهارهم غاية الاستخفاف و العناد فلم يكبتهم الله أن جعلهم فى قبضته و ما بقى إلا ضرب أعناقهم ٥ كما وقع لبنى قريظة فسأله فيهم عبد الله بن أبى المنافق و ألح عليه صلى الله عليه و سلم فى أمرهم و كان يألفه و يتألف به فتركهم له صلى الله عليه و سلم و أجلاهم من المدينة ، وكانت واقعتهم أول وقائع / اليهود بالمدينة ، و إن /٤٤٢ كانوا بنى النضير فقد نقضوا أيضا فأحاط بهم ، و منّاهم المنافقون الغرور فقذف الله الرعب فى قلوبهم فسألوه صلى الله عليه و سلم أن يجليهم و يكف ١٠ عن دمائهم ففعل ، ثم أتم الله له الأمر فيهم فى خيبر و وادى القرى و غيرهما إلى أن لم يدع منهم فى جزيرة العرب فريقا إلا ضربه بالذل و أجرى عليه الهوان و الصغار ، و وقائعه فيهم مشهورة الخبر معروفة فى السير .

و لما أمره بما يفعل بمن تحقق نقضه ، أرشده إلى ما يفعل بمن خاف غدره فقال : ﴿ و اما تخافن ﴾ و أكده إشارة إلى[1] ظهور القرآن و وضوح ١٥ الأمارات ﴿ من قوم ﴾ أى ذوى قوة ، بينك و بينهم عهد ﴿ خيانة ﴾ أى فى ذلك العهد ﴿ فانبذ ﴾ أى اطرح طرح مستهين محتقر ﴿ اليهم ﴾ أى ذلك العهد نبذا كائنا ﴿ على سوآء ﴾ أى أمر مستو فى العلم بزواله بينكم و بينهم و عدل و نصفة و لا تناجزوهم[2] و هم على توهم من بقاء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يتاجزوهم - كذا .

العهد ، و هذا[1] إشارة إلى أن يكونوا على غاية الحذر و الفحص عن[2] أخبار العدو بحيث لا يتركونه إلى أن ينقض بل يعلمون ميله إلى النقض فينبذون إليه عهده لأن ذلك أردع له[3] ، فهو أدعى إلى السلم ؛ ثم علل جواز النبذ و وجوب النصفة بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لا يحب الخآئنين ﴾ أى لا يفعل بهم فعل المحب لا منكم و لا من غيركم . ٥

و لما كان نبذ العهد مظنة الخوف من تكثير العدو و إيقاظه ، و كان الإيقاع أولى بالخوف ، أتبع سبحانه ذلك ما[4] يجرى عليه و يسلى عن فوت من هرب من الكفار فى غزوة بدر فلم يقتل و لم يؤسر فقال : ﴿ و لا يحسبن[5] ﴾ بالياء غيبا على قراءة ابن عامر و حمزة و حفص ، أى أحد[6] من أتباعك [ فى وقت - [7] ] من الأوقات ، و وجه قراءة الباقين ١٠ بالخطاب أن أمر الرئيس و نهيه أوقع فى نفوس الأتباع و أدعى لهم إلى السماع ﴿ الذين كفروا ﴾ أى عامة من نبذ و من لم ينبذ ﴿ سبقوا ﴾ أى وقع لهم السبق[8] ، و هو الظفر فى وقت ما ، فانهم لم يفوتوا شيئا من أوامرنا[9] ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم لا يعجزون ﴾ أى [ لا - [7] ] يفوتون شيئا مما يزيد تسليطه عليهم ، أى لا يغرنك[10] علوهم وكثرتهم ١٥ و جرى كثير من الأمور على مرادهم فكل ذلك بتدبيرنا ، و لا يخرج

(١) فى ظ : هذه (٢) فى ظ : على (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بما (٥) فى الأصل و ظ : لا تحسبن ، و إنما حولناه إلى الغيبة لا نسجامه مع ما يتلوه من التفسير . (٦) فى ظ : احدى (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : سبق (٩) فى ظ : مرادنا (١٠) فى ظ : لا يعجزنك .

شيء عن مرادنا ، و لا بد أن نهلكهم فانهم فى قبضتنا ، لم يخرجوا منها و لا يخرجون فضلا عن أن يفوتوها فاصبر .

و لما كان هذا ربما أدى إلى ترك المناصبة و المحاربة و المغالبة اعتمادا على الوعد الصادق المؤيد[1] بما وقع لهم فى بدر من عظيم النصر مع
٥ نقص العِدة و العُدة ، أتبعه ما يبين أن اللازم ربط الأسباب بمسبباتها ، و ليتبين[2] الصادق فى دعوى الإيمان من غيره فقال : ﴿ و اعدوا لهم ﴾ أى للأعداء ﴿ ما استطعتم ﴾ أى دخل فى طاعتكم وكان بقوة جهدكم تحت مقدوركم و طاقتكم ﴿ من قوة ﴾ أىّ قوة كانت ، و فسرها النبى صلى الله عليه و سلم بالرمى إشارة إلى أنه أعظم عدده على نحو « الحج عرفة[3] »
١٠ و فى أمرهم بقوله : ﴿ و من رباط الخيل ﴾ إيماء إلى باب من الامتنان بالنصر فى بدر لأنهم[4] لم يكن معهم فيه غير فرسين ، و الرباط هو الخيل التى تربط فى سبيل الله الخمس منها فما فوقها ، و خصها مع دخولها فيما قبل إشارة إلى عظيم غنائها ، و الرباط أيضا ملازمة ثغر العدو و ربط الخيل به إعدادا للعدو ؛ ثم أجاب من كأنه قال : لم نفعل ذلك و ما النصر
١٥ إلا بيدك ؟ بقوله : ﴿ ترهبون ﴾ أى تخوفون تخويفا عظيما باهرا يؤدى إلى الهرب على ما أجريت من العوائد ﴿ به ﴾ أى بذلك الذى أمرتكم به من المستطاع أو من الرباط ﴿ عدو الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها لأنه الملك الأعلى ﴿ و عدوكم ﴾ أى المجاهدين ، و الأليق بقوله ـ : ﴿ وآخرين ﴾ أى و ترهبون بذلك آخرين ﴿ من دونهم ج ﴾ - أن يحمل على المنافقين

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ليويد (٢) فى ظ : ليبين (٣) من ظ ، و فى الأصل : عرفه (٤) فى ظ : لانه .



لوصفهم

لوصفهم بقوله : ﴿ لا تعلمونهم ج ﴾ كما قال تعالى " و ممن / حولكم من الاعراب منفقون[1] و من اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم " و لأنهم لا يكونون دونهم إلا إذا لم يكونوا فى العداوة مثلهم[2] ، و كل من فرض غير المنافقين مظهرون [ للعداوة ، و أما المنافقون فانهم مدعون باظهار الإسلام أنهم - [3] ] أولياء [4]لا أعداء[4] ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ يعلمهم[5] ﴾ أى فهو [5]يكفيكم ما[5] يظن من أمرهم ، و ليس عليكم إلا الجهد بحسب ما تعلمون ، و الآية بالنسبة إلى ما[6] تقدمها من باب " اعقلها و توكل[7] " و المعنى لا تظنوا أن الكفار فاتونا و أفلتوا من عذابنا بامتناعهم منكم[8] فانهم فى قبضتنا أينما توجهوا و حيثما حلوا فسوف نهلكهم[9] و لا يعجزوننا ، و مع ذلك فلا يحملنكم الاتكال على قوتنا[10] على ترك أسباب مغالبتهم بما أعطيناكم من القوى بل ابذلوا جهدكم و طاقتكم فى إعداد مكايد الحرب و ما يتعلق بالرمى من القوة و بالخيل من الطعن و الضرب و الفروسية لنلقى بذلك رعبكم فى قلوب عدوكم القريب و البعيد من تعلمونه منهم و من لا تعلمونه .

و لما كان أغلب معانى هذه الآية الإنفاق ، لأن مبنى إعداد القوة

---

(١) من ظ والقرآن الكريم سورة ٩ آية ١٠١ ، وفى الأصل : منافقين (٢) فى ظ : منكم (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) فى الأصل : الاعداء ، و فى ظ : لا عداء (٥-٥) فى ظ : يكفهم بما (٦) سقط من ظ (٧) والحديث بتمامه وارد فى جامع الترمذى - القيامة (٨) فى ظ : منك (٩) فى ظ : يهلكهم (١٠) من ظ ، و فى الأصل : قربنا.

عليه[1]، رغب فيه بقوله: ﴿ و ما تنفقوا من شيء ﴾ أى من الأشياء و إن قل ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى[2] طريق من له صفات الكمال من[1] الجهاد و غيره ﴿ يوف اليكم ﴾ أى أجره كاملا فى الدنيا و الآخرة أوفى ما يكون مضاعفا أحوج ما تكونون[3] إليه ﴿ و انتم لا ﴾ .

٥ و لما كان المخوف مطلق النقص، بنى للفعول قوله[4]: ﴿ تظلمون ﴾ أى [لا - [5]] تنقصون شيئا منه، و أما الزيادة فلا بد منها و هى على قدر النية .

و لما كان ضمان النصر و الخلف[6] فى النفقة موجبا لدوام المصادمة و البعد من المسالمة، أتبعه قوله أمرا بالاقتصاد: ﴿ و ان جنحوا ﴾ أى ١٠ مالوا و أقبلوا فى نشاط و طلب حازم ﴿ للسلم ﴾ أى المصالحة، و التعبير باللام دون 'إلى' لا يخلو عن إيماء إلى التهالك على ذلك ليتحقق صدق الميل ﴿ فاجنح ﴾ و لما كان السلم مذكرا يجوز تأنيثه، قال: ﴿ لها ﴾ أى المصالحة، أو[7] يكون تأنيثه بتأنيث ضده الحرب، و كأنه اختير التأنيث إشارة إلى أنه يقتصر فيه على أقل ما يمكن من المدة بحسب ١٥ الحاجة، هذا إذا كان الصلاح للسلمين فى ذلك بأن يكون بهم ضعف، و أقصى مدة الجواز عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم فلا تجوز الزيادة .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: اى، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٣) من ظ، و فى الأصل: يكون (٤) زيد بعده فى ظ: لا (٥) زيد من ظ.
(٦) فى ظ: الخلف (٧) فى ظ «و».

و لما كان ذلك مظنة أن يقال : إنه قد[1] عهد منهم[2] من الخداع ما أعلم أنهم مطبوعون منه على ما لا يؤمنون معه فسالمتهم خطر بغير نفع ، لوح إلى ما ينافي ذلك بقوله : ﴿ و توكل على الله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة فيما تعهده من خداعهم فانه يكفيك أمره و يجعله سببا لدمارهم كما وقع فى صلح الحديبية فان غدرهم فيه كان سبب الفتح ، و حرف ٥ الاستعلاء فى هذا و أمثاله معلم بأنه يفعل مع المتوكل فعل الحامل لما وكل إليه المطيق لحمله ؛ ثم علل الأمر بالتوكل الذى معناه عدم الخوف من عاقبة أمرهم فى ذلك بقوله : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع ، فهو يسمع كل ما أبرموه فى ذلك و غيره سرا كما يسمعه علانية ﴿ العليم ﴾ أى البالغ[3] العلم وحده فهو يعلم كل ما أخفوه[4] كما أنه ١٠ يعلم ما أعلنوه[4] ؛ ثم صرح بالاستهانة بكيدهم فقال : ﴿ و ان يريدوآ[5] ﴾ أى الكفار ﴿ ان يخدعوك ﴾ أى بما يوقعون من الصلح أو بغيره ﴿ فان حسبك ﴾ أى كافيك ﴿ الله ﴾ أى الذى له صفات العز كلها ، ثم علل كفايته أو استأنف بيانها بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذىٓ ايدك بنصره ﴾ أى[1] إذ كنت[3] وحدك ﴿ و بالمؤمنين ﴾ أى بعد ذلك فى هذه الغزوة ١٥ التى كانت العادة قاضية فيها بأن من معك لا يقومون للكفار فواق ناقة ، و لعل هذا تذكير بما كان من الحال[6] فى أول الإسلام ، أى إن الذى

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : منكم (٣) فى ظ : العالم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : يروا (٦) من ظ ، و فى الأصل : الال - كذا .

/٤٤٤ أرسلك مع وحدتك فى مكة بين جميع الكفار / و غربتك فيهم - و إن كانوا بنى عمك - بسبب دعوتك إلى هذا الدين و علوك عن[1] أحوالهم البهيمية إلى الأخلاق الملكية ، هو الذى قواك وحده بالنصر عليهم حتى لم يقدروا لك على أذى يردك عن الدعاء إلى الله مع نصب جميعهم لك و لمتبعيك ٥ شباك الغدر و مدهم إليكم أيدى الكيد ثم سلكم من بين أظهرهم كما تسل الشعرة من العجين مع اجتهادهم فى منعكم من ذلك ، و أيدكم بالأنصار و جمع بين كلمتهم بعد شديد العداوة ﴿ و الف بين قلوبهم ﴾ بعد غاية التباغض ، فصار البعيد منهم قريبا و البغيض حبيبا و العدو صديقا ، و كانوا على قلب واحد ؛ ثم استأنف الإخبار بما دل على تعذر ألفتهم لو لا هو فقال :

١٠ ﴿ لو انفقت ﴾ أى و أنت أتقن الخلق لما تصنعه[2] ﴿ ما فى الارض جميعا ﴾ أى فى إرادة ذلك ﴿ مآ الفت بين قلوبهم ﴾ ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ و لكن الله ﴾ أى و هو الذى له جميع صفات الكمال ﴿ الف بينهم ﴾ [ ثم -[3] ] علل [ نفوذ -[3] ] [4]فعله و[4] أمره فيه بقوله : ﴿ انه عزيز حكيم ۝ ﴾ أى لأنه لو لا عزته التى تغلب كل شيء و لا يغلبها شيء و حكمته التى ١٥ يتقن بها ما أراد بحيث لا يمكن لأحد أن يغير شيئا منه لما تألفوا بعد أن كان قبل[5] كل أحد من فريقيهم للآخر أشهى من لذيذ الحياة و صافى العيش لما بينهم من الإحن التى لا تزال[6] تثور فتغلى لها الصدور حتى تفور بقتل الأحباب من الوالدين و الأولاد و القهر بأنواع الأذى مع

---

(١) فى ظ : على (٢) من ظ ، وفى الأصل : يصنعه (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا تزول .

المجاورة المقتضية لدوام التحاسد و إثارة الضغائن. و كذا فعل سبحانه بجميع العرب بعد ما كان بينهم من [1]القتل المنتشر[1] مع ما لهم من الحمية و الأنفة الحاملة على الانتقام، و الذى أمدك بهذه الألطاف حى لا يموت باق على ما كان عليه من القدرة و القوة، فهو الكفيل بحراستك ممن يريد خداعك. فاذا أمركم بأمر فامتثلوه غير مفكرين فى عاقبته، فانه قد بينه ٥ بعزته و أتقنه بحكمته و ستعلمون.

و لما صرح بأن الله كافيه[2]، و كانت كفاية[3] الله للعبد أعظم المقاصد، التفتت الأنفس إلى أنه هل يكفيه مطلقا [4]أو هو فعل[4] مع المؤمنين أيضا مثل ذلك، فاتبعها بقوله معبرا بوصف النبوة الذى[5] معناه الرفعة و الاطلاع من جهة الله على ما لا يعلمه العباد، لأنه فى سياق الإخبار ببعض المغيبات ١٠ و التصرف فى الملكوت: ﴿ يٰٓايها النبى ﴾ أى العالى القدر الذى نعلمه بعواقب أموره ﴿ حسبك ﴾ أى كافيك ﴿ الله ﴾ أى الذى بيده كل شىء ﴿ و من ﴾ أى مع من ﴿ اتبعك من المؤمنين ع ﴾ يجوز أن يكون المعية من ضميره صلى الله عليه و سلم فيكون المؤمنون مكفيين، و أن يكون من الجلالة فيكونوا كافين، حتى يكون المعنى: فهو كافيهم أيضا و [هم -[6]] ١٥ كافوك لأنه معهم، و ساق سبحانه هذا هكذا تطييبا لقلوبهم و جبرا لخواطرهم و بالمعنى الثانى - لتضمنه الأول و زيادته[7] عليه - قال ابن زيد و الشعبى:

---

(١ - ١) فى ظ: القفل المنشر (٢) زيده بعده فى الأصل: يكفيه مطلقا و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى ظ: الكفاية (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: التى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: افادته.

حسبك الله و حسبك من اتبعك ، و ساقها سبحانه على وجه مكرر لـكفاية نبيه صلى الله عليه و سلم محتمل لأن فيمن كان على اتباعه فى ذلك الوقت كفاية لئلا يستقلوا بالنسبة إلى كثرة أعدائهم .

و لما بين أنهم كافون مكفيون ، و كان ذلك مشروطا بفعل الـكيس
٥ و الحزم و هو الاجتهاد بحسب الطاقة ، أمره بأن يأمرهم بما يـكونون به كافين من الجد فى القتال و عدم الهيبة للأبطال فى حال من الأحوال ، فقال [1]معبرا بالوصف الناظر إلى جهة التلقى عن الله ليشتد وثوق السامع لما يسمعه[1] : ﴿ يٰأيها النبى ﴾ أى الرفيع المنزلة عندنا الممنوح [2]من إخبارنا[2] بكل ما يقر عينه و عين أتباعه ﴿ حرض المؤمنـين ﴾ أى الغريقين فى
١٠ الإيمان ﴿ على القتال ﴾ أى بالغ فى حثهم عليه و ندبهم بكل سبيل إليه ، و مادة حرض - بأىّ ترتيب كان - حرض ، حضر ، رحض ، رضح ، ضرح ؛ ترجع إلى الحضور / و يلزمه الخفض و الدعة ، و يلزم الـكسل /٤٤٥ فيلزمه الضعف فيلزمه الفساد ، و منه الحرض الذى أشفى على الهلاك ، أى حضر هلاكه و حضر هو موضعه الذى هو فيه فصار لما به لا يزايله
١٥ ما دام حيا ، و رحض الثوب ، أى غسله ، من الدعة التى هى شأن الحضور غير المسافرين ، و الرحضاء عرق الحمى تشبيه بالمغسول ، و المرضاح الحجر[3] الذى لا يزال حاضرا لرضح النوى ، و الضريح شق مستطيل يوضع فيه الميت فيكون حاضره لازما له دائما إلى الوقت المعلوم ، و يلزمه الرمى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى ظ : باخبارنا (٣) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : المحجر .

و الطول ، و منه المضرحى للطويل الجناحين من الصقور[1] لأن كل صيد عنده حاضر لقوة طيرانه ، و الرجل الكريم لعلو همته ، و أحضرت الدابة : عدت فجعلت الغائب حاضرا . و التحريض الحث على حضور الشيء ، فحرض على القتال : حث على الطيران إليه بتعاطى أسبابه و الاستعداد لحضوره حتى يصير المحثوث كأنه حاضر ، متى قيل : يا صباحاه ! طار إلى المنادى ، ٥ وكان أول حاضر إلى النادى ، لأنه لا مانع [2]له من شيء من الأشياء[2] بل استعداده استعداد الحاضر فى الصف ؛ و قال الإمام أبو الحسن على ابن عيسى الرمانى[3] فى تفسيره : و التحريض : الدعاء الوكيد لتحريك النفس على أمر من الأمور ، و الحث و التحريض و التحضيض نظائر ، و نقيضه التفسير ، و التحريض ترغيب فى الفعل بما يبعث على المبادرة إليه مع ١٠ الصبر عليه - انتهى . فهذه حقيقته ، لا ما قال فى الكشاف و تبعه عليه البيضاوى .

و لما ندبهم إلى القتال ، أعلمهم بأنهم منصورون فيه إن[4] لازموا آلة النصر ، فقال استئنافا جوابا لمن قال : ما عاقبتهم إذا رغبوا فبادروا إلى ذلك ؟ : ﴿ ان يكن ﴾ و لما كانت لذة الخطاب تثير الهمم و تبعث العزائم ١٥ و توجب غاية الوثوق بالوعد ، عدل عن الغيبة فقال : ﴿ منكم عشرون ﴾ أى رجلا ﴿ صٰبرون ﴾ أى الصبر المتقدم ﴿ يغلبوا مائتين ع ﴾ أى من

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لا تنسجم بالسياق فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و معجم المؤلفين ، و فى الأصل : الربانى - كذا ، و اسم تفسيره : الجامع الكبير (٤) فى ظ : لان .

الكفار ، و الآية من الوعد الصادق الذى حققه وقائع الصحابة رضى الله عنهم ﴿ و ان يكن منكم مائة ﴾ أى صابرة ﴿ يغلبوآ الفا ﴾ أى كائنين ﴿ من الذين كفروا ﴾ فالآية[1] من الاحتباك : أثبت فى الأول وصف الصبر دليلا على حذفه ثانيا ، و فى[2] الثانى الكفر دليلا على حذفه أولا ؛ و لعل[3] ما أوجبه عليهم من هذه المصابرة علة للأمر بالتحريض ، أى حرضهم لأنى أعنت كلا منهم على عشرة ، فلا عذر لهم فى التوانى ؛ و علل علوهم عليهم[4] و غلبتهم لهم على هذا الوجه بقوله : ﴿ بانهم ﴾ أى هذا الذى أوجبته و وعدت بالنصر عنده بسبب انهم ، أى الكفار ﴿ قوم لا يفقهون ﴾ أى ليس لهم فقه يعلمون به علم الحرب الذى دربه أهل الإيمان و إن كنتم ترونهم أقوياء الأبدان فيهم كفاية للقيام بما ينوبهم من أمر الدنيا لأنهم أبدان بغير معان ، كما أن الدنيا كذلك صورة بلا روح ، لأنهم لم يبنوا مصادمتهم على تلك الدعائم الخمس التى قدمتها لكم و ألهمتكم إياها فى بدر ، فمن لم يجمعها لم يفقه الحرب ، لأن الجيش إن لم يكن له رئيس يرجع إليه لم يفلح ، و ذلك الرئيس إن لم يكن أمره مستندا إلى ملك الملوك كان قلبه ضعيفا ، و عزمه - و إن كثرت جموعه - مضطربا ، فانهم يكونون صورا لا معانى لها ، و الصور منفعلة لا فعالة ، و المعانى هى الفعالة ، و المعتمد على الله صورته مقترنة بالمعنى ، فأقل ما يكون فى مقابلة اثنين من أعدائه كما حط[5] عليه الأمر

(١) فى ظ : والآية (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لعله (٤) فى ظ : عليه (٥) فى ظ : حظ .

فى الجهاد ، و لعل هذا هو السر فى انتصار الخوارج - من أتباع شبيب[1]
و أنظاره[2] على قلتهم - على الجيوش التى كانوا يلقونها عن ملوك زمانهم على
كثرتها ، فان الخوارج معتقدون أن قتالهم لله مستندين فى هذا الاعتقاد
إلى ظلم أولئك الملوك و خروجهم عن أمر الله ، و الذين يلقونهم عن أولئك
الملوك و إن اعتمدوا أنهم أهل طاعة لطاعتهم الإمام الواجب طاعته[3] ، ٥
لكنهم يعلمون أن استناد إمامهم إلى الله ضعيف لمخالفته لمنهاج الاستقامة ،
و ذلك الرئيس نفسه معتقد ذلك و أن ولايته / مفسدة[4] ، و أن تحريم /٤٤٦
النبى صلى الله عليه و سلم لقتاله إنما هو[5] درء لأعظم المفسدتين ، فصار استناد
الخوارج إلى ملك الملوك أعظم من استناد أولئك ، [6]و لهذا نشأ عن استناد
الخوارج الزهد الذى هو أعظم أسباب النصر، و نشأ عن استناد أولئك[6] الملوك ١٠
الإخلاد إلى الدنيا الذى هو أعظم الموجبات للخذلان ، مصداق ذلك
أنهم لما خرجوا على على رضى الله عنه فسار فيهم بسنة الله من اللطف بهم
و تقديم وعظهم و الإعذار إليهم و ردهم إلى الله فلما لم يقبلوا قصدهم فى
ساعة ، قال له بعض من كان يعتنى بالنجوم : إنها ساعة نحس ، إن سار فيها
خذل ، فقال : سيروا فيها فانه ما كان للنبى صلى الله عليه و سلم منجمون ، ١٥
فلما لقى الخوارج [ لم -[7] ] يواقفوه حلب ناقة و لا أفلت منهم أحد
و لا قتل من جماعته إنسان ؛ و فهم الإيجاب فى قوله تعالى " ان يكن منكم
عشرون " - الآية و أن الخبر فيه بمعنى الأمر من قوله : ﴿ الئن خفف الله ﴾
أى [ الملك -[7] ] الذى له الغنى المطلق و جميع صفات الكمال ﴿ عنكم ﴾ أى

---

(١) هو ابن بجرة الأشجعى - راجع تاريخ الإسلام للذهبى (٢) فى ظ : : انتظاره .
(٣) فى ظ : طاعتهم (٤) فى ظ : مفسد (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ .

رحمة لكم و رفقا بكم ﴿ و علم ﴾ أى قبل التخفيف و بعده ﴿ ان فيكم ضعفا[1] ﴾ أى فى العَدد و العُدد، و لكنه أوجب عليكم ذلك ابتلاء، فبعد التخفيف علم ضعفهم واقعا [1]و قبله[1] علم أنه سيقع، و تصديره هذه الجملة بـ " الئن " يشير[2] إلى أن[3] النسخ كان قبل أن تمضى مدة يمكن فيها غزو، و فائدة
٥ الأمر المعقب بالنسخ حيازة الأجر بقبوله و العزم على امتثاله، و قيل : ما كان النسخ إلا بعد مدة بعد أن سألوا فى التخفيف؛ و روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت " ان يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين " شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر[4] واحد من عشرة، فجاء التخفيف [ فقال - [5] ] "الئن خفف الله
١٠ عنكم" - الآية؛ فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم . و المعنى أنه كان كتب[3] مقدارا من[3] الصبر لكل مؤمن، فلما خفف أزال ذلك بالنسبة إلى المجموع، و هذا لا يمنع استمرار البعض على ما كان كما فعل سبحانه بالصحابة رضوان الله عليهم فى غير موضع منها غزوة مؤتة، فقد كانوا فيها ثلاثة آلاف، و كان من لقوا من جموع هرقل
١٥ مائتى ألف : مائة من الروم و مائة من العرب المستنصرة، فصبروا لهم و نصروا عليهم كما فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه و سلم قال مخبرا عنهم فى هذه الغزوة «ثم أخذ الراية عن غير إمرة سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه». و لما توفى النبى صلى الله عليه و سلم ارتد عامة الناس

---

(١-١) فى ظ : بعده (٢) من ظ، و فى الأصل : تشير (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و الصحيح، و فى الأصل : الايضير (٥) زيد من الصحيح .

حتى لم يثبت على الإسلام عشر العشر فصبر الصحابة رضوان الله عليهم لهم و نصروا عليهم . بل الذى صبر فى الحقيقة أبو بكر رضى الله عنه وحده ، ثم أفاض الله من صبره و نوره على جميع الصحابة رضى الله عنهم فصبروا ، ثم جهز[1] الجيش و أميرهم الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم سيف الله، فأخمد الله به نار الشرك و قطع بصبره و حسن نيته جاذرة الكفر فلم تمض ٥ سنة و فى بلاد العرب مشرك . فلما جمع الله العرب بهذا الدين على قلب رجل واحد قصدوا الأعاجم من الفرس و الروم و القبط ، فقاتلوا أهل فارس فى عدة وقائع منها القادسية ، وكان الصحابة رضى الله عنهم فيها دون أربعين ألفا . [2]وكان المجوس أكثر من أربعمائة ألف ، و قاتلوا الروم كذلك فكانوا فى اليرموك دون أربعين ألفا[2] وكان الروم نحو أربعمائة ١٠ ألف - إلى غير ذلك من الوقائع و قد صبروا فى أكثرها و نصروا، ثم كانت لهم العاقبة فطردوا الشرك و أهله، و أظهر الله لهم دينه كما وعد به سبحانه . و ما اجتمع أهل الإسلام و أهل الضلال قط فى معرك إلا كانت قتلى الكفار أضعاف قتلى المسلمين غير أن الله / تعالى جده و تبارك اسمه /٤٤٧ و تمت كلمته ألطف[3] بالعرب علما منه بأنهم خلاصة الناس بما طبعهم ١٥ سبحانه عليه من الخصال الحميدة و الأخلاق السديدة فأسلم كل من اشتملت عليه جزيرتهم بعد وقائع كثيرة فى زمان النبى صلى الله عليه و سلم و زمان الردة ، و لم تبلغ قتلاهم فيما أظن عشرة آلاف إنسان، ثم [ لما -[4] ]

(١) فى ظ : جهزوا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : لطف (٤) زيد من ظ .

جاهدوا الأعاجم من فارس و الروم و غيرهم كانت قتلى الكفار تبلغ فى المعركة الواحدة مائة ألف و مائتى ألف - كما هو مشهور فى كتب الفتوح للمدائنى و سيف و ابن عبد الحكم و البلاذرى و غيرهم ، و قد جمع أشتات ذلك الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى و شيخه ابن حبيش ؛ و لعله حذف

٥ فى الثانية التقييد بالكفار ليشمل كل من استحق القتال من البغاة و غيرهم، فقال تعالى مسببا عن التخفيف المذكور رادا[1] الأمر من إيجاب مصابرة عشرة إلى الأمر بمصابرة الضعف ، فان زاد[2]العدد على الضعف[2] جاز الفرار و الصبر أحسن : ﴿ فان يكن منكم مائة صابرة ﴾ أى الصبر الذى تقدم التنبيه عليه ﴿ يغلبوا مائتين ج ﴾ أى من غيركم باذن الله ﴿ و ان يكن منكم الف ﴾

١٠ [ أى - [3] ] على النعت المذكور و هو الصبر ﴿ يغلبوا الفين ﴾ ثم أرشد إلى أن المراد بالصبر هو كل المأمور به فى آية " اذا لقيتم فئة فاثبتوا " فقال : ﴿ باذن الله ط ﴾ أى بارادة الذى له جميع الأمر ، ذلك و إباحته لكم و تمكينه ، فان لم يقع الإذن[4] لم يقع الظفر ، فالآية من الاحتباك : ذكر فى الأول صابرة دلالة على حذفه ثانيا ، و ذكر ثانيا الإذن دليلا

١٥ على حذفه أولا ؛ ثم نبه على عموم الحكم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ مع الصّٰبرين ه ﴾ أى بنصره و معونته ، و من ثم قال ابن شبرمة : و أنا أرى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كذلك . و مادة ' اذن ' - مهموزة و غير مهموزة و واوية و يائية بتقاليبها الأربعة : إذن ذان [5]ذون ذين -

(١) فى ظ : ردا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الامن (٥) من ظ ، و فى الأصل : اذان.

ترجع إلى العلم الناشيء عن حاسة السمع المتعلق بجارحة الأذن ، و تارة يثمر[1] الإباحة و تارة المنع ، فأذن بالشيء - كسمع : علم به " فاذنوا بحرب " أي كونوا على علم من أن حربكم أبيح ، و أذن له بالشيء - كسمع أيضا : أباحه له ، و آذنه الأمر و به : أعلمه[2] - وزنا و معنى ، فجعله مباحا له أو ممنوعا منه ، و أذّن فلانا تأذينا : عرك أذنه ، و أذّنه : رده عن الشرب فلم يسقه، ٥ كأن التفعيل فيه للازالة ، و آذن النعل و غيرها : جعل لها أذنا ، و فعله باذني : بعلمي و تمكيني ، و أذن إليه و له - كفرح : استمع بأذنه ، أي أباح ذلك سمعه و قلبه ، و أذن لرائحة الطعام : اشتهاه كأنه أباحه لنفسه ، وآذنه إيذانا : أعجبه ، مثل ذلك سواء ، و آذنه أيضا : منعه ، كأن الهمزة للازالة ، و الأذن : الجارحة المعروفة - بضمة و بضمتين - و المقبض و العروة من ١٠ كل شيء و جبل ، لأن كلا من ذلك سبب[3] للتمكن من حمل ما هو فيه ، و الأذن : الرجل المستمع القابل كل ما يقال له كأنه لما قبله أباحه قلبه[4] و مكنه منه ، و الأذان : النداء إلى الصلاة لأنه إعلام بإباحتها و المكنة منها ، و تأذن : أقسم و أعلم ، و تارة يتأثر[5] عنه إباحة و مكنة من الشيء و تارة منع و حرمة ، فيكون من الإزالة ، و آذن العشب : بدأ يجف فبعضه رطب ١٥ و بعضه يابس كأنه[6] أمكن من جره[4] و جمعه بيدو صلاحه ، و الآذن : الحاجب ، لأنه للتمكين و المنع ، و الأذنة محركة : صغار الإبل و الغنم كأنها تبيح كل أحد ما يريد منها ، و طعام لا أذنة له : لا شهوة لريحه ، فكأنه

(١) في ظ : بثمرة (٢) في ظ : علمه (٣) في ظ : بسبب (٤) من ظ ، و في الأصل : قبله (٥) في ظ : يتاجر (٦) في ظ : لانه (٧) من ظ ، وفي الأصل : حده.

ممنوع منه لعدم اشتهائه، و تأذن الأمير فى الناس: نادى فيهم بتهدد، فهو يرجع إلى المنع و الزجر عن شيء تعززا، و الذين - بالكسر و الياء: العنب، و كذا الذان - بالألف منقلبة عن واو: العنب[1]، كأنه لسهولة تناوله و لذة مطعمه أمكن من نفسه، و التذوّن - بالواو مشددة: الغنى و النعمة، ٥ كأنهما[2] سبب للامكان / مما يشتهى، و الذؤنون - مهموزا[3] كزنبور: نبت /٤٤٨ من نبات الأرض؛ و المعنى أنه إنما أذن لكم فى ذلك إذا فعلتم الشرط المذكور لأنكم فقهتم علم الحرب و بنيتم أمركم فيه على دعائمها[4] الخمس التى ملاكها و الداخل فى كل منها الصبر، فكان الله معكم، و هو مع كل صابر هذا الصبر المثبت فى الدعائم[5] الخمس فى كل أوان، و مما يسأل عنه[6] فى ١٠ الآية أنه ابتدئ فى العشرات بثانى عقودها، و فى[6] المئات و الآلاف بأولها، سألت شيخنا الإمام الراسخ محقق زمانه شمس الدين محمد بن على القاياتى[7] قاضى الشافعية بالديار المصرية: ما حكمته؟ فقال: الأصل الابتداء بأول العقود، لكن لو قيل: إن يكن[8] منكم عشرة صابرة يغلبوا مائة، لربما توهم أنه لا تجب مصابرة الواحد للعشرة إلا عند بلوغ المؤمنين هذا العقد، ١٥ فعدل إلى الابتداء بثانى عقود هذه المرتبة لينتفى هذا المحذور، فلما انتفى و علم أنه يجب مصابرة كل واحد لعشرة، ذكر باقى المراتب فى الباقى

(١) و أما جميع المعاجم فتتفق على أن معنى الذين و الذان: العيب (٢) من ظ، و فى الأصل: لأنهما (٣) فى ظ: مهموز (٤) فى ظ: دعائمه (٥) من ظ، و فى الأصل: النظم (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و معجم المؤلفين، و فى الأصل: القاياتى (٨) فى ظ: تكن.

على الأصل المعتاد، وأما تكرير المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين: قبل التخفيف[1] وبعده فللدلالة - كما قال في الكشاف - على أن الحال مع القلة والكثرة [ واحدة - [2]] لا تتفاوت وإن كان قد يظن تفاوته، وكأنه لم يذكر الآحاد بشارة بكثرة هذه الأمة واجتماعها. وبدأ بالعشرات وختم بالألوف ليستوفي مراتب الأعداد الأصلية - ٥ والله أعلم.

ولما تقدم الأمر بالإثخان في "فشرد بهم" ثم بإعداد القوة، ثم التحريض[3] على القتال بعد الإعلام بالكفاية ثم إيجاب ثبات الواحد لعشرة ثم إنزال التخفيف إلى اثنين؛ كان ذلك مقتضيا للامعان في الإثخان، فحسن عتاب الأحباب [ في اختيار - [4]] غير ما أفهمه هذا الخطاب، ١٠ لكون ذلك أقعد في الامتنان عليهم بالعفو والغفران بسبب أن أكثرهم مال إلى فداء الأسارى فان النبي صلى الله عليه وسلم استشارهم فيهم فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالمفاداة ومال معه الأكثر. وأشار عمر رضي الله عنه بضرب أعناقهم، وروى أنه قال صلى الله عليه وسلم: لو نزل من السماء عذاب - أي في هذا - ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ[5] رضي الله ١٥ عنهما. فقال تعالى استئنافا واستنتاجا: ﴿ما كان﴾ أي ما صح وما استقام ﴿لنبي[6]﴾ أي في شرع نبي من الأنبياء مستقل ولا مقرر، ولعله عبر[7]

---

(١) في ظ: التحقيق (٢) زيد من الكشاف (٣) في ظ: بالتحريض (٤) زيد من ظ (٥) وعلل في روح المعاني نجاته بأنها لقوله: الإثخان في القتل أحب إلي.
(٦) في الأصل: للنبي، وأما ما أثبتناه من ظ فهو قراءة الجمهور وقد ينسجم مع ما يتلوه من التفسير (٧) في ظ: عبره.

بوصف النبوة ليفيد مع العموم أن كلا من رفعة القدر والإخبار من الله يمنع
من[1] الإقدام على فعل بدون إذن خاص ﴿ ان يكون له اسرٰى ﴾ أى أن
يباح له أسر العدو ﴿ حتى يثخن فى الارض ﴾ أى يبالغ فى قتل أعدائه،
فهو عتاب لمن أسر من الصحابة غير من نهى النبى صلى الله عليه و سلم عن
٥ قتله من المشركين أو رضى بذلك، و إنما أسند إلى نبى - و قرئ شاذا
بالتعريف - و لم يقل: ما كان فى شرع نبى، تهويلا [ للأسر -[2] ] تعظيما
للعفو للمبالغة فى القيام بالشكر، و هذا كان يوم بدر و المسلمون يومئذ قليل،
فلما كثروا و اشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه و تعالى " فاما منا بعد و اما
فداء[3] " - قاله ابن عباس رضى الله عنهما، و مادة ثخن تدور على الضخامة،
١٠ و تارة يلزمها اللين و الضعف، و تارة الصلابة و القوة، فحقيقته: يبالغ
فى القتل فيغلظ أمره فيقوى[4]، و يلين له أعداؤه و يضعفوا؛ ثم بين لهم
أن الميل عن ذلك إنما هو لإرادة[5] الأعراض الدنيوية المبكت به اليهود
فى آخر التى قبلها بقوله تعالى " ياخذون عرض هذا الادنى[6] " كما أن
النزاع فى الأنفال [ ميل - [2] ] إلى الدنيا، و كل ذلك[7] بمعزل عن معالى
١٥ الأخلاق و كرائم السجايا، معللا لعدم الكون المذكور بما تقديره: لأن
الأسر إنما يراد به الدنيا، هكذا الأصل و لكنه أبرز فى أسلوب الخطاب
لأنه أوقع فى النفس فقال[8]: ﴿ تريدون ﴾ أى أيها المؤمنون المرغبون فى

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٤٧ آية ٤ (٤) فى ظ: ويقوى.
(٥) فى ظ: رادة (٦) آية ١٦٩ (٧) فى ظ: ذلكم (٨) زيد بعده فى الأصل: ثم،
و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

الإنفاق / لا فى الجمع ، باستبقائهم ﴿عرض الدنيا قلى﴾ قال الراغب : العرض / ٤٤٩
ما لا ثبات له ، و منه استعاره المتكلمون لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون ،
و قال ابن هشام فى تهذيب السيرة : أى المتاع الفداء بأخذ الرجال ﴿و الله﴾
أى الذى له الكمال كله ﴿ يريد ﴾ أى لكم ﴿ الأخرة ط ﴾ أى جوهرها [1]
[1] لأنه يأمر بذلك أمرا [1] هو فى تأكيده ليمتثل كالإرادة التى لا يتخلف ٥
مرادها ، و ذلك بالإثخان فى قتلهم لظهور الدين الذى تريدون إظهاره و الذى
به تدرك الآخرة [2] ، و لا ينبغى للمحب أن يريد إلا ما يريد حبيبه ﴿و الله﴾
أى الملك الأعظم ﴿ عزيز ﴾ أى منزه جنابه العلى عن لحاق شىء مما فيه
أدنى سفول ﴿حكيم ه﴾ أى لا يصدر عنه فعل إلا و هو فى غاية الإتقان
فهو يأمر بالإثخان عند ظهور قوة المشركين ، فاذا ضعفت و قوى المسلمون ١٠
فأنتم بالخيار ، و لا يصح ادعاء ولايته إلا لمن ترقى فى معارج صفاته ،
فيكون عزيزا فى نفسه فلا يدنسها بالأطماع الفانية ، و فعله فلا يحطه عن
أوج المعالى إلى حضيض المهاوى ، و حكيما فلا ينشأ عنه [فعل - [3]] إلا
و هو فى غاية الإتقان .

و لما علم من الآية ما أشرت [4] إليه ، فكان كأنهم قالوا رضى الله عنهم : ١٥
فما تقتضى عزته و حكمته سبحانه من تطهيرنا عما تدنسنا به ؟ استأنف
تعالى الجواب عن ذلك ممتنا غاية الامتنان و محذرا من التعرض لمواقع
الخسران فقال : ﴿ لو لا كتب﴾ أى قضاء حتم ثابت مبرم ﴿ من الله ﴾

---

(١ - ١) فى ظ : ثابت ظاهره (٢) زيد فى ظ : انتهى (٣) زيد من ظ (٤) من
ظ ، و فى الأصل : اشارت .

أي الذي له الإحاطة الكاملة بكل شيء قدرة و علما ﴿ سبق ﴾ أي في أم الكتاب من الحكم بإسعادكم، و من أنه لا يعذب أحدا إلا بعد التقدم إليه بالنهي، و من أنه سيحل لكم الفداء و الغنائم التي كانت حراما على من قبلكم تشريفا لكم - كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ لمسكم فيمآ اخذتم ﴾
٥ أي من الأسرى المراد بهم الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ و لكن سبق حكمي[1] بأن المغنم - و لو بالفداء - لكم حل و إن تعجلتم فيه أمري.

و لما ساق سبحانه هذه البشارة في النذارة، سبب عنها قوله: ﴿ فكلوا مما غنمتم ﴾ أي من الفدية و غيرها حال كونه ﴿ حللا ﴾ أي لا درك و لا تبعة فيه من جهتي ﴿ طيبا ﴾ أي شهيا لكم ملائما لطباعكم،
١٠ و هذا إذا كان مع الشروط التي أقمتها لكم من عدم الغلول و الخيانة بوجه من الوجوه و الاستئثار و شديد الرغبة السائقة إلى ما لا يليق من التنازع و غيره، ذلك فيما[2] تقدمت فيه إليكم ﴿ و اتقوا الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال في جميع ذلك فلا تغلوا و لا تنازعوا و لا تقدموا إلا على ما يبيحه لكم الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ ان الله ﴾ أي المتصف بالجلال
١٥ و الإكرام ﴿ غفور ﴾ أي لمن يعلم من قلبه[3] أنه من أهل التقوى ﴿ رحيم ﴾ أي له، فلأجل ما علم في قلوبكم من الخير غفر لكم فلم[4] يعذبكم بتسرعكم[5] إلى إسار من لم يأمركم به الرسول صلى الله عليه و سلم للفاداة دون توقف على إذنه، و رحمكم فأحسن إليكم فأحل لكم الغنائم،

---

(١) من ظ، و في الأصل: حكم (٢) من ظ، و في الأصل: بما (٣) في ظ: قبله (٤) في ظ: فلا (٥) من ظ، و في الأصل: بسرعتكم.

انظر إلى قوله تعالى " ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا و يكفر عنكم سيأتكم و يغفر لكم " تعرف حسن تعليل الأمر بالتقوى بالمغفرة و الرحمة ، و يجوز أن يكون علة للأكل ، أى كلوا فان الله قد غفر لكم ما عاتبكم عليه ، و فائدة الأمر بالتقوى التحذير من العود اعتمادا على سعة الحلم ، و أيضا فقد تقدم تهديد و مغفرة فناسب أن يدلهم على أن علة المغفرة ٥ التقوى ، فكان ترجمة ذلك أنه لما رهبهم بمس العذاب عند أخذ الفداء لو لا سبق الكتاب ، رغبهم بأنه كلما صدهم عن جنابه[1] صارف ذنب فردهم إليه عاطف تقوى ، أسبل عليهم ذيل المغفرة و الرحمة ، و لما علم من هذا إباحة [ ما - [2] ] يؤخذ [3]من الأسر من الفداء ، و كان ما يؤخذ منهم[3] تعظم مشقته عليهم ، أقبل عليهم مستعطفا لهم ترغيبا فى الإسلام ، ١٠ فأقبل على نبيه صلى الله عليه و سلم / بالأمر بمخاطبتهم تنبيها على أنهم ليسوا /٤٥٠ بأهل لخطابه سبحانه بما أبعدوا أنفسهم عنه من[4] اختيارهم الكون[5] فى زمرة الأعداء على الكون فى عداد الأولياء ، فقال [3]معبرا بالوصف الناظر إلى تلقى العلم ترغيبا فى التلقى منه صلى الله عليه و سلم[3] : ﴿يآيها النبى﴾ أى الذى أنبئه بكل معنى جليل ، يظهر دينه و يزكى أمته مع رفع ١٥ مقداره و إتمام أنواره ﴿قل لمن فى ايديكم﴾ أى فى أيدى أصحابك و أهل دينك ، فان العبرة بعموم اللفظ لا[6] بخصوص السبب ﴿من الاسارى[7]﴾ ترغيبا لهم فيما عند الله ﴿ان يعلم الله﴾ بما له من

(١) فى ظ ، خيانة (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : عن (٥) فى الأصل : لا كون ، و فى ظ : لكون (٦) سقط من ظ (٧) هذه قراءة أبى عمرو ، و قرأ الباقون : الاسرى .

صفات [1]الجلال و الجمال[1] ﴿ في قلوبكم خيرا ﴾ أي شيئا من تقواه الحاملة
[ على - [2] ] الإيمان الذي هو[3] رأس الخير و على كل خير ﴿ يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم ﴾ أي مما[4] يفتح به عليكم من المغانم في الدنيا و يدخره لكم
من الثواب في الأخرى ﴿ و يغفر لكم ﴾ أي ما سلف من ذنوبكم ﴿ و الله ﴾
٥ أي الذي بيده كل شيء ﴿ غفور رحيم ﴾ أي من شأنه ذلك، و المعنى على
ما علم من قصة العباس الآتية رضي الله عنه أنه سبحانه يعاملكم و أمثالكم
في غير ما يأخذه منكم جنده[5] بالكرم، و أما إنه يحكم باسقاط الفداء عنكم
و يأمرهم بتركه و إطلاقكم مجانا بما يعلم في قلوبكم من خير و إيمان كنتم
تكتمونه فلا تطمعوا فيه لأن ذلك يفتح باب الدعاوى الباطلة المانعة من
١٠ الغنائم الموهنة للدين؛ قال الحافظ أبو عمر[6] ابن عبد البر في سيرته: قال
ابن[3] عباس و سعيد بن المسيب: كان العباس رضي الله عنه في الأسرى
فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: افد نفسك و ابني أخيك عقيلا
و نوفلا و خليتك[7] فانك ذو مال، فقال: يا رسول الله! إني كنت مسلما
و لكن القوم استكرهوني، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: [الله - [2]]
١٥ أعلم باسلامك، إن كان حقا ما تقول فالله يجزيك به، و أما ظاهر أمرك
فقد كان علينا، قال: ليس لي مال، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم:
و أين المال الذي وضعت عند أم الفضل حين خرجت و ليس معك أحد؟

---

(١-١) في ظ: الكمال و الجلال (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: فيما (٥) من ظ، و في الأصل: جفوه (٦) من ظ و معجم المؤلفين، و في الأصل: ابو عمرو (٧) في ظ: حليفك.



ثم

ثم قلت : إن أصبت فى سفرى هذا فأعطى الفضل كذا و عبد الله كذا ! فقال : و الذى بعثك بالحق ! ما علم بهذا[١] أحد غيرى و غيرها ، ففدى نفسه بمائة أوقية و كل واحد بأربعين أوقية و قال : تركتنى[٢] أسأل الناس ، [٣]و أسلم[٣] و أمر عقيلا [ فأسلم ، و لم يسلم من الأسارى غيرهما .

و لما كان التقدير : فان صدقوك و قبلوا - [٤] ] بشرى الله ، وفى الله لهم ؛ عطف عليه قوله : ﴿ و ان يريدوا ﴾ أى الأسرى و[٥] الكفار كلهم أو واحد[٦] منهم [٧]كأبى عزة ﴿ خيانتك ﴾ أى و أنت أعلى الخلق فى عهد من إسلام أو غيره يوثقونه لك ترضى به فى المن على أحد منهم بغير فداء ، يرد الله أن يكون وبال ذلك راجعا إليهم فيمكن منهم ، فلا تخش من أمرهم ﴿ فقد خانوا الله ﴾ [٣]أى الملك الأعظم ؛ و لما كانت خيانتهم غير مستغرقة للزمن ، أدخل الجار فقال[٣] : ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هذا الوقت [٧]بالكفر و غيره من أنواع الفسق[٧] ﴿ فامكن ﴾ أى فأوجد الإمكان منهم ، و قصره ليدل على أنهم صاروا سلبا لكل أحد ﴿ منهم[٤] ﴾ أى يوم بدر [ بسبب - [٣] ] خيانتهم ، فمثل ما أمكن منهم عند وقوع الخيانة سيمكنك منهم إذا أرادوا الخيانة ، فان الله يعلم ما يسرون و ما يعلنون ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم مطلقا فهو يعلم الأشياء كلها

(١) فى ظ : به (٢) فى ظ : تركنى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : او (٦) من ظ ، وفى الأصل : احد (٧-٧) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «إليهم فيمكن» و الترتيب من ظ .

التى منها أحوالهم ﴿ حكيم ﴾ أى بالغ الحكمة فهو يتيقن[1] كل ما يريده فهو يوهن كيدهم و يتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لا محالة ، و كذا فعل سبحانه فى أبى عزة الجمحى فانه سأل النبى صلى الله عليه و سلم فى المن عليه بغير شيء لفقره و عياله و عاهده على أن لا يظاهر عليه أحدا و مدحه
٥ ثم خان فظفر به[2] فى غزوة حمراء الأسد عقب يوم أحد أسيرا ، فاعتذر له و سأله فى العفو عنه فقال :[3] ألا تمسح[3] عارضيك بمكة و تقول : سخرت بمحمد مرتين ، لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ، و أمر به فضربت عنقه ؛ و قال أبو حيان[4] فى الخيانة[5] : هى كونهم / أظهر بعضهم الإسلام ثم رجعوا إلى دينهم .

/٤٥١

١٠ و لما بين للأسرى أن الخير الذى لم يطلع عليه من قلوبهم غير الله لا ينفعهم فى إسقاط الفداء عنهم لأنه لا دليل عليه ، وكل ما لا دليل عليه فحكمه حكم العدم ، لأن مبنى الشرع[6] على ما[7] يمكن المكلف معرفته و هو الظواهر ، و ختم بصفتى العلم و الحكمة ، شرع يبين الخبر الذى يفيد القرب الذى تنبنى عليه المناصرة و كل خير ، فقال مقسما أصحاب النبى
١٥ صلى الله عليه و سلم أربعة أقسام : قسم جمع الإيمان و الهجرة أولا و الجهاد ، و قسم آوى ، و قسم آمن و لم يهاجر ، و قسم هاجر من بعد : ﴿ ان الذين ءامنوا ﴾ أى بالله و رسوله ﴿ و هاجروا ﴾ أى واقعوا الهجرة

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يتق (٢) من ظ ، و فى الأصل : عليه (٣-٣) فى ظ : لا تسمح (٤) فى ظ : ابو حيازة (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و البحر المحيط ٤/٥٢١ فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : الشيء (٧) سقط من ظ .

من بلاد الشرك ، و هم المهاجرون الأولون ، هجروا أوطانهم و عشائرهم و أحبابهم حبا لله و رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿ و جهدوا ﴾ أى واقعوا[1] الجهاد ، و هو بذل الجهد فى توهين الكفر و أهله .

و لما كانت الآيات المتقدمة فى آلات[2] الجهاد من النفس و المال تارة بالحث على إنفاقه و أخرى بالنهى عن حبه و تارة بالتسلية للأسرى عند[3] ٥ فقده ، كان الأنسب تقديم قوله : ﴿ باموالهم ﴾ أى بانفاقهم لها فى[4] الجهاد و تضييع بعضها بالهجرة من الديار و النخيل و غيرها ﴿ و انفسهم ﴾ باقدامهم على القتال مع شدة الأعداء و كثرتهم ؛ و قدم المال لأنه سبب قيام النفس ، و كان فى غاية العزة فى[4] أول الأمر ، و أخر قوله : ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعظم لذلك ، و " فى " سببية[5] ، أى جاهدوا بسبيه حتى لا يصد ١٠ عنه صاد فتظهر محاسنه و يسهل المرور فيه من غير قاطع ، و لعله عبر بـ " فى " إعلاما[6] بأنه ينبغى أن يكون متمكنا من السبيل تمكن المظروف من ظرفه حتى يكون الدين غالبا عليه لا يخرج عنه بوجه من الوجوه ، و أما فى سورة براءة[7] فلما كان السياق فى بعض الأماكن بها للسبيل قدم - كما سيأتى ، و أيضا فان هذه السورة نزلت فى أوائل الأمر بعد وقعة بدر ١٥ فى السنة الثانية من الهجرة ، و كان الحال إذ ذاك شديدا جدا ، و الأموال فى غاية القلة ، و الأعداء لا يحصون ، فناسب الاهتمام بشأن المال و النفس

---

(١) فى ظ : اوقعوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الآيات (٣) من ظ ، و فى الأصل : عن (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) فى ظ : سببيه (٦) من ظ ، و فى الأصل : اعلام (٧) راجع آية ٢٠ .

فقدما ترغيبا فى بذلها، و أما براءة فنزلت فى غزوة تبوك فى أواخر سنة تسع، فكان[1] المال قد اتسع، و الدين قد عز و ضخم و قوى و عظم، و أسلم غالب الناس، فبعدت مواضع الجهاد فعظمت المشقة، و تواكل الناس بعضهم على بعض و رغبوا فى الإقبال على إصلاح الأموال، فناسب البداءة ٥ هناك بالسبيل.

و لما ذكر أهل الهجرة الأولى، أتبعهم أهل النصرة، و هم القسم الثانى من المؤمنين الذين كانوا على زمنه صلى الله عليه و سلم فقال: ﴿و الذين اٰووا﴾ أى [ من - [2] ] هاجر[3] إليهم من النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم فأسكنوهم فى ديارهم، و قسموا لهم من أموالهم، ١٠ و عرضوا عليهم أن ينزلوا لهم عن بعض نسائهم ليتزوجوهن، و إنما قصر الفعل إشارة إلى تعظيم فعلهم بحيث كأنه[4] لا إيواء فى الوجود غير ما فعلوا، و كذا قوله: ﴿و نصروا﴾ أى الله و رسوله و المؤمنين، و هم الأنصار رضى الله عنهم، حازوا هذين الوصفين الشريفين فكانوا فى الذروة من كلتى الحسنيين[5]، و لو لا إيواؤهم [ و نصرهم - [2] ] لما تم المقصود، ١٥ و المهاجرون الأولون أعلى منهم لسبقهم فى الإيمان الذى هو رئيس الفضائل و لحملهم الأذى من الكفار زمانا طويلا و صبرهم على فرقة الأوطان و العشائر. و أشار إلى القسمين بأداة البعد لعلو مقامهم و عز[6] مرامهم فقال: ﴿ اولٓئك ﴾ / أى العالو الرتبة ﴿ بعضهم اولياء بعض ﴾ /٤٥٢ أى فى الميراث دون القرب العارى عن ذلك، فبين أن الإيمان

(١) فى ظ: و كان (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وفى الأصل: هاجروا (٤) من ظ، و فى الأصل: كان (٥) زيد فى ظ: و اشار الى القسمين (٦) فى ظ: علو.

إن

إن لم يقترن[1] بشهيدين هما الهجرة و الجهاد من الغرّب[2] عن المدينة و شهيدين هما الإيواء و النصرة من أهل المدينة ، كان عائقا عن مطلق القرب بل مانعا من نفوذ لحمة النسب كل النفوذ[3] ، فكأن من آمن و لم يهاجر لم يرث ممن هاجر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، و مادة ولى بجميع تصاريفها ترجع إلى الميل ، و يلزم منه القرب [و البعد -[4]] ، و ربما نشأ ٥ عن كل منهما الشدة ، و ترتيب ولى بخصوصه يدور على القرب ، و من لوازمه النصرة ، فالمعنى بعضهم أقرباء بعض ، يلزم كلا منهم فى حق الآخر من المناصرة و غيرها ما يلزم القريب لقريبه ، فنى جمعهم وصف جعلهم شركاء فيما يثمره ، فوصف الحضور فى غزوة يشرك بينهم فى الغنائم ، لأن أنواع الجهاد كثيرة ، و كل واحد منهم باشر بعضها ، فعن حضور الكل ١٠ نشأت النصرة ، و المهاجر فى الأصل من فارق الكفار بقلبه و لاوامم ، و رافق المؤمنين بحبه و لبه و والامم ، لكن لما كان هذا قد يخفى ، نيط الأمر بالمظنة و هى الدار ، لأنها أمر ظاهر ، فصار المهاجر من باعد دار المشركين فرارا بدينه ، ثم صار شرط ذلك بعد هجرة النبي صلى الله عليه و سلم أن تكون النقلة إلى دار هجرته : المدينة الشريفة ، هذا حكم كل ١٥ مهاجر إلا [ما -[4]] كان من خزاعة ، فان النبي صلى الله عليه و سلم كان قد علم من مؤمنهم و كافرهم حبه و نصحه و بغض عدوه فلم يلزم مؤمنهم النقلة ؛ قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر فى كتاب المدخل إلى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لم يفترون (٢) من ظ ، و فى الأصل : القريب .
(٣) فى ظ : المنفوذ (٤) زيد من ظ .

الاستيعاب: و يقال لخزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه و سلم [1]لأنهم حلفاء بنى هاشم و قد أدخلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم[1] فى كتاب القضية عام الحديبية - إلى أن قال: و أعطاهم النبى صلى الله عليه و سلم منزلة لم يعطها أحدا من الناس أن جعلهم مهاجرين بأرضهم و كتب لهم بذلك
٥ كتابا - انتهى . و قال شاعرهم نجيد[2] بن عمران الخزاعى يفخر[3] بذلك و غيره مما خصهم الله به على يد[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم :

و قد أنشأ [الله -[5]] السحاب بنصرنا [6]ركام سحاب[6] الهيدب المتراكب
و هجرتنا فى أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير ممل و كاتب
و من أجلنا حلت بمكة حرمة لندرك ثأرا بالسيوف القواضب

١٠ ذكر ذلك الحافظ أبو الربيع ابن سالم الكلاعى فى غزوة الفتح من سيرته، و الذى تولى حلفهم أولا هو عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه و سلم؛ قال الواقدى فى أول غزوة الفتح: و كانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك عارفا، لقد جاءته يومئذ - يعنى يوم الحديبية - خزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه و هو « باسمك اللهم
١٥ هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة[7] إذ قدم عليه[8] و سراتهم[9]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من سيرة ابن هشام ٣/١، وفى الأصل: عبيد، وفى ظ: مجيد - كذا (٣) من ظ، وفى الأصل: يعجز (٤) فى ظ: يدى. (٥) زيد من ظ و السيرة (٦-٦) من ظ و السيرة، وفى الأصل: سحاب ركام. (٧) من ظ و كتاب المغازى ٢/٧٨١، و فى الأصل: الخزاعة (٨) من ظ و المغازى، وفى الأصل: عليهم (٩) فى ظ: سرواتهم.

و أهل الرأى ، غائبهم مقر بما قضى عليه شاهدهم ، إن بيننا و بينكم عهد الله
و عقوده ، ما لا ينسى أبدا ، اليد واحدة[1] و النصر واحد ، ما أشرف[2]
ثبير و ثبت حراء ، و ما بلّ بحر صوفة ، لا يزداد فيما بيننا و بينكم إلا تجددا
أبدا أبدا ، الدهر سرمدا ، فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه فقال : ما أعرفنى
بحلفكم و أنتم على[3] ما أسلمتم عليه من الحلف ، وكل حلف كان فى الجاهلية ٥
فلا يزيده الإسلام إلا شدة ، و لا حلف فى الإسلام ؛ قال الواقدى :
و جاءته أسلم و هو بغدير الأشطاط[4] جاء بهم بريدة بن الحصيب فقال :
يا رسول الله ! هذه أسلم و هذه محالها و قد [ هاجر إليك من -[5] ] هاجر
منها و [ بقى -[5] ] قوم منهم فى مواشيهم و معاشهم ، فقال رسول الله
صلى الله عليه و سلم : أنتم[6] مهاجرون حيث كنتم ، و دعا العلاء بن الحضرمى ١٠
فأمره أن يكتب لهم كتابا فكتب « هذا كتاب من محمد رسول الله
صلى الله عليه و سلم لأسلم لمن آمن منهم بالله و شهد أن / لا إله إلا الله /٤٥٣
و أن محمدا عبده و رسوله ، فانه آمن بأمان الله ، و له ذمة الله و ذمة
رسوله ، و إن أمرنا و أمركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم ، اليد
واحدة و النصر واحد ، و لأهل باديتهم [ مثل -[7] ] ما لأهل قرارهم[8] ١٥

---

(١) فى ظ : واحد (٢) من المغازى ، و فى الأصل : اشرق ، و فى ظ : اشر - كذا .
(٣) من ظ و المغازى ، و فى الأصل : عا - كذا (٤) من المغازى ، و فى الأصل
و ظ : الاشظاظ ، و قال فى المغازى نقلا عن وفاء الوفاء : غدير الأشطاط : على
ثلاثة أميال من عسفان مما يلى مكة (٥) زيد من ظ و المغازى (٦) زيد بعده فى
الأصل : لعى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و المغازى فحذفناها (٧) زيد من المغازى .
(٨) فى ظ : قراهم .

[ وهم ـــ ] مهاجرون حيث كانوا ، وكتب العلاء بن الحضرمى فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله ! نعم الرجل بريدة بن الحصيب لقومه عظيم البركة عليهم ، مررنا به ليلة مررنا ونحن مهاجرون إلى المدينة ، فأسلم وأسلم معه من قومه من أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل بريدة لقومه وغير قومه يا أبا بكر ! إن خير القوم من كان مدافعا عن قومه ما لم يأثم ، فان الإثم لا خير فيه - انتهى . وأسلم شعب من أربعة شعوب من خزاعة . ولما فتحت مكة ، انقطعت الهجرة لظهور الدين وضعفت المشركين ، وقام مقام الهجرة النية الخالصة المدلول عليها بالجهاد كما قال صلى الله عليه وسلم « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » وقال صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » فان كان المؤمن لا يتمكن من إظهار دينه وجبت[2] عليه النقلة .

ولما بين سبحانه أمر من جمع[3] الشروط ، شرع يبين حكم من قعد[4] عن بعضها وهو القسم الثالث فقال : ﴿ والذين ءامنوا ﴾ أى اشتهر إيمانهم ﴿ ولم يهاجروا ﴾ أى قبل الفتح بل استمروا فى بلادهم ﴿ ما لكم من ولايتهم ﴾ وأغرق فى النفى فقال : ﴿ من شىء ﴾ أى[5] فى التوارث ولا فى غيره ؛ ورغبهم فى الهجرة بقوله : ﴿ حتى يهاجروا ﴾ أى يواقعوا[6] الهجرة لدار الشرك ومن فيها ﴿ وإن استنصروكم ﴾ أى طلبوا نصركم ﴿ فى الدين ﴾ أى

(١) زيد من ظ والمغازى (٢) فى ظ : وجبه (٣) من ظ ، وفى الأصل : جميع .
(٤) فى الأصل : نقد ، وفى ظ : عقد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : يوقعوا .



بسبب

بسبب أمر من أموره و هم متمكنون من الدين تمكن المظروف من الظرف ﴿ فعليكم النصر ﴾ أى واجب عليكم أن تنصروهم[1] على المشركين ، فالمعنى أنه ليس لهم عليكم حق القريب إلا فى الاستنصار فى الدين . فان ترك نصرهم يجر إلى مفسدة كما أن موالاتهم تجر إلى مفاسد ؛ ثم استثنى من الوجوب فقال : ﴿ الا على قوم ﴾ وقع و كان ﴿ بينكم و بينهم ميثاق ﴾ ٥
أى لأن استنصارهم يوقع بين مفسدتين : ترك[2] نصرة المؤمن و نقض العهد و هو أعظمها فقدمت[3] مراعاته و تركت نصرتهم[4] ، فان نصرهم الله على الكفار فهو المراد من غير أن تدنسوا بنقض ، و إن نصر الكفار حصل لمن قتل من إخوانكم الشهادة و لمن بقى الضمان بالكفاية ، وكان ذلك داعيا لهم إلى الهجرة[5] ، و من ارتد منهم أبعده الله و لن يضر إلا ١٠
نفسه و الله غنى حميد ، فقد وقع - كما ترى - تقسيم المؤمنين إلى ثلاثة أقسام : أعلاها المهاجر ، و يليه الناصر ، و أدناها القاعد القاصر ، و بقى قسم رابع يأتى[6] ؛ قال أبو حيان : فبدأ بالمهاجرين - أى[6] الأولين - لأنهم أصل الإسلام و أول من استجاب لله تعالى ، فهاجر قوم إلى المدينة ، و قوم إلى الحبشة ، و قوم إلى ابن ذى يزن ، ثم هاجروا إلى المدينة و كانوا ١٥
قدوة لغيرهم فى الإيمان و سبب تقوية الدين « من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل[7] بها إلى يوم القيامة » و ثنى بالأنصار لأنهم ساووهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ينصروهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : يرى - كذا .
(٣) فى ظ : فتقدمت (٤) فى ظ : تركتهم (٥) فى ظ : المهجر (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : يعمل .

فى الإيمان و فى الجهاد بالنفس و المال، لكنه عادل بالهجرة[1] الإيواء و النصرة، و انفرد المهاجرون بالسبق، و ذكر ثالثا من آمن و لم يهاجر و لم ينصر، ففاتهم هاتان الفضيلتان و حرموا الولاية حتى يهاجروا، ثم قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين و الأنصار، فكان المهاجرى ٥ يرثه أخوه الأنصارى إذا لم يكن له بالمدينة ولى مهاجرى، و لا توارث بينه و بين قريبه المسلم غير المهاجرى[2]، قال ابن زيد: و استمر أمرهم كذلك إلى[3] فتح مكة - انتهى. لكن ما ذكر ابن عبد البر - كما سيأتى - من أن حكم ذلك زال / بوقعة بدر أولى للآية الآتية[4] آخر السورة مع ما يؤيد ذلك من آية الأحزاب[5]. /٤٥٤

١٠ و لما كان التقدير: فالله بمصالحكم خبير، و كان[6] للنفوس دواع إلى مناصرة الأقارب و الأحباب و معاداة غيرهم خفية، و لها دسائس[7] تدرك، حذر من ذلك بقوله عاطفا على هذا المقدر: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة؛ و لما كان السياق لبيان المصالح التى تنظم الدين و تهدم ما عداه، و كان للنفوس - كما تقدم - أحوال، اقتضى تأكيد العلم ١٥ بالخفايا فقدم الجار الدال على الاختصاص الذى هو هنا كناية عن إحاطة العلم فقط فقال مرهبا: ﴿ بما تعملون بصير ﴾ و فى ذلك أيضا ترغيب فى العمل بما حث عليه من الإيمان و الهجرة و النصرة و الإنفاق و التحرى

---

(١) فى البحر المحيط ٤/٥٢١: الهجرة (٢) من البحر، و فى الأصل و ظ: المهاجر (٣) زيد بعده فى ظ: ان (٤) من ظ، و فى الأصل: الثانية (٥) راجع آية ٦ منها (٦) فى ظ: كانت (٧) من ظ، و فى الأصل: اساس.

فى جميع من[1] ذلك و ترهيب من العمل بأضدادها ، و فى " البصير " إشارة إلى العلم بما يكون من ذلك خالصا أو مشوبا ، ففيه مزيد حث على الإخلاص .

و لما بين شرط موالاة المسلم ، بين موالاة الكافر و ما يجب من مناظرتهم[2] و مباراتهم فيها ، و أنه لا شرط لها غير مطلق الكفر فانه ٥ -[1]و إن اختلفت أنواعه و تباعدت أنحاؤه - يجمعه عداوة الله [و -[3]] ولاية الشيطان فقال : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف على أىّ حال كانوا فيه ﴿ بعضهم اولياء بعض[4] ﴾ أى فى الميراث و النصرة و غيرهما ، و هو خبر محض مشير إلى نهى المسلم عن موالاتهم ، و أما الذى مضى فى حق المؤمنين فهو أمر فى صورة الخبر و صيغته ، يعنى أن فى كل من ١٠ الكفار قوة الموالاة للآخر عليكم و الميل العظيم الحاث لهم[1] على المسارعة فى ذلك و إن اشتدت عداوة بعضهم لبعض لأنكم حزب و هم حزب ، يجمعهم داعى الشيطان بوصف الكفران كما يجمعكم داعى الرحمن بوصف الإيمان ، قال أبو حيان : كانوا قبل بعثة النبى صلى الله عليه و سلم يعادى أهل الكتاب منهم قريشا و يتربصون بهم الدوائر ، فصاروا بعد بعثه صلى الله ١٥ عليه و سلم يوالى بعضهم بعضا [ و -[4] ] إلبا واحدا على رسول الله صلى الله عليه و سلم - انتهى . و ما ذكره مذكور فى السير مشهور عند أهل الأثر ﴿ الا تفعلوه ﴾ أى مثله من تولى المؤمنين و معاداة الكافرين

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تناظرهم (٣) زيد من ظ (٤) زيد من البحر المحيط ٥٢٢/٤ .

كما يفعل الكفار بالتعاضد و التعاون بالنفس و المال كما أرصدوا مال العير الذى فاتكم حتى استعانوا به على قتالكم فى أحد ، فاللائق بكم[1] أن تكونوا أعظم منهم فى ذلك ، لأنهم يريدون بذلك رمّ واهى دنياهم الفانية و أنتم تبنون آخرتكم الباقية ، و داعيكم ولى غنى و داعيهم عدو دنى فضلا
٥ عن أن تنزلوا إلى حضيض التنازع فى الغنائم ﴿ تكن فتنة ﴾ أى عظيمة ﴿ فى الارض ﴾ أى خلطة مميلة للقاصد عن وجوهها ﴿ و فساد كبير ﴾ أى[2] ينشأ عن تلك الفتنة ، و الكبير ناظر إلى العظم ، و قرئ شاذا بالمثلثة فيكون عظمه حينئذ مخصوصا بالأنواع ، و بيان الفساد أنه إذا قارب المؤمن الكافر و الكافر المؤمن و تناصروا أو ترك المؤمنون التناصر فيما
١٠ بينهم انحل النظام فاختل كل من النقض و الإبرام ، فاختلف الكلام فتباعدت القلوب ، فتزايدت الكروب ، فالواجب عليكم أن تكونوا إلبا[3] واحدا و يدا واحدة فى الموالاة و تقاطعوا[3] الكفار بكل اعتبار ليقوم أمركم و تطيب حياتكم ، و تصلح غاية الصلاح دنياكم و آخرتكم ، و الآية شاملة لكل ما يسمى توليا[4] حتى فى الإرث و قتال الكفا و مدافعة المسلمين
١٥ بالأمر و الإنكار ، و لما ترك بعض العلماء إعانة بعض فئة حصل ما خوف الله تعالى منه من الفتنة و الفساد حتى صار الأمر إلى ما ترى من علو المفسدين و ضعف أهل الدين ، فالآمر بالمعروف فيهم[2] فى غاية الذل و الغربة ، يرد عليه أدنى / الناس فلا يجد[5] له ناصرا ، و يجد ذلك الآخر له على ٤٥٥/

(١) فى ظ : به (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : تعاطوا (٤) فى ظ : توالیا (٥) من ظ ، و فى الأصل : فلا تجد .

الرد

الرد أعوانا كثيرة[1]، و صار أحسن الناس حالا مع الأمراء و أعظمهم له محبة من يقنع بلومه على فعله ظنا منه أن ذلك شفقة عليه - و الله المستعان.

و لما تقدمت أنواع المؤمنين: المهاجر و الناصر و القاعد، و ذكر أحكام موالاتهم[2]، أخذ يبين تفاوتهم في الفضل فقال: ﴿و الذين ءامنوا﴾ أي بالله و ما أتى[3] منه ﴿و هاجروا﴾ أي فيه من يعاديه سابقين مع نبيه ٥ صلى الله عليه و سلم ﴿و جهدوا﴾ أي بما تقدم من المال و النفس أو بأحدهما ﴿في سبيل الله﴾ أي الذي له صفات الكمال فبذلوا الجهد في إذلالهم كما بذل الأعداء الجهد في إذلالهم، و لم يذكر آلة الجهاد لأنها - مع تقدم ذكرها - لازمة ﴿و الذين ءاووا﴾ أي من هاجر إليهم ﴿و نصروا﴾ أي حزب الله؛ و أعلم بقوله: ﴿أولئك﴾ أي الصنفين ١٠ الأولين خاصة ﴿هم المؤمنون حقا﴾ أي حق الإيمان، لأنهم حققوا إيمانهم: المهاجر بالانسلاخ من كل ما يحبه من الأمور الدنيوية، و الناصر من جميع أهل الكفر بإيواء أهل الله و نصرتهم.

و لما بين وصفهم، بين ما حباهم[4] به بقوله دالا على أن الإنسان محل النقصان، فهو - و إن اجتهد حتى كان من القسم الأعلى - لا ينفك ١٥ عن مواقعة ما يحتاج فيه إلى الغفران: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لزلاتهم و هفواتهم، لأن مبنى الآدمي على العجز اللازم عنه التقصير و إن اجتهد، و الدين متين فلن يشاده أحد إلا غلبه؛ و لما ذكر تطهيرهم بالمغفرة، ذكر

---

(١) في ظ: كثيرا (٢) في ظ: بموالاتهم (٣) في ظ: اوتى (٤) من ظ، و في الأصل: حبهم.

تزكيتهم بالرحمة فقال: ﴿ و رزق ﴾ أى من الغنائم و غيرها فى الدنيا و الآخرة ﴿ كريم ﴾ أى لا كدر فيه [ بوجه - [1] ]، لا فى قطعه و لا فى نقصانه و لا فى شيء من شأنه .

و لما حصر المؤمنين حقا فى الموصوفين، بين أن من ترك ما هو عليه من لزوم دار الكفر و القعود عن الجهاد، لحق بمطلق درجتهم و إن كانوا فيها أعلى منه فقال ذاكرا القسم الرابع: ﴿ و الذين ءامنوا ﴾[2] و لما كانوا قد تأخروا عن دعوة النبى صلى الله عليه و سلم مدة، أدخل الجار فقال: ﴿ من بعد ﴾ أى من[3] بعد تأخر إيمانهم عن السابقين ﴿ و هاجروا ﴾ أى لاحقين للسابقين، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم من[4] هاجر بعد الحديبية، قال: و هى الهجرة[5] الثانية ﴿ و جهدوا معكم ﴾ أى من تجاهدونه من حزب الشيطان ﴿ فاولئك منكم ﴾ أى لهم ما لكم و عليهم ما عليكم من المواريث و المغانم و غيرها[6]، لأن الوصف الجامع هو المدار للأحكام و إن تأخرت رتبتهم عنكم كما[7] أفهمته أداة البعد .

و لما بين أنهم منهم، بين أنه متى جمعهم[8] الوصف المحصل للولاية، كان القرب فى الرحم أولى من غيره فقال: ﴿ و اولوا الارحام ﴾ أى [ من - [1] ] المؤمنين الموصوفين ﴿ بعضهم اولى ببعض ﴾ أى فى الإرث و غيره من المتصفين بولاية الدين الخالية عن الرحم ﴿ فى كتب الله ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ: اى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: ما (٥) فى ظ: الحديبية (٦) من ظ، وفى الأصل: غيرهم (٧) من ظ، وفى الأصل: بما (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أى القرآن أو فى حكمه و قسمه الذى أنزله إليكم الملك الأعظم فى آيات الإرث، و هى مقيدة بالعصبات [ فنسخت الولاية - [1] ] [2]فلا دلالة[2] على توريث غيرهم ، و ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة المنذر بن عمرو أن بدرا قطعت المواخاة بين الصحابة رضى الله عنهم ، يعنى فتكون[3] هذه الآية ناسخة آية "بعضهم اولياء بعض" و تكون تلك حينئذ مبينة أمر ما كان قبل غزوة بدر - و هو حسن ، و الآية التى فى سورة الأحزاب مؤيدة له ؛ ثم علل سبحانه ما ذكر بما يرغب فيه فقال : ﴿ ان الله ﴾ اى الذى له صفات الكمال كلها ﴿ بكل شىء عليم ع ﴾ فهو يعلم أن هذا هو الذى تدور عليه المصلحة و تدوم به الألفة كما علم فى أول الأمر أن نوط الإرث و غيره من لوازم القرب بالأخوة الإسلامية[4] أولى / لما فى ذلك ١٠ ٤٥٦/ من تكثير قلتكم و نصر ذلتكم و جمع شتاتكم و جعل ما بينكم من الأخوة كلحمة النسب ، فأما الآن فقد ضرب الدين بجرانه[5] ، و ثبت بقواعده و أركانه ، و ولى [6]الكفر بسلطانه[6] ، و نكص مدبرا بأعوانه ، فتوارثوا بالإسلام و القرابة و تقاطعوا[7] الكفار ، و[8] قربوا و بعدوا ، و انحازوا عنهم كما انحازوا عنكم ، و تبرأوا منهم كما تبرأوا منكم ، فقد انطبق آخر السورة ١٥ - بالإعراض عن الدنيا و إصلاح ذات البين و بيان المؤمنين حقا و تقليد العليم فى جميع الأعمال من غير اعتراض - على أولها[9] ، و بيان من يوالى[10] و من يعادى على أول براءة - و الله الموفق .

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : فيكون (٤) فى ظ : الإسلام (٥) الضرب بالجران كناية عن الثبات و الاستقرار (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : الشيطان (٧) من ظ ، و فى الأصل : قاطعوا (٨) سقط من ظ . (٩) فى ظ : اولها (١٠) فى ظ : توالى .

# سورة براءة[1]

مقصودها معاداة من أعرض عما دعت إليه السورة الماضية من اتباع الداعي إلى الله في توحيده واتباع ما يرضيه، وموالاة من أقبل عليه، وأدل[2] ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد قصة المخلفين فانهم - لاعترافهم
٥ بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد منهم رضى الله عنهم الاعراض بالقلب - هجروا، وأعرض عنهم بكل اعتبار حتى بالكلام، فذلك معنى تسميتها[3] بالتوبة، وهو[4] يدل على البراءة لأن البراءة منهم - بهجرانهم[5] حتى في رد السلام - كان سبب التوبة، فهو من إطلاق المسبب على السبب، وتسميتها ببراءة[6] واضح أيضا
١٠ فيما ذكر من مقصودها، وكذا الفاضحة لأن من افتضح كان أهلا للبراءة منه، والبحوث لأنه لا يبحث[7] إلا عن حال البغيض، والمبعثرة هو المنفرة والمثيرة والحافرة والحفارة والمخزية والمهلكة والمشردة والمدمدمة والمنكلة، لأنه لا يبعثر إلا حال العدو وكذا ما بعده، والمشردة عظيمة المناسبة مع ذلك لما أشارت إليه الأنفال في "فشرد بهم من خلفهم[8]" وسورة
١٥ العذاب أيضا واضحة في مقصودها، وكذا المقشقشة لأنهم قالوا: إن معناه

---

(١) مدنية سوى آيتين في آخرها - كما قال ابن الجوزي، وهي مائة وتسع وعشرون آية، وقيل: مائة وثلاثون آية (٢) في ظ: ابدل (٣) في ظ: تسويتها. (٤) في ظ: هذا (٥) من ظ، وفي الأصل: بعجزانهم (٦) في ظ: براءة (٧) في ظ: لايبعث (٨) آية ٥٧ .

المبرئة من النفاق، من تقشقشت قروحه - إذا[1] تقشرت للبرء، و توجيهه أن من عرف أن الله برىء منه و رسوله و المؤمنون لأمر فهو جدير بأن يرجع عن ذلك الأمر، و عندى [ أيضا - [2] ] أنه مضاعف القش الذى معناه الجمع، لأنها جمعت أصناف المنافقين و أحوالهم و عليه خرج قاسم[3] ما فى وصف أبى جهم بن حذيفة لمن أراد نكاحها: أخاف عليك قشقاشته[4]، ٥ أى تتبعه لمذاق الأمور، أخذا من القش الذى هو تطلب المأكول من ههنا و ههنا، أو عصاه التى هى غاية ذلك، و مادة قش و مقلوبها شق و مضاعفها قشقش و شقشق[5] تدور على الجمع و تلازمه[6] الفرقة فانه لا يجتمع[7] إلا ما كان مفرقا[8] و لا يفرق إلا ما كان مجتمعا، و قد اقتسم هذان[9] المثالان المعنيين إلا قليلا، فقش القوم: صلحوا و أحيوا بعد الهزال بجمع ١٠ اللحم، و الرجل: أكل من ههنا و ههنا ولف ما قدر عليه مما على الخوان، واضح فى ذلك، و أقشوا و انقشوا - إذا انطلقوا جفلوا و مروا[10] ذاهبين - و قد انقشوا - إذا مروا و ذهبوا مسرعين لاجتماعهم فى[11] ذلك و جمعهم ما قدروا عليه من متاعهم، و القش و الإقشاش: طلب المأكول من ههنا و ههنا لجمعه[12]، و القشة - بالكسر: القردة كأنها لجمعها ما رأت مما يؤكل ١٥ فى فيها، و الصبية الصغيرة الجثة [ التى - [13] ] لا تكاد تثبت كأنها[14]

(١) فى ظ: اى (٢) زيد من ظ (٣) أى ابن سلام أبو عبيد الهروى (٤) فى جميع المراجع: قسقاسته - باهمال السين (٥) من ظ، و فى الأصل: شقشقا (٦) من ظ، وفى الأصل: تلازم (٧) من ظ، وفى الأصل: لايجمع (٨) فى ظ: مفروقا. (٩) فى ظ: هذا (١٠) فى ظ: مردوا (١١) فى ظ: على (١٢) فى الأصل وظ: لجمعها (١٣) زيد من تاج العروس (١٤) من ظ، و فى الأصل: كانه.

لاجتماعها فى نفسها، [1]و كذا القشيس: الصغير من الصبيان، و دويبة كالجعل إما لاجتماعها فى نفسها[1] أو لجمعها القاذورات، و القشيش كأمير: اللقاطة لأنها يجمعها اللقاطون، و صوت جلد الحية يحك بعضها ببعض، لأنه لا يكون إلا عند التثنى و التجمع، و أقش من الجدرى: برئ منه
٥ كتقشقش[2] يصلح أن يكون من الفرقة لأنه فارقه، و من الجمع لأن البرء جمعه كله فأزاله، و يمكن أن تكون[3] همزته للازالة، و تقششت القروح و تقشقشت - إذا تقشرت للبرء، إما من الجمع لاجتماع القوى للصحة، و إما من الفرقة و الزوال، و كذا تقشقش البعير - إذا برئ من / الجرب، / ٤٥٧
و يقال: قشّشهم بكلامه[4] - إذا تكلم بقبيح و آذاهم، أى لجمعه همومهم على
١٠ بغضه أو معايبهم، و كذا قش الشيء: [5]جمعه، و الناقة: أسرع حلبها، أى جمع الزمان الطويل بجمع ما فى ضرعها، و الشيء: حكه بيده حتى يتحات، أى قشره جميعه، فهو يصلح للفرقة و الجمع، و قش: مشى مشى المهزول أى اضطرب، و هو يوجب [ الإسراع و - [6] ] التثنى فيصلح للجمع و الفرقة، و قش: أكل مما يلقيه الناس على المزابل أو أكل كسر
١٥ الصدقة، لأن ذلك غاية فى الجمع، و قش النبات: يبس، فاستحق أن يجمع، و القش: رديء التمر[7] كالدقل و نحوه لأنه، يجمع[8] فى نفسه، و الدلو

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ كتقشش (٣) من ظ، و فى الأصل: يكون (٤) من القاموس، و فى الأصل و ظ: بكلام (٥) زيد فى ظ: اى (٦) زيد من ظ (٧) من القاموس، و فى الأصل و ظ: النخل (٨) فى ظ: تجمع.

الضخم[١] لكثرة ما يجمع، و فى الحديث: "قل يايها الكفرون" و "قل هو الله احد" المقشقشتان، أى المبرئتان من الشرك لما فى الحديث: اقرأ "قل يايها الكفرون" عند منامك فانها براءة من الشرك، فالمعنى أنهما تجمعان كل شرك و نفاق [ دقيق -[٢] ] أو جليل فتزيلانه، و القشقشة يحكى بها الصوت قبل الهدير فى محض الشقشقة[٣] قبل أن ترعد بالهدير، لأن مبادئ صوت الهدير زائد الضخامة، فكأنه جامع، فكذا ما يحكيه؛ و القشقاشة: العصا، لجمعها ما يراد بها أو لأنها يقشر عنها لحاؤها كما يقشر جلد الحية، و أما مقلوبه فيقال فيه[٤]: شقه: صدعه أى فرقه، و قال الخليل: الصدع ربما كان فى أحد الوجهين غير نافذ، و الشق لا يكون إلا نافذا، و شق ناب البعير: طلع، لأنه فرق اللحم، و شق العصا: فرقها باثنتين و فرق بين الجماعة، و شق عليه الأمر: صعب ففرق نفسه، و شق عليه: أوقعه فى مشقة، و شق بصر المحتضر: نظر إلى شيء لا يرتد إليه[٥] طرفه، لأنه لتصويبه إلى جهة واحدة مفترق[٦] من بقية الجهات، و الشق واحد الشقوق، و الصبح[٧] لأنه يفرق جيش الظلام، و جوبة[٨] ما بين الشفرين من جهاز المرأة، و التفريق و منه شق عصا المسلمين، و استطالة البرق[٩] إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يمينا و شمالا، لأنه يشق السحاب مستقيما كما يشق اللوح و العصا، و الشق - بالكسر: الجانب لأنه مفارق للجانب الآخر[١٠]،

(١) و فى تاج العروس: الصواب: الضخمة كما فى التكلة و غيرها (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: القشقشة (٤) فى ظ: فيها (٥) فى ظ: عليه (٦) من ظ، و فى الأصل: معترضة (٧) من ظ والقاموس، و فى الأصل: الصفح (٨) فى ظ: جرته.
(٩) من ظ و القاموس، و فى الأصل: البراق (١٠) فى ظ: الا - كذا.

و اسم لما نظرت إليه لأنه فى جانب واحد ، و جنس من أجناس الجن لأنه
فرقة منهم ، و من كل شيء نصفه - و يفتح ، [و -[1]] المال بيني و بينك شق
الشعرة - و يفتح : نصفان سواء ، و الشقة - بالكسر: شظية من لوح ، و من
العصا و الثوب و غيره ما شق مستطيلا ، و الشقية : ضرب من الجماع[2] كأنه
٥ على شق واحد ، و الشقة - بالضم و الكسر : البعد و الناحية يقصدها المسافر ، و
و السفر البعيد ، و كله واضح فى الفرقة . و المشقة أيضا لأنها تأخذ أحد شق
النفس . و الفرس الأشق : البعيد ما بين الفروج و الطويل . كأن أجزاءه
تفرقت فطال ضد ما تقدم فى الصبية الصغيرة . و الأشق أيضا : العجل
إذا استحكم كأنه[3] لما تأهل من شق الأرض بالحراثة ، و كل ما اشتق
١٠ نصفين ، و الشقيقة كسفينة : الفرجة بين الجبلين[4] تنبت العشب ، لأنها
فرقت بين الجبلين و فرقت[5] عشبها بين ملتئم أرضها ، و المطر الوابل المتسع
لأن الغيم تشقق عنه ، و من البرق ما انتشر من الأفق لأنه يشق السحاب ،
و وجع يأخذ نصف الرأس و الوجه ، و شقائق النعمان معروف سميت
لحمرتها تشبيها بشقيقة البرق - كذا قالوا ، و عندى أنها سميت لتفرق
١٥ أوراقها و تصفقها فكأنها مشققة[6] مع التجمع ، و الشقاق كغراب : تشقق
يصيب أرساغ الدواب ، و الشقشقة - بالكسر : شيء كالرئة يخرجه البعير
من فيه إذا هاج ، كأنه يشق حلقه فيخرج و يوجب هديره الذى يشق

(١) زيد من ظ و القاموس (٢) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : الجماعة .
(٣) فى ظ : لأنه (٤) فى اللسان : الحبلين (٥) من ظ ، و فى الأصل : فرق (٦) فى
ظ : مشقة .



انطباق

انطباق تجويفه ليصوت، و منه شقشق[1] الفحل: هدر، و العصفور: صوت، و شقق الكلام: أخرجه أحسن مخرج، و شقق الحطب: فرق كل واحدة باثنتين أو أكثر، و انشقت العصا: تفرق الأمر، و الاشتقاق: أخذ شق الشيء و الأخذ في الكلام / و في الخصومة يمينا و شمالا مع ترك القصد، لأنه يشق[2] جهات المعاني، و هو أيضا أخذ الكلمة من الكلمة، فكأنه فرق بين أجزائها، و هذا أخي و شق نفسي و شقيق، كأنه[3] يشق [نسبه - [4]] من نسبه[5] أو كأنه شقه منه. و هذه السورة آخر سورة نزلت. روى[6] البخاري في التفسير و غيره من صحيحه عن البراء رضي الله عنه قال: آخر آية نزلت " يستفتونك قل الله يفتيكم في الكللة " و آخر سورة نزلت براءة.

/ ٤٥٨

و لما كانت مناسبة أولها - الداعي إلى البراءة ممن يخشى نقضه[7] - لآخر الأنفال المبين لمن[8] يصلح للولاية المختتم بشمول العلم في حد عظيم من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة آخر الأعراف لأول الأنفال، قدمت الأنفال مع قصرها على براءة مع طولها و اشتباه أمرها على[9] الصحابة في كونها سورة مستقلة أو بعض سورة كما قدمت آل عمران

(١) من القاموس، و في الأصل: شقيق، و في ظ: شقق (٢) من ظ، و في الأصل: يشقق (٣) في ظ: لانه (٤) زيد من ظ و القاموس (٥) من القاموس، و في الأصل و ظ: نفسه (٦) من ظ، و في الأصل: و في - كذا (٧) من ظ، و في الأصل: بغضة (٨) من ظ، و في الأصل: لم - كذا (٩) من ظ، و في الأصل: عن.

[1]مع قصرها[1] على النساء لمثل ذلك من المناسبة ، فكان ما ذكر فى براءة من البراءة و التولى شرحا لآخر الأنفال ؛ روى الإمام أحمد فى المسند و أبو داود فى السنن و الترمذى فى الجامع و حسنه و[2] ابن ماجه و ابن حبان فى[2] صحيحه و إسحاق بن راهويه و أبو يعلى و البزار و البيهقى و الإمام أبو محمد إسحاق بن
٥ إبراهيم البستى[3] القاضى فى تفسيره - بسند الترمذى و البيهقى - و الإمام أبو جعفر النحاس بغير سند عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان رضى الله عنه: ما حملكم على[4] أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى و إلى براءة و هى من المئين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم و وضعتموها فى السبع الطول؟ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان رضى الله عنه :
١٠ كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مما[5] - و قال البستى: ربما - يأتى عليه الزمان و هو تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا ، و كانت[6] الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، و كانت براءة من آخر القرآن نزولا ، و كانت قصتها شبيهة بقصتها ،
١٥ فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يبين لنا أنها منها ، - قال النحاس: و ذهب عنى أن أسأله عنها - فمن أجل ذلك قرنت بينهما

---

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) ذكره فى معجم البلدان - راجع «البست» (٤) فى ظ: الى (٥) من جامع الترمذى - التفسير ، و مسند الإمام أحمد ١/٥٧ ، و فى الأصل وظ: بما (٦) فى ظ: كان .

ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" فوضعتها في السبع الطول - زاد ابن راهويه: وكانتا تدعيان القرينتين - انتهى . فبين أنهما اشتبها عليه وأنه وضعهما في الطول لمناسبتهما لها على تقدير كونها سورة واحدة؛ قال في القاموس: والسبع الطول - كصرد - من البقرة إلى الأعراف، والسابعة سورة يونس أو الأنفال وبراءة جميعا لأنهما سورة واحدة - انتهى . وقال في ٥ الكشاف: وقيل: سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة[1] من الطول وهي سبع وما بعدها المثون، وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول، وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان فتركت[2] بينهما فرجة لقول من يقول: هما سورتان، ١٠ وتركت «بسم» لقول من يقول: هما سورة واحدة - انتهى . وعن أبي ابن كعب رضي الله عنه أنه قال: إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود، وفي براءة نبذ العهود، ووضعت إحداهما بجنب الأخرى .

والمراد بالمثاني هنا ما دون المئين[3] وفوق المفصل؛ قال أبو عبيد الهروي: قيل لها مثاني لأن المئين جعلت مبادئ، والتي تليها مثاني - انتهى . ١٥ والأحسن كون ذلك بالنسبة إلى المفصل من وجهين: الأول أن المفصل أول لقب جامع للسور باعتبار القصر وفوقه المثاني ثم المئون ثم الطول، فالمثاني / ثانية له حقيقة، وما هي ثانية للمئين[4] إلا أن ألفينا البداءة بالطول /٤٥٩

(١) من ظ والكشاف ١/٣٨٤، وفي الأصل السابقة (٢) من ظ والكشاف، وفي الأصل: فتركب (٣) من ظ، وفي الأصل: المائتين (٤) من ظ، وفي الأصل: للمتقين .

من الطرف الآخر ، الثاني أنها لما زادت على المفصل كانت قسمة[1] السورة منها في ركعتين من الصلاة كقراءة سورتين من المفصل فكانت مثاني لتثنيتها في مجموع الصلاة باعتبار قراءة بعضها في كل من الركعتين ؛ قال أبو جعفر النحاس : قال أبو إسحاق : حدثني بعض أصحابنا عن صاحبنا محمد ٥ ابن يزيد أنه قال : لم تكتب في أول سورة براءة "بسم الله الرحمن الرحيم" لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" افتتاح خير ، و براءة أولها وعيد و نقض للعهود فلذلك لم تكتب في أولها بسم [ الله - [2] ] ؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سألت عليا رضي الله عنه : لم لم تكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" ههنا ؟ قال : لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" أمان ، و هذه السورة نزلت بالسيف ١٠ و نبذ العهد و ليس فيها أمان - انتهى . و بهذا أخذ الإمام أبو القاسم الشاطبي في قصيدته حيث قال :

و مهما تصلها[3] أو بدأت براءة[4] تنزيلها بالسيف لست[5] مبسملا

و قال في الكشاف : و سئل ابن عيينة فقال : اسم الله سلام و أمان ، فلا يكتب في النبذ و المحاربة ، قال الله تعالى " و لا تقولوا لمن ألقى إليكم ١٥ السلم لست مؤمنا[6] " قيل : فان النبي صلى الله عليه و سلم [ قد - [7] ] كتب إلى أهل الحرب "بسم الله الرحمن الرحيم" ! قال[8] : إنما ذلك ابتداء ، يدعوهم

(١) من ظ ، وفي الأصل : قسم (٢) زيد من ظ (٣) من حرز الأماني ٣٠ ، و في الأصل : نصلها ، و في ظ : نضلها (٤) من ظ والحرز ، و في الأصل : بقراءة . (٥) من الحرز ، و في الأصل و ظ : ليست (٦) سورة ٤ آية ٩٤ (٧) زيد من الكشاف ١ / ٣٨٤ (٨) سقط من ظ .

و لم ينبذ إليهم ، ألا تراه يقول " سلم على من اتبع الهدى "[1] فمن دعى إلى الله فأجاب و دعى إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى[1] ، و أما النبذ فانما هو البراءة و اللعنة - انتهى . و لا يعارض هذا خبر ابن عباس عن عثمان رضى الله عنهما[2] ، بل هو شبيه لما نزلت من غير بسملة للعنى المذكور ، اشتبه[3] أمرها على الصحابة رضوان الله عليهم و لم يقع السؤال عنها ٥ حتى توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فكانت موافقتها للسور فى تسميتها باسم يخصها دليلا على[4] أنها سورة برأسها ، و مخالفتها فى ترك إنزال البسملة فى أولها مع احتمال أنها تركت للعنى المذكور أو لغيره دليلا على أنها بعض سورة ، فقد روى أبو داود و الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه و سلم لا يعرف ١٠ فصل السورة - و فى رواية : لا يعلم[5] انقضاء السورة - حتى ينزل عليه "بسم الله الرحمن الرحيم". قال الحافظ أبو شامة: هذا حديث حسن ، و للحاكم فى المستدرك أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى ينزل "بسم الله الرحمن الرحيم" فاذا نزل[6] علم أن السورة قد انقضت . فلما اشتبه أمرها تركوا كتابة البسملة فى أولها ١٥ و[7]فصلوها عن[7] الأنفال قليلا - و الله الموفق . هذا و قد مضى بيان تشابه قصتيهما فى أول الأنفال و أثناء الأعراف إجمالا ، و أما تفصيلا فلما

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : عنهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : المشتبه (٤) من ظ ، و فى الأصل : عليه (٥) فى ظ : لا يعرف (٦) فى ظ : نزلت .
(٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : فصولها على .

فى كل منهما من نبذ العهد إلى من خيف نقضه ، و أن المسجد الحرام
لا يصلح لولايته إلا المتقون ، و أن المشركين نجس لا صلاحية فيهم لقربانه ،
و أن قلة حزب الله لا تضرهم إذا لزموا دعائم النصر الخمس وكثرتهم لا تغنيهم
إذا حصل فى ثباتهم[١] لبس ، و الحث على الجهاد فى غير موضع ، و ضمان الغنى
٥ كما أشار إليه فى الأنفال بقوله " لهم [ درجت عند ربهم و - [٢] ] مغفرة
و رزق كريم[٢] " و ذكر أحكام الصدقات التى هى من وادى الغنائم ، و عد
أصناف كل ، و الأمر بالإنفاق المشار إليه فى الأنفال بقوله " و الذين كفروا
بعضهم اولياء بعض[٣] " أى بالتناصر فى الإنفاق و غيره كما فعلوا فى مال التجارة
الذى أرصدوه حتى استعانوا به على غزوة أحد المشار إليه بآية " ان
١٠ الذين كفروا ينفقون اموالهم[٤] " مع آية / " الا تفعلوه[٥] " و بيان
أحوال المنافقين المشار إليهم فى الأنفال بقوله " اذ يقول المنفقون[٦] " -
الآية ، و الأمر الجامع للكل أنهما معا فى بيان حال النبى صلى الله عليه
و سلم فى أول أمره و أثنائه و منتهاه ؛ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير
فى كتابه : إتصالها بالأنفال أوضح من أن يتكلف بتوجيهه[٧] حتى أن
١٥ شدة[٨] المشابهة و الالتئام - مع أن الشارع عليه السلام لم يكن بيّن انفصالها -
أوجب أن لا يفصل بينهما بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، و ذلك أن الأنفال قد
تضمنت الأمر بالقتال " و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة[٩] " و بين أحكام
الفرار من الزحف و حكم النسبة المطلوب فيها بالثبوت و لحوق التأثيم للفار

/ ٤٦٠

---

(١) فى ظ : نياتهم (٢) زيد من القرآن سورة ٨ آية ٤ (٣) آية ٧٣ (٤) آية ٣٦
(٥) آية ٧٣ (٦) آية ٤٩ (٧) من ظ ، و فى الأصل : توجيهه (٨) من ظ ، و فى
الأصل : اشد (٩) آية ٣٩ .

و أنها على [ حكم - [1] ] الضعيف و حكم الأسرى و حكم ولاية المؤمنين
و ما يدخل تحت هذه الولاية و من يخرج عنها، ثم ذكر فى السورة
الأخرى حكم من عهد إليه من المشركين و البراءة منهم إذا لم يوفوا،
و حكم من استجار منهم إلى ما يتعلق بهذا، و كله باب واحد، و أحكام
متواردة[2] على قصة[3] واحدة، و هو تحرير حكم المخالف، فالتحمت السورتان ٥
أعظم التحام، ثم عاد الكلام إلى حكم المنافقين و هتك أستارهم - انتهى.
و أما تطابق آخر الأنفال مع أولها فقد ظهر مما مضى، و أيضا فلما
ذكر فى آخر التى قبلها أمر العهد تارة بنبذه إلى من خيفت خيانته كائنا
من كان فى قوله "فانبذ اليهم على سواء[4] " و تارة بالتمسك به عند
الأمن من ذلك فى قوله "الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق[5] " و بين ١٠
من يصلح للموالاة و من لا يصلح، و ختمت بالإخبار بشمول علمه،
ابتدئت هذه السورة بالأمر بالنبذ إلى ناس بأعيانهم نقضوا أو خيف منهم
ذلك، و ذلك تصريح بما أفهمته آيات الموالاة فى التى قبلها من أن
إحدى الفرقتين لا تصلح لموالاة الأخرى فقال تعالى: ﴿ برآءة ﴾ أى
عظيمة، ثم وصفها بقوله: ﴿ من ﴾ أى جاصلة واصلة من ﴿ الله ﴾ ١٥
أي المحيط بصفات الكمال، فهو العالم بمن يستحق الولاية و من يستحق
البراءة ﴿ و رسولة ﴾ أي المتابع لأمره لعلمه به.

و لما كانوا قد توقفوا فى الحديبية [ كلهم - [6] ] أو كثير منهم تارة فى

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: متواترة (٣) فى ظ: قضية (٤) آية ٥٨ (٥) آية ٧٢.
(٦) زيد لاستقامة العبارة.

نفس العهد و تارة فى التأخر عن الأمر بالحلق ، ثم تابعوا فى كل منهما ، و كان الكفار بمحل البعد عن كل خير ، أشار إلى ذلك بأداة الغاية ، و جعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله إشارة إلى أنه لا يخالفه أصلا[1] ، و أسندت المعاهدة إليهم إشارة إلى ذلك التوقف تحذيرا من أن يقع مثله ،

٥ فقال مخبرا عن النبذ[2] الموصوف: ﴿الى الذين عٰهدتم﴾ أى أوقعتم العهد بينكم و بينهم ﴿من المشركين ط﴾ أى و إن كانت معاهدتكم لهم[3] إنما كانت باذن من الله و رسوله ، فكما فعلتم المعاهدة باذنهما فافعلوا النقض تبعا لهما ، و دل سياق الكلام و ما حواه من بديع الانتظام أن العهد إنما هو لأجل المؤمنين ، و أما الله و رسوله فغنيان عن ذلك ، أما الله فبالغنى المطلق ، و أما الرسول

١٠ صلى الله عليه و سلم فبالذى اختاره للرسالة لأنه ما فعل ذلك به إلا و هو قادر على نصره بسبب و بغير سبب ، و علم أن ذلك فيمن نقض أو قارب من قوله بعد " الا الذين عٰهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا " - الآية ؛ قال البغوى: لما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى تبوك[4] كان المنافقون يرجفون الأراجيف ، و جعل المشركون ينقضون[5] عهودا كانت[6] بينهم

١٥ و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأمر الله بنقض عهودهم و ذلك قوله تعالى " و اما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم[7] " الآية - انتهى . و ذكر ذلك ابن إسحاق و غيره ، [ و لعله أطلق هنا و لم يقيد ممن خيف

(١) من ظ ، و فى الأصل: اجلا (٢) من ظ ، و فى الأصل: المبتدا (٣) من ظ ، و فى الأصل: لها (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و معالم التنزيل فحذفناها (٥) فى ظ : يبتغون (٦) فى ظ : و كان (٧) آية ٥٨ .

نقضه

نقضه ليكون ذلك أول السورة مؤذنا بأن الخيانة و الهم بالنقض شأن أكثرهم ولا سيما مشركو قريش ، و هم - لكون قريش رؤس الناس و الناس تبع لهم فى الخير و الشر - يستحقون أن يعبر عنهم بما يفهم الكل-[1] ]، و مبنى هذه السورة على البراءة من المشركين و الموالاة للؤمنين الدال على إيمانهم طاعة الله بالصلاة و الزكاة و الجهاد لمن أمر بالبراءة ٥ منه قل أو كثر قرب أو بعد فى المنشط و المكره و العسر و اليسر .

و لما كان ظاهر الحال وقت تكامل نزولها - و هو شوال أو ذو القعدة أو ذو الحجة سنة تسع بعد مرجع النبي صلى الله عليه و سلم من تبوك - / أن الحرب قد وضعت أوزارها و أطفئت نارها بتبسط الإسلام فى الخاص / ٤٦١ و العام، ما بين اليمن و الشام ، و انتشار ألويته و أعلامه ، و تأيد رئيسه ١٠ و إمامه بقهر جيوش الكفار ، و قصد الناس له بالمبايعة[2] من جميع الأمصار ، أكد أمر الجهاد و مصادمة الأنداد فى هذه السورة تأكيدا لم يؤكد فى غيرها ؛ ذكر الواقدى فى أواخر غزوة تبوك كلاما ثم قال : قالوا: و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة - يعنى من غزوة تبوك - فى رمضان سنة تسع ثم قال : و جعل المسلمون يبيعون[3] أسلحتهم و يقولون: ١٥ قد انقطع الجهاد ، فجعل القوى منهم يشتريها لفضل قوته ، فبلغ ذلك رسول[4] الله صلى الله عليه و سلم فنهاهم عن ذلك و قال : لا تزال[5] عصابة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بالمتابعة (٣) من ظ و المغازى ١٠٥٧/٣ و فى الأصل : يتبعون (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و المغازى ، وفى الأصل : لا يزال .

من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال . و إنما قلت : إن تكامل
نزولها كان في شوال أو في ذي القعدة أو في ذي الحجة لأن البغوي نقل
عن الزهري أن أولها نزل في شوال ، و قال ابن إسحاق - و نقله عنه البيهقي
في دلائل النبوة - : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد منصرفه من
٥ تبوك بقية شهر رمضان و شوالا و ذا القعدة ثم بعث أبا بكر رضي الله عنه
أميرا على الحج في سنة تسع ليقيم للمؤمنين حجهم و الناس من أهل
الشرك على منازلهم[1] من حجهم - و أسند البيهقي في دلائله إلى عروة
قال : فلما أنشأ الناس الحج تمام سنة[2] تسع بعث رسول الله صلى الله عليه
و سلم أبا بكر أميرا على الناس و كتب له سنن الحج - انتهى . فخرج
١٠ أبو بكر و المؤمنون رضي الله عنهم و نزلت براءة في نقض ما بين رسول الله
صلى الله عليه و سلم و [ بين - [3] ] المشركين من العهد الذي كانوا عليه
فيما بينهم و بينه أن لا يصد عن البيت أحد[4] جاءه و لا يخاف أحد في
الشهر الحرام ، و كان ذلك عهدا عاما بينه و بين الناس من أهل الشرك ؛
و نقل أبو محمد البستي عنه أنه قال : فكانت هذه المدة و العهد الذي كان
١٥ بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين العرب أنه[5] لا يصد أحد عن البيت
و لا يتعرض لحاج و لا معتمر ، و لا يقاتل في الشهر الحرام ، و كان
أمانا مستفيضا من بعضهم لبعض على غير مدة معلومة ؛ رجع إلى ما رأيته
أنا في سيرته : و كانت بين ذلك عهود بين رسوله صلى الله عليه و سلم و بين

(١) من ظ و سيرة ابن هشام ٣/و٤ ، و في الأصل : منازلتهم (٢) من ظ ؛
و في الأصل : السنة (٣) زيد من السيرة (٤) في ظ : احدا (٥) في ظ : انه .

قبائل من العرب خصائص إلى آجال مسماة فنزلت فيه و فيمن[1] تخلف من المنافقين [ عنه - [2] ] فى تبوك و فى قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ؛ ثم قال ابن هشام : قال ابن إسحاق : و حدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ٥ و قد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ايقيم للناس الحج قيل له : يا رسول الله ! لو بعثت بها إلى أبى بكر ! فقال : لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى[3] ، ثم دعا على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال [ له - [2] ] : اخرج بهذه القصة من صدر براءة فأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ، و لا يحج بعد العام مشرك ، و لا يطوف ١٠ بالبيت عريان ، و من كان له عند رسول الله صلى الله عليه و سلم عهد فهو له إلى مدته . فهذا فيه أنها[4] نزلت بعد سفر أبى بكر رضى الله عنه ، و [5]إنما قيدت أنا بتكامل نزولها لأنه ورد أن الذى فى النقض فبعث به عليا رضى الله عنه[5] إنما هو عشر آيات أو سبع ، و فى بعض الروايات التصريح بنزولها قبل سفر أبى بكر رضى الله عنه ، فى زيادات مسند الإمام أحمد ١٥ عن على رضى الله عنه قال : لما نزلت عشر آيات من براءة على النبى صلى الله عليه و سلم دعا أبا بكر[6] رضى الله عنه فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ، ثم دعانى النبى صلى الله عليه و سلم فقال[7] : أدرك أبا بكر ، فحيث ما لحقته

(١) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من السيرة (٣) من ظ و السيرة ٤/٢٠٥ ، و فى الأصل : بين (٤) فى ظ : انما (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى الأصل و ظ : أبى بكر - كذا (٧) سقط من ظ .

نخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم - فذكره ، و فيه
أن / أبا بكر رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه و سلم بعد ما رجع : أ نزل / ٤٦٢
فىّ شىء ؟ قال : لا ، و لكن جبريل عليه السلام جاءنى فقال : لن يؤدى عنك
إلا أنت أو رجل منك ، و نقل البغوى عن ابن إسحاق أنه صلى الله عليه
٥ و سلم بعث مع أبى بكر بأربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على
أهل الموسم ، ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس [صدر-١]
براءة و أمره أن يؤذن بمكة و منى و عرفة٢ . و فيه أن أبا بكر رضى الله
عنه قال : يا رسول الله ! أ نزل فى [ شأنى -١ ] شىء ؟ قال : لا ، و لكن
لا ينبغى لأحد أن يبلغ هذا الأمر٣ إلا رجل من أهلى . فتبين أن الأول
١٠ من إطلاق الكل على الجزء لا سيما و هو الذى فيه البراءة ، و ما سميت
السورة براءة إلا به ؛ و أن المعنى : لا يؤدى عنى٤ فى العهود ، لا مطلقا ،
فقد أرسل رسلا٥ للأداء عنه من غير أهل بيته ؛ و قال المهدوى٦ فى تفسير
" فسيحوا فى الارض " : و روى أن هذه الآية نزلت على النبى صلى الله
عليه و سلم بعد خروج٧ أبى بكر بالناس ليحج بهم سنة تسع ، فبعث
١٥ بها النبى صلى الله عليه و سلم عليا رضى الله عنه ليتلوها على الناس بالموضع
الذى يجتمع فيه الفريقان و هو منى ، و أمره أن ينادى أن لا يحج بعد

(١) زيد من المعالم - راجع لباب التأويل ٣/٤٩ (٢) زيد فى المعالم : أن قد برئت
ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه و سلم من كل مشرك و لا يطوف بالبيت
عريان (٣) فى ظ : الخبر ، و سقط من المعالم (٤) زيد فى ظ : الا (٥) فى ظ :
رسولا (٦) فى ظ : المهدى (٧) من ظ ، و فى الأصل : خروجه .

العام

العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان، فنادى عليّ و أعانه أبو هريرة و غيره رضي الله عنهم، و كان على مكة حينئذ عتاب بن أسيد رضي الله عنه، استخلفه رسول الله صلى الله عليه و سلم عام الفتح و هو عام ثمان، و كان حج عتاب و أبي بكر[1] سنة تسع في ذي القعدة - كذا قال وسيأتي بيان بطلانه[2]، و تقدم خلافه عن ابن إسحاق في[3] دلائل النبوة؛ و قال الإمام ٥ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي القاضي في تفسيره: حدثنا قتيبة عن[4] الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم حين فرغ من تبوك فأراد الحج فقال: إنه يحضر البيت المشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، فأرسل أبا بكر و عليا رضي الله عنهما، فطافا في الناس بذي المجاز و بأمكنتهم التي ١٠ كانوا يتبايعون بها كلها و بالموسم كله، و آذنوا[5] أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر - يعني[6] أشهر الحرم المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون[7] من ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم، فآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا، فآمن الناس[8] أجمعون. و في سيرة ابن إسحاق: حدثنا يونس - يعني[9] ابن بكير - عن أسباط [ بن - [10] ] ١٥ نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي "فسيحوا في الارض

(١) في ظ: أبوبكر (٢) في ظ: بطانه (٣) في الأصل و ظ «و» (٤) في ظ: حدثنا (٥) و العبارة من هنا إلى «إلى عشر» ساقطة من ظ (٦) و في رواية الطبري بهذا الطريق: فهي - راجع جامع البيان (٧) من جامع البيان، و في الأصل: تخلو، و في ظ: تخلو (٨) زيد في ظ: كلهم (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من تهذيب التهذيب.

اربعة اشهر" قال: عشرين من ذى الحجة إلى عشر من ربيع الآخر ثم لا أمان لأحد و لا عهد إلا السيف أو الإسلام؛ و قال ابن هشام: حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى أمره[1] به رسول الله صلى الله عليه و سلم و أجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن ٥ فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم؛ و للترمذى عن زيد بن أثيع[2] قال: سألت عليا رضى الله عنه: بأىّ شىء بعثت؟ قال: بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، و لا يطوف بالبيت عريان، و لا يجتمع المسلمون و المشركون بعد عامهم هذا، و من كان بينه و بين النبى صلى الله عليه و سلم عهد فعهده إلى مدته و من لا مدة له فأربعة أشهر[3]. و نقل ابن سيد الناس ١٠ عن ابن عائذ[4] أنه لما ضرب للشركين هذا الأجل قالوا: بل الآن لا نبتغى تلك المدة، نبرأ منك و من ابن عمك إلا بالضرب[5] و الطعن؛ فحج الناس عامهم ذلك، فلما رجعوا رغب الله المشركين فدخلوا فى الإسلام طوعا و كرها. و صدق الله و رسوله فلم يحج بعد ذلك [ العام - [6] ] مشرك و لم يطف بالبيت عريان. و قد وردت نصوص و ظواهر فى كثير ١٥ من سورة براءة أنه نزل قبل الرجوع عن تبوك أو قبل الاعتذار، فمن النصوص قوله تعالى " لو كان عرضا قريبا و سفرا قاصدا لاتبعوك

---

(١) من السيرة ٣/٥٠٠، و فى الأصل و ظ: امر (٢) و فى تهذيب التهذيب: زيد ابن يثيع، و يقال: أثيع (٣) ساقه الترمذى فى أبواب التفسير مع تقديم و تأخير بالنسبة إلى هنا (٤) من ظ، و فى الأصل: عائدا؛ و ابن عائذ هو محمد الكاتب الدمشقى له مغازى النبى صلى الله عليه و سلم (٥) من ظ، و فى الأصل: من الضرب (٦) زيد من ظ.

ولكن / بعدت عليهم الشقة و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم"، و قوله / ٦٤٣
" فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
معى ابدا " - الآيات ، " يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا
لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم - إلى أن قال : سيحلفون بالله لكم
اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم " - الآيات ، و أما الظواهر فان الواقدى ٥
قال فى سيرته : [ فأنزل من القرآن فى غزوة تبوك ، ثم ذكر أكثر سورة - ][1]
براءة و قال هو و غيره من أصحاب السير : و كان رهط من المنافقين
يسيرون مع النبي صلى الله عليه و سلم فى تبوك منهم وديعة بن ثابت -
فذكر القصة التى فيها أن بعضهم قال ترهيبا للمؤمنين : أتحسبون قتال
بنى الأصفر كقتال غيرهم ؟ و الله لكأنا[2] بكم غدا مقرنين فى الحبال ، و قال ١٠
كل منهم شيئا إلى أن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمار بن
ياسر : أدرك القوم فانهم قد احترقوا[3] فسلهم عما قالوا ، فان أنكروا فقل :
بلى[4] ، قلتم كذا و كذا - إلى أن قال : إن بعضهم قال : إنما كنا نخوض
و نلعب ! فأنزل الله فيه " و لئن سالتهم ليقولن[5] انما كنا نخوض و نلعب -
إلى قوله - بانهم كانوا مجرمين " ثم قال : و جاء الجلاس إلى رسول الله ١٥
صلى الله عليه و سلم فحلف ما قال من ذلك شيئا ، و كان قد قال : إن
كان محمد صادقا فنحن شر من الحمير ، فأنزل الله عزوجل فيه[6] " يحلفون بالله
ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر " - إلى آخرها ، فاعترف الجلاس حينئذ

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لكنا (٣) من ظ والمغازى ٣ / ١٠٠٤ ، و فى الأصل : احترفوا (٤) من المغازى ، و فى الأصل و ظ : بل (٥) فى ظ : لتقولن . (٦) سقط من ظ .

و تاب و حسنت توبته ، و ذكر مسجد الضرار و أن أهله كانوا سألوا
النبي صلى الله عليه و سلم و هو متجهز إلى تبوك أن يصلي لهم فيه فاعتذر
إليهم بشغله بالسفر و وعدهم أن يصلي فيه إذا رجع ، فلما نزل صلى الله
عليه و سلم بذى أوان - قال ابن هشام : بلد[1] بينه و بين المدينة ساعة
٥ من نهار - أتاه خبره و خبر أهله من السماء . فدعا[2] اثنين[3] من أصحابه
فأمرهما [ به - [4] ] فأحرقاه ، و تفرق أهله و نزل فيه من القرآن ما نزل
" و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا و كفرا " - إلى آخر القصة ؛ قال الواقدي :
وكان عاصم بن عدى يقول : كنا نتجهز إلى تبوك مع النبي صلى الله
عليه و سلم فرأيت عبدالله بن نبتل[5] و ثعلبة بن حاطب قائمين على مسجد
١٠ الضرار - إلى أن قال : فوالله ما رجعنا من سفرنا[6] حتى نزل القرآن
بذمه و ذم أهله " و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا " - إلى آخرها ، و من
ذلك تسميتها بالفاضحة ، فلو لا نزولها قبل معرفة أخبارهم لم تكن فاضحة ،
و هي في الظاهر للعاهدين و في الباطن مشيرة[7] إلى أهل الردة و أن لا يقبل
منهم إيمان ما لم يجمعوا بين الصلاة و الزكاة كما[8] فهم أبو بكر رضي الله عنه ،
١٥ و أقيمت على ذلك قرائن منها تكرير الجمع بين الصلاة و الزكاة في سياق
الإيمان تكريرا لم يكن في غيرها من السور ، فهي من أعلام النبوة ؛

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : فندب (٣) و هما مالك بن الدخشم و عاصم بن
عدى - كما في المغازى و السيرة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و المغازى ٣/١٠٤٨ ،
و في الأصل : نبيل (٦) من ظ و المغازى ، و في الأصل : سورنا (٧) في ظ :
بشيرة (٨) من ظ ، و في الأصل : لما .

و روى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم القاضى البستى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن هذا الإسلام ثلاثون سهما : عشر منها فى براءة ، وعشر فى الأحزاب ، وعشر فى المؤمنين[1] و سال سائل .

و لما أعلمهم سبحانه بأنه رد إليهم عهدهم ، وكانوا مختلطين مع أهل الإسلام ، جعل لهم مخلصا إن آثروا البقاء على الشرك مع إعلامهم ٥ بأنه لا خلاص لهم لأنهم[2] فى قبضته ، فقال مخاطبا لهم و لكل مشرك مسببا عن البراءة : ﴿ فسيحوا ﴾ و السياحة : الاتساع فى السير و البعد عن المدن و العمارة مع الإقلال من الطعام و الشراب ، و لذلك يقال للصائم : سائح ، و المراد هنا مطلق السير .

و لما كانت السياحة تطلق على غيره ، حقق المعنى بقوله : ١٠ ﴿ فى الارض ﴾ أى فى أى جهة شئتم ﴿ اربعة اشهر ﴾ أى [ من -[3] ] أيام الحج ، فيكون آخرها عاشر شهر ربيع الآخر ، تأمنون[4] فيها منا ، لا نعرض لكم بسوء ، بل تذهبون فيها حيث شئتم ، أو ترمون حصونكم و تهيئون سلاحكم و تلمون شعثكم لا نغدركم[5] ، لأن ديننا مبنى على المحاسن ، و لو لا أن الأمر يتعلق / بنفوسنا ما نبذنا عهدكم و لا نقضنا عقدكم ، ١٥ / ٤٦٤ و لكن الخطر فى النفس و قد ظهرت منكم أمارات الغدر و لوائح الشر «و عن أىّ نفس بعد نفسى أقاتل» ! فاذا انقضت الأربعة الأشهر فتهيئوا لقتالنا و تدرعوا لنزالنا .

و لما كان الإسلام قد ظهر بعد أن كان خفيا ، و قوى بعد أن كان

---

(١) فى ظ : المومنون (٢) فى ظ : بانهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يامنون (٥) فى ظ : لا تقدركم .

ضعيفا ، افتتح وعظهم بالكلمة التي تقال أولا لمن يراد تقريع سمعه و إيقاظ قلبه و تنبيهه على أن ما بعدها أمر مهم ينبغي مزيد الاعتناء به فقال[1] : ﴿و اعلموآ انكم﴾ أي[1] أيها الكفرة و إن كثرتم ﴿غير معجزى الله[لا]﴾ لأن علمه محيط بكل شيء فهو قادر على كل ممكن ﴿و ان الله﴾ أي

٥ لما له من الإحاطة بالجلال و الإكرام ﴿مخزى الكفرين ٭﴾ أي كلهم منكم و من غيركم في الدنيا و الآخرة لأن قوله قد سبق بذلك ، و لا يبدل القول لديه ، [و الإخزاء : الإذلال مع إظهار الفضيحة و العار -[2]] ، و أظهر الوصف موضع الضمير تعميما و تعليقا للحكم به ، و لعل الالتفات إلى الخطاب إشارة إلى أن من ترك أمر الله حدبا على قريب أو عشير

١٠ فهو منهم ، و قد برئت منه الذمة ، فلينج بنفسه و لا نجاه له ، أو[3] يكون لاستعطاف الكفار تلذيذ الخطاب و ترهيبهم بزواجر العقاب .

و لما أنزل البراءة ، أمر بالإعلام [4]بها في المجمع الأعظم ليقطع الحجج ، فقال عاطفا ظهرة الجملة إلى مضمونها : الإخبار بوجوب الإعلام[4] بما ثبت بالجملة الأولى المعطوفة عليها من البراءة : ﴿و اذان﴾ أي و هذا

١٥ إعلام و إعلان واقع و[1] واصل ﴿من الله﴾ أي المحيط بجميع صفات العظمة ﴿و رسوله﴾ أي الذي عظمته من عظمته ، فلا يوجهه إلى شيء إلا أعلاه عليه ؛ و لما كان المقصود الإبلاغ الذي هو وظيفة الرسول ، عداه بحرف الانتهاء فقال : ﴿الى الناس﴾ أي كلهم من أهل البراءة

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ «و» (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و غيرهم ﴿ يوم الحج الاكبر ﴾ قيده لأن العمرة تسمى الحج الأصغر .

و لما كان كأنه قيل : ما هذا الإعلام ؟ قال مفسرا له مصرحا بما هو المقصود لئلا يقع فيه نوع لبس حاذفا الصلة إعلاما بأن هذا مستأنف على تقدير سؤال سائل، لا معمول لأذان: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق و القوة الباهرة ﴿ برىٓء من المشركين ۙ ﴾ أى الذين لا عهد لهم[1] ٥ خاص فلا مانع من قتالهم ، [ قيل : و الذين وقعت البراءة منهم صنفان : أحدهما كانت مدته دون أربعة أشهر فرفع إليها ، و الآخر مدته بغير حد فقصر عليها ، و من لم يكن له عهد فهو أولى ، و من كان عهده محدودا بأكثر من أربعة أشهر و لم يحدث شرا أمر باتمام عهده إلى مدته -[2] ] ﴿ و رسوله ؕ ﴾ أى برىء منهم ، فهو مرفوع عطفا على المنوى فى " برىء " ١٠ أو على محل " ان " المكسورة و اسمها عند من كسرها ، و قرئ بالنصب عطفا على اسم " ان " أو لأن[3] الواو بمعنى مع ، و بالجر على الجوار ، و قيل : على القسم - قاله فى الكشاف ، قال : و يحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال : إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه برىء ، فلببه الرجل إلى عمر رضى الله عنه فحكى الأعرابى قراءته فعندها أمر عمر ١٥ رضى الله عنه بتعلم[4] العربية ؛ و روى الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى فى مقدمة كتاب الوقف و الابتداء بسنده عن ابن أبى مليكة قال : قدم أعرابى فى زمان[5] عمر رضى الله عنه فقال : من يقرئنى

(١) من ظ ، و فى الأصل : لكم (٢) زيد من ظ (٣) من الكشاف ١ / ٣٨٥ ، و فى الأصل : لا ، و فى ظ : ان (٤) فى ظ : بتعليم (٥) فى ظ : زمن .

مما أنزل الله[1] على محمد صلى الله عليه و سلم ؟ فأقرأه رجل [ براءة -[2] ] فقال : " ان الله برىء من المشركين و رسوله "- بالجر ، فقال : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر رضى الله عنه مقالة الأعرابي فدعاه - يعني فسأله فأخبره - فقال عمر رضى الله عنه : ليس

٥ هكذا يا أعرابي ! قال : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال " ان الله برىء من المشركين و رسولُه " فقال الأعرابي : و أنا و الله أبرأ مما برئ الله و رسوله منه . فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن لا يقرئ[3] القرآن إلا عالم باللغة ، و أمر أبا الأسود فوضع النحو ؛ و نحو ذلك فى الاهتمام بشأن العربية ما حكاه الشريف محمد بن أسعد الجواني[4] النسابة فى كتابه فى الأنساب فى

١٠ ترجمة أبي الأسود الدؤلي بسنده إليه أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين °على رضى الله عنه فرأيته مطرقا مفكرا فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين° ؟ فقال : إنى سمعت ببلدكم[6] هذا لحنا ، فأردت أن أضع كتابا فى أصول العربية ، فقلت [ له -[7] ] : إن فعلت / هذا بقيت فينا هذه اللغة ، ثم أتيته /٤٦٥ بعد أيام فألقى إلىّ صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، °الكلام كله° اسم

١٥ و فعل و حرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، و الفعل ما أنبأ عن حركة

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و هامش المحكم فى نقط المصاحف ٤ ، و قد ذكر هذا الحديث هنا - إحالة على كتاب الوقف و الابتداء - بأطول مما هنا .
(٣) من هامش المحكم ، و فى الأصل و ظ : الا يقرأ (٤) من ظ و معجم المؤلفين ٩/٤٩ ، و فى الأصل : الجوالى - كذا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) فى ظ : ببدلكم - كذا (٧) زيد من ظ .

المسمى، و الحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم و لا فعل، ثم قال: تتبعه و زد فيه ما وقع لك. و اعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر و مضمر و شيء ليس بظاهر و لا مضمر. و إنما يتفاضل الناس في معرفة ما ليس بمضمر[1] و لا ظاهر، قال أبو الأسود الدؤلي: فجمعت أشياء فعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها إن و أن و ليت و لعل و كأن، ٥ و لم أذكر لكن، فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها فيها، فقال: بل[2] هي منها فزدها فيها[3]؛ و قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في طبقات النحويين: و قال أبو العباس محمد بن يزيد: سئل أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له[4] الطريق إلى الوضع في النحو و أرشده إليه، فقال: تلقنته[4] من علي ابن أبي طالب، و في حديث آخر: ألقى إلي أصولا احتذيت عليها؛ ١٠ و في مختصر طبقاتهم للحافظ محمد بن عمران المرزباني: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد رسم لأبي الأسود الدؤلي حروفا يعلمها الناس لما فسدت ألسنتهم فكان لا يحب أن يظهر ذلك ضنا به بعد علي رضي الله عنه، فلما كان زياد وجه إليه أن اعمل شيئا تكون فيه إماما و ينتفع به الناس فقد كنت شرعت فيه لتصلح ألسنة الناس، فدافع بذلك حتى ١٥ مر يوما بكلاء البصرة و إذا قارئ يقرأ "ان الله بريء من المشركين و رسوله" و حتى سمع رجلا قال: سقطت عصاتي، فقال: لا يحل لي بعد هذا أن أترك الناس! فجاء إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير

(١) في ظ: ضمير (٢) في ظ: بلى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: لقيته، و في الإصابة: لقنته.

فليبتغ [ لي - [1] ] كاتبا [2] حصيفا ذكيا يعقل ما أقول ، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأتى بآخر [من - [1]] ثقيف ؛ و قال ابن الأنباري في كتاب الوقف : حدثني أبي [3] قال : حدثنا [3] أبو عكرمة قال : قال العتبي [4] : كتب معاوية إلى زياد [5] يطلب عبيد الله ابنه ، فلما قدم عليه كلمه فوجده

٥ يلحن ، فرده إلى زياد [5] وكتب إليه كتابا يلومه فيه و يقول : أمثل عبيد الله يضيع؟ فبعث زياد إلى أبي الأسود فقال : يا أبا الأسود ! إن هذه الحمراء قد كثرت و أفسدت من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم و يعربون [ به - [6] ] كتاب الله ، فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل ، فوجه زياد رجلا فقال [7] له : اقعد في طريق أبي

١٠ الأسود ، فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن و تعمد اللحن فيه ، ففعل ذلك ، فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته يقرأ [8] " ان الله برىء من المشركين و رسوله " فاستعظم ذلك أبو الأسود و قال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال : يا هذا . قد أجبتك إلى ما سألت ، و رأيت أن أبدأ باعراب القرآن ، فابعث إليّ ثلاثين رجلا ،

١٥ فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم [9] حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس ، فقال : خذ المصحف و صبغا يخالف

---

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : كتابا (٣-٣) في ظ : نا (٤) من ظ و المحكم في نقط المصاحف ٣ ، و في الأصل : العيني (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ والمحكم (٧) من ظ و المحكم ، وفي الأصل : وقال (٨) في المحكم : فقال . (٩) في المحكم : يختار منهم .

لون المداد، فاذا فتحت شفتي[3] فانقط واحدة فوق الحرف، و إذا ضممتهما[1] فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، و إذا كسرتهما[2] فاجعل النقطة في[3] أسفله، فان أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة[4] فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى / على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ‏/٤٦٦ ذلك - انتهى. و يوم الحج المذكور هنا للجنس، أى فى جميع أيام الحج - ٥ قاله[5] سفيان الثورى - كيوم صفين و الجمل و بعاث[6] يراد به الحين و الزمان الذى كان فيه ذلك، و لذلك[7] نادى على[8] رضى الله عنه بنفسه و من ندبه لذلك فى جميع تلك الأيام؛ و قال أبو حيان: الظاهر أنه يوم واحد فقال عمر رضى الله عنه و جماعة: هو يوم عرفة، و روى مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قال أبو موسى رضى الله عنه و جماعة: هو يوم النحر، ١٠ و قيل: أيام الحج كلها - قاله[9] سفيان بن عيينة. [قال ابن عطية -[10] ]: و الذى تظاهرت[11] به الأحاديث أن عليا رضى الله عنه أذن بتلك الآيات[12] يوم عرفة إثر خطبة أبى بكر رضى الله عنه، ثم رأى أنه لم يعم الناس بالإسماع

(١) من المحكم ٤، و فى الأصل و ظ: ضممتها (٢) من المحكم، و فى الأصل و ظ: كسرتها (٣) من المحكم. و فى الأصل و ظ: الى (٤) من المحكم، و فى الأصل و ظ: عنه، و المراد بالغنة التنوين (٥) فى ظ: قال (٦) فى ظ: بغاث، و قول سفيان هذا مذكور فى معالم التنزيل أيضا - راجع لباب التأويل ٣/ ٤٩ (٧) فى ظ: لهذا (٨) سقط من ظ (٩) من البحر المحيط ٥/ ٧، و فى الأصل: قال، و فى ظ: قال ابو (١٠) زيد من البحر (١١) من البحر، و فى الأصل و ظ: تظافرت (١٢) فى ظ: الايام.

فتتبعهم بالأذان بها [ أيضا - [1] ] يوم النحر ، و فى ذلك اليوم بعث أبو بكر رضى الله عنه من يعينه بها كأبى هريرة و غيره رضى الله عنهم و يتبعوا[2] أيضا أسواق العرب كذى المجاز و غيره ؛ و بهذا يترجح قول سفيان - انتهى . و روى عبد الرزاق عن على رضى الله عنه أنه يوم النحر ،

٥ و قال فى تفسيره أيضا : أخبرنا معمر عن الحسن قال : إنما سمى الحج الأكبر لأنه حج أبو بكر رضى الله عنه الحجة التى حجها ، و اجتمع فيها[3] المسلمون و المشركون ، و وافق [ أيضا - [4] ] ذلك[5] [ عيد اليهود و النصارى - [4] ] .

[ و لما أعلم سبحانه بالبراءة عنها ، سبب عنها - [6] ] مرغبا مرهبا قوله

١٠ التفاتا إلى الخطاب : ﴿ فان تبتم ﴾ أى عن الكفر و الغدر ﴿ فهو ﴾ أى ذلك الأمر العظيم و هو المتاب ﴿ خير لكم ج ﴾ أى لأنكم تفوزون فى الوفاء بالأمان فى الدنيا ، و فى الإسلام بالسلامة فى الدارين .

و لما كانت التوبة محبوبة بالطبع لما لها من النفع قال : ﴿ و ان توليتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم خلاف ما تشتهى من التوبة موافقة للفطرة الأولى ،

١٥ و أصررتم على الكفر و الغدر اتباعا للهوى المكتسب من خباثة[7] الجبلة و رداءة الأخلاط التى قعدت بالروح عن أوجها الأول إلى الحضيض الأسفل ﴿ فاعلموآ ﴾ أى علما لا شبهة فيه[8] ﴿ انكم غير معجزى الله ط ﴾

---

(١) زيد من البحر (٢) فى ظ : تتبعوا (٣) من جامع البيان تفسير آية ٣ ، و فى الأصل و ظ : فيه (٤) زيد من ظ و جامع البيان (٥) ليس فى الجامع (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : خبالة (٨) سقط من ظ .

أى لأن له صفات الكمال من الجلال و الجمال ، و الالتفات هنا مثله[1] فى "فسيحوا" و الإشارة به إلى ما ذكر فى ذلك .

و لما واجههم بالتهديد ، أعرض عنهم وجه الخطاب تحقيرا لهم مخاطبا لأعلى خلقه مبشرا[2] له فى أسلوب التهكم بهم ، فقال عاطفا على ما تقديره : فبشر الغادرين بالخذلان ، أو فبشر التائبين بنعيم مقيم : ٥ ﴿ و بشر الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا هذا الوصف ﴿ بعذاب اليم ۙ ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة أو فيهما .

و لما أعلمهم بالبراءة و بالوقت الذى يؤذن بها فيه ، و كان معنى البراءة[3] منهم أنه لا عهد لهم ، استثنى بعض المعاهدين فقال : ﴿ الا الذين عٰهدتم ﴾ أى أوقعتم بينكم و بينهم عهدا ﴿ من المشركين ثم ﴾ أى بعد طول المدة ١٠ اتصفوا بأنهم ﴿ لم ينقصوكم شيئا ﴾ أى من الأمارات الدالة على الوفاء فى أنفسهم كما نقض بنو الديل من بنى بكر فى قتالهم لخزاعة حلفاء النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ و لم يظاهروا ﴾ أى يعاونوا معاونة تظهر ﴿ عليكم احدا ﴾ أى من أعدائكم كما ظاهرت قريش حلفاءهم من بنى الديل على حلفائكم من خزاعة ﴿ فاتموآ ﴾ و أشار إلى بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال[4] : ١٥ ﴿ اليهم عهدهم الى مدتهم ؕ ﴾ أى و إن طالت ؛ قال البغوى : و هم بنو ضمرة

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : قبله (٢) من ظ ، وفى الأصل : مشيرا (٣) زيد بعده فى الأصل : مفهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، وفى الأصل : قال .

حى من كنانة ، و كان قد بقى من عهدهم[1] تسعة أشهر ، و كان السبب
فيه أنهم لم ينقضوا ؛ و قال النحاس : و يقال : إن هذا مخصوص يراد به
بنو ضمرة خاصة ؛ و قال أبو محمد البستى : حدثنا قتيبة [ قال - [2] ] : ثنا
الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : كان بين بنى مدلج و خزاعة عهد ،
٥ و هم الذين قال الله " فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم " .

و لما كانت محافظتهم على عهدهم من أفراد التقوى ، و كان الأمر
بالإحسان إلى شخص من أفعال المحب ، قال / تعالى معللا : ﴿ ان الله ﴾ / ٦٦٧
أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المتقين ﴾ أى يفعل بهم و بكم أفعال
المحب ، فهو قول حاث للكل على التقوى ، و كل ينزله على ما يفهم ، فهو
١٠ من الإعجاز الباهر .

و لما قرر أمر البراءة إثباتا و نفيا ، أمر بما يصنع بعد ما ضربه لهم
من الأجل فقال : ﴿ فاذا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه إذا ﴿ انسلخ ﴾
أى انقضى و انجرد و خرج و مضى ﴿ الاشهر الحرم ﴾ أى التى حرمت
عليكم فيها قتالهم[3] و ضربتها أجلا لسياحتهم ، و التعريف فيها مثله " فارسلنا الى
١٥ فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول[4] " ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ أى الناكثين
الذين ضربتم لهم هذا الأجل إحسانا و كرما ؛ قال البغوى : قال الحسن بن
الفضل : هذه الآية تنسخ[5] كل آية فى القرآن فيها ذكر الإعراض و الصبر على

(١) فى معالم التنزيل : مدتهم - راجع لباب التأويل ٣/ ٥٠ (٢) زيد لاستقامة
العبارة (٣) فى ظ : قتالكم (٤) سورة ٧٣ آية ١٦ (٥) من ظ . و فى الأصل :
ينسخ ، و فى معالم التنزيل : نسخت - راجع لباب التأويل ٣/ ٥١ .

أذى الأعداء - انتهى. و معنى ﴿حيث وجدتموهم﴾ أى فى حل أو حرم فى شهر حرام أو غيره ﴿و خذوهم﴾ أى بالأسر ﴿و احصروهم﴾ أى بالحبس عن إتيان المسجد و التصرف فى بلاد الإسلام و كل مقصد ﴿و اقعدوا لهم﴾ أى لأجلهم خاصة فان ذلك[1] من أفضل العبادات ﴿كل مرصد ج﴾ أى ارصدوهم و خذوهم بكل طريق يمكن و لو على غرة .[ أو - [2] ] اغتيالا من غير دعوة، ٥ و انتصابه على الظرف لأن[3] معنى اقعدوا لهم : ارصدوهم ، و متى كان العامل فى الظرف المختص [ عاملا - [4] ] من لفظه أو من معناه جاز أن يصل إليه بغير واسطة[5] ' فى ' فكما[6] يتعدى الفعل إلى المصدر من غير لفظه إذا كان بمعناه فكذلك إلى الظرف - ذكره أبو حيان ، و التعبير بالقعود للارشاد إلى التأنى ، و فى الترصد و الاستقرار[7] و التمكن و إيصال الفعل إلى الظرف ١٠ إشارة إلى أن يشغلوا فى الترصد كل جزء من أجزاء كل مرصد إن قدروا على ذلك بخلاف ما لو عبر بـ ' فى ' فانه إنما يدل على شغل كل مرصد الصادق بالكون فى موضع واحد منه أىّ موضع كان .

و لما أمر تعالى بالتضييق عليهم ، بين ما يوجب الكف[8] عنهم فقال : ﴿فان تابوا﴾ أى عن الكفر ﴿و اقاموا﴾ أى و صدقوا دعواهم التوبة ١٥ بالبينة العادلة بأن أقاموا ﴿الصلوة و اٰتوا الزكوة﴾ أى فوصلوا[9]

(١) فى ظ : ذاك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لأنه (٤) زيد من البحر المحيط ٥ / ١٠ (٥) من ظ و البحر ، و فى الأصل : وساطة (٦) من ظ و البحر ، و فى الأصل : و كما (٧) فى ظ : الاستغراق (٨) من ظ ، و فى الأصل : الكفر (٩) فى ظ : توصلوا .

ما بينهم و بين الخالق و ما بينهم و بين الخلائق خضوعا لله تعالى و تركا للفساد و مباشرة للصلاح على الوجه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فاذا وجد هذان الشاهدان العدلان ﴿ فخلوا ﴾ [ أى - [1] ] بسبب ذلك ﴿ سبيلهم ﴾ أى بأن لا تعرضوا لشيء مما تقدم لأن الله يقبل ذلك
٥ [ منهم - [1] ] و يغفر لهم ما سلف ﴿ ان ﴾ أى لأن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ غفور رحيم ۝ ﴾ أى بليغ المحو للذنوب التى تاب صاحبها عنها و الاتباع له بالإكرام .

و لما سد عليهم طريق مخالطتهم ما لم يتصفوا بالتوبة المدلول عليها بالشهيدين المذكورين[2] سدا مطلقا ، و فتحه عند الاتصاف بها فتحا مطلقا ،
١٠ عطف على ذلك طريقا آخر وسطا مقيدا فقال : ﴿ و ان احد من المشركين ﴾ أى الذين[3] أمرناكم بقتالهم ﴿ استجارك ﴾ أى طلب أن تعامله فى الإكرام معاملة الجار بعد انقضاء مدة السياحة ﴿ فاجره ﴾ أى فأمنه [ و - [1] ] دافع عنه من يقصده بسوء ﴿ حتى يسمع كلم الله ﴾ أى الملك الأعظم بسماع التلاوة الدالة عليه ، فيعلم بذلك ما يدعو إليه من المحاسن و يتحقق
١٥ أنه ليس من كلام الخلق . و لما ذكر إجارته ، وكان له بعدها توبة و إصرار ، وكان حال التائب قد ذكر ، بين ما يفعل به إن أصر فقال : ﴿ ثم ابلغه ﴾ [ أى - [1] ] إن أراد الانصراف و لم يسلم ﴿ مامنه ﴾ أى الموضع الذى يأمن فيه ثم قاتله بعد بلوغه المأمن[4] إن شئت من غير

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : المذكورة (٣) من ظ ، و فى الأصل : الذى .
(٤) سقط من ظ .

غدر و لا خيانة ؛ قال الحسن : هى محكمة إلى يوم القيامة[١] ؛ ثم[٢] علل ذلك بما يبين غدرهم بقوله : ﴿ ذلك بانهم ﴾ أى الأمر بالإجارة[٣] للغرض المذكور / بسبب أنهم ﴿ قوم لا يعلمون ع ﴾ أى لا علم لهم لأنه لا عهد لهم بنبوة و لا رسالة و لا كتاب ، فاذا علموا أوشك أن ينفعهم العلم . / ٤٦٨

و لما كان الأمر بالنبذ مظنة لأن يعجب منه ، عجب فقال : فمن ٥ يتعجب منه ؟ و أنكر عليه فقال : ﴿ كيف يكون للشركين ﴾ أى أهل العراقة فى الشرك الذين توجب عراقتهم فيه و محبتهم لظهوره نكثَ العهد الذى لا أقبح منه عند العرب و لا أشنع ﴿ عهد عند الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ، فهو لا يحب النقض من أوليائه[٤] فكيف به من أعدائه ﴿ و عنــد رسولـهٖ ﴾ أى الذى هو أكمل الخلق و أوفاهم ١٠ و أحفظهم للعهود و أرعاهم فهم أضداده[٥] فأعمالهم أضداد أعماله ، و قد بدا منهم الغدر .

و لما كان استفهام الإنكار فى معنى النفى ، [ صح - [٦] ] الاستثناء منه ، فكأنه قيل : لا يكون للشركين عهد ﴿ الا الذين عٰهدتم ﴾ أي منهم كما تقدم ﴿ عند المسجد الحرام ج ﴾ أى الحرم يوم الحديبية ، و هذا مما ١٥ يدل على أن[٧] الاستثناء المتقدم من " الذين " فى قوله " براءة من الله

(١) و قال الضحاك و السدى : هى منسوخة بآية الأمر بقتل المشركين - راجع البحر المحيط ٥ / ١١ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الاجارة (٤) من ظ ، و فى الأصل : اولياء (٥) من ظ ، و فى الأصل : اضداد (٦) زيد من ظ (٧) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

و رسوله الى الذين عٰهدتم من المشركين"؛ قال البغوى: قال السدى و الكلبى و ابن إسحاق: [ هم -[1] ] من قبائل بكر : بنو خزيمة و بنو مدلج و بنو ضمرة و بنو الديل [ و هم -[1] ] الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية ، فلم يكن نقض [ العهد -[1] ] إلا قريش و بنو الديل من ٥ بنى بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض . و لما استثنى ، بين حكم المستثنى فقال : ﴿ فما استقاموا لكم ﴾ أى ركبوا[2] الطريق الأقوم فى الوفاء بعهدهم ﴿ فاستقيموا لهم[3] ﴾ و القول [ فى -[3] ] ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الجمال ﴿ يحب المتقين ۝ ﴾ كما سبق[4] .

و لما أنكر سبحانه أن يكون للشركين غير المستثنين عهد، بين السبب ١٠ الموجب للانكار مكررا أداة الإنكار تأكيدا للعنى فقال: ﴿ كيف ﴾ أى[5] يكون لهم عهد ثابت ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنهم مضمرون لكم الغدر و الخيانة فهم إن ﴿ يظهروا عليكم ﴾ أى إن يعل[6] أمرهم على أمركم[7] بأن يظفروا بكم بعد العهد و الميثاق ﴿ لا يرقبوا ﴾ أى لا ينظروا و يرعوا ﴿ فيكم ﴾ أى فى أذاكم بكل جليل و حقير ﴿ الا ﴾ أى قرابة محققة ١٥ ﴿ و لا ذمة ط ﴾ أى عهدا، يعنى أن الأمر المبيح للنبذ خوف الخيانة، و علام الغيوب يخبركم أنهم فى غاية الخيانة لكم، و الإل[8] هذا: القرابة - و هو قول ابن عباس ، و المادة تدور على الألة و هى حربة[9] فى نصلها

---

(١) زيد من معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٥١ (٢) فى ظ : اركبوا .
(٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٤ (٥) زيد بعده فى ظ : بان (٦) فى الأصل و ظ : يعلو (٧) فى ظ : امرهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : الاهلال - كذا .
(٩) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : حرمة .

عرض، و يلزمها الصفاء و الرقة و البريق، و يشبه به الإسراع فى العدو، و الثبات فى نفسها، و منه القرابة و العهد و التغير فى وصفها، و منه تغير رائحة الإناء و فساد الأسنان و الصوت، [ و منه الأنين و الجؤار فى الدعاء مع البكاء و [1]خرير الماء[1] و الطعن و القهر -[2] ]، و منه: إن هذا - أى كلام[3] مسيلمة - ما يخرج من إل، أى من ربوبية، و فى إل الله، أى قدرته و إلهيته. ٥

و لما كان ذلك مظنة لأن يقال: قد أكدوا لنا الأيمان و أوثقوا العهود، و لم يدعوا بابا من أبواب الاستعطاف، قال معللا لما مضى مجيبا لمن استبعده: ﴿ يرضونكم ﴾ و عبر بأقصى ما يمكن الكلام به من القلوب تحقيقا لأنهم ليس فى قلوبهم شيء منه فقال: ﴿ بافواههم ﴾ أى بذلك التأكيد، و صرح بالمقصود بقوله: ﴿ و تابى قلوبهم ج ﴾ أى العمل بما أبدته ١٠ ألسنتهم، و قليل منهم من يحمله الخوف و نحوه على الثبات أو[4] يرجع عن هذا الفسق و يؤمن ﴿ و اكثرهم فسقون ۝ ﴾ أى راسخون الأقدام فى الفسق خارجون - لمخالفة الفعل للقول - عما تريدونه، و إذا نقض الأكثر[5] اضطر الأقل إلى موافقتهم.

و لما قدم ما ترى من كشف سرائرهم، شرع سبحانه يقيم لهم الدليل ١٥ على فسقهم و خيانتهم بتذكيرهم ما بدا من بعضهم من النقض بعد أن أثبت فيما مضى أنهم شرع واحد بعضهم أولياء بعض، و فيما يأتى أنهم بعضهم من بعض، فقال معبرا بما يفيد أنهم تمكنوا من [ ضد -[6] ]

---

(١-١) من القاموس، و فى ظ: خرير الماء - كذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: الكلام (٤) فى ظ: اى (٥) من ظ، و فى الأصل: لا كثر (٦) زيد لاستقامة العبارة.

الإيمان تمكنا صار به كأنه فى حوزتهم: ﴿اشتروا﴾ أى لجوا فى أهويتهم
بعد قيام الدليل / الذى لا يشكون فيه فأخذوا[١] ﴿بـٔايٰت الله﴾ أى الذى ٤٦٩ /
لا شيء مثله فى جلال و لا جمال على ما لها من العظم[٢] فى أنفسها و باضافتها
إليه ﴿ ثمنا قليلا ﴾ من أعراض الدنيا فرضوا بها مع مصاحبة الكفر،
٥ و ذلك أن أبا سفيان أطعمهم أكلة فنقضوا بها عهودهم ﴿ فصدوا ﴾ أى
فسبب[٣] لهم ذلك و أداهم إلى أن صدوا ﴿ عن سبيله[٤] ﴾ أى[٤] من يريد
السير عليه و منعوا من الدخول فى الدين أنفسهم و من قدروا على منعه.

و لما دل على[٥] ما أخبر به من فساد قلوبهم، استأنف بيان
ما استحقوه من عظيم الذم بقوله معجبا منهم: ﴿ انهم سآء ما ﴾ و بين
١٠ عراقتهم فى القبائح و أنها فى جبلتهم بذكر الكون فقال: ﴿كانوا يعملون ۝﴾
أى يجددون عمله فى كل وقت، وكأنه سبحانه يشير بهذا[٥] إلى ما فعلت
عضل و القارة[٦] بعاصم بن ثابت و خبيب بن عدى؛ ذكر ابن إسحاق فى
السيرة [ عن عاصم بن عمر رضى الله عنه -[٧] ] و البخارى فى الصحيح
[ عن أبى هريرة رضى الله عنه -[٧] ]، كل يزيد على صاحبه و قد جمعت بين
١٥ حديثيهما أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أحد رهط من
عضل و القارة فقالوا[٨]: يا رسول الله ! إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا
من أصحابك يفقهوننا فى الدين و يقرؤننا القرآن و يعلموننا شرائع الإسلام[٩]،

---

(١) فى ظ: فاحذروا (٢) فى ظ: العظمة (٣) فى ظ: فتسبب (٤) زيد فى ظ: عن (٥) سقط من ظ (٦) هما من الهون بن خزيمة بن مدركة - كما فى سيرة ابن هشام ٢ / ١٢٠ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: فقال (٩) من ظ والسيرة، وفى الأصل: السلام.

فبعث

فبعث معهم نفرا ستة - وقال البخاري[1] : عشرة - وأمر عليهم عاصم بن ثابت فخرج[2] معهم ، حتى إذا كانوا بالرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا ، فلما أتوهم أخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا : إنا والله لا نريد قتالكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتل منكم أحدا ، فأما عاصم فلم يقبل وقاتل حتى قتل ٥ هو وناس من أصحابه ، ونزل منهم ثلاثة[3] نفر على العهد والميثاق ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال رجل منهم : هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لي بهؤلاء أسوة - يريد القتلى ، فجرروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه ؛ [4]فانطلقوا بخبيب[4] وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فقتلوهما . وقصة العرنيين الذين[5] قدموا على رسول الله ١٠ صلى الله عليه وسلم فأظهروا الإسلام ثم خرجوا إلى لقاح النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا الراعي واستاقوا اللقاح بعد ما رأوا من الآيات ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فقتلهم ؛ وفي تاريخ ابن الفرات[6] عن القتبي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن عوسجة البجلي إلى بني[7] حارثة بن عمرو بن قرط بكتاب فرقعوا دلوهم بالكتاب فقال النبي ١٥ صلى الله عليه وسلم : ما لهم ! أذهب الله عقولهم ، فهم أهل رعدة وكلام مختلط ؛ ولما خرج أهل مكة بعد أن عاملهم صلى الله عليه وسلم بغاية

---

(١) راجع باب هل يستأسر الرجل - الجهاد ، وغزوة الرجيع - المغازي (٢) من ظ والسيرة ، وفي الأصل : فخرجوا (٣) في ظ : ثلاث (٤ - ٤) من ظ والصحيح - الجهاد ، وفي الأصل : فانطلق خبيب (٥) في ظ : الذي (٦) هو محمد ابن عبد الرحيم المصري - راجع حسن المحاضرة ١ / ٣٢٠ (٧) من ظ ، وفي الأصل : ابن .

الإحسان أعتقهم و عفا عنهم بعد تلك الحروب و الأذى فى المبالغة فى
النكايات التى لا يعفو عن مثلها إلا الأنبياء ، خرجوا معه إلى حنين غير
مريدين لنصره و لا محبين لعلو أمره ، بل هم[1] الذين انهزموا بالناس - كما
نقله البغوى عن قتادة[2] ؛ و قال أبو حيان[3] : و يقال : إن الطلقاء من أهل
٥ مكة فروا و قصدوا إلقاء[4] الهزيمة فى المسلمين و بلغ فلهم مكة - انتهى .
و قال الواقدى : و خرج رجال مكة مع النبى صلى الله عليه و سلم فلم يتغادر
منهم أحد على غير دين ركبانا و مشاة ، ينظرون لمن تكون الدائرة[5]
فيصيبون من الغنائم ، و لا يكرهون أن تكون الصدمة بمحمد[6] و أصحابه ،
و قال هو و غيره : فلما كانت الهزيمة حيث كانت و الدائرة[7] على المسلمين
١٠ تكلم قوم بما فى أنفسهم من الكفر و الضغن و الغش ، و ذكروا أنه
عزم ناس منهم على قتل النبى صلى الله عليه و سلم و لكن الله / منعه منهم . /٤٧٠
هذا بعض ما غدر فيه[8] كفار العرب ، و أما اليهود فكلهم نقض : بنو
قينقاع ثم النضير ثم قريظة ثم أهل خيبر ، حتى كان ذلك سبب إخراجهم
منها و إجلائهم إلى بلاد الشام ، و يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى أنهم
١٥ قد تبين لهم مثل الصبح جميع ما أخبرهم به النبى صلى الله عليه و سلم ،
فلما لم يرجعوا[9] لمجرد أهوائهم كانوا قد اشتروا بذلك ثمنا قليلا ، و هو

---

(١) سقط من ظ (٢) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٣/٥٩ .
(٣) راجع البحر المحيط ٥/٢٤ (٤) فى ظ : لقاه (٥) من كتاب المغازى ٣/٨٩٤ ،
و فى الأصل و ظ : الدبرة (٦) فى المغازى : لمحمد (٧) من المغازى ٣/٩١٠ ،
و فى الأصل و ظ : الدبرة (٨) فى ظ : به (٩) من ظ ، و فى الأصل : لم يرجوا.

التمتع بما هم فيه مدة حياتهم على ما صاروا إليه من سفول الكلمة و إدبار الأمر ، فمن قاده هواه إلى ترك السعادة العظمى لهذا العرض الزائل اليسير كان غير مأمون على شيء لأنه رهينة داعي الهوى و أمر الشيطـان ، لأنه أول ما بدأ بنفسه فغدر بها و غشها غير ناظر فى مصلحة و لا مفكر فى عاقبة . ٥

و لما أخبر تعالى بعراقتهم فى الفسق ، دل عليه بأن خيانتهم ليست خاصة بالمخاطبين ، بل هى عامة لكل من اتصف بصفتهم من الإيمان ، فمدار خيانتهم على الوصف ، فقال : ﴿ لا يرقبون فى مؤمن الا ﴾ أى قرابة و أصلا جيدا ثابتا ﴿ و لا ذمة ﴾ أى عهدا أكيدا ﴿ و اولّـئك ﴾ أى البعداء من كل خير ﴿ هم ﴾ أى خاصة لتناهى عدوانهم[1] ﴿ المعتدون ﴾ ١٠ أى عادتهم المبالغة فى حمل أنفسهم على أن يعدوا الحدود لعدم ما يردهم عن ذلك من وازع إلهى و رادع شرعى كما فعل عامر بن الطفيل بأهل بئر معونة مع أنهم فى جوار عمه [2]وكان من خبرهم أن عمه[2] أبا براء عامر ابن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال له : لو بعثت[3] رجالا من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا ١٥ لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنى أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم [4]المنذر ابن عمرو[4] أخا بنى ساعدة المعنق ليموت[5] فى سبعين[6] رجـلا من أصحابه

(١) فى ظ : عداوتهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : بعث .
(٤ - ٤) فى ظ : العمرو بن منذر (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٦ ، و فى الأصل : لموت ـكذا (٦) فى السيرة : اربعين .

من خيار المسلمين ، فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب
رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر فى كتابه
و عدا عليه فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى[١] عامر فأبوا و قالوا : لن نخفر
أبا براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من [ بنى -[٢] ] سليم : عصية و رعلا
٥ و ذكوان فقتلوهم فلم يفلت منهم إلا ثلاثة نفر عمرو بن أمية الضمرى
أحدهم ، فعظم ذلك على النبى صلى الله عليه و سلم و دعا على قتلتهم[٣] شهرا ؛
قال البغوى : و قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن أهل الطائف أمدوهم -
يعنى قريشا - بالأموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه و سلم ،
فهذا الذى أحكمه تعالى من نبذ العهد إليهم نظر للدين ، لأنه نظر لجميع
١٠ أهله الذين لا يوجد إلا بهم .

و لما بين ما أوجب بعدهم منهم و معاداتهم لهم ، بين ما يصيرون به
أهلا فقال: ﴿ فان تابوا ﴾ أى بالإيمان بسبب ما أبديتم لهم[٤] من الغلظة
﴿ و اقاموا ﴾ أى أيدوا ذلك بأن أقاموا ﴿ الصلوٰة ﴾ أى بجميع
حدودها ﴿ و اٰتوا الزكوٰة ﴾ أى كما حده رسول الله صلى الله عليه و سلم
١٥ ﴿ فاخوانكم ﴾ أى هم، و بين أنها ليست أخوة النسب فقال: ﴿ فى الدين ﴾
لهم مالكم و عليهم ما عليكم ، فلا تعرضوا لهم بما يكرهونه .

و لما كان كأنه قيل بعثا و تحريضا على تأمل ما فصل : قد فصلنا لكم

---

(١) من السيرة ، وفى الأصل : ابن ، وفى ظ : بنوا (٢) زيد من السيرة (٣) من ظ ، و فى الأصل : قتلهم (٤) فى ظ : اليهم .

أمرهم

أمرهم فى هذه الآيات تفصيلا ، عطف عليه قوله : [ ﴿ و نفصل ﴾ أى فى كل أمر يحتاجون جميع ﴿ الأيٰت ﴾ و عظم هذه الآيات و حثهم على تدبرها بقوله - [١] ] : ﴿ لقوم يعلمون ه ﴾ أى صار العلم لهم صفة ، فلهم ملكة يتصرفون بها فى أصوله و فروعه ، لا يغترون بمجرد كلام من شأنه الرداءة و المخالفة بين القول و العمل ، و الاعتراض بهذا بين ٥ هذه الجمل المتلاحمة إشارة إلى عظم الأمر الذى نبه عليه و تحريض على إنعام النظر فيه ليعلم أن مدخوله جليل الأمر عظيم القدر لئلا يظن أنه تكرار .

و لما بين السبب الموجب لمجازاتهم بجنس عملهم ، و هو البراءة منهم و ما / يتبع ذلك إلى أن ختم بتقدير توبتهم ، رجع إلى قسيم قوله "فما ١٠ / ٤٧١ استقاموا لكم" فقال : ﴿ و ان نكثوآ ايمانهم ﴾ أى التى حلفوها لكم ؛ و لما كان النقض ضارا و إن قصر زمنه ، أتى بالجار فقال : ﴿ من بعد عهدهم ﴾ أى الذى[٢] عقدوه ﴿ و طعنوا ﴾ [ أى - [١] ] أوقعوا الطعن ﴿ فى دينكم ﴾ أى بقول أو فعل .

و لما كان هذا الفعل لا يستقل به فى الأغلب إلا الرؤساء ، أشار ١٥ إلى ذلك بقوله : ﴿ فقاتلوآ ﴾ و وضع موضع ضميرهم تحريضا على قتالهم و إشارة إلى أنهم ما نكثوا و أقدموا على هجنة الكذب و لم يستهجنوا الخروج عن عادات الكرام إلا و قد رسخوا فى الكفر فقال : ﴿ ائمة الكفر ﴾ ثم أشار - بقوله معللا لجواز المقاتلة : ﴿ انهم لآ ايمان لهم ﴾ - إلى أن

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : التى .

ذلك و لو فعله الأتباع و لم يكفهم الرؤساء فهو عن تمال منهم فابدأوا بالرؤس فاقطعوها تنقطع الأذناب ، و قراءة ابن عامر بالكسر معناها : لا أمان لهم لأنهم قد نقضوا العهد[1] الموجب له بما وقع منهم ، و من طعن من أهل الذمة فى الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله ، فان العهد ٥ مأخوذ عليه أن لا يطعن ؛ ثم علل المقاتلة بقوله : ﴿ لعلهم ينتهون ﴾ أى اجعلوا[2] قصدكم لقتالهم أن يكون حالهم حال من ينتهى عن غيه بما يرى[3] منكم من صادق الجد بماضى الحد ، [ روى - [4] ] البخارى فى التفسير عن حذيفة رضى الله عنه قال : ما بقى من أصحاب هـذه الآية إلا ثلاثة و لا من المنافقين إلا أربعة[5] أحدهم[6] شيخ كبير لو شرب الماء ١٠ البارد لما وجد برده .

و لما نفى أيمانهم بنفى إيمانهم ، شرع يقيم الدليل على ذلك بأمور ارتكبوها ، كل منها[7] بسبب باعث على الإقدام عليهم ، و يحث على قتالهم فى صورة تعجيب ممن[8] يتوانى فيه فقال : ﴿ الا ﴾ و هو حرف عرض ، و معناه هنا الحض لدخول همزة الإنكار على النافى فنفته فصار مدخولها ١٥ مثبتا على سبيل الحث عليه فهو أبلغ مما لو أثبت بغير هذا الأسلوب ﴿ تقاتلون قوما ﴾ أى و إن كانوا ذوى منعة عظيمة ﴿ نكثوآ ايمانهم ﴾ أى فى قصة عاصم و أصحابه والمنذر و أصحابه و الإعانة على خزاعة[9] و غير ذلك ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : العهود (٢) فى ظ : جعلوا (٣) فى ظ : ينتهى .
(٤) زيد من ظ (٥) فى الحديث هنا اختصار ، و راجع الصحيح للتفصيل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : منهما (٨) فى ظ : من (٩) من ظ ، و فى الأصل : الخزاعة .

فكان النكث لهم عادة و خلقا ، و هذا يدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم ليكون[1] ذلك زاجرا[2] عن النقض ، و كانت قصة خزاعة أنه[3] كان بينهم و بين بنى[4] بكر بن عبد مناة بن[5] كنانة قتل فى الجاهلية ، و كانت خزاعة قد دخلت فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم بالحديبية لما كان لهم فيه من المحبة من مسلمهم و كافرهم لما بينهم من الحلف ـ ٥ كما تقدم آخر الأنفال ، و دخلت بنو بكر فى عهد قريش فمرت على ذلك مدة ، ثم إن أنس بن زنيم الديلى هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجه فخرج إلى قومه فأراهم شجته[6] فثار الشر مع ما كان بينهم ، و ما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها ، فكلمت بنو نفاثة من بنى بكر أشراف[7] قريش فوجدوا القوم إلى ذلك سراعا[8] ١٠ فأعانوهم بالسلاح و الكراع و الرجال ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى و هو يومئذ قائدهم؛ قال ابن اسحاق : و ليس كل بنى بكر بايعه[9] - و قال الواقدى : و اعتزلت بنو مدلج فلم ينقضوا العهد - حتى بيت خزاعة و هم[10] على الوتير ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا و تجاوزوا و اقتتلوا[11] و قاتل معهم

---

(١) زيد فى ظ : فى (٢) فى ظ : زاجر (٣) فى ظ : انهم (٤) فى ظ : ابى (٥) من ظ و جمهرة أنساب العرب ١٧٠ ، و فى الأصل : من (٦) من كتاب المغازى ٢/٧٨٣ ، و فى الأصل : سحبه ، و فى ظ : شحنه ـ كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ ولا المغازى فحذفناها (٨) فى ظ : سراعى (٩) من سيرة ابن هشام ٢/٢٠٩ ، وفى الأصل : تابعه ، وفى ظ: تابعة (١٠) فى ظ : هو (١١) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : اقبلوا .

من قريش من قاتل بالليل مستخفيا متنكرين منتقبين : صفوان بن أمية و مكرز بن حفص بن الأخيف[1] و حويطب بن عبدالعزى و عكرمة بن أبى جهل و أجلبوا معهم أرقاءهم ، وكانت خزاعة آمنة لمكان العهد و الموادعة .

٥ و لما ذكرهم بمطلق نكثهم فى حقهم عامة ، و ذكرهم بما خصوا به سيدهم بل سيد الخلق كلهم فقال : ﴿ و هموا باخراج الرسول ﴾ أى من مكة فى عمرة القضاء ، بل أمروه بالخروج عند انقضاء الثلاثة الأيام[2] و ألحوا فى ذلك و هو و إن كان قاضاهم على ذلك ، لكن قد نقل ابن إسحاق و غيره فى قصة النداء بسورة براءة[3] أنه كان فى القضية و العهد الذى ١٠ كان بينه و بينهم أن لا يمنع[4] من البيت أحد جاءه زائرا ، و لعلهم هموا باخراجه قبل الثلاثة الأيام[2] لما داخلهم من الحسد عند ما عاينوا من نشاط أصحابه و كثرتهم و حسن حالهم ، و ذلك غير بعيد من أفعالهم ، و إظهارهم [5] التبرء به صلى الله عليه و سلم حتى اجترأوا - و هو أعلى الخلق مقدارا ، و [6]أظهرهم هيئة[6] و أنوارا ، و أطهرهم رسوما و آثارا - على الإلحاح ١٥ عليه فى الخروج من بلد آبائه و أجداده الذين هم أحقهم بها و مسقط رأسه و موضع مرباه ، و لكن لم أراه مصرحا به ، و هو عندى على ما فيه أولى مما ذكروه من الهم باخراجه عند الهجرة على ما لا يخفى ، أو يكون

(١) من ظ و المغازى ، و فى الأصل : الاحنف (٢) فى ظ : ايام (٣) راجع سيرة ابن هشام ٣/٤٩ (٤) فى ظ : لا يمتنع (٥) العبارة من هنا إلى « أطهرهم » ساقطة من ظ (٦-٦) فى الأصل : اظهارهم هيبة - كذا .

المراد[1] ما همّ به ابن أبي المنافق و من تابعه من أصحابه من إخراج النبي صلى الله عليه و سلم من المدينة حيث قال في غزوة المريسيع : [" ائن -[2]] رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل" بعد إعطائهم العهود على الإيواء و النصرة و الإسلام ، و ذلك لتذكير المؤمنين بمسارعتهم إلى النقض بعد أن أثبت[3] أنهم في الالتحام في كيد الإسلام كالجسد الواحد ، ٥ فكأنه يقول: إذا ترك هؤلاء إيمانهم فأولئك أحرى أن ينقضوا أيمانهم ، و هو بعث للمؤمنين على التبرئ من الكافرين منافقين كانوا أو مجاهرين مقاربين أو مباعدين .

و لما ذكرهم بالخيانة عامة و خاصة ، أتبعها ما حققها بالقتال فقال: ﴿ وهم بدؤكم ﴾ أي بتطابق من ضمائرهم و ظواهرهم ﴿ اول مرة ﴾ أي ١٠ بالقتال و الصد في الحديبية بعد إخباركم[4] إياهم بأنكم لم تجيئوا للقتال و أنكم ما جئتم إلا زوارا للبيت الحرام الذى الناس فيه سواء و أنتم أحق به منهم ، و ذلك أول بالنسبة إلى هذا الثانى مثل قوله " انكم رضيتم بالقعود اول مرة " و قال بعض المفسرين: المراد بأول مرة[5] قتالهم خزاعة ، و هو واضح لأنه بعد عقد الصلح ، و قيل : في بدر بعد ما سلمت عيرهم ١٥ و قالوا: لا نرجع حتى نستأصل محمدا[6] و أصحابه ، و قيل : المراد [7]به مطلق[7] القتال لأن النبي صلى الله عليه و سلم جاءهم بالكتاب المنير و دعاهم بغاية اللين ، و تحداهم به عند التكذيب ، فعدلوا عن ذلك إلى القتال فهم

(١) زيد في الأصل : منهم ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ . (٣) في ظ : تثبت (٤) في ظ : اخبارهم (٥) في ظ : من (٦) في ظ : محمد (٧-٧) في الأصل و ظ : بمطلق .

البادئون و البادئ أظلم .

و لما أمرهم بالقتال و كان مكرها [ إلى النفوس -[1] ] على كل حال، شرع يبين الأسباب الحاملة على التوانى عن قتالهم ، و حصرها فى الخشية و العاطفة ، و قسم العاطفة إلى ما سببه[2] القرب فى محاسن الأفعال و إلى ٥ ما سببه القرب فى النسب و الصهر ، و نقض الكل و بين أنه لا شىء منها يصلح للسببية . فقال بادئا بالخشية لأنها السبب الأعظم فى[3] ترك المصادمة منكرا عليهم موبخا لهم ليكون أبلغ فى الحث على قتالهم منبها على أن التوانى عنهم مصحح للوصف بالجبن[4] و رقة الدين : ﴿ اتخشونهم ج ﴾ أى أ تخافون أن يظفروا بكم فى القتال بأن يكونوا على باطلهم أشد منكم ١٠ على حقكم ﴿ فالله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة ﴿ احق ﴾ أى منهم ﴿ ان تخشوه ﴾ أى بأن يكون مخشيا[5] لكم لما تعلمون من قدرته فى أخذه لمن خالفه و لو بعد طول الأناة ﴿ ان كنتم / مؤمنين ه ﴾ أى فان من صدق بأنه[6] الواحد الذى تفرد بصفات العظمة لم ينظر إلى غير هيبته .

/ ٤٧٣

و لما بكت فى التوانى عنهم ، وعدهم بما يزيل خشيتهم منهم ، بل ١٥ يوجب إقدامهم عليهم و رغبتهم فيهم ، فقال مصرحا بما تضمنه الاستفهام الإنكارى[7] فى " الا تقاتلون " من الأمر : ﴿ قاتلوهم ﴾ أى لله[8] لا لغرض غيره ﴿ يعذبهم الله ﴾ أى الذى أنتم مؤمنون بأنه المتفرد بصفات الجلال

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : سببية (٣) فى ظ « و » (٤) من ظ، وفى الأصل : بالخير - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : محتسبا (٦) فى ظ : انه (٧) من ظ ، و فى الأصل : الانكار (٨) من ظ ، و فى الأصل : الله .

 و الجمال

و الجمال ﴿ بايديكم ﴾ أى بأن تقتلوهم و تأسروهم و تهزموهم ﴿ و يخزهم ﴾ أى بالذل فى الدنيا و الفضيحة و العذاب فى الأخرى .

و لما كان ذلك قولا [ لا - [1] ] يقتضى النصر الذى هو علو العاقبة قال : ﴿ و ينصركم عليهم ﴾ أى فترضوا ربكم بذلك لإذلاله من يعاديه بكم ؛ و لما كان نكالهم بما ذكر يثمر لبعض المؤمنين سرورا لهم فيه حظ ، ٥ بين تعالى أنه لا يؤثر فى العمل بعد ثباته على أساس الإخلاص فقال : ﴿ و يشف ﴾ أى بذلك ﴿ صدور قوم مؤمنين ﴾ أى راسخين فى الإيمان ، أسلفوا إليهم مساوى أوجبت ضغائن و إحنا كخزاعة و غيرهم ممن أعانوا عليه أو[2] أساءوا إليه .

و لما كان الشفاء قد لا يراد به الكمال ، أتبعه تحقيقا لكماله قوله : ١٠ ﴿ و يذهب غيظ قلوبهم ﴾ أى يثبت بها من اللذة ضد ما لقوه[3] منهم من المكروه ، و ينفى عنها من الألم بفعل من يريد سبحانه[4] من أعدائهم و ذل الباقين ما كان قد برح بها ، و لقد وفى سبحانه بما وعد به ، فكانت الآية من ظواهر الدلائل .

و لما كان التقدير : قاتلوهم فانكم إن قاتلتموهم كان كذا ، عطف ١٥ سبحانه على أصل هذه الجملة قوله : ﴿ و يتوب الله ﴾ أى الملك الذى له صفات الكمال ﴿ على من يشآء ﴾ أى منهم فيصيروا إخوانا لكم أولياء ، و المعنى قاتلوهم يكن القتال سببا لهذه الخمسة الأشياء ، [ و أما التوبة فتارة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ « و » (٣) فى ظ : لقوا (٤) زيد فى ظ : من اعدائه .

تسبب عنه و تارة عن غيره ، و لأجل احتمال تسببها - [1] ] عنه قرئ شاذا بالنصب على أن[2] الواو للصرف ؛ و لما كان [ ما تضمنه هذا الوعد الصادق يدور على القدرة و العلم ، وكان - [1] ] العلم يستلزم القدرة ، فكان التقدير : فالله على كل شيء قدير ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى

٥ الذى له الإحاطة بكل شيء علما و قدرة ﴿ عليم ﴾ أى بكل شيء و بمن يصلح للتوبة و من لا يصلح و ما فى قلوبكم من الإقدام و الإحجام لو برز إلى الخارج كيف كان يكون ﴿ حكيم ﴾ أى أحكم جميع أموره ، و لم يعلق الأحكام الشرعية من أفعالكم الكسبية إلا بما تعلق العلم به فى حال ظهوره .

١٠ و لما كان التقدير - لما أرشد إليه تقاعدهم عن القتال و إدخال ' أم[3] ' المرشد إلى أن مدخوله وسط الكلام فان الابتداء له الألف وحدها - : و هل حسبتم أنه تعالى لا يعلم ذلك أو لا يقدر على نصركم ؟ بنى عليه قوله موبخا لمن تثاقل عن ذلك بنوع تثاقل : ﴿ ام حسبتم ﴾ أى لنقص فى العقل[4] أنه يبنى الأمر فيه على غير الحكمة ، و ذلك هو المراد بقوله :

١٥ ﴿ ان تتركوا ﴾ أى قارين على ما أنتم عليه من غير أن تبتلوا بما يظهر به المؤمن من المنافق ﴿ و لما ﴾ عبر بها لدلالتها - مع استغراق الزمان الماضى - على أن يتبين ما بعدها متوقع كائن[5] ﴿ يعلم الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ الذين جهدوا منكم ﴾ أى علما ظاهرا تقوم به الحجة عليكم فى

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل و ظ : الميم (٤) من ظ ، و فى الأصل : القتل (٥) فى ظ : كان ، و راجع أيضا الكشاف ٢/٣٨٨ .

مجارى عاداتكم على مقتضى عقولكم بأن يقع الجهاد فى الواقع بالفعل .
و لما كان المعنى: جاهدوا مخلصين[١]، ترجمه و بسطه بقوله: ﴿ و لم ﴾
أى و [ لما -[٢] ] يعلم الذين لم ﴿ يتخذوا ﴾ و يجوز أن يكون حالا ، [٣]و دل[٣]
على تراخى الرتب عن مكانته سبحانه بقوله: ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى
لا يعدل عنه و يرغب فى غيره من له أدنى بصيرة - كما دل عليه الافتعال - ٥
لأنه المنفرد بالكمال، و أكد النفى بتكرير 'لا' فقال: ﴿ و لا رسوله ﴾
أى الذى هو خلاصة خلقه ﴿ و لا المؤمنين ﴾ أى الذين[٤] اصطفاهم من
عباده ﴿ وليجة ﴾ أى بطانة تباطنونها و تسكنون / إليها فتلج أسراركم / ٤٧٤
إليها و أسرارها إليكم، فان الوليجة كل شيء أدخلته[٥] فى شيء ليس منه،
و الرجل يكون فى قوم و ليس منهم وليجة، فوليجة الرجل من يختصه ١٠
بدخيلة[٦] أمره دون النـاس، يقال: هو وليجتى[٧] و هم وليجتى - للواحد
و الجمع - نقل ذلك البغوى عن أبى عبيدة[٨]، و[٩] قال ابن هشام وليجة[٩]:
دخيلا ، و جمعها ولائج ، يقول: لم يتخذوا دخيـلا[١٠] من دونه يسرون[١١]
إليه غير ما يظهرون[١٢] نحو ما يصنـع المنافقون ، [١٣]يظهرون الإيمان للذين

(١) من ظ ، وفى الأصل : مخاصمين (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى الأصل و ظ : الذى (٥) فى ظ : ادخله (٦) من معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٥٤ ، و فى الأصل و ظ : بمداخلة (٧) فى ظ : وليجة (٨) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : ابى عبيد (٩) سقط من ظ .
(١٠) من سيرة ابن هشام ٣/١٥ ، و فى الأصل و ظ : دخلا (١١) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : تسرون (١٢) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : تظهرون .
(١٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ ولا فى السيرة فحذفناها .

آمنوا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم . و الحاصل أنه لا يكون الترك بدون علم الأمرين حاصلين ، و المراد بنفي العلم نفي المعلوم ، فالمعنى : و لما يكن مجاهدون مخلصون .

و لما كان ظاهر ذلك مظنة أن يتمسك به من لم يرسخ قدمه في

٥ المعارف ، ختم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ خبير بما تعملون ع ﴾ أي سواء برز إلى الخارج أو لا .

و لما حذرهم من اتخاذ وليجة من دونه ، شرع يبين أن الوليجة التي[1] يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به[2] من محاسن الأعمال ما لم توضع تلك المحاسن على الأساس الذي هو الإيمان المبين بدلائله ،

١٠ فقال سائقا له مساق جواب قائل قال[2] : إن فيهم من أفعال الخير ما يدعو إلى الكف عنهم من [3] عمارة المسجد الحرام و خدمته و تعظيمه ! ﴿ ما كان للمشركين ﴾ عبر بالوصف دون الفعل لأن جماعة ممن أشرك أسلم بعد ذلك فصار أهلا لما نفي عنهم ﴿ ان يعمروا مسجد الله ﴾ أي[2] و هو المنزه باحاطته بصفات الكمال ؛ قال البغوي : قال الحسن : ما كان

١٥ للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام ، ثم قال في توجيه قراءة الجمع : قال الحسن : إنما قال : مسجد الله ، لأنه قبلة[4] المساجد كلها - يعني فعامره عامر جميع[4] المساجد . و يجوز أن يراد الجنس ، و إذا

(١) في ظ : الذي (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : عن (٤) من معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٥٥ ، و في الأصل و ظ : قبله .

لم يصلحوا لعمارة الجنس دخل المسجد الحرام لأنه صدر الجنس، و ذلك آكد لأنه بطريق الكناية - قال الفراء : و ربما ذهب العرب بالواحد إلى الجمع و بالجمع[1] إلى الواحد ، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول : أخذت فى ركوب البراذين ، و يقال : فلان كثير الدرهم[2] و الدينار - انتهى .
فتحرر أن المعنى : منعهم [3]من إقامة[3] شعائره بطواف[4] أو زيارة أو غير ٥ ذلك لأنهم نجس - كما يأتى ﴿ شٰهدين علىٰٓ انفسهم ﴾ أى التى هى معدن الأرجاس و الأهوية ﴿ بالكفر ﴾ [ أى - [5] ] باقرارهم ، لأنه[6] بيت الله و هم يعبدون غير الله و قد نصبوا فيه الأصنام بغير إذنه و ادعوا أنها شركاؤه ، فاذن عمارتهم تخريب لتنافى عقدهم و فعلهم ؛ قال البغوى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : شهادتهم سجودهم[7] الأصنام ، و ذلك أنهم ١٠ كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة ، كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم .

و لما نفى قبيحُ ما يفعلون حسنَ ما يعتقدون ، أشار إلى بعدهم عن الخير بقوله : ﴿ اولٰٓئك حبطت اعمالهم ج صلے ﴾ أى من العمارة و الحجابة[8] و السقاية و غير ذلك ، فسدت ببطلان معانيها لبنائها على غير أساس ١٥ ﴿ و فى النار هم ﴾ أى خاصة ، و من فعل كفعلهم فهو منهم ﴿ خٰلدون ۝ ﴾

---

(١) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : الجمع (٢) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : الدراهم (٣ - ٣) فى ظ : باقامة (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالطواف (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : انه (٧) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٥٥ ، و فى الأصل : بسجودهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : الحجارة .

أى بجعلهم الكفر مكان الإيمان .

و لما نفى عنهم أهلية العمارة ، بين من يصلح لها فقال: ﴿ انما يعمر مسجد الله ﴾ أى إنما يؤهل لذلك القرب من له الأسماء الحسنى و الصفات العلى حسا باصلاح الذات و معنى بالتعظيم بالقربات من
٥ قمها[1] و تنظيفها و رمّ ما تهدم منها و تنويرها بالمصابيح الحسية و بالمعنوية من الذكر و القراءة - و درس العلم أجلّ ذلك - و صيانتها عما لم تبن له من أحاديث[2] الدنيا ﴿ من ءامن بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر
/٤٧٥ كله ﴿ و اليوم الأخر ﴾ أى فكان من أهل المعرفة[3] الذين تصح / عبادتهم و تفيدهم ، فانها إنما تفيد[4] فى ذلك اليوم ، و لم يذكر الإيمان بالرسول لأن
١٠ هذه[5] البراءة عن لسانه أخذت ، فالإيمان بها إيمان به لا محالة ، فعدم ذكره أقعد فى إيجاب الإيمان به ﴿ و اقام الصلوٰة و ءاتى الزكوٰة ﴾ أى و أيد دعواه الإيمان بهذين الشاهدين ، و ذلك أن عمارة المساجد ليست مقصودة لذاتها ، بل الدلالة على رسوخ الإيمان ، و الصلاة أعظم عمارتها[6] ، و الزكاة هى المعين لعمدتها على عمارتها .

١٥ و لما كان ربما فهم من قوله " ءامن " أنه يكفى فى الإيمان مجرد الإقرار باللسان ، أعلم أنه لا بد فى ذلك من إيجاد التصديق حقيقة المثمر لخشية الله[7] فلذلك قال[7]: ﴿ و لم يخش ﴾ أى فى الأعمال الدينية ﴿ الا الله ﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لها ، و راجع أيضا روح المعانى ٣/٢٨٤ (٢) من ظ ، و فى الأصل : احاريب (٣) فى ظ : المعونة (٤) من ظ ، و فى الأصل : بيد . (٥) فى ظ : تنزه (٦) فى ظ : عبارتها (٧ - ٧) فى ظ : فقال .

أى

أى و لم يعمل بمقتضى خشية غير الملك الأعظم من كف عما يرضى الله بما
فيه سخطه، بل تقدم على ما انحصر رضى الله فيه و لو أن فيه تلفه،
و حاصله أنه يقدم خشيته من الله على خشيته من غيره، فهو يرجع إلى
قوله "فالله احق ان تخشوه" و لكن هذا أبلغ لكونه نفى نفس الخشية
و إن كان المراد نفى لازمها عادة، و فيه تعريض لهم بأنهم لا يصلحون ٥
لخدمته لأنهم يخافون الأصنام و يفعلون معها بعبادتها فعل من يخافها[١]؛
و لما سبب[٢] عما مضى نفيا و إثباتا أن المتصف بهذه الأوصاف يكون جديرا
بالهداية و حقيقا بها، قال[٣] تعالى: ﴿فعسىٓ أولٓئك﴾ أى العالو الهمم
﴿ان يكونوا﴾ أى جبلة و رسوخا ﴿من المهتدين ﴾ فأقامهم - مع
ما قدم لهم من الكمال بالمعارف و الأفعال - بين الرجاء و الخوف مع ١٠
الإشارة بأفراد الخشية إلى ترجيح الخوف على الرجاء إيذانا بعلو أمره
و عظيم كبره إشارة إلى أنه لا حق لأحد عليه و أنه إن [٤]شاء أثاب[٤]،
و إن أراد حكم - و هو الحكم العدل - بالعقاب، لا يسئل عما يفعل، و كرر
الاسم الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام و عزة المرام، و مادة عسى
بجميع تصاريفها تدور على الحركة، و هذه بخصوصها للإطماع، [٥]و الحاصل[٥] ١٥
أن من اتصف بالأوصاف الأربعة كان صالحا و خليقا و جديرا و حقيقا
بأن يتحرك طمعه و يمتد أمله إلى أن يكون من جملة أهل الهدى. فكيف
توجبون أنتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يختص به المهتدون من الموالاة،

---

(١) فى ظ: يخالفها (٢) فى ظ: تسبب (٣) من ظ، و فى الأصل: فقال.
(٤-٤) فى ظ: اناب (٥-٥) فى ظ: فالحاصل.

هكذا كان ظهر لى أولا فى مدار المادة، ثم ظهر لى أن ذلك فى أكثر تقاليبها، مع إمكان أن يكون غيره للازالة، و أن الشامل لها - يائية و واوية بتقاليبها العشر : عسى ، عيس ، سعى ، يسع ، عسو ، عوس ، سعو ، سوع ، وسع ، وعس - أنها لما يمكن أن يكون، و هو جدير و خليق بأن يكون، ٥ من قولهم: أعس به - أى أخلق، و بالعسى[1] أن يفعل - أى بالحرى، و إنه لمعساة بكذا - أى مخلقة[2]. و بهذا فسرها سيبويه؛ قال ابن هشام الخضراوى[3] فى شرح الإيضاح لأبى على: و قال سيبويه: إن عسى بمنزلة اخلولق، و المعساء كمكسال: الجارية[4] المراهقة لأنها جديرة بقبول النكاح، و من ثمّ أتت للطمع[5] و الإشفاق، و قد يزيد الرجاء فيطلق على القرب فيكون ١٠ مثل كاد، و قد يشتد فيصل إلى اليقين فنستعمله[6] حينئذ فى معنى كان، و منه: عسى الغوير أبؤسا، لكن قال الرضى: و أنا لا أعرف عسى فى غير كلامه تعالى لليقين، و قد يضعف الرجاء فيصير شكا[7]، و منه: المعسية كمحسنة[8] للناقة، قد[9] يشك[10] أبها لبن أم لا، و عسى النبات - كفرح و دعا:

---

(١) من القاموس، و فى الأصل و ظ: بالعس (٢) من القاموس، و فى الأصل: مخلفه، و فى ظ: مخلقه (٣) هو محمد بن يحيى، و اسم شرحه: الإفصاح بفوائد الإيضاح - كما فى كشف الظنون (٤) فى ظ: الجارة (٥) من ظ، وفى الأصل: للطمع (٦) فى ظ: نستعمل (٧) فى ظ: كسا (٨) من القاموس، وفى الأصل: لمحضة، و فى ظ كمحسبة - كذا (٩) ليس فى ظ والقاموس (١٠) من القاموس، و فى الأصل: شبك، و فى ظ: تشك.

غلظ و يبس[1] ، أى صار خليقا لأن يرعى و أن يقطع ، و اليد من العمل مثله ، أى فصارت جديرة بالصبر على المشاق ، و العاسى[2] ، النخل : لأنه جدير بكمال ما يطلب منه من المنافع ، و عسى الشيخ كرضى عساء و عسا كدعا يعسو : كبر ، أى صار خليقا بالموت و بأن لا يتعلم ما لم يكن فى غريزته ، و كذا عسى و عسا[3] الإنسان عن الأدب ، أى كبر / عنه ، ٥ / ٤٧٦ و العود يبس و صلب و اشتد أى فصار خليقا لما يراد منه ، و الليلة[4] : اشتدت ظلمته ، فصار جديرا بمطابقة اسمه[5] لمسماه و بتغطية الأمور ، و العسو : الشمع ، كأنه لإزالته[6] ظلمة الليل بنوره إذا أحرق ، و عسى بالشيء كفرح : لزمه ، أى فصار جديرا[7] باضافته إليه ؛ و العيس - بالفتح : ضراب الفحل و يقال : ماؤه لأنه جدير بالإنتاج[8] ، و العيس - بالكسر : الإبل البيض ١٠ يخالط بياضها شقرة ، و جمل و ظبي أعيس و ناقة عيساء ، لأنها خليقة بكل محمدة لحسن[9] لونها ، و تعيست[10] الإبل : صارت بياضا فى سواد كذلك أيضا ، و عيساء : امرأة و الأنثى من الجراد ، لشبهها بلون العيس ، و أعيس الزرع - إذا[11] لم يكن فيه رطب ، لأنه صار حقيقا بالحصاد ، و العوس - بالفتح - و العوسان : الطوفان بالليل ، لأنه جدير ببلوغ المقاصد ، ١٥

---

(١) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : سس - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : العاس ، و فى ظ : العاس (٣) فى ظ : عسى (٤) فى ظ : الليل (٥) من ظ ، وفى الأصل : اسم (٦) فى ظ : لازالة (٧) فى ظ : جدير (٨) من ظ ، و فى الأصل : بالانتجاح (٩) من ظ ، و فى الأصل : باحسن (١٠) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : تعسيت (١١) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : اذ .

و بالضم : ضرب من الغنم و هو كبش عوسى ، إلحاقا لها بالعيس لكنها
لصغرها اختير لها الضم جبرا لها و تقوية و تفاؤلا بالكبر[1] ، و اختير للابل
الكسر تفاؤلا بسهولة القياد ، و بالتحريك : دخول الشدقين عند الضحك
و غيره ، تشبيها بالغنم ، فكأنه جدير بأن يترك ما يحدث منه ذلك من
٥ الضحك و غيره ، و النعت أعوس و عوساء ، و عاس على عياله : كد عليهم
و كدح ، و عياله : قاتهم ، و ماله عوسا و عياسة : أحسن القيام عليه ،
فعمل بما هو الأليق به في كل ذلك ، و العواسة - بالضم : الشربة[2] من
اللبن و غيره ، لأنها جديرة بالري[3] ، و الأعوس : الصيقل و الوصّاف
للشيء ، لأنه جدير باظهار الخبء ، و العواساء كبراكاء : الحامل[4] من الخنافس ،
١٠ لإنها في تلك الحالة أجدر بما تفهمه مادتها من الكراهة فانه يقال :
خنفس عن القوم : كرههم و عدل عنهم ، و الخنافس - بالضم : الأسد ؛
لأنه جدير بأن يكره و يعدل عنه ؛ و السعى : عدو دون الشد[5] ، و كل
عمل سعى ؛ قال في القاموس : سعى كرعى[6] : قصد و عمل و مشى و عدا
و نمّ و كسب ، كل ذلك يكون جديرا بدرك حاجته ، و السعاية :
١٥ مباشرة عمل الصدقات التي بها يدرك الإمام أخذ الحقوق ، فيكون خليقا
باغناء الفقراء ، و سعت الأمة : بغت ، فكانت خليقة بعمل الإماء عند العرب ؛
و ساعاها : طلبها للبغاء ، و أسعاه : جعله يسعى ، و المسعاة[7] : المكرمة

(١) من ظ ، و في الأصل : بالكبير (٢) في ظ : الشوم (٣) من ظ ، و في الأصل : بالراى (٤) من ظ و القاموس ، و في الأصل : لحامل (٥) من تاج العروس ، و في الأصل و ظ : الشديد (٦) من القاموس ، و في الأصل و ظ : كرعن (٧) في ظ : المساعاة .

و المعلاة فى أنواع المجد ، لأنها جديرة بأن يسعى لها ، و استسعى العبد : كلفه من العمل ما يؤدى به عن نفسه إذا عتق بعضه ليعتق به ما بقى ، لأنه جدير بذلك ، و السعاية - بالكسر : ما كلف من ذلك ؛ و السيع[1] : الماء الجارى على وجه الأرض ، و قد انساع[2] - إذا جرى ، لأن الماء خليق بالجرى و الحركة ، ساع الماء و الشراب : اضطرب على وجه الأرض ، ٥ و سيعاء من الليل و كسيراء : قطع منه ، كأنه ينظر إلى الساعة و هى جزء ، هو لنفاسته خليق بأن يحفظ و لا يضيع و أن يتـدارك إن ضيع ، و السياع - بالفتح : ما يطين به ، و الشحم تطلى به المزادة ، كأنه[3] يمنع ما هو خليق بـالجرى ، و قد سيعت الجب - إذا طينته بطين أو جص ؛ و كذلك الزق و السفن إذا طليت بالقار ، و المسيعة : خشبة مملسة يطين ١٠ بها تكون مع حذاق[4] الطيانين ، و التسييع : التطيين [5]بها تكون مع حذاق التدهين ، و قال القزاز : و السياع : تطيينك بالجص أو الطين[5] أو القير ، تسيع به السفن ، و السياع : شجر العضاه له ثمر كهيئة الفستق و شجر اللبان ، و كل منها خليق بالرغبة فيه ، و المسياع : الناقة تذهب فى المرعى ، كأنها شبهت بالماء الجارى ، و هى أيضا خليقة بالسمن ، / و التى تحمل الضيعة ، ١٥ / ٤٧٧ و سوء القيام عليها ، و التى يسافر عليها و يعاد ، لأنها خليقة بأن يرغب فيها ، و أساعه : أهمله ، أى أزال ما هو خليق بـه من الحفظ فصار خليقا

---

(١) فى ظ : اليسع (٢) من ظ و تاج العروس ، و فى الأصل : اساع (٣) فى ظ : لأنه (٤) من القـاموس ، و فى الأصل و ظ : حذاف - كذا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بالهلاك ؛ و السعوة - بالكسر : الساعة كالسعواء بالكسر و الضم - و قد تقدم تخريجها - و المرأة البذية الخالعة[1] ، كأنها جديرة بسرعة الفراق كالساعة، و الساعي : الوالي على أيّ أمر و قوم كان ، و لليهود و النصارى : رئيسهم ، لأنه خليق بأن يسعى عليهم و يذب عنهم ، و السعاة : التصرف ، لأن
٥ الإنسان جدير به ، و سعية[2] علم للعنز ، لأنها خليقة بالسعي ، و السعاوى - بالضم : الصبور على السهر و السفر ، نسبة إلى السعي على وجه بليغ و هو خليق بأن يرغب فيه ، و أسعوا به ، أي طلبوه[3] بقطع همزتها ، و الساعة : جزء من أجزاء الجديدين و الوقت الحاضر و القيامة ، لأن كل ذلك جدير و حقيق بالاحتفاظ من إضاعته ، و الهالكون[4] كالجاعة للجياع ، كأنهم أضاعوا
١٠ ساعتهم فكانوا جديرين بما حصل لهم ، و ساعة سوعاء : شديدة ، و ساعت الأبل تسوع : بقيت بلا راع ، فصارت جديرة بالهلاك و الضياع ، و أساعه : أهمله و ضيعه ، فصار كذلك ، و منه ناقة مسياع[5] : تدع ولدها حتى يأكله السباع ، و بعد سوع من الليل و سواع ، أي هدءه[6] ، و أسوع : انتقل من ساعة إلى ساعة ، فصار جديرا بأن يتحفظ فيتدارك في الثانية ما فاته في
١٥ الأولى ، و أسوع الحمار : أرسل غرموله ، فصار جديرا بالنزوان ، و سواع : اسم صنم [ عبد - [7] ] في عهد نوح عليه السلام ، غرقه الطوفان فاستثاره[8]

(١) من القاموس ، و في الأصل : الحالقة ، و في ظ : الخالعه - كذا (٢) من القاموس ، و في الأصل و ظ : سيعة (٣) من ظ ، و في الأصل : اطلبوه . (٤) في القاموس : الهلكى (٥) من ظ و القاموس ، و في الأصل : سباع (٦) في ظ : هداة (٧) زيد من القاموس (٨) في ظ : فاستنشار .

إبليس حتى عبد أيضا ، لأنه كان خليقا - عندهم و في زعمهم - بما أهّلوه له - تعالى الله عن ذلك ! و الوسع مثلثة[1] : الجدة و الطاقة كالسعة ، و معناها الخلاقة بالاحتمال ، وسعه الشيء - بالكسر - يسعه كيضعه سعة كدعة و زنة : كان جديرا باحتماله ، و اللهم سع علينا ، أي وسع ، و ليسعك بيتك : أمر بالقرار[2] فيه ، و هذا الإناء يسع عشرين كيلا ، أي يتسع لها ، و الواسع : ٥ ضد الضيق - كالوسيع ، و في الأسماء الحسنى : الكثير العطاء الذي يسع لما يسأل ، أو[3] المحيط بكل شيء ، [أو - [4]] الذي وسع رزقه جميع خلقه و رحمته[5] كل شيء ، و الوساع كسحاب : الندب ، و هو الخفيف في الحاجة الظريف النجيب ، لأنه جدير بما يندب له ، و من الخيل : الجواد أو الواسع الخطو و الذرع - كالوسيع ، و قد وسع ككرم وساعة و سعة[6] و أوسع : ١٠ صار ذا سعة ، و الله عليه : أغناه ، و توسعوا في المجلس : تفسحوا ، فصاروا جديرين باحتمال الداخل بينهم ، و وسعه توسيعا ضد ضيقه ، و رحمة الله وسعت كل شيء ، أي أحاطت به ، و وسع كل شيء علما ، أي أحاط به و أحصاه ؛ و الوعس كالوعد : شجر تعمل منه البرابط[7] و العيدان ، لأنه أحق الأشجار بذلك ، و الرمل السهل يصعب[8] فيه المشي ، لأنه يرى لسهولته خليقا ١٥ بأن يمشي فيه ، و إذا حقق النظر كان خليقا بصعوبة المشي لكونه رملا ،

---

(١) من القاموس ، و في الأصل : مثليه ، و في ظ : مثلثة - كذا (٢) من ظ و القاموس ، و في الأصل : القرار (٣) من القاموس ، و في الأصل و ظ « و ». (٤) زيد من القاموس (٥) زيد في ظ : وسعت (٦) من ظ و القاموس ، و في الأصل : سبعة - كذا (٧) في ظ : الرابط (٨) في ظ : يتصعب .

و أوعس ركبه ، و الوعساء : رابية من رمل[1] لينة تنبت أحرار البقول ، لأنها للينها حقيقة من بين روابى[2] الرمل بالنبت ، و مكان أوعس و أمكنة وعس ، و الميعاس : ما تنكب عن الغلظ ، فهو جدير بالمشى فيه ، و الأرض : لم توطأ ، فهى جديرة بالكف عن سلوكها ، و الطريق ، لأنه جدير بأن
٥ يسلك ، قال فى القاموس : كأنه ضد ، و المواعسة : ضرب من سير الإبل ، كأنه وسط فهو جدير بالخير[3] و المباراة فى السير ، أو لا تكون إلا ليلا ؛ و قال القزاز : توعست فى وجهه حمرة أو صفرة ، أى كانت خليقة بالظهور ، قال : و إذا ذكروا الرملة قالوا : وعساء ، و إذا ذكروا الرمل قالوا : أوعس - هذا ما فى تنزيل الجزئيات من اللغة على مدار هذه المادة ، و أما
١٠ كلام أهل العربية فى قواعد 'عسى' الكلية فقال أبو عبد الله القزاز : هو فعل لا ينصرف فلا تقول : يعسى ، و لا هو عاس ، و قال عبد الحق الإشبيلى : و لا يأتى[4] / منه مستقبل و لا فاعل و لا مفعول و لا مصدر ' قال القزاز : ٤٧٨ / و يصحبه 'أن' و يجوز حذفها ، و 'أن' و ما بعدها بمعنى[5] المصدر و هى فى موضع نصب ، و لا يقع بعدها المصدر و لا اسم الفاعل ، و إنما جاء
١٥ هذا فى مثل العرب : عسى الغوير أبؤسا ، و أبؤس جمع بأس ، و هذا يدل على أن خبر عسى فى موضع نصب ؛ و قال فى القاموس : و الأبؤس : الداهية ، و منه عسى الغوير أبؤسا ، أى داهية ، [[6]- قال أبو عبيد فى الغريب : كأنه أراد : عسى الغوير أن يحدث أبؤسا و أن يأتى

(١) فى ظ : الرمل (٢) فى ظ : رابى (٣) من ظ ، و فى الأصل : فى الخير .
(٤) فى ظ : لا يتاتى (٥) فى ظ : فى معنى (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ .



بأبؤس

بأبؤس[١]، فهذا طريق النصب ، و مما يبينه[٢] قول الكميت :

قالوا أساء بنوكرز[٣] فقلت لهم عسى الغوير بأبآس[٤] و إغوار ]

و قال شارح الجزولية[٥] أبو محمد ابن[٦] الموفق[٧] : لما كانت للرجاء دخلها معنى[٦] الإنشاء فلم تتصرف، لأن تصرفها ينافى الإنشاء لأنها إذا تصرفت دلت على الخبر فيما مضى و الحال و الاستقبال ، و ذلك ينافى معنى الإنشاء الذى لا يصلح لماض و لا مستقبل ، و قال بعض المتأخرين : عسى موضوعة لفعل يتوهم كونه فى الاستقبال و هو على لفظ الماضى فاحتيج إلى ' أن ' بعده إذ لا مستقبل له[٦] ، و ذهب بعضهم إلى أن عسى حرف لعدم تصرفها و لا[٨] معناها فى غيرها ، و الصحيح أنها فعل لفظا و معنى ، أما لفظا فظاهر ، أى للحاق الضمائر و تاء التأنيث الساكنة ، و أما معنى فلأنه إخبار عن طمع وقع للتكلم ، و جعل لفظها بلفظ الماضى لأن الطمع قد وقع ، و إنما المطموع هو الذى يتوقع و ينتظر ، و أدخل ' أن ' على المطموع فيه لأنه[٦] لم يقع بعد ، و جردت أخواتها عن ' أن ' لأن خبرها محقق فى الحال إذ قد شرع فيه إلا ' كاد ' فانها للمقاربة فى الجملة ؛ و قال ابن هشام المصرى فى توضيحه : و يجب كون

---

(١) من غريب الحديث ٣ / ٣٢٢ ، و فى ظ : باوس (٢) من غريب الحديث ، و فى ظ : بينه (٣) من اللسان ، و فى ظ : بنو بكر ، وليس المصراع فى غريب الحديث (٤) من غريب الحديث و اللسان ، و فى ظ : واناس -كذا (٥) هى المشهورة بالمقدمة الجزولية لعيسى بن عبد العزيز الجزولى - راجع كشف الظنون (٦) سقط من ظ (٧) وهو القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمد الأندلسى - كما ترجمه فى بغية الوعاة ٣٧٥ و عد فى جملة مصنفاته شرح الجزولية ، و راجع أيضا كشف الظنون - المقدمة الجزولية (٨) من ظ ، و فى الأصل : لان .

خبرها جملة، و شذ كونه مفردا نحو عسى الغوير أبؤسا، و يكون الاسم مرفوعا بعسى و أن، و الفعل في موضع نصب على الخبر، و قال الرضى: إنما لم يتصرف في عسى لتضمنها[1] معنى الحرف، أي إنشاء الطمع و الرجاء، و قوله: أبؤسا و صائما، لتضمن عسى معنى كان[2] فأجرى مجراه، و مذهب ٥ المتأخرين أن عسى ترفع الاسم و تنصب الخبر ككان، و قال أبوطالب العبدي في شرح الإيضاح للفارسي[3]: الأفعال موضوعة للتصرف من حيث كانت مقسمة بأقسام الزمان، و لو لا ذلك لأغنيت المصادر عنها، و لهذا قال سيبويه: فأما الأفعال فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء فبنيت لما مضى و لما يكون و لما هو كائن لم[4] ينقطع، و لما خالفت هذه الأفعال - ١٠ يعني عسى و نعم و بئس و فعل التعجب - سائر الأفعال في الدلالة ترك تصرفها أبدا بما أريدت له من المبالغة فيما جعلت دالة[5] عليه، فمعنى عسى الطمع و الإشفاق - كذا قال سيبويه، و لما اختصت بهذا المعنى ترك تصرفها؛ و قال الرماني: منعت ذلك حملا على 'لعل' كما حملت 'ما' على 'ليس' و الأول أولى لأنه ليس ينبغي أن يحمل باب الأفعال على الحروف، ١٥ و لأن الأفعال في بابها بمنزلة الحروف في بابها في لزوم البناء، و إنما الأسماء تحمل عليها كما تقول في قطام و حزام[6]: إنه بني لوقوعه موقع الفعل، و أن أسماء الاستفهام بنيت لوقوعها موقع الحرف و لا تقول

---

(١) من ظ، و في الأصل: لتضمنه (٢) في ظ: كانه (٣) من كشف الظنون، و في الأصل و ظ: للفارس (٤) في ظ: كما (٥) في ظ: دلالة (٦) و يمكن أن يكون: حذار.

فى الأفعال: إنها بنيت حملا على الحروف و لا الحروف بنيت حملا على الأفعـال، بل كل منهما أصل، فكذلك التصرف، ليس امتناعه لحمله على الحرف و جريه بجراه، و عسى من أخوات كان، و إنما لم تذكر معها للمخـالفة بترك التصرف و بلزوم 'أن' الخبرَ و بكونـه فعلا، و يدل على أنها من أخوات 'كان' عسى الغوير أبؤسا، فقد انكشف ٥ الأصل كما انكشف أصل أقام و أطال و نحوه بقوله:

صددت[1] وأطولت الصدود[و-[2]] قلما وصال على طول الصدود يدوم

و لزوم الفعـل بخبرها لجعله عوضـا من التصرف الذى كان ينبغى أن يكون لها، و أما لزوم 'أن' فلما أريد من صرف الكلام إلى تأويل الاستقبال لأن 'أن' تخلص إليه، و البيت الممثل به فيه شىء طريف، ١٠ و هو مصدر مجموع واقع موقع مصدر واقع موقع فعل، و المصادر فى أصلها لا تجمع و لكنـه ضرورة و مثل، فالأصل / أن 'بأس' ثَمَّ / ٤٧٩ أبؤسا - انتهى كلام العبدى. و عندى أنه عند ما يقوى المعنى الذى سيقت له من طمع أو إشفاق يجعل خبرها اسما تنبيها على أنها الآن بمنزلة كان لما اشتد من شبهها لها بذلك؛ قال أبو طالب: و إذا وليها 'أن' و الفعل ١٥ كان فى موضع رفع، و سد طول الكلام مسد الخبر، و معناها الذى هو الإشفاق و الطمع قريب من المقاربة فى كاد، فلذلك حذف 'أن' من خبرها حملا لها على كاد كما جوزوا دخول 'أن' فى خبر كاد[3]

(١) فى ظ: صدت (٢) زيد من لسان العرب - طول (٣) من ظ، و فى الأصل: كان.

حملا لها على عسى ؛ و قال شارح الجزولية : و حذف ' أن ' من خبر
عسى أكثر من إلحاق ' أن ' في خبر ' كاد ' لمقاربة كاد ذات الفعل ، و ' أن '
تنافى ذلك ، قال : و من الفرق بينهما أن عسى لا يضمر فيها ضمير الشأن
و القصة لشبهها بالحرف لعدم تصرفها ، و تضمر فى كاد لتصرفها ، ثم
٥ رجح أنه يضمر فيها و إن لم تتصرف كما أضمر فى نعم و بئس[1] . و قال
ابن هشام الخضراوى فى شرح الإيضاح أيضا : إن سيبويه قدر عسى
بقارب ، أى فترفع و تنصب لأن قارب متعد ، و قدرها بقرب ، أى
فلا تنصب لعدم تعديه ، قال : و لا تدخل عسى على الماضى ؛ قال أبو على :
لأنها للاستقبال المحض و لذلك وقع بعدها ' أن ' فلا تصلح للماضى
١٠ بوجه ؛ و قال شارح الجزولية : عسى لها مع الظاهر مذهبان : أحدهما
أن تكون ناقصة[2] بمعنى كان الناقصة ، تحتاج إلى اسم و خبر إلا أنه
يشترط فى خبرها أن يكون فعلا ، و أصله أن يكون اسما مثل خبر كان
إلا أنه عدل عنه إلى الفعل[3] تنبيها على الدلالة على ما هو المقصود من
الرجاء و تقوية لما يفيده الرجاء من الاستقبال ، و شبهت فى هذا الوجه
١٥ بـ ' قارب زيد الخروج ' تحقيقا لبيان الإعراب ، لا فى المعنى ، لأن ' قارب
زيد الخروج ' ، ليس فيه إنشاء رجاء و لا غيره ، و إنما هو تمثيل لتقدير
الإعراب اللفظى لأن أصلها أن تكون كذلك ، و إنما طرأ عليها إنشاء
الرجاء كما كان ذلك فى التعجب و نعم و بئس و غيرهما ؛ و المذهب الثانى
أن تأتى تامة[4] فتستعمل استعمال ' قرب ' فتدخل على ' أن ' مع الفعل

(١) من ظ ، و فى الأصل : بى - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : قصة (٣) فى ظ : العقل (٤) من ظ ، و فى الأصل : بامة - كذا .

فتقول: عسى أن يقوم زيد، و استغنى فيها – بأن و الفعل – عن الخبرين كما استغنى في ' ظننت أن يقوم زيد ' عن المفعولين، و ذلك لاشتماله[1] على مسند و مسند إليه، و هو المقصود بهذه الأفعال، فاذا قلت: زيد عسى أن يقوم[2]، احتمل أن تكون الناقصة فيكون فيها ضمير يعود على زيد هو اسمها و ' أن ' مع الفعل خبرها، و يحتمل أن تكون التامة[3] ٥ فلا يكون فيها ضمير و تكون ' أن ' مع الفعل فاعلها؛ و قال ابن الخباز[4] الموصلي في كتابه النهاية في شرح كفاية[5] الكفاية: عسى للطمع للمبالغة في الطمع، فلا يكون خبرها ماضيا لأن معناها الرجاء و الطمع، و الماضي لا يطمع فيه و لا يرجى لحصوله، و استدل على أنها لا تستعمل إلا في المستقبل بقول بعض شعراء الحماسة: ١٠

عسى طيئ من طيئ بعد هذه ستطفئ غلات الكلى و الجوانح[6]

فأتى بالسين لأنه لم يمكنه الإتيان بـ ' أن ' في الشعر؛ و قال شارح الجزولية ما معناه: إنه التزم في خبرها الفعل للدلالة على الاستقبال و ألزم[7] ' أن ' تقوية لذلك، و لهذا لم يكن خبرها اسما و إن كان أصله[8] أن يكون اسما إذ لا دلالة للاسم على الزمان، و لم يوضع مكانها السين ١٥ و سوف لأنهما يدلان على تنفيس في الزمان، و الغرض هنا تقريبه، و قد يجيء في الشعر قليلا – و أنشد البيت المذكور؛ و قال ابن الخباز:

---

(١) في الأصل: اشتماله، و في ظ: لاستماله (٢) من ظ، و في الأصل: يكون. (٣) في ظ: تامة (٤) هو أحمد بن الحسن – راجع الأعلام للزركلي ١/١١٤ (٥) في ظ: كتابه (٦) البيت لقسامة بن رواحة السنبسي – راجع باب المراثي من الحماسة. (٧) في ظ: الزام (٨) زيد بعده في الأصل: اسماء، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.

و دخول الاستفهام عليها يؤذن بأنها ليست للطمع لأن الاستفهام لا يدخل
على الطمع و لا على ما ليس بخبر ، فدخول هل عليها مما يؤذن بأنها
خبر - انتهى . فتفسيرها بما ذكرته - من أنها لما يمكن [ أن يكون -[1] ]
و هو خليق بأن يكون - أولَ، و يكون الطمع لازما لمضمون الكلام
٥ لا أنه مدلولها بالمطابقة - و الله الموفق .

/٤٨٠ و لما بين سبحانه الصالح لذلك من غيره[2]، أنكر على من لم / يفرق
بين الصنفين فقال : ﴿ اجعلتم سقاية الحاج ﴾ أى مجردة عن الإيمان
﴿ و عمارة المسجد الحرام ﴾ أى كذلك كالإيمان بالله و اليوم الآخر
والجهاد[3] ، و أهلَ السقاية و العمارة من غير إيمان فى موالاتهم و الكف
١٠ عن معاداتهم ﴿ كمن ءامن بالله ﴾ أى الحامل اعتقاد كماله [ على -[1] ]
كل كمال ﴿ و اليوم الاخر ﴾ أى الحاث خوفه على كل خير
﴿ و جاهد فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شىء ، فالآية
على قراءة الجماعة من الاحتباك : حذف أولا المشبه به لدلالة المشبه
عليه و ثانيا المشبه لدلالة المشبه به عليه ، و أما على رواية عيسى بن وردان
١٥ عن[4] أبى جعفر شاذا : سقاة و عمرة - بالجمع فلا يحتاج إلى تقدير .

و لما كان كأنه قيل : كنا نظن ذلك فما حالهم؟ قال: ﴿ لا يستون عند الله ﴾
أى الذى له الكمال كله لأن المشركين ظلموا بترك الإيمان ﴿ و الله ﴾
[ أى -[1] ] الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ﴿ لا يهدى القوم الظلمين ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) فى ظ : الجهل .
(٤) فى ظ : على .

أى الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها[1]، و الكفر أعظم الظلم، فلا توجبوا لهم الهداية و لا المساواة بالمهتدين و إن باشروا جميع أفعال المهتدين ما عدا الإيمان. و من فعل ذلك منكم كان ظالما و خيف عليه[2] سلب موجب الهداية.

و لما نفى عنهم المساواة من غير تصريح بأهل الترجيح ليشتد[3] التشوف ٥ إلى التصريح فيكون أثبت فى النفس و أوقر فى القلب، كان كأنه قيل: فمن الراجح؟ فقال: ﴿الذين ءامنوا﴾ أى أوقعوا هذا الفعل، و هو إيمان المخاطَب من أن يكذبوه بشيء مما يخبر به عن الله، و قصر الفعل و هو فى الأصل متعد ليفيد أنه لا إيمان غير هذا، و إن وجد غيره فهو عدم بالنسبة إليه، وكذا كل فعل قصر فهو على هذا المنوال ١٠ ليشار به إلى أنه لعظيم نفعه لا فعل من جنسه غيره ﴿و هاجروا وجٰهدوا﴾.

و لما كان المحدث عنه فيما قبل المجاهد فى سبيل الله، اقتضى المقام [تقديمه - [4]] على الآلة بخلاف ما فى آخر الانفال فان المقام اقتضى هناك تقديم المال و النفس لما تقدم من موجبه فى غير آية - كما سلف بيانه. وأيضا فنى[5] هذا الوقت كان المال قد كثر، و مواضع الجهاد قد ١٥ بعدت، فناسب الاهتمام بالسبيل فلذا قدم ﴿فى سبيل الله﴾ أى مخلصين له لأنه الملك الذى لا كفوء له، ثم أتبعه قوله: ﴿باموالهم و انفسهم لا﴾ فصرح بالنفس ترغيبا فى المباشرة بها ﴿اعظم درجة﴾ أى من جهة ارتفاع الدرجة، و هى الفضيلة المقربة إلى الله.

(١) فى ظ: موضعها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: اشتد (٤) زيد من ظ.
(٥) فى ظ: فى.

و لما لم يكن العبرة إلا بما عنده سبحانه ، لا[1] بما عند الناس ، قال تعالى : ﴿ عند الله ﴾ أي الملك الأعظم من أهل السقاية و ما معها من غير إيمان مدلول عليه بشواهده ، و إنما لم يذكر المفضل عليه ليفيد أن فضيلتهم[2] على الإطلاق ، فيكون المفضل عليه من جملة المدلول عليه ، و كرر الاسم الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام و صعوبة المرام ؛ و أفهم هذا أن تلك الأفعال شريفة فى نفسها[3] ، فمن باشرها كان على[4] درجة عظيمة بالنسبة إلى من لم يباشرها ، و من بناها على الأساس كان أعظم ؛ ثم بين ما يخص أهل حزبه فقال : ﴿ و اولّئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ هم ﴾ أى خاصة لا أنتم أيها المفاخرون مع الشرك ﴿ الفآئزون ﴾ أى بالخير الباقى فى الدارين دون من عداهم و إن فعل من الخيرات ما[5] فعل ، لأنهم ترقوا من العبدية إلى العندية .

و لما بين أن جزاء أولئك الخلود فى النار ، بين ما لهؤلاء ، فقال مفسرا لفوزهم : ﴿ يبشرهم ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بهدايتهم و اجتبائهم ، و ناهيك بهذه البشارة الدالة[6] على علو مقامهم [7]لأنها بلا واسطة ، و كون البشارة على قدر المبشر دال على أن هذه البشارة[7] [بشارة عظيمة -[8]] لا نهاية لها و لا يحاط [9]بمعرفة مقدارها[9] ﴿ برحمة ﴾ أى عظيمة ، و زادها[10] عظما

(١) فى ظ : الا (٢) من ظ ، و فى الأصل : فضيلة (٣) من ظ ، و فى الأصل : انفسها (٤) فى ظ : فى (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : التى دلت (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ (٩-٩) فى ظ : بمقدارها (١٠) من ظ ، و فى الأصل : زاد .

بقوله

بقوله: ﴿ منه ﴾ و ذلك إشارة إلى أنه لا نجاة بدون العفو؛ ثم أخبر بأن الرحمة كما أثمرت العفو الذى هو أدنى المنازل أسعدت / بأعلاها ٤٨١ /
فقال: ﴿ و رضوان ﴾ أى بأن يكون راضيا عن الله [ للرضى بقضاء الله و ذلك يكون إذا قصر نظره على الله فانه لا يتغير أبدا بقضاء من أقضيته كما أن الله - الذى هو راحمه - لا يتغير، و من كان نظره لطلب حظ له ٥
كان أبدا فى تغير من الفرح إلى الحزن و من السرور إلى الغم و من الراحة إلى الجراحة و من اللذة إلى الألم، فثبت أن الرحمة التامة لا تحصل إلا للراضى بقضاء الله و يكون الله راضيا عنه فتكون نفسه راضية مرضية، و لهذا لم يقيده بـ "منه" و هذان فى الدنيا و الآخرة.

و لما ذكر هذه الجنة الروحانية المنعم بها فى الدنيا -[1]]، أتبعه ١٠
بيان الجنة الروحانية البدنية[2] الخاصة بالدار التى فيها القرار فقال: ﴿ و جنّٰت ﴾ أى بساتين كثيرة الأشجار و الثمار ﴿ لهم فيها نعيم ﴾ أى عظيم جدا خالص عن كدر ما، و دل على الخلود بقوله: ﴿ مقيمٌ ﴾
ثم صرح بخلودهم فيها [ بلفظ الخلود ليكون أقر للنفس -[1]] فقال: ﴿ خٰلدين فيهآ ﴾ و حقق أمره بقوله: ﴿ ابدا ﴾ ثم استأنف المدح ١٥
لذلك مؤذنا بالمزيد بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق و القدرة الكاملة ﴿ عندهٓ اجر عظيم ﴾ و ناهيك بما يصفه العظيم دالا[3] بالعظم، و خص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر[4] عن دوامه بهذه العبارات الثلاث[5] المقرونة بالتعظيم و الاسم الأعظم، فكان أعظم الثواب، لأن

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ: البينة (٣) -سقط من ظ (٤) فى ظ: المبر (٥) من ظ، و فى الأصل: الثلاثة.

إيمانهم أعظم الإيمان .

و لما فرغ من العاطفة بمحاسن الأعمال ، شرع[1] في العاطفة بالأنساب و الأموال ، و قدم الأول إشارة إلى أن المجانسة في الأفعال مقدمة على جميع الأحوال ، و لما كان محط الموالاة المناصرة ، وكانت النصرة بالآباء و الإخوان أعظم من النصرة بغيرهم ، لأن مرجعها إلى كثرة الأعوان و الأخدان[2] ، اقتصر عليها فقال : ﴿ يآيها الذين ءامنوا ﴾ أي أقروا بألسنتهم بالإيمان بربهم معرضين عما سواه من الأنداد الظاهرة ! صدقوا ادعاءكم ذلك بأن ﴿ لا تتخذوآ ﴾ أي تتعمدوا و تتكلفوا أن تأخذوا ﴿ ءابآءكم و اخوانكم اوليآء ﴾ أي على ما يدعو إليه الطباع و تقويه الأطماع فتلقوا إليهم أسراركم و تؤثروا رضاهم و المقام عندهم ﴿ ان استحبوا ﴾ أي طلبوا و أوجدوا [3] أن أحبوا[3] ﴿ الكفر ﴾ و هو تغطية الحق و التكذيب ﴿ على الايمان[4] ﴾ نبه بصيغة الاستفعال[4] على أن الإيمان لكثرة محاسنه و ظهور دلائله معشوق بالطبع ، فلا يتركه أحد إلا بنوع معالجة و مكابرة لعقله و مجاهدة .

و لما كان أعز الأشياء الدين ، و كان لا ينال إلا بالهداية ، و كان قد تقدم سلبها عن الظالم ، رهبهم من انتزاعه بقوله : ﴿ و من يتولهم ﴾ أي يتكلف أن يفعل [5] في أمرهم[5] ما يفعل القريب مع قريبه ﴿ منكم ﴾ أي بعد[6] ما أعلمكم الله في أمرهم بما أعلم ﴿ فاولٓئك ﴾ أي المبعدون عن الحضرات الربانية ﴿ هم[7] الظلمون ﴾ أي لوضعهم الموالاة في غير موضعها

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : الاخوان (٣-٣) سقط مابين الرقمين من ظ . (٤) في ظ : الافتعال (٥-٥) في ظ : معهم (٦) في ظ : ان (٧) تقدم في ظ على « أي المبعدون » .

بعد أن تقدم إليهم سبحانه بمثل هذه الزواجر، و هذا رجوع بالاحتراس إلى "و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض" - الآية الوالية لبيان المؤمنين حقا و إشارة إلى أنه يضلهم و لا يهديهم لما تقدم من الخبر بأنه لا يهدى الظالمين ؛

و لما كانت الأنفس مختلفة الهمم متباينة[1] السجايا و الشيم، كان ٥ هذا غير كاف فى التهديد لكلها، فأتبعه تهديدا أشد منه بالنسبة إلى تلك النفوس فقال منتقلا من أسلوب الإقبال إلى مقام الإعراض المؤذن بزواجر الغضب[2] : ﴿ قل ﴾ أى [ يا - [3] ] أعظم الخلق شفقة و رفقا و نصيحة لمن لم[4] يزعه ما تقدم من الزواجر أنه يجب تحمل جميع هذه المضار فى الدنيا ليبقى الدين[5] سالما و لا ينثلم ﴿ ان كان اباؤكم ﴾ ١٠ أى الذين[6] أنتم أشد شيء توقيرا لهم ﴿ و ابناؤكم ﴾ أى الذين هم أعز الناس لديكم و أحبهم إليكم ﴿ و اخوانكم ﴾ أى الذين هم من أصولكم فهم كأنفسكم ﴿ و ازواجكم ﴾ أى اللاتى هن سكن لكم ﴿ و عشيرتكم ﴾ أى التى[7] بها تمام الراحة و قيام العز و المنعة[8] و هم أهل الإنسان الأدنون الذين يعاشرونه. ١٥

و لما قدم سبحانه ما هو مقدم على المال عند أولى الهمم العوال قال : ﴿ و اموال اقترفتموها ﴾ أى اكتسبتموها بالمعالجة من الأسفار

(١) فى ظ : متتابعة (٢) من ظ و فى الأصل : الغضبة - كذا (٣) زيد من ظ .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الدنيا (٦) فى ظ : الذى (٧) فى ظ : اللاتى .
(٨) فى ظ : المنفعة .

و غيرها لمعاشكم ﴿ و تجارة تخشون كسادها ﴾ أى لفوات أوقات نفاقها بسبب اشتغالكم[١] بما ندب الله سبحانه إليه فيفوت - على[٢] ما توهمون - ما به قوامكم ﴿ و مسكن / ترضونهآ ﴾ أى لأنها بجمع لذلك[٣] كله ، و لقد رتبها سبحانه أحسن ترتيب ، فان الأب أحب المذكورين لما هنا ٤٨٢ / ٥ من شائبة النصرة ، و بعده الابن ثم الأخ ثم الزوج ثم العشير الجامع للذكور و الإناث ثم المال الموجود فى اليد ثم المتوقع ربحه بالمتجر ، و ختم بالمسكن لأنه الغاية التى كل ما تقدم أسباب للاسترواح فيه و التجمل به ﴿ احب اليكم من الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال الذى أنعم عليكم بجميع ما ذكر ، و متى شاء سلبكموه ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى أتاكم بما به ١٠ حفظ هذه النعم فى الدارين ﴿ و جهاد فى سبيله ﴾ أى لرد الشارد من عباده إليه و جمعهم عليه ، و فى قوله - : ﴿ فتربصوا ﴾ أى انتظروا متبصرين - تهديد بليغ ﴿ حتى ياتى الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ بامره ﴾ أى الذى لا تبلغه أوصافكم و لا تحتمله قواكم. و لما كان[٤] من آثر حب شىء من ذلك على حبه تعالى ، كان مارقا من دينه[٥] راجعا إلى دين من ١٥ آثره ، و كان التقدير : فيصيبكم بقارعة لا تطيقونها و لا تهتدون إلى دفعها بنوع حيلة ، لأنكم اخترتم لأنفسكم منابذة الهداية و معلوم أن من كان كذلك فهو مطبوع فى الفسق ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى لا يخلق الهداية فى قلوب

---

(١) فى ظ: اشغالكم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: كذلك (٤) فى ظ: بين (٥) من ظ ، و فى الأصل: ذنبه .

﴿ الفسقين ﴾ أي الذين استعملوا ما عندهم من قوة[1] القيام[2] فيما يريدون من[3] الفساد حتى صار الفسق - و هو الخروج مما حقه المكث فيه و التقيد[4] به ، و هو هنا الطاعة - خلقا من أخلاقهم و لازما من لوازمهم ، بل يكلهم إلى نفوسهم فيخسروا الدنيا و الآخرة .

و لما كان في بعض النفوس من الغرور بالكثرة ما يكسبها سكرة ٥ تغفلها عن بعض مواقع القدرة ، ساق قصة حنين دليلا على ذلك الذي أبهمه من التهديد جوابا لسائل كان كأنه قال : ما ذاك الأمر الذي يتربص[5] لإتيانه و يخشى[6] من عظيم شأنه ؟ فقيل : الذل و الهوان و الافتقار و الانكسار ، فكأنه قيل : و كيف يكون ذلك ؟ فقيل : بأن يسلط القدير عليكم - و إن كنتم كثيرا - أقوياء غيركم و إن كانوا قليلا ضعفاء ١٠ كما سلطكم - و قد كنتم كذلك - حتى صرتم إلى ما صرتم إليه : ﴿ لقد نصركم الله ﴾ أي الملك الأعلى[7] مع شدة ضعفكم ﴿ في مواطن ﴾ أي مقامات[8] و مواقف و أماكن توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ﴿ كثيرة لا ﴾ أي من[9] الغزوات التي تقدمت لكم كبدر و قريظة و النضير و قينقاع و الحديبية و خيبر و غيرها من مخاصمات الكفار ، و كنتم من ١٥ الذلة و القلة و الانكسار بحال لا يتخيل معها نصركم و ظهوركم على جميع الكفار و أنتم فيهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، و ما وكلكم

---

(١) من ظ ، و في الأصل : لها - كذا (٢) في ظ : الإيمان (٣) من ظ ، و في الأصل : في (٤) في ظ : التقييد (٥) في ظ : نتربص (٦) في ظ : تخشى (٧) في ظ : الأعظم (٨) في ظ : مقدمات - كذا (٩) سقط من ظ .

إلى مناصرة من تقدم أمره لكم بمقاطعتهم ، فدل ذلك على أن من أطاع الله
و رجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين و الدنيا على أحسن الوجوه و إن عاداه
الناس أجمعون ، و دل بما بعدها من قصة حنين على أن من اعتمد على
الدنيا فاته الدين و الدنيا إلا أن يتداركه الله برحمة منه فيرجع به[1] . فقال
٥ تعالى : ﴿ و يوم ﴾ أي و نصركم بعد أن قواكم و كثركم هو وحده ،
لا كثرتكم وقوتكم يوم ﴿ حنين ﴾ و هو واد بين مكة و الطائف إلى جانب
ذى المجاز ، و هو إلى مكة أقرب ، وراء[2] عرفات إلى الشمال .

[ و لما كان سلمة بن سلامة بن وقش[3] الأنصارى رضى الله عنه قد
قال حين التقى الجمعان[4] و أعجبته كثرة الناس : لن نغلب اليوم من قلة !
١٠ فساء النبي صلى الله عليه و سلم كلامه و أن يعتمد إلا على الله ، وكان
الإعجاب سما قاتلا للأسباب ، أدبنا الله سبحانه فى هذه الغزوة بذكر سوء
أثره لنحذره ، ثم عاد سبحانه بالإنعام لكون الذى قاله شخصا واحدا كره غيره
مقالته . فقال - [5] ] : ﴿ إذ ﴾ أي حين ﴿ أعجبتكم كثرتكم ﴾ أى فقطعتم
لذلك أنه لا يغلبها غالب ، [ و أسند سبحانه الفعل للجمع إشارة إلى أنهم
١٥ لعلو مقامهم ينبغي أن لا يكون منهم من يقول مثل ذلك - [5] ]
﴿ فلم تغن عنكم شيئا ﴾ أى من الإغناء ﴿ و ضاقت عليكم الارض ﴾
أي الواسعة ﴿ بما رحبت ﴾ أى مع اتساعها فصرتم لا ترون أن فيها
مكانا يحصنكم مما أنتم فيه لفرط الرعب ، فما ضاق فى الحقيقة إلا ما كان

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عوراء - كذا (٣) من الإصابة ، و فى ظ : قيش - كذا (٤) فى ظ : الجماعان ، و راجع معالم التنزيل حول تفسير هذه الآية (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

من الآمال التي سكنت إلى الأموال و الرجال ، و لعل عطفه - لتوليهم بأداة التراخي في قوله : ﴿ ثم وليتم ﴾ أي تولية كثيرة ظهوركم الكفارَ ، و حقق ذلك بقوله : ﴿ مدبرين ﴾ أي انهزاما مع أن الفرار كان حين / اللقاء لم يتأخر - إشارة إلى ما كان عندهم من استبعاده اعتمادا على القوة / ٤٨٣
و الكثرة ﴿ ثم انزل الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ سكينته ﴾ ٥
أي رحمته ، و هي الأمر الذي يسكن القلوب عن أن تتأثر بما يدهمها من البلاء من الوثوق به سبحانه و مشاهدة جنابه الأقدس و الغناء عن غيره .

[ و لما كان المقام للرسالة ، و كان تأييد مدعيها من أمارات صدقه في دعوى أنه رسول ، و أن مرسله قادر على ما يريد لا سيما إن كان تأييده على وجه خارق للعادة ، عبر به دون وصف النبوة فقال - [1] ] : ١٠
﴿ على رسوله ﴾ أي زيادة على ما كان به من السكينة التي لم يحز مثلها أحد ، [2] ثبت بها [2] الثلاثين ألفا أو عشرين ألفا أو أربعة آلاف [ على اختلاف الروايات في عشرة أنفس أو مائة أو ثلاثمائة - [1] ] على الاختلاف أيضا ، لم يكن [3] ثباتهم إلا به ، ثم لم يزده ذلك إلا تقدما حتى أن كان العباس عمه و أبو سفيان بن الحارث ابن عمه رضي الله عنهما ليكفان بغلته عن ١٥
بعض التقدم ، و لعل العطف بـ " ثم " إشارة إلى علو رتبة ذلك الثبات و استبعاد أن يقع مثله في مجاري العادات ﴿ و على المؤمنين ﴾ أي أما من كان منهم ثابتا فزيادة على ما كان له من ذلك ، و أما غيره فأعطى ما

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) من ظ ، و في الأصل : ثبتها (٣) من ظ ، و في الأصل : لم تكن .

لم يكن فى ذلك الوقت له ، و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم قال لعمه العباس رضى الله عنه بعد ما فر الناس : ناد فيهم يا عباس ! فنادى[1] و كان صيتا : يا عباد الله ! يا أصحاب الشجرة ! يا أصحاب السورة البقرة ! فكروا عنقا واحدا يقولون : لبيك لبيك ! و يحتمل أن يكون ذكر الرسول عليه ٥ السلام لمجرد التبرك كما فى ذكر الله فى قوله "فان لله خمسه[2]" و زيادة فى تعظيم الامتنان[3] به لأن النفوس إلى ما أعطى منه الرسول أميل و القلوب له أقبل لاعتقاد جلاله و عظمته و كماله ﴿ و انزل ﴾ أى من السماء ﴿ جنودا لم تروها ﴾ أى من الملائكة عليهم السلام ﴿ و عذب ﴾ أى بالقتل و الأسر و الهزيمة و السبى و النهب ﴿ الذين كفروا ط ﴾ ١٠ عبر بالفعل لأن فيهم من آمن بعد ذلك .

و لما كان ما عذب به من أوجد مطلق هذا الوصف عظيما ، أتبعه بيان جزاء العريق فى ذلك ترهيبا لمن آثر حب شيء مما مضى على حب الله فقال : ﴿ و ذلك ﴾ أى العذاب[1] الذى منه ما عذب به[1] هؤلاء و غيره ﴿ جزآء الكفرين ه ﴾ أى الراسخين فى وصف الكفر الذين آثروا حب ١٥ من تقدم من الآباء و غيرهم على الله فثبتوا على تقليد[4] الآباء فى الباطل بعد ما رأوا من الدلائل ما بهر[5] الشمس و لم يدع شيئا من لبس . و أما الذين لم يكن كفرهم راسخا فكان ذلك صلاحا لهم لأنه قادهم إلى الإسلام ، فقد تبين أن المنصور من نصره الله قليلا كان أو كثيرا ، و أن القلة

(١) سقط من ظ (٢) سورة ٨ آية ٤١ (٣) فى ظ : الامتناع (٤) من ظ ، و فى الأصل : تقليه - كذا (٥) فى ظ : ابهر .

و الكثرة و القوة و الضعف بالنسبة إلى قدرته سواء ، فلا تغتروا بما ألزمكم من النعم فانه قادر على نزعها ، لا يستحق أحد عليه شيئا ، و لا يقدر أحد على رد قضائه ، و في ذلك إعلام بأنه لا يرتد[1] بعد إيمانه إلا من كان عريقا في الكفر ، و فيه أبلغ تهديد لأنه إذا عذب من أوجد الكفر وقتا ما فكيف بمن رسخ فيه ! . ٥

و لما بين[2] أن العذاب جزاء الكافرين ، بين أنه يتوب على من يريد منهم ، و هم كل من علم منه قابلية للايمان[3] و إن كان شديدا في وصف الكفران[4] ، فقال عاطفا على "و عذب" : ﴿ثم يتوب الله﴾ أي الذي له الإحاطة علما و قدرة ، و لما لم يكن أحد تستغرق توبته زمان البعد أدخل الجار فقال : ﴿من بعد ذلك﴾ أي العذاب العظيم ﴿على من يشآء[1]﴾ ١٠ أي فيهديه إلى[5] الإسلام و يغفر له جميع ما سلف من الآثام ﴿و الله﴾ أي الذي له صفات الكمال ﴿غفور رحيم ۝﴾ أي[6] محاء للخطايا عظيم الإكرام لمن تاب ، و في ذلك إشارة إلى أنه جعل هذه الوقعة - لحكمته التي اقتضت ربط المسببات بأسبابها - سببا لإسلام من حضرها من كفار قريش و غيرهم من المؤلفة بما قسم فيهم صلى الله عليه و سلم من غنائم ١٥ هوازن و بما رأوا من عز الإسلام / و علوه ، فكان في ذلك ترغيب لهم / ٤٨٤ بالمال ، و ترهيب بسطوات القتال ، و لإسلام وفد هوازن بما حصل لهم من القهر و ما شاهدوا للنبي صلى الله عليه و سلم من عظيم النصر ، و لإسلام

(١) في ظ : لا يريد (٢) زيد بعده في ظ : كان (٣) في ظ : الايمان (٤) في ظ : الكفر (٥) من ظ ، و في الأصل : على (٦) سقط من ظ .

غيرهم من العرب بسبب علم كل منهم بهذه الوقعة أنهم أضعف ناصرا و أقل عددا ، كل ذلك رحمة منه سبحانه لهم و رفقا لهم . و قد كان جميع ذلك كما أشار إليه سبحانه ، فأسلم الطلقاء و حسن إسلامهم ، و قدم وفد هوازن و سألوا النبي صلى الله عليه و سلم جبرهم برد ما أخذ لهم فقال لهم :

٥ إني[1] استأنيت بكم ، فلما أبطأتم قسمت بين الناس فيئهم ، فاختاروا المال أو السبي ! فاختاروا السبي فشفع لهم عند الناس فأجابوه[2] فرد إليهم أبناءهم و نساءهم رحمة منه لهم . و ذل العرب لذلك فدخلوا في الدين أفواجا . و ختم هذه الآية بالمغفرة و الرحمة [ على -[3] ] ما هو الأنسب لسياق التوبة بذلك على أنه ما عدل إلى ختم الأولى[4] بـ"عليم حكيم" إلا لما قررته من جعل

١٠ أم في " ام حسبتم " معادلة للهمزة - و الله أعلم .

و لما تقدم[5] في[6] الأوامر و النواهي و بيان الحكم[5] المرغبة و المرهبة ما لم يبق لمن عنده أدنى تمسك بالدين شيئا من الالتفات إلى المفسدين ، بين أن الغلة في مدافعتهم[7] و شديد مقاطعتهم أنهم نجس و أن[8] المواضع التي ظهرت فيها أنوار[9] عظمته و جلاله و أشرقت عليها شموس نبوته

١٥ و رسالته ، و لمعت[10] فيها بروق[11] كبره و جالت صوارم نهية و أمره - مواضع القدس و مواطن الأنس ، من دنا إليها من غير أهلها احترق

---

(١) من ظ ، و في الأصل : اين (٢) في ظ : فاجابوهم (٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ١٥ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : من (٧) من ظ ، و في الأصل : موافقتهم (٨) في ظ : انه (٩) من ظ ، و في الأصل : انواع (١٠) في ظ : لمحت (١١) في ظ : بوار .

نارها، و بهرت بصره أشعة أنوارها، فقال مستخلصا مما تقدم و مستنتجا: ﴿ يأيها الذين أمنوآ ﴾ أى أقروا بألسنتهم بالإيمان و هم ممن[1] يستقبح الكذب ﴿ انما المشركون[2] ﴾ أى العريقون فى الشرك بدليل استمرارهم عليه.

و لما كانوا متصفين به، و كانوا لا يغتسلون - و [ لا - [3] ] يغسلون ثيابهم من النجاسة، بولغ فى وصفهم بها بأن جعلوا عينها فقال: ٥ ﴿ نجس ﴾ أى و أنتم تدعون أنكم أبعد الناس عن النجس حسا و معنى، فيجب أن يقذروا و أن يبعدوا و يحذروا كما يفعل بالشيء النجس لما اشتملوا عليه من خلال الشر و اتصفوا به من خصال السوء، و أما أبدانهم فاتفق الفقهاء على طهارتها لأن النبى صلى الله عليه و سلم شرب من أوانيهم و لم ينه عن مؤاكلتهم و لا أمر بالغسل [منها - [1] ] و لو كانت نجسة ١٠ ما طهرها الإسلام. و لما تسبب عن ذلك إبعادهم، قال: ﴿ فلا يقربوا ﴾ أى المشركون، و هذا نهى للسلمين عن تمكينهم من ذلك، عبر عنه بنهيهم مبالغة فيه ﴿ المسجد الحرام ﴾ أى الذى أخرجوكم منه و أنتم أطهر الناس، و استغرق الزمان فأسقط الجار و نبههم على حسن الزمان و[4] اتساع الخير فيه بالتعبير بالعام فقال: ﴿ بعد عامهم ﴾ و حقق الأمر ١٥ و أزال اللبس بقوله: ﴿ هذا ج ﴾ و هو آخر سنة تسع سنة الوفود مرجعه صلى الله عليه و سلم من غزوة تبوك، فعبر بقربانه لا باتيانه بعد التقدم إليهم بأن لا يقبل من مشرك إلا الإسلام أو القتل إشارة إلى إخراج المشركين من جزيرة العرب و أنها لا يجتمع بها دينان لأنها كلها محل النبوة العربية

(١) فى ظ: من (٢) فى ظ: المشركين (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: او.

و موطن الأسرار الإلهية ، فمن كان فيها - و لو فى أقصاها - فقد قارب جميع ما فيها ، و تكون حينئذ بالنسبة إلى الحرم كأفنية الدور و رحاب المساجد ؛ و فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم أرسل[1] أبا بكر رضى الله عنه أميرا عـلى الحج بعد رجوعه من تبوك
٥ ثم أردفه بعلى رضى الله عنه فأمره أن يؤذن ببراءة ، قال أبو هريرة : فأذن معنا علىّ يوم النحر فى[2] أهل منى ببراءة و أن لا يحج بعد العام مشرك و لا يطوف / بالبيت عريان[3] . و هذه سنة قديمة فقد أمر الله تعالى /٤٨٥ بنى إسرائيل فى غير موضع من التوراة بأن لا يبقوا[4] فى جميع بلاد بيت المقدس أحدا من المشركين بخلاف غيرها من البلاد التى يفتحها الله عليهم ، منها
١٠ ما قال المترجم فى أواخر[5] السفر الخامس[6] : و إذا تقدمتم إلى قرية أو مدينة لتقاتلوا أهلها ادعوهم إلى الصلح ، فان قبلوه و فتحوا لكم من كان فيها من الرجال يكونوا عبيدا لكم يؤدوا إليكم الخراج ، و إن لم يقبلوا الصلح و حاربوكم فحاربوهم و ضيقوا عليهم فان الله ربكم يدفعها إليكم و تظفرون بمن فيها ، فاذا ظفرتم بمن فيها فاقتلوا الذكور كلهم بالسيف ، كذلك
١٥ اصنعوا بجميع القرى البعيدة النائية التى ليست من قرى هذه الشعوب فأما قرى هذه الشعوب التى يعطيكم الله ميراثا فلا تبقوا[7] من أهلها أحدا و لكن اقتلوهم قتلا كالذى أمركم الله ربكم لئلا يعلموكم النجاسة

(١) فى ظ : امر (٢) فى ظ : على (٣) راجع كتاب التفسير من الصحيح (٤) من ظ ، و فى الأصل : تبعوا (٥) فى ظ : آخر (٦) راجع الأصحاح العشرين منه .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : فلا بعوا - كذا .



التى

التي يعملونها[1] لآلهتهم ، و مثل ذلك كثير فيها ، و قد مضى بعده فيما ذكرته عن التوراة - و الله الموفق . و جملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام : أحدها الحرم ، فلا يجوز للكافر[2] أن يدخله بحال لظاهر هذه الآية ، الثاني الحجاز و ما في حكمه و هو جزيرة العرب ، فيدخله الكافر بالإذن و لا يقيم أكثر من مقام السفر ثلاثة أيام لأن النبي صلى الله ٥ عليه و سلم قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، و هي من أقصى عدن أبين[3] ، و هي في الجنوب إلى أطراف الشام و هي في الشمال طولا ، و من جدة و هي أقصى الجزيرة غربا على شاطئ بحر الهند إلى ريف العراق و هو في المشرق عرضا[4] ، و الثالث سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر الإقامة فيها بذمة و أمان ما شاء ، و لكن لا يدخل المساجد إلا بإذن مسلم - ١٠ ذكر ذلك البغوي[5] ، قال ابن الفرات في تاريخه عند غزو بخت نصر لبني إسرائيل و لأرض العرب : إنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة البحار و الأنهار[6] بها ، فصارت مثل الجزيرة من جزائر البحر ، و ذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم و ظهر من ناحية قنسرين ثم انحط على الجزيرة و سواد العراق حتى وقع في البحر من ناحية البصرة و الأبلة[7] و امتد البحر ١٥ من ذلك الموضع مطيفا ببلاد العرب ، فأتى منه عنق على كاظمة و تعدى

(١) من نص التوراة ، و في الأصل : يعلمونها (٢) في ظ : لكافر (٣) هو خلاف باليمن (٤) سقط من ظ (٥) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٣/٦٣ (٦) في ظ : الأشجار ، و راجع أيضا معجم البلدان - جزيرة العرب . (٧) من المعجم ، و في الأصل و ظ : الايلة .

إلى القطيف و هجر و عمان و الشجر[1] . و مال منه [ عنق - [2] ] إلى حضرموت و ناحية أبهر[3] و عدن . و استطال ذلك العنق فطعن فى تهامة[4] اليمن و مضى إلى ساحل جدة ، و أقبل النيل فى غربى هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر معه حتى وقع فى بحر مصر
٥ [5] و الشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر[5] حتى بلغ بلاد فلسطين [ فمر - [6] ] بعسقلان و سواحلها . و أتى على بيروت و نفذ إلى سواحل حمص و قنسرين حتى خالط الناحية التى أقبل منها الفرات منحطا على أطراف قنسرين و الجزيرة إلى سواد العراق ، و أقبل جبل[7] السراة من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف الشام فسمته العرب حجازا لأنه حجز بين الغور و نجد
١٠ فصار ما خلف ذلك الجبل فى غربيه الغور و هو تهامة ، و ما دونه فى شرقيه نجدا[8] - انتهى .

و لما كان ما والاها من أرض الشام و نحوها كله أنهار أو جداول[9] ، جعل كأنه بحر لأنه فى حكم شاطئه[10] ، و لما كان قوامهم بالمتاجر ، و كان قوام المتاجر باجتماعهم فى أسواقهم ، و كان نفيهم من تلك
١٥ الأراضى مظنة لخوف انقطاع المتاجر و انعدام الأرباح المفضى إلى الحاجة و كان قد أمر بنفيهم رعاية لأمر الدين ، و كان سبحانه عالما بأن

(١) فى ظ : شجر (٢) زيد من المعجم (٣) فى المعجم : ابين (٤) من ظ ، و فى الأصل : نهاية ، و فى المعجم : تهايم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و المعجم (٧) من ظ و المعجم ، و فى الأصل : جعل (٨) فى ظ : نجد . (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : شرطيه .

[ ذلك يشق على النفوس لما ذكر من العلة ولاسيما و قد قال بعضهم لما قرأ على رضى الله عنه آيات البراءة على أهل الموسم : يا أهل مكة ! ستعلمون ما تلقونه من الشدة بانقطاع السبيل و بُعد الحمولات - [1] ] ، وعد سبحانه - و هو الواسع العليم - بما يغنى عن ذلك ، لأن / من ترك الدنيا لأجل الدين أوصله سبحانه إلى مطلوبه من الدنيا مع ما [2] سعد به من أمر الدين [2] ٥ « من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه » فقال : ﴿ و ان خفتم ﴾ أى بسبب منعهم من قربان المواطن الإلهية ﴿ عيلة ﴾ أى فقرا و حاجة ﴿ فسوف يغنيكم الله ﴾ أى و هو ذو الجلال و الإكرام ﴿ من فضله ﴾ و هو ذو الفضل و الطول و القوة و الحول .

/ ٤٨٦

و لما كان سبحانه الملك الغنى القادر القوى الذى لا يجب لأحد ١٠ عليه شيء و تجب طاعته على كل شيء ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ ان شآء ﴾ [ و لما كان ذلك عندهم مستبعدا ، علل تقريبا له بقوله - [1] ] : ﴿ ان الله ﴾ [3] أى الذى له الإحاطة الكاملة [3] ﴿ عليم ﴾ [ أى - [1] ] بوجوه المصالح ﴿ حكيم ﴾ أى فى تدبير استجلابها و تقدير إدرارها و لقد صدق سبحانه و من أصدق منه قيلا فانه أغناهم - بالمغانم التى انثالها بأيديهم ١٥ بعد نحو [4] ثلاث سنين من إزالها من كنوز كسرى و قيصر - غنى لم يطرق أوهامهم قط ، ثم جعل ذلك سببا لاختلاط بعض الطوائف من جميع الناس ببعض لصيرورتهم إخوانا فى الدين الذى كان سببا لأن يجتمع

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : تقدهمه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ .

فى سوق منى و غيره فى أيام الحج كل عام من المتاجر مع الغرب و العجم[١]
ما لا يكون مثله فى بقعة من الأرض ، و العيلة : الفاقة و الافتقار ، و مادتها
بهذا الترتيب تدور على الحاجة و انسداد وجوه الحيلة و قد تقدم أول
النساء أنها - لا بقيد ترتيب - تدور تقاليبها الثمانية على الارتفاع و يلزمه
٥ الزيادة و الميل ، و منه تأتى الحاجة . و برهن على ذلك فى جميع الجزئيات .

و لما كان ذلك موضع تعجب يكون سببا لأن يقال : من أين
يكون ذلك الغنى؟ أجاب بقوله : ﴿ قاتلوا ﴾ أى أهل الأموال و الغنى
﴿ الذين لا يؤمنون بالله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال إيمانا هو على
ما[٢] أخبرت[٣] به عنه رسله ، و لو آمنوا هذا الإيمان ما كذبوا رسولا من
١٠ الرسل ، و أيضا فالنصارى مثلثة و بعض اليهود مثنية[٤] ﴿ و لا باليوم الأخر ﴾
أى كذلك ، و أقل ذلك أنهم لا يقولون[٥] بحشر الأجساد[٦] ﴿ و لا يحرمون
ما حرم الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله ﴿ و رسوله ﴾ أى
من الشرك و أكل الأموال بالباطل و غير ذلك و تبديل التوراة و الإنجيل
﴿ و لا يدينون ﴾ أى يفعلون و يقيمون ، اشتق من الدين فعلا ثم أضافه[٧]
١٥ إلى صفته إغراقا فى اتخاذه[٨] بذلك الوصف فقال : ﴿ دين الحق ﴾ أى
الذى أخذت عليهم رسلهم[٩] العهود و المواثيق باتباعه ، ثم بين الموصول
مع صلته فقال : ﴿ من الذين ﴾ و دل على استهانته سبحانه بهم و براءته

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اخبر (٤) من ظ ، و فى الأصل : متيه - كذا (٥) فى ظ : لا يقولوا (٦) فى ظ : الأجسام (٧) فى ظ : اضافته (٨) من ظ ، و فى الأصل : اتخاذه (٩) فى ظ : رسله .

منهم بأن بنى للمفعول قوله : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى و من ألحق بهم ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ أى و هى ما قرر عليهم فى نظر سكناهم فى بلاد الإسلام آمنين ، فعله من جزى يجزى - إذا قضى ما عليه ﴿ عن يد ﴾ أى قاهرة إن كانت يد الآخذ أو مقهورة إن كانت يد المعطى ، من قولهم : فلان أعطى بيده ﴿ و هم صغرون ﴾ ففى ذلك غنى لا يشبه ٥ ما كنتم فيه من قتال بعضكم[1] لبعض لتغنم ما فى يده من ذلك المال الحقير و لا ما كنتم تعدونه غنى من المتاجر التى لا يبلغ أكبرها و[2] أصغرها ما أرشدناكم إليه مع ما فى ذلك من العز الممكن من الإصلاح و الطاعة و سترون ، و عبر باليد عن السطوة التى ينشأ عنها الذل و القهر لأنها الآلة الباطشة ، فالمعنى عن يد قاهرة لهم،[2] أى عن قهر منكم لهم و سطوة بأفعالكم ١٠ التى أصغرتهم[3] عظمتها و أذلتهم شدتها ، قال أبو عبيدة : يقال لكل من أعطى شيئا كرها عن غير طيب نفس : أعطاه عن يد - انتهى . و عبر بـ " عن " التى هى للمجاوزة لأن الإعطاء لا يكون إلا بعد البطش المذل ، هذا إذا أريد باليد [ يد -[4] ] الآخذ ، و يمكن أن يراد / بها يد المعطى ، / ٤٨٧ و تكون كناية عن النفس لأن مقصود الجزية المال ، و اليد أعظم أسبابه ، ١٥ فالمعنى حتى يعطى كل واحد منهم الجزية عن نفسه .

و لما كان المراد التعميم أتى بها نكرة لتفيد ذلك ، و يؤيد هذا ما نقل العلماء عن الرواة لفتوح البلاد منهم الحافظ أبو الربيع ابن سالم الكلاعى ، قال فى كتابه الاكتفاء فى وقعة جلولاء من بلاد فارس :

---

(١) فى ظ : بعضهم (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٤) زيد من ظ .

قالوا : قال بعضهم : فكان الفلاحون للطرق و الجسور و الأسواق و الحرث و الدلالة مع الجزى عن أيديهم على قدر طاقتهم ، و كانت الدهاقين للجزية عن أيديهم و العمارة ، و إنما أخذوا الجزية من المجوس لأن النبي صلى الله عليه و سلم أخذها من مجوس هجر و أخذها منهم لأنهم ٥ أهل كتاب فى الأصل ، قال الشافعى فى باب المجمل و المفسر من كتاب اختلاف الحديث : و المجوس أهل كتاب غير التوراة و الإنجيل و قد نسوا كتابهم و بدلوه ، فأذن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أخذ الجزية منهم ؛ أخبرنا سفيان عن أبى سعد سعيد بن مرزبان عن نصر بن عاصم قال : قال فروة بن نوفل الأشجعى : علام تؤخذ[1] الجزية من المجوس ١٠ و ليسوا بأهل كتاب ؟ فقام إليه المستورد فأخذ بلبيه[2] فقال : يا عدو الله ! تطعن على أبى بكر و على عمر و على أمير المؤمنين - يعنى عليا - و قد أخذوا منهم الجزية ، فذهب به إلى القصر فخرج على رضى الله عنه عليهما[3] فقال : البدا ! البدا ! فجلسا فى ظل القصر فقال على : أنا أعلم الناس بالمجوس ، كان لهم علم يعلمونه و كتاب يدرسونه ، و إن ملكهم سكر ١٥ فوقع على ابنته أو أخته فاطلع عليه بعض أهل[4] مملكته ، فلما صحا جاؤا يقيمون عليه الحد فامتنع عليهم فدعا أهل مملكته فقال : تعلمون دينا

(١) فى الأصل : يؤخذ ، و التصحيح من ظ و سنن البيهقى - باب المجوس أهل كتاب من كتاب الجزية ، و ساق هذا الحديث هناك بتمامه عن نفس الطريق الذى هنا . و ساق بعضه فى مجمع الزوائد ٦ / ١٢ (٢) من السنن ، و فى الأصل : بلبيه ، و فى ظ : بتلبيبه (٣) فى ظ : عليها (٤) سقط من ظ .

خيرا من دين آدم و قد كان آدم ينكح بنيه من بناته ، فأنا على دين آدم ، فبايعوه و قاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم فأصبحوا و قد أسرى[1] على كتابهم فرفع من بين أظهرهم و ذهب العلم الذى فى صدورهم ، و هم أهل كتاب[2] و قد أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر و عمر رضى الله عنهما منهم الجزية . و لما أمر بقتالهم [3] و وصفهم بما هو السبب ٥ الباعث على ذلك ، عطف عليه بعض أقوالهم المبيحة لقتالهم[3] الموجبة لنكالهم فقال : ﴿ و قالت ﴾ أى قاتلوا أهل الكتاب لأنهم كفروا بما وصفناهم به و قالت ﴿ اليهود ﴾ منهم كذبا و بهتانا ﴿ عزير ﴾ [ تنوين عاصم و الكسائى له موضح لكونه مبتدأ ، و الباقون منعوه نظرا إلى عجمته مع العلمية و ليس فيه تصغير ، و الخبر فى القراءة قولهم -[4] ] : ١٠ ﴿ ابن الله ﴾ أى الذى له العلو المطلق فليس كمثله شىء ، و عزير هذا هو المسمى عندهم فى سفر الأنبياء[5] ملاخيا ، و يسمى ايضا العازر و هو الأصل و العزير تعريبه ، و أما الذى جمع لهم هذه التوراة التى بين أيديهم فقال السموأل بن يحيي المغربى الذى كان يهوديا فأسلم : إنه شخص آخر اسمه عزرا ، و إنه ليس بنبى - ذكر ذلك فى ١٥ كتابه غاية المقصود فى الرد على النصارى و اليهود ، و هو كتاب حسن جدا ، و كان السموأل هذا مع تمكنه من المعرفة بشريعة اليهود و أخبارهم متمكنا من علوم الهندسة و غيرها ، و كان فصيحا بليغا

(١) فى ظ : رفع (٢) من ظ والسنن ، وفى الأصل : الكتاب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) وهو آخر الأسفار القديمة .

و كان حسن[1] الإسلام يضرب المثل بعقله ، و رأيت اليهود فى غاية
النكاية منه ، وأرانى بعضهم رسالة إليه لبعض أحبارهم يسفه فيها رأيه فى
إسلامه و يشبه عليه بأشياء خطابية و شعرية ، فأجابه بجواب بديع افتتحه بقوله
تعالى : " سيقول السفهاء من الناس ما ولّٰهم عن قبلتهم التى كانوا عليها[2] "
٥ ثم رد كلامه أحسن رد ثم قال[3] له ما حاصله : دع عنك مثل هذه
الخرافات ، و أجب عن الأمور التى ألزمتكم بها فى كتاب غاية المقصود ،
فما أحار[4] جوابا ، ثم القائل لهذا القول منهم روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما أنهم أربعة ، و قيل : قائله واحد و أسند إلى الكل كما
يقال : فلان يركب الخيول و قد لا يكون له إلا فرس واحد[5] ، و هو كقوله
١٠ تعالى " الذين قال لهم الناس[6] " - الآية ، و قيل : كان فاشيا فيهم / فلما ٤٨٨ /
عابهم[7] الله به تركوه و هم الآن ينكرونه ، و الله تعالى أصدق حديثا
﴿و قالت النصرىٰ﴾ أى منهم إفكا و عدوانا ﴿المسيح﴾ [ و أخبروا عنه
بقولهم - [8] ] : ﴿ابن الله ؕ﴾ [ أى - [8] ] مع[9] أن له الغنى المطلق و الكمال
الأعظم ، و المسيح هذا[10] هو ابن مريم بنت عمران ؛ ثم استأنف قوله
١٥ مترجما قولى[11] فريقيهم : ﴿ذلك﴾ أى القول البعيد من العقول المكذب
للنقول ﴿قولهم بافواههم ج﴾ أى حقيقة لم يحتشموا[12] من قوله مع

---

(١) فى ظ : احسن (٢) سورة ٢ آية ١٤٢ (٣) فى ظ : قاله (٤) فى ظ : اجاد .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : واحده (٦) سورة ٣ آية ١٧٣ (٧) فى ظ : اعابهم .
(٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن
فى ظ فحذفناها (١١) فى ظ : قول (١٢) من ظ ، و فى الأصل : لم يحتموا .

سخافته

سخافته، و هو مع ذلك قول لا تجاوز[1] حقيقته الأفواه إلى العقول لأنه لا يتصوره عاقل ، بل هو قول مهمل كأصوات الحيوانات العجم لا يتحقق له معنى؛ قال : و معناه الحال أن قائله لا عقل له، ليس له معنى وراء ذلك ، و لبعده عن أن يكون مقصودا لعاقل عبر فيه بالأفواه التى هى أبعد من الألسنة[2] إلى القلوب . ٥

و لما كان كأنه قيل : فما لهم إذا كان هذا حالهم[3] قالوه ؟ قال ما حاصله: إنهم قوم مطبوعون على التشبه بمن يفعل المفاسد كما أنهم[4] تشبهوا بعبدة الأوثان ، فعبدوها غير مرة و الأنبياء بين أظهرهم يدعونهم إلى الله وكتابهم ينادى بمثل ذلك و ينذرهم أشد الإنذار ﴿ يضاهؤن ﴾ أى حال كونهم يشابهون بقولهم هذا ﴿ قول الذين كفروا ﴾ أى بمثله ١٠ و هم العرب حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، كما أنهم لما رأوا الذين يعكفون على أصنام لهم قالوا : "يموسى اجعل لنا الٰها كما لهم ءالهة" .

و لما كان لا يمتنع أن يكون الذين شابهوهم إنما كانوا بعدهم أو فى زمانهم من قبل أن يبين فساد قولهم ، نفى ذلك بقوله مشيرا بحرف الجر إلى أن كفرهم لم يستغرق زمن القبل : ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل أن ١٥ يحدث منهم هذا القول ، و هذا دليل على أن العرب غيروا دين إسماعيل عليه السلام ، اجترأوا[5] على مثل هذا القول قبل إيقاع بخت نصر باليهود

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يجاوز (٢) فى ظ : السن (٣) من ظ ، و فى الأصل : حاله (٤) من ظ ، و فى الأصل : انتم (٥) فى ظ : اختروا .

أو فى حدوده، و ليس ذلك ببعيد مع طول الزمان و إغواء الشيطان،
فقد كان بين[1] زمان إبراهيم و عزير عليهما السلام نحو ألف و خمسمائة
سنة - هذا على ما ذكره بعض علماء أهل الكتاب عن كتبهم و أيده
ما ذكره المسعودى من مروج الذهب فى تاريخ ملوك بابل من نمرود
٥ إلى بخت نصر : و ذكر بعض المؤرخين أن بين الزمنين زيادة على ألفى
سنة على أنهم قد نقلوا ما هو صريح فى كفر العرب فى ذلك الزمان
فرووا عن هشام ابن الكلبى أنه قال[2] : كان بدء نزول العرب إلى أرض العراق
أن الله عز و جل أوحى إلى برخيا من ولد يهودا أن ائت بخت نصر
فمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق[3] لبيوتهم و يطأ بلادهم
١٠ بالجنود فيقتل مقاتلتهم و يسبى ذراريهم و يستبيح أموالهم و أعلمه
بكفرهم بى و[4] اتخاذهم الآلهة[4] دونى و تكذيبهم أنبيائى و رسلى، و عن
غير ابن الكلبى أنه نظم ما بين أبلة و الإيلة خيلا و رجالا ثم دخلوا
على العرب فاستعرضوا كل ذى روح قدروا عليه[2]، و أوصى الله
برخيا و إرميا بمعد بن عدنان الذى من ولده محمد المختوم به النبوة،
١٥ و كان ذكر مشابهتهم لأهل الشرك تحقيرا لشأنهم تجرئة على الإقدام
عليهم إذ[5] جعلهم مشابهين لمن دربوا قتالهم و ضربوا[6] عليهم فأذلوهم
بعد أن كانوا فى عزة لا يخشون زوالها، وعزائم شديدة لا يخافون

(١) من ظ، و فى الأصل : قبل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اغلاف (٤-٤) من ظ، و فى الأصل : ايجادهم الالهية (٥) من ظ، و فى الأصل : او (٦) من ظ، و فى الأصل : ضروا .

انحلالها ، كل ذلك بطاعة الله في قتالهم و طلب[1] مرضاته بنزالهم لأنه عليهم ، و من كان عليه لم يفلح[2] ، و إلى مثل ذلك إشارة بقوله في حق هؤلاء : ﴿ قٰتلهم الله ﴾ أي أهلكهم الملك الأعظم ، لأن[3] من قاتله لم ينج منه ، و قيل : لعنهم ؛ روى عن ابن عباس قال : و كل شيء في القرآن مثله فهو لعن ﴿ انى يؤفكون ﴾ أي كيف و من أين يصرفون ٥ عن الحق مع قيام الأدلة القاطعة عليه ، ثم زادهم جرأة عليهم بالإشارة إلى ضعف مستندهم[4] حيث كان مخلوقا مثلهم بقوله : ﴿ اتخذوا ﴾ أي كافوا / أنفسهم العدول عن الله القادر على كل شيء و أخذوا ﴿ احبارهم ﴾ ٤٨٩ /
أي من علماء اليهود ، و الحبر في الأصل العالم من أيّ طائفة كان ﴿ و رهبانهم ﴾ [ أي - [5] ] من زهاد النصارى ، و الراهب في الأصل ١٠ من تمكنت الرهبة في قلبه فظهرت آثارها على وجهه و لباسه ، فاختص في العرف بعلماء النصارى أصحاب الصوامع ﴿ اربابا ﴾ أي آلهة لكونهم يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا و تحليل ما حللوا[6] ، و أشار إلى سفول أمرهم بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أي الحائز لجميع صفات الجلال ، فكانوا يعولون عليهم و يسندون أمرهم إليهم حتى أن كانوا ١٥ ليتبعونهم [7]في الحلال و الحرام[7] ﴿ و المسيح ﴾ أي المبارك الذي هو أهل لأن يمسح بدهن القدس و أن يمسح غيره ﴿ ابن مريم ج ﴾ أي

---

(١) في ظ : صلت (٢) من ظ ، و في الأصل : لا يفلح (٣) في ظ : لا (٤) في ظ : مسندهم (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : احلوا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

اتخذوه كذلك لكونهم جعلوه ابنا فأهلوه[1] للعبادة بذلك[2] مع كونه ابن امرأة، فهو لا يصلح للالهية بوجه لمشاركته للآدميين فى الحمل و الولادة[3] و التربية و الأكل و الشرب و غير ذلك من أحوال البشر الموجبة للحاجة المنافية للالهية، و مع تصريحه لهم بأنه[4] عبد الله و رسوله، فتطابق العقل ٥ و النقل على أنه ليس باله.

و لما قبح عليهم ما اختاروه لأنفسهم، قبحه عليهم من جهة مخالفته لأمره تعالى فقال: ﴿ و مآ ﴾ أى فعلوا ذلك و الحال أنهم ما ﴿ امروآ ﴾ أى من كل من له الأمر من أدلة العقل و النقل ﴿ الا ليعبدّوا ﴾ أى ليطيعوا على وجه التعبد ﴿ الٰها واحدا ج ﴾ أى لا يقبل القسمة بوجه ١٠ لا بالذات و لا بالمماثلة، و ذلك معنى وصفه بأنه ﴿ لآ الٰه الا هو ط ﴾ أى لايصلح[5] أن يكون معه إله آخر، فلما تعين ذلك فى الله و كانت[6] رتبته زائدة البعد عما أشركوا به، نزهه بقوله: ﴿ سبحٰنه ﴾ أى بعدت رتبته و علت ﴿ عما يشركون ۝ ﴾ فى كونه معبودا أو مشرعا؛ ذكر أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستى القاضى فى تفسيره و غيره عن عدى بن حاتم ١٥ رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى عنقى صليب من ذهب فقال: اقطعه، فقطعته ثم أتيته وهو يقرأ سورة براءة "اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله و المسيح ابن مريم و ما امروا الاليعبدوا الٰها واحدا لا الٰه الاهو سبحانه عما يشركون" قلت: يا رسول الله!

---

(١) فى ظ: فاهللوه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الولاية (٤) فى ظ: بان.
(٥) فى ظ: لا يصح (٦) فى ظ: كان.

إنا لم نكن نعبدهم ! قال : أجل ، أليس كانوا يحلون لكم ما حرم الله فتستحلونه و يحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه ؟ قلت : بلى ، قال : تلك عبادتهم[1] .

و لما وهى سبحانه أمرهم من جهة استنادهم[2] ، زاده توهية من جهة مرادهم بالإعلام بأنهم بقتالهم لأهل الطاعة [ إنما - [3]] يقاتلون الله ٥ و أنه لا ينفذ غرضهم بل [ يريد غير ما - [3]] يريدون ، و من المقرر أنه لا يكون إلا ما يريد ، فقال مستأنفا أو معللا لما مضى من أقوالهم و أفعالهم : ﴿ يريدون ان يطفئوا ﴾ أى بما مضى ذكره من أحوالهم ﴿ نور الله ﴾ أى دين الملك الأعلى الذى له الإحاطة العظمى ، و شرعه الذى شرعه لعباده على ألسنة الأنبياء و الرسل ، كل ذلك ليتمكنوا من العمل ١٠ بالأغراض و الأهوية ، فان اتباع الرسل حاسم للشهوات ، وهم أبعد الناس عن ذلك .

و لما حقر شأنهم ، هدمه بالكلية بقوله : ﴿ بافواههم ﴾ أى بقول خال عن شيء يثبته أو يمضيه و ينفذه ، و فى تسمية دينه نورا و معاندتهم إطفاء بالأفواه تمثيل لحالهم بحال من يريد إطفاء نور الشمس بنفخه ١٥ ﴿ و يابى ﴾ أى و الحال أنه يفعل فعل الآبي و هو أنه لا يرضى ﴿ الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة و العز و نفوذ الكلمة ﴿ الآان يتم نوره ﴾ أى لا يقتصر على مجرد إشراقه ، بل وعد - و قوله الحق - بأنه لا بد من إكماله

(١) و قد أورده الطبرى فى جامعه حول تفسير هذه الآية (٢) فى ظ : اسنادهم.
(٣) زيد من ظ .

و إطفائه لكل ما عداه و إحراقه . و لما فى "يأبى" من معنى الجحد دخل عليه الاستثناء ، أى إنه يأبى كل حالة إلا حالة إتمامه نوره على التجدد و الاستمرار ﴿ و لو كره الكٰفرون ﴾ أى العريقون[1] فى الكفر فكيف بغيرهم .

٥ و لما أخبر أنه معل لقوله و مكمل ، و مبطل لقولهم[2] و مسفل ، علل ذلك بما حاصله أنه شأن الملوك . و هو أنهم إذا برز لهم أمر شيء[3] لم يرضوا أن يرده أحد فان ذلك روح الملك الذى لا يجازى الطاعن فيه / إلا بالهلاك[4] فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذىٓ ارسل رسوله ﴾ أى محمدا صلى الله عليه و سلم ﴿ بالهدى ﴾ أى البيان الشافى[5] بالمعجزات القولية ١٠ و الفعلية ﴿ و دين الحق ﴾ أى الكامل فى بيانه و ثباته كمالا ظاهرا لكل[6] عاقل ؛ ثم زادهم جرأة على العدو بقوله معللا لإرساله : ﴿ ليظهره ﴾ أى الرسول صلى الله عليه و سلم [و الدين - أدام الله ظهوره -[7]] ﴿ على الدين كله ﴾ [8]و ساق ذلك كله مساق الجواب لمن كأنه قال : كيف نقاتلهم و هم فى الكثرة و القوه على ما لا يخفى ؟ فقال : لم لا تقاتلونهم[9] ١٥ و أنتم لا تعتمدون على أحد غير من كل شيء تحت[10] قهره ، و هم إنما يعتمدون على مخاليق مثلكم ، كيف لا تجسرون عليهم و هم فى قتالكم[11] إنما يقاتلون

/ ٤٩٠

(١) فى ظ : العريقين (٢) من ظ ، و فى الأصل : لقوله (٣) فى ظ : بشيء (٤) فى ظ : بالهلاك (٥) فى ظ : الشافعى (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) زيد قبله « اى » و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا تقاتلوهم. (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تجب (١١) فى ظ : قتالهم .

ربهم الذى أنتم فى طاعته ؟ أم كيف لا تصادمونهم و هو الذى أمركم بقتالهم لينصركم و يظهر آياته ؟ و لعل الختم بقوله : ﴿ و لو كره المشركون ه ﴾ أبلغ لأن الكفر قد لا يكون فيه عناد ، و الشرك مبناه على العناد باتخاذ الأنداد ، أى لابد من نصركم خالف من خالف بمجرد مخالفة أو ضم [ إلى - [1] ] ذلك العناد بالاستعانة بمن[2] أراد . ٥

و لما حقر أمرهم بتقسيم اعتمادهم على رؤسائهم ، و حالهم معروف فى أنه لا نفع عندهم و لا ضر ، و أعلى أمر أهل الله باجتماعهم عليه و هو القادر على كل شيء ، وكان الإقبال على الدنيا أعظم أمارة على الخذلان و لو أنه بحق فكيف إذا[3] كان بالباطل ! أقبل سبحانه و عز شأنه على أهل وده مستعطفا متلطفا مناديا باسم الإيمان الذى بنى أمره فى أول هذا ١٠ الكتاب على الإنفاق لا على التحصيل و لو كان بحق . فكيف إذا[4] كان بباطل ، و يؤتون الزكاة و مما رزقناهم ينفقون ، منبها على سفه من ترك من لا يسأله على بذل الهدى و الدعوة إلى دين الحق أجرا و هو سفير محض لا ينطق عن الهوى ، و لم يعتقده رسولا و اتخذ مربوبا مثله و هو يأخذ ماله بالباطل ربوا ، و ذلك مقتض لتحقيرهم[5] لا لمطلق ١٥ تعظيمهم فضلا عن الرتبة التى أنزلوهم بها و أهلوهم لها مع الترفع عليهم لقصد أكل أموالهم بالباطل فقال : ﴿ يآايها الذين ءامنوآ ﴾ أى أقروا بإيمان داعيهم من التكذيب و مما يؤل إليه ﴿ ان كثيرا من الاحبار ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : اذ (٤) فى ظ : ان .
(٥) فى ظ : لتحقير .

أى من علماء اليهود ﴿ و الرهبان ﴾ أى من زهاد النصارى ﴿ ليأكلون ﴾
أى يتناولون ، و لكنه عبر به لأنه معظم المراد من المال ، و إشارة إلى
تحقير الأحبار و الرهبان بأنهم يفعلون ما ينافى مقامهم الذى أقاموا أنفسهم فيه
﴿ اموال الناس بالباطل ﴾ أى بأخذها بالرشى و أنواع التصيد [ باظهار - [1] ]
٥ الزهد و المبالغة فى التدين المستجلب لها بالنذور و نحوها فيكنزونها
و لا ينفقونها فى سبيل الله من أتاهم بها بالإقبال بقلوب عباده إليهم .

و لما أخبر عن إقبالهم على [2] الدنيا ، أتبعه الإخبار عن إعراضهم عن
الآخرة فقال : ﴿ و يصدون ﴾ أى يحتالون فى صرف من يأتيهم بتلك
الأموال و غيرهم ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى دين الملك الذى له الأمر [3] كله
١٠ بابعادهم عنه باخفاء الآيات الدالة عليه عنهم خوفا على انقطاع دنياهم
بزوال رئاستهم لو أقبل أولئك على الحق .

و لما كان أكثرهم يكنزون تلك الأموال ، شرع سبحانه يهدد على
مطلق الكنز ، ففهم من [4] باب الأولى الصد الذى هو سبب الجمع الذى
هو سبب الكنز فقال : ﴿ و الذين ﴾ أى يفعلون ذلك و الحال أنهم يعلمون
١٥ أن الذين ﴿ يكنزون ﴾ أى يجمعون تحت الأرض أو فوقها من قولهم
للمجتمع اللحم : مكتنز ﴿ الذهب و الفضة ﴾ أى منهم و من غيرهم من
غير تزكية .

و لما كان من المعلوم أنهما [5] أجل مال الناس ، و كان [6] الكنز دالا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) فى ظ : الاكرام (٤) من
ظ ، و فى الأصل : منه (٥) فى ظ : انها (٦) زيد فى ظ : مال .


على

على المكاثرة فيهما ، أعاد الضمير عليهما [1]بمايدل[1] على الانواع الكثيرة فقال : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ أي ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التي جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو ثنى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب[2] ، وإنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر "من" - وهي مرادة - لمزيد الترغيب في الإنفاق والترهيب من تركه . ويجوز ٥ أن يعود / الضمير إلى الفضة لأن الذم على كنزها ، والحاجة إليها لكثرتها / ٤٩١ أقل ، فالذم على كنز الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها وأعز بخلاف الذم على كنز الذهب ؛ وقال الحرالي في آل عمران : فأوقع الإنفاق عليهما[3] ولم يخصه من حيث لم يكن ، ولا[4] ينفقون منهما[5] كما قال في المواشي " خذ من اموالهم " لأن هذين الجوهرين خواتم ينال ١٠ بها أهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة إلا بانفاقها لأنهما صنما هذه الأمة ، فكان كسرهما باذهابهما - انتهى . ﴿ في سبيل الله ﴾ أي الوجه الذي أمر [6]الملك الأعلى[6] بانفاقها فيه ﴿ فبشرهم ﴾ أي تقول فيهم بسبب ذلك تهكما بهم : بشرهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ عوضا عما أرادوا بهما من السرور بانجاح المقاصد . ١٥

ولما كان السياق دالا دلالة واضحة على أن[7] هذا العذاب يحصل لهم ويقع بهم ، فنصب بذلك قوله : ﴿ يوم يحمى ﴾ أي يحصل الإحماء وهو الإيقاد الشديد ﴿ عليها ﴾ أي الأموال التي جمعوها ﴿ في نار جهنم ﴾

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : ليدل (٢) من ظ ، وفي الأصل : الترغيب (٣) في الأصل : عليها (٤) في ظ : لم (٥) في الأصل وظ : منها (٦-٦) في ظ : الله . (٧) سقط من ظ .

أي[1] التي لا يقاربها[2] ناركم، و تلقى داخلها بالتجهم و العبوسة كما كان يلقى بذلك الفقراء و غيرهم من أهل الله لا سيما من منعه ما يجب له من النفقة ﴿ فتكوى بها ﴾ أي بهذه الأموال ﴿ جباههم ﴾ التي هي أشرف أعضائهم لأنها مجمع الوجوه و الرؤس و موضع الجاه الذي بجمع المال لأجله لتعبيسهم[3]
٥ بها في وجوه الفقراء ﴿ و جنوبهم ﴾ التي يحوونه[4] لملئها بالمآكل[5] المشتهاة و المشارب المستلذة و لازورارهم بها عن الفقراء ﴿ و ظهورهم ط ﴾ التي يحوونه[6] لتقويتها و تحميلها بالملابس و تحليتها و لتوليتهم[7] إياها إذا اجتمعوا مع الفقراء في مكان، ثم يقال لهم: ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ و أشار إلى الحامل على الجمع المنافي للعقل[8] بقوله: ﴿ لانفسكم ﴾ أي لتنافسوا به
١٠ و تلتذوا[9] فلم تنفقوه فيما أمر الله ﴿ فذوقوا ما ﴾ أي وبال و عذاب [ما - [10]] ﴿ كنتم تكنزون ﴾ أي تجددون[11] جمعه على سبيل الاستمرار حريصين عليه، و أشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك؛ روى البخاري في التفسير عن زيد بن وهب قال: مررت على أبي ذر رضي الله عنه بالربذة [ قلت: ما أنزلك بهذه الأرض - [12]] قال: كنا
١٥ بالشام فقرأت " و الذين يكنزون الذهب و الفضة " - الآية، قال

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: لا تقاربها (٣) من ظ، و في الأصل: لتعبيتهم، و زيدت الواو قبله في الأصل، و لم تكن في ظ فحذفناها (٤) من ظ، و في الأصل: تجرونه - كذا (٥) في ظ: بالاكل (٦) من ظ، و في الأصل: تحوونه. (٧) من ظ؛ و في الأصل: تسويتهم (٨) من ظ، و في الأصل: للفعل (٩) في ظ: تلذذوا (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ: تجدون (١٢) زيد من الصحيح.

معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا فى أهل الكتاب ! قلت : إنها لفينا و فيهم ؛
و روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ،
فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال ، يعنى فما أعطى صاحبه ما وجب
عليه فيه فليس بكنز .

و لما تقدم كثير مما ينبنى على التاريخ : الحج فى غير موضع ٥
و الأشهر و إتمام [ عهد – [1] ] من له مدة إلى مدته و الزكاة و الجزية ،
و ختم ذلك بالكنز الذى[2] لا يطلق شرعا إلا على ما لم تؤد زكاته ،
و كان مشركو العرب – الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم و التأذين[3] بهذه
الآيات يوم الحج الأكبر فيهم – قد أحدثوا فى الأشهر – بالنسيء الذى
أمروا أن[4] ينادوا فى الحج بإبطاله – ما غير السنين[5] عن موضوعها الذى[6] ١٠
وضعها الله عليه ، فضاهوا به فعل أهل الكتاب بالتدين بتحليل أكابرهم
و تحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك فى البنوة و الأبوة ، قال
تعالى : ﴿ ان عدة الشهور ﴾ أى منتهى عدد شهور السنة ﴿ عند الله ﴾
أى فى حكم و علم الذى خلق الزمان وحده و هو الإله وحده فلا أمر
لأحد معه ﴿ اثنا[7] عشر شهرا ﴾ أى لا زيادة عليها و لا تغيير لها كما تفعلونه ١٥
فى النسيء ﴿ فى كتب الله ﴾ أى كلام الملك المحيط بكل[8] شيء قدرة
و علما ، و حكمه[9] الذى هو مجمع الهدى ، فهو الحقيق بأن يكتب ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التى (٣) زيد فى ظ : فى (٤) فى ظ : بان (٥) من ظ ،
و فى الأصل : السنن (٦) من ظ ، و فى الأصل : التى (٧) فى ظ : اثنى (٨) من
ظ ، و فى الأصل : كل (٩) فى ظ : حكمة.

و ليست الشهور ثلاثة عشر و لا أكثر كما كان يفعل من أمرتكم بالبراءة
منهم كائنين من كانوا فى النسيء ﴿ يوم ﴾ أى كان ذلك و ثبت يوم
﴿خلق[1] السمٰوٰت و الارض﴾ أى اللذين[2] نشأ عنهما الزمان . و المعنى أن
الحكم بذلك كان قبل أن يخلق[3] الزمان ﴿منهآ﴾ أى الشهور ﴿اربعة حرمٌ ط﴾
٥ أى بأعيانها لا بمجرد العدد ﴿ ذلك ﴾ [ أى - [4] ] الأمر العظيم و الحكم
العالى الرتبة / فى الإتقان خاصة ﴿ الدين القيم ۵ لا ﴾ أى الذى لا عوج فيه /٤٩٢
و لا مدخل للعباد ، و إنما هو بتقدير الله تعالى للقمر ؛ روى البخارى عن أبى
بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال - يعنى فى حجة الوداع - :
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله[5] السماوات و الأرض ، السنة
١٠ اثنا[6] عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة و ذو الحجة
و المحرم ، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان. و لما بين الأمر سبب عنه
قوله : ﴿ فلا تظلموا فيهن ﴾ أى الأشهر الحرم ﴿ انفسكم ﴾ أى بسبب
إنساء بعضها و تحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد - لا العين - اللازم عنه
إخلال كل منها بايقاع الظلم فيه و تحريم كل من غيرها ، قال قتادة[7] : العمل
١٥ الصالح و الفاسد فيها أعظم منه فى غيرها و إن كان ذلك فى نفسه عظيما
فان الله تعالى لعظم من أمره ما شاء ؛ و قال أبو حيان[8] ما حاصله : إن
العرب تعيد[9] الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال " منها

(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : يتخلق (٤) زيد من ظ .
(٥) سقط من الصحيح - التفسير (٦) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : اثنى .
(٧) راجع لباب التأويل ٣ / ٧٤ (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ٣٨ و ٣٩ (٩) من ظ ، و فى الأصل : يعيد .

اربعة " أي من الشهور[1]، و على جمع القلة [لما لا يعقل -[2]] بنون جمع المؤنث فلذا قال " فلا تظلموا فيهن " أي في الأربعة .

و لما كان إنساؤهم إنما هو لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال: ﴿و قاتلوا المشركين كآفّة﴾ أي كلكم في ذلك سواء في الائتلاف واجتماع الكلمة ﴿كما يقاتلونكم كآفة ط﴾ أي كلهم في ذلك سواء، و ذلك الحكم ٥ في جميع السنة، لا أنهاكم عن قتالهم في شهر منها، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمي فيها اقتال و لا غيره إن اتقيتم الله، فلا تخافوهم و إن زادت جموعهم و تضاعفت قواهم لأن الله يكون[3] معكم ﴿واعلموآ ان الله﴾ أي الذي له جميع العظمة معكم، هكذا كان الأصل و لكنه أظهر الوصف تعليقا للحكم به و تعميما فقال: ﴿مع المتقين ه﴾ أي جميعهم، و هم الذين ١٠ يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم، لا على النسيء و نحوه[4]، و من كان الله معه نصر لا محالة .

و لما فهم من هذا إبطال النسيء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه، كان كأنه قيل: أ فما في النسيء تقوى فان[5] سببه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال في الشهر الذي حرمه ؟ و ذلك أنهم كانوا ١٥ أصحاب غارات و حروب، و كانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه[6] لا مانع منه لم يعرض له، فكان إذا جاء الشهر الحرام و هم محاربون شق عليهم[3] تركه، و كان يشق عليهم ترك

(١) من ظ، و في الأصل: الشهر (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: غيره (٥) في ظ: فانه (٦) في ظ: ابنه، و راجع روح المعاني ٣/٣٠٢ .

ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، فجعلوا النسيء لذلك، فقيل تصريحا[1] بما أفهمه ما مضى : ليس فيه شيء من ذلك : ﴿ انما النسيء ﴾ أى تأخير الشهر [ إلى شهر -[2] ] آخر على أنه مصدر نسأ نسيئا - إذا أخره ، أو هو اسم مفعول ، أى[3] الشهر الذى تؤخر العرب حرمته من الأشهر الحرم عن

٥ وقتها ﴿ زيادة فى الكفر ﴾ أى لأنه على خلاف ما شرعه الله ، و فيه ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه .

و لما بين ما فى النسيء من القباحة[4]، تحرر أنهم وقعوا على ضد مرادهم فانهم كانوا لو قاتلوا فى الشهر الحرام قاتلوا و هم معتقدون الحرمة خائفون عاقبتها فكانوا [ غير -[2] ] خارجين عن دائرة التقوى بالكلية ، فاذا هم بتحليله

١٠ قد صاروا[5] خارجين عن[6] دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عظيمة مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذى اعتقدوه ربا ، فكان يقول : إنى لا أجاب[7] و لا أعاب ، و إنه لا مرد لقضائى ، و إنى حللت[8] المحرم و حرمت صفرا - إلى غير ذلك من الكلام الذى لا يليق إلا بالإله ؛ و ذلك معنى قوله تعالى بيانا لما قبله : ﴿ يضل به ﴾ أى بهذا التأخير الذى هو

١٥ النسيء ﴿ الذين كفروا ﴾ أى يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله -

---

(١) فى ظ : تصر - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٥) زيد بعده فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) زيد بعده فى الأصل : دائرة التقوى بالكلية ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ : لا أحاب ، و فى بعض المراجع : لا أخاب (٨) فى ظ : احللت .

هذا على قراءة الجماعة و المعنى على قراءة حمزة و الكسائى و حفص - بالبناء للفعول : يضلهم مضل من قبل الله ، و على قراءة يعقوب - بالضم : يضلهم الله ؛ ثم بين ضلالهم / بقوله : ﴿ يحلونه ﴾ أى ذلك الشهر ، / ٤٩٣
و عبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة إشارة إلى أنهم يفعلونه و لو لم يضطرهم إلى ذلك جدب سنة و لا عض زمان ، بل بمجرد التشهى ٥
فقال : ﴿ عاما و يحرمونه عاما ﴾ هكذا دائما كلما أرادوا . و ليس المراد أنهم كل سنة يفعلون ذلك من غير [١]إجلال لسنة[١] من السنين ، و هذا الفعل نسخ منهم مع أنهم يجعلون النسخ من معايب الدين ﴿ ليواطئوا ﴾ أى يوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام فى كون الأشهر الحرم أربعة ﴿ فيحلوا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الفعل أن يحلوا ١٠
﴿ ما حرم الله ﴾ أى الملك الأعظم منها كلها ، فلا يدع لهم هذا الفعل شهرا إلا انتهكوا حرمته فأرادوا بذلك عدم انتهاك الحرمة فاذا هم لم يدعوا حرمة إلا انتهكوها ، فما أبعده من ضلال !

و لما انهتكت[٢] بهذا البيان قباحة فعلهم ، كان [ كأنه -[٣] ] قيل : إن هذا لعجب ! ما حملهم على ذلك ؟ فقيل : ﴿ زين ﴾ أى زين مزين ، ١٥
و قرئ شاذا باسناد الفعل إلى الله ﴿ لهم سوٓء اعمالهم ﴾ أى حتى رأوا حسنا[٤] ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا ، فعل الله بهم ذلك لما علم من طبعهم على الكفر فلم يهدهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لا يهدى ﴾ أي يخلق الهداية فى القلوب ﴿ القوم الكٰفرين[٥] ﴾ أى

---

(١ - ١) فى ظ : اخلال السنة (٢) فى الأصل و ظ : انتهكت (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : حسانا (٥) فى ظ : الظالمين .

أى الذين طبعهم على[1] الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه ؛ و النسيء - قال فى القاموس -: الاسم من نسأ الشيء [ بمعنى -[2] ] زجره و ساقه و آخره ، قال : و شهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية فنهى الله عز و جل عنه ؛ و قال ابن الأثير فى النهاية : و النسيء فعول بمعنى مفعول ، و قال
٥ ابن فارس فى المجمل : و النسيء فى كتاب الله التأخير ، و كانوا إذا صدروا عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء ! فيقولون[3] : أنسئنا شهرا ، أى أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر - انتهى ، و مادة نسأ تدور على التغريب[4] ، و سبب فعلهم هذا أنهم كانوا ربما أرادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه ، و يحرمون مكانه شهرا من
١٠ أشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر ؛ قال ابن فارس : و ذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم فى الغارة فيحل لهم الكنانى المحرم - انتهى . و كان النسأة من بنى فقيم من كنانة . و كان أول من فعل ذلك منهم القلمس[5] و هو حذيفة بن عبد بن فقيم ، و آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو ثمامة[6] جنادة بن عوف
١٥ ابن أمية بن قلع[7] بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، نسأ أربعين سنة . كانت

---

(١) فى ظ : عن (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيقول ، و راجع أيضا تاج العروس - مادة نسأ (٤) فى ظ : التغير (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١ / ١٦ ، و فى الأصل : العلمس - كذا (٦) من ظ و السيرة . و فى الأصل : امامة . (٧) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : بلع - كذا .

العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه[1]، فحرم الأشهر الحرم الأربعة، فاذا أرادوا أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه، و حرم مكانه صفرا فحرموه، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم! إنى [ قد -[2] ] أحللت [ لهم -[2] ] أحد الصفرين الصفر الأول، و نسأت الآخر للعام المقبل - ذكر ذلك أهل السير، ٥ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من نسأ عمرو بن لحى.

[ و -[3] ] تحقيق معنى ما كانت العرب تفعله و اختلاف أسماء الشهور به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف[4] أسماء الشهور مسمياتها إلا الحين بعد الحين عسر قل من أتى فيه بما يتضح به قول النبى صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع كما مضى «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله ١٠ السماوات و الأرض» و ها أنا[5] أذكر فيه ما لا يبقى بعده لبس إن شاء الله تعالى، فمعنى قوله: و نسأت الآخر للعام المقبل، أنه إذا أحل المحرم و سماه صفرا ابتدأ السنة بعده بالمحرم ثم صفر إلى آخرها، / فيصير بين /٤٩٤ صفر و ذى الحجة الذى وقع النسيء فيه شهران، و قد كان ينبغى أن يكون بينهما شهر واحد، فاخر هذا الذى ينبغى إلى العام المقبل،[6] فالمعنى: ١٥ و أخرت الصفر الآخر عن محله إلى العام المقبل فاذا جاء العام المقبل[6] انتهى تأخره، و إذا انتهى رجع إلى محله، و يمكن أن يتنزل على هذا قول أبى عبيد

---

(١) من ظ و السيرة، و فى الأصل: عليه (٢) زيد من السيرة (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: فلا تصارف (٥) فى ظ: هنا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

فى غريب الحديث ، قال بعد النصف من الجزء الثالث منه فى شرح الاستدارة : إن بدء ذلك - و الله أعلم - أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم ، فيكرهون أن يستحلوه و يكرهون
٥ تأخير[1] حربهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه و يستحلون المحرم ، و هذا هو النسيء الذى قال الله " انما النسيء " - الآية ، وكان ذلك فى كنانة ، هم الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب ، و النسيء هو التأخير ، فكانوا يمكثون بذلك زمانا يحرمون صفرا و هم يريدون بذاك المحرم و يقولون : هو أحد الصفرين ، و قد تأول بعض الناس قول النبى صلى الله
١٠ عليه و سلم « لا صفر » على هذا ، ثم يحتاجون أيضا إلى تأخير صفر إلى الشهر الذى بعده كحاجتهم[2] إلى تأخير المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع ، ثم يمكثون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون إلى مثله ثم كذلك ، فكذلك يتدافع شهر[3] بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام و قد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله [ به -[4] ] ، و ذلك بعد
١٥ دهر طويل ، فذلك قول النبى صلى الله عليه و سلم « إن الزمان قد استدار كهيئته[5] يوم خلق الله السماوات و الأرض » يقول : رجعت الأشهر الحرم إلى مواضعها و بطل النسيء ، و قد زعم بعض الناس أنهم كانوا

---

(١) من غريب الحديث ٢ / ١٥٨ ، و فى الأصل و ظ :تأخيرهم (٢) من ظ و الغريب ، و فى الأصل : لحاجتهم (٣) من الغريب ، و فى الأصل و ظ : شهرا. (٤) زيد من ظ و الغريب (٥) من ظ و الغريب ، و فى الأصل : لهيئته .

يستحلون المحرم عاما، فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريمه، قال أبو عبيد: الأول أحب إليّ لقول النبي صلى الله عليه و سلم « إن الزمان قد استدار » و ليس فى التفسير الأخير استدارة، و علــى هذا التفسير الذى فسرناه قد يكون قوله " يحلونه عاما و يحرمونه عاما " مصدقا له لأنهم إذا حرموا العام المحرم و فى قابل صفرا ثم احتاجوا بعد ذلك إلى تحليل صفر أيضا ٥ أحلوه و حرموا الذى بعده، فهذا تأويل قوله فى التفسير "يحلونه عاما و يحرمونه عاما " و قال أبو حيان فى النهر ما حاصله: كانت العرب لا عيش لأ كثرها إلا من الغارات، فيشق عليهم توالى الأشهر الحرم، وكان[1] بنو فقيم أهل دين و تمسك بشرع إبراهيم عليه السلام، فانتدب منهم القلمس[2] و هو حذيفة بن عبيد بن فقيم، فنسأ[3] الشهور للعرب، ١٠ ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه أمية ثم خلفه ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف و عليه قام الإسلام، كانوا إذا فرغوا من حجهم جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا: أنسئنا شهرا، فيحل المحرم، ثم يلزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة و يسمون ذلك الصفر المحرم و يسمون ربيعا الأول صفرا و ربيعا الآخر ١٥ ربيعا الأول - و هكذا سائر الشهور، فيسقط على هذا حكم المحرم الذى حلل لهم، و تجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم الذى هو فى الحقيقة صفر؛ و قال البغوى: قال مجاهد: كانوا يحجون فى كل شهر عامين،

(١) فى ظ: كانت (٢) من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٥/٣٧، و فى الأصل: القلمش (٣) من ظ و النهر، و فى الأصل: نسأ.

فحجوا فى ذى الحجة عامين و حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين و كذلك فى الشهور، فوافقت حجة أبى بكر السنة الثانية من ذى القعدة، ثم حج النبى صلى الله عليه و سلم فى العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجه [1]شهر الحج[1] المشروع و هو ذو الحجة؛ و قال / عبد الرزاق[2] فى تفسيره: ٤٩٥ / أخبرنا معمر عن ابن[3] أبى نجيح عن مجاهد فى قوله " انما النسىء زيادة فى الكفر " قال: فرض الله الحج فى ذى الحجة، فكان المشركون يسمون الأشهر: ذو[4] الحجة و المحرم و صفر و ربيع و ربيع و جمادى و جمادى و رجب و شعبان و رمضان و شوال[3] و ذا القعدة و ذا الحجة، ثم يحجون فيه مرة أخرى، ثم يسكتون عن المحرم و لا يذكرونه، فيسمونه - أحسبه قال - المحرم[5] صفر، ثم يسمون رجب بجمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان رمضان، و رمضان شوالا[6]. ثم يسمون ذا القعدة شوالا، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة، [7]ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه، و اسمه عندهم ذو الحجة، ثم عادوا [8]كمثل هذه الصفة[8] فكانوا يحجون عامين فى كل شهر حتى وافق حجة أبى بكر الآخر[9] من العامين فى ذى القعدة، ثم حج النبى صلى الله عليه و سلم حجته التى حج، فوافق

(١-١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٧٤، و فى الأصل: حج الشهر (٢) و حديثه هذا قد ساقه الطبرى بهذا الطريق فى تفسيره حول آية النسىء بيسير من الاختلاف (٣) سقط من ظ (٤) من الطبرى، و فى الأصل: ذا، و فى ظ: ذى (٥) فى تفسير الطبرى: صفر (٦) من الطبرى، و فى الأصل و ظ: شوال. (٧) العبارة من هنا إلى « فوافق ذلك ذا الحجة » ساقطة من ظ (٨-٨) فى تفسير الطبرى: بمثل هذه القصة (٩) من تفسير الطبرى، و فى الأصل و ظ: الآخرة.

ذلك

ذلك ذا الحجة، فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله[1] السماوات و الأرض». و قال ابن إسحاق في السيرة: سألت ابن أبي نجيح عن قول رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا، و إنما كانوا يوافقون[2] ذا الحجة كل اثنتي[3] عشرة سنة مرة. فوفق الله عز و جل ٥ لرسول الله صلى الله عليه و سلم في حجته التي حج ذا الحجة، فحج فيها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض، فقلت لابن أبي نجيح: فكيف بحجة أبي بكر و عتاب بن أسيد؟ فقال: على[1] ما كان الناس يحجون عليه، ثم قال ابن أبي نجيح: كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم ١٠ ثم صفر حتى[4] يبلغوا اثني عشر شهرا - انتهى. و قوله هذا يوهم[1] أن في حج أبي بكر و عتاب رضي الله عنهما اختلالا[5]، و تقدم عن المهدوي و غيره[6] التصريح بأنه كان في ذي القعدة - و فيه نظر، لأن السنة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه نودي فيها بتحريم النسيء و غيره من أمور الجاهلية، فلاشك أنه لم يكن في ذلك العام إنساء، و لما مضى ١٥ من الشهر[7] الذي حج فيه عشرة أشهر، و كان الحادي عشر و هو ذو القعدة سار النبي صلى الله عليه و سلم في أواخره إلى الحج موافيا لهلال

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: يوافقوا (٣) من ظ، و في الأصل: اثني (٤) في ظ: ثم (٥) في ظ: اختلافا (٦) في ظ: غيري (٧) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ فحذفناها.

ذى الحجة ، فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار ، فعلم قطعا أن
استدارته كانت فى حجة أبى بكر ، وكذا فى سنة ثمان وهى السنة التى
حج فيها عتاب بالمسلمين ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه
رضى الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب أهل الجاهلية لا نسأتهم ولا غير
٥ نسأتهم ، لأنه يلزم من القول بأنهم اعتبروا أمر النسأة أنهم اعتبروا ما هو
زيادة فى الكفر ، وهذا ما لا يقوله ذو مسكة ، وقد تقدم النقل أن
النبى صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه إلى الحج فى أواخر[1]
ذى القعدة أو بعد انقضائه من سنة تسع ، ووافاه العرب فى ذى الحجة :
الكفارُ وغيرهم ، فوقع[2] إعلامهم ببراءة فى أيام الحج وأماكنه ، فلو كان
١٠ حصل فى سنة عتاب اختلال فى [3]ذى القعدة[3] [ بنسيء - [4] ] لكان ذو الحجة
بحساب الكفار وهو المحرم بحساب الإسلام ، فكان يتأخر مجيء الكفار
للحج عن مجيء المسلمين ، فثبت بهذا أيضا أن حجه رضى الله عنه كان فى
ذى الحجة ، فحفظ الله أهل الإسلام من أن يقع فى حجهم اختلال فى
سنة من السنين ، وما هى بأول نعمة عليهم - والله الموفق ؛ وقال الإمام
١٥ أبو العباس أحمد بن أبى أحمد المشهور بابن القاص[5] من أكابر متقدمى أصحاب
الشافعى رحمه الله فى كتابه دلائل القبلة فى باب معرفة عدد أيام السنة :
فالسنة اثنا عشر شهرا بالأهلة ، وربما كان الشهر ثلاثين وربما كان تسعا
وعشرين ، فمبلغ السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وثمانى

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : اخر (٢) فى ظ : ووقع (٣ - ٣) فى ظ : العدد .
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ووفيات الأعيان ١ / ٥١ ، وفى الأصل : القاضى .

ساعات و أربعة / أخماس ساعة ، و قالت الهند : السنة ثلاثمائة و خمسة[1] / ٤٩٦
و ستون يوما و ست ساعات و خمس ساعة و جزء من أربعمائة جزء من
ساعة ، و ذلك من دخول الشمس برأس[2] الحمل إلى أن تدخل فيه من
قابل ، ففضل ما بين السنة الهلالية و السنة الشمسية عشرة أيام و إحدى
و عشرون ساعة و خمسا ساعة ، فاذا زيدت عليها هذه الساعات و الأيام ٥
استقام حسابه مع دوران الشمس ، و كانت العرب تزيده فى الجاهلية ،
و كان الذى أبدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال له القلمس ، و ذلك
أنه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده فى السنة و جعل تلك السنة
ثلاثة عشر شهرا ، و سماه[3] نسيئا ، و يحج بهم تلك السنة فى المحرم ،
فأنزل الله تعالى " انما النسيء زيادة فى الكفر " فلما كانت السنة التى ١٠
حج فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حجة الوداع وافق الحج فى تلك
السنة ذا الحجة لما أراد الله تعالى باثبات الحج فى تلك السنة ، فخطب
النبي صلى الله عليه و سلم فقال : أيها الناس ! ألا إن السنة قد استدارت
كهيئتها يوم خلق الله السماوات و الأرض "منها اربعة حرم ذلك الدين
القيم"- يعنى به الحساب القيم ، فالحرم رجب جمادى و شعبان ، و ذو القعدة ، ١٥
و ذو الحجة ، و المحرم ، فسمى ذلك الحج الأقوم ، و قال الشاعر :

وأبطل ذوالعرش النسى و قلمسا وفاز رسول الله[4] بالحج الاقوم - انتهى.

و القلمس بفتح اللام و تشديد الميم ، فالنسيء فى البيت متروك الهمز

---

(١) فى ظ : خمس (٢) فى ظ : راس (٣) من ظ ، وفى الأصل : سماها (٤) أقحم فى الأصل : صلى الله عليه و سلم .

ليصح الوزن ، و الأقوم منقول حركة الهمزة ، و قوله : إن علة النسيء التطبيق بين السنة الشمسية و القمرية[1] - فيه نظر ، و الظاهر أن علته ما ذكر في السير من اضطرارهم إلى القتال ، و أمر الاستدارة في كل من هذه الأقوال واضح الاستنارة ، و ليس المراد بها مصادفة كل فصل من
٥ فصول السنة لموضعه من الحر و البرد ، و مصادفة اسم كل شهر لمسماه بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلا و كذلك غيره و إن كان الواقع أن الأمر كان في هذه الحجة كذلك ، لما تقدم من أن غزوة تبوك كان ابتداؤها في شهر رجب ، و كان ذلك [2]كما تقدم[2] في شدة الحر و حين طابت الثمار ، و إنما المراد الأعظم بالاستدارة مصادفة اسم
١٠ كل شهر لمسماه [ لا لمسمى -[3] ] شهر آخر لأجل الدوران بالنسيء بدليل أنه صلى الله عليه و سلم ما ذكرها إلا لأجله ، فقال في بعض طرق حديث جابر الطويل رضي الله عنه : إن النسيء زيادة في الكفر ، و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، السنة اثنا عشر شهرا . فانظر إلى تعقيبه بحصر الأشهر في الاثنى عشر نفيا لجعلهم إياها
١٥ سنة النسيء ثلاثة عشر [ شهرا -[3] ] ، و قال : منها أربعة حرم ، و عينها و قال : أيّ شهر هذا ؟ فلما سكتوا قال : ذو الحجة شهر حرام[4] ، كل هذا لبيان أن المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره أهل الجاهلية إلى موضعه الذي وضعه الله به موافقا اسمه لمسماه ، و جعلت أشهرنا هلالية مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها

---

(١) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : الحرام .

من صوم و عيد و حج و غيره فى كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب ، فان عباداتهم[١] خاصة بوقت من السنة لا تتعداه[٢] - والله الموافق له[٣] ! و قال القاضى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستى فى تفسيره : حدثنا ابن أبى عمر ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال : الشهر الذى انتزعه الله من الشيطان المحرم . و الحاصل[٤] أنه لا شك فى[٣] ٥
أن النسىء لم يكن قط إلا للمحرم لما تقدم ، و أن الحج لم يكن قط فى جاهلية و لا إسلام إلا فى شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقلة[٤] اللغة و الحديث و الأخبار ؛ قال ابن الأثير فى النهاية و نشوان اليمنى[٥] / فى شمس العلوم /٤٩٧
و القزاز[٦] فى ديوانه و ابن مكتوم[٧] فى ترتيب العباب و المحكم : ذو الحجة بالكسر : شهر الحج ، زاد المحكم : سمي بذلك للحج ، و قال ١٠
القزاز : إن الفتح فيه أشهر ، و فى النهاية : يوم التروية هو الثامن من ذى الحجة ، سمي به لأنهم كانوا يرتوون[٨] فيه[٣] من الماء لما بعده ، أى يستقون[٩] و يسقون[٩] ؛ و قال المجد فى القاموس : يوم عرفة التاسع من

(١) فى ظ : عبادتهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يتعداه (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد فى ظ : فى (٥) فى ظ : اليمين ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣/٨٦ .
(٦) هو محمد بن جعفر أديب لغوى نحوى - راجع معجم المؤلفين ٩ / ١٤٨ .
(٧) و هو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسى ، و استفاض ترتيبه باسم « الجمع بين العباب و المحكم » - راجع معجم المؤلفين ١ / ٢٧٨ (٨) من النهاية ، و فى الأصل : يرثون ، و فى ظ : يوتون (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ذى الحجة ، و فى كتاب أسواق العرب لأبى[1] المنذر هشام بن محمد الكلبى
رواية أبى سعيد السكرى[2] أن عكاظ كانت من أعظم أسواق العرب .
فاذا أهل أهلها هلال ذى الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذى المجاز و هى
قريب من عكاظ ، [ و عكاظ -[3] ] فى أعلى نجد ، فأقاموا بها حتى يوم
٥ التروية ، و[4] وافاهم بمكة حجاج العرب و رؤسهم ممن أراد الحج ممن
لم يكن شهد تلك الأسواق . و قال الأزرقى[5] فى تاريخ مكة : فاذا
رأو اهلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى المجاز فأقاموا بها ثمانى ليال أسواقهم
قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيتروون ذلك
اليوم[6] من الماء بذى المجاز ، و إنما سمى يوم التروية لترويهم الماء بذى
١٠ المجاز ، ينادى بعضهم بعضا : ترووا من الماء ، انه لا ماء بعرفة و لا بالمزدلفة
يومئذ ، ثم ذكر أنه لا يحضر ذلك إلا التجار ، قال : و من لم يكن له
تجارة فانه يخرج من أهله متى أراد ، و من كان من أهل مكة ممن لا يريد
التجارة خرج من مكة يوم التروية . و روى البيهقى فى دلائل النبوة
بسنده عن عروة و موسى بن عقبة - فرقهما - قالا : و أهل رسول الله
١٥ صلى الله عليه و سلم بالعمرة من الجعرانة فى ذى القعدة ، ثم أسند عن ابن
إسحاق[7] أنه قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من عمرته انصرف

---

(١) فى ظ : لابن ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ (٢) هو حسن بن
الحسين السكرى - راجع معجم المؤلفين ٣ / ٢١٩ (٣) زيد من ظ (٤) سقطت
الواو من ظ (٥) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله المكى - راجع المعجم المؤلفين ١٠/ ١٩٨ .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : القوم (٧) راجع سيرة ابن هشام ٣/ ٣٢ .

راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة و خلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين و يعلمهم ، فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذى القعدة أو فى الحجة ، و حج الناس تلك السنة على ما كانت العرب يحج عليه ، وحج تلك السنة عتاب بن أسيد فى سنة ثمان ، و حديث اعتماره صلى الله عليه و سلم فى ذى القعدة رواه ٥ الشيخان و مضى على ما كانت العرب من الطواف عراة و نحوه ؛ و ذكر الواقدى عن مشايخه قالوا : و انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس[1] ليال خلون من ذى القعدة ، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتى[2] عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم - فذكر ١٠ عمرته ثم قال : و استعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم عتاب بن أسيد على مكة ، و خلف معاذ بن جبل و أبا موسى الأشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن و الفقه فى الدين[3] ، و أقام للناس الحج عتاب بن أسيد رضى الله عنه تلك السنة و هى سنة ثمان ، و حج ناس من المسلمين و المشركين على مدتهم ، و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة يوم ١٥ الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة ، قال الواقدى[4] : فأقام بقية ذى القعدة و ذا الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين - انتهى . إذا تقرر هذا علم أن الحج لم يكن قط إلا فى شهر يسمونه ذا الحجة ، و هو مما لا يدور

(١) من ظ و المغازى ٣/٩٥٨ ، و فى الأصل : بخمس (٢) فى ظ : لاثنى (٣) من ظ و المغازى ٣/ ٩٥٩ ، و فى الأصل : الدنيا (٤) راجع المغازى ٣/ ٩٧٣ .

فى خلد و لا يقع فى وهم فيه تردد ، و لا يحتاج إلى تطويل بذكره
و لا إطناب فى أمره ، و تارة يوافق اسمه مسماه و تارة لا يوافقه لأجل
النسيء ، و علم أيضا أن حج عتاب بن أسيد كان فى ذى الحجة بعد رجوع
النبي صلى الله عليه و سلم من الجعرانة إلى المدينة الشريفة ، و أنه ما تأخر
٥ عن ذى الحجة و إلا لنقل ، و أن حج أبى بكر رضى الله عنه سنة تسع كان
فى ذى الحجة لذلك و لما تقدم[1] من أن سفره / له من المدينة الشريفة[2] /٤٩٨
كان فى آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة و لقولهم : إن الأربعة الأشهر[3]
التى ضربت للشركين من يوم النحر و[4] لقولهم : إن الأربعة الأشهر[5]
كان آخرها عاشر ربيع الآخر ، و علم أن ذا الحجة تلك السنة لو كان
١٠ وافق مسمى ذى القعدة لم يقع[6] ذو الحجة سنة عشر التى حج فيها النبي
صلى الله عليه و سلم فى موضعه الذى وضعه الله به إلا بأن تكون تلك
السنة ثلاثة عشر شهرا بنسيء أو غيره ، و كل من الأمرين باطل ، أما
الأول فلأن الله تعالى أبطل النسيء فى تلك السنة فيما أبطله من أمور
الجاهلية فى هذه السورة ، و أرسل النبي صلى الله عليه و سلم بالمناداة بها
١٥ كما مر ، و أما الثانى فهو أمر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله
السماوات و الأرض ، و الخارق مما تتوفر الدواعى [ على - [7] ] نقله ،
و لا ناقل لهذا أصلا فبطل ، و إذا بطل ثبت أن سنة عشر كانت اثنى عشر

(١) فى ظ : تقرر (٢) زيد بعده فى ظ : و انه مـا تأخر عن ذى الحجة (٣) فى ظ : اشهر (٤) العبارة من هنا إلى « الأشهر » ساقطة من ظ (٥) فى الأصل : الا - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لم تقع (٧) زيد من ظ .

شهرا

شهرا و لا سيما بعد إنزال الله تعالى فى ذلك ما أنزل فى هذه السورة، و إذا كان الأمر كذلك كان الشهر الذى وقف فيه النبى صلى الله عليه و سلم فى موضع الشهر الذى وقف فيه الصديق رضى الله عنه سواء بسواء[1]، و قد ثبت أن الزمان كان فيه قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض، فثبت من غير مرية[2] أن شهر الصديق رضى الله عنه كذلك ٥ كان، و ثبت أيضا أن سنة عتاب بن أسيد رضى الله عنه كذلك كانت بما قدمتُ من أنه لم يكن فيها نسيء لتوافق حج المسلمين و المشركين فى سنة تسع، فدل ذلك على أنها كانت اثنى عشر شهرا، فكان ذو الحجة فيها فى موضعه[3] الذى وضعه الله به كما كانت سنة تسع، بل ظاهر قول أبى عبيد: فقام الإسلام و قد رجع المحرم إلى موضعه - كما مضى - ١٠ أن الله حفظ زمن الإسلام كله عن نسيء، و هو الذى أعتقده، و قد لاح بذلك أن السبب فى قول من قال: إن حج الصديق رضى الله عنه وافق ذا القعدة، أنه فهم من قول النبى صلى الله عليه و سلم: إن الزمان قد استدار، أن الاستدارة لم تكن إلا فى تلك السنة، و ليس ذلك مدلول هذا التركيب كما لا يخفى - و الله الموفق؛ ثم وجدت النقل الصريح فى ١٥ زوائد معجمى[4] الطبرانى: الأوسط و الأصغر للحافظ نور[5] الدين الهيثمى بمثل ما فهمته، قال فى تفسير براءة: حدثنا إبراهيم - يعنى ابن هشام - البغوى ثنا[6] الصلت بن مسعود الجحدرى ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ثنا داود بن أبى هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يعنى

(١) من ظ، و فى الأصل: سواء (٢) فى ظ: مبرية (٣) من ظ، و فى الأصل: موضعها (٤) فى ظ: معجم (٥) فى ظ: زين (٦) فى ظ: حدثنا.

عبد الله[1] بن عمر[2] رضى الله عنهما قال: كانت العرب يحلون عاما شهرا
و عاما شهرين و لا يصيبون الحج إلا فى كل ست و عشرين سنة مرة،
و هو النسيء الذى ذكره الله عز و جل فى كتابه، فلما كان عام حج
أبو بكر رضى الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج[3] فسماه الله الحج
٥ الأكبر، ثم حج رسول الله صلى الله عليه و سلم من العام المقبل فاستقبل
الناس الأهلة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض. لم يروه عن عمر إلا داود
تفرد به الصلت - انتهى، و هو حديث حسن إن شاء الله تعالى،
[ ثم رأيت الهيثمى فى مجمع الزوائد قال: رجاله ثقات، فأكد ذلك الجزم
١٠ بما فهمت من أنه حسن -[4] ]، و إنما أطلت[5] هذا بما قد لا يحتاج فى
إيضاحه إليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين و محال المماحلين الجامدين.

و لما أوعز[6] سبحانه فى أمر الجهاد، و أزاح جميع عللهم و بين
أن حسنه لا يختص به شهر دون شهر و أن بعضهم كان يحل لهم و يحرم
فيتبعونه بما يؤدى إلى تحريم الشهر[7] الحلال و تحليل الشهر الحرام بالقتال
١٥ فيه، عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم
الآمر لهم بالنفر فى غزوة تبوك عن أمره سبحانه، وكان ابتداؤها فى شهر
رجب سنة تسع، فقال تعالى على سبيل الاستعطاف و التذكير بنعمة الإيمان

(١) من ظ، و فى الأصل: عنه - كذا (٢) من مجمع الزوائد ٧/ ٢٩، و فى الأصل وظ: عمرو (٣) فى ظ: الحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ: اطلقت (٦) فى ظ: اوعد (٧) سقط من ظ.

-/ بعد ختم التى قبلها بأنه لا يهدى الكافرين - الذى[1] يعم الحرب و غيره / ٤٩٩
الموجب للجرأة عليهم [ لأن من لا هداية له أعمى ، و الأعمى لا يخشى -[2]] :
﴿ يٰٓايها الذين اٰمنوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ ما لكم ﴾ أى ما الذى يحصل
لكم فى أنكم ﴿ إذا قيل لكم ﴾ أى من أىّ قائل كان ﴿ انفروا ﴾ أى
اخرجوا مسرعين بجد و نشاط جماعات و[3] وحدانا إمدادا لحزب الله ٥
و نصرا لدينه تصديقا لدعواكم الإيمان ، و النفر : مفارقة مكان إلى مكان
لأمر هاج على ذلك ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب[4] تسهيل الطريق إلى
الملك الذى له [ جميع -[2]] صفات الكمال ، و قال أبو حيان : بنى "قيل"
للفعول و القائل النبى صلى الله عليه و سلم و لم يذكر إغلاظا و مخاشنة[5]
لهم و صونا[6] لذكره إذ أخلد إلى الهوينا و الدعة من أخلد و خالف ١٠
أمره - انتهى . ﴿ اثاقلتم ﴾ أى تثاقلتم تثاقلا عظيما ، و فيه ما لم يذكروا
له سببا ظاهرا بما أشار إليه الإدغام إخلادا و ميلا ﴿ الى الارض ط ﴾ أى
لبرد ظلالها و طيب هوائها و نضج ثمارها ، فكنتم أرضيين[7] فى سفول
الهمم ، لا سمائيين[8] بطهارة الشيم .

و لما لم يكن - فى الأسباب التى تقدم أنها كانت تحمل على التباطؤ ١٥
عن الجهاد - ما يحتمل القيام بهم فى هذه الغزوة إلا الخوف من القتل و الميل
إلى الأموال الحاضرة وثوقا بها و الإعراض عن الغنى الموعود [ به -[2]]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الذين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٥) من ظ و البحر المحيط ٥/٤١ ، و فى الأصل : مجانسة (٦) فى ظ : ضونا (٧) فى الأصل و ظ : ارضين (٨) فى ظ : سماسين - كذا .

الذى ربما يلزم من[1] الإعراض عنه[2] التكذيب ، فيؤدى إلى خسارة الآخرة ، هذا مع ما يلزم على[3] ذلك - و لا بد - من [4]الزهد فى[4] الأجر المثمر لسعادة العقبى بهذا الشيء الخسيس ؛ قال مبينا خسة ما أخلدوا إليه تزهيدا فيه و شرف ما أعرضوا عنه ترغيبا فيه منبها على أن ترك الخير ٥ الكثير لأجل الشر اليسير شرعظيم منكرا[5] على من تثاقل موبخا لهم : ﴿ ارضيتم بالحيوٰة الدنيا ﴾ أى بالخفض و الدعة فى الدار[6] الدنية الغارة ﴿ من الاٰخرة ج ﴾ أى الفاخرة الباقية ؛ قال أبو حيان[7] : و 'من' تظافرت أقوال المفسرين أنها بمعنى بدل ، و أصحابنا لا يثبتون [8]أن من[8] تكون للبدل - انتهى . و الذى يظهر لى أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل ، بل ١٠ إنه يطلق عليها لما قد يلزمها فى مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فانها لابتداء الغاية ، فاذا قلت : رضيت بكذا من زيد ، كان المعنى أنك أخذت ذلك أخذا مبتدئا منه غير ملتفت إلى ما عداه ، فكأنك جعلت ذلك بدل كل شيء يقدر أنه ينالك منه من غير ذلك المأخوذ . و لما كانوا قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع ، كان إقبالهم على ١٥ الدنيا كأنه مبتدئ بما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها ، فكأنه قيل : أرضيتم بالميل إلى الدنيا من الآخرة ؟ و يؤيد ما فهمته أن العلامة علم الدين أبا محمد القاسم ابن الموفق الأندلسى ذكر فى شرح الجزولية

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) فى ظ : من (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : منكر (٦) فى ظ : الدانية (٧) راجع البحر المحيط ٥/ ٤٢ (٨-٨) فى ظ : من ان .

أنهم عدوا لـ "من" خمسة معان[1] كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين، و بين كيفية ذلك حتى في البيانية ، فمعنى "فاجتنبوا الرجس من الاوثان[2]" الذى ابتداؤه من الأوثان، لأن الرجس جامع للأوثان وغيرها.

و لما كان الاستفهام إنكاريا كان معناه النهى ، فكان التقدير: لا ترضوا بها فان ذلك أسفه رأى و أفسده ! فقال تعالى معللا لهذا النهى: ٥ ﴿ فما ﴾ أى بسبب[3] أنه ما ﴿ متاع الحيوٰة الدنيا فى[4] ﴾ أى مغمورا فى جنب ﴿ الأخرة الا قليل ﴾ و الذى يندب هم المتجر و يدعى البصر به و يحاذر الخلل فيه يعد فاعل ذلك سفيها.

و لما كان طول[5] الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف و ترك الإنصاف، توعدهم بقوله: ﴿ الا تنفروا ﴾ أى فى[6] سبيله ﴿ يعذبكم ﴾ ١٠ أى على ذلك ﴿ عذابا اليما ﴾ أى فى الدارين ﴿ و يستبدل ﴾ أى يوجد بدلا منكم ﴿ قوما غيركم ﴾ أى ذوى بأس و نجدة مخالفين لكم فى الخلال التى كانت سببا للاستبدال لولايته و نصر دينه.

و لما هددهم / بما يضرهم، أخبرهم أنهم لا يضرون بفتورهم غير /٥٠٠ أنفسهم فقال: ﴿ و لا تضروه ﴾ أى الله و رسوله ﴿ شيئا ﴾ لأنه متم ١٥ أمره و منجز وعده و مظهر دينه ؛ و لما أثبت بذلك قدرته على ضره لهم و قصورهم عن[7] الوصول إلى ضره، كان التقدير: لأنه قادر على نصر دينه

(١) فى ظ: معادن (٢) سورة ٢٢ آية ٣٠ (٣) من ظ، و فى الأصل: سبب. (٤) من ظ و القرآن الكريم، و قد سقط من الأصل (٥) تكرر فى ظ (٦) تقدم فى ظ على «أى فى» (٧) فى ظ: من.

و نبيه بغيركم[١]، فعطف عليه تعميما لقدرته ترهيبا من عظيم سطوته قوله : ﴿ و الله ﴾ أي الملك الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ على كل شيء قدير ﴾.

و لما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة وعظيم البأس و القوة ، اتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستنفر لهم - و هو ٥ نبيه صلى الله عليه و سلم - غير محتاج إليهم[٢] و متوقف نصره عليهم كما لم يحتج إليهم - بحياطة[٣] القادر له - فيما مضى من الهجرة التي ذكرها ، و أن نفع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما وعدوه و استدفاع[٤] ما أوعدوه في الدارين المشار إلى ذلك [ كله -[٥] ] بقوله " فما متاع [٦]الحيوة الدنيا[٦] " الآية و قوله " الا تنفروا " - الآية ، فقال : ﴿ الا تنصروه ﴾ أي أنتم طاعة ١٠ لأمر الله ، و الضمير للنبي صلى الله عليه و سلم إما على طريق الاستخدام من[٧] سبيل الله لأنه الموضح له الداعي إليه ، أو لتقدم اسمه الشريف إضمارا في قوله " اذا قيل لكم " أي من رسول الله صلى الله عليه و سلم استنصارا منه لكم ، و إظهارا في قوله تعالى " هو الذي ارسل رسوله " - الآية ، وقوة ما في كل جملة من المناسبة المقتضية لأن تعانق[٨] التي بعدها ١٥ و لا تنفك[٩] عنها قصر الفصل بين الظاهر و ضميره ، و ذكر[١٠] الغار و الصاحب أوضح الأمر ، و ذلك أنه سبحانه لما عابهم باتخاذ الرؤساء أربابا اشتدت

---

(١) في ظ : بغيرها (٢) في ظ : اليه (٣) من ظ ، و في الأصل : بحياط (٤) في ظ : اندفاع (٥) زيد من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : عن (٨) من ظ ، و في الأصل : يعانق (٩) من ظ ، و في الأصل : لا ينفك (١٠) من ظ ، و في الأصل : ذلك .

الحاجة إلى بيان أنهم فى البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متأمل ، فوصفهم بالأكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة ، و[1] بأن مأكولهم أموال غيرهم باطلا ، و بأنهم يغشونهم لصدهم إياهم عن السبيل التى لا يخفى حسنها على من له أدنى نظر ؛ و لما كان ذلك شديد الإثارة لتشوف النفوس إلى السؤال عن العرب : هل فعلوا فعلهم و اتبعوا سنتهم ؟ أجاب بأن ٥ عملهم فى تحليل النسأة لهم بعض الأشهر الحرم و تحريم بعض أشهر الحل و الزيادة فى عدة أشهر السنة كعملهم سواء ،

و لما أمر بقتال المشركين كافة و حثهم على التقوى ، و كان بعضهم قد توانى فى ذلك ، اشتد اقتضاء الحال للمعاتبة على التثاقل عن النفر ، فلما تم ذلك فى هذا الأسلوب البديع و الطراز الرفيع حث على نصر الرسول ١٠ الذى أرسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط : ﴿ فقد ﴾ أى إن لم يتجدد [2]منكم له[2] نصر فان الله قادر على نصره و سينصره و يغنيه عنكم و لا تضرون إلا أنفسكم فقد ﴿ نصره الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده و الأمر فى غاية الشدة ، [و لا شك عند عاقل أن المستقبل عنده كالماضى - [3]] ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ اخرجه الذين ﴾ و عبر بالماضى لأن ١٥ فيهم من أسلم بعد ذلك فقال : ﴿ كفروا ﴾ أى من مكة و هم فى غاية التمالؤ عليه حين شاوروا[4] فى قتله أو إخراجه أو إثباته ، فكان ذلك سببا لإذن الله له فى الخروج من بينهم حال كونه ﴿ ثانى اثنين ﴾ أى أحدهما أبو بكر رضى الله عنه و لا ثالث لهما ينصرهما إلا الله ﴿ اذ هما فى الغار ﴾

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) فى ظ : له منكم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : تشاوروا .

أى غار ثور الذى فى [ أعلى[-[1] ] الجبل المواجه للركن اليمانى بأسفل
مكة على مسيرة ساعة منها لما كمنا به ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب ،
و ذلك قبل أن يصلا إليكم أو يعولا فى النصر عليكم ﴿ اذ يقول ﴾
[2] أى رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿ لصاحبه ﴾[2] [ أى -[3] ] أبى بكر
٥ الصديق رضى الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شيء ﴿ لا تحزن ﴾
و الحزن : هم غليظ بتوجع يرق له القلب، حزنه و أحزنه بمعنى؛ و قال فى
القاموس : أو أحزنه : جعله حزينا ، و حزّنه : جعل فيه حزنا ؛ ثم علل نهيه
لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الأعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من / الأسماء /٥٠١
الحسنى و الصفات العلى التى تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك[3] بعظمتها
١٠ شوامخ الجبال الصلاب ﴿ ان الله ﴾ [ أى الذى له الأمر كله -[1] ]
﴿ معنا ج ﴾ أى بالعون و النصرة[4]، و هو كاف لكل مهم، قوى على دفع
كل ملم ، فالذى تولى نصره بالحراسة فى ذلك الزمان [5] كان قادرا على أن
يأمر الجنود التى أيده بها أن تهلك الكفار فى كل موطن من غير أن
يكون لكم فى ذلك أمر أو يحصل لكم به أجر ، و كما أنه كان موجودا
١٥ فى ذلك الزمان[5] بأسمائه الحسنى و صفاته العلى هو على ذلك فى هذا الزمان
و كل زمان ، فتبين كالشمس أن النفع فى ذلك إنما هو خاص بكم ،
و أنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المنوال إلا لفوزكم ، و فى هذه
الآية من التنويه[6] بمقدار الصديق و تقدمه و سابقته فى الإسلام و علو

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «رضى الله عنه»
والترتيب من ظ (٣) فى ظ : تنزل (٤) فى ظ : النصر (٥-٥) سقط ما بين الرقمين
من ظ (٦) فى ظ : التسوية .

منصبه

منصبه و فخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذى أعطاه إياه ؛ قال أبو حيان[1] و غيره: قال العلماء: من أنكر صحبة أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله، و ليس ذلك لسائر الصحابة .

و لما كان رضى الله عنه نافذ البصيرة فى المعارف[2] الإلهية، راسخ القدم فى ذلك المقام[3] لذلك لم يتلعثم[4] من أول الأمر فى عناد جميع ٥ العباد بخلع الأنداد، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث[5] عشرة سنة، و كان الذى به من القلق إنما هو الخوف من[6] أن يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين و قمع المعتدين، و لم يكن جبنا و لا سوء ظن، لما كان ذلك كذلك كان رضى الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف ١٠ الأعظم الدال على ذلك المقام المذكر[7] بتلك العظمة التى يتلاشى عندها كل عظيم، و يتصاغر فى جنبها كل كبير، [8]ولذلك[8] ذكر هذا الاسم الأعظم و قدم، و أشرك الصديق فى المعية و بدأ بالنهى عن الحزن لأنه المقصود بالذات و ما بعده علة[9] له. و أما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى عليه السلام ١٥ بإظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم[10] بها مما كانوا فيه، و منع

---

(١) راجع البحر المحيط ٥/٤٣ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٤) فى ظ: لم يتعثلم (٥) من ظ، وفى الأصل: ثلاثة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: المذكور. (٨ - ٨) فى ظ: فلذلك (٩) فى ظ: علقة (١٠) من ظ، وفى الأصل: استقرهم .

موسى عليه السلام مع وحدته من سطوات فرعون على عظمته و ما كان يواجهه به من المكروه ، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات : هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم أم لا ؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية

٥ على سبيل الخصوص به ، و عبر عن الإله باسم الرب الدال على ذلك الإحسان المذكر[1] به فقال " كلا ان معى ربى[2] " فكان قيل : ما ذا يفعل و البحر أمامنا و العدو وراءنا ؟ فقال " سيهدين " [ أى -[3] ] إلى ما أفعل[4] ، يعرف [ ذلك -[3] ] من كان متضلعا[5] بالسير و قصص بنى إسرائيل على ما ذكرتها فى الأعراف[6] عن التوراة ، مستحضرا لأن الصديق رضى الله عنه

١٠ كان فى صعودهما إلى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه و سلم ليفتديه[7] بنفسه ثم يذكر الطلب فيتأخر ثم يذكر ما عن اليمين و الشمال فينتقل إليهما و يقول للنبي صلى الله عليه و سلم : إن قتلت أنا فأنا رجل واحد ، و إن قتلت أنت هلكت الأمة ، و أنه كان عارفا بأن الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم المتضمن

١٥ لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك ، و لذلك كان به فى هذا اليوم من القلق ما ذكر ، و كان عند وفاة النبي صلى الله عليه و سلم أثبت الناس ، و لذلك أتى بالفاء المعقبة فى قوله : ﴿ فانزل الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ سكينته ﴾

---

(١) فى ظ : المذكور (٢) سورة ٢٦ آية ٦٢ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : نفعل . (٥) من ظ ، وفى الأصل : متصفا (٦) من ظ ، وفى الأصل : الاعراض (٧) فى ظ : ليفيده .

أى السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك ﴿ عليه ﴾ أى الصديق - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما - لأن السكينة لم تفارق النبى صلى الله عليه و سلم؛ ثم عطف على نصره الله قوله : ﴿ و ايده ﴾ أى النبى صلى الله عليه وسلم، و اختلاف الضمائر هنا لا يضر لأنه غير مشتبه ﴿ بجنود لم تروها ﴾ أى من الملائكة الكرام ﴿ و جعل كلمة ﴾ أى / دعوة ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ / ٥٠٢ أى أوقعوا الكفر من آمن منهم بعد ذلك و غيره ﴿ السفلىٰ ﴾ فخيّب سعيهم و ردكيدهم ؛ ثم ابتدأ الإخبار بما له سبحانه على الدوام من غير انقطاع أصلا فى وقت [ من - [1] ] الأوقات فقال : ﴿ و كلمة الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء ، و نصبها يعقوب عطفا على ما سبق ﴿ هى العليا ﴾ أى وحدها ، لا يكون إلا ما يشاءه دائما أبدا ، فالله قادر على ١٠ ذلك ﴿ [2] و الله [2] ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عزيز ﴾ أى مطلقا يغلب كل شىء من ذلك و غيره ﴿ حكيم ﴾ لا يمكن أن ينقض شىء من مراده لما ينصب من الأسباب التى لا مطمع لأحد فى مقاومتها فلا محيص عن نفوذها .

و لما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبالغا هيأها به للقبول ، ١٥ أقبل عليها سبحانه بالأمر فقال : ﴿ انفروا خفافا و ثقالا ﴾ و المراد بالخفة كل ما يكون سببا لسهولة الجهاد و النشاط إليه ، و بالثقل كل ما يحمل على الإبطاء عنه ؛ و قال أبو حيان : و الخفة و الثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة و من[3] يمكنه بصعوبة ، و أما من[4] لا يمكنه كالأعمى

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « دائما أبدا » (٣) من البحر المحيط ٥/٤٤ ، و فى الأصل و ظ : لم (٤) فى ظ : ما .

و نحوه لخارج عن هذا - انتهى . قال البغوى : قال الزهرى : خرج سعيد ابن المسيب رحمه الله إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ! فقال : استنفر[1] الله الخفيف و الثقيل ، فان لم يمكنى[2] الحرب كثرت السواد و حفظت المتاع ؛ و روى أبو يعلى الموصلى فى ٥ مسنده بسند صحيح عن أنس أن أبا طلحة رضى الله عنهما قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية فقال : ألا أرى ربى يستنفرنى[3] شابا و شيخا ! جهزونى ، فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فما تغير[4] .

﴿ و جاهدوا ﴾ أى أوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار .

و لما كانت هذه الآية فى[5] سياق المعاتبة [6]لمن تثاقل[6] إلى الأرض ١٠ عن الجهاد عند الاستنفار فى غزوة تبوك . و كان سبب التثاقل ما كان فى ذلك الوقت من العسرة فى المال و الشدة بالحر و ما كان من طيب الظلال فى أراضى الجنان وقت الأخذ فى استواء الثمار - كما هو مشهور فى السير ؛ اقتضى المقام عنا تقديم المال و النفس بخلاف ما مضى فان الكلام كان فى المفاضلة بين الجهاد فى سبيل الله و خدمة البيت و من ١٥ يحجه فى هذه السورة التى صادف وقت نزولها بعد مواطن الجهاد و طول المفارقة للأموال و الأولاد ، و قدم المال لأن النظر إليه من وجهين :

---

(١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٨٣، وفى الأصل : استغفر . (٢) من المعالم ، و فى الأصل وظ : لم يمكن (٣) من ظ ومجمع الزوائد ٩/٣١٢، و فى الأصل : يسفونى - كذا (٤) وهذا الحديث قد أورده الهيثمى فى زوائده برواية أبى يعلى مع زيادة على ما هنا (٥) فى ظ : من (٦-٦) من ظ، وفى الأصل : لما يتثاقل .

قلته . و محبة الإقامة فى الحدائق إيثارا للتمتع بها و خوفا من ضياعها مع
أن بها قوام الأنفس ، فصار النظر إليها هو الحامل على الشح بالأنفس
فقال تعالى : ﴿ بأموالكم و انفسكم ﴾ أى بهما معا عـلى[1] ما أمكنكم
أو بأحدهما ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى . [ أى -[2] ] حتى لا يبق
منه مانع ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ خير ﴾ أى فى نفسه حاصل ٥
﴿ لكم ﴾ أى خاص بكم . و يجوز أن يكون أفعل تفضيل بمعنى أن
عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان ، كما قال
صلى الله عليه و سلم لمن سأله : هل يمكن بلوغ درجة المجاهد ؟ فقال :
هل تستطيع [3] أن تقوم[3] فلا تفتر و تصوم فلا تفطر[4] ؟ و ختم الآية
بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ه ﴾ إشارة إلى أن هذا الأمر و إن كان عاما ١٠
فانما ينتفع[5] به ذوو الأذهان الصافية و المعالم الوافية ، فان العلم - و لا يعد
علما إلا النافع - يحث على العمل و على إحسانه باخلاص النية و تصحيح
المقاصد / و تقوية العزم و غير ذلك ، و ضده يورث ضده . /٥٠٣

و لما كان هذا العتاب مؤذنا بأن[1] فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا
بنحو الأموال و الأولاد ، و كان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر ١٥
و الزواجر و المواعظ جديرا بأن يخفف كل متثاقل و ينشط كل متكاسل ،
تشوفت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك ، فأعلم سبحانه به فى أساليب البلاغة
المخبرة عن أحوال القاعدين و أقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) راجع صحيح البخارى - كتاب الجهاد (٥) فى ظ : ينفع .

غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت المتثاقلين بأسلوب الإعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم [1] المبعثر لقبائحهم [1] المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان فقال: ﴿لو كان﴾ أى ما تدعو إليه ﴿عرضا﴾ أى متاعا دنيويا ٥ ﴿قريبا﴾ أى سهل التناول ﴿و سفرا قاصدا﴾ أى وسطا عدلا مقاربا ﴿لاتبعوك﴾ أى لأجل رجاء العرض مع سهولة السفر لأن هممهم قاصرة [و -[2]] منوطة بالحاضر ﴿و لكن﴾ أى لم يتبعوك تثاقلا إلى الأرض و رضى بالفانى الحاضر من الباقى الغائب لأنها ﴿بعدت عليهم الشقة﴾ أى المسافة التى تطوى بذرع الأرجل بالمسير فيحصل بها النكال و المشقة ١٠ فلم يواز ما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض[3] فاستأذنوك ، و فى هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم و دناءة الشيم بالعجز و الكسل و النهم و الثقل ، و إلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضى الهم صادق العزم [كما قال الشاعر - [2]] :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ... وأعرض عن ذكر العواقب جانبا[4]

١٥ فلله در أولى العزائم و الصبر على الشدائد و المغارم !

و لما ذمهم بالشح بالدنيا ، أتبعه وصمهم بالسماح بالدين ، فقال مخبرا عما سيكون منهم علما من أعلام النبوة : ﴿و سيحلفون﴾ أى المتخلفون باخبار محقق لا خلف فيه ﴿بالله﴾ أى الذى لا أعظم منه عند رجوعكم إليهم جمعا إلى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العوض .
(٤) والبيت لسعد بن ناشب - راجع باب الحماسة من كتابها .

بالكذب قائلين : و الله ﴿ لو استطعنا ﴾ أى الخروج إلى ما دعوتمونا إليه ﴿ لخرجنا معكم ج ﴾ يحلفون حال كونهم ﴿ يهلكون انفسهم ج ﴾ أى بهذا الحلف الذى يريدون به حياتها لأنهم كذبوا فيه فانتهكوا حرمة اسم الله ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك الأعظم المحيط علما و قدرة[1] سبحانه ﴿ يعلم انهم لكذبون ه ﴾ فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم و الفضيحة ٥ عند الله بعلمه بكذبهم فى أنهم غير مستطيعين ، و جزاء الكاذب فى مثل ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدائم المخلد .

و لما بكتهم على وجه الإعراض لأجل التخلف و الحلف عليه كاذبا ، أقبل إليه صلى الله عليه و سلم بالعتاب فى لذيذ الخطاب على الاسترسال فى اللين لهم و الائتلاف[2] و أخذ العفو و ترك الخلاف إلى هذا الحد ، ١٠ فقال مؤذنا بأنهم ما تخلفوا إلا باذنه صلى الله عليه و سلم لأعذار ادعوها كاذبين فيها كما كذبوا فى هذا الحلف ، مقدما للدعاء على العتاب لشدة الاعتناء [ بشأنه - ٣ ] و اللطف به صلى الله عليه و سلم : ﴿ عفا الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿ عنك ج ﴾ و هذا كما[4] كانت عادة العرب فى مخاطبتهم[5] لأكابرهم بأن يقولوا : أصلح الله الأمير ، و الملك - و نحو ذلك . ١٥

و لما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم و نحوه ، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك : ﴿ لم اذنت لهم ﴾ أى فى التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الأمر باللين لهم و الصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق ، و هذا إنما

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : قدرا (٢) فى ظ : الاستيلاف (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : هو (٥) فى ظ : مخاطبة .

كان فى أول الأمر لخوف التنازع و الفتنة ، و أما الآن فقد علا الدين و تمكن أمر المؤمنين فالمأمور به الإغلاظ على المنافقين فهلا تركت الإذن لهم ﴿ حتى يتبين لك ﴾ أى غاية البيان ﴿ الذين صدقوا ﴾ أى فى التزام الأوامر /٥٠٤/ بما أقروا به من كلمة التوحيد ﴿ و تعلم الكٰذبين ﴾ أى فيما أظهروا من الإيمان باللسان ، فانك إن[1] لم تأذن لهم لقعدوا بلا إذن غير مراعين ميثاقهم الذى واثقوك عليه بالطاعة فى العسر و اليسر و المنشط و المكره ؛ قال أبو حيان[2] : و "حتى" غاية الاستفهام - انتهى . و ذلك لأنه و إن كان داخلا على فعل مثبت فمعناه النفى ، أى ما لك لم تحملهم[3] على الغزو معك ليتحقق بذلك الحمل من يطيع و من يعصى ، فالحاصل أن الذى فعله صلى الله عليه و سلم حسن موافق لما أمره[4] الله به فانه لا ينطق عن الهوى بل عن أمر الله إما بايحاء واصل جديد ، أو استناد إلى وحي سابق حاصل عتيد ، و الذى أشار إليه سبحانه أحسن[5] مثل " ليغفر [6]لك الله[6] ما تقدم من ذنبك " من باب « حسنات الأبرار سيئات المقربين » و من باب[7] الترقية من [8]مقام عال[8] إلى مقام أعلى تسييرا[9] فيهم[10] بالعدل لما انكشف أنهم ليسوا بأهل الفضل ؛ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى آخر كتاب العروة فى تفاوت وجه الخطاب فيما بين

---

(١) فى ظ : او (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٥/٤٧ (٣) من ظ ، وفى الأصل : لم يحملهم (٤) فى ظ : امر (٥) زيد فى ظ : فهو (٦-٦) فى ظ : الله لك - كذا و راجع آية ٢ سورة ٤٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) فى ظ : مكان على (٩) من ظ ، و فى الأصل : يسيرا (١٠) فى ظ : فهم .

ما أنزل على وفق[1] الوصية أو أنزل على حكم الكتاب: اعلم أن الله سبحانه
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين وخلقه بالعفو والمعروف،
كما ورد فى الكتب السابقة من قوله تعالى «وأجعل العفو والمعروف
خلقه» وبذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال[2]:
أوصانى ربى من غير ترجمان ولا واسطة بسبع خصال: بخشية الله فى ٥
السر والعلانية، وأن أصل من قطعنى، وأصفح عمن ظلمنى، وأعطى
من حرمنى، وأن يكون نطقى ذكرا، وصمتى فكرا، ونظرى عبرة.
فكان فيما أوصاه به ربه تبارك وتعالى من غير ترجمان ولا واسطة أن
يصل من قطعه ويصفح عمن ظلمه، ولا أقطع[3] له ممن كفر به وصد
عنه، فكان هو صلى الله عليه وسلم - بحكم ما بعث به وجبل عليه ووصى[4] ١٠
به - ملتزما للعفو عمن ظلمه والوصل لمن قطعه إلا أن يعلن عليه بالإكراه
على ترك ذلك والرجوع إلى حق العدل والاقتصاص والانتصاف[5]
المخالف لسعة وصيته الموافق لما نقل من أحكام سنن الأولين [6] فى
مؤاخذتهم[6] بالحق والعدل إلى جامع شرعته ليوجد فيها نحو مما[7] تقدم
من الحق والعدل وإن قل، ولتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله ١٥
وسلم من البعثة بسعة الرحمة [و - [8]] الفضل "ان[9] الله يامر بالعدل
والاحسان". "وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم[10]" فمن القرآن

---

(١) فى ظ: وجه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: رضى (٥) فى ظ: الاتصاف (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: من مواحديهم. (٧) فى ظ: ما (٨) زيد من ظ (٩) من القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩٠، وفى الأصل وظ «و» (١٠) سورة ٨ آية ٣٣.

ما أنزل على الوجه الذى بعث له و جبل عليه و وصى به نحو قوله تعالى "ادفع بالتى هى احسن السيئة[١]" و قوله تعالى "خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الـجهلين[٢]" و قوله تعالى "و لو كنت فظا غليـظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر[٣]"

٥ و قوله تعالى "فاصفح الصفـح الجميل[٤]" و قوله تعالى "فاصفح عنهم و قل سلـم[٥]" و أصل معناه فى مضمون قوله تعالى "لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم[٦]" فما كان من المنزل على هذا الوجه تعاضدت فيه الوصية و الكتاب و قبله هو صلى الله عليه و سلم جبلة و حالا و عملا و لم تكن له عنه وقفة لتظافر[٧] الأمرين و توافق

١٠ الخطابين : خطاب الوصية ، و خطاب الكتاب ؛ و هذا الوجه [من -[٨]] المنزل خاص بالقرآن العظيم الذى هو خاص به صلى الله عليه و سلم ، لم يؤته أحد قبله "و لقد اٰتينٰك سبعا من المثانى و القراٰن العظيم[٩]" و من القرآن ما أنزل على حكم العدل و الحق المتقدم فضله فى سنن الأولين و كتب المتقدمين و إمضاء عدل الله سبحانه فى المؤاخذين و الاكتفاء بوصل الواصل

١٥ و إبعاد المستغنى و الإقبال على القاصد و الانتقام من الشارد ، و ذلك خلاف ما جبل الله عليه نبيه و ما وصى به حبيبه صلى الله عليه و سلم ؛ [١٠]فكان صلى الله عليه و سلم[١٠] إذا أنزل[١١] عليه - أى من الكتاب - على مقتضى الحق و إمضاء

(١) سورة ٢٣ آية ٩٦ (٢) سورة ٧ آية ١٩٩ (٣) سورة ٣ آية ١٥٩ . (٤) سورة ١٥ آية ٨٥ (٥) سورة ٤٣ آية ٨٩ (٦) سورة ٩ آية ١٢٨ (٧) فى ظ : لتظاهر (٨) زيد من ظ (٩) سورة ١٥ آية ٨٧ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) فى ظ : نزل .

العدل ترقب تخفيفه و ترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالإكراه فى أخذه و التزام حكمه فحينئذ يقوم لله به و يظهر عذره فى إمضائه فيكون له فى[1] خطاب التشديد عليه فى أخذه أعظم مدح و أبلغ ثناء من الله ضد ما يتوهمه[2] الجاهلون، فمما أنزل إنباه عن مدحه بتوقفه على إمضاء حكم العدل و الحق رجاء تدارك الخلق و استعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى ٥ " فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا[3] " و نحو قوله تعالى " لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين[4] " و نحو قوله تعالى " و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون[5] " و مما أنزل على وجه الإعلان عليه بما هو عليه من الرحمة و توقفه على[6] الأخذ بسنن الأولين حتى يكره عليه ليقوم عذره فى الاقتصار على حكم الوصية ١٠ و حال الجبلة ما هو نحو قوله تعالى " و من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلاتك فى مرية منه انه الحق من ربك[7] " و نحو قوله تعالى " و لو شاء ربك لأمن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين[8] " و نحو قوله تعالى " فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ١٥ فلا تكونن من الممترين[9] " أى لا [ تتوقف لطلب الرحمة لهم كما - [10] ] يتوقف الممترى فى الشيء أو الشاك فيه [ لما -[10] ] قد علم أنه لا بد لأمته

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتوهم (٣) سورة ١٨ آية ٦ .
(٤) سورة ٢٦ آية ٣ (٥) سورة ١٥ آية ٩٧ (٦) من ظ : و فى الأصل : عن .
(٧) سورة ١١ آية ١٧ (٨) سورة ١٠ آية ٩٩ (٩) سورة ١٠ آية ٩٤ (١٠) زيد من ظ .

من حظ من مضاه كلمة العدل فيهم و حق كلمة العذاب عليهم و إجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من أهل الكتب الماضية فى المؤاخذة بذنوبهم و إنفاذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبهم " فكلا اخذنا بذنبه[1] " ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات " الان و قد عصيت قبل[2] " "لا تركضوا و[3] ارجعوا الى ما اترفتم فيه و مسكنكم " و ذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع - و لا بد - عن باطله حين[4] لا ينفعه " و حرام على قرية اهلكنها انهم لا يرجعون[5] " " الا قوم يونس لما اٰمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوٰة الدنيا[6] " لما أبطن تعالى فى[7] قلب نبيهم [8]عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، و لما ملأ نبيه[8] صلى الله عليه و سلم رحمة لأمته : كافرهم و مؤمنهم و منافقهم ، أشار بأى من إظهار[9] مؤاخذتهم و أعلم بكف نبيه صلى الله عليه و سلم عن تألفهم و أحسبه[10] بمؤمنهم دون كافرهم و منافقهم " يٰايها النبى حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين[11] " وكل ذلك[7] معلوم عنده صلى الله عليه و سلم قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى " سنة من قد أرسلنا [ قبلك - [12] ] من

(١) سورة ٢٩ آية ٤٠ (٢) سورة ١٠ آية ٩١ (٣) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢١ آية ١٣، و فى الأصل : او (٤) فى ظ : حتى (٥) سورة ٢١ آية ٩٥ . (٦) سورة ١٠ آية ٩٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٠) فى ظ : احتسبه (١١) سورة ٨ آية ٦٤ (١٢) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٧٧ .

رسلنا

رسلنا" "سنة الله التى قد خلت من قبل[١]"، "فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
[به -[٢]] من قبل"، "كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به
و قد خلت سنة الاولين[٣]". و لذلك قال صلى الله عليه و سلم حين أنزل
عليه "فان كنت فى شك مما انزلنا اليك[٤]": أما أنا فلا أشك و لا أسأل،
لأنه قد علم جملة أمر الله فى أن منهم من يتداركه[٥] الرحمة و من يحق[٦] ٥
عليه كلمة العذاب، و لكنه لا يزال ملتزما لتألفهم و استجلابهم حتى
يكره على ترك ذلك بعلن خطاب [نحو -[٧]] قوله تعالى " عبس وتولى
ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من
استغنى فانت له تصدى و ما عليك الا يزكى و اما من جاءك يسعى و هو
يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره[٨]" و نحو قوله ١٠
تعالى "ما كان لنبى ان يكون له اسرى يثخن فى الارض تريدون
عرض الدنيا و الله يريد الأخرة و الله عزيز حكيم لو لا كتب [٩]من الله[٩]
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حللا طيبا و اتقوا الله
ان الله غفور رحيم[١٠]"، فهذه الآى و نحوها يسمعها العالم بموقعها[١١] / على
إكراه لنبى الرحمة حتى يرجع إلى عدل [نبى -[١٢]] الملحمة من جملة ١٥ /٥٠٦
أمداح القرآن له و الشهادة له بوفائه بعهد [و -[٧]] وصية حتى تحقق[١٣]
له تسميته بنبى الرحمة ثباتا على الوصية و نبى الملحمة إمضاء فى وقت

---

(١) سورة ٤٨ آية ٢٣ (٢) زيد من القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٧٤ (٣) سورة ١٥ آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٤ (٥) فى ظ: تداركه (٦) فى ظ: تحق (٧) زيد من ظ (٨) سورة ٨٠ آية ١ - ١٢ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(١٠) سورة ٨ آية ٦٧ - ٦٩ (١١) فى ظ: بموقعها (١٢) زيد من ظ غير أن فيه زيادة «إلى» قبله (١٣) فى ظ: يحقق

لحكم الحق و إظهار العدل ، فهو صلى الله عليه و سلم بكل القرآن ممدوح و موصوف بالخلق العظيم [1]جامع لما تضمنته كتب الماضين و ما اختصه الله به من سعة القرآن العظيم[1]، فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية و الكتاب في محكم الخطاب ؛ و الله سميع عليم - انتهى .

٥ و لما فاته صلى الله عليه و سلم معرفتهم بهذا الطريق ، شرع العالم بما في الضمائر يصفهم له بما يعوض عن ذلك ، فقال على طريق الجواب للسؤال : ﴿ لا يستاذنك ﴾ أي يطلب إذنك[2] بغاية الرغبة فيه ﴿الذين يؤمنون بالله﴾ أي يجددون الإيمان كل وقت حقا من أنفسهم بالملك الذي له صفات الكمال ﴿و اليوم الأخر ﴾ أي الذي يكون فيه الجزاء بالثواب و العقاب

١٠ ﴿ ان ﴾ أي في أن ﴿ يجاهدوا باموالهم و انفسهم ﴾ بل يبادرون إلى الجهاد عند إشارتك إليه[3] و بعثك عموما عليه فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف عنه ، فان الخلص من المهاجرين و الأنصار كانوا يقولون : لا نستأذنه صلى الله عليه و سلم أبدا في الجهاد فان ربنا ندبنا إليه مرة بعد مرة فأيّ فائدة في الاستئذان ! و لنجاهدن معه بأموالنا و أنفسنا ،

١٥ و كانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه و سلم بالقعود شق عليهم كما وقع لعلي رضي الله عنه في [ غزوة - [4] ] تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ! و لما كان التقدير : فمن اتصف بذلك فاعلم أنه متق باخبار الله ، عطف عليه

---

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٣) من ظ ، و في الأصل : عليه (٤) زيد من ظ .

قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿عليم[1] بالمتقين ﴾ أى الذين[2] يخافون الله كلهم .

و لما أخبر بالمتقين . عرف بغيرهم على وجه الحصر تأكيدا لتحقيق[3] صفة العلم[4] بما أخبر به سبحانه ، فصار الاستئذان منفيا عن المؤمنين مرتين ، فثبت للنافقين على أبلغ وجه ﴿ انما يستاذنك ﴾ أى فى مثل ذلك فكيف ٥ بالاستئذان فى التخلف ! ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له نهاية العظمة إيمانا مستجمعا للشرائط ﴿ و اليوم الأخر ﴾ لأنهم لا يرجون ثوابا و لا يخافون عقابا و إن ادعوا ذلك بألسنتهم .

و لما كانت [ هذه -[5] ] صفة المصارحين بالكفر ، بين أن المراد ١٠ المنافقون بقوله : ﴿ و ارتابت قلوبهم ﴾ أى تابعت الوساوس و تعمدت المشى معها حتى تخلقت بالشك ؛ و لما كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن الفطرة و سوء الوسوسة ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ فى ريبهم يترددون ﴾ أى بين النفى و الاثبات دأب[6] المتحير لا يجزمون بشىء منهما و إن صدقوا أن الله موجود فان المشركين يصدقون بذلك ١٥ و لكنه لا ينفعهم للاخلال بشرطه ، و ليس استئذانهم فى أن يجاهدوا لإرادة الجهاد بل توطئة لأن[7] يقولوا[8] إذا أمرتهم به : إنه لا عدة لنا فى هذا الوقت فائذن لنا فى التخلف حتى نستعد ! و قد كذبوا ، ما ذلك بهم ،

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : لتحقق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان (٨) فى ظ : يقولون .

إنما بهم أنهم لا يريدون الخروج معك ﴿و لو ارادوا الخروج لاعدوا له﴾ أى قبل[١] حلوله ﴿عدة﴾ أى قوة و أهبة من المتاع و السلاح و الكراع بحيث يكونون متصفين بما قدمت إليهم من التحريض على نحو ما وقع الأمر به فى الأنفال فيكونون[٢] كالحاضرين فى صلب الحرب الواقفين ٥ فى الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ﴿و لكن﴾ لم يريدوا ذلك قط فلم يعدوا له عدة ، فلما أمرت به شرعوا يعتلون[٣] بعدم العدة و ما ذاك بهم ، إنما مانعهم كراهتهم للخروج و ذلك بسبب أن[٤] ﴿كره الله﴾ أى ذو الجلال و الإكرام بأن فعل [ فعل -[٥]] الكاره فلم يرد ﴿انبعاثهم﴾ أى سيرهم معك[٦] مطاوعة لأمرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له ١٠ ﴿فثبطهم﴾ [ أى -[٥] ] حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حبب إليهم من الشهوات و كره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم / لا يرجون ٥٠٧/ ثوابا و لا يخشون غير السيف[٧] عقابا ، قصروا هممهم[٨] الدنية على الصفات البهيمية ، فلما استولت[٩] عليهم الشهوات و ملكتهم الأنفس الدنيات نودوا من قبلها : إلى أين تخرجون ؟ ﴿و قيل﴾ أى لهم لما أسرعوا الإقبال إليها ١٥ ﴿اقعدوا﴾ أى عن[١٠] جندى لا تصحبوهم ، و فى قوله - : ﴿مع القعدين ﴾ أى الذين[١١] شأنهم ذلك كالمرضى و الزمنى و الصبيان و النساء - من التبكيت

(١) فى ظ : بعد (٢) فى ظ : فيكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعملون .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : معه (٧) من ظ ، و فى الأصل : السعف (٨) من ظ ، و فى الأصل : همهم (٩) فى ظ : اسلت .
(١٠) فى ظ : غير (١١) فى ظ : الذى .

ما

ما لا يعلم مقداره إلا أولو الهمم العلية و الأنفس الأبية ، و عبر بالمجهول إشارة إلى أنهم يطيعون الأمر بالقعود حقيقة و مجازا كائنا من كان كما أنهم يعصون الأمر بالنفر كائنا من كان لأن أنفسهم قابلة للدنايا غير صالحة للمزايا بوجه .

و لما كان كأنه قيل : ما له ثبطهم و قد كنا قاصدين سفرا[1] بعيدا ٥ و عدوا كثيرا شديدا[2] فنحن محتاجون إلى الإسعاد و لو بتكثير السواد ! قيل : ﴿ لو ﴾ أى فعل بهم ذلك لأنهم لو ﴿ خرجوا فيكم ﴾ أى و إن كانوا قليلا[3] معمورين بجماعاتكم ﴿ ما زادوكم ﴾ أى بخروجهم شيئا من الأشياء ﴿ الا خبالا ﴾ أى ما أتوكم بشيء زائد على ما عندكم من الأشياء غير الخبال ، و الاستثناء مفرغ و المستثنى منه - المقدر الثابت لهم الاتصاف ١٠ به - هو الشيء ، و ذلك لا يقتضى اتصاف أحد منهم بالخبال قبل خروج المنافقين ، و الخبال : الفساد ، و هو ينظر على الخداع و الأخذ على غرة ﴿ و لا اوضعوا ﴾ أى أوقعوا الإيضاع ، حذف المفعول إشارة إلى أن مرادهم الإيضاع نفسه لا بقيد دابة ، و عبر بالإيضاع لأنه للراكب و هو أسرع من الماشى ﴿ خللكم ﴾ أى لأسرعوا فى السير ذهابا و إيابا بينكم ١٥ فى تتبع عوراتكم و انتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا إلى الفساد بالنميمة و غيرها إن لم يجدوها ، و الإيضاع فى السير يكون برفق و يكون باسراع ، و المراد به هنا الإسراع ، و مادة وضع بجميع تراكيبها تدور على الحركة ، و تارة تكون إلى علو و تارة إلى سفول ، و يلزم ذلك السكون و المحل القابل لذلك ، و على ذلك يتمشى العضو و العوض ، و عوض الذى هو بمعنى ٢٠

(١) فى ظ : سفر (٢) من ظ ، و فى الأصل : شديد (٣) فى ظ : قليلين .

الدهر ، وضوع الريح والتصويت بالبكاء ، والضعة لشجرة فى البادية ، والوضع للطرح فى مكان والسير اللين والسريع ؛ والخلال [1]جمع الخلل وهو الفرجة[2] ﴿ يبغونكم ﴾ أى حال كونهم يريدون لكم ﴿ الفتنة ج ﴾ أى بتشتيت الشمل وتفريق الأصحاب وتقدم عند "وقتلوهم حتى
٥ لا تكون فتنة" أنها الخالطة المميلة المحيلة ، أى يريدون لكم الشيء الذى يصيبكم فيغير حالتكم إلى ما يسوءكم فيسرهم ﴿ وفيكم ﴾ أى والحال أنه فيكم ﴿ سمعون لهم ط ﴾ أى فى غاية القبول لكلامهم لضعف معارفهم وآرائهم . وربما كان سماعهم منهم مؤديا إلى مطلوبهم ﴿ والله ﴾ أى الذى أخبركم بهذا من حالهم وله الإحاطة بكل شيء ﴿ عليم ﴾ بهم ، فثقوا بأخبارهم .
١٠ هكذا كان الأصل وإنما قال : ﴿ بالظلمين ه ﴾ إشارة إلى الوصف الذى أوجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن[3] الخير . وتعميما للحكم بالعلم [ بهم وبمن سمع لهم وبكل ظالم -[4] ] ، والحاصل أنه شبه سعيهم فيهم بالفساد بمن يوضع بعيره فى أرض فيها أجرام شاخصة متقاربة ، فهو فى غاية الالتفات إلى معرفة ما فيها من الفرج والتأمل لذلك[5] حذرا من أن يصيبه
١٥ شيء من تلك الأجرام فيسقيه كأس الحمام ، فلا شغل لهم إلا بغية فسادكم[6] بعدم وصولكم إلى شيء من مرادكم .

ولما أخبر سبحانه بذلك ، وحث على قبول أخبارهم[7] بما وصف

(١-١) فى ظ : خلل (٢) من ظ ، وفى الأصل : فرجة (٣) فى ظ : مواطن . (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٦) فى ظ : فسادهم (٧) فى ظ : اخباره .

به ذاته الأقدس من إحاطة العلم، شرع يقيم الدليل على ما قال بتذكيرهم بأشياء تقدمت مشاهدتها منهم، فقال معللا لما أخبر به: ﴿ لقد ابتغوا ﴾ أى طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم ﴿ الفتنة ﴾ أى لتشتيتكم ﴿ من قبل ﴾ أى قبل هذه الغزوة فى يوم أحد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى كاد بعضهم أن يفشل و فى المريسيع / بما قال ابن أبى "ليخرجن الاعز ٥ ٥٠٨ / منها الاذل[1]" و فى غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب فى أخذ كنوز كسرى و قيصر و الإرجاف بكم فى نقض بنى قريظة و غير ذلك كما[2] صنعوا قبله فى غزوة قينقاع و النضير فى قصدهم تقوية[3] كل منهم[4] عليكم و فى غير ذلك من أيام الله التى عكس فيها قصودهم و أنعس جدودهم[4] ﴿ و قلبوا ﴾ أى [5]تقليبا كثيرا[5] ﴿ لك الامور ﴾ أى التى[6] لك فيها أذى ١٠ ظهرا لبطن باحالة الآراء و تدبير المكايد و الحيل لعلهم يجدون فرصة فى نقض أمرك يتهزونها أو ثغرة فى حالة يوسعونها، و امتد بهم الحال فى هذا المحال ﴿ [7]حتى جآء الحق[7] ﴾ أى الثابت الذى لا مراء[8] فى مزاولته بما[9] تقدم به وعده سبحانه من إظهار الدين و قمع المفسدين ﴿ [7]وظهر[7] امر الله ﴾ أى المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال ١٥ و الجمال حتى لا مطمع لهم فى ستره[10] ﴿ وهم كرهون ﴾ أى لجميع

(١) سورة ٦٣ آية ٨ (٢) فى ظ: بما (٣) من ظ، وفى الأصل: بقوته (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على " وقلبوا " (٦) فى ظ: الذى (٧ - ٧) فى ظ: ان الامور (٨) فى ظ: امرام (٩) فى ظ: بما. (١٠) من ظ، و فى الأصل: سره.

ذلك فلم يبق لهم مطمع فى محاولة بمواجهة و لا[1] مخاتلة فصارهمهم[2] الآن الاعتزال و المبالغة فى إخفاء الأحوال و ستر الأفعال و الأقوال .

و لما أجملهم فى هذا الحكم، وكان قد أشار إلى أن منهم من كان قد استأذن فى الخروج توطئة للاعتذار عنه، شرع يفصلهم، و بدأ المفصلين ٥ بمن[3] صرح بالاستئذان فى القعود فقال عاطفا على[4] " لقد ابتغوا " : ﴿ و منهم من يقول ﴾ أى فى جبلته تجديد هذا القول من غير احتشام ﴿ ائذن لى ﴾ أى فى التخلف عنك ﴿ و لا تفتنى ط ﴾ أى تكن سببا فى فتنى بالحزم بالأمر بالنفر[5] فأفتتن إما بأن أتخلف فأكون مصارحا بالمعصية أو أسافر فأميل إلى نساء بنى الأصفر فأرتد عن الدين[6] فانه لا صبر لى ١٠ عن النساء، و قائل ذلك هو الجد بن قيس، كان من الأنصار منافقا .

و لما أظهروا أنهم قصدوا البعد من شيء فاذا هم قد ارتكبوا فيه، انتهزت فرصة[7] الإخبار بذلك على أبلغ وجه بادخال ناف على ناف لتحصيل[8] الثبوت الأكيد باقرار المسؤل فقيل: ﴿ الا فى الفتنة سقطوا ط ﴾ أى بما قالوا و فعلوا، فصارت ظرفا لهم فوضعوا أنفسهم بذلك فى جهنم، ١٥ [و - [9]] فى التعبير بالسقوط دلالة على انتشابهم فى أشراك الفتنة انتشابا سريعا بقوة فصار يعسر خلاصهم معه ﴿ و ان جهنم لمحيطة ﴾ أى بسبب إحاطة الفتنة - التى أسقطوا[10] أنفسهم فيها - بهم، و إنما قال: ﴿ بالكفرين ه ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : همهم (٣) فى ظ : ممن (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : بالسفر (٦) من ظ ، و فى الأصل : الدنيا (٧) من ظ ، و فى الأصل : نقصه - كذا (٨) فى ظ : ليحصل (٩) زيد ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : سقطوا .

تعميا و تنبيها على الوصف الذى حملهم على ذلك .

و لما كان كأنه قيل : ما الفتنة التى سقطوا فيها فأحاطت بهم جهنم بسببها ؟ قيل : ﴿ ان ﴾ أى هى كونهم أن ، و يجوز أن يكون[1] علة لإحاطة جهنم بهم ، [ و كأنهم - لأجل أنهم من الأوس و الخزرج فالأنصار أقاربهم - خصوا النبى صلى الله عليه و سلم بالعداوة و شديد الحنق ، و كذا ٥ أيضا كان لا يسوءهم و يسرهم من الحسنة و السيئة إلا ما له وقع - بما أذن به التعبير بالإصابة دون المس - لا ما دونه ، حفظا لقلوب أقاربهم و رعيا لأسرار نسائهم ، فقال إشارة إلى ذلك - [2] ] : ﴿ تصبك ﴾ أى بتقدير الله [ ذلك - [2] ] ﴿ حسنة ﴾ أى[3] بنصر أو غيره ﴿ تسؤهم ج ﴾ أى لما فى قلوبهم من الضغن و المرض ﴿ و ان تصبك مصيبة[4] ﴾ أى [ نكبة - [2] ] ١٠ و إن صغرت كما وقع يوم أحد ﴿ يقولوا ﴾ أى سرورا و تبجحا بحسن آرائهم ﴿ قد اخذنآ امرنا ﴾ أى عصينا الذى أمرنا و لم نسلم قيادنا لأحد فنكون[5] كالأعمه[6] ، لأن الأمر الحادثة و ضد النهى ، و منه الأمير ، رجل إمّر و إمرة - بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهمزة و تفتح[7] : ضعيف الرأى ، يوافق كل أحد على ما يريد من أمره كله ، و هو الأعمه[8] ١٥

---

(١) فى ظ : تكون (٢) زيد ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ : بتقدير الله .
(٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : سيئة (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيكون (٦) وقع فى الأصل و ظ : كالامعه - مقلوبا عما أثبتناه ، و ليس فى المعاجم ما ينص على مادته المقلوبة ، و العمه هو فى البصيرة مثل العمى فى البصر كما قاله ابن الأثير (٧) فى ظ : بفتح (٨) فى الأصل و ظ : الامعه .

وزنا و معنى ﴿من قبل﴾ أي قبل أن تكون هذه المصيبة ، فلم نكن مؤتمرين بأمره فيصيبنا فلم يكن ما أصاب من تبعه ، فكان أمرهم - لو كانوا مطيعين - كان شيئا متحققا بيد الآمر ، فلما عصوه كانوا كأنهم قد أخذوه منه.

و لما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة ، فكان جديرا بأن ٥ لا يقال[1] ، و إن قيل كان حقيقا بأن يستقال بالمبادرة إلى الرجوع عنه و الاستغفار منه ، أشار تعالى إلى تماديهم فيه فقال : ﴿و يتولوا﴾ أي عن مقامهم هذا الذي قالوا فيه ذلك و إن طال إلى إهاليهم ﴿وهم فرحون﴾ أي لمصيبتكم لكفرهم[2] و لخلاصهم منها.

و لما كان قولهم هذا متضمنا / لتوهمهم القدرة على الاحتراس من ٥٠٩ / ١٠ القدر[3] ، قال تعالى معلما بجوابهم مخاطبا للرأس لعلو المقام : ﴿قل﴾ أي إنا نحن لا نقول مقالتكم لمعرفتنا بأنا لا نملك ضرا و لا نفعا ، بل نقول : ﴿لن يصيبنآ﴾ أي من الخير و الشر ﴿الا ما كتب﴾ أي قدر ﴿الله﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة و علما ، [ و لما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن إن أصابته سراء شكر و إن أصابته ضراء صبر ، عبر باللام فقال -[4] ] : ١٥ ﴿لنا ج﴾ أي لا يقدر على رده عنا إلا هو سبحانه ﴿هو﴾ أي وحده ﴿مولىٰنا ج﴾ أي القريب منا الذي يلي جميع أمورنا ، لا قريب منا سواه ، فلو أراد لدفع عنا كل مصيبة لأنه أقرب إلينا منها ، لا تصل إلينا بدون علمه و هو قادر ، فنحن نعلم أن له في ذلك لطيف سريرة تتضاءل دونها ثواقب الأفكار و تخسأ عن الإحاطة بتحقيقها نوافذ الأبصار فنحن ٢٠ لا نتهمه في قضائه لأنا قد توكلنا عليه و فوضنا أمورنا إليه ، و الموكل

(١) في ظ : لا يقاتل (٢) في ظ : لكفركم (٣) في ظ : القدرة (٤) زيد من ظ.

لا يتهم الوكيل ﴿ وعلى الله ﴾ أى الملك الأعلى لا غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون ٥ ﴾ أى كلهم توكلا عظيما جازما لا معدل عنه ، فالفيصل بين المؤمن والكافر هو إسلام النفس إليه وحده بلا اعتراض عليه يقلبها كيف يشاء[1] ويحكم فيها بما يريد .

٥ ولما تضمن ذلك أن سراءهم وضراءهم لهم خير من حيث أن الرضى بمر القضاء موجب لإقبال القاضى على المقضى[2] عليه بالرأفة والرحمة ، صرح بذلك فى قوله : ﴿ قل هل تربصون ﴾ أى تنتظرون انتظارا عظيما ﴿ بنآ الآ احدى الحسنيين ﴾ أى وهى أن نصيب أعداءنا فنظفر ونغنم ونؤجر أو يصيبونا بقتل[3] أو غيره فنؤجر ، وكلا الأمرين حسن : أما ١٠ السراء التى توافقوننا[4] على حسنها فأمرها واضح ، وأما الضراء فموجبة لرضى الله عنا ومثوبته لنا بالصبر عليها ورضانا بها إجلالا له وتسليما لأمره فهى[5] حسنى كما نعلم لا سوأى كما تتوهمون ﴿ ونحن نتربص بكم ﴾ أى ننتظر إحدى السوأيين وهى ﴿ ان يصيبكم الله ﴾ أى الذى له جميع القدرة ونحن من حزبه ﴿ بعذاب من عنده ﴾ أى لا تسبب لنا فيه كما ١٥ أهلك القرون الأولى بصائر للناس ﴿ او بايدينا ﴾ أى بسببنا من قتل أو نهب وأسر وضرب وغير ذلك لأن حذركم لا يمنعكم من الله ، وكل ذلك مكروه عندكم .

ولما تسبب عن هذا البيان أن السوء خاصة بحزب الشيطان ، حسن

(١) فى ظ : شاء (٢) من ظ ، وفى الأصل : المقتضى (٣) من ظ ، وفى الأصل : بعتد (٤) فى ظ : توافقونها (٥) فى ظ : فهو .

أن يؤمروا تهكما [ بهم -[1] ] [2]بما أداهم[2] إلى ذلك تخسيسا لشأنهم فقال : ﴿ فتربصوا ﴾ أى أنتم ﴿ انا ﴾ أى نحن ﴿ معكم متربصون ۝ ﴾ أى بكم، نفعل كما تفعلون، و القصد[3] مختلف، و الآية[4] من الاحتباك : حذف أولا الإصابة للدلالة عليها بما أثبت ثانيا، و ثانيا إحدى السوأيين للدلالة ٥ عليها باثبات الحسنيين أولا .

و لما كان من جملة ما يصيبهم منهم من العذاب الإنفاق بتزكية ما طهر من أموالهم بالإعانة فى سبيل الله خوفا من اتهامهم بالنفاق فى أقوالهم ليفتدوا أنفسهم به من السفر، قال : ﴿ قل انفقوا ﴾ أى أوجدوا الإنفاق لكل ما يسمى إنفاقا ﴿ طوعا اوكرها ﴾ أى مظهرين الطواعية ١٠ أو مظهرين الكراهية ؛ و لما كان الإعراض عنهم إنما سببه كفرهم لا إنفاقهم، لم يربط الجواب بالفاء بل قال : ﴿ لن يتقبل منكم ط ﴾ أى يقع تقبل لشيء يأتى من قبلكم أصلا من أحد له أن يتقبل كائنا من كان، و لذلك بناه للمفعول، لأن قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة فى الإنفاق و لا فى غيره، فانقسام إنفاقكم إلى طوع و كره إنما هو باعتبار الظاهر، وكأنه ١٥ عبر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهرا ؛ و لما كان غير مقبول باطنا على حال من الأحوال علل بقوله : ﴿ انكم كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ قوما فسقين ۝ ﴾ [5]أى عريقين فى الفسق بالغين أنهى غاياته -[5] .

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل : الفصل (٤) زيد بعده فى الأصل : مبنيا، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥-٥) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « عبر بالمجرد » و الترتيب من ظ .

و لما

و لما علل بالعراقة[1] فى الخروج عن الطاعة، بينه فى قوله: ﴿ و ما منعهم ان تقبل ﴾ أى باطنا، و لذا عبر بالمجرد، [و لذا بناه للفعول لأن النافع القبول فى نفس الأمر لا كونه من معين - [2]] ﴿ منهم نفقتهم ﴾ أى و إن جلت ﴿ الآ انهم كفروا / بالله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال من الجلال و الجمال لفساد جبلاتهم و سوء غرائزهم[3]. ٥ / ٥١٠

و لما كان قبول النفقات مهيئا للطهارة التى تؤثرها[4] الصلاة، كان السياق لعدم قبولها - ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم - أبلغ لأنه أدل على الخبث، فأكد[5] كفرهم بزيادة الجار إشعارا بأن الكفر بكل منهما على حياله مانع فقال: ﴿ و برسوله[6] ﴾ أى فسقهم بأنهم غير مؤمنين و هو السبب المانع بمفرده من القبول؛ ثم قدح فى شاهدى ما يظهرون ١٠ من الإيمان و هما الصلاة و الزكاة و غيرهما من الإنفاق فى الخيرات بما هو لازم للكفر و دال عليه فقال: ﴿ و لا ياتون الصلوٰة ﴾ أى المفروضة و غيرها ﴿ الا و هم كسالى ﴾ أى فى حال كسلهم، لا يأتونها قط بنشاط ﴿ و لا ينفقون ﴾ أى نفقة من واجب أو غيره ﴿ الا و هم كرهون ه ﴾ أى فى حال الكراهة و إن ظهر لكم[7] خلاف ذلك، و ذلك كله لعدم ١٥ النية الصالحة و اعتقاد الآخرة، و هذا لا ينافى طوعا لأن ذلك بحسب الفرض أو الظاهر و هذا بحسب الواقع.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: غرائزه.
(٤) فى ظ: تورها (٥) من ظ، و فى الأصل: اكد (٦) فى ظ: رسوله (٧) فى ظ: لهم.

و لما انتفى عن أموالهم النفع الأخروى الذى هو النفع، تسبب عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها و عدم اعتقاد أن فيها بركة و دلالة على خير، فقال - مبينا ما فيها من الفساد الذى يظن أنه صلاح: ﴿فلا﴾ - بفاء السبب، فالسياق أبلغ من سياق الآية بعد
٥ النهى عن الصلاة عليهم[1] ﴿تعجبك اموالهم[2]﴾ أى و إن أنفقوها فى سبيلى و جهزوا بها الغزاة. فان ذلك عن غير إخلاص منهم و لا حسن نية و لا جميل طوية، و إنما هو لما أذلهم من عزة الإسلام و أخافهم من سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب، وعطف عليها الأولاد لمشاركتها [لها - [3]] فى الملاذ و القوة و الاستعمال فى الجهاد، فقال مؤكدا للنفى
١٠ باعادة النافى[4]: ﴿و لآ اولادهم ط﴾ فكأنه قيل: فما ذا يراد باعطائهم ذلك؟ و لو منعوها و أعطيها المخلصون لكان قوة للدين، فقال: ﴿انما يريد الله﴾ أى بوقع الإرادة لهم بها الملك الذى له الإحاطة بجميع الحكمة كما أن [له - [3]] الإحاطة بتمام القدرة، و أبلغ فى الحصر بادخال اللام[5] فى قوله: ﴿ليعذبهم﴾ أى لأجل أن يعذبهم ﴿بها فى الحيوٰة﴾ أى و إن
١٥ كان يترا آى أنها لذيذة، لأن ذلك من شأن الحياة فانما هى لهم موت فى الحقيقة ﴿الدنيا﴾ أى تارة بجمعها و تربيتها و تارة ببذلها كرها فى سبيل الله أو فى تزكيتها و تارة بغير ذلك ﴿و تزهق﴾ أى و إنما يريد بتمكينهم منها[5] لأجل أن يخرج وقت الموت بغاية الصعوبة ﴿انفسهم﴾

(١) راجع آية ٨٥ (٢) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: اموالكم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: النفى (٥) سقط من ظ.

أى بسببها ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ كفرون ه ﴾ أى عريقون فى الكفر ، و هكذا كل من أراد استدراجه سبحانه فانه فى الغالب يكثر أموالهم و أولادهم لنحو هذا لأنهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم[1] و حسن حالتهم[2] فيستمرون عليها[2] حتى يموتوا فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل فتنتهم و محنتهم ، وأماالدين ٥ فان القادر يقويه بغير ذلك فيكون[3] أظهر لدليله و أوضح[4] لسبيله ؛ فالحاصل أنه ظهر لهم أنهم أكرموا بها و خفى عنهم أنها سبب لعذابهم فى الحياة باتكالهم[5] عليها ، و فى الممات بصعوبته عليهم[6] المشار إليه بالزهوق ، و فى الآخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها[7] ، و أما المؤمن فلا يموت حتى[8] يرى من الثواب ما يسليه عن كل شيء فيشتاق إلى ١٠ لقاء الله و تخرج نفسه و هو فى غاية المحبة لخروجها لأن البدن عائق له عما يرى .

و لما وضح بهذه الأمور منابذتهم للمؤمنين و خروجهم من ربقة الدين المصحح لوصفهم بالفسق ، أوضح لبسا آخر من أحوالهم يقيمونه بالأيمان الكاذبة فقال : ﴿ و يحلفون ﴾ أى طلبوا لكم الفتنة و الحال أنهم يجددون ١٥ الأيمان / ﴿ بالله ﴾ أى على ما له من تمام العظمة ﴿ انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ لمنكم ﴾ أى أيها المؤمنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا ﴿ و ما ﴾ / ٥١١

(١) فى ظ : لكرمتهم (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : فيتشمرون عليها .
(٣) فى ظ : ليكون (٤) من ظ ، و فى الأصل : اصح (٥) من ظ ، و فى الأصل : باتكلابهم - كذا (٦) فى ظ : عليه (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا .

أى و الحال أنهم ما ﴿ هم ﴾ صادقين فى حلفهم أنهم ﴿ منكم و لكنهم قوم ﴾ أى مع أن لهم قوة و قياما شديدا فيما يحاولونه ﴿ يفرقون ﴾ أى يخافون منكم على دمائهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجئ لهم إلى الحلف كذبا على التظاهر بالإسلام ، فكأنه قيل : فما لهم يقيمون بيننا و المبغض لا يعاشر من يبغضه ؟ فقيل : لأنهم لا يجدون ما[1] يحميهم منكم ﴿ لو يجدون ملجا ﴾ أى شيئا يلجأون إليه من حصن أو جبل أو قوم يمنعونهم منكم ﴿ او مغرت ﴾ فى الجبال تسعهم ، جمع مغارة - مفعلة من غار فى الشيء - إذا دخل فيه . و الغور : ما انخفض من الأرض .

و لما كانت الغيران - و هى النقوب فى الجبال - واسعة و الوصول إليها سهلا ، قال : ﴿ او مدخلا ﴾ أى مكانا يدخلونه بغاية العسر و الصعوبة لضيقه أو لمانع[2] فى طريقه أو قوما يداخلونهم و إن كانوا يكرهونهم - بما أرشد إليه التشديد : ﴿ لولوا اليه ﴾ أى لاشتدوا فى التوجه إليه متولين مرتدين[3] عنكم على أعقابهم ﴿ و هم يجمحون ﴾ أى حالهم حال الدابة التى كانت مسرعة فى طواعية راكبها فاذا هى قد نكصت على عقبها ثم أخذت فى غير قصده بغاية الإسراع و نهاية الرغبة و الداعية لا يردها بئر تقع فيه و لا مهلكة[4] و لا شيء .

و لما قرر حال من يتخلف عن الجهاد ، و ربما بذل ماله[5] فيه افتداء لسفره ، شرع فى ذكر من يشاركه فى الإنفاق [ و النفاق و يخالفه - [6] ]

---

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : مانع (٣) فى ظ : مدبرين (٤) من ظ ، و فى الأصل : مهلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : مال (٦) زيد من ظ .

فقال: ﴿ و منهم من يلمزك ﴾ أى يعيبك عند مشاكليه[1] على طريق الملازمة فى ستر[2] و خفاء أو تظاهر و قلة حياء ﴿ فى الصدقت ج ﴾ أى اللاتى تؤتيها لأتباعك، [ و لما أخبر عن اللمز، أخبر أنه لحظ نفسه لا للدين فقال - [3] ]: ﴿ فان اعطوا منها رضوا ﴾ أى عنك[4] ﴿ و ان لم يعطوا منهآ ﴾ فاجأوا السخط الذى يتجدد فى كل لحظة و لم يتخلفوا عنه أصلا، و عبر عن ٥ ذلك بقوله: ﴿ اذا هم يسخطون ه ﴾ فوافقوا الأولين فى جعل الدنيا همهم، و خالفوهم فى أن أولئك أنفقوا ليتمتعوا بالتخلف و هؤلاء طلبوا ليتنعموا بنفس المال الذى يأخذونه؛ قيل: إنها نزلت فى ذى الخويصرة[5] لما قال للنبى صلى الله عليه و سلم و هو يقسم غنائم حنين: اعدل يا محمد! فانى لم أرك تعدل، فقال له النبى صلى الله عليه و سلم: ويلك! و من يعدل ١٠ إذا لم أعدل؟ و سيأتى حديثه.

و لما أخبر تعالى عن حالهم السيئ [ الدنيء - [6] ] الذى لا يجديهم فى الدنيا و يهلكهم فى الأخرى[4]، نبههم على ما هو الأصلح [7]لهم من[7] الحال الشريف السنى فقال: ﴿ و لو انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ رضوا مآ[8] اتـهم الله ﴾ أى المنعم بجميع النعم لأن له جميع الكمال ﴿ و رسوله لا ﴾ الذى عظمته ١٥ من عظمته قل ذلك المؤتى أو كثر طال زمنه أو قصر ﴿ و قالوا ﴾ أى مع الرضى[9] ﴿ حسبنا الله ﴾ أى كافينا لأن له جميع العظمة فهو الغنى المطلق.

---

(١) فى ظ: شياطينه - كذا (٢) فى ظ: تستر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: عندك (٥) و اسمه حرقوص بن زهير - راجع لباب التأويل ٣ / ٨٨ (٦) فى ظ: الآخرة (٧ - ٧) فى ظ: فى (٨) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: بما. (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها.

و لما كانت الكفاية تارة تكون بالتنجيز العاجل و تارة بالوثوق بالوعد الآجل ، بين أن الثانى هو المراد لأنه أدل على الإيمان فقال: ﴿ سيؤتينا الله ﴾ أى الملك الأعظم بوعد لا خلف فيه و اعتقدوا أن لا حق لأحد[1] فقالوا[2]: ﴿من فضله و رسوله﴾ أى الذى لا يخالف

٥ أمره ، [ على - [3] ] ما قدر لنا فى الأزل ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم: ﴿ انآ الى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده ﴿ رٰغبون ﴾ أى عريقون فى الرغبة ، فلذلك نكتفى بما يأتى من قبله كائنا ما كان ، أى لكان ذلك خيرا لهم لأنه لا ينالهم إلا ما قسم سبحانه لهم شاؤا أو أبوا.

و لما أخبر عن لمزهم فى الصدقات و قرر ما هو خير لهم إرشادا لهم

١٠ إلى النجاة ، علل فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم [ فيها - [3] ] و بين أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الأكمل غيره لمزوا أو[4] تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرا / [[5] - بأداة القصر ٥١٢/ على ما ذكر: ﴿ انما الصدقٰت ﴾ أى هذا الجنس بجميع ما صدق من أفراده ، و الظاهر أنه قدم الأهم فالأهم ، فلذا قال الشافعى: إن

١٥ الفقير أشدهم حاجة لكونه ابتدأ به ، فقال: ﴿ للفقرآء ﴾ أى الذين لا شىء لهم أو لهم شىء لا يقع موقعا من كفايتهم ﴿ و المسٰكين ﴾ أى الذين لا كفاية لهم بدليل "اما السفينة[6]" - الآية ، و أما "مسكينا

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: فقال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ «و» (٥) ومن هنا تعرض الأصل لنقص صفحتين كاملتين: ٥١٢ و ٥١٣ ، فسددنا هذا النقص بنسخة ظ (٦) سورة ١٨ آية ٧٩ .

دا متربة"[1] فتقييده دل على أن المطلق بخلافه ﴿و العملين عليها﴾ أى المؤتمنين فى السعاية و الولاية على جمعها ﴿و المؤلفة قلوبهم﴾ أى[2] ليسلموا أو يسلم بسببهم غيرهم أو يثبتوا على إسلامهم؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: بعث إلى النبى صلى الله عليه و سلم بشىء فقسمه بين أربعة و قال: أتألفهم، فقال رجل: ما عدلت! ٥ فقال: يخرج من ضئضئ[3] هذا قوم يمرقون من الدين. و فى رواية: فاستأذنه رجل[4] فى ضرب عنقه فقال: لا، دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم - الحديث. و لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[5].
و لا يقال: إن العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فان عمله بالمقام الخضرى - كما تقدم - أنه ما من كرامة لنبى إلا و له صلى الله عليه و سلم ١٠ مثلها أو أعلى[6] منها بنفسه أو بأحد من أمته.

و لما فرغ من هذه[7] الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة فى أيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤا، كما دل عليه التعبير [ باللام، ذكر الذين يعطون الصدقة لقضاء ما بهم كما دل عليه التعبير -[8] ] بـ «فى»

(١) سورة ٩ آية ١٦ (٢) فى ظ: او (٣) و الضئضئ: النسل (٤) و رواية البغوى فى المعالم تنص على أنه عمر بن الخطاب - راجع هامش لباب التأويل ٣/٨٨.
(٥) و هذه الرواية قد خرجها فى كنز العمال - قتل الخوارج (٦) فى ظ: على - كذا (٧) تأخر فى ظ عن «الأصناف» (٨) ما بين الحاجزين زدناه لاستقامة العبارة، و هو أقرب نسج على منوال المؤلف، و قال فى لباب التأويل ٣/٩٢: و هى أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات =

فقال : ﴿ و في الرقاب ﴾ أي و المكاتبين بسبب فك رقابهم من الرق ﴿ و الغرمين ﴾ أي الذين استدانوا في غير معصية ، يصرف ما يعطونه إلى قضاء ديونهم فقط ﴿ و في ﴾ أي و المجاهدين في ﴿ سبيل الله ﴾ أي الذي له الأمر كله بالنفقة و الحمل و الإعانة بالسلاح و غير ذلك ،
٥ ونقل القفال[1] عن بعض الفقهاء أنه عمم السبيل فأجاز صرفه إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى و عمارة المساجد و نحوها ﴿ و ابن السبيل ط ﴾ و هو المسافر المنقطع عن بلده ، يعطى ما يوصله [ إليه ، ففيه إشارة -[2] ] إلى أن رسولنا صلى الله عليه و سلم لم يفعل ما أدى إلى لمزهم له بسببه إلا بأمر حقا ، فانا قد عيّنا له أهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشيء
١٠ من الأشياء لأنه واقف عند ما يرضينا ، فان كانوا منهم أعطاهم و إلا منعهم رضي من رضي و سخط من سخط ، و قد فرض ذلك ، أو ثابتة[3] للفقراء حال كونها ﴿ فريضة ﴾ كائنة ﴿ من الله ط ﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة و علما لعلمه بأن في ذلك أعظم صلاح ، و هذا كالزجر عن مخالفة الظاهر ﴿ و الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أي بالغ العلم
١٥ بما يصلح الدين و الدنيا و يؤلف بين قلوب المؤمنين ﴿ حكيم ﴾ أي فهو

= فيصرفون ذلك فيما شاؤا ، و أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق و لا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه .

(١) و المشهور بالقفال في الفقهاء الشافعية سعيد بن عمرو النجار و عبد الله بن أحمد المروزي و محمد بن علي الشاشي و ابنه القاسم بن محمد بن علي الشاشي (٢) زدناه لتعديل العبارة (٣) في ظ : تابيه - كذا .

يجعل أفعاله من الإحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها ؛ قال أبو حيان : « بما » [ إن - [1] ] كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها ، و إن [ كانت - [1] ] لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط الحكم بالوصف يقتضى التعليل به ، و التعليل بالشيء يقتضى الاقتصار عليه . و حكمة الزكاة من جهة المالك أن المال محبوب لأنه يحصل المحبوب ٥ و التمادى فى حبه يوجب[2] الإعراض عن الله المعطى له ، فكان من الحكمة تذكير المالك له بالمالك الحقيق فى أنه أوجب عليه إخراج طائفة منه ليكف منه انصباب النفس بالكلية إليه و يطهر النفس عن محبتها له و يطهره عن محض الإنفاق فى الشهوات ، و من جهة الآخذ أنه لما اجتمعت حاجته إليه و حاجة المالك - و لو احتمالا - كان هناك ١٠ سببان للتسلط على المال : أحدهما اكتساب المالك له ، و الثانى احتياج الآخذ إليه ، فروعى السببان بقدر الإمكان ، و رجح المالك بابقاء الكثير ، و صرف إلى الآخذ اليسير . و أجرى الشافعى الآية على ظاهرها فقال : إن أخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة و صرف إلى الستة الأصناف . و إن قسم الإمام فعلى سبعة ، و يجب أن يعطى من كل ١٥ صنف ثلاثة أنفس ، و من لم يوجد من الأصناف رد نصيبه على الباقين[3] و يستوى بين الأصناف لا بين آحاد الصنف . و قال[4] أبو حنيفة : يجوز صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج

(١) زيد من البحر المحيط ٥/٥٧ (٢) فى ظ : يعجب (٣) فى ظ : البقين - كذا ، و المسألة مذكورة فى الزكاة من كتاب الأم (٤) فى ظ : قا - كذا .

الصدقة عنهم ، لا أن تكون في جميع الأصناف - و هو قول عمر بن الخطاب و حذيفة و ابن عباس رضي الله عنهم و سعيد بن جبير و عطاء و أبي العالية و ميمون بن مهران[1] .

و لما بين الصنفين السالفين ، و ختم أمرهما بصفتي العلم و الحكمة ،
٥ أتبعهما بصنف آخر يؤذي بما يجعله نقصا في صفات الرسول صلى الله عليه و سلم فيلزم الطعن في علم مرسله و حكمته فقال : ﴿ و منهم الذين يؤذون النبي ﴾ أي الذي أعلى الله مقداره ، فهو ينبئه بما يريد سبحانه من خفايا الأسرار ؛ و لما أخبر بمطلق الأذى الشامل للقول و الفعل ، عطف عليه قوله : ﴿ و يقولون هو ﴾ أي من فرط سماعه لما يقال له ﴿ اذن ﴾
١٠ و مرادهم أنه يصدق كل ما يسمع و يقبل قول كل أحد - كما سمى الجاسوس عينا ؛ قال أبو حيان : كان خذام[2] بن خالد و عبيد بن هلال و الجلاس ابن سويد في آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال بعضهم : لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا ، فقال الجلاس : بل نقول ما شئنا فان محمدا أذن سامعة ، ثم نأتيه فيصدقنا ، فنزلت ، و قيل غير ذلك ،
١٥ يقال : رجل أذن - إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوي فيه الواحد و الجمع[3] - انتهى . و مرادهم أنه صلى الله عليه و سلم لا يعرف مكر[4] من يمكر به و خداع من يخادعه و كذبوا ، هو أعرف الناس بذلك ، و لكنه

---

(١) راجع البحر ٥/٥٧ و ٥٨ (٢) و في البحر المحيط ٥/٦٢ : قدام - كذا ، و ورد هذا الاسم في المغازي للواقدي كما في أصلنا - راجع غزوة تبوك من المغازي (٣) و هذا القول منسوب إلى الجوهري (٤) في ظ : منكر - كذا .

يعرض عند المصالح ، لا يليق بمحاسن الدين غيرها ، بينها تعالى بقوله : ﴿قل اذن خير﴾ ثم بين [ أن - [1] ] نفع ذلك عائد إليهم بقوله : ﴿لكم﴾ ثم فسر ذلك بقوله : ﴿يؤمن﴾ أي يوقع الإيمان للملائكة الذين يأتونه عن الله من التكذيب بأن يصدقهم معترفا ﴿بالله﴾ أى بسبب ما يخبرونه عنه به حق الإيمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال ٥ و الإكرام ؛ و حاصله أن فعل الإيمان ضمن فعل التصديق ثم حذف و انتزعت منه حال أقيمت مقامه ثم حذفت و أتى بصلة تدل عليها كما قالوا في قوله تعالى "و لتكبروا الله على ما هدئكم[2]" أن التقدير : حامدين على ما هداكم ، فالتقدير هنا : يؤمن مصدقا بالله ، فهذا حقيقته و هو يثمر محبة المؤمنين و ولايتهم ، و لذا أتبعه قوله : ﴿و يؤمن للمؤمنين﴾ أي الراسخين ، ١٠ يوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم فى كل ما يخبرونه به مما يحتمل التصديق ، و ذلك لأجل مصالحهم و التأليف بينهم مع ما ثبت من صدقهم ، فانه لو حملهم على عقله و مبلغ علمه يحبه الكاذب و عاقب الخائن بمجرد علمه و تفرسه ، لقصرت عن ذلك غالب الأفهام و تاهت بسببه أكثر الأوهام ، فنفرت القلوب و وقع من الأغلب الاتهام . و لما ١٥ كان التصديق بوجود الإله على ما له من صفات الكمال المقتضى للأمر و النهي عدى بالباء ، و هنا لما كان التصديق إنما هو للاخبار بأيّ شيء كان عدى باللام و أشير - بقصر الفعل و هو متعد - إلى المبالغة فى التصديق بحيث كأنه لا تصديق ] / [3] غيره .

---

(1) زيد لاستقامة العبارة (2) سورة 2 آية 185 (3) ومن هنا استأنف الأصل .

و لما بين سبحانه أن تصديقه ظاهرا و باطنا إنما هو للراسخين فى الإيمان، بين أن تصديقه لغيرهم إنما هو فى الظاهر فقال: ﴿ و رحمة ﴾ أى و هو رحمة ﴿ للذين ءامنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان بألسنتهم ﴿ منكم ﴾ فهو - و الله أعلم - إشارة إلى المنافقين و من فى حكمهم ممن جزم لسانه
٥ و قلبه مزلزل، أى أن إظهار تصديقهم قبولا لما ظهر منهم و ستر قبائح أسرارهم سبب للكف عن دمائهم، و إظهار المؤمنين لمقتهم ربما كان ذلك سببا لصدق إيمانهم بما يرون من محاسن الإيمان بتمادى الزمان، و لا يستبعد كون التعبير بالماضى إشارة إلى المنافقين لا سيما بعد التعبير باسم الفاعل، فقد قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح ما نصه:
١٠ الباب الرابع فى رتب البيان عن تطور الإنسان بترقيه فى درج الإيمان و ترديه فى درك الكفران: اعلم أن الله محيط بكل شيء خلقا و أمرا أولا و آخرا ظاهرا و باطنا و هو حمدة، و له علو فى ظهور أمره و كبير خلقه، و احتجاب[١] فى مقابل ذلك من خلقه و أمره بما أبداه من حكمته و أسباب هداه و فتنته. و ذلك العلو هو إلاهيته، و الاحتجاب
١٥ [٢]هو ملكه، و بينهما إقامة كل خلق لما خلق له و تأييد كل أمر من الأمرين لما أقيم له، و ذلك هو ربانيته[٢] و لكل فتق من خلقه و أمره رتق سابق، و لكل تفاوت سواه، و ذلك هو[٣] رحمانيته، و لكل أقرب فى مدد الحجاب اختصاص و ذلك هو رحيميته، و لكل أبعد فى مدد

(١) من ظ، و فى الأصل: احجاب - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ: فى.



الحجاب

الحجاب بطش منه شديد فى رده إلى القرب ، تلك هى نقمته ، و لكل من تنزلاته العلية ظاهرا و باطنا أمر خاص ، و لكل أمر خلق ، يرد بيان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته و اختصاص رتبة قربه و محل بعده ، و أن الله سبحانه جعل آدم و ذراه خليفة له فى جميع أمره و تفصيله، و أنزل القرآن بناء على[1] جملة ذلك . فاردأ الأحوال لهذا المستخلف ٥ المحل الذى سمى[2] فيه بالإنسان ، و هو حيث أنس بنفسه و غيره و نسى عهد ربه ، فيرد لذلك بناؤه بالذم فى القرآن " قتل الانسان ما اكفره[3] " ، " ان الانسان لربه لكنود[4] " ثم المحل الذى تداركه فيه تنبه[5] لسماع الزجر من ربه ، و هو له بمنزلة سن المميز لابن سبع ، و لا يقع إلا عن اجتماع و تراء ، و ذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم ، أى ترددهم ١٠ بين سماع الزجر من ربهم و غلبة أهوائهم عليهم ، فيرد لذلك بناؤهم بذم أكثرهم فى القرآن " و لكن اكثر الناس لا يعلمون - و لا يشكرون " ثم المحل الذى يتحقق لهم قبول و سماع و إيمان لغائب الأمر و الخلق ، لكنهم يتزلزلون[6] عنه كثيرا عند كل عارضة نيل و خادعة رفعة ، و هو لهم بمنزلة سن المحتلم الذى قد ذاق طعم بدو النطفة من باطنه الناجم ١٥ العقل للنظر فى حقائق المحسوسات ، و ذلك هو السن [ الذى يسمون-[7] ] فيه " الذين امنوا " و هو أول سن التلق ، فلذلك جميع[8] آداب القرآن

(١) من ظ ، و فى الأصل : عن (٢) فى ظ : يسمى (٣) سورة ٨٠ آية ١٧ .
(٤) سورة ١٠٠ آية ٦ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تنبيه (٦) فى ظ : يتنزلون.
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : جمع

و تعليمه إنما مورده أهل هذا السن ، كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول[1] : إذا سمعت الله عز و جل [ يقول - [2] ] " يايها الذين امنوا " فأرعها[3] سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، و كما أن ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ، و ما يخص المميز ٥ لا يدخل فيه البالغ ، كذلك خطاب " الذين امنوا " لم يصل إليه الناس بعد ، و خطاب الناس قد جاوزه " الذين امنوا " لأنهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس ، و قد ائتمروا بما يأتمر به الناس ؛ و هذه الأسنان الخالية / عند أولى البصائر و خاص خطابها أشد ظهورا من ٥١٥ / أسنان الأبدان عند أصحاب الأبصار ، و عدم التبصرة بهذه المراتب فى ١٠ الأحوال و البيان هي أقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن ، و كذلك ما فوق سن " الذين امنوا " من سن " الذين يؤمنون " و هم فى أول حد القرب بمنزلة بلوغ الأشد ، و سن " الذين امنوا " و " الناس " فى مدد حد البعد و لذلك يخاطبون بحرف ' يا ' المرسلة إلى حد البعد : " يايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون ١٥ بالله و رسوله[4] " و فوق ذلك سن المؤمنين و أدنى قربا ، و لذلك لم يرد فى القرآن[5] فى خطابهم ' يا ' البعد ، و هذا السن بمنزلة الاكتهال و سن الشيب ، و تمام سنهم " المؤمنون حقا " و كذلك إلى سن " المحسنين " إلى غيب سن " الموقنين " إلى ما وراء ذلك ، فان أسنان الجسم أرابيع ،

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل وظ : فارعها ، وإعارة السمع كناية عن الإصغاء إلى شيء (٤) سورة ٦١ آية ١٠ و ١١ (٥) من ظ ، و فى الأصل : القرب .

و أسنان القلب أسابيع ، يعرفها من تطور فيها ، و يجهلها من نبت سن قلبه على الجهل و تطور سن جسمه إلى الهرم « يهرم ابن آدم و يشيب منه إثنتان : الحرص و الأمل » فالحرص فقره و لوملك الدنيا ، و الأمل همه و تعبه ، فمن لم يتحقق أسنان القلب و تفاوت خطابها لم ينفتح له الباب إلى فهم القرآن ، و من لم يتضح له تنزلات الخطاب لم يبن[1] له ٥ خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب الملك الديان - انتهى .

و لما بين ما لمن صدقه باطنا أو ظاهرا من الرحمة ، بين ما على من كذبه فآذاه من النقمة فقال : ﴿ و الذين يؤذون ﴾ أى من هؤلاء و من غيرهم ﴿ رسول الله ﴾ أى الذى أظهر - و هو الملك الأعلى - شرفه و عظمته بالجمع بين الوصفين و أعلاه باضافته إليه ، و زاد فى رفعته بالتعبير باسمه ١٠ الأعظم الجامع ، و هو واسطة بين الحق و الخلق فى إصلاح أحوالهم فانما يستحق منهم الشكر و الإكرام لا الأذى و الإيلام .

و لما كان أذاهم مؤلما جعل جزاءهم من جنسه فقال : ﴿ لهم عذاب اليم ﴾ ثم علل ذلك باستهانتهم بالله و رسوله ، و أخبر أنهم يخشون على دمائهم فيصلحون ظواهرهم[2] حفظا لها بالأيمان الكاذبة فقال : ﴿ يحلفون بالله ﴾ ١٥ أى الذى له تمام العظمة ﴿ لكم ﴾ أى أنهم ما آذوا النبى صلى الله عليه و سلم خصوما و لا أولادكم بالمخالفة عموما ؛ و بين غاية مرادهم بقوله : ﴿ ليرضوكم ج ﴾ .

و لما كان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بأذن بالمعنى الذى

(١) فى ظ : لم يبين (٢) فى ظ : خواطرهم .

أرادوه ، بين أنه لم يكن راضيا بإيمانهم لعدم وقوع صدقهم فى قلبه و لكنه أظهر تصديقهم لما تقدم من الإصلاح فقال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ﴿ ورسولهٓ ﴾ أى الذى هو أعلى خلقه ، و بلغ النهاية فى تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة ٥ الراضى لأن كل ما يرضى أحدهما يرضى الآخر فقال : ﴿ احق ان ﴾ أى بأن ﴿ يرضوه ﴾ و لما كان مناط الإرضاء[1] الطاعة و مدار الطاعة الإيمان ، قال معبرا بالوصف لأنه بجزأه[2] : ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ أى فهم يعلمون أنه أحق بالإرضاء فيجتهدون فيه ، و ذلك إشارة إلى أنهم إن جددوا إرضاءه كل وقت كان دليلا على إيمانهم ، و إن خالفوه كان ١٠ قاطعا على كفرانهم .

و لما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكراهة الخزى عند المؤمنين و بين[3] من هو الأحق بأن يرضوه ، أقام الدليل على ذلك فى استفهام إنكار و توبيخ مبينا أنهم فرّوا من خزى منقض فسقطوا فى خزى دائم ، و الخزى : استحياء فى هوان ، فقال : ﴿ الم يعلموآ ﴾ [4] أى لدلالتهم على ١٥ الأحق بالإرضاء[4] . و لما كان ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا أضخم ، أضمر[5] للشأن فقال : ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم ﴿ من يحادد الله ﴾ [ و هو الملك الأعظم ، و يظهر المحاددة - بما أشار إليه الفك -[6] ] ﴿ و رسوله ﴾ أى [ الذى عظمته من عظمته ، بأن -[6] ] يفعل معهما فعل من يخاصم فى

(١) فى ظ : الأرضياه (٢) من ظ ، وفى الأصل : بجزه - كذا (٣) فى ظ : ذكر .
(٤-٤) فى ظ : و لما علم من الدين بالضرورة - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : اضمار (٦) زيد من ظ .

حد

حد أرض فيريد أن يغلب على حد خصمه، و يلزمه أن يكون فى حد غير حده ﴿فأن له نار جهنم﴾ أى فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه ﴿خلدا فيها﴾ أى دائما من غير انقضاء كما كانت نيته المحادة[1] أبدا؛ ثم نبه / على عظمة[2] هذا الجزاء بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن ﴿الخزى العظيم ٥﴾. /٥١٦

و لما علل فعل المستهينين، أتبعه تعليل أمر صنف [آخر - ٣] أخف منهم نفاقا بما عندهم مما يقارب التصديق فقال: ﴿يحذر المنفقون﴾ و عبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيرا لهم من أدنى النفاق فانه يجر إلى أعلاه ﴿ان تنزل[4]﴾ و لما كانت السورة الفاضحة لهم داهية و نائبة من نوائب الدهر و شدائده، عدى الفعل بعلى فقال: ﴿عليهم سورة﴾ ١٠ أى قطعة من القرآن شديدة الانتظام ﴿تنبئهم﴾ أى تخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ﴿بما فى قلوبهم﴾ لم يظهروا عليه أحدا من غيرهم أو أحدا مطلقا، و لعل هذا الصنف كانوا يسلفون الأيمان لعلها تشكك[5] بعض الناس أو تخفف[6] عنهم إذا نزل ما يهتكهم، روى أنهم كانوا يقولون ما يؤدى[7] و يدل على النفاق و[8] يقولون: عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا، و قال ١٥ بعضهم بعد كلام قالوه: و الله إنى لأرانا شر خلق الله و لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة و أنه لا ينزل فينا شىء يفضحنا.

(١) من ظ، و فى الأصل: المحاكه - كذا (٢) فى ظ: عظم (٣) زيد من ظ.
(٤) زيد بعده فى الأصل: عليهم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل: يشكك (٦) من ظ، و فى الأصل: يخفف (٧) فى ظ: نؤذى.
(٨) فى ظ: ما.

و لما كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ ، قال مهددا : ﴿ قل استهزءوا ج ﴾ أي افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ﴿ ان الله ﴾ أي المحيط بكمال العلم و تمام القدرة ﴿ مخرج ﴾ أي كانت له وصف إخراجه ﴿ ما تحذرون ه ﴾ أي إخراجه من قبائحكم ؛ و عن الحسن : كان المسلمون ٥ يسمون هذه السورة الحفارة ، حفرت ما في قلوب المنافقين و أظهرته .

و لما وصفهم بالنفاق ، حققه بعدم مبادرتهم[1] إلى التوبة التي هي فعل المؤمنين ، و باجترائهم على الإنكار مع كون السائل لهم مَنْ بلغ الغاية في الجلال و الوقار و الكمال فقال : ﴿ و لئن سألتهم ﴾ أي و أنت من يجب أن يصدقه مسؤله عما[2] أخرجت السورة مما أظهروا بينهم من ١٠ الكفر ، و ذلك حين قال بعضهم : انظروا إلى هذا الرجل يظن أنه[3] يفتح قصور الشام و حصونها[4] ! هيهات هيهات ! فأعلمه الله فقال : احبسوا على[3] الركب ، [ فسألهم - [5] ] ﴿ ليقولن انما ﴾ أي ما قلنا شيئا من ذلك ، إنما ﴿ كنا نخوض ﴾ أي نتحدث[6] على غير نظام ﴿ و نلعب ط ﴾ أي بما لا حرج علينا فيه و يحمل عنا ثقل الطريق ، فكأنه قيل : فما ذا يقال لهم ١٥ إذا حلفوا على ذلك على العادة ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أي لهم تقريرا على استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا إعلاما بأنه غير أهل لأن يسمع جاعلا[7] لهم كأنهم[8] معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي[9] حرف التقرير ، و ذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و ثبوته تكذيبا لهم

(١) في ظ : مبادرته (٢) في ظ : كما (٣) في ظ : ان (٤) من تفسير الطبري ، و في الأصل و ظ : حصونه ، و زيدت الواو بعده في ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل نتحور - كذا (٧) في ظ : عاجلا (٨) في ظ : بانهم (٩) في ظ : على .

فى قولهم : إنك أذن ، بالمعنى الذى أرادوه ، و بيانا لما فى إظهارك لتصديقهم من الرفق بهم ﴿ ابالله ﴾ أى وهو المحيط بصفات الكمال ﴿ و اٰيٰته ﴾ أى التى لا يمكن تبديلها و لا تخفى[1] على ذى بصر ولا بصيرة ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى عظمته من عظمته و هو مجتهد فى إصلاحكم و تشريفكم و إعلائكم ﴿ كنتم ﴾ أى دائما ﴿ تستهزءون ۝ ﴾ . ٥

و لما حقق استهزاءهم ، أنتج قوله : ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى لا تبالغوا فى إثبات العذر ، و هو ما ينفى[2] الملام ، فان ذلك لا يغنيكم و إن اجتهدتم لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قد كفرتم ﴾ أى بقولكم هذا ، و دل - على أن كفرهم أحبط ما كان لهم من عمل - بنزع الخافض تشديدا على من نكث[3] منهم تخويفا [ له و تحقيقا - [4] ] بحال من أصر [ فقال - [4] ] : ١٠ ﴿ بعد ايمانكم[5] ﴾ أى الذى ادعيتموه بألسنتكم صدقا من بعضكم و نفاقا من غيره .

و لما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم ، بين أنهم / قسمان : أحدهما[5] مطبوع على قلبه و مقضى[6] /٥١٧ توبته و حبه . و هذا الأشرف[7] هو المراد بقوله بانيا للمفعول إعلاما بأن ١٥ المقصود الأعظم هو الفعل ، لا بالنظر إلى فاعل معين : ﴿ ان يعف ﴾ لأن كلام الملك و إن جرى فى مضمار الشرط فهو مرشد إلى تحققه

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يخفى (٢) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٣) فى ظ : تاب (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : مقتضى (٧) من ظ ، و فى الأصل : الاشراف .

ليحصل الفرق بين كلام الأعلى و الأدنى ﴿ عن طآئفة منكم[1] ﴾ أى لصلاحيتها للتوبة ﴿ تعذب طآئفة ﴾ أى قوم ذوو عدد فيهم أهلية الاستدارة[2]، و قرأ عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كانوا مجرمين ۝ ﴾ أى كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير ٥ صفة لهم ثابتة[3] لاتنفك، فهم غير متأهلين للعفو، و شرح هذه القصة أنه كان يسير بين يدى النبى صلى الله عليه و سلم فى غزوة تبوك ثلاثة[4] نفر من المنافقين: اثنان يستهزئان بالقرآن و الرسول، و الآخر يضحك، قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم و يفتح مدائنهم، ما أبعده من ذلك! و قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل فى ١٠ أصحابنا المقيمين فى المدينة قرآن، و إنما هو قوله و كلامه، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه و سلم على ذلك فقال: احبسوا الركب علىّ، فدعاهم و قال لهم: قلتم كذا و كذا؟ فقالوا: "انما كنا [ نخوض و نلعب" أى كنا - [5] ] نتحدث و نخوض فى الكلام كما يفعل الركب لقطع[6] الطريق بالحديث و اللعب؛ قال ابن إسحاق: و الذى عفى عنه رجل واحد ١٥ و هو مخشى[7] بن حمير الأشجعى، يقال: هو الذى كان يضحك و لا يخوض و كان يمشى مجانبا لهم و ينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت [ هذه - [5] ] الآية [ تاب - [8] ]، قال: اللهم! لا أزال أسمع آية تقرأ، تقشعر منها

(١) فى ظ: منهم (٢) فى ظ: الاستداد (٣) فى ظ: نابتة (٤) من ظ و معالم التنزيل ومعظم السياق له - راجع لباب التأويل ٣/٩٦، و فى الأصل: ثلاثون. (٥) زيد من المعالم (٦) من المعالم، و فى الأصل: يقطع، و فى ظ: تقطع (٧) من المعالم، و فى الأصل و ظ: مخشن (٨) زيد من ظ و المعالم.

الجلود ، و تجب منها القلوب ، اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك ! لا يقول أحد : أنا غسلت أنا[1] كفنت أنا دفنت ، فأصيب يوم[2] اليمامة ، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره رضى الله عنه . و لعل إطلاق الطائفة عليه تعظيما له و سترا عليه و تبشيرا بتوبة غيره ، و لعل مخشيا كان مؤمنا و لكن كان إيمانه مزلزلا فلذا عبر هنا بقوله "اكفرتم بعد ايمانكم" ٥ و التعبير بذلك أشنع[3] فى الذم و لا سيما عند العرب لأنهم يتمادحون بالثبات على أيّ أمر اختاروه و يتذامون بالطيش ، و لعل الجلاس المعنى بالقصة الآتية وحده أو مع غيره لم يكن آمن كغيره[4] ممن عنى بها ، و ما آمن إلا حين تاب ، فلذا عبر هناك بقوله "وكفروا بعد اسلامهم"؛ قال أبو حيان : قال ابن[5] عمر : رأيت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة ١٠ رسول الله صلى الله عليه و سلم يماشيها و الحجارة تنكته و هو يقول "انما كنا نخوض و نلعب" و النبي صلى الله عليه و سلم يقول "ابالله و ءايته" - الآية .

و لما بين سبحانه أفعالا و أقوالا لطوائف من المنافقين - منهم من كان معه صلى الله عليه و سلم فى العسكر - هى فى غاية الفساد ، كان ١٥ ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم[6]؟ فقال جوابا عن ذلك و استدلالا على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم : ﴿ المنفقون و المنفقت ﴾ أى الذين أظهروا الإيمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : بدر ، و لم تكن الزيادة فى ظ ولا فى المعالم فحذفناها (٣) فى ظ : ابشع (٤) فى ظ : لغيره (٥) من ظ والبحر المحيط ٥ / ٦٧ ، و فى الأصل : ابو (٦) من ظ ، و فى الأصل : حالتهم .

و أبطنوا الكفران ﴿ بعضهم ﴾ و لما كان مرجعهم الجمود على الهوى
و الطبع و العادة و التقليد من التابع[1] منهم للتبوع ، قال : ﴿من بعض﴾
أي في صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد ، أمورهم متشابهة في أقوالهم
و أفعالهم و جميع أحوالهم ، و القصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان
٥ و لذلك بينه بقوله : ﴿ يامرون بالمنكر ﴾ أي مما تقدم من الخبال[2] و الإيضاع
في الخلال و غير ذلك من سيئ الخصال ﴿ و ينهون / عن المعروف ﴾ ٥١٨/
أي من كل ما يكون فيه تعظيم الإسلام و أهله . يبغون بذلك الفتنة
﴿ و يقبضون ايديهم ﴾ أي يشحون فلا ينفقون إلا و هم كارهون .

و لما كان كأنه قيل : أما خافوا بذلك من معاجلة العقاب ؟ أجابه
١٠ بقوله : ﴿ نسوا الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الأمر كله و لا أمر
لأحد معه ، و يصلح أن يكون علة لما تقدم عليه ؛ و لما أقدموا على
ذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فنسيهم ﴾ أي فعل بهم فعل الناسي[3] لما
استهان به بأن تركهم من رحمته ، فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته ؛
و لما تطبعوا بهذه النقائص كلها ، اختصوا بكمال الفسق فشرح ذلك في
١٥ أسلوب التعجيب[4] من حالهم فقال [مظهرا موضع الإضمار تعميما و تعليقا
للحكم بالوصف -[5]] : ﴿ ان المنفقين هم ﴾ أي خاصة ﴿ الفسقون ه ﴾
أي الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراسخون في ذلك ، فقد علم
بهذا[6] أنهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لأن الكل من طينة واحدة .

---

(١) في ظ : المتابع (٢) في ظ : الخبال (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في ظ : التعجب (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : بذلك .

و لما بين كثيرا من أحوالهم فاشتد التشوف إلى مآلهم و كان مقصودهم باظهار الإيمان و الاعتذار عن النقائص بتأكيد الأيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين و التحبب طمعا فى العيش فى أكنافهم و فرقا من المعاجلة بما يستحقون [1]من إتلافهم[1] ، بين أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم و الطرد اللازم ، و جمع معهم المصارحين بالكفر إعلاما ٥ بأنهم إن[2] لم يكونوا أعظم عنادا منهم فهم سواء ، فقال : ﴿ وعد الله ﴾ وساقه بصيغة البشارة تهكما بهم و إبلاغا فى مساءتهم ﴿ المنفقين والمنفقت ﴾ أى المساترين[3] باعتقادهم ﴿ و الكفار ﴾ أى المجاهرين فى عنادهم .

و لما كانوا مجبولين على تجهم المؤمنين و الانقباض عنهم ، و إن أظهروا خلاف ذلك فهو تصنع ، قال : ﴿ نار جهنم ﴾ أى النار[4] التى ١٠ من شأنها تجهم أهلها و لقاؤهم[5] بالعبوسة الزائدة ﴿ خلدين فيها ﴾ أى لا براح لهم عنها ﴿ هى حسبهم ﴾ أى كافيتهم فى العذاب . لكن لما كان الخلود قد يتجوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج ، قال : ﴿ و لعنهم الله ﴾ أى طردهم و أبعدهم من رحمته و هو الملك العليم الحكيم الذى لا أمر لأحد معه فأفهم أنه لا[3] فرج لهم ، ثم نفى كل احتمال ١٥ بقوله : ﴿ و لهم ﴾ أى بالأمرين ﴿ عذاب مقيم ۝ ﴾ أى لا وصف له غير الإقامة فى الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الإسلام و جنوده الكرام الأعلام ، و فى الآخرة بما لا يعلمه حق علمه إلا [ الله -[6] ]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : المستاثرين (٤) فى ظ : الدار (٥) من ظ ، وفى الأصل : القاوهم (٦) زيد من ظ .

الملك العلام .

و لما كان حالهم فى الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة و الإعراض عن العاقبة لأنها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية و القرون الماضية ، بين لهم ذلك و ختم ببيان سوء أحوالهم و قبح مآلهم ٥ بتلاشى أعمالهم فقال ملتفتا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع فى باب العتاب و أقعد فى استجلاب المصالح للمتاب : ﴿ كالذين ﴾ أى حاصل ما مضى من أمركم أيها المنافقون أنكم مثل الذين ؛ و لما كان فاعل ما يذكر إنما هو بعض من مطى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى من الأمم الخالية ، ثم شرع فى شرح حالهم و ذكر وجه الشبه فقال : ﴿ كانوآ ١٠ اشد منكم قوة ﴾ لأن الزمان كان إذ ذاك أقرب إلى سن الشباب ﴿ و اكثر اموالا و اولادا[1] ﴾ و هذا[2] ناظر إلى قوله " فلا تعجبك اموالهم و لا اولادهم " ﴿ فاستمتعوا ﴾ أى طلبوا المتاع و الانتفاع فى الدنيا بغاية الرغبة معرضين عن العقبى ﴿ بخلاقهم ﴾ أى نصيبهم الذى قدره الله و خلقه لهم ، و كان الأليق بهم[3] أن يتبلغوا به فى السفر الذى لا بد منه ١٥ إلى الآخرة ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم ﴾ أى كالمقتفين لآثارهم و القاصدين لنارهم ﴿ كما استمتع ﴾ و فى الإتيان بقوله - : ﴿ الذين ﴾ / و لما كانوا لم يستغرقوا /٥١٩ الزمن الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم بخلاقهم ﴾ - ظاهرا غير مضمر تنبيه على ذمهم بقلة النظر لأنفسهم المستلزم لقلة عقولهم حيث كانوا دونهم فى القوة أبدانا و أموالا و أولادا و لم يكفوا عن الاستمتاع

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : هو (٣) سقط من ظ .

والخوض

و الخوض خوفا مما حق أولئك الأحزاب على قوتهم من العذاب من غير أن ينفعهم سبب[1] من الأسباب ﴿ و خضتم ﴾ أى ذهبتم فى أقوالكم و أفعالكم خبطا[2] على غير سنن قويم ﴿ كالذى ﴾ أى كخوضهم الذى ﴿ خاضوا[1] ﴾ و هو ناظر إلى قولهم[3] " انما كنا نخوض و نلعب "، قال أبو حيان : و هو مستعار من الخوض فى الماء و لا يستعمل إلا فى الباطل ٥ لأن التصرف فى الحق إنما هو على ترتيب و نظام ، و أمور الباطل إنما هى خوض ، و منه قوله « رب[4] متخوض فى مال[5] الله له النار يوم القيامة » .

و لما آذن هذا النظم لهم بالخسارة[6] ، حصل التشوف إلى عاقبة أمرهم فأخبر عن ذلك بقوله : ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء من الخير ، و الظاهر أنه إشارة إلى الذين وصفهم بالشدة و كثرة الأموال و الأولاد ١٠ ﴿ حبطت ﴾ أى فسدت فبطلت ﴿ اعمالهم فى الدنيا ﴾ أى بزوالها عنهم و نسيان لذاتها ﴿ و الأخرة ﴾ أى و فى الدار الباقية لأنهم لم يسعوا لها سعيها ؛ و زاد فى التنبيه على بعدهم مما قصدوا لأنفسهم من النفع فقال : ﴿ و اولٓئك هم ﴾ أى خاصة ﴿ الخٰسرون ه ﴾ أى لا خاسر فى الحقيقة غيرهم لأنهم خسروا خلاقهم فى الدارين فخسروا أنفسهم فلا أخسر ممن ١٥ تشبه [ بهم - [7] ] ، و لعل فى الالتفات[8] إلى مقام الخطاب أيضا إشارة إلى تحذير كل سامع من[9] مثل هذه الحال[10] لصحة أن يكون مرادا بهذا المقال ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : بسبب (٢) فى ظ : خطبا (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : ربما - كذا ، و راجع البحر المحيط ٥ / ٦٩ (٥) فى ظ : لمال (٦) فى ظ : الكسارة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : التفات (٩) فى ظ : فى . (١٠) فى ظ : الحالة .

فان من أسرار القرآن فى إعجازه أن تكون عبارته متوجهة إلى شىء و إشارته شاملة لغيره من حيث اتصافه[1] بعلة ذلك الحال أو غير ذلك من الخلال ؛ قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى آخر عروة المفتاح فى بيان تناول كلية القرآن لكلية الآية و لكل قارئ يقرأه من أهل الفهم و الإيقان :
٥ اعلم أن الله سبحانه و تعالى أنزل القرآن نبأ عن[2] جميع الأكوان ، و أن جميع ما أنبأ عنه من أمر آدم إلى زمان محمد عليهما السلام من أمر النبوات و الرسالات و الخلافات و أصناف الملوك و الفراعنة و الطغاة و أصناف الجناة و جميع ما أصابهم من المثوبات و المثلات فى يوم آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو ستة آلاف سنة
١٠ و نحوها كل ذلك يتكرر[3] بجملته فى يوم محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو ألف سنة أو نحوها أعدادا بأعداد و أحوالا بأحوال فى خير أو شرف ، لكل من الماضين مثل يتكرر ٣ فى هذه الأمة الخاتمة [ كما قال صلى الله عليه و سلم - [4] ] « لكل نبي قبلى فى أمتى نظير » ثم ذكر صلى الله عليه و سلم نظراء « مثل إبراهيم كأبى بكر ، و مثل موسى كعمر ، و مثل هارون
١٥ كعثمان ، و مثل نوح كعلى ، و مثل عيسى كأبى ذر » و قال صلى الله عليه و سلم « إنى لأعرف النظراء من أمتى بأسمائهم و أسماء آبائهم و عشائرهم كافرهم و مؤمنهم ممن كان و ممن هو كائن و ممن سيكون بعد ، و لو شئت أن أسميهم لفعلت » فمما[5] صد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن ظنهم أن الذى فيه من قصص الأولين و أخبار المثابين و المعاقبين من أهل

(١) فى ظ : ايصافه (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : متكرر (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فما .

الأديان أجمعين أن ذلك إنما مقصوده [ الأخبار و القصص فقط ، كلا و ليس كذلك ! إنما مقصوده -[1] ] الاعتبار و التنبيه لمشاهدة متكررة في هذه الأمة[2] من نظائر[3] جميع أولئك الأعداد و تلك الأحوال و الآثار حتى يسمع السامع جميع القرآن من أوله إلى خاتمته منطبقا على هذه الأمة[2] و أئمتها هداتها و ضلالها ، فحينئذ ينفتح له باب الفهم و يضيء له ٥ نور العلم و يتجه له حال الخشية و يرى فى أصناف هذه الأمة ما سمع من / أحوال القرون الماضية و إنه كما قيل فى المثل السائر : /٥٢٠

إياك أعني و اسمعي ياجارة[4]

ثم إذا شهد انطباق القران على كلية الأمة[2] فكان بذلك عالما ينفتح له باب ترق ، فيترقى سمعه إلى أن يجد جميع كلية القرآن المنطبق ١٠ على كلية الأمة[2] منطبقا على ذاته فى أحوال نفسه[5] و تقلباته[6] و تصرفات أفعاله و ازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه فينتفع بسماع جميعه و يعتبر بأي آية سمعها منه فيطلب[7] موقعها فى نفسه فيجدها بوجه ما رغبة كانت أو رهبة تقريبا كانت أو تبعيدا إلى أرفع الغايات أو إلى أنزل الدركات ، فيكون بذلك عارفا ، هذا مقصود[8] التنبيه ١٥ فى هذا الفصل جملة ، و لنتخذ لذلك مثالا يرشد[9] لتفهم ذلك الانطباق على كلية الأمة[2] علما و على خصوص ذات القارئ السامع

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاية - كذا (٣) فى ظ : نظير .
(٤) و هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به شيئا غيره - راجع مجمع الأمثال للميداني (٥) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٦) فى ظ : تطبقاته (٧) فى ظ : فيتطلب (٨) من ظ ، و فى الأصل : مقصوده (٩) فى ظ : لا نرشد .

عرفانا ، فاعلم أن أصول الأديان المزدوجة التى لم ترق إلى ثبات حقائق
المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين التى جملتها تحت حياطة الملك
و الجزاء و المداينة ، الذين تروعهم رائعة الموت أولا ثم رائعة القيامة
ثانيا إلى ما يشتمل عليه يوم الدين من أهوال المواقف الخمسين التى كل
٥ موقف منها ألف من السنين فى يوم كان مقداره خمسين[1] ألف سنة ،
فعدد هذه الأديان سبعة ، ما من دين منها إلا و يوجد[2] فى صنف من
أصناف هذه الأمة ، و تجده المعتبر فى نفسه فى وقت ما بقلة أو كثرة
بدوام أو خطرة بضعف أو شدة على إثر دين غالب أو عن لمح عين زائل ،
و هذه الأديان السبعة هى دين "الذين آمنوا" من هذه الأمة
١٠ و لم يتحققوا[3] لحقيقة الإيمان فيكونوا[4] من "المؤمنين" الذين صار الإيمان
وصفا ثابتا فى قلوبهم ، الموحدين المتبرئين من الحول و القوة ، المتحققين
لمعناه ، إقدارا الله عليهم بما شاء لا بما يشاؤن " الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم و اذا تليت عليهم اٰيٰته زادتهم ايمانا و على ربهم يتوكلون - اولئك هم
المؤمنون حقا[5]" ، و أما الذين آمنوا فهم الذين لا يثبتون على حال
١٥ إيمانهم و لكن تارة و تارة ، و لذلك هم المنادون و المنهيون و المأمورون
فى جميع القرآن الذين يتكرر عليهم النداء فى السورة الواحدة مرات[6]
عديدة من نحو ما بين قوله تعالى " يٰايها الذين اٰمنوا اتقوا الله و كونوا
مع الصٰدقين[7] - [8]إلى قوله تعالى[8] : يٰايها الذين اٰمنوا من يرتد منكم

(١) من ظ ، و فى الأصل : خمس (٢) فى ظ : يوخذ (٣) فى ظ : لم تتحققوا .
(٤) فى ظ : تكونون (٥) سورة ٨ آية ٢ و ٤ (٦) من ظ ، و فى الأصل :
مرار (٧) سورة ٩ آية ١١٩ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عن

عن دينه[١]" إلى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى " ان الذين ا‌ٰمنوا ثم كفروا ثم ا‌ٰمنوا[٢]" فهؤلاء هم أهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات من ماضى الأديان المنتظمين مع من له أصل فى الصحة من الأديان الثلاثة[٣] فى نحو قوله تعالى " ان الذين ا‌ٰمنوا و الذين هادوا و النصرى و الصٰبئين من ا‌ٰمن بالله و اليوم الأخر[٤]" المنتظمين أيضا مع المغيرين لأديانهم ٥ و المفترين لدين لم ينزل الله به من سلطان فى نحو قوله تعالى " ان الذين ا‌ٰمنوا و الذين هادوا و الصٰبئين و النصرى و المجوس و الذين اشركوا[٥]" فهذا هو الدين الأول ؛ و أما الدين الثانى فهو دين الذين هادوا و[٣] الذين منهم الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها و الذين ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون : سيغفر لنا ، و إن يأتهم عرض مثله ١٠ يأخذوه و الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ، و الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، و الذين يأكلون الربا و قد نهوا عنه ، و الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الثالث / فدين الذين قالوا : إنا نصارى ، / ٥٢١ الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا فى دينهم و قالوا على ١٥ الله غير الحق و اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله[٣] و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متألهو النجوم عباد الشمس و القمر و الكواكب و مغيروهم ، هم بالترتيب أول من عبد محسوسا

(١) سورة ٥ آية ٥٤ (٢) سورة ٤ آية ١٣٧ (٣) سقط من ظ (٤) سورة ٢ آية ٦٢ (٥) سورة ٢٢ آية ١٧ .

[1]سماويا ؛ و أما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا إلهين اثنين : نورا و ظلمة ، و عبدوا محسوسا آفاقيا ؛ و أما الدين السادس فدين الذين أشركوا و هم الذين عبدوا محسوسا[1] أرضيا غير مصور ، وهم الوثنية أو مصورا و هم الصنمية - فهذه الأديان الستة الموفية[2] لعد الست لما جاء فيه ؛ و أما

٥ الدين السابع فاعلم أن الله سبحانه جعل السابع أبدا جامعا لستة خيرا كانت أو شرا ، فالدين السابع هو دين المنافقين الذين ظاهرهم مع الذين آمنوا و باطنهم مع أحد سائر الأديان الخمسة المذكورة إلى أدنى دين مشركها[3] الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا و اذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم - فهذه الأديان السبعة متكررة بكليتها فى هذه الأمة بنحو مما[4] وقع

١٠ قبل فى الأمم الماضية ، و هو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك فى قوله صلى الله عليه و سلم « لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا بذراع و شبرا بشبر و باعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل فى جحر ضب[5] لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ! كما صنعت فارس و الروم؟ قال : فهل الناس إلا هم » و ما بينه النبى صلى الله عليه و سلم فى هذا الحديث

١٥ هو من مضمون قوله تعالى " كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة و اكثر اموالا و اولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم و خضتم كالذى خاضوا "، و أهل هذه الأديان السبعة هم - أو منهم - عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم ، و الناجون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : المتوفية (٣) فى ظ : شركها .
(٤) فى ظ : ما (٥) من ظ و مسند الإمام أحمد ٢/٣٢٧ ، وفى الأصل : الضب .

بالكلية الفائزون هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين ، و مزيد تفصيل فى ذلك و تثنية قول بما ينبه[١] عليه بحول الله تعالى من جهات تتبع[٢] طوائف من هذه الأمة [٣] سنن من تقدمهم فى ذلك . أما وجه تكرار دين الذين أشركوا فى هذه الأمة[٣] فباتخاذهم أصناما و آلهة يعبدونها من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الأصنام و الأوثان من ٥ الحجارة و الخشب . و اتخذت هذه الأمة بوجه ألطف[٤] و أخفى أصناما و أوثانا . فانها اتخذت[٥] الدينار و الدرهم أصناما و السبائك و النقر أوثانا من حيث أن الصنم هو ما له صورة و الوثن ما ليس له صورة ؛ قال صلى الله عليه و سلم : صنم أمتى الدينار و الدرهم ، و قال صلى الله عليه و سلم : لكل أمة عجل و عجل أمتى الدينار و الدرهم . فلا فرق بين ظن المشرك ١٠ أن الصنم الذى صنعه بيده ينفعه و ظن المفتونين من هذه الأمة أن ما اكتسبوا من الدينار و الدرهم[٦] ينفعهم حتى يشير مثلهم : ما ينفعك[٧] إلا درهمك " يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم[٨] " فما من آية نزلت فى المشركين فى ذكر أحوالهم و تبيين ضلالهم و تفاصيل سرهم[٩] و إعلانهم إلا و هى منطبقة على كل مفتون ١٥ بديناره و درهمه ، فموقع قول المشركين فى أصنامهم " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى[١٠] " مثله موقع نظيره من قول المفتون : ما أحب المال إلا لأعمل

---

(١) فى ظ : ينبه (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتبع (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : اللطف (٥) فى ظ : اتخذ (٦) فى ظ : الدراهم (٧) فى ظ : ما ينفك. (٨) سورة ٩ آية ٧٤ (٩) سقط من ظ (١٠) سورة ٣٩ آية ٣ .

الخير و أستعين به على وجوه البر ، و لو أراد البر لكان ترك التكسب و التمول له[1] أبر ؛ قال صلى الله عليه و سلم : إنما أهلك من كان / قبلكم الدينار و الدرهم و هما مهلكاكم . فكل من أحبهما و أعجب بجمعهما فهو مشرك هذه الأمة وهما لاته و عزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله لأنه تأله ماله[2] ؛ قال صلى الله عليه و سلم « لا إله إلا الله نجاة لعباد الله من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم[3] على دينهم » فمن وجد من هذا مسة[4] فليسمع جميع ما أنزل فى المشركين من القرآن منطبقا عليه[5] و منزلا إليه و حافا به حتى يخلصه[6] الله من خاص شركه كما خلص من أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين ، فتخلص[7] هذا المشرك بما له من ظلمته التى غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان فى مضمون قوله تعالى "ليخرج الذين ءامنوا و عملوا الصلحت من الظلمت الى النور[8]" فهذا وجه تفصيل يبين[9] نحوا من تكرر دين الشرك فى هذه الأمة ، و أما وجه وقوع المجوسية و نظيرها فى هذه الأمة[10] فاطباق الناس على رؤية الأفعال من أنفسهم خيرها و شرها و إسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث استحكمت عقائدهم على أن فلانا فاعل خير و فلانا فاعل شر و فلانا يعطى و فلانا يمنع و فلانا خير منى و فلانا أعطانى ، حتى ملأوا الدواوين من الأشعار و الخطب و الرسائل أمداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا و ذما لهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : باله (٣) فى ظ : دينارهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : شبهة (٥) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٦) فى ظ : يخصه .
(٧) فى ظ : فيخلص (٨) سورة ٦٥ آية ١١ (٩) من ظ ، و فى الأصل بياض .
(١٠) من ظ ، و فى الأصل : الاية .

على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله و يذمونهم على ما لم يؤته الله و يلحدون فى أسمائه حتى يكتب بعضهم لبعض « سيدى و سندى و أسنى[١] عُددى عبدك و مملوكك » يبطلون بذلك أخوة الإيمان و يكفرون تسوية خلق الرحمن و يدعون لأنفسهم أفعال الله فيقولون : فعلنا و صنعنا و أحسنا و عاقبنا - كلمة نمرودية ، [ آتاهم ما لم يشعروا باختصاص الله فيه بأمره ٥ كالذى حاج إبراهيم فى ربه -[٢] ] أن آتاه الله الملك حين قال : أنا أحيي و أميت ، و هذه هى المجوسية الصرف و القدرية المحضة التى لا يصح دين الإسلام معها ، لأن المسلم من أسلم الخلق و الأمر لربه "اسلمت وجهى لله و من اتبعن[٣] " ، " الا له الخلق و الامر[٤] " و ما سوى ذلك قدرية [ و -[٢] ] هى مجوسية هذه الأمة حيث جعلوا للعبد شركة فى فعل الرب ١٠ و جعلوا له معه تعالى قدرة و قوة و مشية و اختيارا و تدبيرا و لم يعلموا أن التقدير[٥] منع التدبير ، و أنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ؛ قال صلى الله عليه و سلم « القدرية مجوس هذه الأمة » ، فكل ما أنزل الله عز و جل فى القرآن الجامع لذكر جميع الملل و الأديان مما عزاه لمن وزع الأفعال بين الحق و الخلق من كلام ذى فرعنة أو نمرودية أو ذى ١٥ سلطان فللمعتقد المدح و الذم حظ منه على حسب توغلهم و استغراقهم فى الذين زعموا أنهم فيهم شركاء فخافوهم و رجوهم ، فكل[٦] خائف من الخلق أو راج منهم[٧] من عداد الذين آمنوا و الذين أسلموا فى هذه الأمة

(١) فى ظ : اسندى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٣ آية ٢٠ (٤) سورة ٧ آية ٥٤ .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : المقدور (٦) فى ظ : ذلك (٧) فى ظ : فهم .

فهم من مجوس هذه الأمة ؛ فليستمع السامع ما يقرأه من ذلك حجة عليه ليسأل الله تعالى التخلص منها، وليعلم أن ذلك لم يزل حجة عليه وإن كان لم يشعر به قبل، فهذا وجه من وقوع المجوسية في هذه الأمة ، [ وأما وجه وقوع الصابئة ونظيرها في هذه الأمة - [2] ] فما غلب على

٥ أكثرهم وخصوصاً ملوكها وسلاطينها وذوو الرئاسة [3] منها من النظر في النجوم والعمل [ بحسب - [4] ] ما تظهره هيئتها عندهم من سعد ونحس والاستمطار بالنجوم والاعتداد على الأنواء وإقبال القلب على الآثار الفلكية قضاء بها [5] وحكماً بحسب ما جرى عليه الجاهليون الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - من العناية بها ؛ قال

١٠ صلى الله عليه وسلم : أربعة من أمتي هن بهم كفر وليسوا بتاركيهن - فذكر منها الاستمطار بالنجوم ، / فالمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية هم صابئة هذه الأمة [6] ، كما أن المتعلق خوفهم ورجاؤهم [6] بأنفسهم وغيرهم من الخلق هم مجوس هذه الأمة ، وكما أن المتعلق تشوفهم ورجاؤهم [6] بدرهمهم وديناره هم مشركو هذه الأمة وما انطوى [ عليه - [2] ] سر كل

١٥ طائفة منهم مما تعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم ومعبودهم الذي إليه تصرف جميع أعمالهم ، واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به قلبه ، فكل ما أنزل في القرآن من تزييف آراء الصابئة فهو حجة عليه

(١) من ظ ، وفي الأصل : مثل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الرأي (٤) في ظ : هي (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

حيث يقرأه أو يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرأ قوم القرآن و هو نذير لهم بين يدى عذاب شديد و هم لا يشعرون و يحسبون أنهم يرحمون[١] به و هم الأخسرون "و لا يزيد الظلمين الا خسارا[٢]" فما يختص بهذه الطائفة المتصبئة ما هو نحو قوله تعالى "وكذلك نرى ابرٰهيم ملكوت السمٰوٰت و الارض و ليكون من الموقنين[٣]" - الآيات فى ذكر الكوكب ٥
و القمر و الشمس إلى آيات ذكر التسخير لهن نحو قوله تعالى "و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمٰت البر و البحر و الشمس و القمر و النجوم مسخرٰت بامره و سخر لكم الشمس و القمر دائبين[٤]"، "هو الذى جعل الشمس ضياء[٥] و القمر نورا و قدره منازل لتعلموا[٦] عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق" "و انه هو رب الشعرٰى[٧]" ١٠
كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق و رجاءهم عن الأفلاك و النجوم المسخرة إلى المسخر القاهر فوق عباده الذى استوى على جميعها ، فهذا وجه من وقوع الصابئة فى الذين آمنوا و الذين أسلموا فى هذه الأمة ، و أما وجه وقوع ما غلب على هذه الأمة وكثر فيها و فشا فى أعمالها و أحوالها من تمادى طوائف منهم على نظير ما كان عليه اليهود و النصارى ١٥
فى اختلافهم و غلبة أحوالهم - ملوكهم و سلاطينهم - على أحوال أنبيائهم و علمائهم و أوليائهم فهو الذى حذرته هذه الأمة و أشعر أولو الفهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ترحمون (٢) سورة ١٧ آية ٨٢ (٣) سورة ٦ آية ٧٥ .
(٤) سورة ١٤ آية ٣٣ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ليعلموا ، و راجع سورة ١٠ آية ٥ (٧) سورة ٥٣ آية ٤٩ .

بوقوعه فيهم بنحو ما فى مضمون قوله تعالى "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينٰت[1]" وما أنبأ به صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم» وفى بعض طرقه «حتى لو كان فيهم من أتى
٥ أمه جهارا لكان فيكم ذلك، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن! وإنما قوى وكثر فى هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاهما الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلفوا فيها بالأغراض والأهواء وإيثار عرض الدنيا، وساعوا الملوك والولاة وحللوا لهم ما حرم الله وحرموا[2] لهم ما حلل الله، وتوصلوا بهم إلى أغراضهم فى الاعتداء على
١٠ من حسدوه من أهل الصدق والتقوم، وكثر البغى بينهم فاستقر حالهم على مثل حالهم، وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم، وتمادى ذلك فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا إلى أن تضع الحرب أوزارها وتصير الملل كلها ملة واحدة ويرجع الافتراق إلى ألفة التوحيد، فكل من اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظا
١٥ مختصا من ظاهر أو باطن ولم يجمع بينهما فى علمه وحاله وعرفانه فهو بما لزم الظاهر الشرعى دون حقيقة باطنة من يهود هذه الأمة كالمقيمين لظواهر الأحوال الظاهرة التى بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك الوقت وسلاطينهم، المضيعين لأعمال / السرائر[3]، المنكرين لأحوال /٥٢٤
أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجائهم بأهل الدنيا، المؤثرين
٢٠ لعرض هذا الأدنى، فبهذا ظهرت أحوال اليهود فى هذه الأمة، م

(١) سورة ٣ آية ١٠٥ (٢) فى ظ: حللوا (٣) من ظ، وفى الأصل: البرابر.

الأعراب مع النبي صلى الله عليه و سلم بسدرة خضراء[1] نضرة، وكان لأهل الجاهلية سدرة يعظمونها و يجتمعون عندها و ينيطون بها[2] أسلحتهم و يسمونها ذات أنواط فقالوا[3]: يا رسول الله! اجعل لنا هذه السدرة ذات أنواط كما لهم ذات أنواط! فقال صلى الله عليه و سلم: قلتموها ورب الكعبة كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة! إنها ٥ السنن[4]. فحيث ظهرت أحداث اليهود من البغي و الحسد و تعظيم ما ظهر تعظيمه من حيث الدنيا و استحقار ضعفاء المؤمنين فهنالك أعلام اليهودية ظاهرة، وكذلك[5] أيضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن من إصلاح حال أو قلب مع[6] تضييع ظاهر الأمر و بجامع الخير و تعاضد الإسلام و اكتفى بما استبطن و تهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه ١٠ الأمة، ليس بصاحب فرقان فكيف أن يكون صاحب قرآن، و ذلك أن هذا الدين الجامع إنما يقوم بمعالم إسلام[7] ظاهرة و شعار[7] إيمان في القلوب و أحوال نفس باطنة و حقائق إحسان شهودية، لا يشهد المحسن مع الله سواه و لا يؤمن المؤمن مع الله بغيره، و لا يخضع المسلم إلى شيء من دونه، فبذلك يتم، و قد التزم بمعالم الإسلام طوائف يسمون المتفقهة، ١٥ و التزم بشعائر الإيمان طوائف يسمون الأصوليين و المتكلمين، و ترامى إلى الإحسان طوائف يسمون المتصوفة، فمتى كان المتفقهة[8] منكرا لصدق

---

(١) في ظ: خضرة (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: قالوا (٤) وراجع أيضا مسند الإمام أحمد ٥/٢١٨ حيث سيقت هذه الرواية عن أبي واقد الليثي (٥) في ظ: لذلك. (٦) في ظ: من (٧-٧) في ظ: ظاهر و ساير (٨) في الأصل: المنفعة، و في ظ: المنفقة - كذا.

أحوال الصوفية لما لعله يراه من خلل فى أحوال المتصوفة فقد تسنن[1] بسنن اليهودية ، و متى كان المتصوف غير مجل للفقهاء لما لعله يراه من خلل فى أحوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى ، وكذلك[2] حال المتكلم بين الفرقتين لأيهما[3] مال ، و إنما أئمة الدين الذين[4] جمع الله لهم إقامة معالم الإسلام
٥ و إيمان أهل الإيمان و شهود أهل الإحسان[4] ، تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله فتأتم بهم الصوفية ، و تظهر أنوار قلوبهم على ظلم المتشابهات فيأتم بهم أهل الإيمان ، و تبدو فى أعمالهم معالم الإسلام تامة فيأتم بهم أهل الإسلام « "عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجهلون قالوا سلما[5] " ، « أفضل الناس مؤمن فى خلق حسن
١٠ و شر الناس كافر فى خلق سيئ » فأولو الفرقان جامعون و مستبصرون فمن اقتصر على ظاهر و أنكر باطنا لزمته مذام اليهود فيما أنزل من القرآن فيهم بحسب توغله و اقتصاره ، و من اقتصر على باطن دون ظاهر لزمته مذام النصارى فيما أنزل من القرآن فيهم ؛ يذكر أن رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها : دلنى على موضع
١٥ طاهر أصلى فيه ، فقال الراهب : طهر قلبك[6] مما سواه و قم حيث شئت ، قال ذلك الصالح المسلم : فخجلت منه ، فاعلم أن كل واحد من هذين الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن « لأن صاحب القرآن » لا يخجل لهذا القول لأنه حاله ، و قلبه مطهر مما سوى الله ،

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لذلك (٣) من ظ ، و فى الأصل : لأنهما .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سورة ٢٥ آية ٦٣ (٦) فى ظ : قلب .

و مع ذلك لا بد أن يتظف ظاهره ، لأن الله سبحانه كما أنه الباطن فيحب صفاء البواطن فانه الظاهر يحب صلاح الظواهر ، فصاحب القرآن إذا دعى إلى صفاء باطن أجاب و لم يتلعثم[1] و إذا دعى إلى صلاح ظاهر أجاب / و لم يتلكأ[2] لقيامه بالفرقان و حق القرآن ، يذكر / ٥٢٥
أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد العصر و هو ممن لا يرى الركوع ٥
بعد العصر فجلس و لم يركع فقال له صبي : يا شيخ ! قم فاركع ، فقام و ركع و لم يحاجه بما يراه مذهبا . فقيل له في ذلك فقال : خشيت أن أكون من « الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون[3] » ، و وقف النبي صلى الله عليه و سلم على سقاية زمزم و قد صنع العباس رضى الله عنه أحواضا من شراب فضيخ التمر و المسلمون يردون[4] عليه و قد خاضوا فيه بأيديهم ، فأهوى ١٠
النبي صلى الله عليه و سلم يشرب من شرابهم ، فقال له العباس رضى الله عنه : يا رسول الله ! ألا نسقيك من شراب لنا في أسقية ؟ فقال صلى الله عليه و سلم : أشرب من هذه ألتمس بركة أيدى المسلمين ، فشرب منه صلى الله عليه و سلم . فصاحب القرآن[5] يعبد الله تبارك و تعالى بقلبه و جسمه
لا يقتصر على ظاهر دون باطن و لا على باطن دون ظاهر ، و لا على أول ١٥
دون آخر و لا على آخر دون أول ؛ قال صلى الله عليه و سلم « أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره » فمن حق القارئ أن يعتبر القرآن نفسه و يلحظ[6] مواضع مذامة[7] للفرق و يزن به أحوال نفسه من هذه الأديان

(١) في ظ : لم يتعاثم (٢) في ظ : لم يتكلا (٣) سورة ٧٧ آية ٤٨ (٤) من ظ ، و في الأصل : يرون (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : يلحق (٧) من ظ ، و في الأصل : مدامة .

السنة فى هذه الأمة، و أما وجه وقوع النفاق و أحوال المنافقين فهى داهية القراء و آفة الخليفة؛ قال صلى الله عليه و سلم «أكثر منافقى أمتى قراؤها» و قال بعض كبار التابعين : أدركت سبعين ممن رأى النبى صلى الله عليه و سلم كلهم يخاف النفاق على نفسه . و أصل مداخله على الخلق من
٥ إيثار حرمة الخلق على حرمة الحق جهلا بالله عز و جل و اغترارا بالناس، فيلزم[1] لذلك محاسنة[2] أولى البر و الصدق ظاهرا و تكرههم بقلبه باطنا، و يتبع[3] ذلك من الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من أحوالهم و ما بينه[4] النبى صلى الله عليه و سلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه و سلم «بيننا و بين المنافقين شهود العتمة و الصبح لا يستطيعونهما» و كما
١٠ قال تبارك و تعالى "لا ياتون الصلوٰة الا و هم كسالى و لا ينفقون الا وهم كرهون[5]" ينظر المنافق إلى ما يستسقط به فضائل أهل الفضل و يتعامى عن محاسنهم، كما روى أن الله يبغض التارك لحسنة المؤمن الآخذ لسيئته، و المؤمن الصادق يتغافل عن مساوئ أهل المساوئ فكيف بمعايب أهل المحاسن! و من أظهر علامات المنافق تبرمه بأعمال الصادق كما ذكر، ما كان
١٥ مؤمن فيما مضى و لا مؤمن فيما بقى إلا و إلى جنبه منافق يكره عمله، و عن ذلك المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع، مستثقل فى مجامع الخير أجنبى منها، مستخف فى مواطن الشر متقدم فيها[6]، طلق اللسان بالغيبة و البهتان، ثقيل اللسان عن مداومة ذكر الله تبارك و تعالى، عيم عن [ذكر -[7]]

---

(١) فى ظ : يلتزم (٢) فى ظ : محاسنه (٣) فى ظ : نتبع (٤) من ظ، و فى الأصل : نبه (٥) سورة ٩ آية ٥٤ (٦) فى ظ : فيما (٧) زيد من ظ .



الله

الله عز و جل فى كل حال، ناظر إلى الناس بكل وجه، و هو مع ذلك يضانعهم و لا يصادقهم، يأخذ من الدين ما ينفع فى الدنيا [ و لا يأخذ ما ينفع فى العقبى، و يجتنب فى الدين ما يضر فى الدنيا -[1] ] و لا يجتنب[2] ما يضر فى العقبى مما لا يضر فى الدنيا، فهذا وجه من وقوع شياع النفاق فى هذه الأمة، فلذلك من حق القارئ أن يستشعر مواقع آى القرآن من ٥ نفسه فى ذات قلبه و فى أحوال نفسه و أعمال بدنه و فى سره مع ربه و فى علانيته مع خلقه، فانه بذلك يجد القرآن كله منطبقا عليه خاصا به حتى كأن جميعه لم ينزل إلا إليه حتى إذا رغب فى أمر رغب هو فيه من وجه و لا يقول: هذا إنما أنزل فى كذا، و إذا رهب القرآن من أمر رهبه من وجه ما، و إذا أعلى فكذلك و إذا أسفل فكذلك، و لا يقول: هذا ١٠ إنما أنزل [3]فى كذا[3] حتى يجد / لكل القرآن موقعا فى عمله أىّ عمل كان ٥٢٦ / و محلا فى نفسه أىّ حال كان و مشعرا لقلبه أىّ ملحظ كان، فيستمع[4] القرآن بلاغا من الله سبحانه و تعالى إليه بلا واسطة بينه و بينه، فعند ذلك يوشك أن يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم تلين له جلده [3]و قلبه[3] انتهاء، و ربما يجد من الله سبحانه و تعالى نفح رحمة يفتح له بابا إلى ١٥ التخلق بالقرآن أسوة بالنبى صلى الله عليه و سلم، سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: كان خلقه القرآن، و بذلك هو ذو الخلق العظيم - و الله واسع عليم - انتهى.

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: يجتنب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: فيسمع.

و لما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم فى التمتع بالعاجل ، و ختمها بهذا الختام المؤذن بالانتقام ، اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهتهم فيما[1] حل بطوائف منهم ملتفتا إلى مقام الغيبة لأنه أوقع فى الهيبة ، فقال مقررا لخسارتهم : ﴿ الم ياتهم ﴾ أى هؤلاء الأخابث من أهل النفاق ﴿ نبا الذين من قبلهم ﴾ أى خبرهم العظيم الذى هو[2] جدير بالبحث عنه ليعمل[3] بما يقتضيه حين عصوا رسلنا ؛ ثم أبدل من ذلك قوله : ﴿ قوم نوح ﴾ أى فى طول أعمارهم و امتداد آثارهم و طيب قرارهم بحسن التمتع فى أرضهم و ديارهم ، أهلكهم بالطوفان ، لم يبق من عصاتهم إنسان ؛ [ و عطف على قوم القبيلة فقال -[4] ] : ﴿ و عاد ﴾ أى فى قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و مصانعهم و بنيانهم و تجبرهم فى عظيم سلطانهم ، أهلكهم بالريح الصرصر ؛ لم يبق ممن كفر منهم بشر ﴿ و ثمود ﴾ أى فى تمكنهم من بلاد الحجر عرضها و طولها ، جبالها و سهولها ، أهلكوا بالرجفة[5] لم يبق من الكفار منهم ديار ﴿ و قوم ابرٰهيم ﴾ أى فى ملك جميع الأرض بطولها و العرض ؛ سلب الله منهم الملك بعد شديد الهلك ﴿ و اصحٰب مدين ﴾ أى فى جمع[6] الأموال و مد الآمال إلى أخذها من حرام و حلال و نقص[7] الميزان و المكيال[7] فعمهم الله بالنكال[8] ﴿ و المؤتفكٰت ﴾ أى فى إعراضهم عن صيانة أعراضهم فى اتباع لذائذ أغراضهم ، فأثمر لهم فعلهم بعد الخسف عموم انقراضهم .

(١) فى ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ليعلم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بالرجفت (٦) من ظ ، و فى الأصل : جميع (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : المكيال و الميزان (٨) زيد فى ظ : و لما حصل لمدائن قوم .

و لما كان كأنه قيل : ما نبأهم؟ قال : ﴿ اتتهم رسلهم ﴾ أى أتى كل أمة منهم رسولها ﴿ بالبينٰت ج ﴾ أى بالمعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ كان الله ﴾ أى مع ما له من صفات الكمال مريدا ﴿ ليظلمهم ﴾ أى لأن يفعل بهم فى الإهلاك قبل الإنذار و إنارة البينات ٥ فعل [1]من تعدونه[1] فيما بينكم ظالما، و لكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم و بزوالهم[2] يقول: ما ظلمهم الله ﴿ و لكن كانوا ﴾ أى دائما فى طول أعمارهم ﴿ انفسهم ﴾ أى لا غيرها ﴿ يظلمون ه ﴾ أى بفعل ما يسبب هلاكها، فان لم ترجعوا أنتم فنحن نحذركم مثل عذابهم، و لعله خص هؤلاء بالذكر ١٠ من بين بقية[3] الأمم لما عند العرب من أخبارهم و قرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا، و أنبياؤهم[4] أعظم الأنبياء - نبه على ذلك أبو حيان . و لعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط و هم بعدهم فى الزمان لأن هذا فى شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبى صلى الله عليه و سلم من ملجأ أو مغارات أو مدخل ١٥ كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف، فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما أتاهم الماء معقل منيع و لا جبل رفيع مع أنه يقال: إنهم هم الذين بنوا الأهرامات، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذى

---

(١-١) من ظ، وفى الأصل: ما يعدونه (٢) فى ظ : زوالهم (٣) من ظ، و فى الأصل: بعيد - كذا (٤) من البحر المحيط ٥ / ٦٩، و فى الأصل: انبيائهم، و فى ظ : ابناؤهم - كذا .

هددوا به إن كان ماء، ومنها ما هو بالطوب التى لتحميهم منه إن كان نارا، وعاد[1] لما أتتهم الريح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب وصرعتهم فى أجواف بيوتهم، ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة[2] والقصور المشيدة / والحصون الممنعة، [3]وحال ثمود معروف فى توسعهم ٥٢٧ / فى البيوت جبالا وسهولا فما منعتهم[3] من الصيحة التى أعقبت الرجفة، وقوم إبراهيم عليه السلام بنوا الصرح، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان ليتوصل به نمرود - [ كما -[4] ] زعم - إلى السماء فأتى الله بنيانهم من القواعد، ألقت الريح رأسه فى البحر وخر[5] عليهم الباقى وهم تحته، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، وأصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم، وإن كانوا هم أصحاب الأيكة فانهم لما اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه الأرض فخرجوا منها هاربين، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته إليهم ولبست به عليهم، فلما اجتمعوا تحتها أحرقتهم نارها وبقى عليهم عارها، وأما قوم[6] لوط فأتاهم الأمر بغتة، لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد أن رفعت إلى عنان السماء، واتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا، ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لأن العرب كانوا يمرون على مواضع مدائنهم ويشاهدونها، وعبر عنهم بالمؤتفكات لأن القصص للمنافقين الذين[7] مبنى أمرهم على الكذب وصرف الأمور

(١) فى ظ : عادا (٢) فى ظ : المتقفلة - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) فى ظ : خرج (٦) فى ظ : بقوم (٧) فى ظ : الذى.

عن ظواهرها [1]و تقليبها عن وجوهها[1] ، فالمعنى أن أولئك لما قلبوا فعل النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائنهم، فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة لقلب القول عن وجهه ، و مادة ' إفك ' بكل ترتيب[2] تدور على القلب، فاذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليـــه و صرفته عنك ، ٥ و أكاف الدابة شبه بالإناء المقلوب ، و الكذب صرف الكلام عن وجهه فهو إفك لذلك ـ و الله أعلم .

و لما بين سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض و ما توعدهم به و ما[3] استتبعه من تهديدهم باهلاك من شابهوه ، و ختم بما سبب هلاكهم من إصرارهم و عدم اعتبارهم، عطف ببيان حال المؤمنين ترغيبا فى التوبة طمعا ١٠ فى مثل حالهم فقال: ﴿ و المؤمنون و المؤمنٰت ﴾ أى بما جاءهم عن ربهم ﴿بعضهم اولياء ﴾ و لم يقل : من[4] ، كما قال فى المنافقين : من ﴿ بعض ﴾ دلالة على أن أحدا منهم لم يقلد أحدا فى أصل الإيمان و لا وافقه بحكم الهوى ، بل كلهم مصوبون[5] بالذات و بالقصد الأول إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم بالدليل القطعى على حسب فهم كل أحد[6] منهم ، فذلك ١٥ دليل على صحة إيمانهم و رسوخهم فى تسليمهم و إذعانهم ؛ ثم بين ولايتهم بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر فقال : ﴿ يامرون ﴾ أى كلهم على وجه التعاضد و التناصر ﴿ بالمعروف ﴾ و هو كل ما عرفه الشرع و أجازه ﴿ و ينهون ﴾

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تركيب (٣) من ظ ، و فى الأصل : لما (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مصونون (٦) فى ظ : واحد.

[ أى - [1] ] كذلك ﴿ عن المنكر ﴾ لا يحابون أحدا .

و لما ذكر الدليل القطعى على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : ﴿ و يقيمون الصلوٰة ﴾ أى يوجدونها[2] على صفة تقتضى قيامها بجميع أركانها و شروطها و حدودها مراقبة لربهم و استعانة بذلك على
٥ جميع ما ينوبهم ﴿ و يؤتون الزكوٰة ﴾ أى مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق . و ذلك مواز لقوله فى المنافقين "و يقبضون ايديهم" و لما خص أمهات الدين ، عم بيانا لأنهم لاينسون الله طرفة عين بل يذكرونه فى كل حال بقوله : ﴿ و يطيعون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ و رسوله ط ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم
١٠ و جميل عشرتهم .

و لما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : ﴿ اولٓئك ﴾ أى العظماء الشأن ﴿ سيرحمهم الله ط ﴾ / أى المستجمع لصفات الكمال بوعد ٥٢٨ / لا خلف فيه ، و هذا مع الجملة قبله مواز لقوله فى المنافقين " نسوا الله فنسيهم " و هو إشارة إلى أن الطريق وعر و الأمر شديد[3] عسر ،
١٥ فالسائر مضطر إلى الرحمة ، و هى المعاملة بعد الغفران بالإكرام ، لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق إلا بها ، ولا وصول له أصلا من غير سببها .

و لما بين أن حال المؤمنين مبنى على الموالاة [4] وكانت الموالاة [4] فقيرة إلى الإعانة قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : توجدونها (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ عزيز ﴾ أى غالب غير مغلوب بوجه، فهو قادر على نصر من يوالى حزبه و أن ينيله من ثمرات الرحمة ما يريد من غير أن يقدر أحد على أن يحول بينه و بين شىء من ذلك ﴿ حكيم ﴾ أى فلا يقدر أحد على نقض ما يحكمه و حل ما يبرمه، و فى ذلك إشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون منصورين على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة ٥ و ما معها من حميد الخصال .

و لما ختم الآية بوصف العزة و الحكمة المناسب لافتتاحها بالموالاة و تعقيبها بآية الجهاد، و ذلك بعد الوعد بالرحمة إجمالا، أتبعها بما هو أشد التئاما بها بيانا للرحمة و تفصيلا لها ترغيبا للمؤمنين بالإنعام عليهم بكل ما رامه[1] المنافقون بنفاقهم فى الحياة الدنيا، و زادهم بأنه دائم، ١٠ و أخبر بأن ذلك هو الفوز لا غيره فقال: ﴿ وعد الله ﴾ أى الصادق الوعد الذى له الكمال كله ﴿ المؤمنين و المؤمنت ﴾ أى الراسخين فى التصديق بكل ما أتاهم به الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ جنت تجرى من تحتها الانهر ﴾ أى فهى لا تزال[2] خضرة ذات بهجة نضرة؛ و لما كان النعيم لا يكمل إلا بالدوام، قال: ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كانت الجنان لا تروق إلا بالمنازل ١٥ و الدور الفسيحة و المعازل قال: ﴿ و مسكن طيبة ﴾ و لما كان بعض الجنان أعلى من بعض، و كان أعلاها [ ما -[3] ] شرف بوصف العندية المؤذن بالقرب مع بنائه مما يؤكد معنى الدوام، قال: ﴿ فى جنت عدن[4] ﴾ أى إقامة دائمة و هناء و صحة جسم و طيب مقر و موطن و منبت،

(١) من ظ، وفى الأصل: راته - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل: ف، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) زيد من ظ .

و ذلك كما قال فى حق أضدادهم " عذاب مقيم " و ما أنسب ذكر هذه الجنة فى سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد فى الحديث أنها خاصة بالنبيين و الصديقين و الشهداء . و لما كان ذلك لا يصفو[1] عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال [ مبتدئا إشارة إلى أنهى التعظيم -[2] ] :

٥ { و رضوان } أى رضى لا يبلغه وصف واصف [ بما تشير إليه صيغة المبالغة و لو كان على أدنى الوجوه بما أفاده التنوين -[2] ] { من الله } أى الذى لا أعظم منه [ عندهم -[2] ] { اكبر } أى مطلقا ، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل[3] فوز ، و لا يقع السرور الذى هو أعظم النعيم إلا برضى السيد ، [ و إذا كان القليل منه أكبر فما ظنك

١٠ بالكثير -[2] ] .

و لما تم ذلك على أحسن مقابلة بما وصف به أضدادهم ، قال يصفه زيادة فى الترغيب فيه : { ذلك } أى الأمر العالى الرتبة { هو } أى خاصة لا غيره { الفوز العظيم ع } أى الذى يستصغر دونه كل شيء من أمور الدنيا و الآخرة ، و فى كون ذلك وعدا لمن اتصف لأجل ما اتصف

١٥ به ترغيب فى الجهاد المأمور به بعدها لكونه من أفراد الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الداعى الأعظم إلى الموالاة .

و لما ثبتت موالاة المؤمنين و مقاطعتهم للنافقين و الكافرين ، و كان ما مضى من الترغيب و الترهيب كافيا فى الإنابة ، و كان من لم يرجع

(١) من ظ . و فى الأصل : لا يضعف (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عن .

بذلك

على المكاثرة فيهما ، أعاد الضمير عليهما [1]بمايدل[1] على الانواع الكثيرة فقال : ﴿ و لا ينفقونها ﴾ أى ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التى جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، و لو ثنى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب[2] ، و إنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر ' من ' - و هى مرادة - لمزيد الترغيب فى الإنفاق و الترهيب من تركه ، و يجوز ٥ أن يعود / الضمير إلى الفضة لأن الذم على كنزها ، و الحاجة إليها لكثرتها /٤٩١ أقل ، فالذم على كنز الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها و أعز بخلاف الذم على كنز الذهب ؛ و قال الحرالى فى آل عمران : فأوقع الإنفاق عليهما[3] و لم يخصه من حيث لم يكن ، و لا[4] ينفقون منهما[5] كما قال فى المواشى " خذ من اموالهم " لأن هذين الجوهرين خواتم ينال ١٠ بها أهل الدنيا منافعهم و قد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة إلا بانفاقها لأنهما صنما هذه الأمة ، فكان كسرهما باذهابهما - انتهى . ﴿ فى سبيل الله لا ﴾ أى الوجه الذى أمر [6]الملك الأعلى[6] بانفاقها فيه ﴿ فبشرهم ﴾ أى نقول فيهم بسبب ذلك تهكما بهم : بشرهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ عوضا عما أرادوا بهما من السرور بانجاح المقاصد . ١٥

و لما كان السياق دالا دلالة واضحة على أن[7] هذا العذاب يحصل لهم و يقع بهم ، فنصب بذلك قوله : ﴿ يوم يحمى ﴾ أى يحصل الإحماء و هو الإيقاد الشديد ﴿ عليها ﴾ أى الأموال التى جمعوها ﴿ فى نار جهنم ﴾

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : ليدل (٢) من ظ ، و فى الأصل : الترغيب (٣) فى الأصل : عليها (٤) فى ظ : لم (٥) فى الأصل و ظ : منها (٦-٦) فى ظ : الله .
(٧) سقط من ظ .

أي[1] التي لا يقاربها[2] ناركم ، و تلقى داخلها بالتجهم و العبوسة كما كان يلقى
بذلك الفقراء و غيرهم من أهل الله لا سيما من منعه ما يجب له من النفقة
﴿ فتكوى بها ﴾ أي بهذه الأموال ﴿ جباههم ﴾ التي هي أشرف أعضائهم
لأنها مجمع الوجوه و الرؤس و موضع الجاه الذي يجمع المال لأجله لتعبيسهم[3]
٥ بها في وجوه الفقراء ﴿ و جنوبهم ﴾ التي يحوونه[4] لمثها بالمآكل[5] المشتهاة
و المشارب المستلذة و لازورارهم بها عن الفقراء ﴿ و ظهورهم ط ﴾ التي
يحوونه[6] لتقويتها و تحميلها بالملابس و تحليتها و لتوليتهم[7] إياها إذا اجتمعوا
مع الفقراء في مكان ، ثم يقال لهم : ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ و أشار إلى
الحامل على الجمع المنافي للعقل[8] بقوله : ﴿ لانفسكم ﴾ أي لتنافسوا به
١٠ و تلتذوا[9] فلم تنفقوه فيما أمر الله ﴿ فذوقوا ما ﴾ أي وبال و عذاب
[ ما - [10] ] ﴿ كنتم تكنزون ه ﴾ أي تجددون[11] جمعه على سبيل الاستمرار
حريصين عليه ، و أشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك؛
روى البخاري في التفسير عن زيد بن وهب قال : مررت على أبي ذر
رضي الله عنه بالربذة [ قلت : ما أنزلك بهذه الأرض - [12] ] قال : كنا
١٥ بالشام فقرأت " و الذين يكنزون الذهب و الفضة " - الآية ، قال

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : لا تقاربها (٣) من ظ ، و في الأصل : لتعبيتهم ، و زيدت الواو قبله في الأصل ، و لم تكن في ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و في الأصل : تجرونه - كذا (٥) في ظ : بالاكل (٦) من ظ ، و في الأصل : تحوونه . (٧) من ظ ؛ و في الأصل : تسويتهم (٨) من ظ ، و في الأصل : للفعل (٩) في ظ : تلذذوا (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ : تجدون (١٢) زيد من الصحيح .

معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا فى أهل الكتاب ! قلت : إنها لفينا و فيهم ؛ و روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال ، يعنى فما أعطى صاحبه ما وجب عليه فيه فليس بكنز .

و لما تقدم كثير مما ينبنى على التاريخ : الحج فى غير موضع ٥ و الأشهر و إتمام [ عهد - [1] ] من له مدة إلى مدته و الزكاة و الجزية ، و ختم ذلك بالكنز الذى [2] لا يطلق شرعا إلا على ما لم تؤد زكاته ، و كان مشركو العرب - الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم و التأذين [3] بهذه الآيات يوم الحج الأكبر فيهم - قد أحدثوا فى الأشهر - بالنسىء الذى أمروا أن [4] ينادوا فى الحج بإبطاله - ما غير السنين [5] عن موضوعها الذى [6] ١٠ وضعها الله عليه ، فضاهوا به فعل أهل الكتاب بالتدين بتحليل أكابرهم و تحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك فى البنوة و الأبوة ، قال تعالى : ﴿ ان عدة الشهور ﴾ أى منتهى عدد شهور السنة ﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم و علم الذى خلق الزمان وحده و هو الإله وحده فلا أمر لأحد معه ﴿ اثنا [7] عشر شهرا ﴾ أى لا زيادة عليها و لا تغيير لها كما تفعلونه ١٥ فى النسىء ﴿ فى كتب الله ﴾ أى كلام الملك المحيط بكل [8] شىء قدرة و علما ، و حكمه [9] الذى هو مجمع الهدى ، فهو الحقيق بأن يكتب ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التى (٣) زيد فى ظ : فى (٤) فى ظ : بان (٥) من ظ ، و فى الأصل : السنن (٦) من ظ ، و فى الأصل : التى (٧) فى ظ : اثنى (٨) من ظ ، و فى الأصل : كل (٩) فى ظ : حكمة.

و ليست الشهور ثلاثة عشر و لا أكثر كما كان يفعل من أمرتكم بالبراءة منهم كائنين من كانوا فى النسيء ﴿ يوم ﴾ أى كان ذلك و ثبت يوم ﴿خلق[1] السمٰوٰت و الارض﴾ أى اللذين[2] نشأ عنهما الزمان . و المعنى أن الحكم بذلك كان قبل أن يخلق[3] الزمان ﴿ منهآ ﴾ أى الشهور ﴿ اربعة حرم ط ﴾
٥ أى بأعيانها لا بمجرد العدد ﴿ ذلك ﴾ [ أى - [4] ] الأمر العظيم و الحكم العالى الرتبة / فى الإتقان خاصة ﴿ الدين القيم ٥ لا ﴾ أى الذى لا عوج فيه و لا مدخل للعباد ، و إنما هو بتقدير الله تعالى للقمر ؛ روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال - يعنى فى حجة الوداع - : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله[5] السماوات و الأرض ، السنة
١٠ اثنا[6] عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم ، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان . و لما بين الأمر سبب عنه قوله : ﴿ فلا تظلموا فيهن ﴾ أى الأشهر الحرم ﴿ انفسكم ﴾ أى بسبب إنساء بعضها و تحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد - لا العين - اللازم عنه إخلال كل منها بإيقاع الظلم فيه و تحريم كل من غيرها ، قال قتادة[7] : العمل
١٥ الصالح و الفاسد فيها أعظم منه فى غيرها و إن كان ذلك فى نفسه عظيما فان الله تعالى لعظم من أمره ما شاء ؛ و قال أبو حيان[8] ما حاصله : إن العرب تعيد[9] الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال " منها

/ ٤٩٢

---

(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : يتخلق (٤) زيد من ظ .
(٥) سقط من الصحيح - التفسير (٦) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : اثنى .
(٧) راجع لباب التأويل ٣ / ٧٤ (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ٣٨ و ٣٩ (٩) من ظ ، و فى الأصل : يعيد .

اربعة

اربعة" أى من الشهور[1]، و على جمع القلة [لما لا يعقل - [2]] بنون جمع المؤنث فلذا قال "فلا تظلموا فيهن" أى فى الأربعة .

و لما كان إنساؤهم إنما هو لتحل لهم المقاتلة عـلى زعمهم قال : ﴿و قاتلوا المشركين كآفّة ﴾ أى كلكم فى ذلك سواء فى الائتلاف واجتماع الكلمة ﴿ كما يقاتلونكم كآفة ط﴾ أى كلهم فى ذلك سواء ، و ذلك الحكم ٥ فى جميع السنة ، لا أنهاكم عن قتالهم فى شهر منها ، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمى فيها لقتال و لا غيره إن اتقيتم الله ، فلا تخافوهم و إن زادت جموعهم و تضاعفت قواهم لأن الله يكون[3] معكم ﴿ واعلموآ ان الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة معكم ، هكذا كان الأصل و لكنه أظهر الوصف تعليقا للحكم به و تعميما فقال : ﴿مع المتقين ﴾ أى جميعهم ، و هم الذين ١٠ يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم ، لا على النسيء و نحوه[4] ، و من كان الله معه نصر لا محالة .

و لما فهم من هذا إبطال النسيء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه ، كان كأنه قيل : أ فما فى النسيء تقوى فان[5] سببه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال فى الشهر الذى حرمه ؟ و ذلك أنهم كانوا ١٥ أصحاب غارات و حروب ، و كانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه[6] لا مانع منه لم يعرض له ، فكان إذا جاء الشهر الحرام و هم محاربون شق عليهم[3] تركه ، و كان يشق عليهم ترك

(١) من ظ ، و فى الأصل : الشهر (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : غيره (٥) فى ظ : فانه (٦) فى ظ : ابنه ، و راجع روح المعانى ٣/٢٠٣ .

ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، فجعلوا النسيء لذلك، فقيل تصريحا[1] بما أفهمه ما مضى : ليس فيه شيء من ذلك : ﴿ انما النسيء ﴾ أي تأخير الشهر [ إلى شهر -[2] ] آخر على أنه مصدر نسأ نسيئا - إذا أخره ، أو هو اسم مفعول ، أي[3] الشهر الذي تؤخر العرب حرمته من الأشهر الحرم عن

٥ وقتها ﴿ زيادة في الكفر ﴾ أي لأنه على خلاف ما شرعه الله ، و فيه ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه .

و لما بين ما في النسيء من القباحة[4]، تحرر أنهم وقعوا على ضد مرادهم فانهم كانوا لو قاتلوا في الشهر الحرام قاتلوا و هم معتقدون الحرمة خائفون عاقبتها فكانوا [ غير -[2] ] خارجين عن دائرة التقوى بالكلية ، فاذا هم بتحليله

١٠ قد صاروا[5] خارجين عن[6] دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عظيمة مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذي اعتقدوه ربا ، فكان يقول : إني لا أجاب[7] و لا أعاب ، و إنه لا مرد لقضائي ، و إني حللت[8] المحرم و حرمت صفرا - إلى غير ذلك من الكلام الذي لا يليق إلا بالإله ؛ و ذلك معنى قوله تعالى بيانا لما قبله : ﴿ يضل به ﴾ أي بهذا التأخير الذي هو

١٥ النسيء ﴿ الذين كفروا ﴾ أي يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله -

---

(١) في ظ : تصر - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٥) زيد بعده في الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٦) زيد بعده في الأصل : دائرة التقوى بالكلية ، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٧) في ظ : لا أحاب ، و في بعض المراجع : لا أخاب (٨) في ظ : احللت .

هذا على قراءة الجماعة، والمعنى على قراءة حمزة والكسائى وحفص - بالبناء للفعول: يضلهم مضل من قبل الله، وعلى قراءة يعقوب - بالضم: يضلهم الله؛ ثم بين ضلالهم / بقوله: ﴿ يحلونه ﴾ أى ذلك الشهر، / ٤٩٣
وعبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة إشارة إلى أنهم يفعلونه
ولو لم يضطرهم إلى ذلك جدب سنة ولا عض زمان، بل بمجرد التشهى ٥
فقال: ﴿ عاما ويحرمونه عاما ﴾ هكذا دائما كلما أرادوا. وليس المراد
أنهم كل سنة يفعلون ذلك من غير [1]إجلال لسنة[1] من السنين، وهذا
الفعل نسخ منهم مع أنهم يجعلون النسخ من معايب الدين ﴿ ليواطئوا ﴾
أى يوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ أى المحيط بالجلال والإكرام فى كون
الأشهر الحرم أربعة ﴿ فيحلوا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الفعل أن يحلوا ١٠
﴿ ما حرم الله ﴾ أى الملك الأعظم منها كلها، فلا يدع لهم هذا الفعل
شهرا إلا انتهكوا حرمته فأرادوا بذلك عدم انتهاك الحرمة فاذا هم لم يدعوا
حرمة إلا انتهكوها، فما أبعده من ضلال!

ولما انهتكت[2] بهذا البيان قباحة فعلهم، كان [كأنه -[3]] قيل: إن
هذا لعجب! ما حملهم على ذلك؟ فقيل: ﴿ زين ﴾ أى زين مزين، ١٥
وقرئ شاذا باسناد الفعل إلى الله ﴿ لهم سوء اعمالهم ﴾ أى حتى رأوا
حسنا[4] ما ليس بالحسن فضلوا ولم يهتدوا، فعل الله بهم ذلك لما علم من
طبعهم على الكفر فلم يهدهم ﴿ والله ﴾ أى الذى له صفات الكمال
﴿ لا يهدى ﴾ أى يخلق الهداية فى القلوب ﴿ القوم الكفرين[5] ﴾ أى

---

(١ - ١) فى ظ: اخلال السنة (٢) فى الأصل وظ: انتهكت (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، وفى الأصل: حسانا (٥) فى ظ: الظالمين.

أى الذين طبعهم على[1] الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه ؛ و النسيء - قال فى القاموس -: الاسم من نسأ الشيء [ بمعنى -[2] ] زجره و ساقه و أخره ، قال : و شهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية فنهى الله عز و جل عنه ؛ و قال ابن الأثير فى النهاية : و النسيء فعول بمعنى مفعول ، و قال ٥ ابن فارس فى المجمل : و النسيء فى كتاب الله التأخير ، و كانوا إذا صدروا عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء ! فيقولون[3] : أنسئنا شهرا ، أى أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر - انتهى . و مادة نسأ تدور على التغريب[4] ، و سبب فعلهم هذا أنهم كانوا ربما أرادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه ، و يحرمون مكانه شهرا من ١٠ أشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر ؛ قال ابن فارس : و ذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم فى الغارة فيحل لهم الكنانى المحرم - انتهى . و كان النسأة من بنى فقيم من كنانة . و كان أول من فعل ذلك منهم القلمس[5] و هو حذيفة بن عبد بن فقيم ، و آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو ثمامة[6] جنادة بن عوف ١٥ ابن أمية بن قلع[7] بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، نسأ أربعين سنة . كانت

---

(١) فى ظ : عن (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيقول ، و راجع أيضا تاج العروس - مادة نسأ (٤) فى ظ : التغير (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١ / ١٦ ، و فى الأصل : العلمس - كذا (٦) من ظ و السيرة . و فى الأصل : امامة . (٧) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : باع - كذا .

العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليـه[1]، فحرم الأشهر الحرم الأربعة، فاذا أرادوا أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه، و حرم مكانه صفرا فحرموه، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم! إنى [ قد -[2] ] أحللت [ لهم -[3] ] أحد الصفرين الصفر الأول، و نسأت الآخر للعام المقبل - ذكر ذلك أهل السير، ٥ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من نسأ عمرو بن لحى.

[ و -[4] ] تحقيق معنى ما كانت العرب تفعله و اختلاف أسماء الشهور به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف[4] أسماء الشهور مسمياتها إلا الحين بعد الحين عسر قل من أتى فيه بما يتضح به قول النبى صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع كما مضى « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله ١٠ السماوات و الأرض » و ها أنا[5] أذكر فيه ما لا يبقى بعده لبس إن شاء الله تعالى، فمعنى قوله: و نسأت الآخر للعام المقبل، أنه إذا أحل المحرم و سماه صفرا ابتدأ السنة بعده بالمحرم ثم صفر إلى آخرها، / فيصير بين / ٤٩٤ صفر و ذى الحجة الذى وقع النسىء فيه شهران، و قد كان ينبغى أن يكون بينهما شهر واحد، فأخر هذا الذى ينبغى إلى العام المقبل،[6] فالمعنى: ١٥ و أخرت الصفر الآخر عن محله إلى العام المقبل فاذا جاء العام المقبل[6] انتهى تأخره، و إذا انتهى رجع إلى محله، و يمكن أن يتنزل على هذا قول أبى عبيد

(١) من ظ و السيرة، و فى الأصل: عليه (٢) زيد من السيرة (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: فلا تصارف (٥) فى ظ: هنا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

فى غريب الحديث ، قال بعد النصف من الجزء الثالث منه فى شرح الاستدارة : إن بدء ذلك - و الله أعلم - أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم ، فيكرهون أن يستحلوه و يكرهون
٥ تأخير[1] حربهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه و يستحلون المحرم ، و هذا هو النسيء الذى قال الله " انما النسيء " - الآية ، وكان ذلك فى كنانة ، هم الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب ، و النسيء هو التأخير ، فكانوا يمكثون بذلك زمانا يحرمون صفرا و هم يريدون بذلك المحرم و يقولون : هو أحد الصفرين ، و قد تأول بعض الناس قول النبى صلى الله
١٠ عليه و سلم « لا صفر » على هذا ، ثم يحتاجون أيضا إلى تأخير صفر إلى الشهر الذى بعده كحاجتهم[2] إلى تأخير المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع ، ثم يمكثون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون إلى مثله ثم كذلك ، فكذلك يتدافع شهر[3] بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام و قد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله [ به - [4] ] ، و ذلك بعد
١٥ دهر طويل ، فذلك قول النبى صلى الله عليه و سلم « إن الزمان قد استدار كهيئته[5] يوم خلق الله السماوات و الأرض » يقول : رجعت الأشهر الحرم إلى مواضعها و بطل النسيء ، و قد زعم بعض الناس أنهم كانوا

(١) من غريب الحديث ٢ / ١٥٨ ، و فى الأصل و ظ : تأخيرهم (٢) من ظ و الغريب ، و فى الأصل : لحاجتهم (٣) من الغريب ، و فى الأصل و ظ : شهرا . (٤) زيد من ظ و الغريب (٥) من ظ و الغريب ، و فى الأصل : لهيئته .

يستحلون المحرم عاما ، فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريمه ، قال أبو عبيد :
الأول أحب إليّ لقول النبي صلى الله عليه و سلم « إن الزمان قد استدار »
و ليس في التفسير الأخير استدارة . و على هذا التفسير الذي فسرناه
قد يكون قوله "يحلونه عاما و يحرمونه عاما" مصدقا له لأنهم إذا حرموا
العام المحرم و في قابل صفرا ثم احتاجوا بعد ذلك إلى تحليل صفر أيضا ٥
أحلوه و حرموا الذي بعده ، فهذا تأويل قوله في التفسير "يحلونه عاما
و يحرمونه عاما" و قال أبو حيان في النهر ما حاصله : كانت العرب
لا عيش لأ كثرها إلا من الغارات ، فيشق عليهم توالى الأشهر الحرم ،
وكان[1] بنو فقيم أهل دين و تمسك بشرع إبراهيم عليه السلام ، فانتدب
منهم القلمس[2] و هو حذيفة بن عبيد بن فقيم ، فنسأ[3] الشهور للعرب ، ١٠
ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه أمية ثم خلفه
ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف و عليه قام الإسلام ، كانوا إذا فرغوا
من حجهم جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا : أنسئنا شهرا ، فيحل
المحرم ، ثم يلزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة و يسمون
ذلك الصفر المحرم و يسمون ربيعا الأول صفرا و ربيعا الآخر ١٥
ربيعا الأول - و هكذا سائر الشهور ، فيسقط على هذا حكم المحرم الذي
حلل لهم ، و تجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم الذي هو في
الحقيقة صفر ؛ و قال البغوي : قال مجاهد : كانوا يحجون في كل شهر عامين ،

---

(١) في ظ : كانت (٢) من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٥/٣٧ ، و في الأصل :
القلمش (٣) من ظ و النهر ، و في الأصل : نسأ .

فحجوا فى ذى الحجة عامين و حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين و كذلك فى الشهور، فوافقت حجة أبى بكر السنة الثانية من ذى القعدة، ثم حج النبى صلى الله عليه و سلم فى العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجه [1]شهر الحج[1] المشروع و هو ذو الحجة؛ و قال / عبد الرزاق[2] فى تفسيره: ٤٩٥ /

٥ أخبرنا معمر عن ابن[3] أبى نجيح عن مجاهد فى قوله " انما النسىء زيادة فى الكفر " قال: فرض الله الحج فى ذى الحجة، فكان المشركون يسمون الأشهر: ذو[4] الحجة و المحرم و صفر و ربيع و ربيع و جمادى و جمادى و رجب و شعبان و رمضان و شوال[3] و ذا القعدة و ذا الحجة، ثم يحجون فيه مرة أخرى، ثم يسكتون عن المحرم و لا يذكرونه، فيسمونه -

١٠ أحسبه قال - المحرم[5] صفر، ثم يسمون رجب بجمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان رمضان، و رمضان شوالا[6]. ثم يسمون ذا القعدة شوالا، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة، [7]ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه، و اسمه عندهم ذو الحجة، ثم عادوا [8]كمثل هذه الصفة[8] فكانوا يحجون عامين فى كل شهر حتى وافق حجة أبى بكر الآخر[9] من العامين فى

١٥ ذى القعدة، ثم حج النبى صلى الله عليه و سلم حجته التى حج، فوافق

---

(١-١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٧٤، و فى الأصل: حج الشهر (٢) وحديثه هذا قد ساقه الطبرى بهذا الطريق فى تفسيره حول آية النسىء بيسير من الاختلاف (٣) سقط من ظ (٤) من الطبرى، وفى الأصل: ذا، وفى ظ: ذى (٥) فى تفسير الطبرى: صفر (٦) من الطبرى، و فى الأصل و ظ: شوال. (٧) العبارة من هنا إلى « فوافق ذلك ذا الحجة » ساقطة من ظ (٨-٨) فى تفسير الطبرى: بمثل هذه القصة (٩) من تفسير الطبرى، و فى الأصل و ظ: الآخرة.

ذلك ذا الحجة ، فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله[1] السماوات والأرض» . وقال ابن إسحاق في السيرة : سألت ابن أبي نجيح عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا ، وإنما كانوا يوافقون[2] ذا الحجة كل اثنى[3] عشرة سنة مرة . فوفق الله عز وجل ٥ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج ذا الحجة ، فحج فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، فقلت لابن أبي نجيح : فكيف بحجة أبي بكر وعتاب بن أسيد ؟ فقال : على[1] ما كان الناس يحجون عليه ، ثم قال ابن أبي نجيح : كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم ١٠ ثم صفر حتى[4] يبلغوا اثنى عشر شهرا - انتهى . وقوله هذا يوم[1] أن في حج أبي بكر وعتاب رضي الله عنهما اختلالا[5] ، وتقدم عن المهدوي وغيره[6] التصريح بأنه كان في ذي القعدة - وفيه نظر ، لأن السنة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه نودي فيها بتحريم النسيء وغيره من أمور الجاهلية ، فلاشك أنه لم يكن في ذلك العام إنساء ، ولما مضى ١٥ من الشهر[7] الذي حج فيه عشرة أشهر ، وكان الحادي عشر وهو ذو القعدة سار النبي صلى الله عليه وسلم في أواخره إلى الحج موافيا لهلال

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يوافقوا (٣) من ظ ، وفي الأصل : اثنى (٤) في ظ : ثم (٥) في ظ : اختلافا (٦) في ظ : غيرى (٧) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ فحذفناها .

ذى الحجة ، فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار ، فعلم قطعا أن استدارته كانت فى حجة أبى بكر ، وكذا فى سنة ثمان وهى السنة التى حج فيها عتاب بالمسلمين ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب أهل الجاهلية لا نسأتهم ولا غير
٥ نسأتهم ، لأنه يلزم من القول بأنهم اعتبروا أمر النسأة أنهم اعتبروا ما هو زيادة فى الكفر ، وهذا ما لا يقوله ذو مسكة ، وقد تقدم النقل أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه إلى الحج فى أواخر[1] ذى القعدة أو بعد انقضائه من سنة تسع ، ووافاه العرب فى ذى الحجة : الكفارُ وغيرهم ، فوقع[2] إعلامهم ببراءة فى أيام الحج وأماكنه ، فلو كان
١٠ حصل فى سنة عتاب اختلال فى [3]ذى القعدة[3] [ بنسىء - [4] ] لكان ذو الحجة بحساب الكفار وهو المحرم بحساب الإسلام ، فكان يتأخر مجىء الكفار للحج عن مجىء المسلمين ، فثبت بهذا أيضا أن حجه رضى الله عنه كان فى ذى الحجة ، فحفظ الله أهل الإسلام من أن يقع فى حجهم اختلال فى سنة من السنين ، وما هى بأول نعمة عليهم - والله الموفق ؛ وقال الإمام
١٥ أبو العباس أحمد بن أبى أحمد المشهور بابن القاص[5] من أكابر متقدمي أصحاب الشافعى رحمه الله فى كتابه دلائل القبلة فى باب معرفة عدد أيام السنة : فالسنة اثنا عشر شهرا بالأهلة ، وربما كان الشهر ثلاثين وربما كان تسعا وعشرين ، فمبلغ السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وثمانى

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : اخر (٢) فى ظ : ووقع (٣ - ٣) فى ظ : العدد .
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ووفيات الأعيان ١ / ٥١ ، وفى الأصل : القاضى .

ساعات و أربعة / أخماس ساعة ، و قالت الهند : السنة ثلاثمائة و خمسة[1] /٤٩٦
و ستون يوما و ست ساعات و خمس ساعة و جزء من أربعمائة جزء من
ساعة ، و ذلك من دخول الشمس برأس[2] الحمل إلى أن تدخل فيه من
قابل ، ففضل ما بين السنة الهلالية و السنة الشمسية عشرة أيام و إحدى
و عشرون ساعة و خمسا ساعة ، فاذا زيدت عليها هذه الساعات و الأيام ٥
استقام حسابه مع دوران الشمس ، وكانت العرب تزيده فى الجاهلية ،
وكان الذى أبدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال له القلمس ، و ذلك
أنه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده فى السنة و جعل تلك السنة
ثلاثة عشر شهرا ، و سماه[3] نسيئا ، و يحج بهم تلك السنة فى المحرم ،
فأنزل الله تعالى "انما النسيء زيادة فى الكفر" فلما كانت السنة التى ١٠
حج فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حجة الوداع وافق الحج فى تلك
السنة ذا الحجة لما أراد الله تعالى باثبات الحج فى تلك السنة ، فخطب
النبي صلى الله عليه و سلم فقال : أيها الناس ! ألا إن السنة قد استدارت
كهيئتها يوم خلق الله السماوات و الأرض "منها اربعة حرم ذلك الدين
القيم" - يعنى به الحساب القيم ، فالحرم رجب جمادى و شعبان ، و ذو القعدة ، ١٥
و ذو الحجة ، و المحرم ، فسمى ذلك الحج الأقوم ، و قال الشاعر :

وأبطل ذوالعرش النسى و قلمسا وفاز رسول الله[4] بالحج الاقوم - انتهى.

و القلمس بفتح اللام و تشديد الميم ، فالنسيء فى البيت متروك الهمز

(١) فى ظ : خمس (٢) فى ظ : راس (٣) من ظ ، وفى الأصل : سماها (٤) أقحم فى الأصل : صلى الله عليه و سلم .

ليصح الوزن ، و الأقوم منقول حركة الهمزة ، و قوله : إن علة النسيء التطبيق بين السنة الشمسية و القمرية[1] - فيه نظر ، و الظاهر أن علته ما ذكر في السير من اضطرارهم إلى القتال ، و أمر الاستدارة في كل من هذه الأقوال واضح الاستنارة ، و ليس المراد بها مصادفة كل فصل من
٥ فصول السنة لموضعه من الحر و البرد ، و مصادفة اسم كل شهر لمسماه بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلا و كذلك غيره و إن كان الواقع أن الأمر كان في هذه الحجة كذلك ، لما تقدم من أن غزوة تبوك كان ابتداؤها في شهر رجب ، وكان ذلك [2]كما تقدم[2] في شدة الحر وحين طابت الثمار ، و إنما المراد الأعظم بالاستدارة مصادفة اسم
١٠ كل شهر لمسماه [ لا لمسمى -[3] ] شهر آخر لأجل الدوران بالنسيء بدليل أنه صلى الله عليه و سلم ما ذكرها إلا لأجله ، فقال في بعض طرق حديث جابر الطويل رضي الله عنه : إن النسيء زيادة في الكفر ، و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، السنة اثنا عشر شهرا . فانظر إلى تعقيبه بحصر الأشهر في الاثنى عشر نفيا لجعلهم إياها
١٥ سنة النسيء ثلاثة عشر [ شهرا -[3] ] ، و قال : منها أربعة حرم ، و عينها و قال : أيّ شهر هذا ؟ فلما سكتوا قال : ذو الحجة شهر حرام[4] ، كل هذا لبيان أن المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره أهل الجاهلية إلى موضعه الذي وضعه الله به موافقا اسمه لمسماه ، و جعلت أشهرنا هلالية مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها

(١) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : الحرام .

من صوم و عيد و حج و غيره فى كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب ، فان عباداتهم[1] خاصة بوقت من السنة لا تتعداه[2]- والله الموافق له[3] ! و قال القاضى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستى فى تفسيره : حدثنا ابن أبى عمر ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال : الشهر الذى انتزعه الله من الشيطان المحرم . و الحاصل[4] أنه لا شك فى[5] ٥ أن النسيء لم يكن قط إلا للمحرم لما تقدم ، و أن الحج لم يكن قط فى جاهلية و لا إسلام إلا فى شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقلة[4] اللغة و الحديث و الأخبار ؛ قال ابن الأثير فى النهاية و نشوان اليمنى[5] / فى شمس العلوم / ٤٩٧ و القزاز[6] فى ديوانه و ابن مكتوم[7] فى ترتيب العباب و المحكم : ذو الحجة بالكسر : شهر الحج ، زاد المحكم : سمي بذلك للحج ، و قال ١٠ القزاز : إن الفتح فيه أشهر ، و فى النهاية : يوم التروية هو الثامن من ذى الحجة ، سمي به لأنهم كانوا يرتوون[8] فيه[3] من الماء لما بعده ، أى يستقون[9] و يسقون[9] ، و قال المجد فى القاموس : يوم عرفة التاسع من

---

(١) فى ظ : عبادتهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يتعداه (٣) سقط من ظ .

(٤) زيد فى ظ : فى (٥) فى ظ : اليمين ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣/٨٦ .

(٦) هو محمد بن جعفر أديب لغوى نحوى - راجع معجم المؤلفين ٩ / ١٤٨ .

(٧) و هو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسى ، و استفاض ترتيبه باسم « الجمع بين العباب و المحكم » - راجع معجم المؤلفين ١ / ٢٧٨ (٨) من النهاية ، و فى الأصل : يرثون ، و فى ظ : يوتون (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ذى الحجة ، و فى كتاب أسواق العرب لأبى[1] المنذر هشام بن محمد الكلبى رواية أبى سعيد السكرى[2] أن عكاظ كانت من أعظم أسواق العرب . فاذا أهل أهلها هلال ذى الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذى المجاز و هى قريب من عكاظ ، [ و عكاظ - [3] ] فى أعلى نجد ، فأقاموا بها حتى يوم
٥ التروية ، و[4] وافاهم بمكة حجاج العرب و رؤسهم ممن أراد الحج بمن لم يكن شهد تلك الأسواق . و قال الأزرقى[5] فى تاريخ مكة : فاذا رأو اهلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى المجاز فأقاموا بها ثمانى ليال أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيتروون ذلك اليوم[6] من الماء بذى المجاز ، و إنما سمى يوم التروية لترويهم الماء بذى
١٠ المجاز ، ينادى بعضهم بعضا : ترووا من الماء ، انه لا ماء بعرفة و لا بالمزدلفة يومئذ ، ثم ذكر أنه لا يحضر ذلك إلا التجار ، قال : و من لم يكن له تجارة فانه يخرج من أهله متى أراد ، و من كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية . و روى البيهقى فى دلائل النبوة بسنده عن عروة و موسى بن عقبة - فرقهما - قالا : و أهل رسول الله
١٥ صلى الله عليه و سلم بالعمرة من الجعرانة فى ذى القعدة ، ثم أسند عن ابن إسحاق[7] أنه قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من عمرته انصرف

(١) فى ظ : لابن ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ (٢) هو حسن بن الحسين السكرى - راجع معجم المؤلفين ٣ / ٢١٩ (٣) زيد من ظ (٤) سقطت الواو من ظ (٥) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله المكى - راجع المعجم المؤلفين ١٠/ ١٩٨ . (٦) من ظ ، و فى الأصل : القوم (٧) راجع سيرة ابن هشام ٣ / ٣٢ .

راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين ويعلمهم ، فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة أو فى الحجة ، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب يحج عليه ، وحج تلك السنة عتاب بن أسيد فى سنة ثمان ، وحديث اعتماره صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة رواه ٥ الشيخان ومضى على ما كانت العرب من الطواف عراة ونحوه؛ وذكر الواقدى عن مشايخه قالوا : وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس[1] ليال خلون من ذى القعدة ، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتى[2] عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم - فذكر ١٠ عمرته ثم قال : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين[3] ، وأقام للناس الحج عتاب بن أسيد رضى الله عنه تلك السنة وهى سنة ثمان ، وحج ناس من المسلمين والمشركين على مدتهم ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم ١٥ الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة ، قال الواقدى[4] : فأقام بقية ذى القعدة وذا الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين - انتهى . إذا تقرر هذا علم أن الحج لم يكن قط إلا فى شهر يسمونه ذا الحجة ، وهو مما لا يدور

---

(١) من ظ والمغازى ٣/٩٥٨ ، وفى الأصل : بخمس (٢) فى ظ : لاثنى (٣) من ظ والمغازى ٣/ ٩٥٩ ، وفى الأصل : الدنيا (٤) راجع المغازى ٣ / ٩٧٣ .

فى خلد و لا يقــع فى وهم فيه تردد ، و لا يحتاج إلى تطويل بذكره
و لا إطناب فى أمره، و تارة يوافق اسمه مسماه و تارة لا يوافقه لأجل
النسيء، و علم أيضا أن حج عتاب بن أسيد كان فى ذى الحجة بعد رجوع
النبي صلى الله عليه و سلم من الجعرانة إلى المدينة الشريفة ، و أنه ما تأخر
٥ عن ذى الحجة و إلا لنقل ، و أن حج أبى بكر رضى الله عنه سنة تسع كان
فى ذى الحجة لذلك و لما تقدم[١] من أن سفره / له من المدينة الشريفة[٢] /٤٩٨
كان فى آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة و لقولهم : إن الأربعة الأشهر[٣]
التى ضربت للشركين من يوم النحر و[٤] لقولهم : إن الأربعة الأشهر[٥]
كان آخرها عاشر ربيع الآخر ، و علم أن ذا الحجة تلك السنة لو كان
١٠ وافق مسمى ذى القعدة لم يقع[٦] ذو الحجة سنة عشر التى حج فيها النبي
صلى الله عليه و سلم فى موضعه الذى وضعه الله به إلا بأن تكون تلك
السنة ثلاثة عشر شهرا بنسيء أو غيره ، و كل من الأمرين باطل ، أما
الأول فلأن الله تعالى أبطل النسيء فى تلك السنة فيما أبطله من أمور
الجاهلية فى هذه السورة ، و أرسل النبي صلى الله عليه و سلم بالمناداة بها
١٥ كما مر ، و أما الثانى فهو أمر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله
السماوات و الأرض ، و الخارق مما تتوفر الدواعى [ على - [٧] ] نقله ،
و لا ناقل لهذا أصلا فبطل ، و إذا بطل ثبت أن سنة عشر كانت اثنى عشر

---

(١) فى ظ : تقرر (٢) زيد بعده فى ظ : و انه مـا تأخر عن ذى الحجة (٣) فى ظ : اشهر (٤) العبارة من هنا إلى « الأشهر » ساقطة من ظ (٥) فى الأصل : الا - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لم تقع (٧) زيد من ظ .

شهرا و لا سيما بعد إنزال الله تعالى فى ذلك ما أنزل فى هذه السورة، و إذا كان الأمر كذلك كان الشهر الذى وقف فيه النبى صلى الله عليه و سلم فى موضع الشهر الذى وقف فيه الصديق رضى الله عنه سواء بسواء[1]، و قد ثبت أن الزمان كان فيه قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض، فثبت من غير مرية[2] أن شهر الصديق رضى الله عنه كذلك ٥ كان، و ثبت أيضا أن سنة عتاب بن أسيد رضى الله عنه كذلك كانت بما قدمتُ من أنه لم يكن فيها نسيء لتوافق حج المسلمين و المشركين فى سنة تسع، فدل ذلك على أنها كانت اثنى عشر شهرا، فكان ذو الحجة فيها فى موضعه[3] الذى وضعه الله به كما كانت سنة تسع، بل ظاهر قول أبى عبيد: فقام الإسلام و قد رجع المحرم إلى موضعـــه - كما مضى - ١٠ أن الله حفظ زمن الإسلام كله عن نسيء، و هو الذى أعتقده، و قد لاح بذلك أن السبب فى قول من قال: إن حج الصديق رضى الله عنه وافق ذا القعدة، أنه فهم من قول النبى صلى الله عليه و سلم: إن الزمان قد استدار، أن الاستدارة لم تكن إلا فى تلك السنة، و ليس ذلك مدلول هذا التركيب كما لا يخفى - و الله الموفق؛ ثم وجدت النقل الصريح فى ١٥ زوائد معجمى[4] الطبرانى: الأوسط و الأصغر للحافظ نور[5] الدين الهيثمى بمثل ما فهمته، قال فى تفسير براءة: حدثنا إبراهيم - يعنى ابن هشام - البغوى ثنا[6] الصلت بن مسعود الجحدرى ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ثنا داود بن أبى هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يعنى

(١) من ظ، و فى الأصل: سواء (٢) فى ظ: مبرية (٣) من ظ، و فى الأصل: موضعها (٤) فى ظ: معجم (٥) فى ظ: زين (٦) فى ظ: حدثنا.

عبد الله[1] بن عمر[2] رضى الله عنهما قال : كانت العرب يحلون عاما شهرا و عاما شهرين و لا يصيبون الحج إلا فى كل ست و عشرين سنة مرة ، و هو النسيء الذى ذكره الله عز و جل فى كتابه ، فلما كان عام حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج[3] فسماه الله الحج ٥ الأكبر ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه و سلم من العام المقبل فاستقبل الناس الأهلة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض . لم يروه عن عمر إلا داود تفرد به الصلت - انتهى ، و هو حديث حسن إن شاء الله تعالى ، [ ثم رأيت الهيثمى فى مجمع الزوائد قال : رجاله ثقات ، فأكد ذلك الجزم ١٠ بما فهمت من أنه حسن - [4] ] ، و إنما أطلت[5] هذا بما قد لا يحتاج فى إيضاحه إليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين و محال المماحلين الجامدين .

و لما أوعز[6] سبحانه فى أمر الجهاد ، و أزاح جميع عللهم و بين أن حسنه لا يختص به شهر دون شهر و أن بعضهم كان يحل لهم و يحرم فيتبعونه بما يؤدى إلى تحريم الشهر[7] الحلال و تحليل الشهر الحرام بالقتال ١٥ فيه ، عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم الآمر لهم بالنفر فى غزوة تبوك عن أمره سبحانه ، وكان ابتداؤها فى شهر رجب سنة تسع ، فقال تعالى على سبيل الاستعطاف و التذكير بنعمة الإيمان

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : عنه - كذا (٢) من مجمع الزوائد ٧ / ٢٩ ، و فى الأصل و ظ : عمرو (٣) فى ظ : الحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ : اطلقت (٦) فى ظ : اوعد (٧) سقط من ظ .

-/ بعد ختم التى قبلها بأنه لا يهدى الكافرين - الذى[1] يعم الحرب و غيره / ٤٩٩
الموجب للجرأة عليهم [ لأن من لا هداية له أعمى ، و الأعمى لا يخشى -[2]] :
﴿ يٰٓايها الذين اٰمنوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ ما لكم ﴾ أى ما الذى يحصل
لكم فى أنكم ﴿ إذا قيل لكم ﴾ أى من أىّ قائل كان ﴿ انفروا ﴾ أى
اخرجوا مسرعين بجد و نشاط جماعات و[3] وحدانا إمدادا لحزب الله ٥
و نصرا لدينه تصديقا لدعواكم الإيمان ، و النفر : مفارقة مكان إلى مكان
لأمر هاج على ذلك ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب[4] تسهيل الطريق إلى
الملك الذى له [ جميع -[2]] صفات الكمال ، و قال أبو حيان : بنى "قيل"
للفعول و القائل النبى صلى الله عليه و سلم و لم يذكر إغلاظا و مخاشنة[5]
لهم و صونا[6] لذكره إذ أخلد إلى الهوينا و الدعة من أخلد و خالف ١٠
أمره - انتهى . ﴿ اثاقلتم ﴾ أى تثاقلتم تثاقلا عظيما ، و فيه ما لم يذكروا
له سببا ظاهرا بما أشار إليه الإدغام إخلادا و ميلا ﴿ الى الارض ط ﴾ أى
لبرد ظلالها و طيب هوائها و نضج ثمارها ، فكنتم أرضيين[7] فى سفول
الهمم ، لا سمائيين[8] بطهارة الشيم .

و لما لم يكن - فى الأسباب التى تقدم أنها كانت تحمل على التباطؤ ١٥
عن الجهاد - ما يحتمل القيام بهم فى هذه الغزوة إلا الخوف من القتل و الميل
إلى الأموال الحاضرة وثوقا بها و الإعراض عن الغنى الموعود [ به -[2]]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الذين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط
من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٥) من ظ و البحر المحيط ٥/٤١ ، و فى
الأصل : مجانسة (٦) فى ظ : ضوتا (٧) فى الأصل و ظ : ارضين (٨) فى ظ :
سماسين - كذا .

الذى ربما يلزم من[1] الإعراض عنه[2] التكذيب، فيؤدى إلى خسارة الآخرة، هذا مع ما يلزم على[3] ذلك - و لا بد - من [4]الزهد فى[4] الأجر المثمر لسعادة العقبى بهذا الشيء الخسيس؛ قال مبينا خسة ما أخلدوا إليه تزهيدا فيه و شرف ما أعرضوا عنه ترغيبا فيه منبها على أن ترك الخير
٥ الكثير لأجل الشر اليسير شرعظيم منكرا[5] على من تثاقل موبخا لهم: ﴿ارضيتم بالحيوٰة الدنيا﴾ أى بالخفض و الدعة فى الدار[6] الدنية الغارة ﴿من الأٰخرة ج﴾ أى الفاخرة الباقية؛ قال أبو حيان[7]: و 'من' تظافرت أقوال المفسرين أنها بمعنى بدل، و أصحابنا لا يثبتون [8]أن من[8] تكون للبدل - [4]انتهى. و الذى يظهر لى أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل[4]، بل
١٠ إنه يطلق عليها لما قد يلزمها فى مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فانها لابتداء الغاية، فاذا قلت: رضيت بكذا من زيد، كان المعنى أنك أخذت ذلك أخذا مبتدئا منه غير ملتفت إلى ما عداه، فكأنك جعلت ذلك بدل كل شيء يقدر أنه ينالك منه من غير ذلك المأخوذ. و لما كانوا قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتاع، كان إقبالهم على
١٥ الدنيا كأنه مبتدئ بما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها، فكأنه قيل: أرضيتم بالميل إلى الدنيا من الآخرة؟ و يؤيد ما فهمته أن العلامة علم الدين أبا محمد القاسم ابن الموفق الأندلسى ذكر فى شرح الجزولية

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: عن (٣) فى ظ: من (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: منكر (٦) فى ظ: الدانية (٧) راجع البحر المحيط ٥/ ٤٢ (٨-٨) فى ظ: من ان.



أنهم

أنهم عدوا لـ "من" خمسة معان[1] كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين، و بين كيفية ذلك حتى فى البيانية . فمعنى "فاجتنبوا الرجس من الاوثان[2]" الذى ابتداؤه من الأوثان، لأن الرجس جامع للأوثان وغيرها.

و لما كان الاستفهام إنكاريا كان معناه النهى، فكان التقدير: لا ترضوا بها فان ذلك أسفه رأى و أفسده! فقال تعالى معللا لهذا النهى: ٥ ﴿ فما ﴾ أى بسبب[3] أنه ما ﴿ متاع الحيوة الدنيا فى[4] ﴾ أى مغمورا فى جنب ﴿ الأخرة الا قليل ○ ﴾ و الذى يندب هو المتجر و يدعى البصر به و يحاذر الخلل فيه يعد فاعل ذلك سفيها .

و لما كان طول[5] الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف و ترك الإنصاف، توعدهم بقوله: ﴿ الا تنفروا ﴾ أى فى[6] سبيله ﴿ يعذبكم[6] ﴾ ١٠ أى على ذلك ﴿ عذابا اليما ۵ ﴾ أى فى الدارين ﴿ و يستبدل ﴾ أى يوجد بدلا منكم ﴿ قوما غيركم ﴾ أى ذوى بأس و نجدة مخالفين لكم فى الخلال التى كانت سببا للاستبدال لولايته و نصر دينه .

و لما هددهم / بما يضرهم، أخبرهم أنهم لا يضرون بفتورهم غير /٥٠٠ أنفسهم فقال: ﴿ و لا تضروه ﴾ أى الله و رسوله ﴿ شيئا ط ﴾ لأنه متم ١٥ أمره و منجز وعده و مظهر دينه ؛ و لما أثبت بذلك قدرته على ضره لهم و قصورهم عن[7] الوصول إلى ضره، كان التقدير: لأنه قادر على نصر دينه

---

(١) فى ظ : معادن (٢) سورة ٢٢ آية ٣٠ . (٣) من ظ ، و فى الأصل : سبب . (٤) من ظ و القرآن الكريم ، و قد سقط من الأصل (٥) تكرر فى ظ (٦) تقدم فى ظ على « أى فى » (٧) فى ظ : من .

و نبيه بغيركم[1]، فعطف عليه تعميما لقدرته ترهيبا من عظيم سطوته قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ على كل شىء قدير ﴾.

و لما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة وعظيم البأس و القوة ، اتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستنفر لهم - و هو ٥ نبيه صلى الله عليه و سلم - غير محتاج إليهم[2] و متوقف نصره عليهم كما لم يحتج إليهم - بحياطة[3] القادر له - فيما مضى من الهجرة التى ذكرها ، و أن نفع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما وعدوه و استدفاع[4] ما أوعدوه فى الدارين المشار إلى ذلك [ كله - [5] ] بقوله " فما متاع [6] الحيوة الدنيا[6] " الآية و قوله " الا تنفروا " - الآية ، فقال : ﴿ الا تنصروه ﴾ أى أتم طاعة ١٠ لأمر الله ، و الضمير للنبى صلى الله عليه و سلم إما على طريق الاستخدام من[7] سبيل الله لأنه الموضح له الداعى إليه ، أو لتقدم اسمه الشريف إضمارا فى قوله " اذا قيل لكم " أى من رسول الله صلى الله عليه و سلم استنصارا منه لكم ، و إظهارا فى قوله تعالى " هو الذى ارسل رسوله " - الآية ، و قوة ما فى كل جملة من المناسبة المقتضية لأن تعانق[8] التى بعدها ١٥ و لا تنفك[9] عنها قصر الفصل بين الظاهر و ضميره ، و ذكر[10] الغار و الصاحب أوضح الأمر ، و ذلك أنه سبحانه لما عابهم باتخاذ الرؤساء أربابا اشتدت

(١) فى ظ : بغيرها (٢) فى ظ : اليه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بحياط (٤) فى ظ : اندفاع (٥) زيد من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : عن (٨) من ظ ، و فى الأصل : يعانق (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا ينفك (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ذلك .

الحاجة إلى بيان أنهم فى البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متأمل، فوصفهم بالأكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة ، و[1] بأن مأكولهم أموال غيرهم باطلا ، و بأنهم يخشونهم لصدهم إياهم عن السبيل التى لا يخفى حسنها على من له أدنى نظر ؛ و لما كان ذلك شديد الإثارة لتشوف النفوس إلى السؤال عن العرب : هل فعلوا فعلهم و اتبعوا سنتهم ؟ أجاب بأن ٥ عملهم فى تحليل النسأة لهم بعض الأشهر الحرم و تحريم بعض أشهر الحل و الزيادة فى عدة أشهر السنة كعملهم سواء ،

و لما أمر بقتال المشركين كافة و حثهم على التقوى ، و كان بعضهم قد توانى فى ذلك ، اشتد اقتضاء الحال للمعاتبة على التثاقل عن النفر ، فلما تم ذلك فى هذا الأسلوب البديع و الطراز الرفيع حث على نصر الرسول ١٠ الذى أرسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط : ﴿ فقد ﴾ أى إن لم يتجدد [2]منكم له[2] نصر فان الله قادر على نصره و سينصره و يغنيه عنكم و لا تضرون إلا أنفسكم فقد ﴿ نصره الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده و الأمر فى غاية الشدة ، [و لا شك عند عاقل أن المستقبل عنده كالماضى - [3]] ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ اخرجه الذين ﴾ و عبر بالماضى لأن ١٥ فيهم من أسلم بعد ذلك فقال : ﴿ كفروا ﴾ أى من مكة و هم فى غاية التمالؤ عليه حين شاوروا[4] فى قتله أو إخراجه أو إثباته ، فكان ذلك سببا لإذن الله له فى الخروج من بينهم حال كونه ﴿ ثانى اثنين ﴾ أى أحدهما أبو بكر رضى الله عنه و لا ثالث لهما ينصرهما إلا الله ﴿ اذ هما فى الغار ﴾

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) فى ظ : له منكم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : تشاوروا .

أى غار ثور الذى فى [أعلى[-[1]] الجبل المواجه للركن اليمانى بأسفل
مكة على مسيرة ساعة منها لما كمنا به ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب،
و ذلك قبل أن يصلا إليكم أو يعولا فى النصر عليكم ﴿ اذ يقول ﴾
[2]أى رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿ لصاحبه ﴾[2] [ أى -[3]] أبى بكر
٥ الصديق رضى الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شىء ﴿ لا تحزن ﴾
و الحزن: هم غليظ بتوجع يرق له القلب، حزنه و أحزنه بمعنى؛ و قال فى
القاموس: أو أحزنه: جعله حزينا، و حزّنه: جعل فيه حزنا؛ ثم علل نهيه
لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الأعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من / الأسماء ٥٠١/
الحسنى و الصفات العلى التى تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك[3] بعظمتها
١٠ شوامخ الجبال الصلاب ﴿ ان الله ﴾ [ أى الذى له الأمر كله - [1] ]
﴿ معنا ج ﴾ أى بالعون و النصرة[4]، و هو كاف لكل مهم، قوى على دفع
كل ملم، فالذى تولى نصره بالحراسة فى ذلك الزمان [5] كان قادرا على أن
يأمر الجنود التى أيده بها أن تهلك الكفار فى كل موطن من غير أن
يكون لكم فى ذلك أمر أو يحصل لكم به أجر، وكما أنه كان موجودا
١٥ فى ذلك الزمان[5] بأسمائه الحسنى و صفاته العلى هو على ذلك فى هذا الزمان
و كل زمان، فتبين كالشمس أن النفع فى ذلك إنما هو خاص بكم،
و أنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المنوال إلا لفوزكم، و فى هذه
الآية من التنويه[6] بمقدار الصديق و تقدمه و سابقته فى الإسلام و علو

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «رضى الله عنه» والترتيب من ظ (٣) فى ظ: تنزل (٤) فى ظ: النصر (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: التسوية.

منصبه و فخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذى أعطاه إياه ؛ قال أبو حيان[1] و غيره: قال العلماء: من أنكر صحبة أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله ، و ليس ذلك لسائر الصحابة .

و لما كان رضى الله عنه نافذ البصيرة فى المعارف[2] الإلهية ، راسخ القدم فى ذلك المقام[3] لذلك لم يتلعثم[4] من أول الأمر فى عناد جميع ٥ العباد بخلع الأنداد ، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث[5] عشرة سنة ، و كان الذى به من القلق إنما هو الخوف من[6] أن يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين و قمع المعتدين ، ولم يكن جبنا و لا سوء ظن ، لما كان ذلك كذلك كان رضى الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف ١٠ الأعظم الدال على ذلك المقام المذكر[7] بتلك العظمة التى يتلاشى عندها كل عظيم ، و يتصاغر فى جنبها كل كبير ، [8]ولذلك[8] ذكر هذا الاسم الأعظم و قدم ، و أشرك الصديق فى المعية و بدأ بالنهى عن الحزن لأنه المقصود بالذات و ما بعده علة[9] له . و أما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى عليه السلام ١٥ بأظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم[10] بها مما كانوا فيه ، و منع

---

(١) راجع البحر المحيط ٥/٤٣ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٤) فى ظ: لم يتعثلم (٥) من ظ، وفى الأصل: ثلاثة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: المذكور.

(٨ - ٨) فى ظ : فلذلك (٩) فى ظ : علقة (١٠) من ظ ، وفى الأصل : استقرهم .

موسى عليه السلام مع وحدته من سطوات فرعون على عظمته و ما كان يواجهه به من المكروه، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات: هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم أم لا ؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية
٥ على سبيل الخصوص به، و عبر عن الإله باسم الرب الدال على ذلك الإحسان المذكر[1] به فقال " كلا ان معى ربى[2] " فكان قيل: ما ذا يفعل و البحر أمامنا و العدو وراءنا ؟ فقال " سيهدين " [ أى -[3] ] إلى ما أفعل[4]، يعرف [ ذلك -[3] ] من كان متضلعا[5] بالسير و قصص بنى إسرائيل على ما ذكرتها فى الأعراف[6] عن التوراة، مستحضرا لأن الصديق رضى الله عنه
١٠ كان فى صعودهما إلى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه و سلم ليفتديه[7] بنفسه ثم يذكر الطلب فيتأخر ثم يذكر ما عن اليمين و الشمال فينتقل إليهما و يقول للنبي صلى الله عليه و سلم: إن قتلت أنا فأنا رجل واحد، و إن قتلت أنت هلكت الأمة، و أنه كان عارفا بأن الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم المتضمن
١٥ لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك، و لذلك كان به فى هذا اليوم من القلق ما ذكر، و كان عند وفاة النبي صلى الله عليه و سلم أثبت الناس، و لذلك أتى بالفاء المعقبة فى قوله: ﴿ فانزل الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ سكينته ﴾

---

(١) فى ظ: المذكور (٢) سورة ٢٦ آية ٦٢ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: نفعل.
(٥) من ظ، وفى الأصل: متصفا (٦) من ظ، وفى الأصل: الاعراض (٧) فى ظ: ليفيده.

أى السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك ﴿ عليه ﴾ أى الصديق - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما - لأن السكينة لم تفارق النبى صلى الله عليه و سلم؛ ثم عطف على نصره الله قوله : ﴿ و ايده ﴾ أى النبى صلى الله عليه وسلم، و اختلاف الضمائر هنا لا يضر لأنه غير مشتبه ﴿ بجنود لم تروها ﴾ أى من الملائكة الكرام ﴿ و جعل كلمة ﴾ أى دعوة ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ / ٥٠٢ أى أوقعوا الكفر من آمن منهم بعد ذلك و غيره ﴿ السفلى ﴾ فخيب سعيهم و رد كيدهم؛ ثم ابتدأ الإخبار بما له سبحانه على الدوام من غير انقطاع أصلا فى وقت [ من - [1] ] الأوقات فقال : ﴿ و كلمة الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء، و نصبها يعقوب عطفا على ما سبق ﴿ هى العليا ﴾ أى وحدها، لا يكون إلا ما يشاءه دائما أبدا، فالله قادر على ١٠ ذلك ﴿ [2]و الله[2] ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عزيز ﴾ أى مطلقا يغلب كل شىء من ذلك و غيره ﴿ حكيم ﴾ لا يمكن أن ينقض شىء من مراده لما ينصب من الأسباب التى لا مطمع لأحد فى مقاومتها فلا محيص عن نفوذها.

و لما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبالغا هيأها به للقبول، ١٥ أقبل عليها سبحانه بالأمر فقال : ﴿ انفروا خفافا و ثقالا ﴾ و المراد بالخفة كل ما يكون سببا لسهولة الجهاد و النشاط إليه، و بالثقل كل ما يحمل على الإبطاء عنه؛ و قال أبو حيان : و الخفة و الثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة و من[3] يمكنه بصعوبة، و أما من[4] لا يمكنه كالأعمى

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « دائما أبدا » (٣) من البحر المحيط ٥/٤٤، و فى الأصل و ظ : لم (٤) فى ظ : ما.

و نحوه لخارج عن هذا - انتهى . قال البغوى : قال الزهرى : خرج سعيد ابن المسيب رحمه الله إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ! فقال : استنفر[1] الله الخفيف و الثقيل ، فان لم يمكنى[2] الحرب كثرت السواد و حفظت المتاع ؛ و روى أبو يعلى الموصلى فى ٥ مسنده بسند صحيح عن أنس أن أبا طلحة رضى الله عنهما قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية فقال : ألا أرى ربى يستنفرنى[3] شابا و شيخا ! جهزونى ، فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعـــة أيام فما تغير[4] .
﴿ و جاهدوا ﴾ أى أوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار .

و لما كانت هذه الآية فى[5] سياق المعاتبة [6]لمن تثاقل[6] إلى الأرض ١٠ عن الجهاد عند الاستنفار فى غزوة تبوك . و كان سبب التثاقل ما كان فى ذلك الوقت من العسرة فى المال و الشدة بالحر و ما كان من طيب الظلال فى أراضى الجنان وقت الأخذ فى استواء الثمار - كما هو مشهور فى السير ؛ اقتضى المقام عنا تقديم المال و النفس بخلاف ما مضى فان الكلام كان فى المفاضلة بين الجهاد فى سبيل الله و خدمة البيت و من ١٥ يحجه فى هذه السورة التى صادف وقت نزولها بعد مواطن الجهاد و طول المفارقة للأموال و الأولاد ، و قدم المال لأن النظر إليه من وجهين :

---

(١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٨٣، وفى الأصل : استغفر .
(٢) من المعالم ، و فى الأصل وظ : لم يمكن (٣) من ظ ومجمع الزوائد ٩/٣١٢، و فى الأصل : يسفونى - كذا (٤) وهذا الحديث قد أورده الهيثمى فى زوائده برواية أبى يعلى مع زيادة على ما هنا (٥) فى ظ : من (٦-٦) من ظ، وفى الأصل : لما يتثاقل .

قلته . و محبة الإقامة فى الحدائق إيثارا للتمتع بها و خوفا من ضياعها مع أن بها قوام الأنفس ، فصار النظر إليها هو الحامل على الشح بالأنفس فقال تعالى : ﴿ بأموالكم و انفسكم ﴾ أى بهما معا على[1] ما أمكنكم أو بأحدهما ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى . [ أى -[2] ] حتى لا يبقى منه مانع ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ خير ﴾ أى فى نفسه حاصل ٥ ﴿ لكم ﴾ أى خاص بكم . و يجوز أن يكون أفعل تفضيل بمعنى أن عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان ، كما قال صلى الله عليه و سلم لمن سأله : هل يمكن بلوغ درجة المجاهد ؟ فقال : هل تستطيع [3]أن تقوم[3] فلا تفتر و تصوم فلا تفطر[4] ؟ و ختم الآية بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ إشارة إلى أن هذا الأمر و إن كان عاما ١٠ فانما ينتفع[5] به ذوو الأذهان الصافية و المعالم الوافية ، فان العلم - و لا يعد علما إلا النافع - يحث على العمل و على إحسانه باخلاص النية و تصحيح المقاصد / و تقوية العزم و غير ذلك ، و ضده يورث ضده . / ٥٠٣

و لما كان هذا العتاب مؤذنا بأن[1] فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا بنحو الأموال و الأولاد ، و كان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر ١٥ و الزواجر و المواعظ جديرا بأن يخفف كل متثاقل و ينشط كل متكاسل ، تشوفت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك ، فاعلم سبحانه به فى أساليب البلاغة المخبرة عن أحوال القاعدين و أقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) راجع صحيح البخارى - كتاب الجهاد (٥) فى ظ : ينفع .

غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت المتثاقلين بأسلوب الإعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم [1] المبعثر لقبائحهم [1] المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان فقال : ﴿ لو كان ﴾ أي ما تدعو إليه ﴿ عرضا ﴾ أي متاعا دنيويا ﴿ قريبا ﴾ أي سهل التناول ﴿ و سفرا قاصدا ﴾ أي وسطا عدلا مقاربا ﴿ لاتبعوك ﴾ أي لأجل رجاء العرض مع سهولة السفر لأن هممهم قاصرة [و - [2]] منوطة بالحاضر ﴿ و لكن ﴾ أي لم يتبعوك تثاقلا إلى الأرض و رضى بالفاني الحاضر من الباقي الغائب لأنها ﴿ بعدت عليهم الشقة ﴾ أي المسافة التي تطوى بذرع الأرجل بالمسير فيحصل بها النكال و المشقة فلم يواز ما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض [3] فاستأذنوك ، و في هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم و دناءة الشيم بالعجز و الكسل و النهم و الثقل ، و إلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضي الهم صادق العزم [ كما قال الشاعر - [2]] :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ... وأعرض عن ذكر العواقب جانبا [4]

فلله در أولى العزائم و الصبر على الشدائد و المغارم !

و لما ذمهم بالشح بالدنيا ، أتبعه وصمهم بالسماح بالدين ، فقال مخبرا عما سيكون منهم علما من أعلام النبوة : ﴿ و سيحلفون ﴾ أي المتخلفون باخبار محقق لا خلف فيه ﴿ بالله ﴾ أي الذي لا أعظم منه عند رجوعكم إليهم جمعا إلى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : العوض .
(٤) والبيت لسعد بن ناشب - راجع باب الحماسة من كتابها .

بالكذب قائلين : و الله ﴿ لو استطعنا ﴾ أى الخروج إلى ما دعوتمونا إليه ﴿ لخرجنا معكم ج ﴾ يحلفون حال كونهم ﴿ يهلكون انفسهم ج ﴾ أى بهذا الحلف الذى يريدون به حياتها لأنهم كذبوا فيه فانتهكوا حرمة اسم الله ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك الأعظم المحيط علما و قدرة[1] سبحانه ﴿ يعلم انهم لكذبون ه ﴾ فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم و الفضيحة ٥ عند الله بعلمه بكذبهم فى أنهم غير مستطيعين ، و جزاء الكاذب فى مثل ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدائم المخلد .

و لما بكتهم على وجه الإعراض لأجل التخلف و الحلف عليه كاذبا ، أقبل إليه صلى الله عليه و سلم بالعتاب فى لذيذ الخطاب على الاسترسال فى اللين لهم و الائتلاف[2] و أخذ العفو و ترك الخلاف إلى هذا الحد ، ١٠ فقال مؤذنا بأنهم ما تخلفوا إلا باذنه صلى الله عليه و سلم لأعذار ادعوها كاذبين فيها كما كذبوا فى هذا الحلف ، مقدما للدعاء على العتاب لشدة الاعتناء [ بشأنه - ٣ ] و اللطف به صلى الله عليه و سلم : ﴿ عفا الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿ عنك ج ﴾ و هذا كما[4] كانت عادة العرب فى مخاطبتهم[5] لأكابرهم بأن يقولوا : أصلح الله الأمير ، و الملك - و نحو ذلك . ١٥

و لما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم و نحوه ، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك : ﴿ لم اذنت لهم ﴾ أى فى التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الأمر باللين لهم و الصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق ، و هذا إنما

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : قدرا (٢) فى ظ : الاستيلاف (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : هو (٥) فى ظ : مخاطبة .

كان فى أول الأمر لخوف التنازع و الفتنة ، و أما الآن فقد علا الدين و تمكن أمر المؤمنين فالمأمور به الإغلاظ على المنافقين فهلا تركت الإذن لهم ﴿ حتى يتبين لك ﴾ أى غاية البيان ﴿ الذين صدقوا ﴾ أى فى التزام الأوامر / بما أقروا به من كلمة التوحيد ﴿ و تعلم الكٰذبين ﴾ أى /٥٠٤
٥ فيما أظهروا من الإيمان باللسان ، فانك إن[1] لم تأذن لهم لقعدوا بلا إذن غير مراعين ميثاقهم الذى واثقوك عليه بالطاعة فى العسر و اليسر و المنشط و المكره ؛ قال أبو حيان[2] : و "حتى" غاية الاستفهام - انتهى . و ذلك لأنه و إن كان داخلا على فعل مثبت فمعناه النفى ، أى ما لك لم تحملهم[3] على الغزو معك ليتحقق بذلك الحمل من يطيع و من يعصى ، فالحاصل
١٠ أن الذى فعله صلى الله عليه و سلم حسن موافق لما أمره[4] الله به فانه لاينطق عن الهوى بل عن أمر الله إما بايحاء واصل جديد ، أو استناد إلى وحي سابق حاصل عتيد ، و الذى أشار إليه سبحانه أحسن[5] مثل " ليغفر[6] لك الله[6] ما تقدم من ذنبك " من باب « حسنات الأبرار سيئات المقربين » و من باب[7] الترقية من [8]مقام عال[8] إلى مقام أعلى
١٥ تسييرا[9] فيهم[10] بالعدل لما انكشف أنهم ليسوا بأهل الفضل ؛ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى آخر كتاب العروة فى تفاوت وجه الخطاب فيما بين

---

(١) فى ظ : لو (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٥/٤٧ (٣) من ظ ، وفى الأصل : لم يحملهم (٤) فى ظ : امر (٥) زيد فى ظ : فهو (٦-٦) فى ظ : الله لك - كذا و راجع آية ٢ سورة ٤٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) فى ظ : مكان على (٩) من ظ ، و فى الأصل : يسيرا (١٠) فى ظ : فهم .

ما

ما أنزل على وفق[1] الوصية أو أنزل على حكم الكتاب : اعلم أن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه و سلم بالرحمة لجميع العالمين و خلقه بالعفو و المعروف، كما ورد فى الكتب السابقة من قوله تعالى « و أجعل العفو و المعروف خلقه » و بذلك وصاه كما ورد عنـــه صلى الله عليه و سلم [2] أنه قال[2] : أوصانى ربى من غير ترجمان و لا واسطة بسبع خصال : بخشية الله فى ٥ السر و العلانية ، و أن أصل من قطعنى . و أصفح عمن ظلمنى ، و أعطى من حرمنى ، و أن يكون نطقى ذكرا ، و صمتى فكرا ، و نظرى عبرة . فكان فيما أوصاه به ربه تبارك و تعالى من غير ترجمان و لا واسطة أن يصل من قطعه و يصفح عمن ظلمه ، و لا أقطع[3] له ممن كفر به و صد عنه ، فكان هو صلى الله عليه و سلم - بحكم ما بعث به و جبل عليه و وصى[4] ١٠ به - ملتزما للعفو عمن ظلمه و الوصل لمن قطعه إلا أن يعلن عليه بالإكراه على ترك ذلك و الرجوع إلى حق العدل و الاقتصاص و الانتصاف[5] المخالف لسعة وصيته الموافق لما نقل من أحكام سنن الأولين [6] فى مؤاخذتهم[6] بالحق و العدل إلى جامع شرعته ليوجد فيها نحو ما[7] تقدم من الحق و العدل و إن قل ، و لتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله ١٥ و سلم من البعثة بسعة الرحمة [ و - [8] ] الفضل "ان[9] الله يامر بالعدل و الاحسان"، "و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم[10]" فمن القرآن

---

(١) فى ظ : وجه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : رضى (٥) فى ظ : الاتصاف (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : من مواحديهم. (٧) فى ظ : ما (٨) زيد من ظ (٩) من القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩٠ ، و فى الأصل و ظ « و » (١٠) سورة ٨ آية ٣٣ .

ما أنزل على الوجه الذى بعث له و جبل عليه و وصى به نحو قوله تعالى "ادفع بالتى هى احسن السيئة[١]" و قوله تعالى "خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الجهلين[٢]" و قوله تعالى "و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر[٣]"
٥ و قوله تعالى "فاصفح الصفح الجميل[٤]" و قوله تعالى "فاصفح عنهم و قل سلم[٥]" و أصل معناه فى مضمون قوله تعالى "لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم[٦]" فما كان من المنزل على هذا الوجه تعاضدت فيه الوصية و الكتاب و قبله هو صلى الله عليه و سلم جبلة و حالا و عملا و لم تكن له عنه وقفة لتظافر[٧] الأمرين و توافق
١٠ الخطابين: خطاب الوصية، و خطاب الكتاب؛ و هذا الوجه [من -[٨]] المنزل خاص بالقرآن العظيم الذى هو خاص به صلى الله عليه و سلم، لم يؤته أحد قبله "و لقد آتينك سبعا من المثانى و القرآن العظيم[٩]" و من القرآن ما أنزل على حكم العدل و الحق المتقدم فضله فى سنن الأولين و كتب المتقدمين و إمضاء عدل الله سبحانه فى المؤاخذين و الاكتفاء بوصل الواصل
١٥ و إبعاد المستغنى و الإقبال على القاصد و الانتقام من الشارد، و ذلك خلاف ما جبل الله عليه نبيه و ما وصى به حبيبه صلى الله عليه و سلم؛ [١٠]فكان صلى الله عليه و سلم[١٠] إذا أنزل[١١] عليه - أى من الكتاب - على مقتضى الحق و إمضاء

(١) سورة ٢٣ آية ٩٦ (٢) سورة ٧ آية ١٩٩ (٣) سورة ٣ آية ١٥٩ - (٤) سورة ١٥ آية ٨٥ (٥) سورة ٤٣ آية ٨٩ (٦) سورة ٩ آية ١٢٨ (٧) فى ظ: لتظاهر (٨) زيد من ظ (٩) سورة ١٥ آية ٨٧ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) فى ظ: نزل .

العدل ترقب تخفيفه و ترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالإكراه فى أخذه
و التزام حكمه فحينئذ يقوم لله به و يظهر عذره فى إمضائه فيكون له
فى[1] خطاب التشديد عليه فى أخذه أعظم مدح و أبلغ ثناء من الله ضد ما
يتوهمه[2] الجاهلون، فما أنزل إنباء عن مدحه بتوقفه على إمضاء حكم العدل
و الحق رجاء تدارك الخلق و استعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى ٥
" فلعلك باخع نفسك على اٰثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا[3] "
و نحو قوله تعالى " لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين[4] " و نحو
قوله تعالى " و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون[5] " و مما أنزل
على وجه الإعلان عليه بما هو عليه من الرحمة و توقفه على[6] الأخذ
بسنن الأولين حتى يكره عليه ليقوم عذره فى الاقتصار على حكم الوصية ١٠
و حال الجبلة ما هو نحو قوله تعالى " و من يكفر به من الاحزاب فالنار
موعده فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك[7] " و نحو قوله تعالى
" و لو شاء ربك لأمن من فى الارض كلهم[1] جميعا افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين[8] " و نحو قوله تعالى " فان كنت فى شك مما انزلنا
اليك فسئل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ١٥
فلا تكونن من الممترين[9] " أى لا [ تتوقف لطلب الرحمة لهم كما - [10] ]
يتوقف الممترى فى الشيء أو الشاك فيه [ لما - [10] ] قد علم أنه لا بد لأمته

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يتوهم (٣) سورة ١٨ آية ٦ .
(٤) سورة ٢٦ آية ٣ (٥) سورة ١٥ آية ٩٧ (٦) من ظ : و فى الأصل: عن .
(٧) سورة ١١ آية ١٧ (٨) سورة ١٠ آية ٩٩ (٩) سورة ١٠ آية ٩٤ (١٠) زيد
من ظ .

من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم و حق كلمة العذاب عليهم و إجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من أهل الكتب الماضية فى المؤاخذة بذنوبهم و إنفاذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبهم " فكلا اخذنا بذنبه[١] " ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات " الان و قد عصيت قبل[٢] " "لا تركضوا و[٣] ارجعوا الى ما اترفتم فيه و مسٰكنكم " و ذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع - و لا بد - عن باطله حين[٤] لا ينفعه " و حرام على قرية اهلكنٰها انهم لا يرجعون[٥] " " الا قوم يونس لما اٰمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوٰة الدنيا[٦] " لما أبطن تعالى فى[٧] قلب نبيهم [٨]عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، و لما ملأ نبيه[٨] صلى الله عليه و سلم رحمة لأمته : كافرهم و مؤمنهم و منافقهم ، أشار بآى من إظهار[٩] مؤاخذتهم و أعلم بكف نبيه صلى الله عليه و سلم عن تألفهم و أحسبه[١٠] بمؤمنهم دون كافرهم و منافقهم " يٰايها النبى حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين[١١] " وكل ذٰلك[٧] معلوم عنـــده صلى الله عليه و سلم قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى " سنة من قد أرسلنا [ قبلك - [١٢]] من

(١) سورة ٢٩ آية ٤٠ (٢) سورة ١٠ آية ٩١ (٣) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢١ آية ١٣ ، و فى الأصل : او (٤) فى ظ : حتى (٥) سورة ٢١ آية ٩٥ . (٦) سورة ١٠ آية ٩٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٠) فى ظ : احتسبه (١١) سورة ٨ آية ٦٤ (١٢) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٧٧ .

رسلنا" "سنة الله التى قد خلت من قبل[١]"، "فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا [به -[٢]] من قبل"، "كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به و قد خلت سنة الاولين[٣]". و لذلك قال صلى الله عليه و سلم حين أنزل عليه "فان كنت فى شك مما انزلنا اليك[٤]": أما أنا فلا أشك و لا أسأل، لأنه قد علم جملة أمر الله فى أن منهم من يتداركه[٥] الرحمة و من يحق[٦] ٥ عليه كلمة العذاب، و لكنه لا يزال ملتزما لتألفهم و استجلابهم حتى يكره على ترك ذلك بعلن خطاب [نحو -[٧]] قوله تعالى "عبس وتولى ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى و ما عليك الا يزكى و اما من جاءك يسعى و هو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره[٨]" و نحو قوله ١٠ تعالى "ما كان لنبي ان يكون له اسرى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا و الله يريد الأخرة و الله عزيز حكيم لو لا كتب [٩]من الله[٩] سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حللا طيبا و اتقوا الله ان الله غفور رحيم[١٠]"، فهذه الآى و نحوها يسمعها العالم بموقعها[١١] / على ٥٠٦/ إكراه لنبي الرحمة حتى يرجع إلى عدل [نبي -[١٢]] الملحمة من جملة ١٥ أمداح القرآن له و الشهادة له بوفائه بعهد [و -[٧]] وصية حتى تحقق[١٣] له تسميته بنبي الرحمة ثباتا على الوصية و نبي الملحمة إمضاء فى وقت

(١) سورة ٤٨ آية ٢٣ (٢) زيد من القرآن الكريم سورة ٦ آية ٧٤ (٣) سورة ١٥ آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٤ (٥) فى ظ: تداركه (٦) فى ظ: تحق (٧) زيد من ظ (٨) سورة ٨٠ آية ١ - ١٢ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ. (١٠) سورة ٨ آية ٦٧ - ٦٩ (١١) فى ظ: بموقفها (١٢) زيد من ظ غير أن فيه زيادة « إلى » قبله (١٣) فى ظ: يحقق

لحكم الحق و إظهار العدل ، فهو صلى الله عليه و سلم بكل القرآن ممدوح و موصوف بالخلق العظيم [١] جامع لما تضمنته كتب الماضين و ما اختصه الله به من سعة القرآن العظيم [١] ، فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية و الكتاب فى محكم الخطاب ؛ و الله سميع عليم - انتهى .

٥ و لما فاته صلى الله عليه و سلم معرفتهم بهذا الطريق ، شرع العالم بما فى الضمائر يصفهم له بما يعوض عن ذلك ، فقال على طريق الجواب للسؤال : ﴿ لا يستاذنك ﴾ أى يطلب إذنك [٢] بغاية الرغبة فيه ﴿ الذين يؤمنون بالله ﴾ أى يجددون الإيمان كل وقت حقا من أنفسهم بالملك الذى له صفات الكمال ﴿ و اليوم الأخر ﴾ أى الذى يكون فيه الجزاء بالثواب و العقاب

١٠ ﴿ ان ﴾ أى فى أن ﴿ يجاهدوا بأموالهم و انفسهم ﴾ بل يبادرون إلى الجهاد عند إشارتك إليه [٣] و بعثك عموما عليه فضلا عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه ، فان الخلص من المهاجرين و الأنصار كانوا يقولون : لا نستأذنه صلى الله عليه و سلم أبدا فى الجهاد فان ربنا ندبنا إليه مرة بعد مرة فأىّ فائدة فى الاستئذان ! و لنجاهدن معه بأموالنا و أنفسنا ،

١٥ وكانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه و سلم بالقعود شق عليهم كما وقع لعلى رضى الله عنه فى [ غزوة - [٤] ] تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ! و لما كان التقدير : فمن اتصف بذلك فاعلم أنه متق باخبار الله ، عطف عليه

( ١ - ١ ) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليه (٤) زيد من ظ .

قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿عليم[١] بالمتقين ه ﴾ أى الذين[٢] يخافون الله كلهم .

و لما أخبر بالمتقين . عرف بغيرهم على وجه الحصر تأكيدا لتحقيق[٣] صفة العلم[٤] بما أخبر به سبحانه ، فصار الاستئذان منفيا عن المؤمنين مرتين ، فثبت للمنافقين على أبلغ وجه ﴿ انما يستاذنك ﴾ أى فى مثل ذلك فكيف ٥ بالاستئذان فى التخلف ! ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له نهاية العظمة إيمانا مستجمعا للشرائط ﴿ و اليوم الأخر ﴾ لأنهم لا يرجون ثوابا و لا يخافون عقابا و إن ادعوا ذلك بألسنتهم .

و لما كانت [ هذه -[٥] ] صفة المصارحين بالكفر ، بين أن المراد ١٠ المنافقون بقوله : ﴿ و ارتابت قلوبهم ﴾ أى تابعت الوساوس و تعمدت المشى معها حتى تخلقت بالشك ؛ و لما كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن الفطرة و سوء الوسوسة ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ فى ريبهم يترددون ه ﴾ أى بين النفى و الاثبات دأب[٦] المتحير لا يجزمون بشىء منهما و إن صدقوا أن الله موجود فان المشركين يصدقون بذلك ١٥ و لكنه لا ينفعهم للاخلال بشرطه ، و ليس استئذانهم فى أن يجاهدوا لإرادة الجهاد بل توطئة لأن[٧] يقولوا[٨] إذا أمرتهم به : إنه لا عدة لنا فى هذا الوقت فائذن لنا فى التخلف حتى نستعد ! و قد كذبوا ، ما ذلك بهم ،

---

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : لتحقق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان (٨) فى ظ : يقولون .

إنما بهم أنهم لا يريدون الخروج معك ﴿ و لو ارادوا الخروج لاعدوا له ﴾ أى قبل[1] حلوله ﴿ عدة ﴾ أى قوة و أهبة من المتاع و السلاح و الكراع بحيث يكونون متصفين بما قدمت إليهم من التحريض على نحو ما وقع الأمر به فى الأنفال فيكونون[2] كالحاضرين فى صلب الحرب الواقفين ٥ فى الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ﴿ و لكن ﴾ لم يريدوا ذلك قط فلم يعدوا له عدة، فلما أمرت به شرعوا يعتلون[3] بعدم العدة و ما ذاك بهم، إنما مانعهم كراهتهم للخروج و ذلك بسبب أن[4] ﴿ كره الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام بأن فعل [ فعل -[5]] الكاره فلم يرد ﴿ انبعاثهم ﴾ أى سيرهم معك[6] مطاوعة لأمرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له ١٠ ﴿ فثبطهم ﴾ [ أى -[5] ] حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حبب إليهم من الشهوات و كره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم / لا يرجون ٥٠٧/ ثوابا و لا يخشون غير السيف[7] عقابا، قصروا هممهم[8] الدنية على الصفات البهيمية، فلما استولت[9] عليهم الشهوات و ملكتهم الأنفس الدنيات نودوا من قبلها: إلى أين تخرجون؟ ﴿ و قيل ﴾ أى لهم لما أسرعوا الإقبال إليها ١٥ ﴿ اقعدوا ﴾ أى عن[10] جندى لا تصحبوهم، و فى قوله - : ﴿ مع القعدين ۝ ﴾ أى الذين[11] شأنهم ذلك كالمرضى و الزمنى و الصبيان و النساء - من التبكيت

(١) فى ظ : بعد (٢) فى ظ : فيكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعملون .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : معه (٧) من ظ ، و فى الأصل : السعف (٨) من ظ ، و فى الأصل : همهم (٩) فى ظ : اسلت .
(١٠) فى ظ : غير (١١) فى ظ : الذى .



ما

ما لا يعلم مقداره إلا أولو الهمم العلية و الأنفس الأبية ، و عبر بالمجهول إشارة إلى أنهم يطيعون الأمر بالقعود حقيقة و مجازا كائنا من كان كما أنهم يعصون الأمر بالنفر كائنا من كان لأن أنفسهم قابلة للدنايا غير صالحة للمزايا بوجه .

و لما كان كأنه قيل : ما له ثبطهم و قد كنا قاصدين سفرا[1] بعيدا و عدوا كثيرا شديدا[2] فنحن محتاجون إلى الإسعاد و لو بتكثير السواد ! قيل : ﴿ لو ﴾ أى فعل بهم ذلك لأنهم لو ﴿ خرجوا فيكم ﴾ أى و إن كانوا قليلا[3] معمورين بجماعاتكم ﴿ ما زادوكم ﴾ أى بخروجهم شيئا من الأشياء ﴿ الا خبالا ﴾ أى ما أتوكم بشيء زائد على ما عندكم من الأشياء غير الخبال ، و الاستثناء مفرغ و المستثنى منه - المقدر الثابت لهم الاتصاف به - هو الشيء ، و ذلك لا يقتضى اتصاف أحد منهم بالخبال قبل خروج المنافقين ، و الخبال : الفساد ، و هو ينظر على الخداع و الأخذ على غرة ﴿ و لا اوضعوا ﴾ أى أوقعوا الإيضاع ، حذف المفعول إشارة إلى أن مرادهم الإيضاع نفسه لا بقيد دابة ، و عبر بالإيضاع لأنه للراكب و هو أسرع من الماشى ﴿ خللكم ﴾ أى لأسرعوا فى السير ذهابا و إيابا بينكم فى تتبع عوراتكم و انتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا إلى الفساد بالنميمة و غيرها إن لم يجدوها . و الإيضاع فى السير يكون برفق و يكون باسراع ، و المراد به هنا الإسراع ، و مادة وضع بجميع تراكيبها تدور على الحركة ، و تارة تكون إلى علو و تارة إلى سفول ، و يلزم ذلك السكون و المحل القابل لذلك ، و على ذلك يتمشى العضو و العوض ، و عوض الذى هو بمعنى

(١) فى ظ : سفر (٢) من ظ ، و فى الأصل : شديد (٣) فى ظ : قليلين .

الدهر . و ضوع الريح و التصويت بالبكاء ، و الضعة لشجرة فى البادية ، و الوضع للطرح فى مكان و السير اللين و السريع ؛ و الخلال [1] جمع الخلل و هو الفرجة [2] ﴿ يبغونكم ﴾ أى حال كونهم يريدون لكم ﴿ الفتنة ج ﴾ أى بتشتيت الشمل و تفريق الأصحاب و تقدم عند "و قتلوهم حتى
٥ لا تكون فتنة" أنها الخلطة المميلة المحيلة ، أى يريدون لكم الشيء الذى يصيبكم فيغير حالتكم إلى ما يسوءكم فيسرهم ﴿ و فيكم ﴾ أى و الحال أنه فيكم ﴿ سمعون لهم ط ﴾ أى فى غاية القبول لكلامهم لضعف معارفهم و آرائهم . و ربما كان سماعهم منهم مؤديا إلى مطلوبهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى أخبركم بهذا من حالهم و له الإحاطة بكل شيء ﴿ عليم ﴾ بهم ، فثقوا بأخبارهم .
١٠ هكذا كان الأصل و إنما قال : ﴿ بالظلمين ه ﴾ إشارة إلى الوصف الذى أوجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن [3] الخير . و تعميما للحكم بالعلم [ بهم و بمن سمع لهم و بكل ظالم - [4] ] ، و الحاصل أنه شبه سعيهم فيهم بالفساد بمن يوضع بعيره فى أرض فيها أجرام شاخصة متقاربة ، فهو فى غاية الالتفات إلى معرفة ما فيها من الفرج و التأمل لذلك [5] حذرا من أن يصيبه
١٥ شيء من تلك الأجرام فيسقيه كأس الحمام ، فلا شغل لهم إلا بغية فسادكم [6] بعدم وصولكم إلى شيء من مرادكم .

و لما أخبر سبحانه بذلك ، و حث على قبول أخبارهم [7] بما وصفه

---

(١-١) فى ظ : خلل (٢) من ظ ، و فى الأصل : فرجة (٣) فى ظ : مواطن .
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٦) فى ظ : فسادهم (٧) فى ظ : اخباره .

به ذاته الأقدس من إحاطة العلم ، شرع يقيم الدليل على ما قال بتذكيرهم بأشياء تقدمت مشاهدتها منهم ، فقال معللا لما أخبر به : ﴿ لقد ابتغوا ﴾ أى طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم ﴿ الفتنة ﴾ أى لتشتيتكم ﴿ من قبل ﴾ أى قبل هذه الغزوة فى يوم أحد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى كاد بعضهم أن يفشل و فى المريسيع / بما قال ابن أبى " ليخرجن الاعز ٥ ٥٠٨ / منها الاذل[1] " و فى غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب فى أخذ كنوز كسرى و قيصر و الإرجاف بكم فى نقض بنى قريظة و غير ذلك كما[2] صنعوا قبله فى غزوة قينقاع و النضير فى قصدهم تقوية[3] كل منهم[4] عليكم و فى غير ذلك من أيام الله التى عكس فيها قصودهم و أنعس جدودهم[4] ﴿ و قلبوا ﴾ أى [5]تقليبا كثيرا[5] ﴿ لك الامور ﴾ أى التى[6] لك فيها أذى ١٠ ظهرا لبطن باحالة الآراء و تدبير المكايد و الحيل لعلهم يجدون فرصة فى نقض أمرك ينتهزونها أو ثغرة فى حالة يوسعونها ، و امتد بهم الحال فى هذا المحال ﴿ [7]حتى جآء الحق[7] ﴾ أى الثابت الذى لا مراء[8] فى مزاولته مما[9] تقدم به وعده سبحانه من إظهار الدين و قمع المفسدين ﴿ [4]وظهر[4] امر الله ﴾ أى المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال ١٥ و الجمال حتى لا مطمع لهم فى ستره[10] ﴿ وهم كرهون ﴾ أى لجميع

(١) سورة ٦٣ آية ٨ (٢) فى ظ: بما (٣) من ظ، وفى الأصل: بقوته (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على " وقلبوا " (٦) فى ظ : الذى (٧ - ٧) فى ظ : ان الامور (٨) فى ظ : امرام (٩) فى ظ : بما .
(١٠) من ظ ، و فى الأصل : سره .

ذلك فلم يبق لهم مطمع فى محاولة بمواجهة و لا[1] مخاتلة فصار همهم[2] الآن الاعتزال و المبالغة فى إخفاء الأحوال و ستر الأفعال و الأقوال .

و لما أجملهم فى هذا الحكم ، وكان قد أشار إلى أن منهم من كان قد استأذن فى الخروج توطئة للاعتذار عنه ، شرع يفصلهم ، و بدأ المفصلين

٥ بمن[3] صرح بالاستئذان فى القعود فقال عاطفا على[4] " لقد ابتغوا " : ﴿ و منهم من يقول ﴾ أى فى جبلته تجديد هذا القول من غير احتشام ﴿ ائذن لى ﴾ أى فى التخلف عنك ﴿ و لا تفتنى ط ﴾ أى تكن سببا فى فتنى بالحزم بالأمر بالنفر[5] فأفتتن إما بأن أتخلف فأكون مصارحا بالمعصية أو أسافر فأميل إلى نساء بنى الأصفر فأرتد عن الدين[6] فانه لا صبر لى

١٠ عن النساء ، و قائل ذلك هو الجد بن قيس ، كان من الأنصار منافقا .

و لما أظهروا أنهم قصدوا البعد من شىء فاذا هم قد ارتكبوا فيه ، انتهزت فرصة[7] الإخبار بذلك على أبلغ وجه بادخال ناف على ناف لتحصيل[8] الثبوت الأكيد باقرار المسؤل فقيل : ﴿ الا فى الفتنة سقطوا ط ﴾ أى بما قالوا و فعلوا ، فصارت ظرفا لهم فوضعوا أنفسهم بذلك فى جهنم ،

١٥ [و -[9]] فى التعبير بالسقوط دلالة على انتشابهم فى أشراك الفتنة انتشابا سريعا بقوة فصار يعسر خلاصهم معه ﴿ و ان جهنم لمحيطة ﴾ أى بسبب إحاطة الفتنة - التى أسقطوا[10] أنفسهم فيها - بهم ، و إنما قال : ﴿ بالكفرين ه ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : همهم (٣) فى ظ : ممن (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : بالسفر (٦) من ظ ، و فى الأصل : الدنيا (٧) من ظ ، و فى الأصل : نقصه - كذا (٨) فى ظ : ليحصل (٩) زيد ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : سقطوا .

تعميا و تنبيها على الوصف الذى حملهم على ذلك .

و لما كان كأنه قيل : ما الفتنة التى سقطوا فيها فأحاطت بهم جهنم بسببها ؟ قيل : ﴿ ان ﴾ أى هى كونهم أن ، و يجوز أن يكون[1] علة لإحاطة جهنم بهم ، [ و كأنهم - لأجل أنهم من الأوس و الخزرج فالأنصار أقاربهم - خصوا النبى صلى الله عليه و سلم بالعداوة و شديد الحنق ، و كذا ٥ أيضا كان لا يسوءهم و يسرهم من الحسنة و السيئة إلا ما له وقع - بما أذن به التعبير بالإصابة دون المس - لا ما دونه ، حفظا لقلوب أقاربهم و رعيا لأسرار نسائهم ، فقال إشارة إلى ذلك -[2] ] : ﴿ تصبك ﴾ أى بتقدير الله [ ذلك -[2] ] ﴿ حسنة ﴾ أى[3] بنصر أو غيره ﴿ تسؤهم ج ﴾ أى لما فى قلوبهم من الضغن و المرض ﴿ و ان تصبك مصيبة[4] ﴾ أى [ نكبة -[2] ] ١٠ و إن صغرت كما وقع يوم أحد ﴿ يقولوا ﴾ أى سرورا و تبجحا بحسن آرائهم ﴿ قد اخذنآ امرنا ﴾ أى عصينا الذى أمرنا و لم نسلم قيادنا لأحد فنكون[5] كالأعمه[6] ، لأن الأمر الحادثة و ضد النهى ، و منه الأمير ، رجل إمّر و إمرة - بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهمزة و تفتح[7] : ضعيف الرأى ، يوافق كل أحد على ما يريد من أمره كله ، و هو الأعمه[8] ١٥

---

(١) فى ظ : تكون (٢) زيد ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ : بتقدير الله .
(٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : سيئة (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيكون (٦) وقع فى الأصل و ظ : كالامعه - مقلوبا عما أثبتناه ، و ليس فى المعاجم ما ينص على مادته المقلوبة ، و العمه هو فى البصيرة مثل العمى فى البصر كما قاله ابن الأثير (٧) فى ظ : بفتح (٨) فى الأصل و ظ : الامعه .

وزنا و معنى ﴿من قبل﴾ أى قبل أن تكون هذه المصيبة ، فلم نكن مؤتمرين بأمره فيصيبنا فلم يكن ما أصاب من تبعه ، فكان أمرهم - لو كانوا مطيعين - كان شيئا متحققا بيد الآمر ، فلما عصوه كانوا كأنهم قد أخذوه منه.

و لما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة ، فكان جديرا بأن ٥ لا يقال[1] ، و إن قيل كان حقيقا بأن يستقال بالمبادرة إلى الرجوع عنه و الاستغفار منه ، أشار تعالى إلى تماديهم فيه فقال : ﴿و يتولوا﴾ أى عن مقامهم هذا الذى قالوا فيه ذلك و إن طال إلى إهاليهم ﴿وهم فرحون ۝﴾ أى لمصيبتكم لكفرهم[2] و لخلاصهم منها.

و لما كان قولهم هذا متضمنا / لتوهمهم القدرة على الاحتراس من ٥٠٩/ ١٠ القدر[3] ، قال تعالى معلما بجوابهم مخاطبا للرأس لعلو المقام : ﴿قل﴾ أى إنا نحن لا نقول مقالتكم لمعرفتنا بأنا لا نملك ضرا و لا نفعا ، بل نقول : ﴿لن يصيبنآ﴾ أى من الخير و الشر ﴿الا ما كتب﴾ أى قدر ﴿الله﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ، [ و لما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن إن أصابته سراء شكر و إن أصابته ضراء صبر ، عبر باللام فقال -[4] ] : ١٥ ﴿لنا ج﴾ أى لا يقدر على رده عنا إلا هو سبحانه ﴿هو﴾ أى وحده ﴿مولىٰنا ج﴾ أى القريب منا الذى يلى جميع أمورنا ، لا قريب منا سواه ، فلو أراد لدفع عنا كل مصيبة لأنه أقرب إلينا منها ، لا تصل إلينا بدون علمه و هو قادر ، فنحن نعلم أن له فى ذلك لطيف سريرة تتضاءل دونها ثواقب الأفكار و تخسأ عن الإحاطة بتحقيقها نوافذ الأبصار فنحن ٢٠ لا نتهمه فى قضائه لأنا قد توكلنا عليه و فوضنا أمورنا إليه ، و الموكل

(١) فى ظ : لايقاتل (٢) فى ظ : لكفركم (٣) فى ظ : القدرة (٤) زيد من ظ .

لا يتهم الوكيل ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الأعلى لا غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون ه ﴾ أى كلهم توكلا عظيما جازما لا معدل عنه ، فالفيصل بين المؤمن و الكافر هو إسلام النفس إليه وحده بلا اعتراض عليه يقلبها كيف يشاء[1] و يحكم فيها بما يريد .

و لما تضمن ذلك أن سراءهم و ضراءهم لهم خير من حيث أن الرضى ٥ بمر القضاء موجب لإقبال القاضى على المقضى[2] عليه بالرأفة و الرحمة ، صرح بذلك فى قوله : ﴿ قل هل تربصون ﴾ أى تنتظرون انتظارا عظيما ﴿ بنآ الآ احدى الحسنيين ط ﴾ أى و هى أن نصيب أعداءنا فنظفر و نغنم و نؤجر أو يصيبونا بقتل[3] أو غيره فنؤجر ، و كلا الأمرين حسن : أما السراء التى توافقونا[4] على حسنها فأمرها واضح ، و أما الضراء فموجبة ١٠ لرضى الله عنا و مثوبته لنا بالصبر عليها و رضانا بها إجلالا له و تسليما لأمره فهى[5] حسنى كما نعلم لا سوأى كما تتوهمون ﴿ و نحن نتربص بكم ﴾ أى ننتظر إحدى السوأيين و هى ﴿ ان يصيبكم الله ﴾ أى الذى له جميع القدرة و نحن من حزبه ﴿ بعذاب من عنده ﴾ أى لا تسبب لنا فيه كما أهلك القرون الأولى بصائر للناس ﴿ او بايدينا ز صلے ﴾ أى بسببنا من قتل ١٥ أو نهب و أسر و ضرب و غير ذلك لأن حذركم لا يمنعكم من الله ، و كل ذلك مكروه عندكم .

و لما تسبب عن هذا البيان أن السوء خاصة بحزب الشيطان ، حسن

(١) فى ظ : شاء (٢) من ظ ، و فى الأصل : المقتضى (٣) من ظ ، و فى الأصل : بعتد (٤) فى ظ : توافقونها (٥) فى ظ : فهو .

أن يؤمروا تهكما [ بهم -[1] ] [2]بما أداهم[2] إلى ذلك تخسيسا لشأنهم فقال : ﴿ فتربصوا ﴾ أى أنتم ﴿ انا ﴾ أى نحن ﴿ معكم متربصون ﴾ أى بكم، نفعل كما تفعلون، و القصد[3] مختلف، و الآية[4] من الاحتباك : حذف أولا الإصابة للدلالة عليها بما أثبت ثانيا، و ثانيا إحدى السوأيين للدلالة ٥ عليها باثبات الحسنيين أولا .

و لما كان من جملة ما يصيبهم منهم من العذاب الإنفاق بتزكية ما طهر من أموالهم بالإعانة فى سبيل الله خوفا من اتهامهم بالنفاق فى أقوالهم ليفتدوا أنفسهم به من السفر، قال : ﴿ قل انفقوا ﴾ أى أوجدوا الإنفاق لكل ما يسمى إنفاقا ﴿ طوعا اوكرها ﴾ أى مظهرين الطواعية ١٠ أو مظهرين الكراهية ؛ و لما كان الإعراض عنهم إنما سببه كفرهم لا إنفاقهم، لم يربط الجواب بالفاء بل قال : ﴿ لن يتقبل منكم ﴾ أى يقع تقبل لشىء يأتى من قبلكم أصلا من أحد له أن يتقبل كائنا من كان، و لذلك بناه للفعول، لأن قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة فى الإنفاق و لا فى غيره، فانقسام إنفاقكم إلى طوع و كره إنما هو باعتبار الظاهر، و كأنه ١٥ عبر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهرا ؛ و لما كان غير مقبول باطنا على حال من الأحوال علل بقوله : ﴿ انكم كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ قوما فسقين ﴾ [5]أى عريقين فى الفسق بالغين أنهى غاياته -[5] .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل : الفصل (٤) زيد بعده فى الأصل : مبنيا، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٥-٥) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « عبر بالمجرد » و الترتيب من ظ .



و لما

و لما علل بالعراقة[1] فى الخروج عن طاعـــة، بينه فى قوله : ﴿ و ما منعهم ان تقبل ﴾ أى باطنا، و لذا عبر بالمجرد ، [ و لذا بناه للفعول لأن النافع القبول فى نفس الأمر لا كونه من معين -[2] ] ﴿ منهم نفقتهم ﴾ أى و إن جلت ﴿ الآ انهم كفروا / بالله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال من الجلال و الجمال لفساد جبلاتهم و سوء غرائزهم[3] . ٥ / ٥١٠

و لما كان قبول النفقات مهيئا للطهارة التى تؤثرها[4] الصلاة ، كان السياق لعدم قبولها - ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم - أبلغ لأنه أدل على الخبث ، فأكد[5] كفرهم بزيادة الجار إشعارا بأن الكفر بكل منهما على حياله مانع فقال: ﴿ و برسوله[6] ﴾ أى فسقهم بأنهم غير مؤمنين و هو السبب المانع بمفرده من القبول؛ ثم قدح فى شاهدى ما يظهرون ١٠ من الإيمان و هما الصلاة و الزكاة و غيرهما من الإنفاق فى الخيرات بما هو لازم للكفر و دال عليه فقال: ﴿ و لا ياتون الصلوٰة ﴾ أى المفروضة و غيرها ﴿ الا و هم كسالى ﴾ أى فى حال كسلهم ، لا يأتونها قط بنشاط ﴿ و لا ينفقون ﴾ أى نفقة من واجب أو غيره ﴿ الا و هم كرهون ﴾ أى فى حال الكراهة و إن ظهر لكم[7] خلاف ذلك ، و ذلك كله لعدم ١٥ النية الصالحة و اعتقاد الآخرة ، و هذا لا ينافى طوعا لأن ذلك بحسب الفرض أو الظاهر و هذا بحسب الواقع .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : غرائزه .
(٤) فى ظ : تورها (٥) من ظ ، و فى الأصل : اكد (٦) فى ظ : رسوله (٧) فى ظ : لهم .

و لما انتفى عن أموالهم النفع الأخروى الذى هو النفع، تسبب عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها و عدم اعتقاد أن فيها بركة و دلالة على خير، فقال - مبينا ما فيها من الفساد الذى يظن أنه صلاح: ﴿فلا﴾ - بفاء السبب، فالسياق أبلغ من سياق الآتية بعد ٥ النهى عن الصلاة عليهم[1] ﴿تعجبك اموالهم[2]﴾ أى و إن أنفقوها فى سبيلى و جهزوا بها الغزاة. فان ذلك عن غير إخلاص منهم و لا حسن نية و لا جميل طوية، و إنما هو لما أذلهم من عزة الإسلام و أخافهم من سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب، و عطف عليها الأولاد لمشاركتها [لها -[3]] فى الملاذ و القوة و الاستعمال فى الجهاد، فقال مؤكدا للنفى ١٠ باعادة النافى[4]: ﴿و لآ اولادهم ط﴾ فكأنه قيل: فما ذا يراد باعطائهم ذلك؟ و لو منعوها و أعطيها المخلصون لكان قوة للدين، فقال: ﴿انما يريد الله﴾ أى يوقع الإرادة لهم بها الملك الذى له الإحاطة بجميع الحكمة كما أن [له -[3]] الإحاطة بتمام القدرة، و أبلغ فى الحصر بادخال اللام[5] فى قوله: ﴿ليعذبهم﴾ أى لأجل أن يعذبهم ﴿بها فى الحيوة﴾ أى و إن ١٥ كان يترآى أنها لذيذة، لأن ذلك من شأن الحياة فانما هى لهم موت فى الحقيقة ﴿الدنيا﴾ أى تارة بجمعها و تربيتها و تارة ببذلها كرها فى سبيل الله أو فى تزكيتها و تارة بغير ذلك ﴿و تزهق﴾ أى و إنما يريد بتمكينهم منها[5] لأجل أن يخرج وقت الموت بغاية الصعوبة ﴿انفسهم﴾

(١) راجع آية ٨٥ (٢) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: اموالكم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: النفى (٥) سقط من ظ.

أى بسببها ﴿ وهم ﴾ أى والحال أنهم ﴿ كفرون ۝ ﴾ أى عريقون فى الكفر ، وهكذا كل من أراد استدراجه سبحانه فانه فى الغالب يكثر أموالهم وأولادهم لنحو هذا لأنهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم[1] وحسن حالتهم [2]فيستمرون عليها[2] حتى يموتوا فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل فتنتهم ومحنتهم ، وأما الدين ٥ فان القادر يقويه بغير ذلك فيكون[3] أظهر لدليله وأوضح[4] لسبيله ؛ فالحاصل أنه ظهر لهم أنهم أكرموا بها وخفى عنهم أنها سبب لعذابهم فى الحياة باتكالهم[5] عليها ، وفى الممات بصعوبته عليهم[6] المشار إليه بالزهوق ، وفى الآخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها[7] ، وأما المؤمن فلا يموت حتى[8] يرى من الثواب ما يسليه عن كل شيء فيشتاق إلى ١٠ لقاء الله وتخرج نفسه وهو فى غاية المحبة لخروجها لأن البدن عائق له عما يرى .

ولما وضح بهذه الأمور منابذتهم للمؤمنين وخروجهم من ربقة الدين المصحح لوصفهم بالفسق ، أوضح لبسا آخر من أحوالهم يقيمونه بالأيمان الكاذبة فقال : ﴿ ويحلفون ﴾ أى طلبوا لكم الفتنة والحال أنهم يجددون ١٥ الأيمان / ﴿ بالله ﴾ أى على ما له من تمام العظمة ﴿ انهم ﴾ أى المنافقين / ٥١١ ﴿ لمنكم ﴾ أى أيها المؤمنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا ﴿ وما ﴾

(١) فى ظ : لكرمتهم (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : فيتشمرون عليها .
(٣) فى ظ : ليكون (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصح (٥) من ظ ، وفى الأصل : بانكلابهم - كذا (٦) فى ظ : عليه (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا .

أى و الحال أنهم ما ﴿ هم ﴾ صادقين فى حلفهم أنهم ﴿ منكم و لكنهم قوم ﴾ أى مع أن لهم قوة و قياما شديدا فيما يحاولونه ﴿ يفرقون ﴾ أى يخافون منكم على دمائهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجئ لهم إلى الحلف كذبا على التظاهر بالإسلام، فكأنه قيل : فما لهم يقيمون بيننا ٥ و المبغض لا يعاشر من يبغضه؟ فقيل : لأنهم لا يجدون ما[1] يحميهم منكم ﴿ لو يجدون ملجا ﴾ أى شيئا يلجأون إليه من حصن أو جبل أو قوم يمنعونهم منكم ﴿ او مغرت ﴾ فى الجبال تسعهم، جمع مغارة - مفعلة من غار فى الشيء - إذا دخل فيه. و الغور : ما انخفض من الأرض.

و لما كانت الغيران - و هى النقوب فى الجبال - واسعة و الوصول ١٠ إليها سهلا، قال : ﴿ او مدخلا ﴾ أى مكانا يدخلونه بغاية العسر و الصعوبة لضيقه أو لمانع[2] فى طريقه أو قوما يداخلونهم و إن كانوا يكرهونهم - بما أرشد إليه التشديد : ﴿ لولوا اليه ﴾ أى لاشتدوا فى التوجه إليه متولين مرتدين[3] عنكم على أعقابهم ﴿ و هم يجمحون ﴾ أى حالهم حال الدابة التى كانت مسرعة فى طواعية راكبها فاذا هى قد نكصت على ١٥ عقبها ثم أخذت فى غير قصده بغاية الإسراع و نهاية الرغبة و الداعية لا يردها بئر تقع فيه و لا مهلكة[4] و لا شيء.

و لما قرر حال من يتخلف عن الجهاد، و ربما بذل ماله[5] فيه افتداء لسفره، شرع فى ذكر من يشاركه فى الإنفاق [ و النفاق و يخالفه -[6] ]

---

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : مانع (٣) فى ظ : مدبرين (٤) من ظ، و فى الأصل : مهلك (٥) من ظ، و فى الأصل : مال (٦) زيد من ظ.

فقال: ﴿ و منهم من يلمزك ﴾ أى يعيبك عند مشاكليه[1] على طريق الملازمة فى ستر[2] و خفاء أو تظاهر و قلة حياء ﴿ فى الصدقٰت ج ﴾ أى اللاتى تؤتيها لأتباعك، [ و لما أخبر عن اللمز، أخبر أنه لحظ نفسه لا للدين فقال - [3] ]: ﴿ فان اعطوا منها رضوا ﴾ أى عنك[4] ﴿ و ان لم يعطوا منهآ ﴾ فاجأوا السخط الذى يتجدد فى كل لحظة و لم يتخلفوا عنه أصلا، و عبر عن ٥ ذلك بقوله: ﴿اذا هم يسخطون ه ﴾ فوافقوا الأولين فى جعل الدنيا همهم، و خالفوهم فى أن أولئك أنفقوا ليتمتعوا بالتخلف و هؤلاء طلبوا ليتنعموا بنفس المال الذى يأخذونه؛ قيل: إنها نزلت فى ذى الخويصرة[5] لما قال للنبى صلى الله عليه و سلم و هو يقسم غنائم حنين: اعدل يا محمد! فانى لم أرك تعدل، فقال له النبى صلى الله عليه و سلم: ويلك! و من يعدل ١٠ إذا لم أعدل؟ و سيأتى حديثه.

و لما أخبر تعالى عن حالهم السيّ[ الدنى‌ء - [3] ] الذى لا يجديهم فى الدنيا و يهلكهم فى الأخرى[6]، نبههم على ما هو الأصلح [7]لهم من[7] الحال الشريف السنى فقال: ﴿و لو انهم﴾ أى المنافقين ﴿رضوا مآ[8] اٰتٰهم الله﴾ أى المنعم بجميع النعم لأن له جميع الكمال ﴿ و رسوله لا ﴾ الذى عظمته ١٥ من عظمته قل ذلك المؤتى أو كثر طال زمنه أو قصر ﴿ و قالوا ﴾ أى مع الرضى[9] ﴿حسبنا الله﴾ أى كافينا لأن له جميع العظمة فهو الغنى المطلق.

(١) فى ظ: شياطينه - كذا (٢) فى ظ: تستر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: عندك (٥) و اسمه حرقوص بن زهير - راجع لباب التأويل ٣ / ٨٨ (٦) فى ظ: الآخرة (٧ - ٧) فى ظ: فى (٨) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: بما. (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها.

و لما كانت الكفاية تارة تكون بالتنجيز العاجل و تارة بالوثوق بالوعد الآجل ، بين أن الثانى هو المراد لأنه أدل على الإيمان فقال: ﴿ سيؤتينا الله ﴾ أى الملك الأعظم بوعد لا خلف فيه و اعتقدوا أن لا حق لأحد[1] فقالوا[2] : ﴿من فضله و رسوله لا﴾ أى الذى لا يخالف

٥ أمره ، [ على - [3] ] ما قدر لنا فى الأزل ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ انآ الى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده ﴿ رٰغبون ع ﴾ أى عريقون فى الرغبة ، فلذلك نكتفى بما يأتى من قبله كائنا ما كان ، أى لكان ذلك خيرا لهم لأنه لا ينالهم إلا ما قسم سبحانه لهم شاؤا أو أبوا.

و لما أخبر عن لمزهم فى الصدقات و قرر ما هو خير لهم إرشادا لهم

١٠ إلى النجاة ، علل فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم [ فيها - [3] ] و بين أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الأكمل غيره لمزوا أو[4] تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرا / [ [5] - بأداة القصر /٥١٢ على ما ذكر : ﴿ انما الصدقٰت ﴾ أى هذا الجنس بجميع ما صدق من أفراده ، و الظاهر أنه قدم الأهم فالأهم ، فلذا قال الشافعى : إن

١٥ الفقير أشدهم حاجة لكونه ابتدأ به ، فقال : ﴿ للفقرآء ﴾ أى الذين لاشىء لهم أو لهم شىء لا يقع موقعا من كفايتهم ﴿ و المسٰكين ﴾ أى الذين لا كفاية لهم بدليل "اما السفينة[6]" - الآية ، و أما "مسكينا

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ «و» (٥) ومن هنا تعرض الأصل لنقص صفحتين كاملتين : ٥١٢ و ٥١٣ ، فسددنا هذا النقص بنسخة ظ (٦) سورة ١٨ آية ٧٩ .

دا مترتبة "[1] فتقييده دل على أن المطلق بخلافه ﴿ و العملين عليها ﴾ أى المؤتمنين فى السعاية و الولاية على جمعها ﴿ و المؤلفة قلوبهم ﴾ أى[2] ليسلموا أو يسلم بسببهم غيرهم أو يثبتوا على إسلامهم ؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : بعث إلى النبى صلى الله عليه و سلم بشىء فقسمه بين أربعة و قال : أتألفهم ، فقال رجل : ما عدلت ! ٥ فقال : يخرج من ضئضئ[3] هذا قوم يمرقون من الدين . و فى رواية : فاستأذنه رجل[4] فى ضرب عنقه فقال : لا ، دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم - الحديث . و لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[5] . و لا يقال : إن العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فان عمله بالمقام الخضرى - كما تقدم - أنه ما من كرامة لنبى إلا و له صلى الله عليه و سلم ١٠ مثلها أو أعلى[6] منها بنفسه أو بأحد من أمته .

و لما فرغ من هذه[7] الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة فى أيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤا ، كما دل عليه التعبير [ باللام ، ذكر الذين يعطون الصدقة لقضاء ما بهم كما دل عليه التعبير -[8] ] بـ « فى »

(١) سورة ٩ آية ١٦ (٢) فى ظ : او (٣) و الضئضئ : النسل (٤) و رواية البغوى فى المعالم تنص على أنه عمر بن الخطاب - راجع هامش لباب التأويل ٣/٨٨. (٥) و هذه الرواية قد خرجها فى كنز العمال - قتل الخوارج (٦) فى ظ : على - كذا (٧) تأخر فى ظ عن « الأصناف » (٨) ما بين الحاجزين زدناه لاستقامة العبارة ، و هو أقرب نسج على منوال المؤلف ، و قال فى لباب التأويل ٣/٩٢ : و هى أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات =

فقال : ﴿ و في الرقاب ﴾ أي و المكاتبين بسبب فك رقابهم من الرق
﴿ و الغرمين ﴾ أي الذين استدانوا في غير معصية ، يصرف ما يعطونه
إلى قضاء ديونهم فقط ﴿ و في ﴾ أي و المجاهدين في ﴿ سبيل الله ﴾
أي الذي له الأمر كله بالنفقة و الحمل و الإعانة بالسلاح و غير ذلك ،
٥ ونقل القفال[1] عن بعض الفقهاء أنه عمم السبيل فأجاز صرفه إلى جميع وجوه
الخير من تكفين الموتى و عمارة المساجد و نحوها ﴿ و ابن السبيل ﴾
و هو المسافر المنقطع عن بلده ، يعطى ما يوصله [ إليه ، ففيه إشارة -[2] ]
إلى أن رسولنا صلى الله عليه و سلم لم يفعل ما أدى إلى لمزهم له بسببه
إلا بأمر حقا ، فانا قد عينّا له أهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشيء
١٠ من الأشياء لأنه واقف عند ما يرضينا ، فان كانوا منهم أعطاهم و إلا منعهم
رضي من رضي و سخط من سخط ، و قد فرض ذلك ، أو ثابتة[3] للفقراء
حال كونها ﴿ فريضة ﴾ كائنة ﴿ من الله ﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة
و علما لعلمه بأن في ذلك أعظم صلاح ، و هذا كالزجر عن مخالفة الظاهر
﴿ و الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أي بالغ العلم
١٥ بما يصلح الدين و الدنيا و يؤلف بين قلوب المؤمنين ﴿ حكيم ه ﴾ أي فهو

= فيصرفون ذلك فيما شاؤا ، و أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق و لا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه .

(١) والمشهور بالقفال في الفقهاء الشافعية سعيد بن عمر النجار و عبد الله بن أحمد المروزي و محمد بن علي الشاشي و ابنه القاسم بن محمد بن علي الشاشي (٢) زدناه لتعديل العبارة (٣) في ظ : ثابيه - كذا .

يجعل

يجعل أفعاله من الإحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها ؛ قال أبو حيان :
« بما » [ إن - [1] ] كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها ، و إن
[ كانت - [1] ] لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط
الحكم بالوصف يقتضى التعليل به ، و التعليل بالشيء يقتضى الاقتصار
عليه . و حكمة الزكاة من جهة المالك أن المال محبوب لأنه يحصل المحبوب ٥
و التمادى فى حبه يوجب[2] الإعراض عن الله المعطى له ، فكان من الحكمة
تذكير المالك له بالمالك الحقيق فى أنه أوجب عليه إخراج طائفة
منه ليكف منه انصباب النفس بالكلية إليه و يطهر النفس عن محبتها
له و يطهره عن محض الإنفاق فى الشهوات ، و من جهة الآخذ
أنه لما اجتمعت حاجته إليه و حاجة المالك - و لو احتمالا - كان هناك ١٠
سببان للتسلط على المال : أحدهما اكتساب المالك له ، و الثانى احتياج
الآخذ إليه ، فروعى السببان بقدر الإمكان ، و رجح المالك بإبقاء الكثير ،
و صرف إلى الآخذ اليسير . و أجرى الشافعى الآية على ظاهرها فقال :
إن أخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة و صرف إلى
الستة الأصناف . و إن قسم الإمام فعلى سبعة ، و يجب أن يعطى من كل ١٥
صنف ثلاثة أنفس ، و من لم يوجد من الأصناف رد نصيبه على الباقين[3]
و يستوى بين الأصناف لا بين آحاد الصنف . و قال[4] أبو حنيفة : يجوز
صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج

---

(١) زيد من البحر المحيط ٥/٥٧ (٢) فى ظ : يعجب (٣) فى ظ : البقين - كذا ، و المسألة مذكورة فى الزكاة من كتاب الأم (٤) فى ظ : قا - كذا .

الصدقة عنهم ، لا أن تكون فى جميع الأصناف - و هو قول عمر بن الخطاب و حذيفة و ابن عباس رضى الله عنهم و سعيد بن جبير و عطاء و أبى العالية و ميمون بن مهران[١] .

و لما بين الصنفين السالفين ، و ختم أمرهما بصفتى العلم و الحكمة ، ٥ أتبعهما بصنف آخر يؤذى بما يجعله نقصا فى صفات الرسول صلى الله عليه و سلم فيلزم الطعن فى علم مرسله و حكمته فقال : ﴿ و منهم الذين يؤذون النبى ﴾ أى الذى أعلى الله مقداره ، فهو ينبئه بما يريد سبحانه من خفايا الأسرار ؛ و لما أخبر بمطلق الأذى الشامل للقول و الفعل ، عطف عليه قوله : ﴿و يقولون هو﴾ أى من فرط سماعه لما يقال له ﴿اذن﴾ ١٠ و مرادهم أنه يصدق كل ما يسمع و يقبل قول كل أحد - كما سمى الجاسوس عينا ؛ قال أبو حيان : كان خذام[٢] بن خالد و عبيد بن هلال و الجلاس ابن سويد فى آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال بعضهم : لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا ، فقال الجلاس : بل نقول ما شئنا فان محمدا أذن سامعة ، ثم نأتيه فيصدقنا ، فنزلت ، و قيل غير ذلك ، ١٥ يقال : رجل أذن - إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوى فيه الواحد و الجمع[٣] - انتهى . و مرادهم أنه صلى الله عليه و سلم لا يعرف مكر[٤] من يمكر به و خداع من يخادعه و كذبوا ، هو أعرف الناس بذلك ، و لكنه

---

(١) راجع البحر ٥/٥٧ و ٥٨ (٢) و فى البحر المحيط ٥/٦٢ : قدام - كذا ، و ورد هذا الاسم فى المغازى للواقدى كما فى أصلنا - راجع غزوة تبوك من المغازى (٣) وهذا القول منسوب إلى الجوهرى (٤) فى ظ : منكر - كذا .

يعرض عند المصالح، لا يليق بمحاسن الدين غيرها، بينها تعالى بقوله: ﴿قل اذن خير﴾ ثم بين [ أن - ١ ] نفع ذلك عائد إليهم بقوله: ﴿لكم﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يؤمن﴾ أي يوقع الإيمان للملائكة الذين يأتونه عن الله من التكذيب بأن يصدقهم معترفا ﴿بالله﴾ أى بسبب ما يخبرونه عنه به حق الإيمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال ٥ والإكرام؛ وحاصله أن فعل الإيمان ضمن فعل التصديق ثم حذف وانتزعت منه حال أقيمت مقامه ثم حذفت وأتى بصلة تدل عليها كما قالوا في قوله تعالى "ولتكبروا الله على ما هدىٰكم[٢]" أن التقدير: حامدين على ما هداكم، فالتقدير هنا: يؤمن مصدقا بالله، فهذا حقيقته وهو يثمر محبة المؤمنين وولايتهم، ولذا أتبعه قوله: ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ أي الراسخين، ١٠ يوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم فى كل ما يخبرونه به مما يحتمل التصديق، وذلك لأجل مصالحهم والتأليف بينهم مع ما ثبت من صدقهم، فانه لو حملهم على عقله ومبلغ علمه يجبه الكاذب وعاقب الخائن بمجرد علمه وتفرسه، لقصرت عن ذلك غالب الأفهام وتاهت بسببه أكثر الأوهام، فنفرت القلوب ووقع من الأغلب الاتهام. ولما ١٥ كان التصديق بوجود الإله على ما له من صفات الكمال المقتضى للأمر والنهى عدى بالباء، وهنا لما كان التصديق إنما هو للاخبار بأىّ شىء كان عدى باللام وأشير - بقصر الفعل وهو متعد - إلى المبالغة فى التصديق بحيث كأنه لا تصديق ] / [٣] غيره.

---

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سورة ٢ آية ١٨٥ (٣) ومن هنا استأنف الأصل.

و لما بين سبحانه أن تصديقه ظاهرا و باطنا إنما هو للراسخين فى الإيمان، بين أن تصديقه لغيرهم إنما هو فى الظاهر فقال: ﴿ و رحمة ﴾ أى و هو رحمة ﴿ للذين اٰمنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان بألسنتهم ﴿ منكم ﴾ فهو - و الله أعلم - إشارة إلى المنافقين و من فى حكمهم ممن جزم لسانه
٥ و قلبه مزلزل، أى أن إظهار تصديقهم قبولا لما ظهر منهم و ستر قبائح أسرارهم سبب للكف عن دمائهم، و إظهار المؤمنين لمقتهم ربما كان ذلك سببا لصدق إيمانهم بما يرون من محاسن الإيمان بتمادى الزمان، و لا يستبعد كون التعبير بالماضى إشارة إلى المنافقين لا سيما بعد التعبير باسم الفاعل، فقد قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح ما نصه:
١٠ الباب الرابع فى رتب البيان عن تطور الإنسان بترقيه فى درج الإيمان و ترديه فى درك الكفران: اعلم أن الله محيط بكل شيء خلقا و أمرا أولا و آخرا ظاهرا و باطنا و هو حمدة، و له علو فى ظهور أمره و كبير خلقه، و احتجاب[1] فى مقابل ذلك من خلقه و أمره بما أبداه من حكمته و أسباب هداه و فتنته. و ذلك العلو هو إلاهيته، و الاحتجاب
١٥ [2]هو ملكه، و بينهما إقامة كل خلق لما خلق له و تأييد كل أمر من الأمرين لما أقيم له، و ذلك هو ربانيته[2] و لكل فتق من خلقه و أمره رتق سابق، و لكل تفاوت سواه، و ذلك هو[3] رحمانيته، و لكل أقرب فى مدد الحجاب اختصاص و ذلك هو رحيميته، و لكل أبعد فى مدد

(١) من ظ، و فى الأصل: احجاب - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ: فى.

الحجاب بطش منه شديد فى رده إلى القرب و تلك هى نقمته، و لكل من تنزلاته العلية ظاهرا و باطنا أمر خاص، و لـكل أمر خلق، يرد بيان القرآن لـكل خلق بحسب كنه ذاته و اختصاص رتبة قربه و محل بعده، و أن الله سبحانه جعل آدم و ذراه خليفة له فى جميع أمره و تفصيله، و أنزل القرآن بناء على[1] جملة ذلك. فاردأ الأحوال لهذا المستخلف ٥ المحل الذى سمى[2] فيه بالإنسان، و هو حيث أنس بنفسه و غيره و نسى عهد ربه، فيرد لذلك بناؤه بالذم فى القرآن "قتل الانسان ما اكفره[3]"، "ان الانسان لربه لكنود[4]" ثم المحل الذى تداركه فيه تنبه[5] لسماع الزجر من ربه، و هو له بمنزلة سن المميّز لابن سبع، و لا يقع إلا عن اجتماع و تراء، و ذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم، أى ترددهم ١٠ بين سماع الزجر من ربهم و غلبة أهوائهم عليهم، فيرد لذلك بناؤهم بذم أكثرهم فى القرآن "و لكن اكثر الناس لا يعلمون - و لا يشكرون" ثم المحل الذى يتحقق لهم قبول و سماع و إيمان لغائب الأمر و الخلق، لكنهم يتزلزلون[6] عنه كثيرا عند كل عارضة نيل و خادعة رفعة، و هو لهم بمنزلة سن المحتلم الذى قد ذاق طعم بدو النطفة من باطنه الناجم ١٥ العقل للنظر فى حقائق المحسوسات، و ذلك هو السن [الذى يسمون -[7]] فيه "الذين آمنوا" و هو أول سن التلقى، فلذلك جميع[8] آداب القرآن

(١) من ظ، و فى الأصل: عن (٢) فى ظ: يسمى (٣) سورة ٨٠ آية ١٧.
(٤) سورة ١٠٠ آية ٦ (٥) من ظ، و فى الأصل: تنبيه (٦) فى ظ: يتزلون.
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: جمع

و تعليمه إنما مورده أهل هذا السن ، كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول[1] : إذا سمعت الله عز و جل [ يقول - [2] ] " يايها الذين امنوا " فأعرها[3] سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، و كما أن ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ، و ما يخص المميز
٥ لا يدخل فيه البالغ ، كذلك خطاب " الذين امنوا " لم يصل إليه الناس بعد ، و خطاب الناس قد جاوزه " الذين امنوا " لأنهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس ، و قد ائتمروا بما يأتمر به الناس ؛ و هذه الأسنان الخالية / عند أولى البصائر و خاص خطابها أشد ظهورا من /٥١٥ أسنان الأبدان عند أصحاب الأبصار ، و عدم التبصرة بهذه المراتب فى
١٠ الأحوال و البيان هي أقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن ، و كذلك ما فوق سن " الذين امنوا " من سن " الذين يؤمنون " و هم فى أول حد القرب بمنزلة بلوغ الأشد ، و سن " الذين امنوا " و " الناس " فى مدد حد البعد و لذلك يخاطبون بحرف ' يا ' المرسلة إلى حد البعد : " يايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
١٥ بالله و رسوله[4] " و فوق ذلك سن المؤمنين و أدنى قربا ، و لذلك لم يرد فى القرآن[5] فى خطابهم ' يا ' البعد ، و هذا السن بمنزلة الاكتهال و سن الشيب ، و تمام سنهم " المؤمنون حقا " و كذلك إلى سن " المحسنين " إلى غيب سن " الموقنين " إلى ما وراء ذلك ، فان أسنان الجسم أرابيع ،

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل و ظ : فارعها ، و إعارة السمع كناية عن الإصغاء إلى شيء (٤) سورة ٦١ آية ١٠ و ١١ (٥) من ظ ، و فى الأصل : القرب .

و أسنان القلب أسابيع، يعرفها من تطور فيها، و يجهلها من نبت سن قلبه على الجهل و تطور سن جسمه إلى الهرم « يهرم ابن آدم و يشيب منه إثنتان: الحرص و الأمل » فالحرص فقره و لوملك الدنيا، و الأمل همه و تعبه ، فمن لم يتحقق أسنان القلب و تفاوت خطابها لم ينفتح له الباب إلى فهم القرآن، و من لم يتضح له تنزلات الخطاب لم يبن[1] له ٥ خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب الملك الديان - انتهى .

و لما بين ما لمن صدقه باطنا أو ظاهرا من الرحمة، بين ما على من كذبه فآذاه من النقمة فقال: ﴿ و الذين يؤذون ﴾ أى من هؤلاء و من غيرهم ﴿ رسول الله ﴾ أى الذى أظهر - و هو الملك الأعلى - شرفه و عظمته بالجمع بين الوصفين و أعلاه باضافته إليه، و زاد فى رفعته بالتعبير باسمه ١٠ الأعظم الجامع، و هو واسطة بين الحق و الخلق فى إصلاح أحوالهم فانما يستحق منهم الشكر و الإكرام لا الأذى و الإيلام .

و لما كان أذاهم مؤلما جعل جزاءهم من جنسه فقال: ﴿ لهم عذاب اليم ﴾ ثم علل ذلك باستهانتهم بالله و رسوله، و أخبر أنهم يخشون على دمائهم فيصلحون ظواهرهم[2] حفظا لها بالأيمان الكاذبة فقال: ﴿ يحلفون بالله ﴾ ١٥ أى الذى له تمام العظمة ﴿ لكم ﴾ أى أنهم ما آذوا النبى صلى الله عليه و سلم خصوما و لا أولادكم بالمخالفة عموما؛ و بين غاية مرادهم بقوله: ﴿ ليرضوكم ج ﴾ .

و لما كان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بأذن بالمعنى الذى

(١) فى ظ : لم يبين (٢) فى ظ : خواطرهم .

أرادوه ، بين أنه لم يكن راضيا بإيمانهم لعدم وقوع صدقهم فى قلبه و لكنه أظهر تصديقهم لما تقدم من الإصلاح فقال: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ﴿ورسولهٓ ﴾ أى الذى هو أعلى خلقه ، و بلغ النهاية فى تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة ٥ الراضى لأن كل ما يرضى أحدهما يرضى الآخر فقال: ﴿ احق ان ﴾ أى بأن ﴿ يرضوه ﴾ و لما كان مناط الإرضاء[1] الطاعة و مدار الطاعة الإيمان ، قال معبرا بالوصف لأنه مجزأه[2] : ﴿ ان كانوا مؤمنين ه ﴾ أى فهم يعلمون أنه أحق بالإرضاء فيجتهدون فيه ، و ذلك إشارة إلى أنهم إن جددوا إرضاءه كل وقت كان دليلا على إيمانهم ، و إن خالفوه كان ١٠ قاطعا على كفرانهم .

و لما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكراهة الخزى عند المؤمنين و بين[3] من هو الأحق بأن يرضوه ، أقام الدليل على ذلك فى استفهام إنكار و توبيخ مبينا أنهم فرّوا من خزى منقض فسقطوا فى خزى دائم ، و الخزى : استحياء فى هوان ، فقال : ﴿ الم يعلموٓا ﴾ [4]أى لدلالتهم على ١٥ الأحق بالإرضاء[4] . و لما كان ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا أضخم ، أضمر[5] للشأن فقال : ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم ﴿من يحادد الله﴾ [ و هو الملك الأعظم ، و يظهر المحاددة - بما أشار إليه الفك -[6] ] ﴿ و رسوله ﴾ أى [ الذى عظمته من عظمته ، بأن -[6] ] يفعل معهما فعل من يخاصم فى

(١) فى ظ : الأرضياء (٢) من ظ ، وفى الأصل : مجزه - كذا (٣) فى ظ : ذكر .
(٤-٤) فى ظ : و لما علم من الدين بالضرورة - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : اصمار (٦) زيد من ظ .



حد

حد أرض فيريد أن يغلب على حد خصمه، و يلزمه أن يكون فى حد غير حده ﴿فان له نار جهنم﴾ أى فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه ﴿خلدا فيها﴾ أى دائما من غير انقضاء كما كانت نيته المحادة[1] أبدا؛ ثم نبه /على عظمة[2] هذا الجزاء بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن ﴿الخزى العظيم ﴾. /٥١٦

و لما علل فعل المستهينين، أتبعه تعليل أمر صنف [آخر -[3]] أخف منهم نفاقا بما عندهم مما يقارب التصديق فقال: ﴿يحذر المنفقون﴾ و عبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيرا لهم من أدنى النفاق فانه يجر إلى أعلاه ﴿ان تنزل[4]﴾ و لما كانت السورة الفاضحة لهم داهية و نائبة من نوائب الدهر و شدائده، عدى الفعل بعلى فقال: ﴿عليهم سورة﴾ أى قطعة من القرآن شديدة الانتظام ﴿تنبئهم﴾ أى تخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ﴿بما فى قلوبهم﴾ لم يظهروا عليه أحدا من غيرهم أو أحدا مطلقا، و لعل هذا الصنف كانوا يسلفون الأيمان لعلها تشكك[5] بعض الناس أو تخفف[6] عنهم إذا زل ما يهتكهم، روى أنهم كانوا يقولون ما يؤدى[7] و يدل على النفاق و[8] يقولون: عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا، و قال بعضهم بعد كلام قالوه: و الله إنى لأرانا شر خلق الله و لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة و أنه لا ينزل فينا شىء يفضحنا.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: المحاكه - كذا (٢) فى ظ: عظم (٣) زيد من ظ.
(٤) زيد بعده فى الأصل: عليهم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل: يشكك (٦) من ظ، و فى الأصل: يخفف (٧) فى ظ: نوذى.
(٨) فى ظ: ما.

و لما كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ ، قال مهددا: ﴿ قل استهزءوا ج ﴾ أي افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ﴿ ان الله ﴾ أي المحيط بكمال العلم و تمام القدرة ﴿ مخرج ﴾ أي كانت له وصف إخراجه ﴿ ما تحذرون ﴾ أي إخراجه من قبائحكم ؛ و عن الحسن : كان المسلمون ٥ يسمون هذه السورة الحفارة ، حفرت ما في قلوب المنافقين و أظهرته .

و لما وصفهم بالنفاق ، حققه بعدم مبادرتهم[1] إلى التوبة التي هي فعل المؤمنين ، و باجترائهم على الإنكار مع كون السائل لهم مَنْ بلغ الغاية في الجلال و الوقار و الكمال فقال: ﴿ و لئن سالتهم ﴾ أي و أنت من يجب أن يصدقه مسؤله عما[2] أخرجت السورة مما أظهروا بينهم من ١٠ الكفر ، و ذلك حين قال بعضهم : انظروا إلى هذا الرجل يظن أنه[3] يفتح قصور الشام و حصونها[4] ! هيهات هيهات ! فأعلمه الله فقال : احبسوا علي[3] الركب ، [ فسألهم - [5] ] ﴿ ليقولن انما ﴾ أي ما قلنا شيئا من ذلك ، إنما ﴿ كنا نخوض ﴾ أي نتحدث[6] على غير نظام ﴿ و نلعب ط ﴾ أي بما لا حرج علينا فيه و يحمل عنا ثقل الطريق ، فكأنه قيل : فما ذا يقال لهم ١٥ إذا حلفوا على ذلك على العادة ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أي لهم تقريرا على استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا إعلاما بأنه غير أهل لأن يسمع جاعلا[7] لهم كأنهم[8] معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي[9] حرف التقرير ، و ذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و ثبوته تكذيبا لهم

(١) في ظ : مبادرته (٢) في ظ : كما (٣) في ظ : ان (٤) من تفسير الطبري ، و في الأصل و ظ : حصونه ، و زيدت الواو بعده في ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل نتحور - كذا (٧) في ظ : عاجلا (٨) في ظ : بانهم (٩) في ظ : على .

فى قولهم : إنك أذن ، بالمعنى الذى أرادوه ، و بيانا لما فى إظهارك لتصديقهم من الرفق بهم ﴿ ابالله ﴾ أى وهو المحيط بصفات الكمال ﴿ و اٰيته ﴾ أى التى لا يمكن تبديلها و لا تخفى[1] على ذى بصر ولا بصيرة ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى عظمته من عظمته و هو مجتهد فى إصلاحكم و تشريفكم و إعلائكم ﴿ كنتم ﴾ أى دائما ﴿ تستهزءون ﴾ . ٥

و لما حقق استهزاءهم ، أنتج قوله : ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى لا تبالغوا فى إثبات العذر ، و هو ما ينفى[2] الملام ، فان ذلك لا يغنيكم و إن اجتهدتم لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قد كفرتم ﴾ أى بقولكم هذا ، و دل - على أن كفرهم أحبط ما كان لهم من عمل - بنزع الخافض تشديدا على من نكث[3] منهم تخويفا [ له و تحقيقا - [4] ] بحال من أصر [ فقال - [4] ] : ١٠ ﴿ بعد ايمانكم[5] ﴾ أى الذى ادعيتموه بألسنتكم صدقا من بعضكم و نفاقا من غيره .

و لما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم ، بين أنهم / قسمان : أحدهما مطبوع على قلبه و مقضى[6] /٥١٧ توبته و حبه . و هذا الأشرف[7] هو المراد بقوله بانيا للفعول إعلاما بأن ١٥ المقصود الأعظم هو الفعل ، لا بالنظر إلى فاعل معين : ﴿ ان يعف ﴾ لأن كلام الملك و إن جرى فى مضمار الشرط فهو مرشد إلى تحققه

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يخفى (٢) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٣) فى ظ : تاب (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : مقتضى (٧) من ظ ، و فى الأصل : الاشراف .

ليحصل الفرق بين كلام الأعلى و الأدنى ﴿ عن طآئفة منكم[1] ﴾ أى لصلاحيتها للتوبة ﴿ تعذب طآئفة ﴾ أى قوم ذوو عدد فيهم أهلية الاستدارة[2]، و قرأ عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كانوا مجرمين ﴾ أى كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير ٥ صفة لهم ثابتة[3] لا تنفك، فهم غير متأهلين للعفو، و شرح هذه القصة أنه كان يسير بين يدى النبى صلى الله عليه و سلم فى غزوة تبوك ثلاثة[4] نفر من المنافقين : اثنان يستهزئان بالقرآن و الرسول، و الآخر يضحك، قيل : كانوا يقولون : إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم و يفتح مدائنهم، ما أبعده من ذلك ! و قيل : كانوا يقولون : إن محمدا يزعم أنه نزل فى ١٠ أصحابنا المقيمين فى المدينة قرآن، و إنما هو قوله و كلامه، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه و سلم على ذلك فقال : احبسوا الركب علىّ، فدعاهم و قال لهم : قلتم كذا وكذا ؟ فقالوا : " انما كنا [ نخوض و نلعب " أى كنا - [5] ] نتحدث و نخوض فى الكلام كما يفعل الركب لقطع[6] الطريق بالحديث و اللعب؛ قال ابن إسحاق : و الذى عفى عنه رجل واحد ١٥ و هو مخشى[7] بن حمير الأشجعى، يقال : هو الذى كان يضحك و لا يخوض وكان يمشى مجانبا لهم و ينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت [ هذه - [5] ] الآية [ تاب - [8] ]، قال : اللهم ! لا أزال أسمع آية تقرأ، تقشعر منها

---

(١) فى ظ : منهم (٢) فى ظ : الاستداد (٣) فى ظ : نابتة (٤) من ظ و معالم التنزيل ومعظم السياق له - راجع لباب التأويل ٣/٩٦، و فى الأصل : ثلاثون. (٥) زيد من المعالم (٦) من المعالم، و فى الأصل: يقطع، و فى ظ : تقطع (٧) من المعالم، و فى الأصل و ظ : مخشن (٨) زيد من ظ و المعالم .

الجلود، و تجب منها القلوب، اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك ! لا يقول أحد: أنا غسلت أنا[1] كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم[2] اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره رضى الله عنه. و لعل إطلاق الطائفة عليه تعظيما له و سترا عليه و تبشيرا بتوبة غيره، و لعل مخشيا كان مؤمنا و لكن كان إيمانه مزلزلا فلذا عبر هنا بقوله "ا كفرتم بعد ايمانكم" ٥ و التعبير بذلك أشنع[3] فى الذم و لا سيما عند العرب لأنهم يتمادحون بالثبات على أى أمر اختاروه و يتذامون بالطيش، و لعل الجلاس المعنى بالقصة الآتية وحده أو مع غيره لم يكن آمن كغيره[4] ممن عنى بها، و ما آمن إلا حين تاب، فلذا عبر هناك بقوله "و كفروا بعد اسلامهم"؛ قال أبو حيان: قال ابن[5] عمر: رأيت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة ١٠ رسول الله صلى الله عليه و سلم يماشيها و الحجارة تنكته و هو يقول "انما كنا نخوض و نلعب" و النبى صلى الله عليه و سلم يقول "ا بالله و اٰيٰته" - الآية.

و لما بين سبحانه أفعالا و أقوالا لطوائف من المنافقين - منهم من كان معه صلى الله عليه و سلم فى العسكر - هى فى غاية الفساد، كان ١٥ ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم[6]؟ فقال جوابا عن ذلك و استدلالا على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم: ﴿المنٰفقون و المنٰفقٰت﴾ أى الذين أظهروا الإيمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: بدر، و لم تكن الزيادة فى ظ ولا فى المعالم فحذفناها (٣) فى ظ: ابشع (٤) فى ظ: لغيره (٥) من ظ والبحر المحيط ٥/٦٧، و فى الأصل: ابو (٦) من ظ، و فى الأصل: حالتهم.

و أبطنوا الكفران ﴿ بعضهم ﴾ و لما كان مرجعهم الجمود على الهوى
و الطبع و العادة و التقليد من التابع[1] منهم للتبوع، قال: ﴿من بعض م﴾
أي في صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد، أمورهم متشابهة في أقوالهم
و أفعالهم و جميع أحوالهم، و القصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان
٥ و لذلك بينه بقوله: ﴿يامرون بالمنكر﴾ أي مما تقدم من الخبال[2] و الإيضاع
في الخلال و غير ذلك من سيئ الخصال ﴿و ينهون / عن المعروف﴾ ٥١٨ /
أي من كل ما يكون فيه تعظيم الإسلام و أهله. يبغون بذلك الفتنة
﴿و يقبضون ايديهم ط﴾ أي يشحون فلا ينفقون إلا و هم كارهون.
و لما كان كأنه قيل: أما خافوا بذلك من معاجلة العقاب؟ أجابه
١٠ بقوله: ﴿نسوا الله﴾ أي الملك الأعلى الذي له الأمر كله و لا أمر
لأحد معه، و يصلح أن يكون علة لما تقدم عليه؛ و لما أقدموا على
ذلك، سبب عنه قوله: ﴿فنسيهم﴾ أي فعل بهم فعل الناسي[3] لما
استهان به بأن تركهم من رحمته. فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته؛
و لما تطبعوا بهذه النقائص كلها، اختصوا بكمال الفسق فشرح ذلك في
١٥ أسلوب التعجيب[4] من حالهم فقال [مظهرا موضع الإضمار تعميما و تعليقا
للحكم بالوصف -[5]]: ﴿ان المنفقين هم﴾ أي خاصة ﴿الفسقون ه﴾
أي الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراسخون في ذلك، فقد علم
بهذا[6] أنهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لأن الكل من طينة واحدة.

---

(١) في ظ: المتابع (٢) في ظ: الخبال (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في
ظ: التعجب (٥) زيد من ظ (٦) في ظ: بذلك.

و لما بين كثيرا من أحوالهم فاشتد التشوف إلى مآلهم و كان مقصودهم باظهار الإيمان و الاعتذار عن النقائص بتأكيد الأيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين و التحبب طمعا فى العيش فى أكنافهم و فرقا من المعاجلة بما يستحقون [1]من إتلافهم[1] ، بين أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم و الطرد اللازم ، و جمع معهم المصارحين بالكفر إعلاما ٥ بأنهم إن[2] لم يكونوا أعظم عنادا منهم فهم سواء ، فقال : ﴿ وعد الله ﴾ و ساقه بصيغة البشارة تهكما بهم و إبلاغا فى مساءتهم ﴿ المنفقين والمنفقت ﴾ أى المساترين[3] باعتقادهم ﴿ و الكفار ﴾ أى المجاهرين فى عنادهم .

و لما كانوا مجبولين على تجهم المؤمنين و الانقباض عنهم ، و إن أظهروا خلاف ذلك فهو تصنع ، قال : ﴿ نار جهنم ﴾ أى النار[4] التى ١٠ من شأنها تجهم أهلها و لقاؤهم[5] بالعبوسة الزائدة ﴿ خلدين فيها ﴾ أى لا براح لهم عنها ﴿ هى حسبهم ﴾ أى كافيتهم فى العذاب . لكن لما كان الخلود قد يتجوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج ، قال : ﴿ و لعنهم الله ﴾ أى طردهم و أبعدهم من رحمته و هو الملك العليم الحكيم الذى لا أمر لأحد معه فأفهم أنه لا[3] فرج لهم ، ثم نفى كل احتمال ١٥ بقوله : ﴿ و لهم ﴾ أى بالأمرين ﴿ عذاب مقيم ۝ ﴾ أى لا وصف له غير الإقامة فى الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الإسلام و جنوده الكرام الأعلام ، و فى الآخرة بما لا يعلمه حق علمه إلا [ الله -[6] ]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : المستاثرين (٤) فى ظ : الدار (٥) من ظ ، وفى الأصل : القاوهم (٦) زيد من ظ .

الملك العلام .

و لما كان حالهم فى الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة و الإعراض عن العاقبة لأنها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية و القرون الماضية ، بين لهم ذلك و ختم ببيان سوء أحوالهم و قبح مآلهم ٥ بتلاشى أعمالهم فقال ملتفتا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع فى باب العتاب و أقعد فى استجلاب المصالح للمتاب : ﴿ كالذين ﴾ أى حاصل ما مضى من أمركم أيها المنافقون أنكم مثل الذين ؛ و لما كان فاعل ما يذكر إنما هو بعض من مطى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى من الأمم الخالية ، ثم شرع فى شرح حالهم و ذكر وجه الشبه فقال : ﴿ كانوآ ١٠ اشد منكم قوة ﴾ لأن الزمان كان إذ ذاك أقرب إلى سن الشباب ﴿ و اكثر اموالا و اولادا [1] ﴾ و هذا [2] ناظر إلى قوله " فلا تعجبك اموالهم و لا اولادهم " ﴿ فاستمتعوا ﴾ أى طلبوا المتاع و الانتفاع فى الدنيا بغاية الرغبة معرضين عن العقبى ﴿ بخلاقهم ﴾ أى نصيبهم الذى قدره الله و خلقه لهم ، وكان الأليق بهم [3] أن يتبلغوا به فى السفر الذى لا بد منه ١٥ إلى الآخرة ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم ﴾ أى كالمقتفين لآثارهم و القاصدين لنارهم ﴿ كما استمتع ﴾ و فى الإتيان بقوله - : ﴿ الذين ﴾ / و لما كانوا لم يستغرقوا الزمن الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم بخلاقهم ﴾ - ظاهرا غير مضمر تنبيه على ذمهم بقلة النظر لأنفسهم المستلزم لقلة عقولهم حيث كانوا دونهم فى القوة أبدانا و أموالا و أولادا و لم يكفوا عن الاستمتاع

/٥١٩

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : هو (٣) سقط من ظ .

و الخوض

و الخوض خوفا مما حق أولئك الأحزاب على قوتهم من العذاب من غير أن ينفعهم سبب[1] من الأسباب ﴿ و خضتم ﴾ أى ذهبتم فى أقوالكم و أفعالكم خبطا[2] على غير سنن قويم ﴿ كالذى ﴾ أى كخوضهم الذى ﴿ خاضوا[4] ﴾ و هو ناظر إلى قولهم[3] " انما كنا نخوض و نلعب "، قال أبو حيان : و هو مستعار من الخوض فى الماء و لا يستعمل إلا فى الباطل ٥ لأن التصرف فى الحق إنما هو على ترتيب و نظام ، و أمور الباطل إنما هى خوض ، و منه قوله « رب[4] متخوض فى مال[5] الله له النار يوم القيامة » .

و لما آذن هذا النظم لهم بالخسارة[6] ، حصل التشوف إلى عاقبة أمرهم فأخبر عن ذلك بقوله : ﴿ اولّٓئك ﴾ أى البعداء من الخير ، و الظاهر أنه إشارة إلى الذين وصفهم بالشدة و كثرة الأموال و الأولاد ١٠ ﴿ حبطت ﴾ أى فسدت فبطلت ﴿ اعمالهم فى الدنيا ﴾ أى بزوالها عنهم و نسيان لذاتها ﴿ و الأخرة ﴾ أى و فى الدار الباقية لأنهم لم يسعوا لها سعيها ؛ و زاد فى التنبيه على بعدهم مما قصدوا لأنفسهم من النفع فقال : ﴿ و اولّٓئك هم ﴾ أى خاصة ﴿ الخسرون ﴾ أى لا خاسر فى الحقيقة غيرهم لأنهم خسروا خلاقهم فى الدارين فخسروا أنفسهم فلا أخسر ممن ١٥ تشبه [ بهم - [7] ] ، و لعل فى الالتفات[8] إلى مقام الخطاب أيضا إشارة إلى تحذير كل سامع من[9] مثل هذه الحال[10] لصحة أن يكون مرادا بهذا المقال ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : بسبب (٢) فى ظ : خطبا (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : ربما - كذا ، و راجع البحر المحيط ٥ / ٦٩ (٥) فى ظ : لمال (٦) فى ظ : الكسارة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : التفات (٩) فى ظ : فى . (١٠) فى ظ : الحالة .

فان من أسرار القرآن فى إعجازه أن تكون عبارته متوجهة إلى شىء و إشارته شاملة لغيره من حيث اتصافه[1] بعلة ذلك الحال أو غير ذلك من الخلال؛ قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى آخر عروة المفتاح فى بيان تناول كلية القرآن لكلية الآية و لكل قارئ يقرأه من أهل الفهم و الإيقان:
٥ اعلم أن الله سبحانه و تعالى أنزل القرآن نبأ عن[2] جميع الأكوان، و أن جميع ما أنبأ عنه من أمر آدم إلى زمان محمد عليهما السلام من أمر النبوات و الرسالات و الخلافات و أصناف الملوك و الفراعنة و الطغاة و أصناف الجناة و جميع ما أصابهم من المثوبات و المثلات فى يوم آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو ستة آلاف سنة
١٠ و نحوها كل ذلك يتكرر[3] بجملته فى يوم محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو ألف سنة أو نحوها أعدادا بأعداد و أحوالا بأحوال فى خير أو شر، لكل من الماضين مثل يتكرر فى هذه الأمة الخاتمة [ كما قال صلى الله عليه و سلم - [4] ] « لكل نبي قبلي فى أمتي نظير » ثم ذكر صلى الله عليه و سلم نظراء « مثل إبراهيم كأبى بكر، و مثل موسى كعمر، و مثل هارون
١٥ كعثمان، و مثل نوح كعلى، و مثل عيسى كأبى ذر » و قال صلى الله عليه و سلم « إنى لأعرف النظراء من أمتى بأسمائهم و أسماء آبائهم و عشائرهم كافرهم و مؤمنهم ممن كان و ممن هو كائن و ممن سيكون بعد، و لو شئت أن أسميهم لفعلت » فما[5] صد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن ظنهم أن الذى فيه من قصص الأولين و أخبار المثابين و المعاقبين من أهل

---

(١) فى ظ : ايصافه (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : متكور (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فما .

الأديان أجمعين أن ذلك إنما مقصوده [ الأخبار و القصص فقط ، كلا و ليس كذلك ! إنما مقصوده -[1] ] الاعتبار و التنبيه لمشاهدة متكررة في هذه الأمة[2] من نظائر[3] جميع أولئك الأعداد و تلك الأحوال و الآثار حتى يسمع السامع جميع القرآن من أوله إلى خاتمته منطبقا على هذه الأمة[2] و أئمتها هداتها و ضلالها ، فحينئذ ينفتح له باب الفهم و يضيء له ٥ نور العلم و يتجه له حال الخشية و يرى في أصناف هذه الأمة ما سمع من / أحوال القرون الماضية و إنه كما قيل في المثل السائر : ٥٢٠ /

إياك أعني و اسمعي ياجارة[4]

ثم إذا شهد انطباق القران على كلية الأمة[2] فكان بذلك عالما ينفتح له باب ترق ، فيترقى سمعه إلى أن يجد جميع كلية القرآن المنطبق ١٠ على كلية الأمة[2] منطبقا على ذاته في أحوال نفسه[5] و تقلباته[6] و تصرفات أفعاله و ازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه فينتفع بسماع جميعه و يعتبر بأي آية سمعها منه فيطلب[7] موقعها في نفسه فيجدها بوجه ما رغبة كانت أو رهبة تقريبا كانت أو تبعيدا إلى أرفع الغايات أو إلى أنزل الدركات ، فيكون بذلك عارفا ، هذا مقصود[8] التنبيه ١٥ في هذا الفصل جملة ، و لنتخذ لذلك مثالا يرشد[9] لتفهم ذلك الانطباق على كلية الأمة[2] علما و على خصوص ذات القارئ السامع

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الاية - كذا (٣) في ظ : نظير .
(٤) و هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به شيئا غيره - راجع مجمع الأمثال للميداني (٥) من ظ ، و موضعه في الأصل بياض (٦) في ظ : تطبقاته (٧) في ظ : فيتطلب (٨) من ظ ، و في الأصل : مقصوده (٩) في ظ : لا نرشد .

عرفانا، فاعلم أن أصول الأديان المزدوجة التى لم ترق إلى ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين التى جملتها تحت حياطة الملك و الجزاء و المداينة، الذين تروعهم رائعة الموت أولا ثم رائعة القيامة ثانيا إلى ما يشتمل عليه يوم الدين من أهوال المواقف الخمسين التى كل ٥ موقف منها ألف من السنين فى يوم كان مقداره خمسين[1] ألف سنة، فعدد هذه الأديان سبعة، ما من دين منها إلا و يوجد[2] فى صنف من أصناف هذه الأمة، و تجده المعتبر فى نفسه فى وقت ما بقلة أو كثرة بدوام أو خطرة بضعف أو شدة على إثر دين غالب أو عن لمح عين زائل، و هذه الأديان السبعة هى دين ' الذين آمنوا ' من هذه الأمة ١٠ و لم يتحققوا[3] لحقيقة الإيمان فيكونوا[4] من ' المؤمنين ' الذين صار الإيمان وصفا ثابتا فى قلوبهم، الموحدين المتبرئين من الحول و القوة، المتحققين لمعناه، إقدارا لله عليهم بما شاء لا بما يشاؤن " الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذا تليت عليهم اٰيٰته زادتهم ايمانا و على ربهم يتوكلون - اولئك هم المؤمنون حقا[5]"، و أما الذين آمنوا فهم الذين لا يثبتون على حال ١٥ إيمانهم و لكن تارة و تارة، و لذلك هم المنادون و المنهيون و المأمورون فى جميع القرآن الذين يتكرر عليهم النداء فى السورة الواحدة مرات[6] عديدة من نحو ما بين قوله تعالى " يٰايها الذين اٰمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصٰدقين[7] - [8]إلى قوله تعالى[8]: يٰايها الذين اٰمنوا من يرتد منكم

(١) من ظ، و فى الأصل: خمس (٢) فى ظ: يوخذ (٣) فى ظ: لم تتحققوا. (٤) فى ظ: تكونون (٥) سورة ٨ آية ٢ و ٤ (٦) من ظ، و فى الأصل: مرار (٧) سورة ٩ آية ١١٩ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

عن

عن دينه[1]" إلى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى " ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا[2]" فهؤلاء هم أهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات من ماضى الأديان المنتظمين مع من له أصل فى الصحة من الأديان الثلاثة[3] فى نحو قوله تعالى " ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصرى و الصٰبئين من آمن بالله و اليوم الآخر[4]" المنتظمين أيضا مع المغيرين لأديانهم ٥ و المفترين لدين لم ينزل الله به من سلطان فى نحو قوله تعالى " ان الذين آمنوا و الذين هادوا و الصٰبئين و النصرى و المجوس و الذين اشركوا[5]" فهذا هو الدين الأول ؛ و أما الدين الثانى فهو دين الذين هادوا و[3] الذين منهم الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها و الذين ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون : سيغفر لنا ، و إن يأتهم عرض مثله ١٠ يأخذوه و الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ، و الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، و الذين يأكلون الربا و قد نهوا عنه ، و الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الثالث / فدين الذين قالوا : إنا نصارى ، ٥٢١ / الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا فى دينهم و قالوا على ١٥ الله غير الحق و اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله[3] و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متألهو النجوم عباد الشمس و القمر و الكواكب و مغيروهم ، هم بالترتيب أول من عبد محسوسا

(١) سورة ٥ آية ٥٤ (٢) سورة ٤ آية ١٣٧ (٣) سقط من ظ (٤) سورة ٢ آية ٦٢ (٥) سورة ٢٢ آية ١٧ .

[1]سماويا ؛ و أما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا إلهين اثنين : نورا و ظلمة ، و عبدوا محسوسا آفاقيا ؛ و أما الدين السادس فدين الذين أشركوا و هم الذين عبدوا محسوسا[1] أرضيا غير مصور ، وهم الوثنية أو مصورا و هم الصنمية - فهذه الأديان الستة الموفية[2] لعد الست لما جاء فيه ؛ و أما
٥ الدين السابع فاعلم أن الله سبحانه جعل السابع أبدا جامعا لستة خيرا كانت أو شرا ، فالدين السابع هو دين المنافقين الذين ظاهرهم مع الذين آمنوا و باطنهم مع أحد سائر الأديان الخمسة المذكورة إلى أدنى دين مشركها[3] الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا و اذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم - فهذه الأديان السبعة متكررة بكليتها فى هذه الأمة بنحو مما[4] وقع
١٠ قبل فى الأمم الماضية ، و هو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك فى قوله صلى الله عليه و سلم « لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا بذراع و شبرا بشبر و باعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل فى جحر ضب[5] لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ! كما صنعت فارس و الروم؟ قال : فهل الناس إلا هم » و ما بينه النبى صلى الله عليه و سلم فى هذا الحديث
١٥ هو من مضمون قوله تعالى " كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة و اكثر اموالا و اولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم و خضتم كالذى خاضوا "، و أهل هذه الأديان السبعة هم - أو منهم - عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم ، و الناجون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : المتوفية (٣) فى ظ : شركها .
(٤) فى ظ : ما (٥) من ظ و مسند الإمام أحمد ٢/٣٢٧ ، وفى الأصل : الضب .

بالكلية الفائزون هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين ، و مزيد تفصيل فى ذلك و تثنية قول بما ينبه[1] عليه بحول الله تعالى من جهات تتبع[2] طوائف من هذه الأمة [3] سنن من تقدمهم فى ذلك . أما وجه تكرار دين الذين أشركوا فى هذه الأمة[3] فباتخاذهم أصناما و آلهة يعبدونها من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الأصنام و الأوثان من ٥ الحجارة و الخشب . و اتخذت هذه الأمة بوجه ألطف[4] و أخفى أصناما و أوثانا . فانها اتخذت[5] الدينار و الدرهم أصناما و السبائك و النقر أوثانا من حيث أن الصنم هو ما له صورة و الوثن ما ليس له صورة ؛ قال صلى الله عليه و سلم : صنم أمتى الدينار و الدرهم ، و قال صلى الله عليه و سلم : لكل أمة عجل و عجل أمتى الدينار و الدرهم . فلا فرق بين ظن المشرك ١٠ أن الصنم الذى صنعه بيده ينفعه و ظن المفتونين من هذه الأمة أن ما اكتسبوا من الدينار و الدرهم[6] ينفعهم حتى يشير مثلهم : ما ينفعك[7] إلا درهمك " يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم[8] " فما من آية نزلت فى المشركين فى ذكر أحوالهم و تبيين ضلالهم و تفاصيل سرهم[9] و إعلانهم إلا و هى منطبقة على كل مفتون ١٥ بديناره و درهمه ، فموقع قول المشركين فى أصنامهم " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى[10] " مثله موقع نظيره من قول المفتون : ما أحب المال إلا لأعمل

---

(١) فى ظ : ينبه (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتبع (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : اللطف (٥) فى ظ : اتخذ (٦) فى ظ : الدراهم (٧) فى ظ : ما ينفك .
(٨) سورة ٩ آية ٧٤ (٩) سقط من ظ (١٠) سورة ٣٩ آية ٣ .

الخير و أستعين به على وجوه البر ، و لو أراد البر لكان ترك التكسب
/٥٢٢ و التمول له[1] أبر ؛ قال صلى الله عليه و سلم : إنما أهلك من كان / قبلكم
الدينار و الدرهم و هما مهلكاكم . فكل من أحبهما و أعجب بجمعهما فهو
مشرك هذه الأمة وهما لاته و عزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله
٥ لأنه تأله ماله[2] ؛ قال صلى الله عليه و سلم « لا إله إلا الله نجاة لعباد الله
من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم[3] على دينهم » فمن وجد من هذا
مسة[4] فليسمع جميع ما أنزل فى المشركين من القرآن منطبقا عليه[5]
و منزلا إليه و حافا به حتى يخلصه[6] الله من خاص شركه كما خلص من
أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين ، فتخلص[7] هذا المشرك بما
١٠ له من ظلمته التى غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان فى مضمون
قوله تعالى "ليخرج الذين ءامنوا و عملوا الصلحت من الظلمت الى النور[8]"
فهذا وجه تفصيل يبين[9] نحوا من تكرر دين الشرك فى هذه الأمة ، و أما
وجه وقوع المجوسية و نظيرها فى هذه الأمة[10] فاطباق الناس على رؤية
الأفعال من أنفسهم خيرها و شرها و إسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث
١٥ استحكمت عقائدهم على أن فلانا فاعل خير و فلانا فاعل شر و فلانا يعطى
و فلانا يمنع و فلانا خير منى و فلانا أعطانى ، حتى ملأوا الدواوين من
الأشعار و الخطب و الرسائل أمداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا و ذما لهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : باله (٣) فى ظ : دينارهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : شبهة (٥) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٦) فى ظ : يخصه .
(٧) فى ظ : فيخلص (٨) سورة ٦٥ آية ١١ (٩) من ظ ، و فى الأصل بياض .
(١٠) من ظ ، و فى الأصل : الاية .

على

على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله و يذمونهم على ما لم يؤته الله و يلحدون فى أسمائه حتى يكتب بعضهم لبعض « سيدى و سندى و أسنى[١] عُددى عبدك و مملوكك » يبطلون بذلك أخوة الإيمان و يكفرون تسوية خلق الرحمن و يدعون لأنفسهم أفعال الله فيقولون : فعلنا و صنعنا و أحسنا و عاقبنا - كلمة نمرودية ، [ آتاهم ما لم يشعروا باختصاص الله فيه بأمره ٥ كالذى حاج إبراهيم فى ربه -[٢] ] أن آتاه الله الملك حين قال : أنا أحيي و أميت ، و هذه هى المجوسية الصرف و القدرية المحضة التى لا يصح دين الإسلام معها ، لأن المسلم من أسلم الخلق و الأمر لربه "اسلمت وجهى لله و من اتبعن[٣]" ، "الا له الخلق و الامر[٤]" و ما سوى ذلك قدرية [ و -[٢] ] هى مجوسية هذه الأمة حيث جعلوا للعبد شركة فى فعل الرب ١٠ و جعلوا له معه تعالى قدرة و قوة و مشية و اختيارا و تدبيرا و لم يعلموا أن التقدير[٥] منع التدبير ، و أنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ؛ قال صلى الله عليه و سلم « القدرية مجوس هذه الأمة » ، فكل ما أنزل الله عز و جل فى القرآن الجامع لذكر جميع الملل و الأديان مما عزاه لمن وزع الأفعال بين الحق و الخلق من كلام ذى فرعنة أو نمرودية أو ذى ١٥ سلطان فللمعتقد المدح و الذم حظ منه على حسب توغلهم و استغراقهم فى الذين زعموا أنهم فيهم شركاء فخافوهم و رجوهم ، فكل[٦] خائف من الخلق أو راج منهم[٧] من عداد الذين آمنوا و الذين أسلموا فى هذه الأمة

(١) فى ظ : اسندى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٣ آية ٢٠ (٤) سورة ٧ آية ٥٤ . (٥) من ظ ، و فى الأصل : المقدور (٦) فى ظ : ذلك (٧) فى ظ : فهم .

فهم من مجوس هذه الأمة ؛ فليسمع السامع ما يقرأه من ذلك حجة عليه ليسأل الله تعالى التخلص منها وليعلم أن ذلك لم يزل حجة عليه وإن كان لم يشعر به قبل فهذا وجه من وقوع المجوسية في هذه الأمة ، [ وأما وجه وقوع الصابئة ونظيرها في هذه الأمة - [2] ] فما غلب على

٥ أكثرهم وخصوصاً ملوكها وسلاطينها وذوو الرئاسة [3] منها من النظر في النجوم والعمل [ بحسب - [1] ] ما تظهره هيئتها عندهم من سعد ونحس والاستمطار بالنجوم والاعتماد على الأنواء وإقبال القلب على الآثار الفلكية قضاء بها وحكماً بحسب ما جرى عليه الخليون الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - من العناية بها ؛ قال

١٠ صلى الله عليه وسلم : أربعة من أمتي هن بهم كفر وليسوا بتاركيهن - فذكر منها الاستمطار بالنجوم ، / فالمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية هم [4] صابئة هذه الأمة [5] ، كما أن المتعلق خوفهم ورجاؤهم [6] بأنفسهم وغيرهم من الخلق هم مجوس هذه الأمة . وكما أن المتعلق تشوفهم ورجاؤهم [6] بدرهمهم وديناره هم مشركو هذه الأمة وما انطوى [ عليه - [2] ] سر كل

١٥ طائفة منهم مما تعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم ومعبودهم الذي إليه تصرف جميع أعمالهم ، واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به قلبه ، فكل ما أنزل في القرآن من تزييف آراء الصابئة فهو حجة عليه

/ ٥٢٣

(١) من ظ ، وفي الأصل : مثل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الرأي (٤) في ظ : هي (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

حيث يقرأه أو يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرأ قوم القرآن و هو نذير لهم بين يدى عذاب شديد و هم لا يشعرون و يحسبون أنهم يرحمون[١] به و هم الأخسرون "و لا يزيد الظلمين الا خسارا[٢]" فما يختص بهذه الطائفة المتصبئة ما هو نحو قوله تعالى "وكذلك نرى ابرٰهيم ملكوت السمٰوٰت و الارض و ليكون من الموقنين[٣]" - الآيات فى ذكر الكوكب ٥ و القمر و الشمس إلى آيات ذكر التسخير لهن نحو قوله تعالى "و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمٰت البر و البحر و الشمس و القمر و النجوم مسخرٰت بامره و سخر لكم الشمس و القمر دائبين[٤]"، "هو الذى جعل الشمس ضياء[٥] و القمر نورا و قدره منازل لتعلموا[٦] عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق"، "و انه هو رب الشعرٰى[٧]" ١٠ كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق و رجاءهم عن الأفلاك و النجوم المسخرة إلى المسخر القاهر فوق عباده الذى استوى على جميعها، فهذا وجه من وقوع الصابئة فى الذين آمنوا و الذين أسلموا فى هذه الأمة، وأما وجه وقوع ما غلب على هذه الأمة وكثر فيها و فشا فى أعمالها و أحوالها من تمادى طوائف منهم على نظير ما كان عليه اليهود و النصارى ١٥ فى اختلافهم و غلبة أحوالهم - ملوكهم و سلاطينهم - على أحوال أنبيائهم و علمائهم و أوليائهم فهو الذى حذرته هذه الأمة و أشعر أولو الفهم

---

(١) من ظ، وفى الأصل: ترحمون (٢) سورة ١٧ آية ٨٢ (٣) سورة ٦ آية ٧٥.
(٤) سورة ١٤ آية ٣٣ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: ليعلموا، و راجع سورة ١٠ آية ٥ (٧) سورة ٥٣ آية ٤٩.

بوقوعه فيهم بنحو ما فى مضمون قوله تعالى "و لا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنٰت[1]" و ما أنبأ به صلى الله عليه و سلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم» و فى بعض طرقه «حتى لو كان فيهم من أتى ٥ أمه جهارا لكان فيكم ذلك، قلنا: يا رسول الله! اليهود و النصارى؟ قال: فمن! و إنما قوى و كثر فى هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاهما الله من الكتاب و العلم و الحكمة فاختلفوا فيها بالأغراض و الأهواء و إيثار عرض الدنيا، و ساموا الملوك و الولاة و حللوا لهم ما حرم الله و حرموا[2] لهم ما حلل الله، و توصلوا بهم إلى أغراضهم فى الاعتداء على ١٠ من حسدوه من أهل الصدق و التقوم، و كثر البغى بينهم فاستقر حالهم على مثل حالهم، و سلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم، و تمادى ذلك فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا إلى أن تضع الحرب أوزارها و تصير الملل كلها ملة واحدة و يرجع الافتراق إلى ألفة التوحيد، فكل من اقتطع و اقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر و الباطن حظا ١٥ مختصا من ظاهر أو باطن و لم يجمع بينهما فى علمه و حاله و عرفانه فهو بما لزم الظاهر الشرعى دون حقيقة باطنة من يهود هذه الأمة كالمقيمين لظواهر الأحوال الظاهرة التى بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك الوقت و سلاطينهم، المضيعين لأعمال / السرائر[3]، المنكرين لأحوال /٥٢٤ أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم و رجائهم بأهل الدنيا، المؤثرين ٢٠ لعرض هذا الأدنى، فبهذا ظهرت أحوال اليهود فى هذه الأمة، و من

(١) سورة ٣ آية ١٠٥ (٢) فى ظ: حللوا (٣) من ظ، و فى الأصل: البواير.

الأعراب مع النبي صلى الله عليه و سلم بسدرة خضراء[1] نضرة ، وكان لأهل الجاهلية سدرة يعظمونها و يجتمعون عندها و ينيطون بها[2] أسلحتهم و يسمونها ذات أنواط فقالوا[3] : يا رسول الله ! اجعل لنا هـذه السدرة ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ! فقال صلى الله عليه و سلم : قلتموها ورب الكعبة كما قالت بنو إسرائيل : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ! إنها ٥ السنن[4] . فحيث ظهرت أحداث اليهود من البغي و الحسد و تعظيم ما ظهر تعظيمه من حيث الدنيا و استحقار ضعفاء المؤمنين فهنالك أعلام اليهودية ظاهرة ، وكذلك[5] أيضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن من إصلاح حال أو قلب مع[6] تضييع ظاهر الأمر و بجامع الخير و تعاضد الإسلام و اكتفى بما استبطن و تهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه ١٠ الأمة ، ليس بصاحب فرقان فكيف أن يكون صاحب قرآن ، و ذلك أن هذا الدين الجامع إنما يقوم بمعالم إسلام[7] ظاهرة و شعار[7] إيمان فى القلوب و أحوال نفس باطنة و حقائق إحسان شهودية ، لا يشهد المحسن مع الله سواه و لا يؤمن المؤمن مع الله بغيره ، و لا يخضع المسلم إلى شيء من دونه ، فبذلك يتم ، و قد التزم بمعالم الإسلام طوائف يسمون المتفقهة ، ١٥ و التزم بشعائر الإيمان طوائف يسمون الأصوليين و المتكلمين ، و ترامى إلى الإحسان طوائف يسمون المتصوفة ، فمتى كان المتفقهة[8] منكرا لصدق

(١) فى ظ : خضرة (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : قالوا (٤) و راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٥/٢١٨ حيث سيقت هذه الرواية عن أبى واقد الليثى (٥) فى ظ : لذلك .
(٦) فى ظ : من (٧-٧) فى ظ : ظاهر و ساير (٨) فى الأصل : المنفعة ، و فى ظ : المنفقة - كذا .

أحوال الصوفية لما لعله يراه من خلل فى أحوال المتصوفة فقد تسنن[1] بسنن اليهودية، و متى كان المتصوف غير مجل للفقهاء لما لعله يراه من خلل فى أحوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى، وكذلك[2] حال المتكلم بين الفرقتين لأيهما[3] مال، و إنما أئمة الدين الذين[1] جمع الله لهم إقامة معالم الإسلام
٥ و إيمان أهل الإيمان و شهود أهل الإحسان[4]، تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله فتأتم بهم الصوفية، و تظهر أنوار قلوبهم على ظلم المتشابهات فيأتم بهم أهل الإيمان، و تبدو فى أعمالهم معالم الإسلام تامة فيأتم بهم أهل الإسلام[4] "عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجهلون قالوا سلما[5]"، « أفضل الناس مؤمن فى خلق حسن
١٠ و شر الناس كافر فى خلق سيئ » فأولو الفرقان جامعون و مستبصرون فمن اقتصر على ظاهر و أنكر باطنا لزمته مذام اليهود فيما أنزل من القرآن فيهم بحسب توغله و اقتصاره، و من اقتصر على باطن دون ظاهر لزمته مذام النصارى فيما أنزل من القرآن فيهم؛ يذكر أن رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها: دلنى على موضع
١٥ طاهر أصلي فيه، فقال الراهب: طهر قلبك[6] مما سواه و قم حيث شئت. قال ذلك الصالح المسلم: فخجلت منه، فاعلم أن كل واحد من هذين الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن[4] لأن صاحب القرآن[4] لا يخجل لهذا القول لأنه حاله، و قلبه مطهر مما سوى الله،

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لذلك (٣) من ظ، و فى الأصل: لأنها.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سورة ٢٥ آية ٦٣ (٦) فى ظ : قلب.

و مع ذلك لا بد أن ينظف ظاهره، لأن الله سبحانه كما أنه الباطن فيحب صفاء البواطن فانه الظاهر يحب صلاح الظواهر، فصاحب القرآن إذا دعى إلى صفاء باطن أجاب و لم يتلعثم[1] و إذا دعى إلى صلاح ظاهر أجاب / و لم يتلكأ[2] لقيامه بالفرقان و حق القرآن، يذكر / ٥٢٥ أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد العصر و هو ممن لا يرى الركوع ٥ بعد العصر فجلس و لم يركع فقال له صبى: يا شيخ! قم فاركع، فقام و ركع و لم يحاجه بما يراه مذهبا. فقيل له فى ذلك فقال: خشيت أن أكون من «الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون[3]»، و وقف النبى صلى الله عليه و سلم على سقاية زمزم و قد صنع العباس رضى الله عنه أحواضا من شراب نضيح التمر و المسلمون يردون[4] عليه و قد خاضوا فيه بأيديهم، فأهوى ١٠ النبى صلى الله عليه و سلم يشرب من شرابهم، فقال له العباس رضى الله عنه: يا رسول الله! ألا نسقيك من شراب لنا فى أسقية؟ فقال صلى الله عليه و سلم: أشرب من هذه ألتمس بركة أيدى المسلمين، فشرب منه صلى الله عليه و سلم. فصاحب القرآن[5] يعبد الله تبارك و تعالى بقلبه و جسمه لا يقتصر على ظاهر دون باطن و لا على باطن دون ظاهر، ولا على أول ١٥ دون آخر و لا على آخر دون أول، قال صلى الله عليه و سلم «أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره» فمن حق القارئ أن يعتبر القرآن نفسه و يلحظ[6] مواضع مذامة[7] للفرق و يزن به أحوال نفسه من هذه الأديان

(١) فى ظ: لم يتعاثم (٢) فى ظ: لم يتكلا (٣) سورة ٧٧ آية ٤٨ (٤) من ظ، و فى الأصل: يرون (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: يلحق (٧) من ظ، و فى الأصل: مدامة.

الستة فى هذه الأمة، و أما وجه وقوع النفاق و أحوال المنافقين فهى داهية القراء و آفة الخليفة؛ قال صلى الله عليه و سلم «أكثر منافقى أمتى قراؤها» و قال بعض كبار التابعين : أدركت سبعين ممن رأى النبى صلى الله عليه و سلم كلهم يخاف النفاق على نفسه . و أصل مداخله على الخلق من
٥ إيثار حرمة الخلق على حرمة الحق جهلا بالله عز و جل و اغترارا بالناس، فيلزم[1] لذلك محاسنة[2] أولى البر و الصدق ظاهرا و تكرههم بقلبه باطنا، و يتبع[3] ذلك من الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من أحوالهم و ما بينه[4] النبى صلى الله عليه و سلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه و سلم «بيننا و بين المنافقين شهود العتمة و الصبح لا يستطيعونهما» و كما
١٠ قال تبارك و تعالى "لا ياتون الصلوٰة الا و هم كسالى و لا ينفقون الا وهم كرهون[5]" ينظر المنافق إلى ما يستسقط به فضائل أهل الفضل و يتعامى عن محاسنهم، كما روى أن الله يبغض التارك لحسنة المؤمن الآخذ لسيئته، و المؤمن الصادق يتغافل عن مساوئ أهل المساوئ فكيف بمعايب أهل المحاسن! و من أظهر علامات المنافق تبرمه بأعمال الصادق كما ذكر، ما كان
١٥ مؤمن فيما مضى و لا مؤمن فيما بقى إلا و إلى جنبه منافق يكره عمله، و عن ذلك المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع، مستثقل فى مجامع الخير أجنبى منها، مستخف فى مواطن الشر متقدم فيها[6]، طلق اللسان بالغيبة و البهتان، ثقيل اللسان عن مداومة ذكر الله تبارك و تعالى، عيم عن [ ذكر -[7] ]

---

(١) فى ظ : يلتزم (٢) فى ظ : محاسنه (٣) فى ظ : نتبع (٤) من ظ ، و فى الأصل : نبه (٥) سورة ٩ آية ٥٤ (٦) فى ظ : فيما (٧) زيد من ظ .



الله

الله عز و جل فى كل حال، ناظر إلى الناس بكل وجه، و هو مع ذلك يضانعهم و لا يصادقهم، يأخذ من الدين ما ينفع فى الدنيا [ و لا يأخذ ما ينفع فى العقبى، و يجتنب فى الدين ما يضر فى الدنيا - ١ ] و لا يجتنب٢ ما يضر فى العقبى مما لا يضر فى الدنيا، فهذا وجه من وقوع شياع النفاق فى هذه الأمة، فلذلك من حق القارئ أن يستشعر مواقع آى القرآن من ٥ نفسه فى ذات قلبه و فى أحوال نفسه و أعمال بدنه و فى سره مع ربه و فى علانيته مع خلقه، فانه بذلك يجد القرآن كله منطبقا عليه خاصا به حتى كأن جميعه لم ينزل إلا إليه حتى إذا رغب فى أمر رغب هو فيه من وجه و لا يقول: هذا إنما أنزل فى كذا، و إذا رهب القرآن من أمر رهبه من وجه ما، و إذا أعلى فكذلك و إذا أسفل فكذلك، و لا يقول: هذا ١٠ إنما أنزل ٣فى كذا٣ حتى يجد / لكل القرآن موقعا فى عمله أىّ عمل كان ٥٢٦ / و محلا فى نفسه أىّ حال كان و مشعرا لقلبه أىّ ملحظ كان، فيستمع٤ القرآن بلاغا من الله سبحانه و تعالى إليه بلا واسطة بينه و بينه، فعند ذلك يوشك أن يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم تلين له جلده ٣و قلبه٣ انتهاء، و ربما يجد من الله سبحانه و تعالى نفح رحمة يفتح له بابا إلى ١٥ التخلق بالقرآن أسوة بالنبى صلى الله عليه و سلم، سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: كان خلقه القرآن، و بذلك هو ذو الخلق العظيم - و الله واسع عليم - انتهى .

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: يجتنب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: فيسمع .

و لما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم فى التمتع بالعاجل ، و ختمها بهذا الختام المؤذن بالانتقام ، اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهتهم فيما[1] حل بطوائف منهم ملتفتا إلى مقام الغيبة لأنه أوقع فى الهيبة ، فقال مقررا لخسارتهم : ﴿ الم ياتهم ﴾ أى هؤلاء الأخابث من أهل النفاق ﴿ نبا الذين ٥ من قبلهم ﴾ أى خبرهم العظيم الذى هو[2] جدير بالبحث عنه ليعمل[3] بما يقتضيه حين عصوا رسلنا ؛ ثم أبدل من ذلك قوله : ﴿ قوم نوح ﴾ أى فى طول أعمارهم و امتداد آثارهم و طيب قرارهم بحسن التمتع فى أرضهم و ديارهم ، أهلكهم بالطوفان ، لم يبق من عصاتهم إنسان ؛ [ و عطف على قوم القبيلة فقال-[4]] : ﴿ و عاد ﴾ أى فى قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و مصانعهم ١٠ و بنيانهم و تجبرهم فى عظيم سلطانهم ، أهلكهم بالريح الصرصر ؛ لم يبق ممن كفر منهم بشر ﴿ و ثمود لا ﴾ أى فى تمكنهم من بلاد الحجر عرضها و طولها ، جبالها و سهولها ، أهلكوا بالرجفة[5] لم يبق من الكفار منهم ديار ﴿ و قوم ابرهيم ﴾ أى فى ملك جميع الأرض بطولها و العرض ؛ سلب الله منهم الملك بعد شديد الهلك ﴿ و اصحب مدين ﴾ أى فى جمع[6] الأموال ١٥ و مد الآمال إلى أخذها من حرام و حلال و نقص[7] الميزان و المكيال[7] فعمهم الله بالنكال[8] ﴿ و المؤتفكت ط ﴾ أى فى إعراضهم عن صيانة أعراضهم فى اتباع لذائذ أغراضهم ؛ فأثمر لهم فعلهم بعد الخسف عموم انقراضهم .

(١) فى ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ليعلم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بالرجفت (٦) من ظ ، و فى الأصل : جميع (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : المكيال و الميزان (٨) زيد فى ظ : و لما حصل لمدائن قوم .

و لما كان كأنه قيل : ما نبأهم؟ قال : ﴿ اتتهم رسلهم ﴾ أى أتى كل أمة منهم رسولها ﴿ بالبينٰت ﴾ أى بالمعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ كان الله ﴾ أى مع ما له من صفات الكمال مريدا ﴿ ليظلمهم ﴾ أى لأن يفعل بهم فى الإهلاك قبل الإنذار و إنارة البينات ٥ فعل [1]من تعدونه[1] فيما بينكم ظالما، و لكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات ، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم و بزوالهم[2] يقول: ما ظلمهم الله ﴿ و لكن كانوا ﴾ أى دائما فى طول أعمارهم ﴿ انفسهم ﴾ أى لا غيرها ﴿ يظلمون ﴾ أى بفعل ما يسبب هلاكها، فان لم ترجعوا أنتم فنحن نحذركم مثل عذابهم ، و لعله خص هؤلاء بالذكر ١٠ من بين بقية[3] الأمم لما عند العرب من أخبارهم و قرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا ، و أنبياؤهم[4] أعظم الأنبياء - نبه على ذلك أبو حيان . و لعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط و هم بعدهم فى الزمان لأن هذا فى شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبى صلى الله عليه و سلم من ملجأ أو مغارات أو مدخل ١٥ كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف ، فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما أتاهم الماء معقل منيع و لا جبل رفيع مع أنه يقال: إنهم هم الذين بنوا الأهرامات ، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذى

---

(١-١) من ظ، وفى الأصل: ما يعدونه (٢) فى ظ : زوالهم (٣) من ظ، و فى الأصل: بعيد - كذا (٤) من البحر المحيط ٥/ ٦٩، و فى الأصل: انبيائهم، و فى ظ : ابناؤهم - كذا .

هددوا به إن كان ماء، ومنها ما هو بالطوب التي لتحميهم منه إن كان
نارا، وعاد[1] لما أتتهم الريح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب وصرعتهم
في أجواف بيوتهم، ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة[2]
والقصور المشيدة / والحصون الممنعة، [3]وحال ثمود معروف في توسعهم ٥٢٧ /
٥ في البيوت جبالا وسهولا فما منعتهم[3] من الصيحة التي أعقبت الرجفة، وقوم
إبراهيم عليه السلام بنوا الصرح، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان
ليتوصل به نمرود - [كما -[4]] زعم - إلى السماء فأتى الله بنيانهم من القواعد،
ألقت الريح رأسه في البحر وخر[5] عليهم الباقي وهم تحته، وأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون، وأصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم
١٠ الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم، وإن كانوا هم أصحاب الأيكة فانهم لما
اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه
الأرض فخرجوا منها هاربين، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته إليهم ولبست
به عليهم، فلما اجتمعوا تحتها أحرقتهم نارها وبقي عليهم عارها، وأما
قوم[6] لوط فأتاهم الأمر بغتة، لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد أن
١٥ رفعت إلى عنان السماء، واتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا، ولعله
خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لأن العرب
كانوا يمرون على مواضع مدائنهم ويشاهدونها، وعبر عنهم بالمؤتفكات
لأن القصص للمنافقين الذين[7] مبنى أمرهم على الكذب وصرف الأمور

---

(١) في ظ: عادا (٢) في ظ: المتقفلة - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) في ظ: خرج (٦) في ظ: بقوم (٧) في ظ: الذي.



عن

عن ظواهرها [1]و تقليبها عن وجوهها[1] ، فالمعنى أن أولئك لما قلبوا فعل النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائنهم ، فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة لقلب القول عن وجهه ، و مادة ' إفك ' بكل ترتيب[2] تدور على القلب ، فاذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليـــه و صرفته عنك ، و أكاف الدابة شبه بالإناء المقلوب ، و الكذب صرف الكلام عن وجهه ٥ فهو إفك لذلك - و الله أعلم .

و لما بين سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض و ما توعدهم به و ما[3] استبعه من تهديدهم باهلاك من شابهوه ، و ختم بما سبب هلاكهم من إصرارهم و عدم اعتبارهم ، عطف ببيان حال المؤمنين ترغيبا فى التوبة طمعا فى مثل حالهم فقال : ﴿ و المؤمنون و المؤمنت ﴾ أى بما جاءهم عن ربهم ١٠ ﴿ بعضهم اولياء ﴾ و لم يقل : من[4] ، كما قال فى المنافقين : من ﴿ بعض[2] ﴾ دلالة على أن أحدا منهم لم يقلد أحدا فى أصل الإيمان و لا وافقه بحكم الهوى ، بل كلهم مصوبون[5] بالذات و بالقصد الأول إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم بالدليل القطعى على حسب فهم كل أحد[6] منهم ، فذلك دليل على صحة إيمانهم و رسوخهم فى تسليمهم و إذعانهم ؛ ثم بين ولايتهم ١٥ بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر فقال : ﴿ يامرون ﴾ أى كلهم على وجه التعاضد و التناصر ﴿ بالمعروف ﴾ و هو كل ما عرفه الشرع و أجازه ﴿ و ينهون ﴾

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تركيب (٣) من ظ ، و فى الأصل : لما (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مصونون (٦) فى ظ : واحد.

[ أى - [1] ] كذلك ﴿ عن المنكر ﴾ لا يحابون أحدا .

و لما ذكر الدليل القطعى على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : ﴿ و يقيمون الصلوٰة ﴾ أى يوجدونها [2] على صفة تقتضى قيامها بجميع أركانها و شروطها و حدودها مراقبة لربهم و استعانة بذلك على
٥ جميع ما ينوبهم ﴿ و يؤتون الزكوٰة ﴾ أى مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق . و ذلك مواز لقوله فى المنافقين "و يقبضون ايديهم" و لما خص أمهات الدين ، عم بيانا لأنهم لاينسون الله طرفة عين بل يذكرونه فى كل حال بقوله : ﴿ و يطيعون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ و رسوله ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم
١٠ و جميل عشرتهم .

و لما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : ﴿ اولّٰئك ﴾ أى العظماء الشأن ﴿ سيرحمهم الله ﴾ / أى المستجمع لصفات الكمال بوعد /٥٢٨ لا خلف فيه ، و هذا مع الجملة قبله مواز لقوله فى المنافقين "نسوا الله فنسيهم" و هو إشارة إلى أن الطريق وعر و الأمر شديد [3] عسر ،
١٥ فالسائر مضطر إلى الرحمة ، و هى المعاملة بعد الغفران بالإكرام ، لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق إلا بها ، ولا وصول له أصلا من غير سببها .

و لما بين أن حال المؤمنين مبنى على الموالاة [4] وكانت الموالاة [4] فقيرة إلى الإعانة قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : توجدونها (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ عزيز ﴾ أى غالب غير مغلوب بوجه ، فهو قادر على نصر من يوالى حزبه و أن ينيله من ثمرات الرحمة ما يريد من غير أن يقدر أحد على أن يحول بينه و بين شيء من ذلك ﴿ حكيم ه ﴾ أى فلا يقدر أحد على نقض ما يحكمه و حل ما يبرمه ، و فى ذلك إشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون منصورين على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة ٥ و ما معها من حميد الخصال .

و لما ختم الآية بوصف العزة و الحكمة المناسب لافتتاحها بالموالاة و تعقيبها بآية الجهاد ، و ذلك بعد الوعد بالرحمة إجمالا ، أتبعها بما هو أشد التئاما بها بيانا للرحمة و تفصيلا لها ترغيبا للمؤمنين بالإنعام عليهم بكل ما رامه[1] المنافقون بنفاقهم فى الحياة الدنيا ، و زادهم بأنه دائم ، ١٠ و أخبر بأن ذلك هو الفوز لا غيره فقال : ﴿ وعد الله ﴾ أى الصادق الوعد الذى له الكمال كله ﴿ المؤمنين و المؤمنت ﴾ أى الراسخين فى التصديق بكل ما أتاهم به الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ جنت تجرى من تحتها الانهر ﴾ أى فهى لا تزال[2] خضرة ذات بهجة نضرة ؛ و لما كان النعيم لا يكمل إلا بالدوام ، قال : ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كانت الجنان لا تروق إلا بالمنازل ١٥ و الدور الفسيحة و المعازل قال : ﴿ و مسكن طيبة ﴾ و لما كان بعض الجنان أعلى من بعض ، وكان أعلاها [ ما - [3] ] شرف بوصف العندية المؤذن بالقرب مع بنائه بما يؤكد معنى الدوام ، قال : ﴿ فى جنت عدن ط ﴾ أى إقامة دائمة و هناء و صحة جسم و طيب مقر و موطن و منبت ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : راته - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) زيد من ظ .

و ذلك كما قال فى حق أضدادهم "عذاب مقيم" و ما أنسب ذكر هذه الجنة فى سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد فى الحديث أنها خاصة بالنبيين و الصديقين و الشهداء . و لما كان ذلك لا يصفو[1] عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال [ مبتدئا إشارة إلى أنهى التعظيم - [2] ] :

٥ ﴿ و رضوان ﴾ أى رضى لا يبلغه وصف واصف [ بما تشير إليه صيغة المبالغة و لو كان على أدنى الوجوه بما أفاده التنوين - [2] ] ﴿ من الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه [ عندهم - [2] ] ﴿ اكبر ﴾ أى مطلقا، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل[3] فوز، و لا يقع السرور الذى هو أعظم النعيم إلا برضى السيد، [ و إذا كان القليل منه أكبر فما ظنك

١٠ بالكثير - [2] ] .

و لما تم ذلك على أحسن مقابلة بما وصف به أضدادهم ، قال يصفه زيادة فى الترغيب فيه : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة ﴿ هو ﴾ أى خاصة لا غيره ﴿ الفوز العظيم ﴾ أى الذى يستصغر دونه كل شيء من أمور الدنيا و الآخرة، و فى كون ذلك وعدا لمن اتصف لأجل ما اتصف

١٥ به ترغيب فى الجهاد المأمور به بعدها لكونه من أفراد الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الداعى الأعظم إلى الموالاة .

و لما ثبتت موالاة المؤمنين و مقاطعتهم للنافقين و الكافرين ، و كان ما مضى من الترغيب و الترهيب كافيا فى الإنابة، و كان من لم يرجع

(١) من ظ . و فى الأصل : لا يضعف (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عن .

بذلك

بذلك عظيم الطغيان غريقا فى الكفران، أتبع ذلك الأمر بجهادهم بما يليق
بعنادهم فقال آمرا لأعظم المتصفين بالأوصاف المذكورة مفخما لمقداره
بأجل أفراد الأمر / بالمعروف و النهى عن المنكر: ﴿ يـٰأيها النبى ﴾ أى / ٥٢٩
العالى المقدار بما لا يزال يتجدد له منا من الأنباء و فينا من المعارف؛ و لما
كان الجهاد أعرف فى المصارحين، و كانوا أولى به لشدة شكائمهم و قوة ٥
نفوسهم و عزائمهم بدأ بهم فقال: ﴿ جاهد الكفار ﴾ أى المجاهرين
﴿ و المنفقين ﴾ أى المساترين. كلا بما يليق به من السيف و اللسان.

و لما كان صلى الله عليه و سلم مطبوعا على الرفق موصى به، قال
تعالى: ﴿ و اغلظ عليهمۚ ﴾ أى [ فى الجهادين -[1] ] و لا تعاملهم بمثل
ما عاملتهم به من اللين عند استئذانهم فى القعود، و هذا بخلاف ما مضى ١٠
فى وعيد المنافقين حيث [ قدمهم - [1]] فقال " المنفقين و المنفقت
و الكفار " فقدم فى كل سياق الأليق به؛ و لما كان المعنى: فانك
ظاهر عليهم و قاهر لهم و هم طعام السيف و طوع العصى، عطف عليه
قوله: ﴿ و ماونهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ جهنمۖ و بئس المصير ﴾.

و لما أتى بالدليل العام على إجرامهم، أتبعه الدليل الخاص عليه و هو ١٥
أيضا دليل على الدليل فقال: ﴿ يحلفون بالله ﴾ أى [الملك الأعلى -[1]] الذى
لا شيء أعظم [2]منه قدرا[2] ﴿ ما قالواۖ ﴾ أى ما وقع منهم قول، فقصر الفعل
تعميما للفعول إعلاما بأنهم [ مهما عنفوا على قول كائنا ما كان بادروا إلى
الحلف على نفيه كذبا لأنهم -[1]] مردوا على النفاق فتطبعوا [3]بأعلى الكذب[3]

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : قدرا منه (٣-٣) فى ظ : بالكذب .

و مرنوا على سيئ الأخلاق ، فصار حاصل هذا أنهم اطمعوا فى العفو و حذروا من عذاب الباقين بسبب إجرامهم لأنهم يأمرون بالمنكر و ما يلائمه مقتفين آثار من قبلهم فى الانهماك فى الشهوات غير مقلعين خوفا من الله أن يصيبهم بمثل ما أصابهم و لا رجاء له أن ينيلهم مما أعد للؤمنين

٥ مجترئين على الأيمان الباطلة باعظم الحلف على أىّ شىء فرض سواء كان يستحق اليمين أو لا غير خائفين من الله أن يهتكهم كما هتك غيرهم ممن فعل مثل أفعالهم ؛ ثم دل على عظيم إجرامهم و ما تضمنه [1]قوله " المنفقون و المنفقت بعضهم من بعض" - الآية ، من كبائر آثامهم [1]، و يجوز أن تكون[2] هذه الآية واقعة موقع التعليل للآية التى قبلها بأنهم يقدمون على

١٠ ما يستحقون به الجهاد و الغلظة و النار من الحلف كذبا على نفى كل ما ينقل عنهم استخفافا بالله و بأسمائه " اتخذوا ايمانهم جنة[3] " فتكون جوابا لمن كأنه قال : أما جهاد الكفار فالأمر فيه واضح ، و أما المنافقون فكيف يجاهدون و هم يتكلون بلفظ الإيمان و يظهرون أفعال أهل الإسلام فقال : لأنهم يحلفون ﴿ و لقد ﴾ أى و الحال أنهم كاذبون لقد

١٥ ﴿ قالوا كلمة الكفر ﴾ أى الذى لا أكبر فى الكفر منه ، و هى تكذيب النبى صلى الله عليه و سلم .

و لما كان هذا السياق لصنف يجددون[4] الاستخفاف بالله تعالى -

---

(١-١) فى ظ : قول المنافقين (٢) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٣) سورة ٥٨ و ٦٣ آية ١٦ و ٢ (٤) فى ظ : يجدون .

- بما دل عليه المضارع - كل وقت ، دل على [ أن - [1] ] إقرارهم بالإيمان كذب و أفعالهم صور لا حقائق لها ، فعبر بالإسلام فقال : ﴿ و كفروا ﴾ أى أظهروا الكفر ﴿ بعد اسلامهم ﴾ أى بما ظهر من أفعالهم و أقوالهم ، و ذلك غاية الفجور ؛ و لما كان أعلى شغف[2] الإنسان بشىء أن تحدثه نفسه فيه بما لا يصل إليه ، فيكون ذلك ضربا من الهوس قال : ٥ ﴿ و هموا بما لم ينالوا ج ﴾ أى من قتل الرسول صلى الله عليه و سلم أو إخراجه من المدينة ، فجمعوا بين أنواع الكفر القول و الفعل و الاعتقاد ، و يجوز أن يكون حالا من الضمير فى "ماونهم" و التقدير على هذا : يدخلون جهنم حالفين بالله : ما قالوا كلمة الكفر ، و لقد قالوا ها ، فيكون كقوله "ثم لم تكن[3] فتنتهم الا ان قالوا و الله ربنا ما كنا مشركين" . ١٠

و لما بين من أحوالهم التى لا يحمل على فعلها إلا أمر عظيم ، قال: ﴿ و ما ﴾ أى قالوا و فعلوا و الحال أنهم ما ﴿ نقموا ﴾ / أى كرهوا / ٥٣٠ شيئا من الأشياء التى أتتهم من الله ﴿ الآ ان اغنٰهم الله ﴾ أى الذى له [ جميع - [4] ] صفات الكمال و هو غنى عن العالمين ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى هو أحق الخلق بأن يحوز عظمة الإضافة إليه سبحانه ، [ و كان أذاهم[5] هذا ١٥ للنبى صلى الله عليه و سلم و همهم بقتله مع إعطائه لهم ما أغناهم بخلاف الآية السابقة[6] ، فكان الأقعد فى ذمهم تأخير قوله - [4] ] : ﴿ من فضله ج ﴾ فهو

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) من ظ ، وفى الأصل : شغفة (٣) فى ظ : لم يكن ، و راجع سورة ٦ آية ٢٣ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : عزاهم - كذا (٦) راجع آية ٥٩ من هذه السورة .

من باب : ولا عيب فيهم[1] .

و لما نبه على أن هذه المساوئ قابلوا بها المحسن إليهم ، رغبهم بأنه قابل المتاب عليهم ، و رهبهم بأنه لا مرد لما يريد من العذاب بقوله : ﴿ فان يتوبوا ﴾ و لما كان المقام جديرا بأن يشتد تشوف السامع إلى

٥ معرفة حالهم فيه ، حذف نون الكون اختصارا تنبيها على ذلك فقال : ﴿ يك ﴾ أى ذلك ﴿خيرا لهم ج﴾ من إصرارهم .

و لما كان للنفوس من أصل الفطرة الأولى داعية شديدة إلى المتاب ، و كان القرآن فى وعظه زاجرا مقبول العتاب عظيم الأخذ بالقلوب و العطف للألباب[2] ، أشار إلى ذلك بصيغة التفعل فقال : ﴿و ان يتولوا ﴾ [أى -[3]]

١٠ يكلفوا أنفسهم الإعراض عن المتاب ﴿ يعذبهم الله ﴾ [ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما -[3] ] بحوله و قوته ﴿عذابا اليما لا﴾ أى لا صبر لهم عليه ﴿ فى الدنيا ﴾ أى بما هم فيه من الخوف و الخزى و الكلف و غيرها ﴿ و الأخرة ج﴾ أى بالعذاب الأكبر الذى لا خلاص لهم منه ﴿ و ما لهم فى الارض ﴾ أى التى لا يعرفون غيرها لسفول[4] هممهم

١٥ ﴿ من ولى ﴾ أى يتولى[5] أمورهم فيصلح ما أفسد العذاب منهم أو يشفع لهم ﴿ و لا نصير ﴾ [ أى - [3] ] ينقذهم ؛ و أما السماء[6] فهم أقل من أن

---

(١) وهى إشارة إلى هذا البيت :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم    بهن فلول من قراع الكتائب

(٢) فى ظ : بالالباب (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : بسفول (٥) فى ظ : لا والى .

(٦) من ظ ، و فى الأصل : الاسماء .

يطمعوا منها بشيء ناصر أو غيره و أغلظ أكبادا[1] من أن يرتقي[2] فكرهم إلى ما لها من العجائب و ما بها من الجنود ؛ و سبب نزول الآية على ما قال ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى ظل شجرة[3] فقال : سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني[4] شيطان ، فاذا جاء فلا تكلموه ، فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم فقال : علام تشتمني أنت و أصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله : ما قالوا ، فأنزل الله الآية ؛ و قال الكلبي[5] : نزلت فى الجلاس بن سويد ، و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا و عابهم فقال الجلاس[6] : لئن كان محمد صادقا[7] لنحن شر من الحمير ، [ فسمعه عامر بن قيس فقال : ١٠ أجل ، إن محمدا لصادق و أنتم شر من الحمير - [8] ] ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس ، فقال الجلاس : كذب[9] علي يا رسول الله ! فأمرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس [ عند المنبر -[8] ] بعد العصر فحلف بالله الذى لا إله إلا هو ما قاله و لقد كذب علي عامر ، و قام عامر ١٥ فحلف بالله الذى لا إله إلا هو لقد قاله و ما كذبت عليه ، ثم رفع عامر

---

(١) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٢) فى ظ : ترتقي (٣) من تفسير الطبرى ، و فى الأصل : حجرة ، و فى ظ : حجره -كذا (٤) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : بعين (٥) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٣/١٠٠ (٦) من ظ ، و فى الأصل : جلاس (٧) فى ظ : صادق (٨) زيد من المعالم (٩) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : يكذب .

رضى الله عنه يديه إلى السماء فقال : اللهم ! أنزل على نبيك [ تصديق -[1]]
الصادق منا ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم و المؤمنون[2] : آمين ! فنزل
جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ "فان يتوبوا يك -
أى التوب - خيرا لهم" فقام الجلاس فقال : يا رسول الله ! أسمع الله
٥ قد عرض[3] علىّ التوبة ، صدق عامر بن قيس فيما قاله ، لقد قلته ، و أنا
أستغفر الله و أتوب إليه ، فقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك منه
ثم تاب و حسنت توبته . و لا مانع من أن يكون كل ذلك سببا لها
كما تقدم و يأتى ، و الأوفق لها فى السببية الخبر[4] الأول للتعبير فى الكفر
بـ ' ال ' المؤذنة بالكمال ، و من شتم نبينا صلى الله عليه و سلم فقد ارتكب
١٠ كل كفر . و فى الآية دليل على قبول توبة الزنديق المسر للكفر[5] المظهر
للايمان[6] - كما قال أبو حيان[7] و قال : و هو مذهب أبى حنيفة و الشافعى ،
و قال مالك : لا تقبل[8] ، / فان جاء تائبا من قبل نفسه من قبل أن يعثر ٥٣١ /
عليه قبلت توبته .

و لما أقام سبحانه الدليل على ما ذكر بهذه الآية التى ختمها بأنه
١٥ أغناهم من فضله ، أتبعها باقامة الدليل عليها و على أنهم يقبضون أيديهم
و على اجترائهم على أقبح الكذب فقال : ﴿ و منهم من عٰهد الله ﴾ أى
الذى لا أعظم منه ﴿ لئن اٰتٰنا ﴾ أى من خير ما عنده ، و اعترف بأنه

(١) زيد من المعالم (٢) من ظ والمعالم، وفى الأصل : المؤمنين (٣) فى ظ : اعرض .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الكفر (٦) فى ظ : الإيمان (٧) من ظ ، وفى الأصل:
ابن حبان، وراجع البحر المحيط ٥/٧٤ (٨) من البحر، وفى الأصل وظ: لا يقبل.

لاحق لأحد عليه بقوله : ﴿ من فضله ﴾ أى بأى طريق كان من تجارة أو غنيمة أو زراعة أو غيرها ، و أكد لأنه كاذب يظن[1] أن الناس يكذبونه ، و هكذا كل كاذب فقال : ﴿ لنصدقن ﴾ أى مما[2] آتانا من غير رياء - بما يشير إليه الإدغام ﴿ و لنكونن ﴾ أى كونا هو الدال على أنا مجبولون على الخير ﴿ من الصّٰلحين ﴾ أى لكل خير نندب[3] إليه ﴿ فلما آتٰهم ﴾ ٥ وكرر قوله : ﴿ من فضله ﴾ تقريرا لما قاله المعاهد تأكيدا للاعلام بأنه لا حق عليه لأحد و لا صنع فيما ينعم بـه و لا قدرة عليه بوجه ﴿ بخلوا به ﴾ أى كذبوا فيما عاهدوا عليه و أكدوه غايـة التأكيد، فلم يتصدقوا بل منعوا الحق [ الواجب إظهاره فضلا عن صدقة السر - [4] ] ﴿ و تولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض عن الطاعة لمن تفضل عليهم ١٠ مع معرفتهم بقبح نقض العهد ؛ و لما كان التولى قد يحمل على ما بالجسد فقط قال[5] : ﴿ و هم معرضون ﴾ أى بقلوبهم ، و الإعراض وصف لهم لازم لم يتجدد لهم ، بل كان غريزة فيهم و نحن عالمون بها من حين أوقعوا العهد ؛ قال أبو حيان[6]: قال الضحاك : هم نبتل بن الحارث و جد بن قيس و معتب بن قشير[7] و ثعلبة[8] بن حاطب و فيهم نزلت الآية - انتهى . و حسن ١٥ تعقيبها بها أيضا أن فى الأولى كفران نعمة الغنى من غير عهد ، و فى هذه كفرانها مع العهد فهو ترق من الأدنى إلى الأعلى ، و دل على

---

(١) فى ظ : نظن (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، و فى الأصل : يندب (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و البحر المحيط ٥/٧٤ ، و فى الأصل : بشير (٨) من البحر ، و فى الأصل و ظ : ثعلب .

عظيم شأن العهد بتعظيم الجزاء على خيانته بقوله: ﴿ فاعقبهم ﴾ أى الله
أو التمادى على البخل جزاء على ذلك ﴿ نفاقا ﴾ متمكنا ﴿ فى قلوبهم ﴾
أى بأن لا يزالوا يقولون ما لا يفعلون ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ أى بالموت
عند فوت الفوت ﴿ بمآ اخلفوا الله[1] ﴾ أى و هو الملك الأعظم
٥ ﴿ ما وعدوه ﴾ لأن[2] الجزاء من جنس العمل؛ و لما كان إخلاف
الوعد شديد القباحة، وكان مرتكبه غير متحاش من مطلق[1] الكذب،
قال: ﴿ و بما كانوا يكذبون ه ﴾ أى يجددون الكذب دائما مع الوعد
و منفكا عنه، فقد استكملوا النفاق: عاهدوا فغدروا و وعدوا[3] فأخلفوا
و حدثوا فكذبوا.

١٠ و لما كانت المعاهدة سببا للاغناء[4] فى الظاهر، و كان ذلك ربما
كان مظنة لأن يتوهم من لا علم له أن ذلك لخفاء أمر البواطن عليه
سبحانه، و كان الحكم هنا واردا على القلب بالنفاق الذى هو أقبح
الأخلاق مع عدم القدرة لصاحبه على التخلص منه، كان ذلك أدل
دليل على أنه تعالى أعلم بما فى كل قلب من صاحب ذلك القلب، فعقب
١٥ ذلك بالإنكار على من[5] لا يعلم ذلك و التوبيخ له و التقريع فقال:
﴿ الم يعلموآ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يعلم سرهم ﴾ و هو
ما أخفته صدورهم ﴿ و نجوىٰهم ﴾ أى ما فاوض فيه بعضهم بعضا، لا يخفى
عليه شىء منه ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ علام الغيوب ج ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: اى (٣) فى ظ: اوعدوا (٤) من ظ. و فى الأصل: للاعفاء (٥) من ظ. و فى الأصل: من علمه.

أى

أى كلها، أى ألم يعلموا أنه تعالى لا يخادع لعلمه بالعواقب فيخشوا[1] عاقبته فيوفوا بعهده، و فائدة الإعطاء مع علمه بالخيانة إقامة الحجة؛ قال أبو حيان: و قرأ على و[2] أبو عبد الرحمن و الحسن "ألم تعلموا" بالتاء، و هو خطاب للؤمنين على سبيل التقرير[3] - انتهى. و فائدة الالتفات الإشارة إلى أن هذا العلم إنما ينفع من هيئ للايمان. ٥

و لما أخبر تعالى أنه لم يكفهم[4] كفران [5]نعمة الغنى من غير / معاهدة حتى ارتكبوا الكفران بمنع الواجب مع المعاهدة، أخبر أنه لم يكفهم[5] أيضا ذلك حتى تعدوه إلى عيب الكرماء الباذلين بصفة حبهم لربهم ما لم يوجبه عليهم، فقال تعالى معبرا بصيغة تصلح لجميع ما مضى من أقسامهم إفهاما لأنهم كلهم كانوا متخلقين بذلك و إن لم يقله إلا بعضهم: ١٠ ﴿ الذين يلمزون ﴾ أى يعيبون فى خفاء ﴿ المطوعين ﴾ أى الذين ليس عليهم واجب فى أموالهم فهم يتصدقون و يحبون إخفاء صدقاتهم - بما يشير إليه الإدغام ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ﴿ فى الصدقٰت ﴾ و لما كان ما مضى شاملا للوسر و المعسر، نص على المعسر لزيادة فضله و إشارة إلى أن الحث على[6] قليل الخير كالحث على ١٥ كثيره فقال عاطفا على "المطوعين": ﴿ و الذين لا يجدون ﴾ أى من المال ﴿ الا جهدهم ﴾ أى طاقتهم التى أجهدوا أنفسهم فيها حتى بلغوها.

/ ٥٣٢

(١) من ظ، و فى الأصل: فتخشوا (٢) سقطت الواو من ظ (٣) من ظ و البحر المحيط ٥/٧٥، و فى الأصل: الفقرية - كذا (٤) من ظ، و فى الأصل: لم تكفهم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: عن.

و لما كان اللمز[١] هو العيب ، و هو ينظر إلى الخفاء كالغمز ، و مادته بكل ترتيب تدور على اللزوم ، و المعنى : يلزمون المطوعين عيبا و لا يظهرون ذلك لكل أحد و إنما يتخافتون به فيما بينهم ، و هو يرجع إلى الهزء و السخرية ، سبب عنه قوله : ﴿فيسخرون منهم[٤]﴾ و لما[٢] كان لا شيء[٢] أعظم للشخص من أن يتولى العظيم الانتقام له من ظالمه[٣] ، قال : ﴿سخر الله﴾ أي و هو الذي له الأمر كله و لا أمر لغيره ﴿منهم ز﴾ أي جازاهم على فعلهم بأهل حزبه ، و زادهم قوله : ﴿و لهم عذاب اليم ه﴾ أي بما كانوا يؤلمون القلوب من ذلك و إذا حوققوا عليه دفعوا عن أنفسهم ما يردعهم عنه بالأيمان الكاذبة ؛ روى البخاري في التفسير عن أبي[٤] مسعود رضي الله عنه قال : لما أمرنا بالصدقة كنا[٥] نتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف صاع ، و جاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا ، و ما فعل هذا الآخر إلا رياء ، فنزلت " الذين يلمزون " - الآية .

و لما كان صلى الله عليه و سلم معروفا بكثرة الاحتمال و شدة اللين المشير إليه " عفا الله عنك لم اذنت لهم " للمبالغة في استجلابهم و الحرص على نجاة جميع الخلق فكان معروفا بالاستغفار[٦] لهم تارة على وجه الخصوص بسؤالهم عند اعتذارهم و حلفهم [ و -[٧] ] تارة على وجه العموم عند استغفاره لجميع المسلمين[٨] ، أخبره تعالى من عاقبة أمره بما يزهده

---

(١) في ظ : المز (٢-٢) في ظ : لشيء (٣) من ظ ، و في الأصل : ظالم (٤) في ظ : ابن (٥) في ظ : فكنا (٦) من ظ ، و في الأصل : بالاستعذار (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و في الأصل : المومنين .

فيهم ليعرض عنهم أصلا و رأسا ، لأنهم تجاوزوا حق الله فى ترك الجهاد
و منع الصدقة و حقه صلى الله عليه و سلم فى لمزه فى الصدقات و وصفه
بما يجل عنه إلى حقوق المجاهدين الذين هو سبحانه خليفتهم فى أنفسهم
و أهليهم و أموالهم مع ما سبق[1] فى علمه للمنافقين [ من -[2] ] أنه لا يغفر لهم
فقال : ﴿ استغفر ﴾ أى اطلب[3] الغفران ﴿ لهم او لا تستغفر لهم[4] ﴾ ٥
أى استوى فى أمرهم استغفارك لهم و تركه ﴿ ان تستغفر ﴾ أى تسأل
الغفران ﴿ لهم سبعين مرة ﴾ أى على سبيل الحقيقة أو المبالغة ؛ و لما كان
الإخبار باستواء الأمرين : الاستغفار و تركه ربما[5] كان مسببا عن الغفران
و ربما كان مسببا عن الخسران ، عينه فى هذا الثانى فقال : ﴿ فلن يغفر الله ﴾
أى الذى قضى بشقائهم و هو الذى لا يرد[6] أمره ﴿ لهم ﴾ و هو يحتمل ١٠
أن يكون جوابا للأمر ، و جواب الشرط محذوف لدلالته عليه ، و المراد
بالسبعين على ما ظهر فى المآل المبالغة فى أنه لا يغفر لهم لشيء من الأشياء
و لو غفر لهم لشيء لكان لقبول شفاعة نبيه صلى الله عليه و سلم ، و العرب
تبالغ بما فيه لفظ السبعة لأنها غاية[7] مستقصاة جامعة لأكثر / أقسام العدد ، / ٥٢٣
و هى تتمة عدد الخلق كالسماوات و الأرض و البحار و الأقاليم و الأعضاء . ١٥
و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الحرص على رشدهم و نفعهم،

(١) زيد بعده فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : طلب (٤) من ظ و القرآن العظيم ، و قد سقط من الأصل .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : بما (٦) فى الأصل : لايراد ، و فى ظ : لا يرد ، .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : ثمانية .

وكان حقيقة نظم الآية التخيير فى الاستغفار و تركه و نفى المغفرة بالاستغفار بالعدد المحصور فى سبعين ، [ ١ - جعل صلى الله عليه و سلم الآية مقيدة لما فى سورة المنفقين - ٢ ] فاستغفر[٣] لابن أبى [ و صلى عليه و قام على قبره - ١ ] و صرح بأنه لو يعلم أنه لو زاد على السبعين قبل لزاد ،
٥ و استعظم عمر رضى الله عنه ذلك منه صلى الله عليه و سلم و شرع يمسكه بثوبه و يقول : أتصلى عليه و قد نهاك الله عن ذلك ! لأنه لم يفهم من الآية غير المجاز لما عنده من بغض المنافقين ، و أما النبي صلى الله عليه و سلم فرأى التمسك بالحقيقة لما فى الرفق بالخليقة من جميل الطريقة[٤] بتحصيل الائتلاف الواقع للخلاف و غيره من الفوائد و جليل العوائد ، و لذلك
١٠ كان عمر رضى الله عنه يقول لما نزل النهى الصريح : فعجبت بعد من جراءتى على رسول الله صلى الله عليه و سلم . أى تفطنت[٥] بعد هذا الصريح أن ذلك الأول كان محتملا و إلا لأنكر الله الصلاة عليه ، و فى موافقة الله تعالى لعمر رضى الله عنه [ منقبة شريفة له ، و قد وافقه الله تعالى مع هذا فى أشياء كثيرة ؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن ابن عمر رضى الله عنهما
١٥ قال : لما توفى عبد الله بن أبى جاء ابنه عبد الله بن عبد الله رضى الله عنه - ١ ] إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه ؛ و فى رواية فى اللباس : فأعطاه قميصه و قال : إذا فرغت فآذنا ، فلما فرغ آذنه فجاء ؛ وفى رواية : فقام رسول الله صلى الله

(١) زيد من ظ (٢) راجع آية ٦ (٣) من ظ ، و فى الأصل : استغفر (٤) من ظ ، و فى الأصل : الطريق (٥) فى ظ : تيقظت .

عليه و سلم ليصلى عليه فقـام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه
و سلم فقال : يا رسول الله ! تصلى عليه و قد نهاك الله أن تصلى عليه ! فقال
رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنما خيرنى الله فقال : " استغفر لهم او لا تستغفر
لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة " و سأزيده على السبعين ؛ و فى رواية :
لو أعلم أنى إن زدت عـلى السبعين يغفر له[1] لزدت عليها ، قال : إنه ٥
منافق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : فأنزل الله عز و جل
" و لا تصل على أحد منهم مات ابدا [و لا تقم على قبره -[2]] - إلى :
وهم فسقون " فترك الصلاة عليهم ، قال : فعجبت بعد من جراءتى على
رسول الله صلى الله عليه و سلم و الله و رسوله أعلم ؛ و له فى أواخر الجهاد
عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لما كان يوم بدر أتى بالأسارى ١٠
و أتى بالعباس و لم يكن عليه ثوب فنظر النبى صلى الله عليه و سلم قميصا
فوجدوا قميص عبد الله بن أبى يقدر عليه[3] فكساه النبى صلى الله عليه و سلم
إياه ، فلذلك نزع النبى صلى الله عليه و سلم قميصه الذى ألبسه ، قال ابن
عيينة : كانت له عند النبى صلى الله عليه و سلم يد فأحب أن يكافئه ، و فى
رواية عنه فى اللباس أنه قال : أتى النبى صلى الله عليه و سلم ابن أبى بعد ١٥
ما أدخل قبره فأمر به فأخرج و وضع على ركبتيه و نفث عليه من ريقه
و ألبسه قميصه - انتهى . فكأن ابنه رضى الله عنه استحى من أن يؤذن
النبى صلى الله عليه و سلم به لما كان يعلم من نفاقه ، أو آذنه صلى الله عليه
و سلم به فصادف منه[4] شغلا فدفنه فجاء [5]رسول الله[5] صلى الله عليه و سلم

---

(١) فى ظ : لهم (٢) زيد من ظ و صحيح البخـارى (٣) سقط من ظ (٤) فى
ظ : به (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بعد[1] إدخاله القبر و قبل تمام الدفن فأخرجه تطييبا لخاطر ابنه الرجل الصالح و دفعا لما قد يتوهمه من إحنة عليه و تأليفا لغيره، فقد روى أنه قال صلى الله عليه و سلم : إنى أؤمل من الله أن يدخل فى الإسلام كثير بهذا السبب، فأسلم ألف من الخزرج لما رأوه[2] طلب الاستشفاء ٥ بثوب النبى صلى الله عليه وسلم، ففى بعض الروايات أنه هو الذى طلب من النبى صلى الله عليه و سلم أن يكفنه فى قميصه، و تعطفه[3] عليه، أدعى إلى تراحم المسلمين و تعاطف[4] بعضهم على بعض، و قوله : و ألبسه ٥٣٤ / / قميصه - بالواو لاينافى الرواية الأولى، و تحمل[5] الرواية الأولى على أنه وعده إعطاء القميص لمانع كان من التنجيز وقت السؤال، فحمل ١٠ الجزم بالإعطاء على الوعد الصادق ثم أنجزه بعد إخراجه من القبر - و الله أعلم؛ و وردت هذه الآية على طريق الجواب لمن كأنه قال: ما تقدم من أحوال المنافقين كان[6] انتهاكا لحرمة الله أو لحق الرسول صلى الله عليه و سلم، ولم يرد فيه أنه يهينهم بالإماتة[7] على النفاق، فكان يكفى فيه استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لهم[8]، و أما هذان القسمان فأحدهما ١٥ أخبر بأنه يميتهم منافقين، و الثانى انتهك حرمة المخلصين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فهل ينفعهم الاستغفار لهم ؟ فكأنه قيل : استوى الاستغفار و عدمه فى أنه لا ينفعهم، و ختمها بعلة عدم المغفرة فى قوله :

---

(١) فى ظ : قبل (٢) فى ظ : راو (٣) فى ظ : تعطيه (٤) فى ظ : عطف (٥) من ظ، و فى الاصل : يحمل (٦) زيد بعده فى الأصل : لما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ، و فى الأصل : بالاثابة (٨) سقط من ظ .

﴿ذلك﴾ أى الأمر الذى يبعد فعله من الحليم الكريم[1] ﴿بانهم كفروا بالله﴾ أى و هو الملك الأعظم ﴿و رسوله﴾ أى فهم لا يستأهلون الغفران لأنهم لم يهتدوا لإصرارهم على الفسق و هو معنى قائم بهم فى الزيادة على السبعين كما هو قائم بهم فى الاقتصار على السبعين ﴿و الله﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿لا يهدى القوم الفسقين﴾ أى أنه[2] لا يهديهم [ لأنه - [3] ] ٥ جبلهم على الفسق ، و كل من لا يهديه لأنه جبله على الفسق لا يغفر له ، فهو لا يغفر لهم لما علم منهم مما لا يعلمه غيره ، فهو تمهيد لعذر النبى صلى الله عليه و سلم فى استغفاره قبل العلم بالطبع الذى لا يمكن معه رجوع .

و لما علل سبحانه عدم المغفرة بفسقهم ، و أتى بالظاهر موضع المضمر إشارة إلى اتصافهم به و تعليقا للحكم بالوصف ، علل رسوخهم ١٠ فى الفسق بعد أن قدم أن المنافقين بعضهم من بعض فهم[4] كالجسد الواحد بقوله : ﴿فرح المخلفون﴾ أى الذين وقع تخليفهم باذنك لهم و كراهة الله لانبعاثهم ﴿بمقعدهم﴾ أى قعودهم عن غزوة تبوك ، و لعله عبر بهذا المصدر لصلاحيته لموضع القعود ليكون بدلالته[5] على الفرح أعظم دلالة على الفرح بالموضع ، و هو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ١٥ و أظهر الوصف بالتخلف موضع الضمير زيادة فى تهجين ما رضوا به لأنفسهم ، و زاده تهجينا أيضا بقوله : ﴿خلف﴾ أى بعد [ و - [3] ] خلف أو[7] لأجل خلاف ﴿رسول الله﴾ أى الملك الأعظم الذى من

(١) فى ظ : الحكيم (٢) فى ظ : انهم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : نهو (٥) من ظ ، و فى الأصل : دلالته (٧) فى ظ : اى .

تخلف عن حزبه هلك ﴿ وكر هوآ ان يجاهدوا ﴾ .

و لما كان هذا فى سياق الأموال تارة بالرضى بنيلها و السخط بحرمانها ، و[1] تارة بقبض اليد عن بذلها ، و تارة بالاستمتاع[2] بالخلاف الذى هو النصيب أعم من أن يكون بالمال أو النفس ، و تارة بعيب الباذلين ٥ و غير ذلك من شأنها قدم قوله[3] : ﴿ باموالهم و انفسهم ﴾ على قوله : ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الذى له صفات الكمال ، لأنه ليس فيهم باعث الإيمان و داعى الإيقان[4] الذى بعث المؤمنين ، و دل ذلك على عراقتهم فى الفسق بأن الإنسان قد يفعل المعصية و يحزن على فعلها و هؤلاء سروا بها مع ما فيها من الدناءة ، و قد يسر الإنسان بالمعصية ١٠ و لا يكره أن يكون بدلها أو معها طاعة و هؤلاء ضموا إلى سرورهم بها كراهية الطاعة ، و قد يكره و لا ينهى غيره و هؤلاء جمعوا إلى ذلك كله نهى غيرهم ، ففعلوا ذلك كله ﴿ و قالوا ﴾ أى لغيرهم ﴿ لا تنفروا فى الحرﻂ ﴾ بعدا من الإسلام و عمّى عن سيد الأحكام ، لأن غزوة تبوك [ كانت - [5] ] فى شدة الحر .

١٥ و لما كان هذا قول من لم تخطر الآخرة على باله ، أمره تعالى أن يحذر من يصغى إليهم أو يقبل عليهم بقوله : ﴿ قل ﴾ [ أى - [5] ] يا أعلم بخلقنا[6] استجهالا لهم ﴿ نار جهنم ﴾ / أى التى أعدها الله لمن خالف أمره ﴿ اشد حراﻂ ﴾ و لفت الكلام إلى الغيبة يدل على أن

/ ٥٣٥

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الاستماع (٣) من ظ ، و فى الأصل : له (٤) من ظ ، و فى الأصل : الاتقان (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : خلفتنا .

أعظم

أعظم المراد بهذا الوعظ ضعفاء المؤمنين لئلا يتشبهوا بهم طمعا فى الحلم فقال تعالى: ﴿ لو كانوا ﴾ أى المنافقون ﴿ يفقهون ﴾ أى لو كان بهم فهم يعلمون به صدق الرسول و قدرة مرسله على ما[1] توعد به لعلموا ذلك فما كانوا يفرون من الحر إلى أشد حرا منه، لأن من فر من حر ساعة إلى حر[2] الأبد كان أجهل الجهال؛ و قال أبو حيان[3]: لما ذكر تعالى ٥ ما ظهر من النفاق و الهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه، يعنى [4]فى قوله[4] "فرح المخلفون" - انتهى. فتكون الآية حينئذ جوابا لمن كأنه قال: هذه أحوال من خرج فما حال من قعد؟ و قد خرج بما[5] فى هذه الآية من الأوصاف كعب بن مالك و رفيقاه رضى الله عنهم و نحوهم ممن لم يفرح بالقعود ١٠ و لا اتصف بما ذكر معه من أوصافهم.

و لما كان غاية السرور الضحك، و كان اللازم لهم فى الآخرة البكاء فى دار الشقاء الذى هو غاية الحزن لهم، فيها زفير و شهيق وهم يصطرخون فيها، قال تعالى مهددا لهم مسببا عن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرا فى صورة الأمر إيذانا بأنه أمر لا بد من وقوعه: ﴿فليضحكوا قليلا ﴾ أى فليتمتعوا[6] ١٥ فى هذه الدار بفرحتهم بمقعدهم التمتع الذى غاية السرور به الضحك - يسيرا، فانها دار قلعة و زوال و انزعاج و ارتحال ﴿ و ليبكوا كثيرا ﴾ أى فى نار جهنم التى أغفلوا ذكر حرورها و أهملوا الاتقاء من شديد سعيرها[7]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: احر (٣) راجع البحر المحيط ٥ / ٧٨ و ٧٩.
(٤-٤) فى ظ: بقوله (٥) فى ظ: بما (٦) فى ظ: فليستمتعوا (٧) من ظ، و فى الأصل: سعيره.

بدل ذلك الضحك القليل كما استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقير ﴿ جزآء بما كانوا يكسبون ﴾ أى من الفرح بالمعاصى و السرور بالشهوات و الانهماك فى اللذات .

و لما كان المسرور بشيء الكاره لضده الناهى عنه لا يفعل الضد ٥ إلا تكلفا و لا قلب له ، إليه و كان هذا الدين مبنيا[1] على العزة و الغنى ، أتبع ذلك بقوله مسببا عن فرحهم بالتخلف : ﴿ فان رجعك الله ﴾ أى الملك الذى له العظمة كلها فله الغنى المطلق عن سفرك هذا ﴿ الى طآئفة منهم ﴾ [ أى - [2] ] و هم الذين يمد الله فى أعمارهم إلى أن ترجع إليهم ، و هذا يدل على أنه أهلك سبحانه فى غيبته بعضهم ، ١٠ فاردت الخروج إلى سفر آخر ﴿ فاستاذنوك ﴾ أى طلبوا أن تأذن[3] لهم ﴿ للخروج ﴾ أى معك فى سفرك ذلك[4] ﴿ فقل ﴾ عقوبة لهم[5] و غنى عنهم و عزة عليهم ناهيا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك فيه علما من أعلام النبوة و برهانا من براهين الرسالة ﴿ لن تخرجوا معى ابدا ﴾ أى فى سفر من الأسفار لأن الله قد أغنانى عنكم و أحوجكم إلى ﴿ و لن تقاتلوا[6] ١٥ معى عدوا ﴾ لأنكم جعلتم أنفسكم فى عداد ربات الحجال و لا تصلحون لقتال ، و التقييد بالمعية كما يؤذن باستثقالهم يخرج ما كان بعده صلى الله عليه و سلم مع أصحابه[7] رضى الله عنهم من سفرهم و قتالهم[8] .

---

(١) فى ظ : متينا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ياذن (٤) فى ظ : هذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : لن يقاتلوا .
(٧) زيد فى ظ : فى قتالهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : قتا - كذا .

و لما أخزاهم سبحانه بما أخزوا به أنفسهم، علله بقوله: ﴿ انكم رضيتم بالقعود﴾ أى عن التشرف بمصا حبتى؛ و لما كانت الأوليات أدل على تمكن الغرائز من الإيمان و الكفران و غيرهما قال: ﴿اول مرة﴾ أى فى غزوة تبوك، و من فاتنا يكفيه أنا نفوته؛ قال أبو حيان[1]: فعلل بالمسبب و هو الرضى الناشئ عن السبب و هو النفاق - انتهى. ٥

و لما أنهى الحكم و العلة، سبب عنه قوله: ﴿فاقعدوا مع الخلفين ۝﴾ أى الذين رضوا لأنفسهم بهذا / الوصف الذى من جملة معانيه: الفاسد فهم لا يصلحون لجهاد و لا يلفون[2] أبدا فى مواطن الأمجاد، و قال بعضهم: المراد بهم الذين تخلفوا بغير عذر فى غزوة تبوك، أو النساء و الصبيان أو أدنياء الناس أو المخالفون أو المرضى و الزمنى أو أهل الفساد، و الأولى ١٠ الحمل على الجميع، أى[3] لأن المراد تبكيتهم و توبيخهم. و لما أتم[4] سبحانه الكلام فى الاستغفار و تعليله إلى أن ختم باهانة المتخلفين، و كان القتل المسبب عن الجهاد سببا لترك الصلاة على[5] الشهيد تشريفا له، جعل الموت الواقع فى القعود المرضى به عن الجهاد سببا لترك الصلاة إهانة لذلك القاعد، فقال عاطفا على ما أفهمت جملة: "استغفر لهم[6] او لا تستغفر[6] لهم" - ١٥ الآية، من نحو: فلا تستغفر[7] لهم أصلا: ﴿و لا تصل﴾ أى الصلاة التى شرعت لتشريف المصلى عليه و الشفاعة فيه ﴿علىٓ احد منهم﴾ ثم وصف

٥٣٦ /

(١) راجع النهر من البحر المحيط ٥/٨٠ (٢) فى ظ: يلتفتون (٣) فى ظ: او (٤) فى ظ: تم (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: فلا يستغفر.

الأحد بقوله: ﴿ مات ﴾ و قوله : ﴿ ابدا ﴾ متعلق بالنهى لا بالموت ﴿ و لا تقم على قبره ﴾ أى لأن قيامك رحمة و هم غير أهل لها ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم كفروا بالله ﴾ أى الذى له العظمة كلها [ و لما كان الموت على الكفر مانعا من الصلاة على الميت بجميع معانيها
٥ لم يحتج إلى التأكيد باعادة الجار فقيل - [1] ] : ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى هو أعظم الناس نعمة عليهم بما له من نصائحهم بالرسالة ، و المعنى أنهم اعظم ما ارتكبوا من ذلك لم يهدهم الله فاستمروا على الضلالة[2] حتى ماتوا على صفة من وقع النهى على الاستغفار لهم المشار إليها بقوله "و الله لايهدى القوم الفسقين" و ذلك المراد من قوله معبرا بالماضى
١٠ و المعنى على المضارع تحقيقا للخبر و أنه واقع لا محالة : ﴿ و ماتوا و هم ﴾ أى و الحال أنهم بضمائرهم و ظواهرهم[3] ﴿ فسقون ﴾ أى عريقون فى الفسق .

و لما كان ابن أبى سبب[4] النهى عن[5] الاستغفار لهم ، وكان ابنه عبد الله بن عبد الله من خيار المؤمنين و خلص المحسنين [ و - [1] ] كان
١٥ لبعض المنافقين أبناء مثله ، وكان من طبع البشر أن يذكر فى كثير من[6] مقاله غلظا ما يندم عليه ، وكان شديد الوقوف لما حف به من العلائق البدنية و شمله من العوائق بالأوهام النفسانية مع أوهامه و عوائقه قاصرا على قيوده و علائقه ، فكان لإعادة الكلام و تكريره و ترديده و مزيد تقريره تأكيد فى النفوس و تعزية و تثبيت فى القلوب ، كرر آية الإعجاب

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الضلال (٣) فى ظ : خواطرهم (٤) فى ظ : سببا فى . (٥) زيد فى ظ : ابن (٦) زيدت الواو من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : منها .

لهذه

لهذه الأسباب لأن[1] يكون حكمها على بال من المخاطب لا ينساه [2]لاعتقاد أن[2] العمل به مهم جدا يفتقر إلى فضل عناية، و أن ذلك شبيه بما أهم صاحبه فهو يتكلم فيه ثم ينتقل إلى غيره لغرض[3] صحيح ثم يرجع إليه فى أثناء حديثه لشدة اهتمامه به تنبيها على ذلك، و لا يرجع إليه إلا على غاية ما يكون من حسن[4] الربط و براعة التناسب، و عطفها بالواو دون ٥ الفاء لأن ذلك ليس مسببا عما قبله كما سبق فى الآية الأولى، أى لا تستغفر لهم و لاتصل عليهم و لا يعجبك قولهم[5] مستعطفين لك فى طلب محبتك و إن زخرفوه و أكدوه بالأيمان التى اتخذوها جنة ﴿و لا تعجبك اموالهم﴾ و أسند[6] النهى إليها إبلاغا فيه.

و لما لم يكن هنا ما اقتضى تأكيد النفى مما مضى فى الآية الأولى[7]، ١٠ لم يعد النافى و لا أثبت اللام و لا الحياة فقال[8]: ﴿و اولادهم ط﴾ أى و إن أظهروا أنهم يجاهدون بها معك و يتقربون بها إلى الله[9] فان الله[9] لا يريد بهم ذلك فلا ييسره لهم لما [ علم - [10] ] من مباعدتهم للخير و عدم قابليتهم [ له - [10] ] فلا يحملك[11] الإعجاب بشيء من ذلك على فعل شيء مما تقدم النهى عنه تأليفا لأمثالهم[12] للمساعدة بأولادهم و أموالهم[13] ١٥

(١) من ظ، و فى الأصل: لا (٢-٢) فى ظ: لاعتنا ذلك -كذا (٣) من ظ، و فى الأصل: الغرض (٤) فى ظ: احسن (٥) فى ظ: قوله (٦) من ظ، و فى الأصل: اشتد (٧) راجع آية ٥٥ (٨) من ظ، و فى الأصل: و قال (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ: فلا يحمك (١٢) من ظ، و فى الأصل: لاسلامهم (١٣) فى ظ: اولادهم.

و تطييبا لقلوب المؤمنين من أولادهم ، فانهم إن كانوا مؤمنين لم يضرهم
ترك ذلك و إلا فبعدا لهم و سحقا ﴿ انما يريد الله ﴾ أى بعزه و عظمته
و علمه و إحاطته ﴿ ان يعذبهم ﴾ / أى تعذيبهم ﴿ بها ﴾ فالفعل واقع ٥٣٧ /
بخلافه فى الآية السابقة ﴿ فى الدنيا ﴾ أى بجمعها و محبة الإخلاد إليها
٥ و إلى الأولاد إن كانوا مثلهم فى الاعتقاد و إلا كانوا زيادة عذاب لهم
فى الدارين ﴿ و تزهق ﴾ أى تخرج بغاية العسر ﴿ انفسهم و هم ﴾
لاغترارهم بها[1] ﴿ كفرون ﴾ و لا شك أن خطاب الرأس بشيء أوقع
فى قلوب أصحابه فلذلك وقع الخطاب للنبى صلى الله عليه و سلم و المراد
غيره من أتباعه و جماعته و أشياعه ممن قد يجنح إلى الأسباب و يقف
١٠ عندها كما هو طبع النفوس فى تأمل ما شهد و نسيان ما غاب و عهد
تدريبا لهم على الحب فى الله و البغض فيه لأنه من أدق أبواب الدين
فهما و أجلها قدرا ، و عليه تبتنى غالب أبوابه ، و منه تجتنى أكثر ثمراته
و آدابه ، و ذلك أنه ربما ظن الناظر فيمن بسطت عليه الدنيا أنه من الناجين
فيوادّه[2] لحسن قوله غافلا عن سوء فعله ، أو يظن أن أهل الدين فقراء
١٥ إلى مساعدته لهم فى جهاد أو غيره [3]بماله و ذويه[3] روية فيداريه ، فأعلمهم
تعالى أن ما هذا سبيله مقطوع البركة نهيا عن النظر إلى الصور و تنبيها
على قصر الأنظار على المعانى " قل لا يستوى الخبيث و الطيب و لو اعجبك
كثرة الخبيث[4] " - الآية " و اذا رايتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا

(١) من ظ ، وفى الأصل : فيها (٢) من ظ ، وفى الأصل : فيوادده (٣-٣) من ظ ، وفى الأصل : بمال و روية (٤) سورة ٥ آية ١٠٠ .

تسمع لقولهم[1]"..

و لما افتتحت قصتهم بأن المتقين لا يتوقفون فى الانتداب إلى الجهاد على أمر جديد و لا استئذان، بل يكتفون بما سبق من عموم الحث عليه و الندب[2] إليه فيبادرون[3] إليه الطرف و لا[4] يحاذرون الحتف[5]. و أن من المنافقين من يستأذن فى الجهاد جاعلا[6] استئذانه فيه بابا للاستئذان ٥ فى التخلف عنه، و منهم من يصرح بالاستئذان فى القعود ابتداء من غير تستر، و عقب ذلك بالنهى عن الإعجاب بأموالهم و أولادهم ثم مر فى ذكر أقسامهم و ما لزمهم من فضائحهم و آثامهم. إلى أن ختم القصة بأن أموالهم إنما هى لفتنتهم لا لرحمتهم، و لمحنتهم لا لمنحتهم، أتبع ذلك بدليله من أنهم لايتوصلون بها إلى جهاد، و لا يتوسلون إلى دار المعاد، ١٠ فقال عاطفا على ما أفهمه السياق من نحو أن يقال لأنهم[7] لا يفعلون بها خيرا و لا يكسبون أجرا، أو بانيا حالا من الكاف فى " تعجبك ": ﴿ و اذآ انزلت سورة ﴾ أى وقع[8] إنزال قطعة من القرآن.

و لما كان الإنزال يدل على[9] المنزل حتما، فسره بقوله: ﴿ ان اٰمنوا بالله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ و جاهدوا ﴾ أى أوقعوا الجهاد ﴿ مع رسوله استاذنك ﴾ ١٥ أى فى التخلف من لاعذر له و هم ﴿ اولوا الطول ﴾ أى أهل الفضل

(١) سورة ٦٣ آية ٤ (٢) فى ظ: الندم (٣) من ظ، و فى الأصل: فيتبادرون.
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الحيف (٦) فى ظ: عاجلا (٧) فى ظ: لا انهم (٨) فى ظ: قطع (٩) زيد بعده فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

من الأموال و السعة و الثروة في غالب الأحوال ﴿ منهم ﴾ و خصهم
بالذكر لأن الذم لهم ألزم و لا سيما بعد سماع القرآن ، و يجوز أن
يكون معطوفا على خبر 'ان' في قوله " ذلك بانهم كفروا بالله و رسوله"
هذا مع ما تضمن استئذانهم من رذائل الأخلاق و دنايا الهمم المحكي
٥ بقوله : ﴿ و قالوا ذرنا ﴾ أي اتركنا و لو على حالة سيئة ﴿ نكن ﴾ أي
بما يوافق جبلاتنا ﴿ مع القعدين ﴾ أي بالعذر[1] المتضمن - لا سيما مع
التعبير بذرنا الذي مادته تدور على ما يكره دون 'دعنا' - لما استأنف
به أو بين من[2] قوله : ﴿ رضوا بان يكونوا ﴾ أي كونا كأنه جبلة لهم
﴿ مع الخوالف ﴾ أي النساء ﴿ و طبع ﴾ أي و[2] وقع الطبع المانع
١٠ ﴿ على قلوبهم ﴾ أي حتى[3] رضوا لأنفسهم بالتخلف عن سبب السعادة
مع الكون في عداد المخدرات بما هو عار في الدنيا و نار في العقبى .

و لما أبهم فاعل الطبع ، نفى دقيق العلم فقال : ﴿ فهم ﴾ أي بسبب
هذا الطبع ﴿ لا يفقهون ﴾ أي لا فقه لهم يعرفون به ما في الجهاد من
العز و السعادة في الدارين ، و ما في التخلف من الشقاء و العار فلذلك
١٥ لا يجاهدون ، فلا شيء أضر / من هذه الأموال و الأولاد التي أبعدت /٥٣٨
عن الممادح و ألزمت المذام و القوادح ، فقد اكتنفت آية الأموال في
أول القصة و آخرها ما يدل على مضمونها .

و لما افتتح القصة بمدح المتقين لمسابقتهم إلى الجهاد من دون
استئذان ختمها بذلك و ذكر ما أعد لهم فقال [ معلما - [4] ] بالغنى عنهم

---

(١) في الأصل وظ : بعدر (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : على (٤) زيد من ظ .

بمن هو الخير المحض تبكيتا لهم و تقريعا: ﴿ لـٰكن الرسول ﴾ أى و الذى بعثه لرد العباد عن الفساد إلى السداد ﴿ و الذين اٰمنوا ﴾ أى إيمانا عظيما كائنا أو كائنين ﴿ معه ﴾ أى مصاحبين له ذاتا و حالا فى جميع ما أرسلناه إليهم[1] به ﴿ جاهدوا باموالهم و انفسهم ﴾ أى بذلوا كلا من ذلك فى حبه صلى الله عليه و سلم فتحققوا بشرط الإيمان و 'لكن' واقعة موقعها بين ٥ متنافيين لأن ما مضى من حالهم كله ناطق بأنهم لم يجاهدوا .

و لما كان السياق لبخلهم بالنفس و المال ، [2]و لسلب النفع من أموالهم و أولادهم ، اقتصر فى مدح أوليائه على الجهاد بالنفس و المال[2] و لم يذكر السبيل و قال[1]: ﴿ اولـٰٓئك ﴾ [ دالا -[3] ] على أنه معطوف على ما تقديره: فأولئك الذين نورت قلوبهم فهم يفقهون ، و قوله: ١٠ ﴿ لهم ﴾ أى لا لغيرهم ﴿ الخيرٰت ﴾ تعريض بذوى الأموال من المنافقين لأن الخير يطلق على المال و تحليته بـ 'ال' تدل على استغراقه لجميع منافع الدارين ، و التعبير بأداة البعد إشارة إلى علو مقام أوليائه و بعد مناله إلا بفضل منه تعالى ، و كذا التعريض بهم بقوله: ﴿ و اولـٰٓئك هم ﴾ أى خاصة ﴿ المفلحون ﴾ أى الفائزون بجميع مرادهم ، لا غيرهم ؛ ثم بين ١٥ الإفلاح الأعظم بقوله: ﴿ اعد الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لهم ﴾ أى الآن لينعمهم بها بعد موتهم و انتقالهم من هذه الدار التى هى معدن الأكدار ﴿ جنٰت تجرى ﴾ أى دائما ﴿ من تحتها ﴾ أى مع قربها ﴿ الانهٰر ﴾ ثم عرض بهذه الدنيا السريعة الزوال فقال: ﴿ خٰلدين فيها ﴾ ثم رغب فيها بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة ﴿ الفوز العظيم ﴾ أى لا غيره . ٢٠

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ .

و لما ختم قصص أهل المدر بذم أولى الطول منهم لتخلفهم ، و كان ذمهم[1] إنما هو لكونهم قادرين على الخروج فى ذلك الوجه . و قدمهم لكثرة سماعهم للحكمة . و كان أهل الوبر أقدر الناس على السفر لأن مبنى أمرهم على الحل و الارتحال ، فهم أجدر بالذم لأنهم فى غاية الاستعداد لذلك ،

٥ تلاهم[2] بهم فقال : ﴿ و جآء المعذرون ﴾ أى المبالغون فى إثبات الخفايا من الأعذار المانعة لهم من الجهاد - بما أشار إليه الإدغام ، و حقيقة المعذر أن يتوهم ان له عذرا و لا عذر له ، و العذر[3] : إيساع الحيلة فى وجه يدفع ما ظهر من التقصير ﴿ من الاعراب ﴾ قيل : هم رهط عامر بن الطفيل من بنى[4] عامر ، و قيل : أسد و غطفان ، و قيل : رهط من غفار ﴿ ليؤذن ﴾

١٠ أى ليقع[5] الإذن من أى آذن كان فى تخلفهم عن الغزو ﴿ لهم ﴾ أى فاعتذروا بما كذبوا فيه و قعدوا عن الغزو معك ، هكذا كان الأصل فوضع موضعه : ﴿ و قعد الذين كذبوا الله ﴾ أى و هو المحيط علما و قدرة ﴿ و رسوله ﴾ تنبيها على وصفهم و ليكون أظهر فى شمول الأعراب و غيرهم.

و لما كان منهم المحتوم بكفره و غيره قال : ﴿ سيصيب ﴾ أى بوعد

١٥ لا خلف فيه ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ختم بكفرهم ﴿ منهم عذاب اليم ﴿ أى فى الدارين .

و لما كان من القاعدين من أهل المدر و الوبر من له عذر ، استثناهم سبحانه و ساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة فقال :

---

(١) فى ظ : ذنبهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بداهم - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل . العذاب . كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : ابن (٥) فى ظ : يقع .

﴿ليس على الضعفآء﴾ أى بنحو الهرم[1] ﴿ولا على المرضى﴾ أى بنحو الحمى والرمد ﴿ولا على الذين لا يجدون﴾ ولو بدين يؤدونه فى المستقبل ﴿ما ينفقون﴾ أى لحاجتهم وفقرهم ﴿حرج﴾ أى إثم يميل بهم عن الصراط المستقيم ويخرج دينهم.

ولما كان ربما [ كان - [2] ] أحد من المنافقين بهذه الصفة احترز ٥ عنه بقوله: ﴿إذا نصحوا﴾ أى فى تخلفهم وجميع أحوالهم ﴿لله﴾ أى الذى له الجلال والإكرام ﴿ورسوله﴾ أى سرا[3] وعلانية، فانهم حينئذ محسنون فى نصحهم الذى منه تحسرهم على القعود على[4] هذا الوجه وعزمهم على الخروج متى / قدروا، وقوله: ﴿ما على المحسنين﴾ فى / ٥٣٩ موضع 'ما عليهم' لبيان إحسانهم بنصحهم مع عذرهم ﴿من سبيل﴾ ١٠ أى طريق إلى ذمهم أو لومهم، والجملة كلها بيان لـ"نصحوا لله ورسوله"، وقوله: ﴿والله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿غفور﴾ أى محاء للذنوب ﴿رحيم﴾ أى محسن مجمل[5] إشارة إلى أن الإنسان محل[5] التقصير والعجز وإن اجتهد، فلا يسعه إلا العفو؛ ثم عطف على ذلك قوله: ﴿ولا على الذين اذا﴾ وأكد[6] المعنى بقوله: ﴿مآ اتوك﴾ أى ١٥ ولم يأتوا بغير قصدك راغبين فى الجهاد معك ﴿لتحملهم﴾ وهم لا يجدون محملا ﴿قلت﴾ أى أتوك قائلا أو حال قولك، [7]'وقد' مضمرة[7] كما قالوا فى "حصرت صدورهم[8]" ﴿لآ اجد مآ﴾ أى شيئا ﴿احملكم عليه﴾

---

(١) فى ظ: هرم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: سر (٤) من ظ، وفى الأصل: عن (٥-٥) من ظ، وفى الأصل: عطف على ذلك (٦) فى ظ: كذا (٧ - ٧) من ظ، وفى الأصل: قدم ضميره - كذا (٨) سورة ٤ آية ٩٠.

و أجاب " اذا " بقوله [ و يجوز أن يكون استئنافا و "قلت" هو الجواب -[1]]
﴿ تولوا ﴾ أى عن سماع هذا القول منك ﴿ و اعينهم تفيض ﴾ أى
تمتلىء[2] فتسيل، و إسناد الفيض إليها أبلغ من حيث أنها جعلت كلها دمعا :
ثم بين الفائض بقوله : ﴿ من الدمع ﴾ أى دمعا ، و الأصل : يفيض
٥ دمعها ، ثم علل فيضها[3] بقوله : ﴿ حزنا ﴾ ثم علل حزنهم بقوله :
﴿ الا يجدوا ﴾ أى لعدم وجدانهم ﴿ ما ينفقون ﴾ فحزنهم فى الحقيقة
على فوات مرافقتك و الكون فى حزبك ، و هذه قصة البكائين صرح[4]
بها و إن كانوا داخلين فى " الذين لا يجدون " إظهارا لشرفهم و تقريرا
لأن الناصح - و إن اجتهد - لا غنى له عن العفو حيث بين أنهم - مع
١٠ اجتهادهم فى تحصيل الأسباب و تحسرهم عند فواتها بما أفاض[5] أعينهم -
ممن[6] لا سبيل عليه أو ممن لا حرج عليه المغفور له .

و لما نفى السبيل عمن وصفه[7] كر على ذم من انتفى عنه هذا[8] الوصف
فقال تعالى : ﴿ انما السبيل ﴾ أى[8] باللوم و غيره ﴿ على الذين يستاذنونك ﴾
أى يطلبون إذنك فى التخلف عنك راغبين فيه ﴿ و هم اغنيآء ج ﴾ أى
١٥ فلا عذر لهم فى التخلف عنك و عدم مواساتك ، و تضمن قوله تعالى مستأنفا :
﴿ رضوا بان يكونوا ﴾ أى كونا كأنه جبلة لهم[8] ﴿ مع الخوالف لا ﴾ انتفاء[9]

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ : و فى الأصل : تميل (٣) فى ظ : فيضه (٤) من ظ ، و فى الأصل : خرج (٥) زيد بعده فى ظ : من (٦) فى ظ : مما (٧) من ظ ، و فى الأصل : وصف (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : انتفى .

الضعف و المرض عنهم من حيث أنه علل فعلهم برضاهم بالتخلف فأفهم ذلك أنه لا علة لهم سواه ، و أفهم أيضا أن كل من كان كذلك كان مثلهم و لو أنه ضعيف أو مريض ، وكرر ذكر الخوالف تكريرا لعيبهم برضاهم بالكون فى عداد[1] النساء إذ[2] كان ذلك من أعظم المعايب عند العرب ، وسمى الفاعل للطبع حيث حذفه من الأولى ؛ و لما ذكره ، عظم الأمر ٥ فاقتضى ذلك عظم الطبع فنفى مطلق العلم فقال عاطفا على "رضوا" : ﴿و طبع الله﴾ أى الذى له القدرة الكاملة[3] و العلم المحيط ﴿[4]على قلوبهم[4]﴾ ثم سبب عن[3] ذلك الرضى و الطبع قوله : ﴿ فهم لا يعلمون ۝ ﴾ أى لا علم لهم فلذلك جهلوا[5] ما فى الجهاد من منافع الدارين لهم[3] فلذلك رضوا بما[6] لا يرضى[6] به عاقل ، و هو أبلغ من نفى الفقه فى الأولى ، و زاد المناسبة ١٠ حسنا ضم الأعراب فى هذه الآيات إلى أهل الحاضرة و هم بعيدون من الفقه جديرون بعدم[7] العلم .



(١) فى ظ : عدد (٢) من ظ : و فى الأصل : إذا (٣) سقط من ظ (٤-٤) تأخر فى الأصل عن « و الطبع قوله » و الترتيب من ظ (٥) فى ظ : حملوا (٦-٦) فى ظ : لم يرض (٧) فى ظ : بعلم .

# خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثامن من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الخميس العشرين من شوال ١٣٩٤ ه‍ = ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٤ م، تحت مراقبة مدير الدائرة و عميدها "أفضل العلماء" بروفسور السيد عبد الوهاب البخاري - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين!

وقد عني بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمي العمري (الحامل شهادة "أفضل العلماء" من جامعة مدراس) حفظه الله!

و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه!

و يليه الجزء التاسع إن شاء الله تعالى و أوله «ثم شرع يخبر عن أشياء». و في الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤول لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علّم فواتح الخير و خواتمه، سيدنا و مولانا محمد و آله وصحبه أجمعين، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين -

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية